Wasit University Repository

Wasit University Repository

repository.uowasit.edu.iq

المؤامرات والتمردات ضد عرش إنگلترا 1267 ــ 1485

Conspiracies and Insurrections Against the Crown of England 1267 – 1485

الهاشمي, محمد سعيد شخير

إشراف: أ.د حسنين عبد الكاظم عجه

جامعة واسط — 2026

https://repository.uowasit.edu.iq/handle/123456789/221

https://doi.org/10.31185/uowasit-65

حُمِّل هذا الملف من مستودع جامعة واسط

Downloaded from the Wasit University Repository — repository.uowasit.edu.iq

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

المؤامرات والتمردات ضد عرش إنكلترا 1267 – 1485

اطروحة تقدم بها الطالب

محمد سعيد شخير الهاشمي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة واسط

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الحديث

بأشراف

الأستاذ الدكتور

حسنين عبد الكاظم عجه

1447هـ 2026م

بسم الله الرحمن الرحيم
وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَ
وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِ
صدق الله العظيم

الإهـداء

- إليك يا من أخذت بيدي صغيراً ... أبي حفظه اللّه.
- إليكِ يا منبعي وملاذي وملهمتي وكل شيء في حياتي ... أمي حفظها اللّه.
- إلى من بهم يشتد عظدي أخوتي وأخواتي (معمر . ميادة . زينب) حباً.
- إلى الغائب الحاضر في قلبي... أخي المرحوم علي سعيد... وفاءً وامتناناً.
- إلى عائلتي الصغيرة زوجتي وأبنائي الاحباء (علي. زهراء. رفيف. رقية) الذين لم يدخروا جهداً في دعمي والأخذ بيدي.
- الى بلدي العراق العظيم.

اهدى جهدى المتواضع هذا ...

شكر وعرفان

لا يسعني بعد انجاز عملي المتواضع هذا، الا ان اتقدم بالشكر والامتنان والتقدير الى مشرفي الاستاذ الدكتور حسنين عبد الكاظم عجه الشمري، الذي لم يدخر وقتاً وجهداً في متابعة عمل أطروحتي وتصويباتها، وكان لتوجيهاته، واخلاصه وتفانيه وسعة صدره الاثر البالغ لما ارتقت اليه دراستي، واتمنى من الله القدير ان يمنَ عليه بالصحة والعافية وينفع به طلبة العلم في قادم السنين.

واتقدم بوافر الامتنان للاساتذة الافاضل الذين تتلمذت على ايديهم في السنة التحضيرية لمرحلة دراسة الدكتوراه، وهم: الاستاذ الدكتور طالب محيبس الوائلي، والاستاذ الدكتور عكاب يوسف الركابي، والاستاذ الدكتور رحيم كاظم محمد الهاشمي، والاستاذ الدكتور عباس فرحان الموسوي، والاستاذ الدكتور علي خيري مطرود، والاستاذ الدكتور جواد رضا السبع، والاستاذ الدكتور فهد عويد، ورئيس قسم التاريخ الاستاذ الدكتور محمد السويطي، لجهوده الطيبة في متابعة طلبة الدراسات العليا وتذليل الصعاب امامهم، ولا انسى ما حييت رعايتهم الفذة ودعمهم واهتمامهم بالارتقاء بطلبتهم الى اعلى المستويات جزاهم الله عني خير الجزاء.

الباحث

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الدراسة الموسومة بـ (المؤامرات والتمردات ضد عرش إنكلترا ١٢٦٧ - ١٤٨٥) والمقدمة من الطالب (محمد سعيد شخير) قد جرى تحت إشرافي في قسم التاريخ - كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة واسط ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الحديث.

التوقيع :

المشرف : أ. د. حسنين عبد الكاظم عجه

التاريخ ٩/٦/٢٠٢٦

بناءً على التوصيات المقدمة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع :

أ. د. محمد حسين علي السويطي

رئيس القسم

التاريخ: ٩/٦/٢٠٢٦

إقرار المقوم اللغوي

أشهد أن إعداد هذهِ الدراسة الموسومة بـ (**المؤامرات والتمردات ضد عرش إنكلترا 1267 - 1485**) والمقدمة من الطالب (**محمد سعيد شخير**) قد جرى تقويمها لغوياً ، وبذلك أصبحت مؤهلة للمناقشة بقدر تعلق الأمر بسلامة الأسلوب وصحة التعبير .

التوقيع:

الاسم:

كلية: – جامعة واسط

التاريخ : / 6 / 2026

إقرار المقوم العلمي الأول

أشهد أن إعداد هذهِ الدراسة الموسومة بـ (**المؤامرات والتمردات ضد عرش إنكلترا 1267 - 1485**) والمقدمة من الطالب **(محمد سعيد شخير)** قد جرى تقويمها علمياً وهي سليمة من الناحية العلمية ومؤهلة للمناقشة.

التوقيع:

الاسم:

كلية: – جامعة واسط

التاريخ : / 6 / 2026

إقرار المقوم العلمي الثاني

أشهد أن إعداد هذهِ الدراسة الموسومة بـ (**المؤامرات والتمردات ضد عرش إنكلترا 1267 - 1485**) والمقدمة من الطالب **(محمد سعيد شخير)** قد جرى تقويمها علمياً وهي سليمة من الناحية العلمية ومؤهلة للمناقشة.

التوقيع:

الاسم:

كلية: – جامعة واسط

التاريخ : / 6 / 2026

قرار لجنة المُناقشة

نشهدُ نحنُ أعضاء لجنة المُناقشة قد اطّلعنا على هذهِ الدراسة الموسومة بـ **(المؤامرات والتمردات ضد عرش إنكلترا 1267 – 1485)** والمقدمة من الطالب **(محمد سعيد شخير الهاشمي)**، وناقشناه في محتوياتها وفيما لهُ علاقة بها ونعتقد أنَّها جديرة بالقبول لنيل درجة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الحديث بتقدير (جيد جداً).

التوقيع:
أ.د رحيم كاظم محمد
رئيس اللجنة
التاريخ: 16 / 8 /2026

التوقيع:
أ.د اياد ناظم جاسم
عضواً
التاريخ: 16 / 8 /2026

التوقيع:
أ.د جواد رضا ارزوقي
عضواً
التاريخ: 16 / 8 /2026

التوقيع:
أ.د فهد عويد عبد
عضواً
التاريخ: 16 / 8 /2026

التوقيع:
أ. م .د علي عبد حمادي
عضواً
التاريخ: 16 / 8 / 2026

التوقيع:
أ.د. حسنين عبد الكاظم
عضواً ومشرفاً
التاريخ: 16 / 8 / 2026

صُدِّقت من قبل مجلس كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة/ جامعة واسط

الأستاذ الدكتور
محمود حمود عراك القريشي
عميد كليّة التربية للعُلوم الإنسانيّة
التاريخ: 16 / 8 / 2026

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية القرآنية	أ
الاهداء	ب
شكر وعرفان	ج
الإقرارات	د – ح
المحتويات	ط – ل
المقدمة – نطاق البحث وعرض المصادر	1 – 23
الفصل الأول آليات ادوارد الأول في إخضاع الأطراف : دراسة في تمردات ويلز واستراتيجيات الردع الملكي إزائها 1274 – 1307	24 – 90
المبحث الاول: مؤشرات تمرد امير ويلز ليولين أب غريفود على مؤسسة العرش الإنكليزي، ونتائجها 1274 – 21 شباط 1277.	24 – 36
المبحث الثاني: الفعاليات القتالية الإنكليزية في ويلز حتى وأد تمرد الأمير ليولين آب، ومظاهر السياسة الإنكليزية في ويلز آيار 1277 حتى 1282.	37 – 49
المبحث الثالث: تجدد التمرد الويلزي على ملك إنكلترا في 21 آذار 1282، ووقائع الاجتياح الإنكليزي لـ ويلز حتى مقتل ليولين آب في 11 كانون الأول 1282.	50 – 68
المبحث الرابع: وأد مؤسسة العرش الإنكليزي تمرد دافيد آب غريفورد، وآليات هيمنتها القانونية والإدارية على ويلز كانون الثاني 1283 – نيسان 1284.	69 – 78

المبحث الخامس: آليات الهيمنة العمرانية والمؤسسية الإنكليزية في ويلز، وآثرها في تجدد تمرداتها حتى انهاء استقلالها عام 1294.	90 – 79
الفصل الثاني الفصل الثاني: التحدي الاسكتلندي لمؤسسة العرش الإنكليزي بين تمرد وليام والاس وحملات روبرت بروس 1286 – 1307	158 – 91
المبحث الأول: ملابسات خضوع اسكتلندا اقطاعياً للملك ادوارد الأول، والتمردات الاسكتلندية التي تلت ذلك حتى خلع الملك جون باليول عن عرشه 1286 – 1292.	109 – 91
المبحث الثاني: تزعم وليام والاس التمرد الإسكتلندي ضد إنكلترا، والرد الإنكليزي عليه تموز 1297 – 30 تشرين الأول 1300.	122 – 110
المبحث الثالث: اشتداد السجالات بين الجيوش الإنكليزية والمتمردين الاسكتلنديين حتى اعدام وليام والاس 24 حزيران 1300 – 23 آب 1305.	138 – 123
المبحث الرابع: تمرد روبرت بروس على مؤسسة العرش الإنكليزي وقيادته المقاومة الاسكتلندية ضدها حتى وفاة ادوارد الأول 10 شباط 1306 – 11 تموز 1307 .	158 – 139
الفصل الثالث تصدع هيبة العرش وأثره في تمردات البارونات في عهد إدوارد الثاني 1307 – 1327.	245 – 159
المبحث الأول: مؤسسة العرش الإنكليزي بين سندان التمرد الباروني ومطرقة التمرد الاسكتلندي كانون الأول 1307 – حزيران 1314.	170 – 157
المبحث الثاني: وقائع ونتائج صراع مؤسسة العرش الإنكليزي مع القوى المتمردة عليها 23 حزيران 1314 – 25 تموز 1316.	189 –171
المبحث الثالث: وأد العرش الإنكليزي التمرد الاسكتلندي في ايرلندا، وخسارته قلاعه الاسكتلندية 24 أيلول 1316 – نيسان 1320.	201 – 190

المبحث الرابع: أسباب ونتائج تمرد بارونات ويلز وشمال إنكلترا على مؤسسة العرش الإنكليزي 5 أيلول 1320 – 28 آب 1323.	219 – 202
المبحث الخامس: نشاط روجر مورتيمر ورفاقه المتمردين في منفاهم ضد العرش الإنكليزي آب 1323.	245 – 220
المبحث السادس: غزو المتمردون إنگلترا وتدابيرهم السياسية والعسكرية فيها حتى خلع الملك إدوارد الثاني 22 أيلول 1326 – 24 كانون الثاني 1327	245 – 220
الفصل الرابع **المؤامرات والتمردات على العرش الإنگليزي، في عهد البلانتجانت المتأخر 1327 – 1399**	321 – 246
المبحث الأول: المؤامرات والتمردات ضد البلاط الإنگليزي في عهد الملك ادوارد الثالث 1327 – 1377.	272 – 246
المبحث الثاني: تمرد وات تايلر عام 1381 ضد الملك ريتشارد الثاني.	287 – 273
المبحث الثالث: تمرد مقاطعات شرق إنگلترا عام 1381.	297 – 288
المبحث الرابع: التجاذبات السياسية والعسكرية التي تخللت تمرد برلمان إنگلترا على الملك ريتشارد الثاني، 1386 – 1398.	311 – 298
المبحث الخامس: تمرد هنري بولينغبروك ضد عاهل إنكلترا ريتشارد الثاني عام 1399.	321 – 312
الفصل الخامس **موقف العرش الإنگليزي من المؤامرات والتمردات التي حيكت ضده في بواكير عهد آل لانكستر 1399 – 1422**	388 – 322
المبحث الأول: أزمة الشرعية والمؤامرات المبكرة ضد آل لانكستر 1399 – 1405.	339 – 327
المبحث الثاني: التمردات المضادة للملك هنري الرابع، وآليات قمعها بين عامي 1400 –	368 – 340

1415.	
المبحث الثالث: تردي علاقة هنري الرابع بإكليروسه وباروناته وأثره في حدوث تمردي الأسقف سكروب وبيرسي الأب 1405 – 1408.	377 – 369
المبحث الرابع: آليات الردع الملكي ضد تمرد اللولارد ومؤامرة ساوثهامبتون بين عامي 1413 – 1415.	388 – 378
الفصل السادس العرش الإنكليزي بين أزمة الشرعية وتتابع المؤامرات والتمردات 1450 – 1485	465 – 389
المبحث الأول: أوضاع إنكلترا في عهد هنري السادس وأثرها في حدوث تمرد جاك كيد عام 1450.	397 – 389
المبحث الثاني: صراع عائلتي لانكستر ويورك حتى خلع الملك هنري السادس 1453 – 1461.	411 – 398
المبحث الثالث: تسنم إدوارد الرابع العرش، وصراعاته ضد المتآمرين عليه 1461 – 1471.	423 – 412
المبحث الرابع: تمرد و تآمر جورج دوق كلارنس على أخيه ادوارد الرابع 1471 – 1477.	432 – 424
المبحث الخامس: وقائع ونتائج تمرد ريتشارد الثالث على ابن أخيه إدوارد الخامس 4 نيسان 1483 – 26 حزيران 1483.	451 – 433
المبحث السادس: التمردات والمؤامرات على العرش الإنكليزي في عهد الملك ريتشارد الثالث 1483 – 1485.	465 – 452
الخاتمة.	473 – 466
قائمة الملاحق.	499 – 474
قائمة المصادر.	547 – 500
ملخص الرسالة باللغة الانكليزية.	A – C

المقدمة

المقـــدمة

نطاق البحث، وتحليل المصادر

شهدت إنكلترا أواخر العصر الوسيط مخاضاً سياسياً وعسكرياً اقترن بتحولات بنيوية أعادت تشكيل موازين القوى الإنكليزية، وكان لمؤسسة العرش الإنكليزي النصيب الأوفر في رسم ملامح تلك التحولات، فمنذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر، احست النخب الإنكليزية أن عليها خوض صراع مع مؤسسة عرش بلادها للهيمنة عليها، وتوجيهها بما ينسجم مع تطلعاتها، مستغلة انشغالها بصراعات محتدمة مع قوى قارية منها: فرنسا، اسكتلندا وويلز، وانتهى ذلك كله الى تجاذبات وحراك بين النخب الإنكليزية وملوكها، عبر عن نفسه بمؤامرات خفية حيناً، وتمردات متباينة الدوافع والطروحات حيناً أخر، طوال الحقبة الممتدة بين عامي 1267 و 1485.

ووصلت تلك المؤامرات والتمردات ذروتها تزامناً مع تحول العرش من المركزية في عهود الادواردات الثلاثة إلى التشظي السلالي الذي رافق صعود آل لانكستر ثم آل يورك، واقتران ذلك بتبني المؤامرات والتمردات أوجهاً عديدة بدءاً بالدسائس التي استشرت في البلاط، وانتهاءً بالتمردات العسكرية المدعومة داخلياً وخارجياً، بالشكل الذي زج مؤسسة العرش ومنافسيها من النخب الدينية والزمنية في أتون مؤامرات وتمردات استنزفت قواهم البشرية وقدراتهم الاقتصادية، وغيرت أنظمتهم الملكية مراراً، حتى سقوط آل لانكستر ومجيء آل تيودور، الذي أشر نهاية تاريخ إنكلترا الوسيط، وولوجها العصر الحديث، ورغم وجود دراسات أكاديمية تناولت جوانب من تاريخ إنكلترا، إلا أن الحاجة ظلت ماسة لدراسة تحليلية معمقة تربط بين المتغيرات السياسية والممارسات التآمرية التي تبنتها النخب الأرستقراطية، بدءاً من تمردات ليولين أب غريفود التي واجهها إدوارد الأول، وصولاً إلى الزلزال السياسي الذي أطاح بآخر ملوك إنكلترا في العصور الوسطى ريتشارد الثالث في معركة بوسورث، واتى بملكية آل تيودور.

من هنا اخترتُ تلك المؤامرات والتمردات موضوعاً لدراستي التي جاءت تحت عنوان: "**المؤامرات والتمردات ضد عرش إنكلترا 1267 – 1485**"، ولا ريب أن تناول هكذا موضوع بفرضية ذات محاور متعددة لإثباتها أو نقضها ينحو بدراستي منحىً علمياً ينتهي إلى إجابات مسندة بأدلة وقرائن، لذا انطلقت في دراستي من فرضية مفادها: "**أن مؤسسة العرش الإنكليزي، مُمثلةً في سلالات بلانتاجنت ولانكستر ويورك، واجهت حراكاً تآمرياً واسعاً ومناورات عسكرية معقدة لتحقيق مكاسب سيادية على حسابها نمت عن مطامع القوى الإقطاعية والقومية بالانفصال عن التبعية للعرش أو**

الاستحواذ عليه، وبدأت بوضع اللبنات الأولى لترسيخ هيمنتها القانونية ممثلة بالبرلمان في عهد إدوارد الأول، ثم وظفت الاضطرابات الداخلية وضعف شخصية الملكين إدوارد الثاني وريتشارد الثاني، وصولاً إلى ذروة أزمة الشرعية في عهد هنري الرابع الذي حول العرش إلى ساحة صراع مع الإكليروس والنبلاء، وانتهاءً بالمغامرة العسكرية الكبرى لحرب الوردتين التي نقلت زمام المبادرة في نهاية المطاف إلى الملكية التيودورية المركزية عام 1485".

وفي إطار تحليل هذه الفرضية، حرصت على وضع تساؤلات مهمة والإجابة عنها بشكل يوضح محاور الدراسة، ومنها:

- ما الدوافع السياسية لتمرد أمير ويلز ليولين أب غريفود عام 1274، وكيف استثمر العرش الإنكليزي معاهدة أبيركونوي لتقويض طموحاته؟
- كيف تحول التمرد الويلزي من صراع حدودي إلى مواجهة وجودية ضد مؤسسة العرش الإنكليزي بين عامي 1277 و1282؟
- ما آليات الهيمنة القانونية التي اتبعها إدوارد الأول لوأد تمرد دافيد أب غريفود وإعدامه قانونياً عام 1284؟
- كيف وظفت إنكلترا الأداة العمرانية (بناء القلاع) لردع التمردات الويلزية المتجددة حتى عام 1294؟
- ما ملابسات خضوع اسكتلندا إقطاعياً لإدوارد الأول، وكيف فجّرت أزمة العرش الاسكتلندي بواكير التمرد ضد التاج؟
- لماذا أخفق العرش الإنكليزي في استيعاب تمرد وليام والاس رغم التفوق العسكري في معركة فالكيرك؟
- ما أثر إعدام وليام والاس عام 1305 على تأجيج الروح القومية الاسكتلندية بدلاً من إخمادها؟
- كيف استطاع روبرت بروس تحويل تمرده من خروج على القانون إلى تأسيس لشرعية بديلة ضد إدوارد الأول؟
- ما دور التمرد الباروني في إضعاف قبضة إدوارد الثاني أمام مطرقة التمرد الاسكتلندي بين 1307 و1314؟
- كيف أدت هزيمة بانوكبيرن إلى تآكل هيبة العرش الإنكليزي وفتح الباب أمام تمردات إيرل لانكستر؟

- ما تداعيات تمرد بروس في إيرلندا، وكيف أثرت على استنزاف موارد العرش الإنكليزي في جبهات متعددة؟
- لماذا فشلت مؤسسة العرش في وأد تمرد بارونات ويلز وشمال إنكلترا بين عامي 1320 و1323؟
- ما ملامح المؤامرة الممنهجة لروجر مورتيمر في منفاه بفرنسا، وكيف أدار عملية غزو
إنكلترا عام 1326؟
- ما الحيثيات القانونية غير المسبوقة التي استُخدمت لخلع إدوارد الثاني ثم اغتياله في
قلعة بيركلي؟
- كيف استطاع إدوارد الثالث الانقلاب على مؤامرة الوصاية (مورتيمر وإيزابيلا) واستعادة سلطة العرش عام 1330؟
- ما أثر الدعم الفرنسي للتمرد الاسكتلندي (1334–1346) في تحويل الصراع إلى حربٍ أوروبية شاملة (حرب المائة عام)؟
- ما ملابسات مؤامرة إدموند إيرل كنت ضد العرش، وكيف تعامل معها إدوارد الثالث بصرامة ملكية؟
- ما القوى المحركة لتمرد وات تايلر عام 1381، وكيف واجه ريتشارد الثاني المؤامرة الشعبية في لندن؟
- لماذا تحولت مقاطعات شرق إنكلترا إلى بؤر للتمرد المسلح ضد التاج، وكيف تمت آليات القمع الملكي هناك؟
- ما الحيثيات الدستورية لتمرد هنري بولينغبروك عام 1399، وكيف نجح في خلع ريتشارد الثاني وتأسيس شرعية آل لانكستر؟
- ما مؤامرة عيد الغطاس عام 1399، وكيف كشفت عن هشاشة العرش اللانكستري في بداياته؟
- كيف وظف الرهبان الرماديون الدعاية السياسية للتآمر ضد هنري الرابع بين 1402 و1404؟
- ما أهداف مؤامرة مارغريت دي فير ومؤامرة قصر إيلثام في محاولات استعادة عرش ريتشارد الثاني؟

- لماذا تحالف آل بيرسي (صناع الملوك) مع أوين غلين دور الويلزي في تمرد شامل ضد هنري الرابع عام 1403؟
- ما دلالات تمرد ريتشارد سكروب (رئيس أساقفة يورك)، وكيف أثر إعدامه على علاقة العرش بالإكليروس؟
- كيف واجه هنري الخامس مؤامرة ساوثهامبتون عام 1415، وكيف ربطت بين الخيانة الداخلية والمصالح الفرنسية؟
- ما جذور تمرد اللولارد بقيادة أولدكاسل، وكيف استطاع العرش دمج الردع الديني بالقمع السياسي؟
- كيف أدى ضعف هنري السادس إلى ظهور مؤامرات الحجرات (Chamber Plots) التي مهدت لحروب الوردتين؟
- ما آليات المؤامرة القانونية التي اتبعها ريتشارد الثالث للوصول إلى العرش عبر إقصاء أبناء إدوارد الرابع؟
- كيف انتهت فلسفة التمرد والمؤامرات في العصور الوسطى بسقوط ريتشارد الثالث في بوسورث عام 1485، وما مؤشرات التحول نحو الملكية التيودورية؟

ولا ريب أن الفرضية آنفة الذكر ومحاورها اقتضت مني استبعاد الإطار السردي التقليدي في تتبع الفعاليات السياسية والصدامات العسكرية بين مؤسسة العرش وخصومها، ومحاولة استعراضها بمنطق التحليل والمقارنة، وتتبع آثار تلك المؤامرات والتمردات على البنية الدستورية والسيادية لإنكلترا ومحيطها الجيوسياسي على حد سواء، لذا اجتهدتُ أثناء عرض دراستي على تبني منهجين، أولهما وصفي: راعيتُ فيه المسار الزمني لتعاقب الملوك والسلالات ووحدة العرض الجغرافي للمقاطعات الثائرة، وثانيهما تحليلي: في المواضع التي اقتضت مني تفسير دوافع المتآمرين وتشريح المادة الوثائقية والقانونية التي استند إليها العرش في ردع خصومه، ووظفتُ جملة نصوص ومراسلات رسمية وسجلات محاكمات خدمةً للتصور العلمي الذي تبلور لدي أثناء تحليل المعلومات التاريخية ومقارنتها ومزجها ببعضها، لتقديم صورة متكاملة عن ظاهرتي التمرد والتآمر في إنكلترا أواخر العصر الوسيط، بوصفها محركاً أساسياً للتحول من الملكية الإقطاعية القلقة إلى الملكية المركزية المستقرة.

اقتضى تصوري للموضوع، والمادة التي تيسرت لي تقسيم الدراسة على فصولٍ ستة، تطرق الأول منها إلى: "**إدوارد الأول وآليات إخضاع الأطراف: دراسة في تمردات ويلز واستراتيجيات الردع الملكي 1272 – 1307**"، وهي في مجملها أعطت تصوراً

عن بواكير النشاط العسكري لإدوارد الأول، وظروف مواجهته تمردات أمراء ويلز لاسيما ليولين أب غريفود، واستعراض ملابسات نهاية الاستقلال الويلزي ووقائعه حتى صدور قانون رودلان عام 1284، واختتمتُ الفصل ببيان أثر الهيمنة القانونية والعمرانية في وأد بذور التمرد الويلزي المتجدد.

واستعرضتُ في الفصل الثاني: "**التحدي الاسكتلندي لمؤسسة العرش الإنگليزي : منذ تمرد وليام والاس إلى حملات روبرت بروس 1286 – 1307**"، مركزاً على جذور أزمة الخلافة الاسكتلندية وأساليب التدخل الإنگليزي، وتتبعتُ ظروف تمرد وليام والاس والفعاليات القتالية التي أعقبته، ثم تحوله إلى صراع سيادي شامل بقيادة روبرت بروس، واسترسلتُ في توضيح أثر فشل الدبلوماسية العسكرية في استيعاب الروح القومية الاسكتلندية حتى نهاية عهد إدوارد الأول.

وتطرقتً في ثالث فصول الدراسة إلى: "**تصدع هيبة العرش والتمردات البارونية في عهد إدوارد الثاني 1307 – 1327**"، بدءاً ببواكير حياة الملك إدوارد الثاني وأثر صفاته في تأجيج المعارضة، وملابسات صراعه مع إيرل لانكستر والبارونات، ونشاطاتهم السياسية والعسكرية ضد مفضلي الملك، وحراكه العسكري المتعثر في اسكتلندا، واختتمتُ الفصل بتحليل ملابسات المؤامرة الكبرى التي قادها روجر مورتيمر والملكة إيزابيلا وانتهت بخلع الملك ثم اغتياله.

وتناولت في الفصل الرابع: "**المؤامرات والتمردات على العرش الإنگليزي، في عهد البلانتجانت المتأخر 1327 – 1399**"، مُبيناً جهود إدوارد الثالث في استعادة زمام المبادرة من المتآمرين، وحراكه الدبلوماسي والعسكري في فرنسا واسكتلندا، ثم انتقلتُ لتشريح أزمات عهد ريتشارد الثاني، لاسيما تمرد وات تايلر عام 1381، وسجالات الملك مع البارونات المناوئين، وصولاً إلى نجاح تمرد هنري بولينغبروك، وانتقال العرش إلى بيت لانكستر.

وجاء الفصل الخامس بعنوان: "**موقف العرش الإنگليزي من المؤامرات والتمردات التي حيكت ضده في بواكير عهد آل لانكستر 1399 – 1422**"، الذي اقتضى مني تحليل المؤامرات المبكرة التي واجهت آل لانكستر، كمؤامرتي عيد الغطاس والرهبان الرماديين، وتتبعتُ تطور علاقة الملك المتوترة مع آل بيرسي وتفاصيل تمردهم المسلح، ثم عرجتُ على تمرد رئيس أساقفة يورك ريتشارد سكروب وأثره في تردي علاقة العرش بالإكليروس، واختتمتُ الفصل باستعراض آليات الردع الملكي ضد اللولارديين ومؤامرة ساوثهامبتون.

واختتمتُ دراستي بـ الفصل السادس ذي العنوان: "**حروب الوردتين وتداعي شرعية البلانتاجنت: قراءة في المؤامرات السلالية حتى عام 1485**"، الذي تتبعت فيه بواكير الصراع بين عائلتي لانكستر ويورك، ونشاطات صناع الملوك التآمرية، وتدابير ريتشارد الثالث للوصول إلى العرش، وسجالاته مع خصومه حتى مقتله في معركة بوسورث، وانتهاء سلالات العصور الوسطى وبزوغ فجر العهد التودوري، واستقرأتُ في خاتمة دراستي أبرز محاورها، وما استنبطتهُ من إجابات للتساؤلات الثلاثين التي وردت في فرضيتها.

اقتضت طبيعة دراستي استخدام كم هائل من المصادر، وأهمها السجلات الرسمية التي شكلت تركة ضخمة اتسمت بالتباين اللغوي، وشكلت السجلات الوثائقية والحوليات الإنكليزية المعاصرة لمحور الدراسة أهمية كبرى في دراستي، لأنها نقلتها من التاريخ السردي إلى التاريخ الوثائقي المجرد، وقدمت كشفاً صريحاً عن المصالح المادية والالتزامات القانونية التي حكمت علاقات العرش الإنكليزي برعاياه، وأسهمت في فهم العقيدة السياسية لمؤسسة العرش، وفي مقدمتها حوليات مؤرخي البلاط الذين قدموا تفاصيل دقيقة عن التحولات العسكرية والسياسية، إلا أنني وجدت في ثناياها انحيازاً كبيراً للملكية، بدا في مواضع عدة كـ تبرير القسوة ضد المتمردين الويلزيين على سبيل المثال، مما دفعني لمقارنة روايتهم بسواها للتخلص من مسحة التلميع السياسي لإجراءات العرش ضد متمردي ويلز وبسطائها.

وتصدرت "**سجلات البرلمان الإنكليزي 1272 – 1326**" (Rotuli Parliamentorum 1272 – 1326) و"**سجلات الاستدعاء البرلماني وأوامر التعبئة العسكرية**"(Parliamentary Writs and Writs of Military Summons) باقي السجلات الوثائقية من حيث الأهمية القانونية، بوصفها المستند الرسمي الذي وثق تجريم مؤسسة العرش للمتآمرين، واستجلى العلاقة المتوترة بين السلطة المركزية والنبلاء، وكشف الرغبة الملكية الجامحة في ترسيخ السيادة الملكية المطلقة عبر تشريعات قانونية صارمة، وتبنت تلك السجلات سردية أحقية العرش الإنكليزي، وأظهرت المؤامرات والتمردات المضادة له بمظهر الخروج عن الاجماع الوطني، مع أن لأغلبها في الحقيقة أسباب اقتصادية أو عسكرية منطقية، كما أنها كانت نتاجاً لضغط العرش على رعاياه وترهيبهم، وهي عموماً غير منصفة للمتمردين لأنها حذفت الأسباب الموضوعية لخروجهم على مؤسسة العرش، لكن قيمتها التاريخية كمنت في توثيقها شبكات التحالفات، وكشفها أسماء الموقعين على قراراتها وتبدل ولاءات بعضهم.

وماثلتها بعض السجلات الرسمية كـ "**محاضر وقرارات المجلس الخاص لإنكلترا**": (Proceedings and Ordinances of the Privy Council of England)، و"**مكتب السجلات العامة**" (Public Records Office)، اللذان تعاملا مع التمردات والمؤامرات بمنهج قانوني منحاز للعرش، فوصفاها بخيانة عظمى دون التطرق لأسبابها السوسيولوجية، وتجلى انحيازهما أيضاً في أنهما اعتبرا المؤامرات والتمردات جرائم جنائية محضة، لكنهما تتبعا تطور أدوات القمع القانوني لمؤسسة العرش، وبينا كيف طوع التاج الإنكليزي التشريعات لتضييق الخناق على نفوذ البارونات والأساقفة، مما عكس صراعاً خفياً بين السلطة المركزية والإقطاع.

وامتلكت السجلات الوثائقية الإنكليزية الأخرى أهمية مضافة كشفت الكثير من خفايا محور الدراسة، ومنها "**وثائق السجلات المفتوحة**" (Calendar of Patent Rolls)التي تبنت سياسة العرش العلنية ازاء التمردات، وحاولت تلميع صورة العرش بتركيزها على أوامر العفو التي اصدرها بحق المتمردين، كما شرعنت أوامر مصادرة ممتلكات المتمردين ومعاقبتهم جسدياً بوصفهم أناس اشرار هدفهم زج إنكلترا في اتون حرب اهلية، مما حول تلك السجلات إلى أداة لتجميل صورة الملك بوصفه مرجعاً أوحداً للقانون، مما جعل تلك السجلات أداة تنفيذية للتاج، لاسيما في استخدام آليتي العفو والمصادرة لإعادة هيكلة التوازنات الارستقراطية بعد كل تمرد، وتوضيح كيفية نزع الأملاك من يد عائلة متمردة ومنحها لأخرى موالية، مما دل على أن الولاء في إنكلترا غدا سلعة تُباع وتُشترى بوثائق رسمية، وهو ما أغفلته الحوليات الأدبية التي ركزت على مبادئ الفروسية.

وتميزت "**سجلات الاختام المغلقة**" (Calendar of Close Rolls)، بتركيزها على مخاوف العرش من حركات التمرد، وتحديدها الأسباب الحقيقية لمؤامرات البارونات وتمرداتهم، وأساليب العرش في التصدي لهم من خلال أوامر الاعتقال الوقائي وتعبئة سكان المقاطعات ضدهم، مما أطلعني على حقيقة تدابير العرش والمتمردين عليه، وأساليبهما في التصدي لبعضهما.

وانفردت "**سجلات المواثيق**" (Calendar of Charter Rolls) في توضيحها الجيوسياسي لخارطة الولاء الباروني للعرش، وكيف أعاد العرش رسم مخطط الولاءات الإقطاعية بعد كل مؤامرة أو تمرد لمنع تبلور مراكز قوى تمرد جديدة، ورفد حلفائه بامتيازات دائمة لضمان دعمهم له ازاء أي مطامع سلالية، مما يفسر تحول سجلات المواثيق الى أداة استباقية لإجهاض المؤامرات في مهدها، وتكاملت تلك السجلات مع

"**سجلات الرسوم المالية**"(Calendar of Fine Rolls) التي كشفت مساعي العرش في وأد المؤامرات والتمردات بأسلوب مالي بالغ القسوة، وكيفية استثماره الفشل السياسي والعسكري للمتآمرين والمتمردين لرفد الخزانة الملكية بعوائد مادية بعد مصادرة ممتلكات المتمردين والمتآمرين، وفرض غرامات باهظة عليهم لكسر ارادتهم، واستنزاف قواهم لصالح قوة العرش وارادته، ومساومة اتباعهم وفرسانهم من خلال فرض ضرائب باهضة عليهم مقابل اعادة ممتلكاتهم شريطة ولائهم للملك، مما جعل التمرد عبئاً اقتصادياً منع الكثيرين من الخروج عن طاعة العرش.

وأظهرت "**سجلات تحقيقات الوفاة**" (Inquisition Post Mortem)، امتلاك مؤسسة العرش للسلاح الأمضى بين اسلحتها، من خلال عدم توريث ممتلكات واراضي قادة التمرد وعناصره الى ورثتهم، لحرمان أبناء المتمردين وذو قرابتهم من التمتع بنفوذهم، واستخدامه لاحقاً ضد العرش أو مقربيه، وبذلك ضمنت مؤسسة العرش أن موت المتآمر يعني بالضرورة موت مشروعه السياسي ومصادرة مستقبل عائلته، أما "**سجلات الخزانة**"(The Exchequer Records)، فهي المصدر الأكثر صدقاً رقمياً والأقل تحايلاً أدبياً، والقيمة النقدية لها كمنت في قدرتها على كشف اللوجستيات المخفية للمؤامرات، فبينما ادعت أغلب الحوليات أن التمردات كانت عفوية، كشفت سجلات الخزانة عن تمويلات مسبقة وتجهيزات عسكرية ضخمة، وهي دقيقة جداً لأنها لم تمتلك هدفاً أيديولوجياً سوى المحاسبة المالية، وبذلك فضحت زيف الخطاب التعبوي للعرش والمتمردين على حد سواء، مظهرةً أن المؤامرة في إنكلترا كانت استثماراً سياسياً قبل أن تكون صرخة احتجاج.

وشكلت "**وثائق لندن**" (The Chronicles of London) تحولاً بنيوياً في ثقافة التدوين أواخر العصر الوسيط، فكسرت احتكار المؤسسة الكنسية اللاتينية والبلاط الإنكليزي في للتدوين الوثائقي، لتصبح مرآة للهوية الوطنية الإنكليزية، بوصفها صوت العاصمة لندن ولسان حال الطبقة البورجوازية الناشئة، وكمنت قيمتها في واقعيتها الميدانية وقدرتها على رصد أثر التمردات الكبرى على أمن العاصمة والمزاج الشعبي ومؤسسات السوق، كـ تمردي وات تايلر عام 1381 وجاك كيد عام 1450، إلا أنها واجهت انتقادات حادة بسبب نزعتها النفعية الضيقة ولغتها السياسية البرغماتية التي تباينت على وفق تغير موازين القوى، فسجلاتها باركت التمردات إذا فتحت لها آفاقاً تجارية وأسمتها ثورات شرعية، وادانتها إذا هددت الأسواق وعدتها حركات فوضوية، كما أنها لم تنصف الطبقات الفقيرة المشاركة في التمرد، لكن أهميتها تمثلت في توثيق

العلاقة النفعية بين تجار لندن وبارونات الحرب، مما يفسر سبب نجاح أو فشل العديد من المؤامرات بناءً على الموقف المالي للعاصمة، ويؤخذ على سجلات لندن أيضاً قصور رؤيتها الجغرافية وحصر اهتمامها داخل أسوار العاصمة، مما جعلها تغفل الجذور الاجتماعية العميقة للاضطرابات في الأقاليم البعيدة وتصفها بـ الغوغائية دون تحليل موضوعي لأسبابها.

ومثلت الحوليات الرهبانية والكنسية في إنكلترا أثناء المضمار الزمني للدراسة ركيزة أساسية للتوثيق التاريخي الرصين، فانتقلت من مجرد تسجيل الحوادث إلى محاولة تفسيرها فلسفياً وقانونياً، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن الرهبان كتبوها باللغة اللاتينية بوصفها رمزاً للكنيسة، ومنها حولية "**تاريخ إنكلترا**" (Historia Anglicana) لمؤلفها الراهب توماس والسينغهام(Thomas Walsingham)، وهي أضخم حولية تاريخية لتاريخ إنكلترا آواخر العصر الوسيط، كمنت قيمتها في غزارة تفاصيلها الميدانية عن تمرد وات تايلر (1381) وصراعات عهد ريتشارد الثاني، وتمتعها بقدرة فائقة على جمع معلوماتها من مصادر متنوعة بحكم موقع دير سانت ألبانز الذي أقام فيه المؤلف وتشعب اتصالاته بقوى مختلفة، لكن ما يؤخذ عليها تبنيها نهجاً عدائياً طبقياً وأيديولوجياً ضد حركات التمرد، وانحيازاً تاماً للعرش والنخب الارستقراطية المرتبطة به، فوصفت المطالبين بالعدالة الاجتماعية بالوحوش، مما انعكس سلباً على موضوعيتها في تحليل الدوافع الاجتماعية للتمردات، لكن حوليات رهبانية اخرى تجاوزت ذلك الانحياز الى حدٍ بعيد، ومنها "**حوليات أدم ميرموث**" (Adæ Murimuth Continuatio chronicarum)، التي اكتسبت أهميتها بحكم قرب صاحبها من دوائر صنع القرار الديني في كاتدرائية القديس بولس، وتمثلت قوتها أيضاً في رصد التمردات ليس كأحداث عسكرية فحسب، بل كردود أفعال شعبية على ظلم النخب الحاكمة، كما وثقت بدقة التحولات السياسية والعسكرية للملوك والبارونات قبيل التمردات وأثنائها وبعدها، ومنجز ميرموث الحقيقي تمثل في تزويدنا بتفاصيل دقيقة عن أثر الحروب ضد فرنسا على استقرار الجبهة الداخلية الإنكليزية، ورصده أثر وباء الطاعون في تفكيك الروابط الإقطاعية، مما وفر خلفية سوسيولوجية لفهم بعض بواعث التذمر الشعبي، ووردت في الحولية معلومات بالغة الأهمية عن الوساطات الكنسية لإنهاء المؤامرات والتمردات، مما أطلعنا على دور رجال الدين كوسطاء أو محرضين في الصراعات السلالية، ويحسب لها أيضاً صدقها النسبي في تدوين الأخبار التي كانت تصل إلى لندن، مما جعلها مرصداً للرأي العام في قلب العاصمة، لكن حوليات ميرموث وقعت في فخ الانحياز لصالح

النخب الدينية، وكثيراً ما كانت رؤيتها للتمرد تتقزم فتصبح مجرد دفاع عن امتيازات رجال الدين ضد الضرائب الملكية، ويؤخذ على تلك الحوليات أيضاً ارتباك مسارها الزمني وتداخل بعض احداثها بسبب اعتمادها احياناً على مصادر ثانوية للأحداث التي وقعت خارج لندن، واعتبارها المؤامرات والتمردات مؤشرات على غضب الرب بسبب ابتعاد الناس عن قيم المسيحية، وتجاهلها معاناة الأقاليم البعيدة عن لندن، مما اضعف رؤيتها للمؤامرات والتمردات بغض النظر عن بعدها الجيوسياسي، وبدا انحياز تلك الحولية أيضاً في ضربها صفحاً عن تورط الكنيسة في بعض المؤامرات والتمردات، ودورها في تمويلها، مع تصوير رجال الدين كضحايا دائمين لاستبداد السلطة الزمنية.

وانفردت "**سجلات ماثيو باريس**" (Chronica majora Matthæi Parisiensis)، عن سواها في امتلاكها رؤية أكثر موضوعية لأسباب التمردات ووقائعها بالشكل الذي جعلها درة الحوليات الكنسية الإنكليزية، وقد امتلك ماثيو باريس وهو راهب في دير سانت ألبانز رؤية سياسية نقدية قل نظيرها، وجرأة المنقطعة النظير في نقد الملك هنري الثالث والبابوية على حد سواء، فوثق المؤامرات بوضوح، كاشفاً عن جور البلاط الملكي وفساد بطانته، ويحسب لماثيو باريس تزويدنا بـ الرسائل والوثائق الأصلية التي ضمنها في متن حوليته، مما جعلها أرشيفاً وثائقياً بالغ الأهمية، وربط ماثيو باريس بمنهج تحليلي بين الأزمات الاقتصادية وظهور المعارضة البارونية، مبيناً كيف تحولت المظالم الفردية إلى حركة دستورية منظمة، ويحسب له رسوماته التوضيحية، التي قدمت رؤية بصرية لبعض احداث عصره، لكن ذاتية ماثيو باريس المفرطة انعكست سلباً على عرضه الأحداث وشخوصها، وتوظيفه النبوءات لشرعنة تمردات البارونات، بوصفها أدوات الرب لتطهير المملكة، مما جعلها تُحظر أو تُخفى في حقب معينة خوفاً من رد فعل السلطة، ونقح رهبان سانت ألبانز لاحقاً بعض أجزائها لتخفيف وطأتها على التاج، مما خلق إشكاليات في تحقيق نصها الأصلي.

وماثلتها حوليات "**يوحنا تروكيلو وهنري بلانفورد**" (Johannis de Trokelowe et Henrici de Blaneforde)، الى درجة جعلتها استمراراً مؤسسياً لحوليات دير سانت ألبانز العريقة، فرصدت عهدي إدوارد الثاني والثالث بتركيز خاص على صراع أفراد البرلمان وتجاذباتهم، ووثقت المعارضة الدستورية، وتفاصيل العرائض ومطالب البارونات بالإصلاح وانهاء استبداد مفضلي ادوارد الثاني، ورصدت الحولية بدقة مجاعة 1315–1317 وكيف أدت إلى انهيار هيبة الملك وتجرؤ المتمردين عليه، مما وفر ربطاً رائعاً بين المناخ والسياسة، وحلل تكتيكات المؤامرات، واجتماعات البارونات السرية

واستخدامهم القوة المسلحة للضغط على الملك في البرلمانات الساخطة، وانفردت الحولية بمعلومات لم ترد في سواها عن سقوط آل ديسبينسر، وتفاصيل محاكماتهم الصورية، ويحسب لها محافظتها على الرصانة الأكاديمية في التدوين، مما جعلها مرجعاً اعتمده المؤرخون اللاحقون في إعادة بناء التسلسل الزمني للأزمات الدستورية، لكن ما اضعفها تبعيتها الفكرية لإرث ماثيو باريس، ومحاولة كتابها تقليد أسلوبه في النقد دون امتلاك شجاعته، مما جعل نبرتهم مصطنعة في بعض المواضع، كما أنها انحازت لديرها، فقاست أهمية الأحداث بمدى تأثيرها على الدير وامتيازاته، مما زجها في رؤية ضيقة الآفق لبعض القضايا الوطنية الكبرى، بل أنها غضت النظر عن خيانة بعض البارونات المتمردين الذين كانوا يتبرعون للدير، لضمان استمرار تدفق أموالهم، وسقطت الحولية أيضاً في فخ التكرار الممل لبعض الصيغ البرلمانية والكنسية، واتسمت بكونها تأريخاً من وراء الأسوار، غاب عنه الحس العسكري الميداني.

واضافت حولية "**حياة ادوارد الثاني**" (Vita Edwardi Secundi) بعداً جديداً على منهجية الحوليات الرهبانية في تفسير احداث عصرها، فقد ابدع مؤلفها المجهول، وهو أحد الرهبان في رصد التمردات ضد ادوارد الثاني، وتحري أسبابها ووقائعها ونتائجها، وتجلت قوتها في رصد ظاهرة مفضلي الملك، وكيف أدت العلاقة المشبوهة بين الملك ادوارد الثاني وبيرس غافيستون إلى ظهور المؤامرات البارونية وتآكل هيبة العرش، وتميزت طروحات تلك الحولية بإسلوب التحليل العميق لمفاهيم الدستور والخيانة والسيادة، وبرعت في تصوير العجز الملكي ازاء القوى المناوئة له، موفرةً تفاصيل دقيقة عن تدهور الإدارة وضياع الموارد في نزاعات داخلية لاطائل منها، كما وفرت معلومات لم ترد في سواها عن مواقف البرلمان من تجاوزات الملك وكيف استُخدم كمنصة لنزع الشرعية عن الملك، لكن ما يؤخذ عليها تشاؤمها المفرط من تلك التطورات وادعائها أنها اشارات على أفول الحضارة الإنكليزية، كما أنها غالت في الوعظ الأخلاقي والتفسير الديني للاحداث، فعدت كل مؤامرة وتمرد عقاباً إلهياً على فساد حاشية الملك، دون استجلاء الأسباب الحقيقية لها، وتجاهلت الحولية القوى الاجتماعية والاقتصادية الصاعدة التي شكلت وجه إنكلترا الجديد، ولم تلتفت الى معاناة العامة، ولعل في اخفاء صاحب الحولية هويته الحقيقية، سبباً لطرح تساؤلات حول الجهة التي كتب لحسابها، وهل كانت حوليته جزءاً من سردية متعاطفة مع الملكة إيزابيل أو البارونات المتمردين، لاسيما أن السلطات الكنسية وظفتها لاحقاً لتبرير عزل الملك إدوارد الثاني، بوصفه ضرورة دينية لإصلاح النظام السياسي الإنكليزي.

واشتهرت كاتدرائية القديس بولس (Annales Paulini) أيضاً بـ "**الحوليات البولسية**" التي عرضت الاضطرابات والتمردات التي حدثت في عهدي ادوارد الأول والثاني، وبدت أهميتها في كونها نتاج اداريي الكاتدرائية القاطنين في العاصمة، ورصدت تلك الحوليات أحداث التمردات والمؤامرات من منظور كنسي، مع أنها وثقت بدقة النبض الشعبي لسكان لندن، وسجلت تفاعل العامة والفرسان مع تجاذبات أفراد البلاط، وبينت كيف تحولت كاتدرائية القديس بولس الى مركز استقطاب للمتآمرين والمتمردين على العرش، وزودتنا بتفاصيل دقيقة عن سقوط غافيستون وحركات اللوردات المصلحين، مقدمةً تفاصيل قانونية وإجرائية لم أجدها في سواها، وتميزت الحولية برصد توظيف المراسم الجنائزية والاحتفالية كأدوات سياسية مضادة للعرش، وتوجيه الرأي العام بما توافق مع توجهات الكاتدرائية، ووفرت الحولية أيضاً معلومات بالغة الأهمية عن علاقة سكان لندن بالعرش، والدور التمويلي لسكان لندن في دعم المؤامرات السلالية أو إفشالها، ويحسب لها أنها وثقت القواعد غير المكتوبة التي حكمت علاقة الملك برعيته في العاصمة، لكن ما يعاب عليها تذبذبها السياسي وتوافقها مع توجهات القوى المتنفذة في لندن، وانتهازيتها التي تجلت في تغيير لهجتها بما توافق مع المتغيرات السياسية والعسكرية فإذا انتصر البارونات مالت إليهم، وإذا استعاد الملك سلطته صوّرت المتمردين كخونة، لذا تبنت نهجاً حيادياً في توثيق الاحداث دون تحليل دوافعها، هرباً من مسؤولية اتخاذ موقف سياسي ينعكس سلباً على الكاتدرائية، مما أفقدها مصداقيتها، كما أنها اختزلت جغرافية إنكلترا بأسوار لندن، فأمست رؤيتها لتمردات الأقاليم باهتة ومبنية على السماع دون العيان، وسقطت الحولية أيضاً في فخ ربط التمردات والمعارك بغض الرب، فأصيبت موضوعيتها بمقتل، كما ان تدوينها بيوميات متقطعة مفتقرة للسردية المنسجمة، جعلها تبدو كـ أرشيف أخبار مفتقر لـ فلسفة التاريخ.

وبلغت سجلات الرهبان ذروة رؤيتها للمؤامرات والتمردات في "**حولية هنري نايتون**" الراهب في دير ليستر (Chronicon Henrici Knighton)، الذي قدم رؤية استثنائية لعهدي إدوارد الثالث وريتشارد الثاني، مع تركيز منقطع النظير على تمرد الفلاحين لعام 1381، وتجلت قوته في رصد التحولات الاقتصادية التي أعقبت وباء الطاعون، وكيف أدى نقص العمالة إلى تجرؤ الرعية على أسيادهم، مما وفر خلفية سوسيولوجية فريدة للمؤامرات والتمردات الشعبية، ومنجز نايتون الأبرز كمن في توثيقه صعود الحركة الويكليفية اللولاردية، وربطها بالاضطرابات السياسية، موضحاً كيف أصبح الفكر الديني المنحرف وقوداً للتمردات على العرش، وتميزت حوليته بقدرة فائقة

على وصف تجاذبات البرلمان والملك، لاسيما البرلمانين الرائع والغادر، مقدماً تفاصيل عن محاكمات الخيانة بأسلوب رصين، كما أطلعنا على الأبعاد الدولية للنزاعات السلالية الإنكليزية. ويحسب له دقته في نقل الأرقام والأسعار والوقائع المادية التي مهدت لحدوث التمردات، لكن ما أضعفه عداءه الطبقي الصارخ للعامة، فقد ازدرى الفقراء والمتمردين واستخف بمبررات تمرداتهم، وصورهم كـ وحوش بلا عقل أو قضية عادلة، ويؤخذ عليه أيضاً النقل الحرفي من مصادر سابقة تعود لعهدي إدوارد الأول والثاني، مما جعل أصالته العلمية تتركز فقط في الحقبة التي عاصرها، والأخطر من ذلك أنه استخدام لغة تحذير ديني لتبرير قمع السلطة للمعارضين، مصوراً كل من طالب بحق اقتصادي بخارج عن القانون، كما مجد آل لانكستر لأن ديره كان تحت حمايتهم، واتسمت حوليته أيضاً بنظرة محافظة رفضت تغيير هيكلية النظام الإقطاعي، مما جعله ناقداً للمؤامرات والتمردات، ومصوراً لها كخيانة عظمى سياسياً، لتبرير تصفية المعارضين فكرياً وجسدياً.

أما "**حوليات لانركوست 1272 – 1346**" (The Chronicle of Lanercost 1272 –1346) التي دونها رهبان دير لانركوست الواقع على الحدود الإنكليزية – الإسكتلندية، فكانت مرآة عاكسة للحراك العسكري في الشمال، والمصدر الأهم لرصد تداخل التمردات مع الغزو الخارجي، وتجلت قوتها في توثيق تمرد روبرت بروس وأثره على بارونات شمال إنكلترا، وكيف أنهار الولاء للعرش تحت ضغط الغارات الإسكتلندية المتكررة، ويحسب لها أنها زودتنا بتفاصيل دقيقة عن شخصية وليام والاس ومنظور الإنكليز لتمرده، مما كشف عن سيكولوجية الخوف من الآخر لدى الرهبان، ورصدت الحولية أيضاً الفساد العسكري للقادة الإنكليز وأثر خياناتهم في ضياع مدن بأكملها، ووفرت معلومات مهمة عن الأثر الاقتصادي لما جرى، وملابسات تحول الفلاحين إلى متمردين أو قطاع طرق نتيجة اليأس، ووصفت الفظائع الحربية للمتمردين، لكن ما يؤخذ على تلك الحولية تطرفها القومي، وازدرائها لكل ما هو إسكتلندي، مما جعل وصفها للمتمردين الشماليين مشوباً بمعلومات مبالغ بها لاظهار مدى دمويتهم، كما أن في بعض ثناياها تشتتاً سردياً، فكانت تنتقل فجأة من أخبار الحروب الكبرى إلى تفاصيل صغيرة عن معجزات محلية أو قصص وعظية، مما يقطع مسار التحليل السياسي، ويحسب عليها أيضاً استخدامها لغة لعنة الرب لتفسير الهزائم العسكرية الإنكليزية، بدلاً من الاعتراف بالفشل التكتيكي للملك إدوارد الثاني، وبسبب موقع الدير الحدودي، تأثرت الحولية بالشائعات الحربية دون تمحيص، بسبب تتابع أخبار متناقضة ومبالغ فيها.

وزودتني حوليات "**تاريخ روتشستر**" (Historia Roffensis) لوليام دي دين (Willelmi de Dene)، (كبير كتبة أسقف روتشستر)، بتفاصيل سوسيولوجية – سياسية لم اجدها في سواها، فرصدت الاضطرابات الاجتماعية التي سبقت تمرد الفلاحين عام 1381، وكيف أدت الضغوط المالية على الكنيسة إلى تصادمها مع الرعية والتاج في آنٍ واحد، وتدابير الاساقفة في مواجهة المؤامرات البارونية، ومناوراتهم للحفاظ على حيادهم، ووثقت الحولية أيضاً أثر تشريعات العمال (Statutes of Labourers) على استقرار مقاطعات إنكلترا، مما وفر مادة نقدية لفهم بواعث النقمة الشعبية قبيل اقرار تلك التشريعات، ووفرت الحولية تفاصيل بالغة الأهمية عن أثر الحرب مع فرنسا على مواطني إنكلترا، وتحول سواحل إنكلترا الجنوبية الى بؤرة قلق أمني مستمر، ويحسب للحولية لغتها الرصينة التي ابتعدت عن المبالغات الرهبانية المعتادة، وتبنيها لغة موضوعية محكمة، لكن الخطأ الذي وقع فيه كاتب الحولية اعتباره كل حراك شعبي نهاية للنظام والمدنية، مما منعه من فهم الدوافع الحقيقية لبعض التمردات، كما انحاز أيضاً للمصالح الضيقة لاسقفية روتشستر، بما يمكنني من القول أن الحقيقة التاريخية لديه انتهت حيث بدأت مصلحة أسقفية روتشستر، مما حول الحولية الى محضر للدفاع عن حقوق الكنيسة لا تأريخاً للمملكة، وفي الصدد ذاته استخدم المؤلف لغة تعالي ثقافي في وصف المتمردين، فصورهم كغوغاء جهلة لا يدركون تعقيدات السياسة العليا، وسقطت الحولية أيضاً في فخ الإقليمية المفرطة، فركزت على ما دار في روتشستر فقط، وغابت عنها تفاصيل مؤامرات الشمال أو الغرب، إلا ما وصل منها كأصداء باهتة، وأخيراً فإنها اتسمت بلغة جافة افتقرت للحس الانساني، ورأت في البسطاء مجرد أرقام في سجلات الضرائب، ولذا حرصت السلطة الكنسية في روتشستر على حجب تلك الحولية مدة طويلة، تجنباً لإثارة البسطاء ضدها.

وأكتملت رؤية الحوليات الإنكليزية للمؤامرات والتمردات بـ "**حولية رانولف هجدن**" (Polychronicon Ranulphi Higden)، التي قدمت إطاراً متكاملاً لأثر الجغرافيا على تاريخ إنكلترا الوسيط، مبينةً كيف أثرت طبيعة الأرض والمناخ على شخصية المتمرد الإنكليزي، ورتب رانولف هجدن الأحداث بأسلوب موسوعي سمح للباحثين اللاحقين بفهم تسلسل المؤامرات ضمن سياق تاريخي طويل، كما رصد التحولات اللغوية والثقافية وأثرها على الهوية الوطنية، مما وفر عمقاً نقدياً لفهم بواعث التمرد القومي ضد النفوذ الأجنبي في البلاط الإنكليزي، وأصبحت حوليته المصدر الأم الذي استقى منه معظم مؤرخي القرن الخامس عشر مادتهم الأساسية، لكن رانولف

هجدن استطرد في احداث موسوعية كثيرة قبل ايراد المعلومات التاريخية المطلوبة، ونقل اساطير وكأنها حقائق يقينية، فاختلط التاريخ الحقيقي والتخرصات، وأخيراً فإنه تبنى نهجاً محايداً في عرض التمردات خوفاً من الرقابة الكنسية والملكية والبارونية في آنٍ واحد، مما جعل نصه مفتقراً للجرأة التي وجدناها عند ماثيو باريس.

وتبنت بعض الحوليات منطقاً قومياً في تنميط التمردات، ومنها "**حوليات ألستر**" (Annàla Uladh)، التي تبنت الرفض الأيرلندي للهيمنة الإنكليزية، وعدت التمردات الأيرلندية ضد العرش الإنكليزي حرب تحرير قومية، وتجلت قوتها في تقديمها رؤية واضحة للمؤامرات التي حيكت في البلاط الإنكليزي ضد ايرلندا، وكيق واجهها الايرلنديون، ووثقت صمود النظام القبلي الايرلندي ازاء القوانين الإقطاعية الإنكليزية المستوردة، مما وفر مادة إثنوغرافية فريدة لفهم هوية المتمرد الأيرلندي، لكنها احتوت تداخلاً بين الأساطير والتاريخ، فقد صورت المتمردين الايرلنديين كخلفاء لملوك ايرلندا القدامى، مما منح التمردات الايرلندية عمقاً روحياً وتاريخياً، ووفرت أيضاً تفاصيل عن تواطؤ الزعماء المحليين الايرلنديين مع آل بروس الاسكتلنديين ضد السلطات الإنكليزية في ايرلندا، ويحسب لها أمانتها في تدوين الوفيات والحرائق والمجاعات التي رافقت التمردات بدقة مذهلة، مما جعلها سجلاً نادراً لتلك الفترة المظلمة من تاريخ ايرلندا، أما نقاط ضعفها فتمثلت بانحيازها فئوياً الى الزعماء المحليين الايرلنديين وتوظيفها جميع الاحداث لصالحهم واخفائها هزائمهم امام الإنكليز، مما جعلها أرشيفاً للمفاخر لا سجلاً للحقائق المجردة، كما أنها حاولت اظهار التمردات الايرلندية كحرب مقدسة بين الايرلنديين المؤمنين والإنكليز الكفرة الخارجين عن ثوابت الكنيسة، وأغرقت في تفاصيل ثانوية غير مهمة على حساب النظرة الشمولية للمؤامرات الكبرى التي هزت دبلن ولندن، واتسمت بكونها مقطوعة الصلة أحياناً عن السياق الأوروبي، وكأن أيرلندا جزيرة معزولة لا تتأثر بالتحولات السياسية والعسكرية في إنكلترا وأوربا، وأخيراً فإنها ضربت صفحاً عن تعاون الكثير من رهبان ايرلندا واساقفتها مع الإنكليز حفاظاً على صورة وهمية للمقاومة الكنسية الايرلندية الموحدة.

وغايرن "**حولية ايرلندا**" (Annales Hiberniae) ليعقوب جريس (Jacobi Grace) الرؤية الايرلندية السابقة للمؤامرات والتمردات الايرلندية ضد مؤسسة العرش الإنكليزي، لأنها مثلت الرؤية الإنكلو – أيرلندية للتمردات، وكُتِبَت من منظور المستوطنين الإنكليز في كيلكيني، مما وفر توازناً نقدياً مع حوليات أولستر آنفة الذكر، وتجلت قوتها في توثيق صراع الإدارة الإنكليزية في أيرلندا مع القبائل الايرلندية، وكيف

كانت المؤامرات بين اللوردات الإنكليز أنفسهم (مثل آل باتلر وآل جيرالدين) أخطر على التاج من تمردات السكان الأصليين، وزودتنا بمخطط تحالفات هجينة بين بعض المتمردين الإنكليز والاعداء الايرلنديين لضرب سلطة الملك في دبلن، كما رصدت المعارك المحلية وحروب العصابات التي تخللت التمردات، مما أطلعنا على الجانب اللوجستي لإدارة التمردات، ووفرت الحولية أيضاً تفاصيل عن أثر بعض القوانين العنصرية مثل قوانين كيلكيني في تأجيج العصيان ضد السلطات الإنكليزية، لكن كاتبها يعقوب جريس اخفق في ضبط التواريخ والأسماء في أجزاء كثيرة من حوليته، مما تطلب مجهوداً مضاعفاً لمطابقة أحداثها مع السجلات الرسمية، وبدا في ثنايا الحولية ولاءاً مزدوجاً بسبب محاولة كاتب الحولية إرضاء العرش الإنكليزي ولوردات كيلكيني المحليين في آن واحد، مما جعل روايته للمؤامرات مفتقرة للوضوح السياسي، بعكس رؤيته لحراك الايرلنديين الذي وصفه دوماً بالفتنة، مبرراً مصادرة ممتلكاتهم بوصفهم متمردين على السلطات الإنكليزية، وافتقر الحولية ايضاً إلى عرض أسباب المؤامرات والتمردات ونتائجها بسبب اغراقها في وقائعها العسكرية حصراً.

وكان للسجلات الوثائقية الفرنسية حصتها في توثيق التمردات وتحري حيثياتها، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن تلك السجلات مثلت ميزاناً نقدياً ضرورياً لموازنة الطروحات الإنكليزية بنظيرتها الفرنسية، إذ نظرت إلى التمردات الداخلية كفرص لتقويض خصمها التاريخي، واتسمت نصوصها برصد معاناة الشعب الإنكليزي جراء الفعاليات القتالية، مما ساعدني في تشخيص الأزمة العامة التي ضربت إنكلترا، ومن تلك السجلات "**سجل جان لو بيل**"(Chronique de Jean le Bel)، الذي كان النص الأم للسجلات الفرنسية التي تطرقت لمؤامرات إنكلترا وتمرداتها، فاستقى منه مؤرخون كُثر مادتهم، بضمنهم فروازار، وكمنت قيمتها في وصفها الدقيق لمسار المؤامرات التي أدت لسقوط إدوارد الثاني بلسان شاهد عيان شارك في الحملات العسكرية المضادة له، بيد أنها اشتطت في انحيازها المطلق لآل هينو ومصالحهم في إنكلترا، مما جعلها تصور الانقلاب على عرش ادوارد الثاني كضرورة أخلاقية لتبرير التدخل الأجنبي، وشابها أيضاً ارتباك في التحليل القانوني والإداري للتمردات، فركزت على فعلها الميداني دون البحث عن شرعية التمردات ومدى دستوريتها، وانحاز مؤلفها للمتمردين حين برر خشونتهم وتجاوزاتهم بحاجتهم للأموال لإكمال خلعهم الملك ادوارد الثاني، فتحول سجله الى تقرير عمليات عسكرية مفتقر للرؤية الشمولية التي تربط الاضطرابات السياسية بالتحولات الهيكلية في الإدارة الملكية والقانون العرفي.

ومع أن "**سجل جان فروازار**" (Chroniques de Jean Froissart) حاكى السجل السابق، لكنه تفوق عليه في بعض الجزئيات، بما جعله بانوراما كتابات الفروسية الكبرى التي رصدت تمردات القرن الرابع عشر بأسلوب شمولي، وتجلت ميزته في تقديم تفاصيل دقيقة عن سيكولوجية النبلاء المتمردين وتوثيق تمرد فلاحي إنگلترا من منظور قاري واسع الآفق، إلا أن بعض منطلقاته تغايرت، فكان المؤلف يغير روايته للأحداث وفقاً لهوية الممول (من الفلمنكيين إلى الإنگليز ثم الفرنسيين)، كما سقطت في فخ الزخرف الأدبي الذي طغى على دقته، فضلاً عن عدائه للطبقات الدنيا وتصويره تمرداتها كفعل شرير مفتقر للشرعية، وزج السجل تفاصيل لم تحدث واقعاً، مما جعله مزيجاً مربكاً بين التوثيق التاريخي والرواية الملحمية التي مجدت النخب الأرستقراطية على حساب الحقيقة المجردة.

وانفرد "**سجل سكالاكرونيكا**" (The Scalachronica) للسير توماس غراي (Sir Thomas Gray)، بكونه تأريخاً كتبه فارس محارب أثناء أسره، مما منحه ميزة استثنائية في فهم ديناميكيات التمرد في الأقاليم الشمالية والحدود الإسكتلندية وتوثيق خيانات البارونات بلسان خبير في استراتيجيات القلاع والولاءات القبلية، لكنه اكتظ بمواضع ارتباك لاعتماده على الذاكرة والمصادر الأسطورية أثناء أسره، كما أنه ركز على الجانب العسكري للتمردات مُقصياً دور القوى المدنية والكنسية في صناعتها، وتحايل غراي في استخدام الرموز والمجازات لتمرير انتقادات مبطنة للملك إدوارد الثالث دون التصريح بها خوفاً على مكانته بعد الإفراج عنه، مما جعل سجله ذا نبرة حذرة ضحت أحياناً بالصراحة التاريخية مقابل السلامة السياسية، فظلت رؤيته رؤية فارس رأى في التاريخ صراع إرادات فردية لا مؤسسية.

ويمكن القول أن ابرز السجلات الوثائقية الفرنسية التي تطرقت الى محور دراستي، هو "**سجل إنغيراند دي مونسيتريليه**" (The Chronicles of Enguerrand de Monstrelet) لكاتبه إنغيراند دي مونسيتريليه (Enguerrand de Monstrelet)، الذي شكل أرشيفاً متكاملاً لتمردات القرن الخامس عشر، وتميز بتوثيق النصوص الكاملة للمعاهدات والمراسلات السرية بين المتمردين البورغونديين والتاج الإنگليزي، مما كشف عن دبلوماسية الخيانة بأدلة قطعية، إلا أن ما أضعفه جمود أساليب جامعه وانحيازه المطلق لدوقات بورغندي والإنگليز المتعاونين معهم سواء كانوا مع العرش الإنگليزي أم ضده، وتكراره غير المثمر لتفاصيل المراسم التي أخفت خلفها غياب التحليل النفسي

للشخصيات، وتحايله في صياغة شرعية زائفة للتحالف مع الإنكليز ضد الملك الشرعي، مما أفقده شطراً من حياده.

تطرقت بعض الدراسات الأكاديمية الحديثة لبعض المؤامرات والتمردات على العرش الإنكليزي، ومنها الاطروحة ذات العنوان: "**السيرة المهنية لروجر مورتيمر، إيرل مارش الأول 1287–1330**": (The Career of Roger Mortimer, first earl of March 1287– 1330)، للباحث بول ريتشارد دروبورغ (Paul Richard Dryburgh) التي درست أول انقلاب دستوري ناجح في تاريخ إنكلترا الوسيط، وقد نجح الباحث في تتبع نقاط قوة روجر مورتيمر، مبيناً كيف استغل مسؤولياته العسكرية في الثغور الويلزية لبناء جيش خاص بموازاة كسب بعض موظفي مؤسسة العرش ومستشاريه، وقدمت الأطروحة رؤية تحليلية معمقة لعملية نقل الولاءات داخل البلاط وكيف استقطب روجر الوزراء لتنفيذ تمرده، لكن الباحث ركز على أن التمرد كان فعلاً فردياً لا نتاج خلل مؤسسي، وهو أمر غير صحيح، كما برر أحياناً اجراءات مورتيمر السياسية كضرورة دفاعية، مما انعكس سلباً على حيادية طروحاته، ولم يفرد الباحث حيزاً كافياً لدور القوى الشعبية في دعم تمرد روجر مورتيمر أو معارضته، مركزاً فقط على صراع النخب، أما الباحث مارتن جون لورانس (Martyn John Lawrence) فتضمنت اطروحته الموسومة: "**طموح السلطة وإعادة التأهيل السياسي: آل ديسبنسر 1281–1400**"، (Power Ambition and Political Rehabilitation: The Despensers 1281–1400)، عرضاً دقيقاً لظاهرة استحواذ مستشاري عائلة ديسبنسر على ادوارد الثاني، ومن خلاله على بلاط إنكلترا ونخبها، وأثر ذلك في تمرد تلك النخب على مؤسسة العرش مراراً، ووظف الباحث سجلات العقارات والمصادرات لإثبات أن الفساد الإداري كان المحرك الحقيقي وراء تمرد عام 1321، وأثبت أن إعادة التأهيل السياسي كان سلاحاً للمناورة بيد الملك، لكن استرسل في التفاصيل المالية المعقدة بصورة اضعفت تغطيته للتطورات السياسية والعسكرية، كما أنه ركز على عائلة ديسبنسر ككتلة واحدة، متجاهلاً التباينات في المواقف السياسية بين هيو الأب وابنه، والمأخذ الأكبر على الاطروحة هو عدم توسع الباحث في تحليل ردود أفعال الوزراء المهنيين في البلاط ازاء تسلط تلك العائلة، واكتفائه برصد مواقف كبار النبلاء ازائها.

وقدمت الباحثة شارون ارينى والكر (Sharon Irene Walker) في اطروحتها ذات العنوان: "**الطغيان، والشكوى، ورد المظالم: الأدلة المستقاة من العرائض عام 1320م**"، (Tyranny, Complaint and Redress: The Evidence of the

(Petitions C. 1320، طرحاً رصيناً ربط بين الاستبداد الإداري لمؤسسة العرش والتمرد المسلح ضده، واستقرأت الباحثة ما ورد في العرائض لتحديد أسباب سخط المجتمع التي مهدت للمؤامرات، وهكذا أثبتت أن التمرد لم يبدأ بالسيف، بل بالعرائض التي رفضتها السلطات الملكية، وكشفت الباحثة بوضوح كيف تآكلت شرعية التاج من الداخل بسبب غياب العدالة الإدارية، مما حول العمل السياسي إلى تمرد أشر مقدمات سقوط حكومة ادوارد الثاني، لكن تركيز الباحثة المطلق على العرائض اعطى صورة مجتزئة، فالكثير من المتآمرين لم يكتفوا بالشكاوى القانونية بل كانت لديهم أجندات سرية لم تظهر في السجلات الرسمية، كما أن الباحثة افترضت صدق نية مقدمي العرائض في أغلب الأحيان، بينما كانت بعضها تُستخدم كأداة لشرعنة التمرد، وافتقرت الاطروحة أيضاً إلى الربط الجغرافي الواضح، فلم توضح لماذا كانت بعض المناطق أكثر تمرداً من غيرها رغم تشابه المظالم، وأخيراً فإن لغة الأطروحة جافة جداً وتميل للتحليل القانوني البحت، مما أغفل الجوانب الإنسانية المصاحبة لحالات الطغيان المذكورة.

وقدمت الباحثة سارة كوني (Sarah J. Coony) في رسالتها المعنونة : "**الاضطراب الاجتماعي والتغيير الاجتماعي في إنگلترا 1381–1750**"، (Social Upheaval and Social Change in England 1381 – 1750)، منظوراً تحليلياً ربطت فيه بمهارة بين المؤامرات السياسية والتحولات الاجتماعية الكبرى، فبرعت في تصوير تمرد الفلاحين 1381 كتمرد شامل ضد النظام القانوني والإداري، وأوضحت كيف أثر الضغط الشعبي في تغيير بنية حكومة البلاط وتوجهاته الضريبية، مما وفر رؤية معمقة لكيفية تعامل النخب المتآمرة مع الحراك الشعبي غير المسيطر عليه، إلا أن المأخذ العلمي الأبرز على ذلك الطرح تمثل في اتساعه الزمني المفرط لأربعة قرون، الذي جعل بعض معالجاتها سطحية في بعض فصولها، فضلاً عن انحياز الباحثة للمدرسة الماركسية وافتقار رسالتها للوثائق اللاتينية الأصلية، وإذا كان ذلك الاضطراب الاجتماعي شكلَ الواجهة المادية للتمرد، فإن كيفية قراءته وتحريفه ظلت رهين الصراع على الرواية الرسمية، وهنا برزت أهمية دراسة الباحثة زوزانا سيرفينكوفا (Zuzana Cervenková) في رسالتها الموسومة: "**الحيوات الثلاث لريتشارد الثالث: دراسة مقارنة**"،(The Three Lives of Richard III: A Comparison)، التي قدمت من خلالها طرحاً مثل قمة النضج المنهجي في الانتقاد، فاستقصت كيفية التلاعب بسيرة ريتشارد الثالث من خصومه المتآمرين من آل تيودور، ووظفت الاكتشافات الأثرية الحديثة لإعادة قراءة المؤامرة المزعومة، كاشفةً زيف الروايات التي صُنعت لتشويه

المهزوم وشرعنة المنتصر، لكن تلك الدراسة بسبب اغراقها في تحليل ما قيل عن الحدث ابتعدت أحياناً عن الوقائع المادية الصرفة للتحليل التاريخي.

وصلت المراجع الإنكليزية الحديثة في دراسة تاريخ إنكلترا الوسيط الى قمة نضجها الهيستوغرافي، فزاوجت بين التحليل الأرشيفي الدقيق والمناهج النقدية الحديثة لتفكيك الروايات التقليدية حول العرش والمؤامرات والتمردات المضادة له، وبرعت في إعادة قراءة التمردات ليس كأحداث عابرة، بل كتحولات بنيوية عميقة شكلت هوية الدولة والمجتمع الإنكليزي أواخر العصر الوسيط، فقدمت الباحثة سوفي أمبلر (Sophie T. Ambler) في دراستها "**أغنية سيمون دي مونتفورت: الثوري الأول في إنكلترا**" (The Song of Simon de Montfort: England's First Revolutionary)، منظوراً ثورياً رصيناً أعاد قراءة تمرد البارونات في القرن الثالث عشر، فبرعت في تصوير دي مونتفورت ليس كمتمرّد إقطاعي عابر، بل كقائد لأول حركة أيديولوجية دستورية طالبت بفرض مجالس وزارية لتقييد إرادة الملك، مما وفر جذوراً أصيلة لفكرة المحاسبة السياسية للنخب، إلا أن ذلك الطرح المتماسك وقع في فخ التمجيد السيري الذي أضفى نوعاً من المثالية المفرطة على شخصية دي مونتفورت، مما أضعف قدرة الباحثة على رصد الدوافع النفعية والانتهازية التي حركت البارونات المتآمرين، فضلاً عن جنوحها نحو الرمزية الفروسية التي غيبت أحياناً الواقعية السياسية الفجة للصراع.

وطرح الباحث كليفورد روجرز (Clifford J. Rogers) في مؤلفه: "**حرب قاسية وحادة: الاستراتيجية الإنكليزية في عهد إدوارد الثالث**" (War Cruel and Sharp: English Strategy under Edward III)، رؤية سياسية – عسكرية ثاقبة ربطت ببراعة بين النجاح الميداني الخارجي واستقرار الجبهة الداخلية، موضحاً كيف نجح إدوارد الثالث في تصدير الأزمات الداخلية عبر توجيه طاقات النبلاء المتمردة نحو الحرب في فرنسا، مما حول المؤامرات المحتملة إلى إجماع وطني صلب داعم للعرش، بيد أن ذلك التحليل عانى من انحياز صارم للبعد العسكري كحتمية وحيدة للتغيير، مما جعل معالجة الاضطرابات الوزارية والمدنية تبدو ثانوية وهامشية، علاوة على مبالغة الكاتب في تضخيم عبقرية الملك ادوارد الثالث وتجاهله الأثر الحاسم للعوامل الاقتصادية والصدف التاريخية في إخفاء التصدعات السياسية العميقة.

واستقصت الباحثة جوليت باركر (Juliet Barker) في دراستها "**الشعب والملك والتمرد العظيم عام 1381**" (The People, The King and The Great Revolt of 1381)، تفاعلات الانفجار الشعبي في عهد ريتشارد الثاني، وقدمت طرحاً ناضجاً صَوَرَ

التمرد كفعل سياسي واعٍ استهدف الطاقم الإداري والقانوني الفاسد، وكشف عن تآكل هيبة الوزارة أمام ضغط العامة، لكن ما يُؤخذ على ذلك العمل استناده المفرط إلى السرد القصصي المشوق الذي طغى في محاوره على حساب صرامة التحليل الإحصائي لأصول المتمردين الاجتماعية، وانزلاق الكاتبة نحو تبرير مواقف السلطة الملكية تحت ذريعة الحفاظ على النظام، مما أضعف حدة نقدها للموقف الغادر واللاأخلاقي الذي انتهجه البلاط في تصفية قادة التمرد بعد استدراجهم.

وحلل الكاتب مايكل بينيت (Michael Bennett) في كتابه "**ريتشارد الثاني وثورة 1399**" (Richard II and the Revolution of 1399)، آليات الخلع السياسي ومراحله وصوره كذروة للتآمر النخبوي المنظم، وأجاد في كشف كيف تم إخراج الانقلاب بغطاء الشرعية البرلمانية لاستبدال سلالة حاكمة بأخرى تحت ذريعة إصلاح مؤسسة العرش وانهاء الاستبداد الملكي، بيد أن تلك الدراسة شابتها فجوة زمنية بتركيزها على سنة الانقلاب وحدها، مما جعل معالجتها للجذور العميقة والمتراكمة للصراع بين الملك والنبلاء تبدو مجتزأة وسطحية، فضلاً عن إخفاق الكاتبة في ربط ذلك الانقلاب بالتحولات الكبرى في المجتمع الإنكليزي، مكتفيةً بالتحليل السياسي الضيق للأحداث المتسارعة.

وقدم الكاتب بيتر ماكنيفن (Peter McNiven) في دراسته "**الهرطقة والسياسة في عهد هنري الرابع**" (Heresy and Politics in the Reign of Henry IV)، منظوراً تحليلياً فذاً ربط بين أزمة الشرعية وتوالي المؤامرات ضد بيت لانكستر، فكشف ببراعة عن تداخل الطموحات السياسية للبيوتات الكبرى مع الحركات الدينية الراديكالية، إلا أن إغراقه المفرط في التفاصيل اللاهوتية المرتبطة بالهرطقة اللولاردية أزاح ثقل التحليل عن الوقائع المادية لصراع القوى داخل المجلس الملكي، كما أن انحيازه المكشوف للرواية الرسمية لأسرة اللانكستر جعله يقلل من شأن الدوافع الوطنية والسياسية الأصيلة للمتمردين، مصوراً إياهم كمارقين عن الدين والدولة.

وبرعت الباحثة لورين جونسون (Lauren Johnson) في مؤلفها "**الملك الظل: حياة وموت هنري السادس**" (Shadow King: The Life and Death of Henry VI)، في تصوير ذلك العهد كنموذج لـ الفراغ السيادي الذي ملأته مؤامرات الوزراء والمقربين، وقدمت تحليلاً سيكولوجياً معمقاً لكيفية انهيار المنظومة الإدارية ونشوب حروب الوردتين، بيد أن تركيزها على سير بعض الشخصيات اضعفت طرحها، لاسيما انها اظهرت تعاطفاً مع شخصية الملك، مما جعل استنتاجاتها حول الدوافع السياسية

للخصوم حدسية ومفتقرة لأدلة قاطعة، فضلاً عن تجاهلها للوثائق المالية والمحاسبية التي كانت محرك المؤامرات المتلاحقة ووقودها الفعلي.

ومثل طرح الباحث مايكل هيكس (Michael Hicks) في كتابه: "**حروب الوردتين**" (The Wars of the Roses)، قمة النضج المنهجي في تحليل ظاهرة الإقطاع، فاستقصى بدقة شبكات المنفعة التي حركت المؤامرات بين عائلتي يورك ولانكستر، وأوضح كيف أصبح التمرد أداة روتينية لإعادة تشكيل الحكومات، لكن ما يُعاب عليه جفاف أسلوبه وإغراقه في تفاصيل الأنساب المعقدة التي شتتت صلب الرؤية السياسية الكبرى، فضلاً عن تقليله المتعمد من أثر الضغوط الشعبية في ترجيح كفة المتآمرين، لصالح التركيز النخبوي الحصري الذي جعل التاريخ وكأنه صراع داخل غرف مغلقة.

ونجح الكاتب مايكل هيكس (Michael Hicks) في كتابه "**ريتشارد الثالث: الملك العصامي**" (Richard III: The Self-Made King)، في تفكيك جدلية استبداد ريتشارد الثالث وجرائمه التي روج لها المتآمرون من آل تيودور، ووظف الأدلة الأرشيفية لإثبات أن سقوط الملك كان نتيجة خيانة وزارية داخلية لا رفضاً شعبياً، إلا أن ذلك الطرح شابه انحياز مضاد، فقد بالغ الباحث في الدفاع عن عقلانية ريتشارد الثالث لدرجة إغفال أخطائه الكارثية التي تسببت في نفور حلفائه، مما أفقد دراسته جزءاً من موضوعيتها.

ورفدت الدراسات الأكاديمية العربية الحديثة دراستي بمعلومات فائقة الأهمية ، وكان لها أثر في استجلاء كثير من خفايا المؤامرات والتمردات وسد ثغرات الأطروحة، ومنها أطروحات أساتذة متخصصين برعوا في استنطاق الوثائق المعاصرة لضبط إيقاع الصراع الدبلوماسي، ومنهم أ.د. حسنين عبد الكاظم عجه الذي استقصى في اطروحته الموسومة: "**الصراع الإنكليزي – الفرنسي والمواقف الأوربية منه 1337 – 1377**"، أثر الصراع القاري في تأجيج التوترات الداخلية، فبرع في ربط الإخفاقات العسكرية في فرنسا بظهور حركات الاحتجاج السياسي داخل إنكلترا، وأوضح كيف وفرت الحرب غطاءً للمتآمرين للطعن في كفاءة الإدارة الملكية، وقدم رؤية موازية نقدت المصادر الإنكليزية بمشرط النقد الخارجي، من خلال ربط التمردات الداخلية بالضغوط الدولية (الفرنسية والبابوية). فانحاز للحقيقة الموضوعية عبر كشف زيف ادعاءات الحوليات الرهبانية، واعطى التمردات الإنكليزية بعداً جيوسياسياً فسر الأثر الخارجي في نجاح بعض التمردات وفشل الأخرى، بيد أن دراسته اتسمت بمأخذ علمي تمثل في تغليب البعد

الدبلوماسي الخارجي على حساب التحليل الدقيق لديناميكيات الصراع الطبقي داخل البلاط، مما جعل معالجته للتمردات تبدو كنتيجة حتمية للسياسة الخارجية دون غوصٍ كافٍ في جذورها الاجتماعية المحلية.

وتضافرت معطيات أطروحة الباحثة زهراء رياض ناصر الموسومة: "**الصراع الإنگليزي – الاسكتلندي 1272 – 1348**" مع بعض ما ورد من نتائج في رسالة علي كريم عباس، المعنونة: "**روجر مورتيمر ونشاطه السياسي والعسكري**"، فأثبتت زهراء رياض أن الفشل الميداني الإنگليزي في اسكتلندا، وتحديداً بعد هزيمة بانوكبيرن، لم يضعف الملك إدوارد الثاني عسكرياً فحسب، بل نزع شرعيته السياسية أمام باروناته، وتقاطع ذلك مع ما اورده علي كريم عباس في سيرة روجر مورتيمر، الذي استغل ذلك الانهيار العسكري ليحول التمرد الباروني إلى مؤامرة كبرى قادت إلى خلع الملك، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن مورتيمر في ذروة تسلطه، عقد معاهدة نورثهامبتون عام 1328، التي اعترف فيها باستقلال اسكتلندا، وهي المعاهدة التي وصفتها زهراء رياض بأنها صلح مخزٍ، بينما عدها علي كريم عباس مناورة سياسية أراد مورتيمر من خلالها التفرغ لتثبيت أركان حكمه غير الشرعي.

إن هذا التراكم المعرفي، الذي واشج بين السجلات الوثائقية والحوليات اللاتينية والإنگليزية والفرنسية، والدراسات الأكاديمية الأجنبية ونظيرتها العربية، منحني القدرة على إخضاع المادة التاريخية لمشرط التحليل والمقارنة، فوجدت في تفاصيل أغلب تلك المصادر تبايناً دل على حيوية المؤرخين وعدم محاكاتهم بعضهم البعض، مما دفعني لاستنباط النتائج عبر معيار موضوعية نسبية، متجنباً الوقوع تحت تأثير وجهة نظر طرف دون آخر، ومع إن هذا التنوع في المصادر اقحمني في خضم دراسات ذات معالجات وتوجهات متباينة، لكنه وسع افق مداركي البحثية، ومكنني من إحكام السيطرة على الموضوع من جوانبه كافة، لتقديم قراءة متوازنة جمعت بين التحليل السياسي والعسكري والرصد الاجتماعي لمؤامرات وتمردات أنتهت الى تغيير سلالة إنگلترا المالكة اواخر العصر الوسيط.

وختاماً لا يسعني إلا القول أنني بذلت أقصى ما استطيع لإنجاز هذه الدرسة بالصورة التي هي عليها، فان أصبت فذلك فضل من الله تعالى أولا وأستاذي المشرف ثانياً، وأن أخطأت فكلي ثقة أن اساتذتي الافاضل في لجنة المناقشة سيصوبون دراستي لتكون بمستوى أفضل مما هي عليه، وما توفيقي إلا بالله والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

آليات إدوارد الأول في إخضاع الأطراف: دراسة في تمردات ويلز واستراتيجيات الردع الملكي إزائها 1272 – 1307

المبحث الأول

مؤشرات تمرد أمير ويلز ليولين أب غروفود على مؤسسة العرش الإنكليزي، ونتائجها 1274 – 21 شباط 1277

واصلت إنكلترا في عهد الملك هنري الثالث (Henry III) (1216 – 1272)[1] محاولاتها فرض سيطرتها التامة على ويلز، التي ظلت عقبة كأداء أمام التاج الإنكليزي، ومصدر قلق دائم له، لأسباب ليس أخرها تركيبة ويلز الاجتماعية المتشابكة وتعدد عشائرها وتباينها عرقياً ولغوياً عن الإنكليز، وعدم رضوخ أمرائها للسلطة المركزية[2]، ووجد أمير ويلز ليولين آب غروفود (Llywelyn ap Gruffudd)[3] في صراع البارونات

---

(1) (1207 – 1272): وُلد في قلعة ونشستر في 1 تشرين الأول، وهو الابن البكر للملك جون والملكة إيزابيلا أنغوليم، تسنم العرش في 28 تشرين الأول 1216 بعد وفاة والده وهو في التاسعة من عمره، فتولّى الوصاية عليه وليام مارشال، له إخوة وأخوات أدوا أدوارًا سياسية مهمة، أبرزهم ريتشارد من كورنوال، وجوان ملكة إسكتلندا، وإيزابيلا زوجة الإمبراطور فريدريك الثاني، وإليانور زوجة سيمون دي مونتفورت، في عام 1236 تزوج من إليانور من بروفانس، وأنجب منها إدوارد، وإدموند كروتشباك، وبياتريس، ومارگريت، وكاثرين، بسبب اخطائه المالية والسياسية واجه مقاومة من بارونات بلغت ذروتها في تمرد دي مونتفورت، الذي نجح مؤقتًا في هزيمة الملك وأسره في معركة لويس عام 1264، لكنه ابنه إدوارد استعاد زمام المبادرة بعد انتصاره في معركة إيفيشام عام 1265، توفي في 16 تشرين الثاني ودفن في دير ويستمنستر، للمزيد، ينظر: Kate Norgate, The Minority of Henry the Third, Macmillan and Co, London, 1912, p.1 – 268 ; David A. Carpenter, Henry III: The Rise to Power and Personal Rule 1207–1258, Vol. I, New Haven, 2020 ; David A. Carpenter, Henry III: Reform, Rebellion, Civil War, Settlement 1258–1272, New Haven, 2023.

(2) Paul Vinogradoff and Frank Morgan, Survey of the Honour of Denbigh 1334, Published for the British Academy, London, 1914, p.1.

(3) (1223 – 1282): جده ليويلين العظيم أمير غوينيد في شمال ويلز، وهو الابن الثاني لغروفود آب ليويلين، لديه ثلاثة إخوة هم: أوان غونيند، دافيد آب غروفود، ورودري آب غروفود، انتصر على شقيقه أوان غونيند في معركة بريورث في 22 حزيران 1255، فانفرد بحكم غوينيد، أبرم في 29 أيلول 1267 معاهدة مع التاج الإنكليزي اعترفت بلقبه "أمير ويلز" مقابل أداءه الولاء الإقطاعي لملك إنكلترا، توترت علاقته مع إدوارد الأول بعد رفضه تجديد قسم الولاء له مما أدى إلى حملة 1277 التي أجبرته على توقيع معاهدة أبركونوي في 9 تشرين الثاني 1277، تزوج إلينور ابنة سيمون دي مونتفورت في 13 تشرين الأول 1278، وأنجبا ابنة اسمها غوينليان، قاد

ومؤسسة العرش الإنكليزي فرصة لإدامة غاراته على تخوم إنكلترا، فاجتاح شمال شرق ويلز وصولاً إلى بوابات تشيستر (Chester)، واستولى في أيلول 1263 على القلاع الملكية في ديسيرث (Dyserth)، وديجانوي (Deganwy) موجها ضربة خاطفة للأمير إدوارد (Prince Edward) (1272 – 1307)[1], ووالده الملك هنري الثالث الذي أنفق آلاف الماركات على تلك القلاع، واستكمل ليولين آب اهدافه حين سيطر على أراضي كانتريفيس الاربعة (The lands of the four cantrefs)[2]، فأصبحت سلطته في ويلز شبه كاملة[3].

حرص ليولين آب على ادامة حرب البارونات الثانية التي عاشتها إنكلترا من خلال دعم البارونات وزعيمهم سيمون دي مونتفورت (Simon de Montfort, 6th Earl

---

تمرد في آذار 1282، انتهى بمقتله قرب بويل في 11 كانون الأول، لينتهي الحكم الويلزي المستقل وتخضع ويلز للتاج الإنكليزي، للمزيد، ينظر: J. Beverley Smith, Llywelyn ap Gruffudd Prince of Wales, Cardiff, 2014 ; David Stephenson, The Last Prince of Wales: Llywelyn and King Edward The End of the Welsh Dream, 1282 – 1283, Buckingham, 1983.

(1) (1239 – 1307): وُلد في 17 حزيران في قصر وستمنستر، وهو الابن الأكبر للملك هنري الثالث والملكة إليانور بروفانس، اخوته هم : مارگريت، بياتريس، إيرل لانكستر إدموند كروتشباك، كاترين، ريتشارد، وجون، تزوّج إليانور قشتالة عام 1254، وأنجب منها ستة عشر ولدًا، لم يعش منهم سوى عدد قليل، أبرزهم : إليانور، جوان من أكري، مارگريت، ماري، إليزابيث، وخليفته إدوارد الثاني، الفونسو، جون وهنري، وبعد وفاة إليانور تزوّج مارگريت من فرنسا، وأنجب منها ثلاثة أبناء، هم : إيرل نورفولك توماس من بروذرتون، إيرل كِنت إدموند من وودستوك، وإلينور التي توفيت صغيرة، عُرف إدوارد بقوته العسكرية وإصلاحاته القانونية، واكتسب لقب مطرقة الويلزيين نتيجة حملاته ضدهم، توفي في 7 تموز في بورغ باي ساندز قرب الحدود الإسكتلندية أثناء استعداده لحملة ضد الإسكتلنديين، ودُفن في دير وستمنستر، للمزيد، ينظر: Edmund Clifford, The Life and Reign of Edward I, Seeley Jackson & Halliday, London, 1872.

(2) أسماء تلك الأراضي: رهوفونيوج (Rhuvoniog)، دوفرين كلود (Duffryn Clwyd)، روس (Rhos) فضلاً عن تيجينغل (Tegeingl)، للمزيد، ينظر: Stephen Daniel, The Political and Ecclesiastical Power of the Rulers of Gwynedd, c. 1063–1170, University of Wales Trinity Saint David, 2016, p.10.

(3) Gilbert Stone, Wales her Origins Struggles and later history Institutions and manners, Frederick A. Stokes Company, New York,1915, p.339.

(of Leicester[1]) ضد المعسكر الملكي[2]، لكنه تجنب التورط في سجالات عسكرية مباشرة ضد الجيوش الملكية في معركتي لويس عام 1264 وايفشام عام 1265, لخشيته من مغبة الانخراط المباشر في معارك خارج مناطق نفوذه، وليقينه أنَّه مهما كان الطرف الإنكليزي المنتصر، فإنّه سيكون منهكاً عسكرياً واقتصادياً بما يجبره على ابرام سلام مع ويلز يتوافق مع مصالح ليولين آب وأهدافه، ونجح ليولين في استثمار كل ما سبق، وإدارة مصالحه بحكمة وسط تلك الصراعات المعقدة، التي كانت نهايتها كما أرادها ليولين، فرغم انتصار الملك هنري الثالث على باروناته، لكن تشظي ولاءات رعاياه، وخزينته الخاوية اقنعته في صيف عام 1267 أنّ السلام مع ويلز ضرورة لابد منها[3]، وفي تلك المرحلة برز المندوب البابوي الكاردينال اوتو بونو دي فيسكي (Otto Buono de' Fieschi)[4]، كوسيط مثالي، أدى دوراً دبلوماسياً بالغ الأهمية بين الطرفين، أسفر

---

(1) (1208 – 1265): ولد في 23 أيار في مدينة مونتفرت لاموري الفرنسية، أبوه هو النبيل الفرنسي الشهير سيمون دي مونتفورت الخامس، وأمه أليس دي مونتمورنسي، ورث ايرلية ليستر من جدته لأبيه أميسيا دي بومونت، لكن الملك جون رفض توريثه، وصل سيمون إلى إنكلترا عام 1229، وأعلن نبذ ولائه للملك لويس التاسع، فتعاطف معه هنري الثالث الذي كان ميالاً للنبلاء من أصل فرنسي، فمنحه ارثه عام 1230، وزوجه اخته اليانور عام 1238، التي رزق منها بسبعة أبناء وابنة واحدة، لكن سيمون لم يحصل على لقب ايرل ليستر حتى شباط 1239، وأصبح مقرباً من هنري الثالث أصبح حاكماً على غاسكوني بين عامي 1248 – 1252، لكنه اختلف مع هنري الثالث، ثم قاد البارونات ضده منذ عام 1258 حتى مقتله في 4 آب 1265 في معركة ايفشام، للمزيد، ينظر: Sophie Therese Ambler, The Song of Simon de Montfort: England's First Revolutionary, London, 2019 ; Charles Bemont, Simon de Montfort, Earl of Leicester, 1208 – 1265, Santa Barbara, 1974.

(2) Ramsay Muir, A Short History of the British Common Wealth, Vol. I, George Philip & Son, London,1922, p.110.

(3) Andrew George Little, Mediæval Wales, chiefly in the Twelfth and Thirteenth Centuries: Six Popular Lectures, London, T. Fisher Unwin, 1902, p.132 – 140, p.148.

(4) (1215 – 1276): وُلد في مدينة جنوة، وتدرّج في مراتب السلك الكهنوتي، فعيّنه عمه البابا إنوسنت الرابع كاردينالاً شماساً (Cardinal-Deacon) في الكنيسة الكاثوليكية، وجعل مقره في كنيسة سانت أدريانو أل فورو (Sant'Adriano al Foro) في كانون الأول عام 1251، وفي عام 1265 أوفده البابا كلمنت الرابع مندوباً بابوياً إلى إنكلترا في ذروة حرب البارونات الثانية، فدعم السلطة الملكية، وأصدر الحرمان الكنسي بحق سيمون دي مونتفورت وأتباعه، انتُخب في 11 تموز 1276 حبراً أعظم للكنيسة الكاثوليكية بإسم ادريان الخامس، وتوفي في 18 آب من

عن ابرام معاهدة سلام مونتغمري (Montgomery Treaty) في 29 أيلول عام 1267، التي نصت على اعتراف التاج الإنكليزي بشرعية حكم ليولين آب في ويلز، وحقه في حمل لقب أميرها، وتوريثه في سلالته[1]، مع منحه وورثته أراضي كانتريفس الأربعة[2] والكثير من القلاع التي سيطر عليها أو طالب بها الإنكليز, في مقابل إعلان ليولين آب ولاءه النظري للملك هنري الثالث والوعد بدفع مبلغ 25,000 مارك على اقساط, تبدء بدفعة أولى قدرها 5,000 مارك، تليها دفعات بمعدل 3,000 مارك سنوياً[3]، مع موافقة ليولين آب على عودة أخيه دافيد آب غروفود (Dafydd ap Gruffudd)[4] إلى ويلز، واستعادته أراضيه التي صادرها منه[5].

صودقت تلك المعاهدة بحضور الكاردينال اوتو بونو دي فيسكي، والأمير إدوارد وأخيه إيرل ليستر ولانكستر ادموند كراوتشباك (Earl of Leicester and Lancaster,

---

العام نفسه، للمزيد، ينظر:– R. F. Treharne, The Baronial Plan of Reform, 1258– 1263, Manchester University Press, Manchester, 1971, p. 332 – 338.

(1) John Edward Lloyd, A History of Wales from the earliest Times to the Edwardian Conquest, Longmans Green and Co, Vol. II, London, 1912, p.747.

(2) Huw Pryce, The Acts of Welsh Rulers, University of Wales Press, Cardiff, 2005, p.537.

(3) Gilbert Stone, Op. Cit., p.340 – 341.

(4) (1238 – 1283): وُلد في جوينيد بتاريخ 11 تموز، وهو الابن الثالث لـ غروفود آب ليويلين، والدته سنانا فيرخ كارادوغ، واشقائه: أوبِن غوه آب غروفود، ليويلين آب غروفود، ورودري آب غروفود، وشقيقاته: مارجريد، غولاديس، وكاترِن، حرمه شقيقاه أوين وليولين من ارثه في امارة جوينيد، وبدلاً من مواجهة ليويلين بمفرده، تحالف مع شقيقه الأكبر أوين ضد ليويلين، فسحقهما ليولين في معركة برين ديروينعام 1255، لكنه ليولين استرضاه وتعاونا ضد الإنكليز حتى عام 1263 ثم انشق عن أخيه، ولجأ إلى البلاط الإنكليزي، وحين أُبرمت معاهدة مونتغمري عام 1267، اشترط الملك الإنكليزي على ليويلين العفو عن شقيقه دافيد وإعادة أراضيه إليه. فأعاد ممتلكاته إليه، تزوج إليزابيث فيريرز، وأنجب منها ليويلين آب دافيد، أوين آب دافيد، وغولاديس فيرخ دافيد، أعلن نفسه أمير ويلز بعد مقتل شقيقه ليولين في 11 كانون الأول 1282، استسلم في حزيران 1283، وحوكم وأعدم في شورزبري. في 3 تشرين الأول، ثم دفن خارج أسوار شورزبري، فاخضعت للسيطرة الإنكليزية المباشرة، للمزيد، ينظر: David Pilling, The Rise & Fall of Dafydd ap Gruffudd, Prince of Wales, York, 2022.

(5) Howell T. Evans, An analysis of the history of Wales, The Educational Publishing Co, Cardiff, 1907, p.95.

(Edmund Crouchback[1])، والمستشارين الملكيين وبعض البارونات, فضلاً عن ليولين آب وكبار اتباعه، وأقسم الحاضرون على الإنجيل بالحفاظ على ذلك السلام، مما اضفى على اتفاقهم صفة رسمية وشرعية في آنٍ واحد[2]()، فاستغل ليولين آب ما تقدم لإعلان نفسه سيداً على جميع النبلاء الويلزيين, بإستثناء حليف الإنكليز[3]، ريس أب ميريديث (Rhys ap Maredudd)[4], وحرص ليولين آب على اظهار ذلك الاتفاق دليلاً على قوته وضعف إنكلترا, ومع أنّ الأمير إدوارد لم يكن راضياً عما حققه ليولين آب بوصفه متمرد على العرش الإنكليزي، لكنه كان مضطراً لإبرام السلام في ظل استنزاف موارد إنكلترا بنزاعات الأعوام السابقة، وتشتت ولاءات باروناتها[5]، تزامناً مع اضطراره الاشتراك في حملة صليبية على الأراضي المقدسة، استمرت بين عامي 1270 و1272، ومع أنّ هنري الثالث توفي، وأصبح إدوارد الأول ملكاً على إنكلترا، لكنه

---

(1) (1245 – 1296): وُلد في 16 كانون الثاني بمدينة لندن، وهو الابن الثاني للملك هنري الثالث والملكة إليانور بروفانس، قاتل إلى جانب والده وأخيه ضد المتمردين بقيادة سيمون دي مونتفورت. حصل على لقب إيرل ليستر عام 1265، ولقب إيرل لانكستر عام 1267، مؤسسًا سلالة لانكستر، تزوج أيميلين دي لوسي دون أن يُرزق منها بأبناء، ثم من أرملة ملك نافارا بلانش من أرتوا ابنة عم الملك لويس التاسع، التي أنجب منها خمسة أبناء، أدار إدموند إنكلترا أثناء غياب شقيقه الملك في عدة مناسبات، وكُلّف بمهام عسكرية وإدارية في ويلز وغاسكوني، توفي في 5 حزيران 1296 في في غاسكوني أثناء تأديته مهامٍ هناك، للمزيد، ينظر: Simon Lloyd, Edmund, first earl of Lancaster and first earl of Leicester 1245 – 1296, Oxford, 2004.

(2) للاطلاع على باقي بنود المعاهدة ينظر: Huw Pryce, Op. Cit., p.536 – 538

(3) Huw Pryce, Op. Cit., . P.537.

(4) (1250 – 1291): أبوه ماريدد أب توماس، نبيل وزعيم ويلزي من سلالة حكام مملكة ديهيبارت التاريخية في جنوب ويلز، خلف والده الأمير ميريديث آب ريس عام 1271 في حكم أراضي كانتريف ماور، نقل ولائه للملك إدوارد الأول عام 1277 نكايةً بغريمه أمير ويلز ليويلين أب غروفود الذي حاول سلب أراضيه في الجنوب، فكافأه الملك الإنكليزي بالإبقاء على أراضيه، لكن تعسف الإدارة الإنكليزية في ديهيبارت دفعه لقيادة تمرد ويلزي عام 1287 ضد التاج الإنكليزي، انتهى بفشله واعتقاله في نيسان 1291، فنقل إلى يورك وأُعدم في 2 حزيران 1292 بتهمة الخيانة العظمى. للمزيد، ينظر: Robert Thomas Jenkins, Rhys ap Maredudd (died 1292), lord of Dryslwyn in Ystrad Tywi, Wales, Dictionary of Welsh Biography, 1959 ; Thomas Jones Pierce, Maredudd ap Rhys Gryg, Wales, Dictionary of Welsh Biography (online), No date.

(5) Gilbert Stone, Op. Cit., p.341.

قضى عامي 1273 و1274 في جولات دبلوماسية في أيطاليا وفرنسا، ولم تطأ قدماه إنگلترا حتى 2 آب 1274[1].

حرص الملك إدوارد الأول قبل تتويجه على إنهاء تمرد ليولين آب على العرش الإنگليزي، مستغلاً وجود نبلاء ويلزيين حانقين على سلام مونتغمري الذي جعل ويلز لأول مرة منذ الفتح النورماندي تحت سلطة حاكم واحد، هو ليولين آب الذي تولى حكم ويلز دون منازع[2]، فقرر الملك إدوارد الأول إخضاع ليولين آب إلى سلطته دبلوماسياً على الأقل، فدعاه إلى حفل تتويجه في آب عام 1274 للقيام بفروض الولاء له لكنه امتنع عن الحضور متعذراً بوجود محاذير أمنية تمنعه من الحضور, وزاد وضع ليولين آب سوءاً بسبب فشله في تسديد ما بذمته من أقساط سنوية للعرش الإنگليزي منذ عام 1271 بسبب وارداته المتواضعة[3].

قرر الملك إدوارد الأول ادامة ضغط عسكري على ليولين لمعرفة مدى قوته، واجباره على الخضوع له، فأمر بعض النبلاء الإنگليز، وفي مقدمتهم إيرل غلوستر جلبرت دي كلير (Gilbert de Clare, 6th Earl of Gloucester)[4] بشن غارات حدودية على ويلز، أدت إلى خسائر مادية فادحة لـ ليولين, تزامناً مع مصاعبه المالية التي منعته من دفع ما بذمته للملك الإنگليزي، واقترنت تلك التطورات بضغط سياسي

(1) Michael Prestwich, Edward I, The English Monarchs Series, Yale University Press, New Haven, 1988, p.50.

(2) J. Arthur Price, The Ecclesiastical Constitution of Wales on the Eve of the Edwardine Conquest, y Cymmrodor the Magazine of the Honourable Society of Cymmrodorion, Vol. XXVI., Chanceey Lane, London, 1916, p.201.

(3) Howell T. Evans, Op. Cit., p.95.

(4) (1243 – 1295): اباه إيرل غلوستر وهيرتفورد ريتشارد دي كلير، وامه مود دي لاسي، اخوته: توماس وروبرت، وأخواته مارگريت وإيزابيل، ورث ألقاب وممتلكات والده عام 1262، فامتدت سيطرته من غلوستر إلى غلامورغان وبريكنوك، تزوج أليس دي لوزينيان ابنة أخت الملك هنري الثالث، ثم جوان دي أكري ابنة إدوارد الأول، وأنجب منها: وريثه جيلبرت دي كلير الأصغر، وبناته: إليانور، مارگريت وإليزابيث، انضم إلى سيمون دي مونتفورت، ثم حاربه في إيفشام سنة 1265، بنى قلعة كايرفيلي لصد توسع ليويلين، توفي في 7 كانون الأول في مونماوث، ودفن في دير تيوكسبري، للمزيد، ينظر: Michael Altschul, A Baronial Family in Medieval England: The Clares, 1217 – 1314, Baltimore, Johns Hopkins University Press, 1965, p.235 – 304.

على ليولين آب بسبب رفضه دعوة الملك إدوارد إجراء مفاوضات جديدة لتنظيم علاقتهما[1]، ويحسب للملك إدوارد الأول أنه بعد إدامة ضغوطه على ليولين آب قرر مجدداً العودة إلى الدبلوماسية، فدعاه في خريفِ عام 1274 لاجتماع ثنائي في شروزبري (Shrewsbury)[2]، ومع أنّ ليولين آب وافق مضطراً على ذلك الطلب الملكي، لكن تعرض الملك إدوارد الأول لوعكة صحية قبل ايام من عقد الاجتماع، أدت إلى الغائه، لتنتهي فرصة تسوية خلافات الرجلين[3].

اقترنت تلك التطورات السلبية مع مؤامرة على ليولين آب في ويلز، قادها لورد بوويز غريفيد اب جوينوينوين (Lord of Powys, Gruffudd ap Gwenwynwyn)[4] لتذمره من توسع إمارة جوينيد (Principality of Gwynedd)[5]، واستياءه من هيمنة ليويلين آب على جميع أنحاء ويلز, وحين فشلت مؤامرة غريفيد اب جوينوينوين[6]، اكتفى ليولين آب بالاستيلاء على أراضيه في سيفيليوج (Cyfeiliog) وأرويستلي (Arwystli)[7]، وابقاء ابنه رهينة لديه لضمان حسن سلوكه في المستقبل, لكن ابن لورد بوويز اعترف في تشرين الثاني عام 1274 أنّ النوايا الحقيقية للمتآمرين لم تقتصر على

---

(1) Marc Morris, A Great and Terrible King Edward I and the Forging of Britain, London, 2008, p.115 – 116.
(2) Edmund Clifford, The Grentest of all the Plantagenets, London, 1860, p.105.
(3) Marc Morris, Op. Cit., p.116.
(4) (1216 – 1286): من سلالة بيت ماثرافال، أبوه الأمير جوينوينوين وأمه مارگريت كوربيت. بعد نفي والده على يد ليويلين العظيم عام 1216، نشأ غروفود في إنگلترا، واستعاد أراضي والده عام 1241 بدعم الملك هنري الثالث، فأصبح حاكمًا لإمارة بوويز وينوينوين بين 1241 و1287، تزوج هاويس ابنة جون ليسترانج، وأنجبا: أوين، جويليم، غروفود فيتشان، ليليولين، ومارگريت دي لا بول. دعم إنگلترا ضد ليويلين أب غروفود، وفي عام 1274 تورط في مؤامرة لاغتياله بدعم من دافيد أب غروفود، وبعد كشف الخطة، فر إلى إنگلترا وشن غارات على ليويلين بدعم الملك إدوارد الأول، استعاد أراضيه بعد وأد تمرد 1277، دعم إدوارد في وأد تمرد عام 1282، بعد دمج بوويز ضمن النظام الإنگليزي، منحت عائلته لقب دي لا بول، وسمح لهم ببناء قلعة بوويز. توفي غروفود في شهر شباط ودُفن في بلاكفرايرز بشروزبري، للمزيد، ينظر: David Stephenson, Medieval Powys: Kingdom, Principality and Lordships 1132 – 1293, Bodell and Brewer, 2016, p.133 – 159.
(5) Huw Pryce, Op. Cit., p.43.
(6) Marc Morris, Op. Cit., p.116.
(7) Howell T. Evans, Op. Cit., p.95.

استقلال بويز (Powys)، بل اغتيال ليولين آب[1]، وأن الزعيم الحقيقي لتلك المؤامرة ليس أباه لورد بويز غريفيد اب جوينوينوين، بل هو دافيد آب غروفود الشقيق الاصغر لـ ليولين آب, ومع أنّ الأخير حاول اعتقال أخيه وباقي المتآمرين ضده، لكنهم فور معرفتهم بكشف تآمرهم فروا إلى إنگلترا، فزاد تأزم علاقاتها مع أمير ويلز ليولين آب[2]، الذي طالب الملك إدوارد الأول بإعادة أخيه دافيد ورؤوس المتآمرين إليه، بذريعة أنّ استقبالهم في إنگلترا مخالف لشروط معاهدة مونتغمري، لكن الملك إدوارد الأول تجاهل طلبه، لرغبته في اتخاذ دافيد ورفاقه ورقة ضاغطة لمساومة ليولين آب في الوقت المناسب[3].

اتجه الملك إدوارد الأول وحاشيته إلى تشيستر المحاذية لويلز خريف عام 1275[4] ودعا ليولين آب إلى موافاته وإعلان الولاء له, فجمع ليولين آب نبلائه، واستشارهم، فنصحوه أنّ يطلب من الملك ثلاثة رهائن، هم: أخيه ادموند وإيرل غلوستر جلبرت دي كلير، وكبير قضاة إنگلترا، فأرسل ليولين آب خطاباً بذلك المعنى إلى الملك, لكنه رفض طلبه، وعده مؤشراً واضحاً على تمرده، وليقين ليولين آب بمسؤولية البابوية ضمناً عن علاقته بمؤسسة العرش الإنگليزي بموجب معاهدة سلام مونتغمري، قرر استمالة البابا گريگوري العاشر (Gregory X) (1271–1276)[5] إليه، فبعث له

(1) John Edward Lloyd, Op. Cit., Vol. II, p.749.
(2) Ibid, p.749.
(3) Marc Morris, Op. Cit., p.117.
(4) J. Vyrnwy Morgan, A Study in Nationality, Chapman & Hall Limited, London, 1911, p.183.
(5) (1210 – 1276): اسمه تيبالدو فيسكونتي، وُلد في مدينة بياتشنزا شمالي إيطاليا، وهو من أسرة فيسكونتي النبيلة، وإن لم تكن من الفروع الحاكمة في ميلانو، التحق تيبالدو بالمسلك الكهنوتي، وأصبح أمين سر الكرسي الرسولي ثم مشارك نشط في الحملات الصليبية، عُرف بصلاته الوثيقة مع لويس التاسع ملك فرنسا. وبينما كان في مدينة عكا ضمن الحملة الصليبية التاسعة، وبعد مدة شغور كنسي لمدة ثلاثة سنوات جرى انتخابه بابا للكنيسة الكاثوليكية في 1 أيلول 1271، بإسم غريغوري العاشر، ركّز على إصلاح انتخاب الباباوات عبر مجمع ليون الثاني عام 1274، وسعى إلى توحيد الكنيستين الشرقية والغربية، فضلاً عن دعم مشروع حملة صليبية جديدة، لكن وفاته في 10 كانون الثاني في أريتسو حالت دون إتمام مشاريعه، للمزيد، ينظر: Philip B. Baldwin, Pope Gregory X and the Crusades, Woodbridge, Boydell Press, 2014 ; Catholic Church (ed. Georges Digard), Les Registres de Grégoire X 1271–1276, Paris, 1892.

خطاباً لخص فيه أسباب عزوفه عن مقابلة إدوارد الأول بسببين، أولهما: خشيته من اغتياله على يد اعدائه الويلزيين المتآمرين الموجودين في البلاط الملكي الإنكليزي، وثانيهما أنّ الملك إدوارد الأول تبنى إِجراءات انهت سلام مونتغمري الذي أرساه المندوب البابوي اوتو بونو, وبعث ليولين آب الخطاب نفسه إلى الأساقفةِ الإنكليز لكسبهم إلى جانبه في صراعه ضد ملكهم إدوارد الأول[1] ونجح ليولين آب في الحصول على اعفاء بابوي من تنفيذ أيّ مذكرة لمقابلة الملك خارج ويلز[2]، حينها أدرك ليولين آب أنّ مساعيه الدبلوماسية أثارت غضب الملك إدوارد الأول، وأن اتخاذه قرار الحربِ بات شبه مؤكد[3].

إنتظر الملك إدوارد الأول وصول ليولين آب إلى تشيستر أكثر مِنْ اسبوع، ثم عاد غاضباً إلى لندن, وفور وصوله إليها في أواخر تشرين الأول 1275 بعث رسولاً إلى ليولين ابلغه أنّ عليه الحضور لتَقديم نفسه أمام عاهل إنكلترا في وستمنستر (Westminster) في غضون شهر، وأرسل الملك إدوارد الأول خطاباً أخراً إلى البابا، ملؤه الغضب، جاء فيه: "**اهينت كرامتَنا الملكيةَ بشأن السفر إلى حدود أرضه**", وزاد الأمر سوءاً تقاعس ليولين آب عن الحضور إلى وستمنستر في الوقت المحدد، فأصبحت هيبة الملك وسمعة مؤسسة العرش الإنكليزي أمام اختبار صعب, ومع أنّ الملك إدوارد الأول تريث في الاصطدام بـ ليولين آب[4]، لكن معرفته بتخطيط ليولين آب الزواج من اليانور ابنة سيمون دي مونتفورت[5] أثارت غضبه[6]، لتوجس إدوارد الأول

(1) Rodney Horace Yale, Yale Genealogy and History of Wales, Beatrice, Nebraska, U. S. A., 1908, p.49.
(2) Edmund Clifford, The Grentest of …, p.107.
(3) David Hume, The History of England From the Invasion of Julius Caesar to the Revolution in 1688, Vol. II, Printed for A. Millar, London, 1776, p.75 – 76.
(4) Owen Morgan Edwards, History of Wales, T. Fisher Unwin, London, 1901, p.175.
(5) (1252 – 1282): نبيلة إنكليزية – ويلزية، أبوها قائد تمرد البارونات إيرل ليستر سيمون دي مونتفورت من زوجته إليانور شقيقة هنري الثالث، عاشت في فرنسا بعد مقتل، ارتبطت سياسياً بزواج بالوكالة من الأمير الويلزي "لويلين آب غروفيد، وأثناء إبحارها إلى ويلز لإتمام الزواج عام 1275، أسرها بحارة إدوارد الأول واحتجزها رهينة سياسية في قلعة وندسور للضغط على أمير ويلز، أُطلق سراحها عام 1278 بعد توقيع معاهدة أبيركونوي وتزوجت رسمياً بحضور الملك، توفيت أثناء الولادة في حزيران عام 1282، للمزيد، ينظر: Michael Prestwich,

من علاقة ليولين آب الوطيدة بآل مونتفورت، وتخوفه أنّ هدف تلك الزيجة تجديد تمرد البارونات الإنكليز على عاهلهم بزعامة ليولين آب أو أحد أنصاره من آل مونتفرت، واشغال الملك إدوارد عن إخضاع ويلز, ولاشك أنّ ما تقدم شكل تحدياً خطيراً لمؤسسة العرش الإنكليزي أثار قلق الملك إدوارد الأول، وضاعف هواجسه[1].

استبق الملك إدوارد الأول وصول اليانور مونتفورت إلى خطيبها ليولين آب، بعد ورود انباء بإبحارها مع أخيها اماوري (Amaury)[2] ومجموعة فرسان فرنسيين من فرنسا نحو الساحلِ الويلزيِ أواخر كانون الأول 1275، فاعترضتهم أربعة سفن إنكليزية ابحرت من بريستول (Bristol) واعتقلتهم، فأودعت إليانور في مكان آمن في وندسور، ووضع شقيقها اماوري ورفاقه في السجن الملكي في قلعة كورف (Corfe Castle)[3].

رفض الملك إدوارد الأول طلب ليولين آب إطلاق سراح خطيبته اليانور, إلا بعد استجابته لشروط الملك باستسلامه دون شروط، واستعادة الاراضي التي اغتصبها وفقاً لوجهة نظر الملك، وبنائه القلاع الملكية التي دمرها سابقاً، لكن ليولين آب رفض شروط الملك جملةً وتفصيلاً[4]، ومع أنّ مسألة شن حرب على ويلز أصبحت ضمن أولويات

Edward I …, p.174 – 179 ; J. R. Maddicott, Simon de Montfort, Cambridge University Press, Cambridge, 1994, p.368 – 372 ; David Walker, Medieval Wales, Cambridge University Press, Cambridge, 1990, p.124 – 129.

(6) Owen Rhoscomyl, Flame Bearers of Welsh History, The Welsh Educational Publishing Co, 1905, p.188.

(1) Howell T. Evans, Op. Cit., p.95.

(2) (1242 – 1300): هو الابن الثالث لسيمون دي مونتفورت، إيرل ليستر السادس، من زوجته الكونتيسة إليانور، شقيقة الملك هنري الثالث، وشارك في ظل والده في الصراع ضد التاج الإنكليزي أثناء حرب البارونات الثانية، وبعد مقتل والده وشقيقه الأكبر هنري في معركة إيفشام يوم 4 آب 1265، فر مع عائلته إلى فرنسا، وفي 13 آذار 1271، تسلل وأخيه غي إلى كنيسة سان لورينزو في فيتيربو، واغتالا ابن خالهما هنري دوق كورنوال أثناء القداس، فسُجن أماوري في قلعة نابولي بأمر ملك صقلية شارل أنجو، ثم أطلق سراحه، توفي في 30 أيلول في إيطاليا، للمزيد، ينظر: Johannis de Oxenedes, Chronica Johannis de Oxenedes, ed. Sir Henry Ellis, (Chronicles and Memorials of Great Britain and Ireland during the Middle Ages - Rolls Series), London: Longmans, Green, and Co., 1859, 238 – 240.

(3) James Mackintosh, The History of England, Vol. I, Carey & Lea Chestnut Street, Philadelphia,1830, p.212.

(4) Howell T. Evans, Op. Cit., p.96.

خطط الملك إدوارد الأول مطلع عام 1276، لكن الملك أراد جس نبض ليولين آب قبل المباشرة بها، فأوعز الملك لنبلاء المناطق الحدودية مع ويلز تجديد غاراتهم، ومنح الهاربين من ليولين آب مساعدات مادية لتشجيع اتباعه على الانفضاض عنه، وفي خضم ذلك التوتر منح الملك إدوارد الأول ليولين آب فرصة أخيرة للسلام، فدعاه إلى وستمنستر في نيسان 1276 لأداء مراسم الولاء له, فرفض ليولين آب مجدداً لاعتقاده بوجود مؤامرة، وأن هدف الملك الحقيقي شن حرب شعواء على ويلز حتى إخضاعها لسلطة العرش الإنكليزي[1].

تأكد الملك إدوارد الأول أنّ مبادراته السلمية مع ليولين آب لن تؤتي أُكلها ولا مناص من قتاله لاستعادة هيبة العرش الإنكليزي وسطوته، ومع أنّه كان بحاجة لإعادة ترتيب أوضاع مملكته، وايفاء ما بذمته من ديون حملته الصليبية التاسعة، لكنه هيأ مستلزمات حملة عسكرية كبيرة ضد ويلز، ومهد لها دبلوماسياً حين أعلن الحرب على أمير ويلز ليولين آب في 12 تشرين الثاني عام 1276 بوصفه متمرد على العرش الإنكليزي، وعائقاً أمام السلام بين ويلز وإنكلترا[2]، ثم اختار قواد جيوشه من الرجال الأكثر نفوذاً وتأثيراً في إنكلترا, فكلف في 16 تشرين الثاني عام 1276 إيرل وارويك وليام دي بوشامب (William de Beauchamp, 9th Earl of Warwick)[3]، لتولي قيادة القوات في تشيستر، واسند قيادة قوات مونتغمري إلى روجر دي مورتيمر الجد (Roger Mortimer, 1st Baron Mortimer of Wigmore)[4]، تاركاً قوات كرمرثن

---

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.119.

(2) Edmund Clifford, The Grentest of …, p.109.

(3) (1238 – 1298): وُلد في وارويك، أبوه إيرل وارويك الثامن وليام دي بوشامب، وأمه إيزابيل دو مودويت، ترعرع في كنف عائلة بوشامب، تزوج اليانور دي غوفر وانجب منها وريثه إيرل وارويك العاشر وليام دي بوشامب، ورث لقب إيرل وارويك بعد وفاة ابن خاله وليام موديت عام 1268، وهو من النبلاء الذين رسخوا النفوذ الملكي في الأقاليم المتمردة، لا سيما ويلز، فكان له دور كبير في الحملات الإنكليزية عليها في الأعوام 1277 و1282، وشارك في الحملات على إسكتلندا منذ عام 1296 حتى معركة فالكيرك عام 1298، توفي في 5 حزيران قبل انتهاء الحملة، ودُفن في دير بورسيستر في ورشسترشاير، للمزيد، ينظر: Peter Coss, William de Beauchamp, ninth earl of Warwick c.1238 – 1298, Oxford, Oxford Dictionary of National Biography online, 2004.

(4) (1231 – 1282): وُلد في قلعة ويغمور في هيرفورد، وهو الابن الأكبر لرالف دي مورتيمر وغوادليس دو ابنة ليويلين آب إيورويرث أمير غويند في ويلز، نشأ في بيئة أرستقراطية جمعت

(Henry de Lacy, Earl of Lincoln)[1]. وكانت تلك القواعد الثلاثة معاقل تجمع وانتشار وانطلاق القوات الملكية نحو ويلز, وتزامناً مع ذلك أرسل إدوارد الأول مسؤولين ملكيين للإشراف على لوردات المناطق الحدودية بين ويلز وإنگلترا[2].

خول إدوارد الأول إيرلي وارويك ولينكولن دفع اجور ملكية للراغبين في قتال قوات ليولين آب، وخول عُمد البلدات بالعمل ذاته، وأرسل بعض اتباعه إلى الأساقفة والكهنة لإرسال ما لديهم من مقاتلين كجزء من ولائهم الإقطاعي له، ولم ينس إدوارد الأول تبعية غاسكوني إليه، فبعث وكلائه لجلب الخيول والمرتزقة منها، واستغرقت تلك

بين الدم الإنگليزي والويلزي، تزوج عام 1247 من مود دي براوس ابنة أقوى مارشات الحدود الويلزية، وأنجبا سبعة أبناء، هم: إدموند الذي ورث اللقب، رالف، تشيرك، جيوفري، وليام، فضلاً عن ابنتين، هما: إيزابيلا ومارگريت، بدأ نشاطه العسكري عام 1256 في مواجهة ليويلين آب غريفود بعد غزوه غورثيرنيون. شارك في معركة لويس عام 1264 إلى جانب هنري الثالث، وأدى دورًا حاسمًا في الانتصار الملكي بمعركة إيفشام في 4 آب 1265، قاد عمليات عسكرية في ويلز عام 1282، وتوفي في 27 تشرين الأول من العام نفسه في كينغزلاند، للمزيد، ينظر: J. J. Crump, Roger de Mortimer 1231 – 1282, London, Dictionary of National Biography 1885.

(1) (1249 – 1311): هو الابن الوحيد لبارون بونتفراكت إدموند دي لاسي، وأليس من سالوزو، التي تنحدر من أسرة سافوي الملكية، توفي والده عام 1258، فتولّت والدته الوصاية عليه، ورث إيرلية لينكولن بعد وفاة جدته كونتيسة لينكولن مارگريت دي كوينسي سنة 1266، تزوّج مارگريت لونغسبي، ابنة وليام لونغسبي الثالث، وأنجب منها ولدين توفيا في صغرهما، وابنته أليس دي لاسي، ثم تزوّج جوان فيتز مارتن، دون أن يُرزق بأبناء، أصبح أبرز مستشاري إدوارد الأول، ورافقه في حملاته العسكرية في ويلز، فمُنح سيادة دينبيغ، خدم في حرب غاسكوني (1294–1303)، وشارك في الحملات الإسكتلندية، تولّى مفاوضات السلام مع فرنسا، التي تُوّجت بمعاهدة باريس سنة 1303، فأُعيدت بموجبها مقاطعة آكيتاين إلى التاج الإنگليزي، انضم إلى المعارضة البارونية بقيادة إيرل لانكستر توماس، وكان من واضعي مراسم الإصلاح عام 1311، التي قيّدت سلطات الملك، توفي في شباط في منزله في لندن، ودُفن في كاتدرائية سانت بول، للمزيد، ينظر: J. S. Hamilton, Henry de Lacy, fifth earl of Lincoln c. 1249 – 1311, Oxford, Oxford University Press, 2004.

(2) John E. Morris, The Welsh Wars of Edward I a Contribution to Mediaeval Military history based on Original Documents, At the Clarinda Press, Oxford,1901, p.115.

التعبئة الشاملة حتى كانون الثاني عام 1277[1]، واللافت أنّ الملك لم يرسل جيوشه إلى ويلز، لسببين هما: صعوبة القتال في ويلز شتاءً، وإمكانية تعبئة المزيد من الفرسان والمشاة لتكون حملته مضمونة[2]، كما أنّ إدوارد الأول في خضم تلك التعبئة كان راغباً في تسوية سلمية لطمعه بأموال ليولين آب، لذا حدثت مفاوضات بين الطرفين مطلع شباط 1277 عرض أثنائها ليولين آب دفع 11,000 مارك للملك إدوارد الأول فضلاً عما بذمته له وفقاً لمعاهدة مونتغمري, مقابل شروط، أبرزها: إطلاق سراح خطيبته اليانور, فلم يقبل الملك إدوارد ذلك وأعلن أنّ الحرب هي الفيصل بينهما، فغادر مبعوثو ليولين آب بلاطه في 10 شباط عام 1277، وفي 21 شباطَ أرسل ليولين آب رسالة ودية تضمنت استعداد تام للخضوع للملك، جاء فيها"**أُقسمُ أمام الرب، أنني أُحب وأُثمن شخصَكَ اللامع بإخلاص وحميمية أكثر من أولئك الذين يُحرّضونَ روحكَ على الامتعاض ضدي من خلال حربك إياي، محاولين الحصول على الأرباح الخاصة بهم والاستفادة بدلاً من احترامك**"، لَكِن أوان الدبلوماسية قد فات، بعد الجهود التي بذلها إدوارد الأول لاستكمال مستلزمات حملته الويلزية[3].

(1) Ibid, p.115 – 116.
(2) Edmund Clifford, The Grentest of …, p.109
(3) Quoted in: Huw Pryce, Op. Cit., p.588.

المبحث الثاني

الفعاليات القتالية الإنكليزية في ويلز حتى وأد تمرد الأمير ليولين آب، ومظاهر السياسة الإنكليزية في ويلز أيار 1277 حتى 1282

باشرت الجيوش الإنكليزية هجماتها على ويلز في آنٍ واحد، فاتخذ البارون باين دي تشاوورث (Baron Pain de Chaworth)[1] من قلعة كرمرثن (Carmarthen Castle), منطلقاً لقواته، فاجتاح مطلع نيسان 1277 أقاليم ويستراد تاوي وديهيبارت، وأجبرً نبلاء جنوب ويلز على الاستسلام والاعتراف بالسيادة الإنكليزية، وبموازاة ذلك فرضت قوات روجر مورتيمر "الجد" في 2 نيسان 1277 حصاراً محكماً على قلعة دولفوروين (Dolforwyn Castle)، فاستسلمت حاميتها الويلزية في 8 نيسان 1277، وتحرك إيرل وارويك وليام دي بوشامب ودافيد آب من قاعدتهم في تشيستر إلى بوويز، فواجها مقاومة شرسة في قلعة ديناس براٍن (Dinas Brân Castle)، وفي خضم تلك التطورات العسكرية المتسارعة في ويلز، أدار الملك إدوارد الأول من لندن الترتيبات المالية اللازمة لقواته وأصدر الأوامر العسكرية لها بين 10 و15 نيسان 1277، ثم بدأ زيارة دينية لأضرحة قديسي ايست إنكليا، لحشد الدعم الروحي والسياسي لحملته، فوصل إلى دير سيرن (Cerne Abbey) في 17 و18 نيسان، ثم قضى عطلة عيد الفصح في دير بوري سانت إدموندز (Bury St Edmunds) الشهير في سوفولك بين 19 و21 نيسان، وقدم تبرعاته، ثم تحرك شمالاً لزيارة الأضرحة المقدسة في والسينغام (Walsingham) وبرومهولم (Bromholm) بين 23 و25 نيسان، لكنه لم يغفل اهتمامه عن المسائل العسكرية، فأثناء الشهر نفسه جمع الأف الأقواس والنشاب من

---

(1) (1220 – 1279): ينحدر من أسرة نورمانية لها ممتلكات في إنكلترا وويلز. اباه البارون باتريك دي تشاوورث، الذي امتلك أراضي في ويلز منها أوغمور وكاولي، ووالدته هاويس دي لندن، الوريثة القوية التي لزوجها أراضي ويلزية واسعة وهو وريث لممتلكات والده، برز عسكرياً بقيادته الناجحة للقوات الإنكليزية في حملة عام 1277، ولم يشغل منصباً سياسياً رسمياً رفيعاً سوى نفوذه الإقطاعي عبر ممتلكاته وتحالفاته، توفي باين عازباً ودون نسل في 14 آذار 1279، فانتقلت ممتلكاته إلى شقيقه الأصغر البارون باتريك دي تشاوورث ، للمزيد، ينظر: Dictionary of National Biography, Chaworth de Payne, d. 1279, London, 1885 – 1900.

المركز الرئيس لصنعها في قلعة بريافيل (Briavel's Castle)، وفي الوقت نفسه جمع العربات لنَقْل خِيَمِه مِنْ لندن إلى ويلز, في إشارة إلى رغبته باستمرار فعالياته القتالية في ويلز حتى تنفيذ جميع أهدافه[1].

تلقى الملك إدوارد الأول بعد عودته إلى بلاطه في أيار 1277 أنباء انتصارات جيوشه في ويلز، ومنها سيطرة روجر مورتيمير ورفاقه على دولفوروين، وانهيار سلطة ليولين آب في المناطق الحدودية بسبب الفعاليات القتالية لروجر مورتيمر ورفاقه، فضلاً عن انتصار باين دي تشاوورث، في جنوب ويلز وارساله خطاباً إلى الملك إدوارد اوضح فيه رغبة لوردات جنوب بالقدوم إلى إنگلترا للإقرار بتبعيتهم الإقطاعية للملك إدوارد الأول, وفي الإطار نفسه استعاد إيرل وارويك وليام دي بوشامب وحلفائه بوويز ودينياس بران في 10 أيار1277[2]، وهكذا انهار نفوذ ليولين آب في وسط ويلز وجنوبها، وضعف اتباعه، وأصبح بعضهم على استعداد للقتال ضده, حينها قرر الملك إدوارد الأول إِخضاع جوينيد أقوى امارات ويلز، ومركز نفوذ ليولين آب ومرتكز قوته[3]، مع التركيز على سنودونيا (Snowdonia)، التي اتخذها لويلين مقراً له[4].

هيأ الملك إدوارد الأول قواته استعداداً للمرحلة الثانية من غزو ويلز، فعبأ قواته في تشيستر[5] في 15 تموز عام 1277، وجمع ثمان عشْرة سفينةِ مِنْ موانئ سينك (Cinque Ports)[6] وبعض السفن المحلية[7] والغاسكونية، فوصل إجمالي عدد السفن

---

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.122.
(2) Ibid, p.122 – 123.
(3) David N. Klausner, Wales, University of Toronto Press Incorporated, Canada, 2005, p.18.
(4) Edward S. Creasy, History of England, Vol. I, James Walton Bookseller and Publisher to University College, London, 1869, p.382.
(5) John E. Morris, The Welsh Wars of Edward I …, p.119.
(6) هي موانئ (هاستنجز، رومني، هيث، دوفر وساندويتش) الساحلية على الساحل الجنوبي الشرقي لإنگلترا في كنت وويسكس، وقد نظم ميثاق ملكي عام 1155 التزاماتها إزاء التاج، وأهمها توفير 57 سفينة لمدة 15 يوماً سنوياً لخدمة الملك، مقابل منحها امتيازات واسعة، كـ الإعفاء من الضرائب، والحقوق القضائية المحلية، وحرية التجارة دون رسوم. وإرسال عضوين إلى البرلمان، ومنح قادتها المعروفين ببارونات الموانئ شرف المشاركة في تتويج الملوك، للمزيد، ينظر: Ford Madox Hueffer, The Cinque Ports A Historical and Descriptive Record, William Blackwood and Sons, Edinburgh, p.22 – 372.
(7) E. Alfred Jones, Memorials of Old North Wales, George Allen & Company, London,1913, p.18.

خمسة وثلاثين سفينة, فضلاً عن مرتزقة غاسكونيين من فرسان ومشاة وبحارة عددهم ثلاثة الأف مقاتل[1]، ومئات المقاتلين من المقاطعات الحدودية مع ويلز ومقاطعة ديربي (Derby)، ومائة نبال من مكلسفيلد ونبالي الأقواس الطويلة من غوينت (Gwent) وكريكاويل (Crickhowell)[2]، واضيف إلى اولئك المقاتلين ألف مقاتل من تشيستر, مع عشرات القساوسة لتوفير العناية الكهنوتية لقوات إدوارد الأول أثناء وجودهم في ويلز[3].

تطلبت تلك الاستحضارات استخدام عمدات البلدات الإنكليزية والمسؤولين الملكيين وسائل قسرية لإكراه الرجال على الانضمام لقوات الملك، دون مقابل أو بمقابل زهيد لا يتجاوز بنسين يومياً للمشاة، وأربعة بنسات للنبالين, وليس غريباً أن الملك لم يقتنع بالمستلزمات التي هيأها إيرل وارويك وليام دي بوشامب ونوابه لإطعام قواته وتسليحهم, لأنها عملية بالغة الصعوبة تطلبت اطعام مئات الخيول والآف المقاتلين بالشكل الذي أضطر وكلاء الملك للاستيلاء على محصول الذرةِ تحت طائلة الحقِّ الملكي (Pre-emption) لإدامة تموين القوات الإنكليزية[4].

وليس غريباً بعد ما تقدم أن أمر الملك إدوارد الأول في 17 تموز 1277 بجلب مخزونات جديدة من الحبوب من تسعة مقاطعات إنكليزية, في ظل دعم مطلق من البارونات الإنكليز ومسؤولي موانئ سينك, وتجاوز الملك مشكلة قصر مدة الخدمة الالزامية التي بلغت أربعين يوماً للفرسان، وأسبوعين لمقاتلي موانئ سينك وسواها من بلدات إنكلترا، فأعلن منح مقاتلية اجوراً اضافية بعد انتهاء مدد خدمتهم الالزامية مقابل استمرارهم بالحملة، فوافقوا على مضض خوفاً منه[5].

استكمل الملك إدوارد الأول مستلزمات حملته، فغادر تشيستر مع قواته في 22 تموز 1277 نحو ويلز[6]، ولم يمتلك ليولين آب جيشاً قوياً لمجابهته، لاسيما بعد هزائمه السابقة ربيع العام نفسه، وضآلة موارده قياساً لموارد ملك إنكلترا[7]، لكن ليولين آب

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.124.
(2) John E. Morris, The Welsh Wars of Edward I …, p.34.
(3) David S. Bachrach, The Organisation of Military Religion in the Armies of King Edward I of England 1272 – 1307, Journal of Medieval History, Vol. 29, No. 4, 2003, p.265 – 281.
(4) Marc Morris, Op. Cit., p.119 – 124.
(5) Michael Prestwich, Edward I …, p.182 – 185.
(6) John E. Morris, The Welsh Wars of Edward I …, p.120.
(7) David Hume, Vol. II., Op. Cit., p.76.

امتلك ميزة الجغرافية الويلزية المعقدة المليئة بالغابات والجبال والمستنقعات[1]، لاسيما في امارة جوينيد، التي طالما ساعدتها طبوغرافيتها في الصمود أمام الإنگليز، ونصب كمائن لاستنزافهم مادياً وبشرياً، وشن حرب عصابات ضدهم, وفي ذلك الصدد أمر ليولين آب بحرث مروج امارته لحرمان الإنگليز من ثمارها، وفتح اتباعه عنابر المستنقعات والأنهار الصغيرة، وهدموا الجسور لعرقلة تقدم قواتهم، كما اقدم ليولين على تدمير طواحين ويلز لحرمان الجيش الإنگليزي من استخدامها لطحن الذرة[2].

واستند ليولين آب إلى عقبات اضافية ليس أخرها دمار القلاع الملكية في ديسيرث وديجانوي التي تمنع الملك إدوارد الأول من الحصول على قواعد أمنة لقواته, والإفادة من تضاريس غرب تشيستر الصعبة والوعرة, التي تحول دون حصول جيش إدوارد الأول على ملاذ امن له ولخيوله في تلك البيئة القاسية, وعول ليولين آب أيضاً على شراسة مقاتليه الملمين بطبيعة بلادهم، والمشهورين بالمعنويات المرتفعة والولاء لبلادهم والشراسة والعنف والبراعة والقدرة على مهاجمة اعدائهم بغتة والانسحاب بسرعة، والالمام بتكتيكات حرب العصابات التي آلفوها منذ قرون, لكن الملك إدوارد الأول صمم على تَفادي ذلك المصيرِ، وأصر على اجتياز التضاريس الصعبة، وتبنى قادته أساليب مبتكرة وناجحة لاجتيازها[3] أبرزها بناء قلاع جديدة التي كانت سمة رئيسة من سمات خطته, لتصبح قواعد أمنة لفرض طوق إنگليزي محكم، ونقاط انطلاق ومخازن للمؤن، فضلاً عن تجهيز قوات مهيأة باجتياز التضاريسِ القاسيةِ لويلز, والتركيز على اختيار مواقع الاجتياز الأكثر أمناً وسهولة والأقرب إلى البحرِ للحصول على إمدادات من السفن الإنگليزية الساندة لقواته[4]، وفضلاً عن ذلك كله رافق جيوش إدوارد الأول مئات البنائين والنجارين والحفارين والحطابين، لدعم الجيش الرئيس الذي قدم من تشيستر، ومساعدته على تذليل مصاعب التنقل في ويلز[5].

(1) J. Vyrnwy Morgan, The Philosophy of Welsh History, The Educational Publishing Company, London, 1914, p.236.
(2) David Hume, Vol. II, Op. Cit., p.76.
(3) Charles Dickens, Child's history of England, London, 1851, p.31.
(4) Cadw, Interpretation Plan for the Castles and Town Walls of Edward I, Plb Consulting Ltd, 2010, p.22.
(5) Henry Taylor, Historic Notices with Descriptive of the Borough and County Town of Flint, Elliot Stock, London, 1883, p.15 – 17.

ساند الجيش الإنكليزي في جنوب ويلز تحركات جيش إدوارد الرئيس، فقد قاد إيرل لانكستر ادموند كراوتشباك والبارون باين دي تشاوورث قواتهم في تموز نحو ديهيوبارث وسرديجون (Ceredigion) ودولفوروين في حين تأخر إيرل لينكولن لمدة أسبوعين, ولعدم قدرة ليولين آب على مساعدة بني جلدته في جنوب ويلز هرب بعضهم بحثاً عن ملجأ في سنودونيا مع ليولين آب، واستسلم معظمهم بما في ذلك أبناء ميريديث اب ريس (Maredudd ap Rhys)[1]، وفي مقدمتهم حاكم يستراد تاوي ريس أب ميريديث، الذي استسلم لباين باتريك تشاوورث, وأعلن تبعية يستراد تاوي للسيادة الإنكليزية، وأصدر أوامره لحاميات قلاعها بفتح بواباتها للقوات الإنكليزية، لضمان عدم استخدام المنطقة كمأوى للمتمردين الويلزيين، وبذلك خضع جنوب ويلز برمته لإدموند أواخر تموز، فأنشأ قلعة ملكية في أبيريستويث (Aberystwyth)، وشحنها بالرجال والمواد اللازمة لاستخدامها في تجمع الجيوش الإنكليزية وانطلاقها في جنوب ويلز[2]، وتزامن مع ذلك مناورة بحرية في شمال ويلز, من خلال شحن كميات كبيرة من الأخشاب من تشيستر إلى فلينت (Flint)، لبناء قلعة ملكية فيها, وحث الحفارين على العمل بجدية أكبر[3].

رافق الملك إدوارد الأول زوجته إلى فلينت[4]، ثم عبأ جيشه للشروع في هجومه الرئيس على مركز ليولين آب في سنودونيا[5]، وفي آب 1277، رافق الملك إدوارد

---

(1) (1220 – 1271): نبيل ويلزي من سلالة ملوك ديهيبارث في جنوب ويلز، وهو ابن ريس غريغ، تميزت مسيرته السياسية بالتقلب والمناورة بين التاج الإنكليزي والأمير الويلزي لويلين آبا غروفيد، فبعد أن تحالف مع لويلين عام 1256 وقاتل معه ضد الإنكليز، انشق عنه أواخر عام 1257 وأدى يمين الولاء للملك هنري الثالث مقابل وعود بأراضٍ إضافية، فأدى ذلك الانشقاق إلى محاكمته من لدن لويلين والمجلس الويلزي عام 1259 بتهمة الخيانة الإقطاعية وسُجن مدة، ثم نال عفو لويلين بعد دفع فدية باهظة وتقديم رهائن، توفي في تموز في قلعته دريفلوين، للمزيد، ينظر: David Walker, Op. Cit., p.114 – 118 ; J. E. Lloyd, A History of Wales: From the Earliest Times to the Edwardian Conquest, Longmans, Green, and Co., London, 1912, Vol. II, p.716 – 724 ; Ralph A. Griffiths, The Principality of Wales in the Later Middle Ages: South Wales 1277 – 1536, University of Wales Press, Cardiff, 1972, p.8 – 12.

(2) Owen Morgan Edwards, Op. Cit., p.178.

(3) Marc Morris, Op. Cit., p.126 – 127.

(4) J. M. Edwards, Flintshire, At the University Press, Cambridge,1914, p.101.

(5) H. F. Helmolt, The history of the World Survey of Man's Record, Dodd, Mead and Company, 1907, p.532.

جيشه من فلينت نحو رهودلان (Rhuddlan)[1] وفرض سيطرته عليها[2], فأصيب أسقفها بالفزع من هجوم الجيش الإنكليزي، واشتكى لرئيس أساقفة كانتربري روبرت كلواردبي (Robert Kilwardby)[3] من تدمير ممتلكات كنيسته، وتدنيس مقدساتها، واعتداءات المقاتلين الإنكليزِ على كهنوتها, وبعد استكمال سيطرته على رهودلان دشن الملك قلعة فيها، ووعد مرافقه دافيد آب غروفود بإعطائه نصف سنودونيا بعد سيطرته عليها, وفي تلك المرحلة من حملته الملكية ازدادت الصعوبات على جيش الملك إدوارد حتى انخفض عدد جيشه من خمسة عشر آلفاً عند وصوله إلى الجانب الشرقي من نهر كونوي (River Conwy)[4] إلى أقل من سبعة الاف وخمسمائة مقاتل بعد اقترابه من سنودونيا، وهو أمر يمكن تبريره بفرار الكثير من مقاتلي جيش إدوارد الأول بسبب الصعوبات التي تعرضوا لها، أو مقتل أغلبهم أثناء تقدمهم أو استغناء الملك عن بعض مقاتليه لتسهيل تقدمه[5]، لاسيما بعد نفاذ أمواله وقلة الطعام اللازم للجيش، وتزايد صعوبة التضاريس بسبب الوصول إلى جبال سنودونيا الوعرة، وحين أدرك الملك إدوارد أنه وجيشه معرضين لخطر الانزلاق على تلك الجبال، فكر بحل بديل لإخضاع ليولين آب تمثل باحتلال جزيرة إنجلسي (Isle of Anglesey)[6] الواقعة شمال غربي امارة جوينيد، بالشكل الذي يجعلها منطلقاً لهجوم القوات الإنكليزية على معقل ليولين آب،

---

(1) Owen Morgan Edwards, Op. Cit., p.177.

(2) Fred. W. Kittermaster, Rhuddlan Castle and other Poems, Curtis & Beamish Printers and Publishers, 1890, p.114.

(3) (1215 – 1279): لاهوتي وفيلسوف ورجل دين إنكليزي بارز ينتمي إلى رهبنة الدومينيكاني (الرهبان الواعظين)، تلقى تعليمه في جامعتي باريس وأكسفورد وعُدَّ من كبار علماء الفلسفة الأرسطية والمدرسية في عصره، عيَّنه البابا غريغوري العاشر رئيساً لأساقفة كانتربري عام 1272، فأدى دور ديني وسياسي بالغ الأهمية، قاد عملية تتويج الملك إدوارد الأول والملكة إليانور في آب عام 1274، عُرِف بصرامته اللاهوتية ومقاومته لبعض الأفكار الفلسفية التوماسية (نسبة لتوما الأكويني)، رَفَعه البابا نيكولاس الثالث إلى مرتبة (كاردينال بورتو وسانتا روفينا) عام 1278، فانتقل إلى إيطاليا، وتوفي في فيتيربو، للمزيد، ينظر: C. H. Lawrence, The English Church and the Papacy in the Middle Ages, Stroud, 1999, p.118 – 124 ; F. M. Powicke, The Thirteenth Century: 1216 – 1307, Oxford University Press, Oxford, 1962, p.471 – 476.

(4) Marc Morris, Op. Cit., p.128.

(5) Owen Morgan Edwards, Op. Cit., p.177.

(6) Edmund Clifford, The Grentest of …, p.110

لكن العقبة الوحيدة كانت الحاجز المائي الفاصل بين الجزيرة والبر الرئيس مما يصعب نقل المقاتلين إلى الجزيرة، فوفر الملك إدوارد السفن اللازمة بالتعاون مع بحارة موانئ سينك الذين استمروا في خدمة ملكهم رغم انتهاء مدة خدمتهم، فعبر الفي مقاتل خليج كونوي ومضيق ميناي (Menai Strait) بقيادة أوتو دي غرندسون (Otto de Grandson)[1]، وجون دي فيسي (John de Vescy)[2]، واحتلوا الجزيرة بسرعة[3].

شكل سقوط جزيرة إنجلسي نقطة مفصلية وعد تنازلي في تمرد ليولين آب على الملك إدوارد الأول، لانها تجاوزت بعدها الجغرافي إلى خسارة اقتصادية فادحة تمثلت

---

(1) (1238 – 1328): وُلد في لوزان، بإقليم سافوي لأسرة نبيلة، والده بيير دي جراندسون، ووالدته أنييس دي نوشاتيل، له عدد من الإخوة البارزين، بينهم وليام أول بارون لجراندسون، فضلاً عن هنري وجيرار اللذان أصبحا أسقفين، دخل إنگلترا عام 1265، خدم الملك هنري الثالث، ثم التحق ببلاط الأمير إدوارد، شارك في الحملة الصليبية التاسعة إلى عكا (1271–1272)، ونُسب إليهِ أنه أنقذ حياة إدوارد بعد محاولة اغتياله، شارك في حرب ويلز الأولى عام 1277، ثم خدم كقاضٍ في شمال ويلز (1284–1294)، برز في معارك مثل مويل يدون وهارليتش، استُدعي إلى البرلمان عام 1299 كلورد، وشارك في مفاوضات معاهدة باريس عام 1303، عاد إلى سافوي بعد 1307، وكرّس نفسه للعمل الديني، فأسس أديرة، وواصل خدمة التاج حتى 1317. تُوفي في 5 نيسان في إيغل، ودفن في كاتدرائية لوزان، للمزيد، ينظر: J. R. Maddicott, Sir Otto de Grandson c.1238 – 1328 Soldier and Diplomat, Oxford, Oxford University Press, 2004.

(2) (1244 – 1289): وُلد في 18 تموز في قلعة ألنويك بنورثمبرلاند، وهو الابن الأكبر لوليام دي فيسّي وزوجته أغنيس دي فيريس ابنة إيرل ديربي، بعد وفاة والده عام 1253، تولّى الكونت بيير الثاني من سافوي الوصاية عليه، تربى في بلاط هنري الثالث وكان صديقًا مقربًا للأمير إدوارد، تزوج مرتين، أولاهما: من أغنيس دي سالوزو قبل عام 1262 دون أن يرزقا بأبناء، شارك في تمرد سيمون دي مونتفورت ضد الملك، واستُدعي إلى برلمان 1265، لكنه أُصيب وأُسر في معركة إيفيشام، ثم نال العفو واستعاد ولاءه للملك، شارك في الحملة الصليبية مع الأمير إدوارد بين عامي 1271 – 1272، وخدم لاحقًا في الحملات على إسكتلندا وجزيرة مان، عُيّن حاكمًا لقلعة سكاربورو ومبعوثًا دبلوماسيًا في عدة مفاوضات، تزوج مجدداً من إيزابيلا دي بومونت في 1279، أُرسل في 1288 رهينة إلى بلاط أراغون ضمن تسوية سياسية، توفي في مونبلييه في غاسكوني في 10 شباط ، ودُفن في دير ألنويك، للمزيد، ينظر: Ivor John Sanders, English Baronies: A Study of their Origin and Descent 1086 – 1327, Oxford: Clarendon Press, 1960, p.103.

(3) Owen Morgan Edwards, Op. Cit., p.177.

بفقدان ليولين أهم مصدر اقتصادي لتمرده، وحرمت قواته من حبوب إنجلسي الوفيرة، التي رفدته سابقاً حتى سميت الجزيرة صومعة ليولين، كما أنها وفرت الطعام الكافي لقوات الملك إدوارد الأول بعد ارساله ثلاثمائة وستين رجلاً لحصاد الذرة، فأظهر الملك إدوارد الأول فهماً عميقاً للديناميكيات اللوجستية في الحروب العصر – وسطوية، وقدرة فريدة على استخدام أساليب عسكرية غير تقليدية تجاوزت الاشتباكات العسكرية المباشرة، من خلال قطعه خطوط الإمداد الغذائي عن خصمه لإضعافه بشكل غير مباشر[1]، وهكذا افتقدت قوات ليولين آب الوسيلة الوحيدة للبقاء على قيد الحياة في فصل الشتاء المقبل[2]، مما انعكس على أسم الحملة الملكية التي نعتت بحصار سنودونيا، في إشارة إلى قطع الامدادات عن ليولين آب وقواته[3].

أدرك ليولين آب صعوبة وضعه العسكري والتمويني، فأعلن استسلامه في 11 أيلول 1277[4], تزامناً مع أنهيار عسكري غير مسبوق لقوات ليولين آب التي تقلص عددها إلى الف وستمائة مقاتل فقط في منتصف أيلول 1277، فاقتنص الملك إدوارد الأول تلك الفرصة الثمينة لتشييد مزيد من القلاع الملكية في ويلز، فبنى قلعة جديدة في رهودلان, وفي 20 أيلول بعث الملك خطاباً إلى أخيه ادموند كراوتشباك أخبره فيها أن التمرد انتهى, فسرح ادموند جيشه وعاد إلى إنگلترا، تاركاً قوة صغيرة للاستمرار في بناء قلعة أبيريستويث, وعادت سفن موانئ سينك في نهاية أيلول إلى مراسيها[5].

شرع ليولين آب مطلع تشرين الثاني 1277 بمفاوضات في كونوي شمال ويلز مع الملك إدوارد الأول، وفي التاسع من ذلك الشهر أبرم معاهدة كونوي (Treaty of Conway) المذلة بحضور الملك إدوارد الأول[6] التي تضمنت: وضع ليولين آب تحت رحمة الملك[7]، واطلاقه سراح جميع أسراه[8]، ودفعه أربعة الأف مارك[9]، وتنازله

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.129
(2) E. Alfred Jones, Op. Cit., p.18.
(3) Henry Melville Gwatkin, Church and State in England to the death of Queen Anne, Longmans Green and Co, London, 1917, p.86.
(4) Owen Morgan Edwards, Op. Cit., p.178.
(5) John E. Morris, The Welsh Wars of Edward I …, p.120.
(6) Owen Morgan Edwards, Op. Cit., p.178.
(7) Huw Pryce, Op. Cit., p.589.
(8) J. Vyrnwy Morgan, A Study in Nationality…, p.184.
(9) Hume and Smollett, The History of England, Vol. I, London, 1800, p.178.

عن أراضي كانتريفس الأربعة للملك إدوارد, مع احتفاظ مستأجريه بأراضيهم وفق الشروط التي تعاقدوا عليها سابقاً، وأعلن الملك إدوارد الأول منحه إقطاعية لايون Lleyn لـ اوين آب غروفود أخو ليولين آب، ومُنح اثنين من أراضي كانتريفس لـ دافيد آب غروفود، هي رهوفونيوج (Rhuvoniog)، روس (Rhos)[1]، مع سيادة إقطاعية على أراضي هوب (Hope)[2].

واستولى التاج الإنكليزي على ما تبقى من أراضي الكانتريفس وهي تيجينغل (Tegeingl) ودوفرين كلود (Duffryn Clwyd) لأهميتها العسكرية والاقتصادية لمؤسسة العرش، ولم يبق الملك إدوارد الأول لـ ليويلين آب غروفود سوى إقليم غوينيد الغربي (Gwynedd Uwch Conwy)، الذي ضم معقله الجبلي الوعر في سنودونيا، وحين طلب ليولين آب غروفود من الملك إدوارد الأول منحه جزيرة أنجلسي الغنية لتدبير أمور ممتلكاته الفقيرة، وافق الملك شريطة أن يدفع ليويلين آب ضريبة سنوية باهظة للتاج الإنكليزي مقابل 1000 مارك سنوياً، وعودة الجزيرة إلى السيادة الإنكليزية إذا توفي ليولين آب دون وريث شرعي[3]، والزام جميع اتباع ليولين وباروناته بإعلان ولائهم إلى الملك إدوارد الأول عدا خمسة مِنْ لوردات سندونيا الذين يدينون بالولاء ليولين آب فقط[4]، والبت في النزاعات الإقطاعية بين ليولين أب وبارونات ويلز وفقا لقانون المارجيز (The Law of Marches) المتعلق بتسوية نزاعات الاراضي الحدودية، وضرورة تجديد ليولين آب قسم الولاء للملك إدوارد سنوياً، مع احتجاز عشرين رهينة من نبلاء ويلز المقربين من ليولين آب لضمان التزامه ببنود المعاهدة[5]، وكنوع من الترضية الرمزية لـ ليولين آب سمح له الملك إدوارد الأول بالاحتفاظ بلقب أمير ويلز بعد أفراغه من محتواه، واعتراف نبلاء وسط ويلز وجنوبها وشمالها أن سيدهم الشرعي الأعلى هو ملك إنكلترا, وفي اليوم التالي لموافقة ليولين آب على تلك الشروط، غادر ليولين سنودونيا إلى رهودلان، فاستقبله مستشار الملك روبرت بورنيل وإيرل لينكولن في القلعة

(1) Howell T. Evans, Op. Cit., p.97.
(2) John Edward Lloyd, Op. Cit., Vol. II, p.760.
(3) Caradoc of Lhancarvan, The History of Wales. Translated into English by Dr. Powell, London, 1774, p.284.
(4) Owen Morgan Edwards, Op. Cit., p.52.
(5) Huw Pryce, Op. Cit., p.589 – 590.

الملكية الجديدة، فوضع ليولين آب نفسه تحت رحمة سيده الأعلى ملك إنگلترا, وفي 20 تشرين الثّاني عام 1277 تَركَ الملكَ إدوارد ويلز وعادَ إلى إنگلترا[1].

ولم تنته سلسلة إذلال ليولين آب واتباعه إلى ذلك الحد، بعد أن أمره الملك إدوارد الأول بموافاته إلى لندن، فاتجه ليولين آب ونبلائه إليها لقضاء اعياد الميلاد فيها، وكرّر لويلين آب قسم الولاءِ للملك إدوارد الأول في برلمان وستمنستر، ووعد ان يكون مطيعاً له, لكن ذلك لم يحل دون تعرض ليولين آب والزعماء الويلزيين إلى الاهانة مِن الحشودِ التي حضرت جلسة البرلمان[2].

ويحسب للملك إدوارد الأول دأبه على متابعة شؤون ويلز بنفسه، والتركيز على جعل معاهدة كونوي أساساً لتسوية سلمية دائمة تضمن خضوع ويلز لمؤسسة العرش الإنگليزي، واتخاذ القلاع الملكية في رهودلان وفلينت وأبيريستويث، قاعدة للحفاظ على السيادة الإنگليزية في ويلز[3].

وعين الملك في 10 كانون الثاني 1278 لجنة قانونية من سبعة اشخاص[4] سميت لجنة هوبتن (Hopton Commission) لسماع الدعاوى والمناشدات والإلتماسات في ويلز لتسويتها وفق عادات ويلز وتقاليدها ضمن اشراف الملك إدوارد وسلطته القضائيةَ[5]، وفيما تقدم مؤشر على نفس ملكي طويل لكسب مواطني ويلز، وتجنب إدخال القانون الإنگليزي بشكل سريع في مناطقهم, وإنگلزة ويلز بوسائل أخرى, منها: توطين الإنگليز في قلاع الملك الجديدة في فلينت ورهودلان وأبيريستويث وبعض الاراضي المحيطة بها، ليكونوا نقاط شروع في تغيير المجتمع الويلزي، وليقين الملك أن الويلزيين سيقاومون الاستيطان الإنگليزي لبلادهم احاط قلاعه الجديدة بحواجزِ وخنادقِ، وأمر المستوطنين بتقديم خدماتهم وبيع محاصيلهم لحاميات القلاع[6].

وافق الملك إدوارد في نهاية المطاف على زواج ليويلين من إليانور دي مونتفورت، انطلاقًا من قناعته أن "**ويلز خضعت له تماماً**"[7]، فاستدعى ليويلين آب إلى

---

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.130.
(2) Owen Morgan Edwards, Op. Cit., p.180.
(3) Marc Morris, Op. Cit., p.130.
(4) James Conway Davies, Felony in Edwardian Wales, The Honourable Society of Cymmrodorion, London,1918, p.151.
(5) Ibid, p.151 – 152.
(6) Marc Morris, Op. Cit., p.134.
(7) Gale Pedrick, Borough Seals of the Gothic Period, J. M. Dent & Co, London, 1904, p.48.

إنگلترا وأقام له حفل الزفاف في وُوستر (Worcester)، واتخذت مراسم الزفاف أبعادًا رمزية عكست حرص الملك إدوارد على توظيف ذلك الحدث لخدمة رؤيته السياسية وترسيخ سلطته، فقد تم اختيار الزفاف داخل كاتدرائية إنگليزية، في دلالة ضمنية على خضوع الأمير الويلزي للإطار الديني والاجتماعي الإنگليزي، كما أن في اختيار ادواد الأول عيد الملك إدوارد المعترف، قدّيس الحكم الملكي الإنگليزي الذي وافق 13 تشرين الأول 1278، موعداً لإقامة الزفاف هي إشارة اضافية لربط مناسبة زواج ليولين آب بالشرعية الملكية الإنگليزية والموروث المقدس لسلطة مؤسساتها[1].

ورغم توتر علاقة الملك إدوارد الأول بأسرة دي مونتفورت بسبب جرائم سيمون دي مونتفورت من وجهة نظر التاج لكن الملك إدوارد الأول لم يتردد في إظهار سخاءه الملكي، لاسيما أن إليانور دي مونتفورت رغم جميع جرائم والدها هي ابنة عمته كونتيسة ليستر اليانور (Eleanor of England, Countess of Leicester)[2]، لذا أقام لها زفاف ملكي حضره جمع كبير من الشخصيات الأرستقراطية، وتولى إيرل لانكستر إدموند كراوتشباك بنفسه "**استقبالها عند باب الكنيسة**"[3]، وأبدى إدوارد الأول كرمه الملكي حين "**دفع بنفسه ثمن وليمة الزفاف**"[4].

تبنى المسؤولون الملكيون النظم الإدارية الإنگليزية في تقسيم مقاطعات ويلز، وعينوا قضاة طبقوا القوانين الإنگليزية بحذافيرها، في تجاهل تام للقوانين والعادات الويلزية، واستغلوا صلاحياتهم القضائية لسحق الناس واضطهادهم، مما أدى إلى شعور

---

(1) James Rowley, Rise of the People and growth of Parliament 1215 – 1485, Adam Miller & Co, Toronto,1877, p.25.

(2) (1215 –1275): ولدت في 30 آذار في غلوستر، أبوها الملك جون وأمها ايزابيلا انجوليم، وشقيقها هنري الثالث ملك إنگلترا. تزوجت أولاً وليام مارشال الأصغر في 23 نيسان 1224، وهي بعمر تسع سنوات، ثم توفي زوجها في 6 نيسان 1231 دون أن يُرزقا بأطفال، أقسمت يمين العفة أمام رئيس أساقفة كانتربري، لكنها تزوجت سرًا من سيمون دي مونتفورت في 7 كانون الثاني 1238 رغم تحفظات أخيها هنري الثالث بسبب قسمها السابق، فسافر زوجها إلى روما ليحصل على موافقة البابا على الزواج، وأنجبت منه سبعة أطفال، وبعد مقتل زوجها نفيت إلى فرنسا، وأصبحت راهبة في دير مونتارجي حتى وفاتها في 13 نيسان، للمزيد، ينظر: M. K. Lawson, Eleanor of England, Countess of Leicester 1215 – 1275, Oxford, Oxford University Press, 2003.

(3) Marc Morris, Op. Cit., p.134 – 135.

(4) Owen Rhoscomyl, Op. Cit., p.194.

الويلزيين أن نظمهم القانونية والعرفية دُمرت لصالح منظومة غريبة مفروضة بنزعة عسكرية ذات طابع قانوني إداري ممنهج، انتهى إلى أثارة امتعاض الويلزيين وسخطهم[1]، وزاد الأمر سوءاً بعد تفشي المظالم في جميع انحاء ويلز، وانتشار قلاع الإنگليز الجديدة شاهقة الارتفاع، فضلاً عن الموظفين الإنگليز في ويلز الذين كانوا متعصبين هدفهم الاستيلاء والسيطرة على الاراضي والممتلكات بما يتناغم مع مفاهيمهم الخاصة، وتعريض السكان إلى ضروب من الاضطهاد والإهانات شخصية[2].

وأكمل اللوردات الإنگليز حلقة الضغط السابقة حين اعتدوا على جيرانهم الويلزيين في المناطق الحدودية دون رادع، فعانى الويلزيون في جميع أنحاء ويلز من تلك الهيمنة التي لم يألفوها سابقاً، بضمنهم اللوردات الويلزيين الذين ذاقوا ضروباً من الإذلال على يد نظراؤهم الإنگليز، ومع أن الويلزيين عانوا سابقاً بعض المتاعب بسبب حكم ليولين آب، لكن قيودة كانت أهون بكثير من تعنت الموظفين الإنگليز وظلمهم، بالشكل الذي جعل نظام ليولين آب المحلي أكثر قبولاً في نظر الويلزيين من النظام المعقد الذي جلبته البيروقراطية الإنگليزية من استعلاء وإهانة واحتقار لهوية السكان، فترسخ في ذاكرة الويلزيين الجمعية هاجس الخوف من الخضوع الدائم لما عدوه استعباداً ملكياً إنگليزياً، سحقَ الثوابت الثقافية والعرقية والقانونية والسياسية الويلزية بإسم القانون[3].

ويؤخذ على الملك إدوارد الأول ازدواجية خطابه السياسية حول ويلز مع سياسته الفعلية فيها، فمع أن خطابه الرسمي اتسم بالتحفظ ورفض استفزاز الويلزيين وأميرهم، لكنه على مستوى التطبيق اليومي تغاضى عن الممارسات اللانسانية للموظفين الإنگليز مع الويلزيين، وبرزت النظرة الاستعلائية الإنگليزية في تأكيد الملك إدوارد الأول ونبلاؤه ومسؤوليه تفوق العرق الإنگليزي على نظيره الويلزي، وهي أمور أدت بمجملها إلى تأليب الويلزيين على مؤسسة العرش الإنگليزي، فاستثمر ليولين آب تلك الفجوة بين بني جلدته والإنگليز للشروع في محاولة للتمرد على التاج الإنگليزي، واتخذ من مدينة اروبستلي

(1) John Edward Lloyd, Op. Cit., Vol. II, p.761.
(2) Edward S. Creasy, Op. Cit., p.386.
(3) George T. O. Bridgeman, History of Princes of South Wales, Thomas Birch 32 Millgate, Wigan, 1876, p.158 – 164.

(Arwystli) ذريعة للبدء في مخططه[1]، ومارس ضغطاً سياسياً مستمراً على الملك إدوارد الأول لإشعاره بقوة نفوذه في ويلز، فأرسل ليولين آب خطاباً إلى الملك إدوارد في 6 تموز 1280 طالبه فيها بالحصول على تلك المدينة الواقعة على ضفاف نهر سيفرن وسط ويلز، مدعياً أنها ملك لإسلافه منذ القدم، وهي من حقه وفقاً لإعراف ويلز وقوانينها[2].

وكرر ليولين آب طلبه في خريف 1281، فنفذ صبر الملك إدوارد الأول، وقرر التشدد معه بدل المرونة، فاستبدل في 3 كانون الأول 1281 قاضي المحكمة العليا في تشيستر بنبيل متشدد يدعى ريجنالد دي غراي (Reginald de Grey, 1st Baron Grey of Wilton)[3]، لإحكام القبضة الإنكليزية المباشرة على شمال شرق ويلز، وهو مؤشر واضح على تحوّل الملك إدوارد من سياسة الاحتواء الضمني إلى الإخضاع المباشر، تمهيدًا للصدام الحتمي بين الطرفين[4].

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.144.

(2) Huw Pryce, Op. Cit., p.609.

(3) (1240 –1308): قائد عسكري إنكليزي من أصول نورمانية عريقة. وُلد في شيرلاند بمقاطعة ديربي، وهو ابن السير جون دي غراي وإيما دي كاز. حاز بارونية ويلتون قبل عام 1252 إثر زواجه من وريثتها مود فيتزهوغ، عُيّن قائداً لقلعة نورثهامبتون عام 1267، ثم قاضياً لتشيستر عام 1270، وشريفاً لمقاطعة شيشاير حتى عام 1274، أثبت كفاءة عسكرية كأحد أبرز قادة الحملات الملكية على ويلز عامي 1277 و1282، أُعيد تعيينه قاضياً لتشيستر عام 1281 لإدارة جبهة الشمال، فكافأه الملك بمنحه إقطاعات ويلزية، استُدعي للبرلمان بصفته بارون دي ويلتون في 24 حزيران 1295، شارك في معركة فالكيرك ضد الإسكتلنديين عام 1298م. توفي في 5 نيسان، وآل إرثه ولقبه لابنه الوحيد جون دي غراي، للمزيد، ينظر: Oxford Dictionary of National Biography, Reginald de Grey, 1st Baron Grey de Wilton c. 1240 – 1308, Oxford, Oxford University Press, 2004.

(4) Edward S. Creasy, Op. Cit., p.384.

المبحث الثالث

تجدد التمرد الويلزي على ملك إنكلترا في 21 آذار 1282، ووقائع الاجتياح الإنكليزي لـ ويلز حتى مقتل ليولين آب في 11 كانون الأول 1282

لم يكن ليولين آب البادئ بالتمرد على ملك إنكلترا، مع أنه تعرض إلى تأثير كبير بسبب التغييرات الإدارية والقانونية التي أجراها الملك إدوارد في ويلز عقب اخماده تمردها السابق، بعكس أخيه دافيد آب، الذي كان من النخب الويلزية التي تأثرت بشدة، لأنه كان إزاء واقع سياسي وضعه على تماس دائم مع أدوات الحكم الإنكليزي الضاغطة، دون أن يحصل على ما يوازي طموحه من سلطة أو مكانة، ورغم منحه أراضي شاسعة من الملك إدوارد كما بينا، لكنه عدها ضئيلة قياسًا بحجم خدمته للإنكليز، كما أنه أراد استقلالاً إدارياً شبه تام فيها، لكنه تلقاها كمنحة إقطاعية جعلته تحت رحمة موظفي التاج الإنكليزي، وتمثل السبب الأخر من سخطه في حرمانه من حصته الشرعية من الميراث السلالي المقررة وفقاً للقانون الويلزي التقليدي العريق المعروف بـ "**قانون هويل**" (Hywel Dda)، القاضي بتجزئة الأرض وتقسيم إيراداتها مناصفة بين الأخوة، وهي الحصة التي انتزعها منه ليويلين سابقاً، وثبتها الملك إدوارد الأول قسراً في معاهدة أبيركونوي حين اقتطع جزءاً مما عدّه دافيد آب غروفود من ميراثه، واعترف بليولين آب غروفود أميراً على جوينيد العليا متجاهلاً تطلعات دافيد آب فيها، فأحس الأخير أن ما فعله الملك إدوارد حرمه من استحقاق شخصي وسياسي، فتولّد لديه إحساسٌ عميقٌ بالخذلان[1].

وتفاقم ذلك الشعور حين وجد دافيد آب نفسه دون شقيقه ليويلين آب في خضم التعاطي اليومي مع النظام الإنكليزي[2]، لا سيما مع قاضي المحكمة العليا في تشيستر، الذي أوكلت إليهِ مسؤولية إدارة ويلز، فوجه تهماً كثيرة لـ دافيد آب، الذي بعث خطاباً إلى

(1) J. S. Hamilton, The Plantagenets History of A Dynasty, British Library Cataloguing in Publication Data, London, 2010, p.68.
(2) Caradoc of Lhancarvan, Op. Cit., p.286

رئيس أساقفة كانتربري جون بيكهام (Archbishop of Canterbury, John Peckham)[1]، أعرب فيه عن استيائه من استدعائه المتكرر إلى المحكمة الملكية في تشيستر بتهم مفتعلة، كإيواء الهاربين، واستيلائه غير الشرعي على بعض أراضي ويلز[2]، وأوضح دافيد في خطابه أن التجاوزات الإنكليزية تعدت الإهانات المعنوية إلى الإعدام غير المشروع لبعض أتباعه بأوامر قضائية ناقضت الأعراف الويلزية، واقتران ذلك باعتداءات مادية طالت ممتلكاته، كقطع بعض مسؤولي الملك الأشجار التابعة له وبيعها دون موافقته، والثابت أن ما حصل لـ دافيد آب كشف عن مفارقة لافتة، فبدلاً من منح الحماية والامتيازات لـ دافيد آب وسواه من النبلاء المتعاونين مع إنكلترا فُرضت عليهم اعباء ثقيلة لإذلالهم، وهو ما تعرض له اللورد الويلزي رايس وايندود (Rhys Wyndod)[3] حين قتل الإنكليز ستة من مساعديه دون مبرر[4]، ثم سلبوا حقوق أبناء

---

(1) (1230 –1292): عالم لاهوت فرنسيسكاني ورجل دولة إنكليزي بارز، تولى رئاسة أساقفة كانتربري منذ عام 1279 حتى وفاته، أدى دوراً سياسياً ودينياً محورياً عام 1284 في تنظيم شؤون ويلز عقب الغزو العسكري، فقاد زيارات تفتيشية كنسية لإخضاع الأبرشيات الويلزية لسلطة كانتربري، وعَمِل بالتنسيق مع إدوارد الأول على دمج الكنيسة المحلية ضمن الإدارة الإنكليزية المفروضة بموجب قانون رودلان، التي ألغت السيادة الويلزية التقليدية وحوّلت البلاد إلى مقاطعات تُدار بالقانون العرفي الإنكليزي وموظفي التاج، مستغلاً النفوذ الروحي لإحلال الاستقرار وتوطيد شرعية هذا النظام السياسي والقانوني الوليد، للمزيد، ينظر: D. L. Douie, Archbishop John Pecham, Clarendon Press, Oxford, 1952, p.235 – 242 ; Glanmor Williams, The Welsh Church from Conquest to Reformation, University of Wales Press, Cardiff, 1976, p.19 – 24.

(2) Marc Morris, Op. Cit., p.145.

(3) (1250 –1302): نبيل ويلزي من سلالة ملوك ديهيبارث في جنوب ويلز، وهو الابن الأكبر والوارث لـ رايس ميريديث، شارك في الصراعات السياسية والعسكرية المعقدة التي واكبت الفتح الإنكليزي لويلز، فبينما كان والده موالياً للتاج الإنكليزي مدة طويلة، كان "رايس وايندود" يتحرك ضمن دائرة النفوذ الويلزي المحلي في منطقة "إيستراد تيووي". بعد سقوط استقلال ويلز النهائي ومقتل لويلين آبا جروفيد عام 1282، فقدَ نفوذه السياسي تدريجياً نتيجة السياسات الإدارية الصارمة للملك إدوارد الأول في المناطق الحدودية، وقضى سنواته الأخيرة كأحد الأعيان المحليين الخاضعين للإدارة الإنكليزية الجديدة، للمزيد، ينظر: David Walker, Op. Cit., p.142 – 146 ; R. R. Davies, The Age of Conquest: Wales 1063–1415, Oxford University Press, Oxford, 2000, p.358 – 362 ; Ralph A. Griffiths, The Principality of Wales …, p.15 – 19.

(4) Michael Prestwich, Edward I …, p.218 – 220.

اللورد أوين آب ميريديث (Lord Owen ap Meredith)[1] في ممتلكات أبيهم، وقيدوا حرياتهم، مع أنهم كانوا من اللوردات الويلزيين المحسوبين على إنكلترا[2].

نشأت قناعة مشتركة لدى أولئك اللوردات الويلزيين أن نظام الحكم الإنكليزي القائم لم يكتفِ بحرمانهم من الامتيازات، بل سلبهم هويتهم وقوض مكانتهم القانونية والسياسية والاجتماعية، وأنهى كينونتهم كشعب، فنضجت لديهم فكرة أنهم شعب مقهور، وتدريجياً تطورت تلك الهواجس من مجرد شعور فردي إلى خطاب جمعي له جاذبية نفسية واجتماعية واسعة، غذته تجارب يومية لا متناهية من الظلم والتمييز[3].

فجر دافيد آب ذلك الغضب المتراكم حين قاد في ليلة 21 آذار 1282 هجومًا مباغتًا على قلعة هواردن (Hawarden Castle)، الإنكليزية الواقعة على مسافة خمسة أميال غرب تشيستر، فاقتحم دافيد ورجاله القلعة، وأحرقوها، ثم قتلوا من اعترض طريقهم، وأسروا حاكمها روجر دي كليفورد "الأب" (Roger de Clifford - The Elder)[4]،

---

(1) (1243 –1275): نبيل ويلزي من سلالة لوردات كيدويلي وأحد أعيان ديهيبارث في جنوب ويلز، وهو ابن الأمير ميريديث أب ريس، عاصر حقبة حرجة من الصراع الإقليمي، فواجه ضغوطاً من لوردات الحدود الإنكليز وتوسعاً مستمراً لعائلة دي تشاوورث، تذبذب موقفه السياسي تبعاً لسياسة والده، وتنازل مجبراً عن بعض حقوقه الإقطاعية لصالح التاج الإنكليزي لتأمين حماية أراضيه المتبقية، توفي في خضم التحضيرات لحروب الفتح النهائية دون أن يترك وريثاً مباشراً يستطيع الحفاظ على إرث عائلته في الجنوب، للمزيد، ينظر: R. R. Davies, The Age of Conquest …, p. 224 – 228 ; J. E. Lloyd, A History of Wales: From the Earliest Times to the Edwardian Conquest, Longmans, Green, and Co., London, 1912, Vol. II, p.740 – 746.

(2) George T. O. Bridgeman, Op. Cit., p.158.

(3) J. Vyrnwy Morgan, A Study in Nationality…, p.185.

(4) (1221 – 1285): هو الابن الثاني لوالتر دي كليفورد وسيبيل دي إيويس، وشقيق فير روزاموند، تزوج من هاويس بوتيريل، ثم من كونتيسة لوريتانيا، خدم هنري الثالث ورافقه عام 1259 إلى فرنسا أثناء مفاوضات السلام مع لويس التاسع، ثم أُثيرت شكوك حول ولائه بسبب دعمه شروط أكسفورد، انضم إلى البارونات المتمردين عام 1263، وشارك في نهب المسيرات الويلزية، لكنه عاد إلى ولائه الملكي وساهم في حصار نوتنغهام وأُصيب في معركة لويس عام 1264، برز في معركة إيفشام عام 1265، فكافأه الملك بأراضٍ في ليستر وواروبك، وأعفاه من ديونه، انضم إلى الحملة الصليبية مع الأمير إدوارد عام 1270، وبعد عودته تولى مهام دبلوماسية في فرنسا، وعُيّن قاضيًا لويلز عام 1279، أُصيب بجروح خطيرة وأُسر في قلعة هاواردين أثناء التمرد الويلزي عام 1282. وبعد وفاته صُودرت ممتلكاته بسبب ديونه للتاج،

وعددًا من أفراد عائلته[1]، وامتدت شرارة التمرد من شمال ويلز إلى جنوبها، ما منح الأحداث بعدًا وطنيًا، تجاوز الغضب الشخصي لدافيد وانتقامه من مظالم محددة. ففي 25 آذار من العام نفسه، هاجم اللوردات الجنوبيون، ومنهم: غريفث آب ميريديث آب أوين (Gruffydh ap Meredith ap Owen)[2]، ورايس آب ميلغون (Rhys ap Maelgon)[3]، ورايس وايندود قلاع لياندوفري (Llandovery)، كريج سنين (Carreg Cennen)، وأبيريستويث، ودمروها[4]. وهكذا تحولت تلك الهجمات لـ تمرد ويلزي شامل، توحدت فيها مظالم السنين الخمسة الماضية مع إرادة المقاومة، في مواجهة نظام لم يعد يُحتمل.

للمزيد، ينظر: Oxford Dictionary of National Biography, Roger Clifford, d. 1282, lord of Appleby, Oxford, Oxford University Press, 2004.

(1) Richard Llwyd, The history of Wales, Translated, Powell, John Eddowes Corn Makket, Shrewsbury, 1832, p.255.

(2) (1254 – 1320): نبيل وأمير ويلزي من سلالة ملوك ديهيبارث، كان لورداً على منطقة سيريديجيون في غرب ويلز. تحالف سياسياً وعسكرياً مع الأمير لويلين آب غروفود، وفي خضم تمرد عام 1282، تولى قيادة العمليات العسكرية في وسط ويلز بالاشتراك مع ريس آب ميلغون، فنجحا في شن هجوم صاعق واقتحام قلعة أبيريستويث الإنكليزية وتدمير أسوارها، وبعد مقتل لويلين آب وانكسار المقاومة، اضطر للاستسلام للملك إدوارد الأول، فصودرت أراضيه ونُقل إلى إنكلترا ووُضع تحت الرقابة الملكية كفارس يتلقى مخصصات من التاج حتى وفاته، للمزيد، ينظر: R. R. Davies, The Age of Conquest …, p. 342 – 346 ; J. E. Morris, The Welsh Wars of Edward I, Clarendon Press, Oxford, 1901, p.152 – 155.

(3) (1258 – 1292): نبيل وقائد عسكري ويلزي من الأسرة الحاكمة في جنوب ويلز، وهو حفيد الأمير ميلغون أب رايس (من سلالة اللورد رايس الكبرى). كان من أشد المناهضين للوجود الإنكليزي، فشارك بقوة مع غريفث آب ميريديث في انتفاضة عام 1282م واقتحام القلاع الملكية. تميز برفضه المطلق للمساومة مع التاج، فانخرط لاحقاً في تمرد ريس أب ميريديث بين عامي (1287 – 1288)، وقاد عمليات حرب عصابات استنزفت حاميات الحدود الإنكليزية، وبقي مطارداً في الجبال حتى تمكنت القوات الملكية من القبض عليه، ونُقل إلى بريستول، ثم نُفذ فيه حكم الإعدام سحلاً وشنقاً بتهمة الخيانة العظمى عام 1292، للمزيد، ينظر: Ralph A. Griffiths, The Principality of Wales …, p.25 – 27 ; J. E. Morris, The Welsh Wars of Edward I, Clarendon Press, Oxford, 1901, p.156 – 159.

(4) George T. O. Bridgeman, Op. Cit., p.217.

تصاعد التمرد الويلزي بسرعة لافتة، ففي غضون أيام شن اللوردات الويلزيون الآخرون هجمات مباغتة على المستوطنات الإنكليزية في أوسويستري (Oswestry) على الحدود الشرقية لويلز، والحقيقة إن توسع تلك التحركات وشمولها أماكن مختلفة من ويلز، كشف عن تنسيق سبق التنفيذ بعدة أسابيع، ليغدوا تحركهم ممنهجاً في توقيتاته ومسارته ضد التاج الإنكليزي[1]، وشملت تلك الهجمات فضلاً عن القلاع والمراكز العسكرية الإنكليزية، مهاجمة بيوت الإنكليز وممتلكاتهم في المناطق الويلزية وحرقها، والأنكى مما سبق أن الغضب الكامن في نفوس المتمردين الويلزيين أفضى إلى مجازر مروعة بحق المستوطنين الإنكليز، دون تمييز في الجنس أو العمر[2].

فوجئ الملك إدوارد بأنباء تلك التحركات، فبادر إلى التحرك الفوري، وأصدر أوامر مستعجلة بجمع الجند من مختلف أنحاء إنكلترا وغاسكوني وأيرلندا، وعيّن قاضي المحكمة العليا في تشيستر ريجنالد دي غراي قائدًا لقوات شمال ويلز، وأسند قيادة قوات جنوبها إلى روبرت دي تيبوتوت (Robert de Tibotot)[3]، وفي الوقت ذاته صدرت أوامر ملكية إلى عمدتي لانكشاير وديربي لتجهيز الأسلحة والخيول، ودُعي إيرل هيرفورد همفردي دي بوهان السادس (Humphrey de Bohun, 3rd Earl of Hereford)[4]،

---

(1) Marc Morris, Op.Cit, p.145.

(2) Edward S. Creasy, Op. Cit., p.384.

(3) (1228 – 1298): والده هنري دي تيبتوفت ووالدته الدا دي تيبتوفت، ورث والده عام 1250، عين حاكماً لقلعة بورشيستر عام 1266، وأصبح أحد أعمدة البلاط الملكي بفضل خدمته للملك هنري الثالث ومساعدته للأمير إدوارد، تزوج في 18 تشرين الأول 1269 من ايفا دي تشاوورث، وانجب منها خمسة أبناء، رافق الأمير إدوارد في الحملة الصليبية التاسعة إلى الأراضي المقدسة، وفي عام 1275 تم تعيينه حاكمًا لقلعة نوتنغهام، وفي عام 1280 شغل منصب قاضي جنوب ويلز وحاكم قلعتي كارديجان وكارمارثن، قمع تمرد ريس آب ماريديث عام 1287، واستولى على قلاع نيوكاسل إملين، له مشاركات دبلوماسية وعسكرية في غاسكوني، توفي في 22 أيار في قصره بنيتلستيد، للمزيد، ينظر: Oxford Dictionary of National Biography, Sir Robert de Tibetot, c. 1229 – 1298, Soldier and royal administrator, Oxford, Oxford University Press, 2004.

(4) (1249 – 1298): وُلد في كنف أسرة إنكلو – نورمانية، والده همفري الخامس دي بوهون، ووالدته إليانور دي براوز، التي ورثت أراضٍ شاسعة ضمن أراضي "المارش الويلزية"، مع وفاة جده همفري الرابع دي بوهون عام 1275، ورث إيرليات هيريفورد وإسكس إلى جانب عقارات في ويلتشير وويلز، شارك في حملات 1277، و1282–1283، و1294–1295 ضد

وإيرل غلوستر جلبرت دي كلير للاستعداد بجيوشهما، وبوشرت تعبئة عسكرية اضافية بين قوات روجر دي مورتيمر في مونتغمري وقوات البارون بوجو دي كونوفيل (Bogo de Knovill, 1st Baron Knovill)[1]، في شروبشاير (Shropshire)، وإدراكًا لخطورة التمرد، دعا الملك إلى اجتماع عاجل في ديفايزيس (Devizes) جنوب غرب إنگلترا في 5 نيسان، لمناقشة التدابير الملكية المناسبة لوأد ذلك التمرد[2].

اتخذ الملك إدوارد في ذلك الاجتماع قرارًا حاسمًا بتنظيم القيادة العسكرية في جنوب ويلز، فعين إيرل غلوستر جيلبرت دي كلير قائدًا للقوات هناك، بعد رفضه العمل تحت إمرة روبرت دي تيبوتوت، وإصراره على تولي القيادة بنفسه[3]، وفي اليوم التالي استُدعيت قوى جديدة للتحشد في منتصف أيار في مدينة ووستر، وانطلقت مجموعة من الفرسان الملكيين في 7 نيسان 1282 لدعم ضواحي رهودلان، وتم إصدار الأوامر لتأمين التموين العسكري اللازم، فطُلب الطعام والمؤن من مقاطعات إسيكس (Essex)،

الويلزيين، وخاض صراعات في المارش ضد إيرل غلوستر جيلبرت دي كلير اقتضت تدخل إدوارد الأول شخصيًا، تزوج عام 1275 مود ابنة إنغويراند دي فينيس، وأنجب منها ابنه همفري دي بوهون السابع، تحالف مع إيرل نورفولك روجر بيغود في أزمة 1297 ضد التجنيد القسري والضرائب المفروضة دون استشارة البرلمان، لكنه خاض معركة فالكيرك ضد الإسكتلنديين سنة 1298، توفي في قلعة بليشي بمقاطعة إسكس في 31 كانون الأول، ودُفن في دير والدن، للمزيد، ينظر: G. L. Harriss, Bohun, Humphrey (VI) de, third earl of Hereford and third earl of Essex (c. 1249–1298), Oxford Dictionary of National Biography (ODNB), Oxford University Press.

(1) (1245 – 1307): أباه النبيل بوغو دي كنوفيل، برز كأحد النبلاء ذوي النفوذ أواخر عهد الملك إدوارد الأول، تولّى مناصب، منها: قاضي في غرب ويلز، وشريف شروبشاير وستافوردشاير، شارك في الحملات العسكرية ضد ويلز وإسكتلندا، وهو أحد الموقعين على رسالة البارونات عام 1301 إلى البابا بونيفاس الثامن، التي هدفت إلى الدفاع عن سيادة الملك الإنگليزي على إسكتلندا، مما يشير إلى مكانته الرفيعة بين الطبقة الأرستقراطية الإنگليزية، تزوّج مرتين، الأولى من امرأة تُدعى جوان، غير معروفة النسب، ورُزقا بثلاثة أبناء، هم: بوغو دي كنوفيل، إليزابيث ومارگريت، ثم تزوج أليانور ابنة وليام دي بلانكمينستر، توفي بعد حياة حافلة بالخدمة العسكرية والإدارية في إنگلترا وويلز وإسكتلندا، وخلفه ابنه في لقبه، للمزيد، ينظر: Oxford Dictionary of National Biography, Bogo de Knovill, first Baron Knovill (d. 1307), Oxford, Oxford University Press, 2004.

(2) Owen Morgan Edwards, Op. Cit., p.183 – 184.

(3) John E. Morris, The Welsh Wars of Edward I …, p.155.

وساري (Surrey)، وكنت (Kent)، وهامبشاير (Hampshire)، فضلاً عن حشد ثلاثمائة وخمسة واربعون نجارًا وأكثر من آلف حفّارٍ من ثمانية وعشرين مقاطعة إنگليزية[1].

وتوسعت الاستعدادات العسكرية لتشمل الأساطيل، فأُمر الملك إدوارد الأول رجال موانئ سينك بتجهيز سفنهم تحسبًا لاحتياجات النقل البحري، وتجاوزت التحركات حدود إنگلترا، حين استدان الملك إدوارد اثني عشر الف مارك من شركات تجارية إيطالية، وأوفد إيرل وارويك وليام دي بوشامب إلى فرنسا لشراء الخيول، وأرسل ممثلين عنه إلى غاسكوني للحصول على المؤن، وفيها جهّز مساعده جان دي جريلي (Jean de Greilly) اثني عشر فارسًا وأربعين رامياً من المشاة، تمركزوا بسرعة على الحدود مع ويلز[2]، وبنفس الوتيرة المتسارعة، نُظّمت ترتيبات تفصيلية للحصول على الإمدادات، فصدرت في 10 نيسان 1282 تعليمات إلى حراس أسقفية ونشستر (Diocese of Winchester)، ومنهم وليام دي سانت كلير (William de St Clair)[3]، ووليام دي هاميلتون (William de Hamilton)[4]، لتوفير مؤن مختلفة تُسلّم إلى تشيستر بحلول 8 تموز 1282، وعلى صعيد تموين القوات البحرية، تسلم توماس بورشاز (Thomas

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.146.

(2) Charles Oman, England in the Later Middle Ages, Vol. III., London, 1913, p.25.

(3) (1240 – 1296): بارون ونبيل إسكتلندي – إنگليزي من عائلة سينكلير، حاز لوردية روسلي، عُيّن في عهد إدوارد الأول قاضياً وشريفاً لمنطقة إدنبرة ومسؤولاً عن القلاع الملكية هناك. قاد العمليات العسكرية لموازنة النفوذ الإنگليزي في إسكتلندا، وقاتل في معركة دنبار عام 1296 حيث وقع في الأسر واقتيد إلى قلعة لندن وتوفي فيها في العام نفسه، للمزيد، ينظر: Michael Prestwich, Edward I …, p.472 – 475 ; G. W. S. Barrow, Robert Bruce and the Community of the Realm of Scotland, Edinburgh University Press, Edinburgh, 2005, p.98 – 103.

(4) (1245 – 1307): رجل دولة ودين إنگليزي بارز، تدرج في الوظائف الإدارية الملكية حتى أصبح كبير كتّاب المستشارية، عيَّنه الملك إدوارد الأول مستشاراً للمملكة عام 1305، وظل في منصبه حتى وفاته. عُرِف بكفاءته القانونية في تنظيم الوثائق الملكية وإدارة الشؤون القضائية أثناء حملات الملك، للمزيد، ينظر: T. F. Tout, Chapters in the Administrative History of Mediaeval England, Manchester University Press, Manchester, 1920, Vol. II, p.142 – 147 ; Fasti Ecclesiae Anglicanae 1300 – 1541, Institute of Historical Research, London, 1962, Vol. VI, p.8 – 12.

(Purchaz[1]) أربعمائة ربع من القمح ومائتا ربع من الشوفان، وحصل جون دي سولدن أوف أور (John de Soldon of Ore)[2]، على مائتا ربع من الشعير واربعمائة ربع من الشوفان، واستلم روجر بالنر (Roger Balner)[3] من ساوثهامبتون حتى 15 حزيران ستون ربعًا من القمح ومؤنًا أخرى، مما دل على أن عملية جمع المؤن تطلبت شهرين، فضلاً عن ثلاثة أسابيع للإبحار من الساحل الجنوبي لإنكلترا إلى تشيستر[4].

وسع الملك إدوارد الأول في 14 نيسان دائرة توريده، حين زود مبعوثه إلى أيرلندا نيكولاس دي كاريفيل (Nicholas de Carevil)[5] بخطابات إلى أسقف وترفورد

---

(1) (1250 – 1294): موظف ملكي وحاجب عسكري وجابي ضرائب إنكليزي. عَمِل كمسؤول تنفيذي ميداني لصالح التاج الإنكليزي في مناطق الغابات الملكية ولوردات الحدود، وشارك في تنظيم الإمدادات اللوجستية وتأمين المؤن والعتاد لجيوش الملك إدوارد الأول أثناء حملات الفتح الإنكليزي لويلز وإسكتلندا، وتذكر السجلات الرسمية اسمه في قوائم صرف الأجور والتعويضات عن خسائر الخيول، للمزيد، ينظر: J. E. Morris, The Welsh Wars of Edward I, Clarendon Press, Oxford, 1901, p.92 – 96.

(2) (1248 – 1289): فارس وإداري محلي إنكليزي من منطقة أوري في ساسكس، عَمِل في مصلحة الحماية العسكرية والدفاع عن الشواطئ الجنوبية، واستُدعي مراراً من لدن الملك إدوارد الأول للمشاركة العسكرية المباشرة في الحروب الويلزية كفارس إقطاعي، وشغل مناصب لجان التحقيق القضائية المحلية في جنوب إنكلترا، للمزيد، ينظر: Book of Fees (Testa de Nevill), H.M. Stationery Office, London, 1920, Part I, p.580 – 584.

(3) (1252 – 1287): مهندس ومصمم آلات حصار عسكرية عَمِل في خدمة الملك إدوارد الأول. برز دوره الميداني في تصنيع وصيانة المجانيق والآلات القاذفة الضخمة المستخدمة في دك حصون ويلز الشمالية مثل قلعتي كونوي وكرنارفون، ويُعد من الكوادر الفنية الدقيقة التي اعتمد عليها التاج في كسر التحصينات الجبلية للويلزيين، للمزيد، ينظر: J. E. Morris, The Welsh Wars of Edward I, Clarendon Press, Oxford, 1901, p.140 – 144 ; R. Allen Brown, Castles, History and Development, Boydell Press, Woodbridge, 2004, p.112 – 116.

(4) Ralph Anthony Kaner, The Management of the Mobilization of English Armies Edward I to Edward III, PH. D. University of York, 1999, p.28.

(5) (1250 – 1298): فارس إقطاعي وضابط إداري عسكري ينتمي لعائلة كاريفيل في نورثامبتون وسومرست. شارك تحت راية دوق لانكستر والملك إدوارد الأول في الحملات العسكرية ضد ويلز وإسكتلندا، وتولى مهام الإشراف على جمع وتعبئة المقاتلين وحراسة قوافل التموين المتجهة إلى الجبهات الشمالية، للمزيد، ينظر: Parliamentary Writs and Writs of Military Summons, Record Commission, London, 1827, Vol. I, p.280 – 285.

ستيفن دي فولبورن (Stephen de Fulbourn)[1]، وقاضي المحكمة العليا الأيرلندية روبرت دي باجود (Robert de Bagod, Chief Justice of the Irish Common Pleas)[2]، لتوفير الفي ربع من القمح، ومثلها من الشوفان، واربعمائة ربع من البازلاء والفاصولياء، وخمسمائة ربع من الشعير، وستمائة برميل من النبيذ، إلى جانب السمك، والجبن، واللحوم[3]، وفي الوقت ذاته، أوفد الملك احد كتبة بلاطه المدعو إلياس تولوسان (Elias Tolosan)، إلى بونثيو (Ponthieu) لشراء الفي ربع من القمح والشوفان، وثلاثمائة ربع من البازلاء والفاصولياء، فضلًا عن اللحوم والجبن، على أن تكون الإمدادات جاهزة بحلول 9 حزيران 1282[4].

وأصدر الملك أوامره لخمسة من عُمّد مقاطعات جنوب شرق إنگلترا، من إسيكس حتى هامبشاير، وعين المسؤول الملكي جون دي ميدنستون (John de Maidenstone)[5]، للاشراف على جمع المؤن، واستنادً لذلك وفرت كل مقاطعة موظفاً

---

(1) (1240 – 1288): رجل دين وسياسي إنگليزي – أيرلندي ينتمي لنظام الفرسان الصليبيين، عُيّن أسقفاً لمدينة وترفورد الأيرلندية عام 1274، ثم رُقّي ليصبح رئيساً لأساقفة توام عام 1286، أدى دوراً سياسياً وإدارياً محورياً في أيرلندا لحساب الملك إدوارد الأول؛ حيث تولى منصب أمين خزانة أيرلندا وجاستشير (قاضي القضاة والحاكم العام لأيرلندا)، للمزيد، ينظر: H. G. Richardson and G. O. Sayles, The Administration of Ireland, 1172 – 1377, Irish Manuscripts Commission, Dublin, 1963, p.78 – 83 ; Aubrey Gwynn and R. Neville Hadcock, Medieval Religious Houses: Ireland, Longman, London, 1970, p.192 – 196.

(2) (1235 – 1298): قاضٍ ورجل قانون إنگليزي بارز. عيَّنه الملك إدوارد الأول عام 1274 كأول رئيس لقضاة محكمة الدعاوى العمومية في دبلن، أسس النظام القضائي للمحكمة العليا هناك وأشرف على تطبيق القانون العرفي الإنگليزي في المقاطعات الخاضعة للتاج في أيرلندا، للمزيد، ينظر: F. Elrington Ball, The Judges in Ireland, 1221 – 1921, John Murray, London, 1926, Vol. I, p.20 – 25 ; H. G. Richardson and G. O. Sayles, Op. Cit., p.145 – 150.

(3) Ralph Anthony Kaner, Op. Cit., p.28.

(4) John E. Morris, The Welsh Wars of Edward I …, p.155.

(5) (1245 – 1292): رجل دين وإداري ملكي رفيع المستوى، عَمِل مديراً ومستشاراً قانونياً في مكتب خزانة الملك، تولى منصب عميد كنيسة شستر وتولى إدارة الشؤون المالية واللوجستية لحملات الفتح الإنگليزي في ويلز، وجمع العائدات المالية وحساب نفقات أجور الأطباء والفرسان والعمال، للمزيد، ينظر: T. F. Tout, Chapters in the Administrative History of Mediaeval England, Manchester University Press, Manchester, 1920, Vol. II, p.32 – 37.

للعمل معه، وتم تأمين الف وخمسمائة ربع من القمح، والفي ربع من الشوفان والبازلاء، فضلاً عن الجبن وغيره من المؤن، وتكفل المسؤول الملكي ماثيو دي كولومباريس (Matthew de Columbariis)[1]، ايصالها إلى الجيوش الملكية، ولا شك أن ما تقدم أثبت استجابة ميدانية استثنائية، ووجود تنسيق إداري دقيق، إذْ لم تمر سوى ثلاثة أسابيع منذ الهجوم المفاجئ على هواردن حتى أصبح الجيش الملكي في حالة تعبئة شاملة[2].

وصل الملك إدوارد الأول ووستر في أيار 1282، في لحظة فارقة من الصراع الويلزي – الإنكليزي، وبدا واضحًا منذ بداية الحملة أن استراتيجية الملك شهدت تحولات ملموسة على مستوى التنظيم العسكري وبنية العلاقة بين التاج والنبلاء اثناء سير الفعاليات القتالية، وهو ما تجلى في إلغاء الملك النظام الإقطاعي التقليدي في استدعاء الجنود، وتبنيه نظاماً مبتكراً لاختيار نخبة من ستة من إيرلات واتباعهم، جرى استدعاؤهم وفق صيغة تعاقدية استندت على الأجر، لا الالتزام الإقطاعي[3].

والثابت أن تلك الخطوة عكست رغبة الملك إدوارد في تجاوز الإطار العرفي للواجب العسكري، الذي كان مقيّدًا بمدة أربعين يومًا، وسعيه إلى إعادة تعريف علاقة الولاء الإقطاعي عبر تأسيس مفهوم أكثر نجاعة لما يمكن تسميته بـ الخدمة التعاقدية المرنة، وهو توجه انطوى على رؤية ملكية لإعادة صياغة طبيعة الالتزام العسكري وفق منطق أثر المرونة التعبوية في الفاعلية العسكرية، متجاوزًا قيود النظام الإقطاعي الكلاسيكي[4].

رحب بعض الإيرلات بتلك الرؤية بوصفهم شركاء للملك في ابتكار ذلك النظام العسكري، لكن أغلب البارونات نفروا من ذلك النظام الذي لم يستشاروا فيه، وعدوه مسًّا بالتراتبية التقليدية، وتهديدًا مبطنًا لمكانتهم ضمن منظومة الامتيازات الإقطاعية، وآنفوا من تركيز تلك الرؤية على الارتزاق السياسي، معتبرينه التزاماً شخصياً ضمن علاقة

---

(1) (1242 – 1293): نبيل وفارس ملكي حاز رتبة حاجب التاج، تولى منصب رئيس ديوان غابات التاج (Justiciar of the King's Forests) في جنوب إنكلترا، والمسؤول الملكي الأول عن مشتريات لبلاط الملك إدوارد الأول وتموينه (King's Butler, Buyer of Wines) أشرف على تدبير شؤون الصيد الملكي وإعداد القلاع للمناسبات الكبرى، للمزيد، ينظر: Michael Prestwich, War, Politics and Finance under Edward I, Faber and Faber, London, 1972, p.165 – 170.

(2) Ralph Anthony Kaner, Op. Cit., p.28 – 29.

(3) Marc Morris, Op. Cit., p.146.

(4) Michael Prestwich, Edward I …, p.188.

سلطوية مباشرة مع التاج، لذا مارس إيرلي غلوستر وهيرفورد ضغوطاً على الملك، فتخلى عن ذلك المخطط، وأعاد تفعيل آلية الاستدعاء العرفي التقليدي، فصدرت يومي 20 و 24 أيار 1282 أوامر التعبئة الإقطاعية للزحف نحو رهودلان في الثاني من آب 1282[1].

وكُلِّف إيرل هيرفورد بالإشراف على ضبط القوائم وتنظيم القوات، وغادر إيرل غلوستر جلبرت دي كلير إلى الجنوب للإشراف على العمليات هناك، وتوجه الملك إدوارد إلى تشيستر لتحريك القوات صوب الشمال، وهي أمور دلت على استمرار نظام الجبهة المزدوجة الذي اتبعه الملك في حملة 1277 لتشتيت قوى اعدائه[2]، لكن السياق الميداني تغيّر جوهريًا، إِذْ لم يعد التمرد محصورًا في شخصية امراء ويلز، بل تحول إلى حركة مقاومة جماهيرية تخطت البُنى الإقطاعية ودخلت في إطار ما يمكن تسميته بـ التمرد العرقي الموسع، لقد باتت المواجهة هذه المرة أكثر تعقيدًا من حيث الانتشار الجغرافي، والتماسك الشعبي، والحدة العسكرية، لا سيما في جنوب ويلز، حيث أخذ التمّدن طابعًا متشعبًا متعدد الجبهات[3].

اتجه الملك بجيشه نحو دنبي (Denbigh) شمال شرق ويلز لمقاتلة دافيد أب غريفيد وحلفاؤه الويلزيون، الذين تحصنوا في عدد من قلاع المنطقة، فوصل تشيستر في أوائل حزيران، وأشرف الملك إدوارد من تشيستر على المرحلة الأولى من العمليات، التي تمثلت بإرساله تجهيزات إلى القوات الإنكليزية شمال ويلز، حينها قاد دي غراي حملة هجومية خاطفة قوامها سبعة آلاف جندي مشاة، غالبيتهم من رماة السهام، ثم تحرك بسرعة عملياتية لافتة داخل الأراضي الويلزية. ففي 11 حزيران 1282 أعاد السيطرة على قلعة كاركورل (Caergwrle Castle)، التي سبق أن دمّرها دافيد آب في نيسان 1282، وأعادة إعمارها مباشرةً من خلال تعبئة ألف عامل إنكليزي، ومع نهاية الشهر استعادت القوات الملكية أيضًا قلعتي أيولو (Ewloe Castle) وهواردن، في إطار سياسة استرداد النقاط الاستراتيجية المحورية[4].

(1) Ralph Anthony Kaner, Op. Cit., p.27.
(2) F. G. Brabant, Snowdonia, Methuen & Co. Ltd, London,1920, p.27.
(3) Charles Oman, England in the Later ..., Vol. III., p.25.
(4) Marc Morris, Op. Cit., p.147.

رسم المشهد العسكري في الجنوب صورة مغايرة، بل وصدمة عملياتية مفاجئة للقيادة الملكية، فقد أصرّ إيرل غلوستر جيلبرت دي كلير على قيادة القوات بنفسه، مُظهرًا غروراً ميدانياً نخبوياً لم يأخذ بنظر الاعتبار تعقيد التضاريس وضآلة المعلومات الاستخباراتية، فانطلق في 11 حزيران 1282 من معسكره في دينفور (Dinefwr) على رأس 1600 من المشاة و100 فارس على الأقل، وتمكّن خلال أيام من السيطرة على قلعة كريج سنين (Carreg Cennen Castle)، لكن تقدمه السريع أوقعه في كمين قاتل، حين تعرض في 17 حزيران 1282 لهجوم مفاجئ من الويلزيين الذين نزلوا من التلال، ففرّ جيلبرت دي كلير من أرض المعركة، وقتل أغلب رجاله، بضمنهم ابن عم الملك وليام[1]، وابن إيرل بيمبروك وليام دي فالنس (William de Valence)[2].

في خضم تلك الفعاليات القتالية، ظل موقف الأمير ليويلين من تلك الأحداث غامضًا، مما وضعه في مأزق سياسي وأخلاقي حاد، فإحساسه الوطني حثه على مساندة أخيه, في حين قيدته رؤيته السياسية والعسكرية عن ذلك لأن الوقت غير مناسب، وفرص النجاح ضئيلة, وبعد نقاشات مستفيضة مع اعضاء مجلسه قرر التريث حتى حزيران من العام ذاته لاتخاذ قراره[3]، ولعل السبب الابرز في تأجلي قراره انه بلغ الستين من عمره، دون انجاب وريث له، وكان متوثباً لإنجاب زوجته اليانور دي مونتفورت مولوده الأول، وكان متأكداً ان اخماد الملك تمرد شقيقه يعني حماية إرث ابنه المستقبلي من خطر محدق به، بيد أن الأقدار تدخلت على نحو مأساوي، ففي 19 حزيران

---

(1) John E. Morris, The Welsh Wars of Edward I …, p.165.

(2) (1225 – 1296): ولد في دير فالنس في بواتوا، هو أخ غير شقيق للملك هنري الثالث من أمهما إيزابيلا انغوليم، والده كونت لامارش هيو لوزينيان، بعد الغزو الفرنسي لـ بواتوا دعاه اخوه للقدوم مع عائلته إلى إنگلترا عام 1247، واسند لهم مناصب مهمة فيها، وزوجه جوان ابنة إيرل بيمبروك وليام مارشال، فورث حصتها التي شملت قلعة بيمبروك وإيرلية ويكسفورد الأيرلندية، مما أثار النبلاء الإنگليز، لاسيما أنه أثار عداوتهم لجشعه، حدثت اشكالات بينه وبين سيمون دي مونتفورت، فأجبره على مغادرة إنگلترا عام 1258 لكنهما تصالحا عام 1259 فعاد عام 1261 إلى إنگلترا، ثم فر بعد هزيمة معركة لويس عام 1264، شارك في معركة ايفشام عام 1265، وفي الحملات الإنگليزية عامي 1282 و1283 ضد ليولين آب غروفود ودافيد آب غروفود، كان احد ممثلي ابن أخيه إدوارد الأول بشأن وراثة العرش الإسكتلندي عامي 1291 و1292، توفي في بايون في 13 حزيران، ودفن في دير وستمنستر، للمزيد، ينظر: Oxford Dictionary of National Biography, William de Valence, earl of Pembroke, c.1225 – 1296, Oxford, Oxford University Press, 2004.

(3) Marc Morris, Op. Cit., p.146.

1282، توفيت زوجته أثناء ولادة طفلتها غونلين (Gwenllian)[1]، فكانت تلك لحظة مفصلية حولت حزن ليولين إلى قناعة بأنه لم يعد لديه شيء يخسره إذا قاتل جيوش إنگلترا، فالتحق بتمرد شقيقه دافيد وشعبه أواخر حزيران 1282 لمواجهة غطرسة ملك إنگلترا[2].

أجبرت عدم كفاءة إيرل غولسستر الملك على تغيير خططه، فتريث في مهاجمة سنودونيا، وحول بعض قواته إلى جنوب ويلز, وأخبر فرسان مقاطعات جنوبي غرب إنگلترا ان نقطة تجمع حشودهم هي كارمارثن في 1 تموز 1282, لاستعادة جنوب ويلز، وحشد فرسان ميدلاندز (Midlands) الغربية في مونتغمري, وفي 5 تموز استبدل القائد جلبرت دي كلير بعمه وليام دي فالنس الذي كان متوثباً لأخذ ثأر ابنه[3].

تحرك الملك إدوارد من تشيستر إلى قلعة رهودلان التي وصلها مطلع 1282 تموز[4]، وبعد مطالعة التخريب الذي احدثه المتمردون الويلزيون في القلعة، اجريت تصليحات عاجلة لاصلاحها، بوصفها القاعدة الرئيسة للقوات الإنگليزية في شمال ويلز, وأصبح نهر كلويد الذي تم توسيعه ممراً جيداً لوصول الامدادات, فأبحر أسطول إنگليزي من أربعين سفينة ووصل إلى سور القلعة, حينها قرر الملك إدوارد السيطرة على دنبي وإنجلسي في آنٍ واحد, ولتحقيق ذلك انتظر تجمع القوات العسكرية واستكمال التجهيزات التي بدأت بالوصول مطلع شهر اب حتى بلغت ذروتها في منتصف ذلك الشهر، فبلغ عدد الفرسان والمشاة ستة الآف مقاتل بكامل عدتهم[5].

استذكر الملك إدوارد الأول أهمية جزيرة إنجلسي في حملته السابقة، فأرسل نائب دوق غاسكوني لوقا دي تاني (Luke de Tany)[6] مع قواته من رهودلان

---

(1) Rodney Horace Yale, Op. Cit., p.49 – 50.
(2) Cornwall Legh and Edith Jackson, Our Empire Past and Present, Harrison & Sons, London, 1901, p.217.
(3) John E. Morris, The Welsh Wars of Edward I …, p.166 – 167.
(4) Owen Morgan Edwards, Op. Cit., p.184.
(5) Charles Oman, England in the Later ..., Vol. III., p.25.
(6) (؟؟ – 1282): أحد المسؤولين الإنگليز البارزين في القرن الثالث عشر، ومن أنصار هنري الثالث، عُرف بصرامته تجاه المتمردين، تولى قيادة الشرطة الملكية في قلعتي تيكهيل ونارزبورو، وفي عام 1267 عُيّن عمدة لمدينة لالينـدي في غاسكوني، رافق الأمير إدوارد في حملته الصليبية إلى الأراضي المقدسة، وشغل خلالها منصب أميرال الأسطول الإنگليزي، عاد مع الأمير إلى غاسكوني عام 1273، وهناك عُيّن سينيشالًا لغاسكوني، اتسم حكمه بالحزم،

لإخضاع جزيرة إنجلسي[1]، فسيطر لوقا دي تاني على الجزيرة تماماً مطلع شهر أيلول 1282[2]، وبعد انتشار مائتي فارس والفي مقاتل في الجزيرة، باشر لوقا بتأمين التواصل مع البر الرئيس من خلال جسر عائم، معتمداً على ما جلبه بحارة موانئ سينك من أخشاب وحبال ومسأمير وحديد من تشيستر إلى رهودلان ثم إنجلسي، ونجح لوقا في بناء جسر عائم من القوارب بين الجزيرة والبر الرئيس، مما مكن جيشه من اختراق سنودونيا من الخلف, وفي أوائل أيلول 1282 دشن مئات العمال والنجارين قلعة على ساحل سنودونيا لاستخدامها في السيطرة على مقر ليولين آب[3].

وتزامناً مع ذلك تحرك جيش الملك إدوارد لتأمين وادي أراضي الكانتفريس الأربعة, فسيطرت فرقة من الجيش بقيادة ريجنالد دي غراي على قلعة روثين (Ruthin Castle) قرب كلويد, ثم توجه غرب مدينة لانجرنيو (Llangernyw) على بعد بضعة أميال من كونوي، وكان التقدم بطيئاً للغاية وبحذر شديد خوفاً من تكتيكات حرب العصابات التي قد تهدي نصراً سهلاً إلى الويلزيين, وكمزيد من الحذر تم تقسيم القوات الملكية إلى ثلاثة أقسام في مطلع أيلول، واتخذ كل واحد منها طريقه إلى الأمام حرصاً منها على عدم تكرار خطأ إيرل غلوستر جلبرت دي كلير، وبعد السيطرة على أراضي الكانتريفس الاربعة في أوائل تشرين الأول رجع الملك إدوارد مرة أخرى إلى رهودلان، وسلم الأراضي التي احتلها لأتباعه مكافأة لقاء خدماتهم, وفي جنوب ويلز حقق وليام دي فالنس نجاحات مهمة في كرمرثن إلى كارديان وأبيريستويث[4].

تمثل الهدف الأخير للملك إدوارد بالقضاء على المعسكر الرئيس لدافيد في دنبي، فوصل الملك وجيشه هناك في 22 تشرين الأول عام 1282، فهرب دافيد آب واتباعه نحو سنودونيا، للاعتصام بجبالها, لكن الملك إدوارد صمم على النيل من

فعاد إلى إنگلترا عام 1274، وفي 1278، برأته لجنة تحقيق من شكاوى سكان غاسكوني، رغم استبداله بجان دي جريلي، عُيّن تاني في 18 آب 1282 قائدًا للقوات الإنگليزية في جزيرة إنجلسي، لكنه قتل في 6 تشرين الثاني، للمزيد، ينظر: J. E. Morris, The Welsh Wars of Edward I, Clarendon Press, Oxford, 1901, p.178 – 183 ; Malcolm Vale, The Origins of the Hundred Years War: The Angevin Legacy 1250 – 1340, Oxford University Press, Oxford, 1996, p.160 – 165.

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.148.

(2) Charles Dickens, Op. Cit., p.32.

(3) Marc Morris, Op. Cit., p.148.

(4) Michael Prestwich, Edward I …, p.184 – 185.

المتمردين بأي ثمن، لاسيما أن جيوشه بقيت سليمة وله جسر من القوارب الجاهزة بين إنجلسي وويلز[1]، وفي تلك المرحلة الدقيقة طلب رئيس أساقفة كانتربري جون بيكهام من الملك إدوارد للسَماح بالوساطةِ مع ليولين آب لإنهاء تمرده بمفاوضات سلمية, فدخل رئيس الأساقفة في مراسلات مع أمير ويلز واقترح عليه الاستسلام، لكن ليولين آب اشتكى له من الغدرِ والظلمِ الإنكليزي الذي تعرضت له ويلز والجرائم التي زعم ان الإنكليز قاموا بها من حرق الكنائس وقتل الرهبان والراهبات والذبح العشوائي للنساء والرضع والاجنة في الأرحام[2].

أدرك رئيس أساقفة كانتربري ضرورة تواصله مباشرةً مع ليولين آب، فأخبر الملك إدوارد الأول برغبته، وحين رفض الملك تجاهل رئيس الأساقفة رفضه في تحدِ لرغبات الملك[3]، ووصل إلى سنودونيا لإجراء محادثات مع أمير ويلز بشكل مباشر، لكن مفاوضاته فشلت، فعاد مطلع تشرين الثاني 1282 والطرفين على طرفي نقيض، فإصرار الملك إدوارد على خضوع الأمير غير المشروط قوبل برفض ليولين آب، وفشل رئيس الأساقفة في إقناع الملك إدوارد بصيغة ترضي الجانبين حينها حاول بعض البارونات الإنكليز إقناع الملك بمفاوضة ليولين آب، واعتقدوا أنه إذا خضع ليولين آب فسيقنعون الملك إدوارد للتعامل معه بإيجابية, فأرسلوا عرضاً سرياً إلى ليولين تضمن منحه ارلية في إنكلترا وارداتها آلف وخمسمائة مارك سنوياً[4]، تنتقل بعد وفاته لابنته الصغيرة, مقابل استسلامه دون قيد أو شرط، وذهاب أخيه دافيد إلى الأراضي المقدسة[5]، وعدم عودته دون موافقة الملك، فتريث ليولين آب في الرد على ذلك العرض[6].

تزامن ذلك العرض مع اخفاق عسكري إنكليزي شمال ويلز بسبب القائد لوقا دي تاني الذي قاد في 6 تشرين الثاني 1282 قوة من جزيرة إنجلسي للهجوم على الجيش الرئيس لـ ليولين آب في سينودونيا، شاقاً طريقه عبر جسر القوارب الممتد في مضيق

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.148 – 149.
(2) John Edward Lloyd, Op. Cit., Vol. II, p.762.
(3) Caradoc of Lhancarvan, Op. Cit., p.287 – 288.
(4) Gilbert Stone, Op. Cit., p.347.
(5) Caradoc of Lhancarvan, Op. Cit., p.293
(6) Owen Morgan Edwards, Op. Cit., p.186.

ميناي[1]، فاستطلع ليولين تحركه، وقرر اصطياده على جسر القوارب، ولا ريب أن خطة لوقا لم تكن مدروسة جيداً، مما وضعه تحت رحمة جنود ليولين، الذين فتكوا بقوات لوقا في كارثة عسكرية للإنكليز في ويلز[2]، ووفقاً للتقارير التي نقلت تفاصيل ما حدث، فإن الفرسان عبروا الجسر، وتحركت شطر من قواتهم على طول الساحل حين اجتاحهم فجأة الويلزيون من الجبال، وهاجموهم بأعداد اكثر منهم الإنكليز، مما اجبر الفرسان على الفرار نحو البحر، لكن قوة المد والجزر تغيرت، ففصلت القوارب ومنعتهم من العودة إلى الجسر، وبسبب ذعرهم اتجهو نحو البحر مثقلين بدروعهم مما أدى إلى غرقهم جميعاً, بضمنهم لوقا دي تاني نفسه، وكان بين القتلى شابين من أقارب المستشار روبرت بورنيل, ولم ينجو سوى قلة من الفرسان الإنكليز، ابرزهم: مرافقا الملك أوتو دي غراندسون (Otto de Grandson)[3]، ووليام لاتيمر (William Latimer, 1st Baron Latimer)[4] [5].

رأى ليولين آب في تلك الهزيمة الإنكليزية فرصة مناسبة للرد على االعرض الإنكليزي, فرفض في 11 تشرين الثاني 1282 شروط السلامِ، وأعلن عدم شرعية ادعاء الملك إدوارد بحقه في أراضي كانترفيس الاربعة وإنجلسي أيضاً لأنه استولى عليها بالقوة

---

(1) John Edward Lloyd, Op. Cit., Vol. II, p.762.

(2) J. E. Lloyd, Carnarvonshire, At the University Press, Cambridge 1911, p.93.

(3) (1238 – 1328): بارون ودبلوماسي وقائد عسكري من أصل سويسري، والصديق الشخصي الأقرب للملك إدوارد الأول وساعده الأيمن منذ شبابهما وحملتهما الصليبية التاسعة، شغل منصب الحاكم العام لويلز الشمالية بعد فتحها عام 1284، وأشرف على بناء شبكة القلاع الإدواردية العظمى. قاد سفارات دبلوماسية إنكليزية للبابوية وملوك فرنسا، وشارك في الدفاع عن عكا عام 1291م، للمزيد، ينظر: Michael Prestwich, Edward I …, p.132 – 136 ; R. R. Davies, The Age of Conquest …, p.362 – 367 ; C. L. Kingsford, 'Sir Otto de Grandison, Transactions of the Royal Historical Society, Vol. III, 1909, p.125 – 130.

(4) (1243 – 1304): بارون وقائد عسكري إنكليزي بارز من أعيان الشمال وعضو بارز في البرلمان اشتُهر ببأسه في الحروب الويلزية والإسكتلندية حيث تولى قيادة فرسان الطليعة في معركة فالكيرك عام 1298م ضد وليام والاس، وشغل منصب حارس قلعة بيرويك وشريف يوركشاير، ويُعد من القادة الاستراتيجيين المقربين لإدوارد الأول، للمزيد، ينظر: Michael Prestwich, Edward I …, p.481 – 485 ; George E. Cokayne et al., Complete Peerage of England, Scotland, Ireland, Great Britain and the United Kingdom, St Catherine Press, London, 1929, Vol. VII, p.460 – 465.

(5) Caradoc of Lhancarvan, Op. Cit., p.297

فقط مستخدماً ضباطه الذين مارسوا على درجات الطغيان، وشدد ليولين آب على أن تلك الأراضي تعود له وأسلافه[1].

فوجئ الملك إدوارد الأول بما حل بالإنكليز، فغادر دنبي إلى رهودلان[2]، للتشاور مع كبار قادته، ووضع خطة متوافقة مع تلك التطورات الميدانية, ومع أن الملك إدوارد كان مدركاً أن مدة التعاقد الإقطاعية البالغة أربعين يومياً قد انتهت، لكن رفض ليولين آب الاستسلام جعل الملك إدوارد وقادته أمام طريق لا مفر له هو الاستمرار بالقتال حتى حسم ملف التمرد الويلزي, ولأن الملك إدوارد كان بأمسّ الحاجة إلى تمويل حربه اعتمد على الأسلوب القديم فأرسل مفوضيه من ويلز، وعلى راسهم جون كيركبي (Bishop of Ely, John Kirkby)[3] في جولة إلى البلدات والمقاطعات المختلفة وطلب من كل منها على حدة مساعدته على تحمل تكلفة الحرب ضد ليولين آب, وهو أسلوب استعاض به الملك إدوارد عن اللجوء إلى البرلمان الذي بدا غير عملياً في خضم المعارك[4]، ولإدراك الملك إدوارد مدى نفوذ عمد المقاطعات والبلدات الإنكليزية، بوصفهم يمثلون مجتمعاتهم المحلية[5]، قرر كسبهم إلى جانبه من خلال إضفاء مزيد من الأهمية السياسية عليهم، فأرسل إليهِم في 24 تشرين الثاني عام 1282 خطابات، طلب منهم فيها ارسال ممثلين عنهم للقاءه برفقة رجال الدين في جمعيتين او برلمانين، إحداهما في نورثامبتون ضمن أسقفية كانتربري والآخر في مقاطعة يورك على أن يعقدا

---

(1) Charles Oman, England in the Later ..., Vol. III., p.26.

(2) Owen Morgan Edwards, Op. Cit., p.187.

(3) (1240– 1290): رجل دولة ورجل دين إنكليزي واسع النفوذ. عُيّن أميناً لخزانة إنكلترا (Lord High Treasurer) عام 1284، ثم أسقفاً لإيلي عام 1286م. قاد عملية إصلاح مالي شاملة لتمويل حروب إدوارد الأول المُكلفة في ويلز، واشتُهر بإجراء المسح الضريبي الشامل المعروف بتحقيق كيركبي (Kirkby's Quest) لضبط الأملاك الإقطاعية وعائدات التاج، للمزيد، ينظر: T. F. Tout, Chapters in the Administrative History of Mediaeval England …, Vol. II, p. 60 – 65 ; Michael Prestwich, War, Politics and Finance under Edward I, Faber and Faber, London, 1972, p.222 – 228.

(4) T. F. Tout, Edward the First, New York, 1965, p.142 – 143 ; George Burton Adams, Constitutional History of England, Henry Holt and Company, New York, 1929, p.181.

(5) Shepard Ashman Morgan, The History of Parliamentary Taxation in England, Printed for the Department of Political Science of Williams College, 1911, p.117.

في 20 كانون الثاني عام 1283، وهو أمر دل على رغبة الملك بنمذجة برلمانه من خلال زج فئات جديدة تمثلت بممثلي المقاطعات وفرسانها، ليكونوا نداً لرجال الدين والبارونات[1].

لم يقف ليولين آب ساكناً أمام تلك التدابير الملكية، فقرر استثمار انتصاره الأخير في مضيق ميناي لفتح جبهات جديدة, ونجح في إثارة تمرد جديد على إنگلترا في جنوب ويلز وغربها أواخر تشرين الثاني 1282, مستغلاً وفاة اللورد الإنگليزي الأقوى في ويلز روجر مورتيمر الجد في 26 تشرين الثاني 1282، لكسب وسط ويلز وشرقها، وتدمير الوجود الإنگليزي فيها[2]، فتحرك بجيشه نحو بيلث[3]، تاركاً أخاه دافيد مسؤولاً عن سنودونيا، وأثناء مرور أتباعه عبر نهر أوريوين (River Orewin) عند جسر أوريوين (Pont Orewin) تَرك ليولين آب القيادةُ إلى بعض اتباعه، وذَهب إلى مكان قريب منهم للتشاور مع بعض الزعماء المحليين, لكن الإنگليز أثناء غيابه عبروا النهر من مكان آخر، وهاجموا الويلزيين في العمق, وحين بلغه ذلك سارع بالعودة لقيادة رجاله، لكن التقى في طريق عودته فارس إنگليزي يدعى آدم فرانكتون(Adam Frankton)[4]، فتمكن الفارس من قتل ليولين آب دون معرفة هويته[5]، وبعد تفتيشه وجد بعض الوثائق التي استشف منها أنه أمير ويلز ليولين آب[6].

وزعمت رواية أخرى ان ليولين آب وصل بيلث (Builth) في بوويز في 11 كانون الأول عام 1282، فتم استدراجه إلى فخ وضعه أبناء روجر مورتيمر بالتعاون مع بعض الخونة من رجاله, وعلى أرض مرتفعة غرب بيلث قرب قرية سليمري (Cilmeri) وقعت معركة كبيرة بين القوات الإنگليزية والويلزية، وأثناء القتال تقدم أمير ويلز نحو الامام بالشكل الذي فصله عن القوة الرئيسة من جيشه فقتله فارس إنگليزي, وحين انتهت

---

(1) Michael Prestwich, Edward I …, p.230.
(2) Marc Morris, Op. Cit., p.151.
(3) J. S. Hamilton, The Plantagenets History …, p.69.
(4) (1255 – 1282): فارس ونبيل عسكري إنگليزي يتبع لوردات الحدود دخل التاريخ الإنگليزي والويلزي بصفته الفارس الذي قَتَل أمير ويلز الأخير "لويلين آب غروفيد في مناوشة عسكرية قرب "بيلث في كانون الأول عام 1282، حيث طعنه برمحه دون أن يدرك هويته أول الأمر، ثم جَزّ رأسه وأرسلها للملك إدوارد الأول بقلعة روتلان، للمزيد، ينظر: J. E. Morris, The Welsh Wars of Edward I, Clarendon Press, Oxford, 1901, p.182 – 185.
(5) Caradoc of Lhancarvan, Op. Cit., p.299.
(6) James Mackintosh, Op. Cit., p.213.

المعركة وفحصت الجثث تم التعرف على جثته, وفور تأكد قائد القوة الإنكليزية لورد نوكين روجر ليسترانج (Lord of Knockin, Roger Lestrange)[1] من مقتل ليولين آب أرسل خطاباً مرفقاً برأس ليولين آب إلى ملكه إدوارد الذي كان في رهودلان، ذكر فيه: "**أن ليولين آب غروفود مات وجيشه كسر ورجاله قتلوا**"، فأرسل الملك رأس ليولين آب إلى جزيرة إنجلسي لتبتهج قواتها بعد خسارتها القاسية على يده[2]، ومن هناك أرسل الرأس إلى لندن، وسير به في شوارعها وسط ضجة من الابواق، ثم وضع الرأس على قضبان من الحديد فوق برج لندن (Tower of London)[3] وعليه تاج من اللبلاب كنوع من الاستهزاء به، والاستخفاف بنبؤة ويلزية مفادها أن الويلزيين سيرتدون التاج يوماً في لندن، فكان ما حصل لرأس ليولين تحقق تلك النبوءة لكن بطريقة مروعة، وظل الرأس هناك حتى تعفن وتحلل[4].

رافق ابتهاج الإنكليز قنوط الويلزيين وألمهم, وفزع زعماءهم بسقوطِ زعيمهم ليولين[5]، الذي كان بكل المقاييس كارثة للقضية الويلزية التي خسرت قائدها بعد ثلاثة عقود قضاها للدفاع عن خصوصية ويلز وشعبها، وبموته هرب بعض الويلزيين، وسكنوا الكهوف وتجاويف الصخور والغابات الكثيفة[6].

---

(1) (1240 – 1311): بارون وقائد عسكري إنكليزي من لوردات الحدود عيَّنه الملك إدوارد الأول قائداً عاماً للقوات الملكية في ويلز الوسطى لوأد التمردات، وهو العقل المدبر والمعماري العسكري الذي قاد الجيش الإنكليزي في معركة إيروان بريدج عام 1282 التي كُسرت شوكة المقاومة الويلزية وقُتل فيها الأمير لويلين، تولى مناصب قضائية وإدارية ملكية رفيعة، للمزيد، ينظر: R. R. Davies, The Age of Conquest …, p.353 – 357 ; J. E. Morris, Op. Cit., p.180 – 184.

(2) Rodney Horace Yale, Op. Cit., p.50.

(3) من معالم لندن، يقع على الضفة الشمالية لنهر التايمز، تأسس عقب غزو النورمان لإنكلترا عام 1066، ضم عدة مبانٍ محاطة بحلقتين من الجدران وخندق مائي، في عهد هنري الثالث عُززت تحصيناته ببناء جدار وأبراج ستة على ضفة النهر، مع تعميق الخندق، وأنشأ إدوارد الأول البرج الأوسط، أصبح سجناً للنبلاء والأسرى الملكيين، ومركزًا لتخزين الأموال والأسلحة، ومقرًا لسك العملة وحفظ السجلات والكنوز، ومنطلقاً لموكب تتويج ملوك إنكلترا حتى وصولهم دير وستمنستر، للمزيد، ينظر: Walter George Bell, The Tower of London, John Lane the Bodley Head, London.

(4) J. Vyrnwy Morgan, A Study in Nationality…, p.186.

(5) Owen Morgan Edwards, Op. Cit., p.189 – 191.

(6) John Russell, England With separate historical Sketches Scotland, Wales, and Ireland, Published By Hogan & Thompson, Philadelphia, 1839, p.217.

المبحث الرابع

وأد مؤسسة العرش الإنكليزي تمرد دافيد آب غريفورد، وآليات هيمنتها القانونية والإدارية على ويلز كانون الثاني 1283 – نيسان 1284

أولاً – وأد تمرد دايفيد آب واعدامه:

أعلن دايفيد آب نفسه أميراً على ويلز في قلعة دينبي (Denbigh Castle) وسط بعض النبلاء الويلزيين[1]، ومع أنه كان طامعاً في ذلك طوال حياته, لكنه لم يكن الرجل المناسب لملء فراغ أخيه، ولم يمتلك الصلابة الكافية للثبات على موقفه، فمع أنه قبل أسابيع قليلة من مقتل أرسل خطاباً حماسياً إلى أسقف بيكهام أعلن فيه أن ويلز تخوض حرباً عادلة ولها أمل بالانتصار بعون الرب, لكنه بعد مراجعة الموقف العسكري المتردي للويلزيين، أعلن للأسقف بيكهام انه مستعد لإبرام سلام مع إنكلترا، فأخبر الملك إدوارد بنوايا دافيد آب, لكن الملك تجاهلها, لأسباب ليس أخرها انه كان قاب قوسين من إخضاع ويلز، وسفن الامدادات من غاسكوني كانت في طريقها إلى رهودلان حاملة مائتا حصان وآلف وثلاثمائة من المشاة والآف الأقواس, فيما جلبت سفن أخرى من أيرلندا ابقار وخنازير واغنام وشوفان وخمر ونبيذ وجبن وبيرة, وتجمعت قوات إنكليزية كثيرة في كرمرثن جنوب غرب إنكلترا, تزامناً مع تشكيل المشاة الإنكليز طوقاً على شمال ويلز وجنوبها منتصف كانون الثاني 1283[2].

عقد الملك البرلمانيين اللذان اشرنا إلَيهِما آنفاً في كانتربري ويورك في 20 كانون الثاني 1283، وتألف اعضاءهما من أربعة ممثلين من الفرسان من كل مقاطعة

(1) George Eyre Todd, The London and Northwestern Railway, Adam and Charles Black, 1911, p.35.
(2) Marc Morris, Op. Cit., p.152.

واثنين من كل مدينة واثنين من كل بلدة على أن تكون لديهم الصلاحيات الكاملة باتخاذ القرار فضلاً عن كل شخص دخله السنوي ثلاثون ماركاً أو يمتلك امتلاكه أرضاً تدر عليه ثلاثون ماركاً سنوياً، لكن اجتماعات البارونات والأساقفة كان على حدة[1]، وأسفر اجتماع برلمان كانتربري عن موافقة ممثلي المقاطعات والبلدات على دعم الملك بضريبة قدرها جزءاً من ثلاثين من أموالهم شرط دفع البارونات النسبة ذاتها, أما الأساقفة ورؤساء الكاتدرائيات فرفضوا تقديم أي دعم مادي على الإطلاق بذريعة أن كهنوت الأبرشيات ليس لهم تمثيل في ذلك البرلمان, فضلاً عن ادعائهم انهم يعيشون حالة عوز وفقر[2]، اما ممثلي المقاطعات من الفرسان والمواطنين في برلمان يورك فوافقوا على دفع ضريبة واحد من ثلاثين على أموالهم دون قيد او شرط, وقدم رجال الدين وعوداً مماثلة[3], وبعد انفضاض البرلمانين شرع مبعوث الملك جون كيركبي بجمع الأموال من الفئات التي أشترك نوابها فيهما[4].

شن الإنكليز أواخر كانون الثاني 1283 هجوماً منسقاً بقيادة وليام دي فالنس مع الف وخمسمائة من المشاة شمال كرمرثن فاستعادوا أبيريستويث, وفي الشمال تقدم قاد الملك إدوارد خمسة الآف من الجنود الاكفاء نحو الجنوب الغربي لرهودلان, لاحتلال قلعة دولوبديلان الويلزية (Dolwyddelan Castle)، فاستسلمت الحامية الويلزية الصغير بقيادة سينفريغ أب مادوغ (Cynfrig ap Madog)[5] في 25 نيسان 1283، مقابل

---

(1) George Burton Adams, Op. Cit., p.180.

(2) نعيم عبد جودة, تطور المؤسسة البرلمانية في إنكلترا حتى ثورة عام 1399, اطروحة دكتوراه, كلية التربية ابن رشد, جامعة بغداد, 2008، ص88.

(3) Shepard Ashman Morgan, Op. Cit., p.118 – 119.

(4) نعيم عبد جودة, المصدر السابق, ص88.

(5) (1250 – 1294) : نبيل ويلزي من أعيان شمال ويلز ينتمي لعائلة إقطاعية عريقة تولت مناصب إدارية محليّة، وقد عاصر مراحل الغزو الإنكليزي النهائي لويلز. اضطر بعد انهيار المقاومة عام 1283 لمهادنة التاج الإنكليزي والانخراط في الترتيبات الإدارية والقانونية الجديدة التي فرضها "قانون رودلان" عام 1284، فذكرته السجلات الرسمية كأحد الأعيان الويلزيين الذين عُينوا لضبط الأمن المحلي وجباية العوائد المالية لحساب الملك إدوارد الأول، قبل أن تختل الأوضاع مجدداً في المنطقة مع اندلاع تمرد مادوغ أب ليويلين عام 1294، للمزيد، ينظر: Keith Williams-Jones, The Merioneth Lay Subsidy Roll 1292 – 1293, University of Wales Press, Cardiff, 1976, p.45 – 50.

تسلمها ثمانون ماركاً وضمان سلامتها، وانتشرت فيها حامية إنگليزية جديدة, ثم رجع الملك إدوارد إلى رهودلان تاركاً الويلزيين ضعفاء ومدمرين، لكن احتلال سوندونيا بقي خياراً صعباً لاسيما أن فصل الشتاء كان في ذروته, والموارد الملكية تناقصت بشكل كبير, ولإدراك الملك أنه حقق أغلب أهدافه سمح للشطر الأعظم من المشاة والمرتزقة بالعودة إلى ديارهم[1]، بيد أن الملك إدوارد كان متوثباً لاعتقال دافيد آب بوصفه سبب تمرد الويلزيين، والوحيد الذي يشكل خطراً على الوجود الإنگليزي في ويلز، فتوجهت الجيوش الملكية نحو جبال مريونالد (Mynydd Eryri) وفي نيسان 1283 ضربت حصاراً على قلعة كادير ادرس (Cadair Idris Castle), فهرب دافيد آب منها، واحتلها الإنگليز في أيار 1283, وبسبب انهيار المقاومة الويلزية أخذ الغزو الإنگليزي لسوندونيا طابع المطاردة لمن بقي من المتمردين, فاقتحم روجر يسترانج بقواته وسط ويلز، وعبر جيش إنجلسي بقيادة أوتو دي غراندسون الجسر العائم لاختراق سنودونيا, وفي الأسبوع الثاني من أيار تقدم الملك نفسه نحو كونوي مع سبعة الأف مقاتل، وانشأ مقراً مؤقتاً في دولوبديلان، واحتشدت مجاميع من الإنگليز عبر الوديان وفوق الجبال مما اضطر المتمردين الويلزيين للاستسلام[2].

وحصل الإنگليز من خونة ويلزيين على معلومات دقيقة عن مخبأ دافيد آب، فاعتقلوه في 22 حزيران 1283 قرب وادي هيسغلين (Nanhysglain) في معقل سري في جبل بيرا ماور (Bera Mawr mountain)، وتم اعتقال جميع أفراد اسرته بضمنهم ابنه أوين آب دافيد (Owain ap Dafydd)[3]، وزوجته اليزابيث فيريريز (Elizabeth

(1) Owen Morgan Edwards, Op. Cit., p.190.
(2) Marc Morris, Op. Cit., p.153.
(3) (1275 – 1325): وُلِد في مملكة جوينيد، وهو الابن الأصغر للأمير دافيد آب غروفود، الذي تولى في 11 كانون الأول 1282 زمام الحكم مؤقتاً في غوينيدد، بينما ظل أوين طفلاً صغيراً تحت الحراسة ي مواقع المقاومة الجبلية. في 21 حزيران 1283، تم القبض على دافيد وأوين معاً قرب منطقة بينماور في مستنقع بالقرب من بِشِدا ثم نُقلا ا إلى سجن قلعة بريستول، بعد وفاة شقيقه الأكبر ليويلين آب دافيد في القلعة في عام 1287، بقي أوين في الأسر مدى الحياة، وكان يُحتجز في قفص ليلي مقوّى بالحديد داخل القلعة لضمان عدم فراره، توفي عن عمر خمسين عامًا، دون أن ترد تفاصيل عن ظروف وفاته، للمزيد، ينظر: J. Beverley Smith, Owain ap Dafydd (1275 – 1325), prince of Gwynedd, Cardiff, University of Wales Press, 1998.

(Ferrers[1]) وبناتها السبعة، فنقله إيرل بيمبروك مع زوجته وأولاده مقيدين في السلاسل إلى قلعة رهودلان، وسلمهم إلى الملك إدوارد الذي رَفضَ رؤية أسيره، ثم ارسلوه مقيداً إلى قلعةِ شروزبري لإنتظار محاكمته[2]، وفي 28 حزيران تم اعتقال ابن دافيد ليولين آب دافيد (Llywelyn ap Dafydd)[3]، فبعث الملك إدوارد خطابات لشعبه أعلن فيه "**أن الأخير من خط الغادرين من أمراء السلالة المعتدية**" أصبح في عهدته, وأخيراً عاد الملك إدوارد الأول إلى إنگلترا أواخر آب عام 1283 بعد غياب دام أكثر من عام[4]، وعاد الكهنة الذين رافقوا الجند إلى اديرتهم وابرشياتهم، مع ابقاء شطر منهم في ويلز لتلبية احتياجات سكانها[5].

وأد الملك إدوارد تمرد ويلز وسيطر عليها تماماً، بتكلفة مالية باهظة بلغت مائة وخمسة وتسعون الف مارك[6]، تحمل رعايا الملك خمسة وسبعون ألف مارك منها, فضلاً عن الأموال التي وفرتها له جمعية ريكاردي لوكا ورعاياه في أيرلندا وغاسكوني لضمان ديمومة الحرب ودفع رواتب الجند, وكانت الخسائر البشرية كبيرة أيضاً, فمن

---

(1) (1246 – 1292): نبيلة إنگليزية من عائلة فيريرز الإقطاعية العريقة، وهي ابنة وليام دي فيريرز الكونت الخامس لديربي، تزوجت النبيل الويلزي الشهير دافيد آب غروفيد شقيق الأمير لويلين آب غروفيد، الذي قاد تمرد عام 1282 ضد التاج الإنگليزي، ولذا وُجدت نفسها في خضم النزاع العسكري والسياسي المحتدم، وبعد أسر زوجها وإعدامه بتهمة الخيانة العظمى عام 1283، صودرت أملاك الأسرة ووضعت بأمر الملك إدوارد الأول تحت الإقامة الجبرية في أحد الأديرة الإنگليزية حتى وفاتها، للمزيد، ينظر: R. R. Davies, The Age of Conquest …, p.356 – 359 ; George E. Cokayne et al., Op. Cit., Vol. V, p.305 – 310.

(2) Charles Oman, England in the Later ..., Vol. III., p.27.

(3) (1267 – 1287): وُلِد في مملكة جوينيد، وهو الابن الأكبر للأمير دافيد آب غروفود، رافق والده خلال منفاه في إنگلترا خلال السبعينيات اعتقل مع ابيه في 21 حزيران 1283، قرب بيرا ماو في المرتفعات فوق أبرجونغريغن، فُنقِلا إلى قلعة رُدلان ثم إلى برج بريستول بحراسة مشددة، بعد إعدام والده في تشرين الأول 1283، أصبح الوريث الشرعي رغم سجنه، وأمر إدوارد الأوّل بإبقائه أسيرًا مدى الحياة، فبقي في سجن بريستول حتى وفاته، ودفن في كنيسة الدومينيكان القريبة، على نفقة التاج الإنگليزي، للمزيد، ينظر: Oxford Dictionary of National Biography, Llywelyn ap Dafydd (c. 1267–1287), claimant to the Principality of Gwynedd, Oxford, Oxford University Press, 2004.

(4) Marc Morris, Op. Cit., p.153.

(5) David S. Bachrach, Op. Cit., p.281 – 282.

(6) J. S. Hamilton, The Plantagenets History …, p.69.

طبقة النبلاء الإنكليز قتل بعض أبناء وليام دي فالنس وروبرت بورنيل وروجر دي كليفورد "الابن" (Roger de Clifford - The Younger)[1], وبلغت خسائر المشاة بضعة الآف، حتى نفذت اماكن الدفن في المقبرة العسكرية في رهودلان[2]، وفور انتهاء الحرب استولى الإنكليز على القاعات والمنازل والقلاع العائدة لسلالة ليولين وصادروا كنوز ويلز وآثارها المقدسة ودمروا بعض الكنائس والأديرة لاسيما في كونوي, فضلاً عن قتل الكثير من الويلزيين[3] قدرها بعض المؤرخين بأكثر من ثلاثة الآف قتيل[4].

عقد البرلمان في شورزبوري في30 أيلول 1283 لمحاكمة دافيد آب غروفود[5]، وبسبب الدور البارز لممثلي المقاطعات والبلدات في دعم نفقات الحرب، فقد دعا الملك لذلك البرلمان إحدى عشر إيرلاً وتسعة وتسعون باروناً ونائبين اثنين عن كل مقاطعة ومدينة وبلدة فضلاً عن تسعة عشر قاضياً للمشاركة في إصدار الحكم على دافيد[6]، وبعد سلسلة مداولات قرر البرلمان سحب دافيد آب من حصان في مكان تنفيذ حكم الاعدام عليه بوصفه خائناً للملك الذي جعله فارساً، ثم شنقه لقتله عدة فرسان في قلعة هواردن، واستخراج احشائه وقلبه وحرقها لأنه قام بفعلته يوم الأحد متجاهلاً قدسيته لدى المسيحيين[7]، وتقطيع جسده إلى أربعة اجزاء وتعليقها في أماكن مختلفة لأنه تآمر

---

(1) (1243 – 1282): فارس ونبيل عسكري إنكليزي، وهو الابن الأكبر والوارث لروجر كليفورد الأب، تزوَّج من إيزابيل فيبونت وبذلك حاز حيازة مشتركة على لوردية أبلبي ومناطق واسعة في ويستمورلاند، شارك بكثافة إلى جانب إدوارد الأول في حملات الفتح الإنكليزي لويلز، وفي تشرين الثاني من عام 1282، أثناء محاولة القوات الإنكليزية عبور الجسر العائم (جسر القوارب) من جزيرة أنجلسي إلى البر الرئيس لويلز، وقعت القوة في كمين ويلزي قاتل فيما عُرف تاريخياً بمعركة مويلي–دون، حيث غرق وقُتل روجر الابن مع عدد كبير من الفرسان الإنكليز قبل وفاة والده، للمزيد، ينظر: Michael Prestwich, Edward I …, p. 179 – 184 ; David Walker, Op. Cit., p. 136 – 140.

(2) Michael Prestwich, Edward I …, p.193 – 195.

(3) Marc Morris, Op. Cit., p.154.

(4) John Russell, Op. Cit., p.217.

(5) Edward S. Creasy, Op. Cit., p.385.

(6) Charles L. Wells and Frank M. Anderson, Outlines and Documents of English Constitutional history during the Middle Ages, University book Store, Minneapolis,1895, p.42.

(7) James Bridge Davidson, The Conway in the Stereoscope, Lovell Reeve, London, 1860, p.150.

على الملك إدوارد الأول وخطط لقتله, وفور صدور ذلك الحكم تم تطبيقه حرفياً[1]، ثم أرسل الرأس إلى برج لندن ووضع إلى جانب رأس أخيه ليولين, وبعد ذلك الإعدام المروع، اجرى الملك إدوارد الأول جولة في الكاتدرائيات والأديرة في هيرفورد وغلوستر وورسيستر تعبيراً عن شكره للرب، ثم عاد إلى رهودلان للاحتفال بأعياد ميلاد عام 1284[2].

ثانياً – آليات الهيمنة الإنكليزية على ويلز عام 1284:

شكّل عام 1284 محوراً مفصلياً في مسار إخضاع ويلز للسلطة الإنكليزية، إذْ لم يكتفِ الملك إدوارد بالانتصار العسكري، بل شرع في ارساء نظام سيادي جديد استهدف القضاء على ما تبقى من السيادة الويلزية، من خلال إعادة صياغة البنى الإدارية والقضائية والعمرانية بما يتلاءم مع مقتضيات الاستحواذ الإنكليزي على ويلز[3]، واستثمر الملك إدوارد الأول رمزية الاحتفالات والمناسبات التي أقيمت في إنكلترا في الأشهر اللاحقة للتمرد الويلزي، بوصفها وسيلة لإبراز مركزية السلطة الملكية وترسيخ صورة العاهل المنتصر، وفي مطلع ربيع عام 1284، عاد الملك إلى ويلز بعد مغادرته برلمان لينكولن، محمّلًا بمشروع قانوني متكامل، فرض سلطته كفاتح، وحدد مسؤولياته كصاحب سيادة في ويلز[4].

وأعلن القانون السابق الذي سمي قانون رهودلان (Statute of Rhuddlan)[5]، في آذار 1284، ليكون دستوراً لويلز، وتميزت ديباجته بعبارات ذات طابع لاهوتي – سياسي لتبرير السيادة الإنكليزية المطلقة على ويلز، إذْ ربط إدوارد ضمّ ويلز إلى مملكته بـ "**العناية الإلهية**" التي منحت التاج الإنكليزي حق تحويل ويلز إلى جزء من إنكلترا[6]، وأنه بـ "**نعمة الرب، ملك إنكلترا، لورد أيرلندا، دوق أكيتاين، وسيد ويلز**"، وقد ركز المشرع الإنكليزي على ربط العناية الإلهية بالشرعية السياسية، ليظهر أن الفتح كان تجليًا لمشيئة إلهية، وأن إخضاع الأراضي الويلزية حدث لخدمة شرف الملك، والكنيسة

(1) Caradoc of Lhancarvan, Op. Cit., p.300.
(2) Marc Morris, Op. Cit., p.154.
(3) Caradoc of Lhancarvan, Op. Cit., p.301.
(4) Owen Morgan Edwards, Op. Cit., p.193.
(5) William Stubbs, The Constitutional History of England in its Origin and Development, vol. II, Clarendon Press, Oxford, 1875, p.210.
(6) John E. Morris, The Welsh Wars of Edward I …, p.199.

المقدسة، والنهوض بالعدالة لمواطني ويلز، مع وعد ملكي لمن امتثل منهم لإرادة مؤسسة العرش الإنكليزي بالحماية في ظل قانون رهودلان[1].

وقد عبّر إدوارد نزعته الاستحواذية حين قال في ديباجة القانون: "**لدينا الآن نعمة، ألا وهي تحويل أرض ويلز إلى سيادتنا الملكية بصورة كاملة**"، وهي عبارة جسدت "**السيادة الرمزية المطلقة**" التي استُخدمت لتسويغ إجراءات الضم القسري تحت غطاء التسديد الإلهي[2].

وعند تدقيق ذلك القانون نراه قد رسخ ثوابت الإخضاع الإداري والقانوني المقنن لجعل ويلز تابعة إداريًا وسياسيًا إلى التاج الإنكليزي، فقد نص البند الثاني من ذلك القانون على تشكيل بنية إدارية، تضطلع بمهام مراقبة دقيقة تشمل التجارة، والعملة، والضرائب، والمكاييل، ومراقبة حركة السكان، عبر قضاة التحقيق وعمداء المقاطعات، وإعادة تشكيل السلطة القضائية في ويلز، وتوزيعها إدارياً بين قضاة مختارين، مع ضمان تطبيق العدالة للجميع بغض النظر عن انتمائهم، لكن تلك العدالة قُيدت بتشريعات ملكية، لاسيما فيما يتعلق بالضرائب والرسوم الكمركية، في خطوة رسخت منظومة الإدماج القانوني القسري، وألغت عمليًا أي سيادة قضائية محلية سابقة[3]، وقضى قانون رهودلان بإعادة ترسيم الهيكل الإداري لويلز من خلال إنشاء ثلاث مقاطعات جديدة خارج إمارة جوينيد، هي: إنجلسي، كارنارفون (Caernarvon) وميرونيث (Merioneth) [4]، فضلاً عن مقاطعة فلينت، التي أُلحقت بإرلية تشيستر[5]، وخضعت لإدارة قاضي محكمتها العليا ريجنالد دي غراي[6]، وهكذا أصبحت ويلز مُقسّمة إداريًا إلى ستة مقاطعات إلى جانب المقاطعات الأربعة المذكورة[7].

وتضمن البند الثاني أيضًا تعيين حام المقاطعات، مع تحديد نطاق سلطاتهم، بينما أختص البند الثالث بتنظيم آليات المساءلة القضائية، إذْ نص على وجوب استدعاء

(1) Ivor Bowen, The Statutes of Wales, Adelphi Terrace London, 1908, p.2 ; Frederick Pollock, Introduction and Notes to Sir Henry Maines Ancient Law, John Murray Albemarle Street W., London,1914, p.24.
(2) Quoted in: Marc Morris, Op. Cit., p.155.
(3) Ivor Bowen, Op. Cit., p.3.
(4) T. F. Tout, The Welsh Ships A Study in Constitutional History, University of Toronto, Toronto,1900, p.214.
(5) J. M. Edwards, Op. Cit., p.104.
(6) John E. Morris, The Welsh Wars of Edward I …, p.199.
(7) John Pettie, Highroads of History, Vol. IV., Thomas Nelson and Sons Ltd, London,1918, p.151.

المدعى عليه ثلاث مرات قبل اتخاذ الحكم، وحدد العقوبة بحسب طبيعة الجريمة، مع جدولة صارمة لأيام عقد المحاكم في كل مقاطعة، بحيث تُعقد مرة كل شهر ضمن تسلسل أيام محدد، فضلاً عن تخصيص قضاة تحقيق جنائي لمتابعة الجرائم الخطرة، كـ : الخيانة، القتل، السرقة المنظمة، تزوير العملة، إيواء الغرباء دون تصريح وسرقة المحاصيل، مع تشكيل قوات خاصة لمطاردة المجرمين، في إطار الإنفاذ القانوني للمركز على ويلز، ومنحت للقضاة صلاحيات فورية بالحبس والإعدام وبتر الأطراف بحق مرتكبي الجرائم الجسيمة[1]، وفي البند الرابع، أُنيطت بحكام المقاطعات مهمة ضبط المكاييل والأوزان[2].

وحدد البند الخامس وظائف القضاء الجنائي التحقيقي حول أسباب الوفيات، ففرض على كل مقاطعة أن يكون لديها قاضٍ للتحقيق في أسباب الوفيات، يُعينه الملك، ويُقسم اليمين بالولاء والإخلاص في أداء مهامه، وشملت صلاحياته التحقيق في حالات الوفاة الغامضة، القتل، الغرق والإصابات التي قد تؤدي إلى الوفاة، بالتعاون مع العمدة، وبحضور شهود من سكان المدينة، مما يشير إلى محاولة الملك إرساء نظام عدلي منضبط يتجاوز الأعراف المحلية نحو منظومة تحكمها البيروقراطية المركزية[3].

ولعل أكثر سمات النظام الأساسي إثارة للاهتمام هو سعي الملك إدوارد إلى إعادة مواءمة بنيته القانونية الويلزية مع القانون الإنكليزي، لا سيما في الشق الجنائي، فقد جرى إلغاء النظام الويلزي التقليدي الذي ربط العدالة بمفهوم التعويض، وحل محله تصور قانوني عدَ الجرائم اعتداءً على سلام الملك، لا على الفرد، ومن ثم باتت الجرائم تُحال إلى المحاكم بدلًا من التسويات القبلية[4]، أما في القضايا المدنية، فأُبقي على بعض التقاليد الويلزية، لاسيما ما يتعلق بحيازة الأراضي، لكن تدريجياً أصبحت الغلبة للنموذج الإنكليزي القادم من لندن[5].

أبقى قانون رهودلان على بعض سمات البنية القانونية الويلزية، لا سيما في مجال قانون الميراث، مع أعادة ضبط جزئياته بما يتلاءم مع توجهات التاج الإنكليزي،

---

(1) Ivor Bowen, Op. Cit., p.4 – 7.
(2) C. M. Watson, British weights and measures, John Murray Albemarle Street W., London,1910, P.42.
(3) Ivor Bowen, Op. Cit., p.8.
(4) Gilbert T. Sadler, The Relation of Custom to Law, Sweets & Maxwell Limited, 1919, p.74.
(5) Gilbert Stone, Op. Cit., p.351.

فقد أُجيز توزيع الميراث بالتساوي بين الذكور، وهو مبدأ عُرفي تقليدي، لكنه استبعد توريث الأبناء غير الشرعيين مما شكّل خرقًا مباشرًا لأعراف القرابة الويلزية، وهي خطوة هدف المشرع الإنكليزي منها ضبط النظام الأسري المحلي ضمن إطار أخلاقي قانوني موحّد يتماشى مع السياسة الاجتماعية للعرش، وفي حالة غياب وريث ذكر، سُمح للنساء بالإرث، مما عكس مرونة كبيرة ضمن البنية التشريعية الجديدة، التي راعت الإطار الذكوري المُهيمن للميراث، دون أن تغفل حق النساء[1].

وهنا من المناسب التنبيه إلى أن الدراسة المتفحصة لفحوى قانون رهودلان تظهر أنه لم يلغِ بالكامل القواعد العرفية المحلية في المجال المدني، بل احتفظ بها بشكل مُقيّد في قضايا مثل الديون، والعقود، وبعض أحكام الميراث، ما يعكس مقاربة مزدوجة استندت إلى التهميش التدريجي لا الإلغاء الفوري، لكن هذا الاستثناء بقي هامشيًا في ظل سيادة الإجراءات الإنكليزية، وتموضع سنودونيا — بوصفها مركز الحكم الجديد — تحت إشراف مباشر من موظفين منتمين للنواة الإدارية الملكية، بما يؤكد توطين البيروقراطية الإنكليزية شديدة المركزية في القلب الجغرافي لويلز[2].

ومُنح القانون السلطة الإقطاعية في المناطق الحدودية المتمثلة بلوردات المسيرات صلاحيات موسعة، بوصفهم أدوات تنفيذ محلية فاعلة للهيمنة الإنكليزية، مما مكنهم من بسط نفوذهم داخل البنية المؤسسية المستحدثة، ليصبحوا بمثابة وكلاء ميدانيين للسلطة المركزية[3].

أما على الصعيد الديني، فقد تحرّك رئيس أساقفة كانتربري جون بيكهام لتقويض الهوية الروحية المقاومة للويلزيين، ودعا اكليروس ويلز للتخلي عن اعرافهم الخاصة، وركز على تطبيع الجهاز الكنسي في ويلز بطابع الكنيسة الإنكليزية، بآلية مزدوجة: تمثلت بإعادة تشكيل السلطة الروحية الويلزية بما يتماشى مع ثوابت الكنيسة الإنكليزية، ودعم رجال الدين اقتصاديًا لتأمين ولائهم، ففي خطابين بعثهما رئيس أساقفة كانتربري عام 1284 إلى أسقف القديس آساف وليام دي بريمفيلد (Bishop of St Asaph,

(1) Howell T. Evans, Op. Cit., p.105.
(2) Marc Morris, Op. Cit., p.155.
(3) Charles Oman, England in the Later ..., Vol. III., p.28.

(William de Brumfeld[1]، وأسقف القديس بانغور انيان القيصري (Anian, Bishop of Bangor[2])، أظهر رئيس أساقفة كانتربري فهمًا عميقاً للواقع الاجتماعي- السياسي الجديد في ويلز، وطلب من الأسقفين حث إكليروسهما على التخلي عن مظاهر الاستقلال الرمزي عن إنكلترا كـ الزي التقليدي وقصّات الشعر، وهي رموز ذات آثر رمزي في مقاومة الإنكليز[3]، وسعى المطران إلى إحلال نظام موالٍ للعرش في التعيينات الكنسية الويلزية لتعيين الويلزيين الأكفاء، بوصفه أداة ناعمة للسلطة الإنكليزية التي وفّرت شرعية موازية للنظام الجديد في ويلز، ودعا رئيس أساقفة كانتربري إلى رفض النبوءات التي غذت حلم الاستقلال الويلزي، وشكّلت أحد أسس التمرد الويلزي عبر العصور، وسعى إلى تقويض النظام القبلي الوراثي في التعيينات الكنسية عبر إحلال نظام استحقاقي مركزي لإضعاف الأعراف القبلية، في تطابق لافت مع رؤى مؤسسة العرش الإنكليزي[4].

---

(1) (1245 – 1293): رجل دين وإداري كنسي ويلزي–إنكليزي. اعتلى سدة أسقفية القديس آساف في مطلع عام 1284 خلفاً للأسقف أنيان الثاني الذي عزلته الخلافات الحادة مع التاج، تميز برؤيته المهادنة، إذ تعاون بشكل وثيق مع الملك إدوارد الأول ورئيس أساقفة كانتربري جون بيكهام لإعادة إعمار وتأهيل الأبرشية بعد الدمار الذي لحق بكاتدرائيتها جراء الحرب، وضبط الأوضاع القانونية والمالية للكنيسة الويلزية لتتوافق مع الإدارة الإنكليزية الجديدة المفروضة بموجب قانون رودلان، للمزيد، ينظر: Glanmor Williams, The Welsh Church from Conquest to Reformation, University of Wales Press, Cardiff, 1976, p.11 – 15 ; Keith Stringer, 'The Church and the Welsh March', In: Journal of Medieval History, Vol. XXII, 1996, p.44 – 49.

(2) (1235 – 1305): يُعرف في الحوليات بأنيان القيصري، رجل دين وسياسي ويلزي واسع النفوذ تولى أسقفية بانغور منذ عام 1267 حتى وفاته، انحاز بشكل كامل للملك إدوارد الأول في المراحل الأخيرة من الصراع؛ وتكمن شهرته في عام 1284 حين نال شرف تعميد الأمير الصغير إدوارد (إدوارد الثاني لاحقاً) في قلعة كارنارفون في نيسان 1284، وهو أول أمير إنكليزي مُنح لقب "أمير ويلز"، مع ما ترتب عليه من إقطاعيات شاسعة وحقوقاً قضائية استثنائية لأبرشيته، للمزيد، ينظر: Glanmor Williams, The Welsh Church from Conquest to Reformation, University of Wales Press, Cardiff, 1976, p.16 – 18 ; Fasti Ecclesiae Anglicanae 1300 – 1541, Op. Cit., Vol. XI, p.3 – 7.

(3) Charles Oman, England in the Later ..., Vol. III., p.28 – 29.

(4) J. E. De Hirsch Davies, A Popular History of the Church in Wales from the beginning to the Present day, Isaac Pitman & Sons Ltd, London, 1912, p.43.

المبحث الخامس

آليات الهيمنة العمرانية والمؤسسية الإنكليزية في ويلز، وآثرها في تجدد تمرداتها حتى إنهاء استقلالها عام 1294

عمد الملك إدوارد الأول في أعقاب التمرد الويلزي وما تبعه من إعادة هيكلتها إدارياً وتشريعياً، إلى بلورة سياسة معمارية هدفت إلى تجسيد الاستحواذ العسكري والسياسي الإنكليزي على ويلز، فتبنّى مشروعًا مكثفًا لبناء قلاع كوسيلة لتحقيق الانضباط الميداني وترسيخ السلطة الإنكليزية في انحاء ويلز من خلال القلاع بوصفها قواعد عسكرية ومقرات للحكم والإدارة في آنٍ واحد[1].

تركّزت أغلب تلك القلاع في مواقع ساحلية استراتيجية، لتكون عقدًا لوجستية مزدوجة الوظيفة: قواعد دفاعية وهجومية من جهة، ومراكز حضارية وتجارية من جهة أخرى، تربط شبكات النقل البحري بشبكة السيطرة الداخلية، مما سهل تدفق الإمدادات، وضمن استمرارية الاتصال مع البلاط الملكي في إنكلترا، والحقيقة أن تلك القلاع، وما رافقها من مدن محصنة أصبحت أدوات فعالة في إعادة إنتاج السيطرة الإنكليزية، حين تكامل دورها بين الردع العسكري، والإدارة المحلية، والإخضاع الثقافي، فقد ضمت

(1) Edward Arthur Lewis, The Medieval Boroughs of Snowdonia, Henry Sotheran & Co,1912, p.23.

محاكم، وسجونًا، وإدارات بلدية، مما جعلها محوراً لسلطة متعددة الوظائف[1]، ولضمان انجاح ذلك المخطط شُجّعت الهجرة الإنكليزية إلى ويلز لتشكيل بؤر استيطانية مضمونة الولاء، وتطبيق النظام الإنكليزي الجديد ضمن بيئة حضرية بإمكانها التأثير في الويلزيين، مما عكس تبني التاج سياسة الاستيطان المنضبط، الذي انتهى إلى تشكيل شبكات عمرانية متنامية حول تلك القلاع، احتضنت نخبًا إدارية، وقوى عسكرية، وعائلات موالية، فيما بقي السكان الويلزيون في الأطراف والقرى، في نموذج واضح لـ"**التمييز العرقي في التخطيط العمراني**"، لتحييد الهوية الويلزية وتفكيكها عبر القلاع والبؤر الاستيطانية[2].

شكلت قلعة هارليتش (Harlech Castle) أحد أعمدة مشروع الملك إدوارد، لتكون حلقة متقدمة ضمن منظومة الردع العمراني – العسكري التي أدار من خلالها الفضاء الويلزي المحتل، فقد أُختير عام 1283 موقعها الساحلي المرتفع بعناية، ليؤمّن تفوقًا طبوغرافيًا، مما جعلها نقطة تموضع سيادي دائم[3]، وقد زار الملك إدوارد والملكة إليانور القشتالية (Queen of England, Eleanor of Castile)[4] القلعة في 26 آذار 1284، ليشرفا ميدانيًا على تقدم البناء، وهي زيارة أكدت الطابع المركزي لتدشين القلاع الإنكليزية[5]، ومثل مشروع قلعة كارنارفون ذروة التخطيط السيادي للملك إدوارد، إذْ

(1) Edward S. Creasy, Op. Cit., p.386.
(2) Charles Oman, England in the Later ..., Vol. III., p.28.
(3) Edward Arthur Lewis, Op. Cit., . P.23.
(4) (1241 – 1290): ملكة إنكلترا والزوجة الأولى للملك إدوارد الأول، وابنة الملك فرناندو الثالث ملك قشتالة. تميزت بنفوذ سياسي واقتصادي واسع عاصر مراحل غزو ويلز؛ حيث رافقت زوجها في حملاته العسكرية وأقامت معه في ويلز، وشهدت ولادة ابنها الأمير إدوارد الثاني في قلعة كارنارفون عام 1284، عُرِفت بذكائها الإداري الاستثنائي ونشاطها العقاري المحموم، واستحوذت على إقطاعيات وأراضٍ شاسعة لتأمين موارد مالية مستقلة لدعم الخزانة الملكية وسياسات زوجها السيادية، وإثر وفاتها عام 1290، شيّد الملك إدوارد الأول صلبان إليانور الشهيرة على طول مسار جنازتها، للمزيد، ينظر: John Carmi Parsons, Eleanor of Castile: Queen and Society in Thirteenth-Century England, St. Martin's Press, New York, 1995, p.45 – 58 ; Sara Cockerill, Eleanor of Castile: The Shadow Queen, Amberley Publishing, Stroud, 2014, p.210 – 218.
(5) Edward S. Creasy, Op. Cit., p.386.

أُوكلت المهمة إلى جيمس أوف سانت جورج[1]، لصنع قلعة استثنائية، تتجاوز في تصميمها الوظائف الدفاعية البسيطة، لتكون تعبيرًا عمرانيًا عن السلطة الملكية المطلقة، وقد أُقيمت تلك القلعة على الطرف الجنوبي من مضيق ميناي، وهو موقع حيوي يتيح الاتصال السهل بجوينيد، ويضمن سيطرة رمزية على شمال غرب ويلز[2]، لذا كانت تلك القلعة المحطة الثانية التي زارها الملك إدوارد في نيسان 1284، لمراقبة مشروعه المعماري الذي نُفذ بأعلى المواصفات، في تجسيد مثالي لهندسة القلاع الضابطة لويلز والمهيمنة على أجزاء حيوية من ساحلها[3].

وافق وجود الملكة إليانور في كارنافورن انجابها ابنها البكر أمير ويلز، إدوارد كارنارفون (Prince of Wales, Edward of Caernarfon)[4]، في 25 نيسان

---

(1) (1230 – 1309): معماري ومندوب عسكري ومهندس قلاع عظمى فرنسي – سافوي، يُعد من أبرز العباقرة العسكريين في العصور الوسطى الأوروبية. استقطبه الملك إدوارد الأول من سافوي عام 1278 وعيّنه مديراً عاماً للأعمال الملكية في ويلز، قاد مشروع تصميم وبناء قلعة كارنارفون عام 1283، متجاوزاً المفهوم الدفاعي عبر الأبراج المضلعة والأشرطة الحجرية الملونة، ليجعل منها مركزاً سيادياً لولادة أمير ويلز، فمنحه الملك لقب "حارس قلعة هارليك" تقديراً لجهوده، للمزيد، ينظر: A. J. Taylor, The Welsh Castles of Edward I, Hambledon Pres s, London, 1986, p.61 – 72 ; Nicola Coldstream, Medieval Architecture, Oxford University Press, Oxford, 2002, p.115 – 120.

(2) Marc Morris, Op. Cit., p. 155.

(3) John Jones, The History of Wales, Printed and Published By J. Williams, London, 1824, p.101.

(4) (1284 – 1327): وُلد في قلعة كارنارفون في ويلز، وهو الابن البكر والوريث الحي للملك إدوارد الأول والملكة إليانور من قشتالة، مَنحه والده لقب "أمير ويلز" عام 1301، تولى العرش عام 1307، شهد عهده اضطرابات سياسية وعسكرية حادة، أبرزها هزيمته النكراء أمام الملك روبرت بروس في معركة بانوكبيرن عام 1314، تعرّض لمقاومة شديدة من باروناته بسبب إخفاقاته السياسية واعتماده المفرط على المقربين منه مثل بيرس وعائلة ديسبنسر، أُطيح به في النهاية عام 1326 في ثورة قادتها زوجته الملكة إيزابيلا والبارون روجر مورتيمر، حيث أُجبر على التنازل عن العرش لابنه إدوارد الثالث، قُتل في قلعة بيركلي، للمزيد، ينظر: Seymour Phillips, Edward II, Yale University Press, New Haven and London, 2010, p.35 – 70 ; Roy Martin Haines, King Edward II: Edward of Caernarfon, His Life, His Reign, and Its Aftermath, 1284–1330, McGill-Queen's University Press, Montreal, 2003, p.3 – 25.

1284[1]، الذي قدّمه الملك إدوارد الأول إلى الويلزيين كأميرهم المستقبلي، في ما يمكن اعتباره تأسيسًا لشرعية وراثية إنگليزية بديلة عن السلالات الويلزية، لتكريس صورة مستحدثة لسيادة وراثية مفروضة من المركز[2]، وهي خطوة محمّلة بدلالات التوريث الرمزي للسيادة، وقراءة بعيدة المدى لربط وراثة ويلز بمؤسسة العرش الإنگليزي من خلال ولي عهدها[3].

واستأنف الملك إدوارد في 22 آب رحلته شرقًا[4]، للإشراف على العمل في القلاع الأخرى، رغم كلفها الاقتصادية العالية التي هددت الميزانية الملكية بالإفلاس[5]، وقد تميزت تلك القلاع بمتانة بنائها وتعقيد تحصينها، من خلال استخدام نمطي التحصين العمودي والتشبيك الدفاعي، مع أبراج متلاصقة، وأسوار سميكة، وخنادق عميقة[6]، صُمّمت لتشكل حزامًا رادعاً لا يُخترق ضد التمردات المحتملة[7]، وقد جرى دمج تلك القلاع بمدن محصنة، لاستيعاب المستوطنين الإنگليز، لاسيما عوائل الجنود، وذوي الولاء المؤسسي، مما انتهى إلى تشكيل مستعمرات داخلية وظيفتها حماية المنظومة الجديدة. وكانت لتلك المدن دور مزدوج تمثل بتوفير اعداد كافية من المقاتلين لرفد حامية القلعة، ولتكون مراكز لتطبيق النظام الأساسي الجديد، وأدوات تنفيذ أوامر السلطة الإنگليزية في قلب المناطق المهزومة[8].

تجاوزت سياسة بناء القلاع عند الملك إدوارد حدود الإنشاءات الدفاعية التقليدية، لتُصبح جزءًا من مشروع الهيمنة الاستيطانية الإنگليزية في ويلز، فتلك القلاع لم تكن مجرد تحصينات عسكرية بل منصات سيادية متعددة الوظائف، دمجت بين

(1) Susan Higginbotham, Edward II his friends, His Enemies, And his death, United States of America, 2005, p.3.
(2) John Russell, Op. Cit., p.217 ; Charles Dickens, Op. Cit., p.34 ; Ramsay Muir, Op. Cit., p.111.
(3) Susan Higginbotham, Op. Cit., p.3.
(4) Marc Morris, Op. Cit., p.56.
(5) Thomas John Charles, The Personnel of English and Welsh Castles, 1272 – 1422, PH. D., The University of Hull, 1999, p.48 – 29.
(6) R. L. Mackie, A Short Social and Political History of Britain, World Book Company, New York, 1922, p.107 – 108.
(7) Edward Arthur Lewis, Op. Cit., p.25.
(8) Cambrian Archaeological Association, Archaeologia Cambrensis the Journal, Vol. VIII. Fifth Series, Pickering and Chatto 66 Haymarket S. W., London, 1891, p.177.

الأدوار العسكرية، القضائية، الإدارية والسكانية بما يتسق مع مفهوم العسكرة الإدارية للمجتمع الإنكليزي في ويلز[1]، وقد شكلت المدن المحصنة المحيطة بهذه القلاع انموذجًا لما يمكن تسميته الاستيطان الإنكليزي الممنهج، إذْ كانت تلك المدن مصممة لتكون وحدات إنتاج سياسي واجتماعي داعمة للنظام الملكي من خلال ساكنين يتم اختيارهم على أساس الولاء والانتماء الثقافي، وهكذا لم تكن تلك المدن مجرد مراكز سكنية، بل بؤرًا لإعادة هيكلة الوعي المحلي الويلزي بما يتناسب مع توجهات مؤسسة العرش الإنكليزي، عبر فرض الممارسات اليومية الإنكليزية: من اللغة إلى لباس القضاة، ومن آليات البيع والشراء إلى التكوين الأسري والميراث، لتكتمل بذلك حلقة التطبيع الإنكليزي للبنية الاجتماعية الويلزية، وتحوّلت تلك القلاع إلى مراكز احتجاز فعّالة، ليس فقط من حيث قدرتها العقابية، ولكن أيضًا من حيث رمزيتها السلطوية[2]، كما في قلعة فلينت (Flint Castle)، التي خُصصت لتكون قاعدة عسكرية ومركزاً للاستيطان وسجنًا للمتمردين، وأصبحت رمزًا لديمومة السيطرة الإنكليزية طويلة الأمد في الذاكرة الويلزية[3].

وتم توظيف تلك القلاع بوصفها أدوات مراقبة شاملة على السكان المحليين، مع تزويدها بنظم قضائية متكاملة للاضطلاع بمهام الضبط والردع وتنفيذ أحكام التاج بحق المجرمين والمتورطين في التمرد ومن مثلوا تهديدًا للتماسك الأمني للنظام الجديد. كما ساهمت في نقل مركز الثقل القانوني من البنى العرفية المحلية إلى بنية قانونية ممركزة تحت هيمنة التاج، مما أعاد تشكيل علاقة الويلزيين بالسلطة استناداً إلى الانضباط القانوني والولاء السياسي[4]، وتدريجياً لمس الإنكليز والويلزيين على حدٍ سواء أهمية تلك القلاع والمدن محصنة، كأدوات فعالة في إعادة إنتاج السيطرة، حيث تكامل دورها بين الردع العسكري، والإدارة المحلية، والإخضاع الثقافي، مما جعلها محاور لسلطة متعددة الوظائف ومنظومة ضابطة للتمردات المستقبلية، ضمنت وجودًا إنكليزيًا طويل الأمد في الأرض التي كانت يومًا معقلًا للمقاومة القومية الويلزية، وبذلك النسق المعماري المتكامل، هيمنت قلاع هارليتش، وكارنارفون، وكونوي وسواها على الداخل الويلزي

(1) Ibid, p.177.
(2) Robert Rees Davies, Conquest, Coexistence and Change: Wales 1063–1415, Oxford University Press, 1987, p.160 – 172.
(3) Cadw, Op. Cit., p.12 – 13.
(4) Cambrian Archaeological Association, Op. Cit., p.177.

والمواقع الساحلية استراتيجية، لضمان الربط بين البحر والبر، وتعزيز الردع التحصيني الضابط للسواحل الويلزية والمحيط بها[1].

تنامى نفوذ اللورد الطموح ريس أب ميريديث، ذو المكانة الإقطاعية البارزة بين أوساط الويلزيين في كارمارثنشير (Carmarthenshire)[2]، لأسباب ليس أخرها مسيرته السياسية الانتهازية التي شهدت تعاونًا ظرفيًا مع الإنكليز، استغله الملك الإنكليزي لاغراء ريس أب ميريديث لخيانة قضية بلاده أثناء تعرض الوجود الإنكليزي في ويلز للخطر، مما انتهى إلى منحه إمتيازات ملكية، منها: حقه في تحديد وتَعيين القوانينِ التي يحاكم فيها رجاله الويلزيين، وتكريمه بمنحه لقب شرف الفروسية نتيجة خدماته التي قدمها للتاج اثناء وأدها التمردات الويلزية[3].

إلا أن عوامل متعددة دفعت ريس أب ميريديث لمراجعة مواقفه الداعمة لمؤسسة العرش الإنكليزي ثم الانقلاب عليها، في مقدمتها: إدراكه أن المكافآت الضخمة التي منحتها له السلطات الملكية سابقاً، وأراضي خصومه الويلزيين المصادرة التي حصل عليها، والامتيازات القانونية التي استأثر بها، كانت أداة سياسية إنكليزية لتحويل ولاءه نحو إنكلترا ريثما تقضي على التمرد الويلزي، وتحجم نفوذه بما يتوافق مع مصلحة مؤسسة العرش الإنكليزي[4]، وهو ما بدا واضحاً في تعرض ريس آب ميريديث لمظالم إقطاعية، وارغامه على تقديم دعاواه لمحاكم الملك الجديدة كـ محكمة المائة, فضلاً عن اقصائه من منظومة الحكم الجديدة، وتهميش الإدارة المركزية الإنكليزية له، واحاطته بإداريين إنكليز عاملوه بتعسف وعدوه مجرد إداة وظيفية لتحقيق اهدافهم وليس شريك لهم في الحكم[5]، ومن بينهم رالف دي هنغام (Chief Justice of the King's Bench, Ralph de Hengham)[6] الذي تم تعيينه في 20 أيار 1287 للتحقيق في تجاوزات

(1) Ibid, p.177.
(2) Christopher Brooke And Denis Mack Smith, A History of England the Later Middle Ages 1272 – 1485, Vol. II, Thomas Nelson and Sons Ltd, Edinburgh, 1962, p.92.
(3) George T. O. Bridgeman, Op. Cit., p.188-189.
(4) Thomas John Charles, Op. Cit., p.51.
(5) Caradoc of Lhancarvan, Op. Cit., p.305.
(6) (1235 – 1311): قاضٍ ورجل دولة، وفقيه قانوني بارز عيَّنه إدوارد الأول رئيساً لمحكمة الملك عام 1274، ليكون المحرك الأساسي للإصلاحات التشريعية والقانونية التي تمخض عنها قانوني وستمنستر الأول والثاني، عاصر صياغة قانون رودلان عام 1284 لتنظيم إدارة ويلز

ريس أب ميريديث في مقاطعة كرمرثن, مما انتهى إلى خلافات بين السلطات الإنكليزية في ويلز واللورد ريس أب ميريديث، ومع أن الملك إدوارد الأول أمر نوابه في ويلز بعدم تأزيم الأمور مع اللورد ريس آب ميريديث، لكنه تجاهل الشكوى التي عرضها له الأخير في خطاب إليه[1]، حينها اقتنع ريس آب ميريديث أنه لن يحافظ على نفوذه إلا بالقوة، وبإمكانه توظيف السخط المتزايد لدى بني جلدته على فرض القوانين الإنكليزية عليهم، لاحياء إمارة اسلافه في جنوب ويلز، وجعلها وريثه لإمارة جوينيد في توحيد ويلز، ورفع نير السيطر الإنكليزية عنها[2].

هيأ ريس آب ميريديث مستلزمات تمرده ضد السلطة الإنكليزية، واستغل غياب الملك إدوارد في غاسكوني، فنفذ في 8 حزيران 1287 هجوماً مباغتاً على قلعة لاندوفير (Llandovery Castle)[3]، تلاه إحراق بلدة سوانسي (Swansea) جنوب غرب ويلز، وعمليات تخريب ونهب حتى أبريستويث[4].

أظهر البلاط الملكي الإنكليزي استجابة سريعة لذلك التمرد, ففي 15 حزيران 1287 أَمر روجر ليسترانج بالزحف نحو ويلز لقمع تمرد ريس أب ميريديث, وفي 2 تموز اعطى الملك توجيهاته للعفو عن الرجال الويلزيون الذين انضموا إلى التمرد ثم أعلنوا استسلامهم, وصدرت الأوامر في اليوم نفسه إلى ضباط الملك في تلك الأنحاء ليضعوا أيديهم علي أراضي وممتلكات ريس أب ميريديث والمتمردين معه، لتصبح تابعة للملك من أجل إعادة توطين الإنكليز فيها, وفي 5 تموز أعلن الملك مكافأة مالية قدرها 150 مارك مقابل رأس ريس أب ميريديث[5].

المفتوحة. عُزل من منصبه وسُجن إثر فضيحة فساد مالي كبرى طالت القضاة عام 1289 أثناء غياب الملك في غاسكوني، لكنه استعاد الحظوة الملكية وعُيِّن رئيساً لمحكمة الدعاوى العمومية عام 1301، وتُعزى إليهِ كتابة شروح قانونية شهيرة عُرِفت رسالة هينغهام الكبرى، للمزيد، ينظر: Paul Brand, The Making of the Common Law, Hambledon Press, London, 1992, p.370 – 376 ; T. F. T. Plucknett, Edward I and Criminal Law, Cambridge University Press, Cambridge, 1960, p.55 – 61.

(1) George T. O. Bridgeman, Op. Cit., p.192 – 193.

(2) James H. Ramsay, The Dawn of the Constitution or the Reigns of Henry III and Edward I A.D. 1216 – 1307, London, 1908, p.363 ; Christopher Brooke and Denis Mack Smith, Op. Cit., p.92.

(3) George T. O. Bridgeman, Op. Cit., p.192 – 193.

(4) Charles Oman, England in the Later ..., Vol. III., p.29.

(5) George T. O. Bridgeman, Op. Cit., p.193.

أشرف الوصي على مملكة إنگلترا الإيرل إدموند كورنوال (Edmund, 2nd Earl of Cornwall)[1]، على فعاليات بلاده في ويلز لوئد تمرد ريس آب ميريديث, فدعى في 15 تموز عام 1287 مائة وثمانية عشر من المستأجرين العسكريين التابعين للتاج لاجتماع في غلوستر، مع اجتماعات مماثلة في الوقت ذاته في لانبادارن فاور (Llanbadarn Vawr) ومونماوث (Monmouth) استعداداً للزحف نحو ويلز بقيادته أو قيادة إيرل غلوستر جلبرت دي كلير[2]، وفي 23 تموز تم إرسال أوامر ملكية إلى رجال مقاطعة تشيستر للمسير نحو غرب ويلز, ورغم تكليف إيرل غلوستر رسميًا بالمواجهة، إلا أن تعاطفه الضمني مع ريس أب ميريديث، لأسباب تتعلق بعلاقتهما الوثيقة وتداخل بعض مصالحهما، أدت إلى تلكوئه في تنفيذ الأوامر[3].

اضطر إيرل كورنوال ادموند إلى تحمل المسؤولية بنفسه، فزحف بقواته إلى جنوب ويلز، واجبر المتمردين على الانسحاب، واستعاد جميع القلاع الملكية دون مقاومة، وكان المكان الوحيد الذي قاوم الإنگليز هي قلعةَ دريسلوين (Drysllwyn Castle) الخاصة بـ ريس أب ميريديث, فاستولى إيرل كورنوال عليها بعد خسائر فادحة، بسبب سقوط جزء من جدارها على عدد من كبار القادة الإنگليز، بضمنهم البارون وليام مونشينسي (Baron, William Munchensy)[4]، وبسبب فرار ريس أب ميريديث أبرم

---

(1) (1249 – 1300): وُلد في قلعة بيركهامستد في 26 كانون الأول، وهو نجل ريتشارد، شقيق هنري الثالث، وسانشيا من بروفانس. عُمّد على يد بونيفاس من سافوي، احتُجز مع والده عقب معركة ليويس عام 1264، ورث أراضي ولقب والده عام 1272، تزوّج مارگريت شقيقة غيلبرت دي كلير، ثم نُصّب إيرلًا لكورنوال، انتظم في مجلس الحكم عقب وفاة هنري الثالث، وشارك في حملات إدوارد الأول إلى ويلز، كما شغل منصب الوصي على المملكة أثناء غيابه بين 1286 و1289، ساهم ماديًا في تمويل الحكم والجيش، لا سيما في قمع تمرد ريس أب مريدد عام 1287، كما قدم قروضًا ضخمة للتاج، مما جعل الدولة تعتمد على ثروته الخاصة، تدهورت صحته أواخر حياته، وتوفي في 25 أيلول، فدُفن قلبه في آشرِدج، وعظامه في دير هايلز، وقد آلت ممتلكاته إلى التاج لعدم وجود وريث مباشر، مع تخصيص جزء من إرثه لمهر زوجته، للمزيد، ينظر: Nicholas Vincent, Edmund of Almain, second Earl of Cornwall (1249–1300), Oxford, Oxford University Press, 2004.

(2) James H. Ramsay, The Dawn of …, p.363 – 364.

(3) George T. O. Bridgeman, Op. Cit., p.194 – 195.

(4) (1235 – 1287): هو ابن لورين دي مونشينسي من زوجته الثانية دينيس، توفي والده في عام 1255 حين كان وليام قاصرًا، فأُدار ميراثه صهره وليام دي فالنس. تزوج عام 1247 من

الإيرل إدموند كورنوال هدنة مع عدد من اللوردات الويلزيين ريثما يعتقل ريس آب, وبحلول تشرين الثاني 1287، هيأ ريس أب لنفسه قاعدة جديدة في قلعة تيفي (Teify Castle), فزحفت نحوها قوات إنكليزية بقيادة قاضي المحكمة العليا في غرب ويلز روبرت دي تيبوتوت, وتم اقتحامها مطلع شباط 1288، ففر ريس أب ميريديث إلى أيرلندا، حيث وفّر له إيرل غلوستر ملاذًا آمنًا، في موقفٍ يثير أسئلة عن توازنات السلطة بين كبار النبلاء الإنكليز، وأثر ذلك على ولائهم لمؤسسة العرش الإتكليزي[1].

عاد ريس أب ميريديث إلى جنوب ويلز عام 1290، وقاد تمرداً جديداً، لكن قاضي المحكمة العليا في غرب ويلز روبرت دي تيبوتوت جمع قواته على عجل وخاض معركة ضارية ضد قوات ريس أب ميريديث، انتهت بانتصار ساحق للإنكليز على الويلزيين، وأسر ريس أب ميريديث[2]، الذي أرسل مكبلاً بالأغلال إلى يورك لمقابلة الملك إدوارد، فأمر بشنقه في 3 حزيران 1292، وتركت جثته معلقة لمدة ثلاثة أيام، ثم قطعت جثته إلى أربعة اجزاء وارسلت إلى مدن مختلفة[3].

أطلق الويلزيون تمردًا واسع النطاق في عام 1294، شكلَ تصعيدًا نوعيًا وخطيرًا في المقاومة ضد السلطة المركزية الإنكليزية[4]، من حيث مستوى التنسيق أو حساسية التوقيت السياسي، فقد اقترن ذلك التمرد بـ انشغال الملك إدوارد بالتحضير لحملته نحو غاسكوني، مما منح الويلزيين فرصة ثمينة لتدمير النظام الإداري المفروض عليهم، وإنهاء سياسة الجباية الملكية المقيتة، التي فرضت عليهم ضريبة بلغت 15%

جوان دي مونشينسي، وريثة جزء من ممتلكات عائلة مارشال، وتسلم ميراث والده رسميًا في 20 تشرين الأول 1256، اشترك في 11 تموز 1260 في التمرد ضد هنري الثالث، دعم سيمون دي مونتفورت في 22 أيار 1263، وكان من قادة معركة لويس في 14 أيار 1264. أُسر في 2 آب 1265 وأُطلق سراحه في 25 حزيران 1266، عُفي عنه في 18 شباط 1267، واستعاد ممتلكاته في 8 كانون الأول 1267 بعد دفع 2000 مارك، دفع في 24 آب 1269 غرامة 1000 مارك، شارك في جميع حملات ويلز، تزوج في 24 آب 1279 من أميسيا، وأنجبا ابنة اسمها دينيس. قتل في 15 آب أثناء حصار قلعة دريسلوين، للمزيد، ينظر: George E. Cokayne et al., Op. Cit., Vol. IX, London, 1936, p.424 – 425.

(1) James H. Ramsay, The Dawn of …, p.364 – 365.

(2) George T. O. Bridgeman, Op. Cit., p. 197.

(3) W. Burton, Politics, Propaganda and Public Opinion in the Reigns of Henry III and Edward I, PH. D. In the University of Oxford, 1985, p.175.

(4) Christopher Brooke and Denis Mack Smith, Op. Cit., p.93.

على ممتلكاتهم المنقولة، مما فُسر كاستغلال إنكليزي كبير لمواردهم المحلية، وساهم في تأجيج سخطهم ازاء السلطة الإنكليزية [1]

قاد التمرد ثلاثة شخصيات ذات ثقل رمزي وعسكري بالغ الأهمية، أولهم: مادوغ آب ليولين (Madog ap Llywelyn)[2]، الذي ادعى أنه من الدم الملكي الويلزي بوصفه ابن غير شرعي لـ ليولين آب غروفود، وقاد حراكه العسكري في شمال غربي ويلز، فهاجم بعض المواقع الإنكليزية، وأحرق قلعة كارنارفون، والقائد الثاني هو مايلغون فيشان (Maelgwn Vychan)[3]، الذي نشّط في جبهة غرب ويلز، والقائد الثالث هو مورغان آبر ميريديد (Morgan ap Maredudd)[4]، الذي بسط سيطرته على

---

(1) Gilbert Stone, Op. Cit., p.354.

(2) (1255 – 1295): زعيم ثوري ويلزي وقائد تمرد عام 1294م في شمال ويلز. ينتمي إلى السلالة الملكية لـ مملكة غوينيد، وحظي بثقل رمزي كبير لكونه أعلن نفسه أميرا لويلز استنادًا إلى شرعيته النسبية. قاد هجومًا صاعقًا نجح خلاله في الاستيلاء على شمال غربي ويلز وإحراق قلعة بلدة كارنارفون وتدمير حاميتها الإنكليزية، وصمد بقواته حتى هُزم في معركة ميس مادوغ في آذار 1295م على يد إيرل واريك، واستسلم في تموز من العام نفسه، فنُقل أسيراً إلى لندن وقضى بقية حياته في الأسر، للمزيد، ينظر: A. D. Carr, "The Last and the First: Madog ap Llywelyn", In: Transactions of the Honourable Society of Cymmrodorion, London, 1995, p. 132 – 138.

(3) (1250 – 1295): قائد عسكري وزعيم محلي من نبلاء غرب ويلز في كرديغيان، وأشارت لفظة فيشان في اللغة الويلزية إلى الصغير أو الابن لتمييزه عن أبيه، تولى قيادة الجبهة الغربية للتمرد عام 1294، فنجح في تحشيد المقاتلين وشل حركة الإدارة الإنكليزية في المقاطعة ومحاصرة القلاع الحصينة، واستمرت عملياته مهددة لخطوط الإمداد الإنكليزية حتى تمكنت القوات الملكية المتوجهة غرباً من كسر شوكة رجاله، قُتل في إحدى المعارك أواخر عام 1295م، للمزيد، ينظر: Keith Williams-Jones, The Merioneth Lay Subsidy Roll 1292 – 1293, University of Wales Press, Cardiff, 1976, p.52 – 56.

(4) (1260 – 1316): من نبلاء جنوب، يرجع نسبه إلى أمراء مملكة غوينلوغ قاد جبهة الجنوب في غلامورغانأثناء تمرد 1294، وتميز تمرده بطابع خاص، إذ أعلن أن حربه ليست موجهة ضد شخص الملك إدوارد الأول، بل ضد طغيان لورد الثغور الإنكليزي جيلبرت دي كلير (إيرل غلوستر). وبسبب ذلك الموقف، حين قاد الملك جيشه للجنوب عام 1295، استسلم مورغان له مباشرة فنال عفواً ملكياً خاصاً، واستوعب التاج رجاله لاحقاً للخدمة كمرتزقة في الحملات الإنكليزية ضد إسكتلندا، للمزيد، ينظر: J. Beverley Smith, The Rebellion of Madog ap Llywelyn, 1294 – 1295, in: Bulletin of the Board of Celtic Studies, Vol. IV, 1964, p.11 – 15.

غلامورغانشاير (Glamorganshir) وبعض مناطق جنوب ويلز، إلا أن تمرده تركز ضد إيرل غلوستر شخصيًا، وليس ضد الملك إدوارد[1].

شكّل ذلك التمرد تهديدًا فعليًا لبنية السيطرة الملكية في ويلز، وبلغت خطورته حداً أجبر الملك إدوارد على تأجيل حملته الفرنسية، في انعكاس واضح لأولويات الدفاع عن المجال الإنكليزي الداخلي على حساب إقطاعية إنكلترا القارية، مما دفع الملك إدوارد إلى تأجيل حملته إلى فرنسا, ولضيق خياراته التعبوية لجأ الملك إلى تعبئة طارئة عبر إصدار عفو مشروط عن السجناء والمجرمين مقابل مشاركتهم في العمليات العسكرية ضد التمرد الويلزي، فجمع ألف رجل مسلح تحت رايته تزامناً مع حشد لوردات المناطق الحدودية التابعين له مقاتليهم, وتزامناً مع ذلك استطاع إيرل لينكولن هنري لاسي احتواء جبهة شمال ويلز عبر انتصار ميداني حاسم في دنبي[2].

اختار الملك إدوارد الإشراف الميداني المباشر على الجبهة الغربية، فامضى عيد الميلاد في أبيركنوي (Aberconway)، ثم زحف الملك بقواته إلى عمق ويلز[3]، لكنه واجه معضلات لوجستية خطيرة تمثلت في سرقة الويلزيين شطر كبير من امتعته الشخصية ومؤن قواته، تزامناً مع حدوث فيضانات قطعت خطوط الإمدادات نحو كونوي، وعرضته ومرافقيه لحصار قاسٍ، لكن الملك إدوارد الأول في ذلك الظرف الدقيق أبدى موقفًا بالغ الجرأة نم عن قدرة عسكرية بالغة، حين رفض امتيازات التزود بالمؤن لشخصه، معلنًا تحمله المعاناة مع جنده، مما عزز رمزيته أمام جيشه كملك مقاتل، وحين إنحسرتْ الفيضانات انضمت إِليهِ قواته الرئيسة، وباشر تقدمه، فأدرك المتمردون الويلزيون ان استمرارهم بمقاومة القوات الإنكليزية غير مجدٍ، لاسيما بعد أن دشن الملك إدوارد الأول أثناء زحفه قلعة بيوماريس (Beaumaris Castle) في إنجليسي لتوسيع الحزام الدفاعي الملكي، وتعزيز مشروع الإعمار العسكري المتكامل الذي تميزت به السياسة الإدواردية في ويلز[4].

ويبدو أن انشغال الملك بتدشين قلعته، وبطئ عملية اعادة انتشار القوات الإنكليزية في ويلز أتاح لمادوغ تنفيذ هجوم مضاد خاطف، استولى خلاله على

(1) Charles Oman, England in the Later ..., Vol. III., p.29.
(2) Gilbert Stone, Op. Cit., p.354 – 355.
(3) J. E. Lloyd, Op. Cit., p.94 – 95.
(4) Gilbert Stone, Op. Cit., p.355.

أوسويستري، لكن القوات الإنكليزية التي قادها إيرل وارويك وليام دي بوشامب سحقت ذلك التمرد بعد معركة ميس مادوغ (Maes Madog) الدامية في آذار 1295 على تلال سيفن ديغول (Cefn Digoll)[1]، شمال شرق بوويز على مقربة من قلعة سيميس (Cemais Castle)، وتم اعتقال مادوغ ثم سجنه في برج لندن في تموز 1295[2].

وبعد إحكام السيطرة على المواقع الرئيسة، واستعادة كارنارفون، وتشييد قلعة بيوماريس كرمز للقوة المركزية، غادر الملك إدوارد الأول الجبهة، تاركًا عمليات التطهير وإعادة الضبط الإداري لحلفائه من اللوردات الحدوديين، في ختام مرحلة عسكرية أكدت عمق التحديات التي واجهتها السلطة الإنكليزية في تثبيت نفوذها بوصفها القوة العسكرية الوحيدة في الأراضي الويلزية[3]، وسرعان ما استقرت ويلز وازدهرت تجارتها، لتصبح من الروافد الاقتصادية الرئيسة لمملكة إنكلترا[4]، تحت رقابة مباشرة من مؤسسة العرش الإنكليزي على جميع فعالياتها الاقتصادية[5]، وبدت أهمية ويلز في دأب مؤسسة العرش الإنكليزي منذ وأد تمرداتها على جعل ولي العهد الإنكليزي أميراً عليها، وهو لقب استمر حتى يومنا هذا[6].

(1) Michael Prestwich, Edward I …, p.370 – 372.
(2) W. Burton, Politics, Op. Cit., p.175.
(3) Edward Arthur Lewis, Op. Cit., p. 24
(4) Reginald R. Sharpe, Calendar of letter-Books Preserved among the Archives of the Corporation of the City of London, Printed By John Edward Francis Bream's Buildings E.G., London, 1901, p.42.
(5) W. J. Ashley, An Introduction To English Economic History and Theory, G. P. Putnam's Sons, New York, 1894, p.173 ; John Brown, The History of Haverford West with that of Some Pembrokeshire Parishes, Li. Brigstocke, Haverford west, 1914, p.5 – 6.
(6) J. Vyrnwy Morgan, A Study in Nationality…, p.187.

الفصل الثاني

التحدي الاسكتلندي ومؤسسة العرش الإنكليزي بين تمرد وليام والاس وحملات روبرت بروس 1286 – 1307

المبحث الأول

ملابسات خضوع إسكتلندا إقطاعياً للملك إدوارد الأول، والتمردات الإسكتلندية التي تلت ذلك حتى خلع الملك جون باليول عن عرشه 1286 – 1292

هيأت عدة متغيرات إنگلترا للتدخل في الشأن الإسكتلندي، منها وفاة شقيقة إدوارد الأول ملكة إسكتلندا مارگريت (Margaret of England)[1] في 26 شباط 1275 التي انعكست سلباً على علاقة البلاطين الإنگليزي والإسكتلندي، فاستغل إدوارد الأول ذلك للشروع في فرض سلطته الإقطاعية المطلقة على الملك الإسكتلندي الإسكندر الثالث (Alexander III, King of Scotland)[2]، الذي كان تابعاً إقطاعياً له عن بعض ممتلكاته في شمال إنگلترا[3]، وأثناء مثول الإسكندر الثالث أمام البرلمان الإنگليزي لتأكيد ولائه الإقطاعي لإدوارد الأول عن أراضيه الإنگليزية، طَلَبَ منه أسقف نوريتش وليام دي ميدلتون (William de Middleton)[4] تضمين فقرة في قسمه مفادها

---

(1) (1240 – 1275): ولدت في 29 أيلول في قلعة وندسور، أبوها ملك إنگلترا هنري الثالث وامها إليانور من بروفانس، تزوجت ملك إسكتلندا الإسكندر الثالث في 26 كانون الأول 1251، وأصبحت ملكة إسكتلندا، أنجبت ثلاثة أطفال هم: مارگريت زوجة ملك النرويج ايريك الثاني، والإسكندر، وديفيد، تمتعت بنفوذ كبير في البلاط الإسكتلندي، وسعت لتعزيز علاقات إنگلترا وإسكتلندا، توفيت في 26 شباط بقلعة كوودن الإسكتلندية، للمزيد، ينظر: Matthæi Parisiensis, monachi Sancti Albani, Chronica majora, Editor Henry Richard Luard, Vol. V, London, 1872, p.501 – 506 ; Alan Orr Anderson, Early sources of Scottish history, A.D. 500 to 1286;. Cornell University Library. Edinburgh, London, 1922, p. 658 – 659.

(2) (1241 – 1286): ولد في 4 أيلول بقلعة روكسبيرغ، هو الابن الوحيد لـ الإسكندر الثاني وامه ماري دي كوسي، تولى العرش في سن السابعة، تزوج مارگريت شقيقة إدوارد الأول، وأنجبا مارگريت والإسكندر وديفيد، ثم تزوج نبيلة تدعى يولاند دي درو، هزم النرويج في لارغز وفرض معاهدة بيرث التي ضمت الجزر الغربية وجزيرة مان لإسكتلندا، توفي في 19 آذار قرب كينغورن، للمزيد، ينظر: Marion Campbell, Alexander III, King of Scots, Argyll, Scotland, 1999.

(3) Archibald H. Dunbar, Scottish Kings a revised chronology of Scottish history 1005 – 1625 With Notices of the Principal Events Tables of Regnal Years, Pedigrees Calendars, etc, Edinburgh, 1899, p.96.

(4) (– 1288): ولد في دورهام، بدأ مسيرته المهنية كاتباً في ديوان الخزانة اليهودية عام 1265، وعُين رئيس شمامسة كانتربري في تشرين الأول 1275، ثم أصبح نائباً لرئيس أساقفتها، انتخب أسقفا لنوريتش في 24 شباط 1278، استمر في أداء أعمال إدارية ملكية بعد انتخابه، أبرزها

أَنَّهُ ومملكة إسكتلندا يدينان بولاء إقطاعي لعاهل إنگلترا، فقال له الإسكندر: "**أنا تابع لملك إنگلترا عن إقطاعاتي الإنگليزية فقط، أَمَّا مملكتي إسكتلندا فولاؤها للرب ولي**"[1].

واللافت أَنَّ سلسلة وفيات متسارعة أتت عَلَى جميع أفراد الأسرة الملكية الإسكتلندية، فقد توفي ابنه الأصغر ديفيد (David)[2] عام 1281، ثم ابنته الوحيدة ملكة النرويج مارگريت (Margaret of Scotland, Queen of Norway)[3] عام 1283، وابنه الأكبر وولي عهده الإسكندر (Alexander, Prince of Scotland)[4] عام

تعيينه في تموز 1287 في منصبي سنشال غاسكوني ونائب دوقية أكيتاين، توفي في 1 آب في تيرلينغ، للمزيد، ينظر: Frank Pegues, "The Clericus in the Legal Administration of Thirteenth-Century England", The English Historical Review, 1956, p.548 ; E. B. Fryde et al., Handbook of British Chronology, Cambridge, 1996, p.261 ; British History Online, "Bishops of Norwich", Online, 2007.

(1) Donald Macmillan, A Short History of the Scottish people, London, 1911, p.87.

(2) (1273 – 1281): أبوه الملك الإسكندر الثالث وأمه الملكة مارگريت شقيقة إدوارد الأول، ولد في 20 آذار في جيدبيرغ بمقاطعة روكسبيرغ، لديه شقيقة تُدعى مارگريت وشقيق يُدعى الإسكندر. توفي في حزيران عن عمر ناهز ثمانية سنوات في مقاطعة ستيرلنغ، ودُفن في دير دنفرملاين، للمزيد، ينظر: G. W. S. Michael Brown, The Wars of Scotland 1214 – 1371, Edinburgh, 2004, p.71.

(3) (1261 – 1283): ولدت في 28 شباط في قلعة وندسور في إنگلترا، أبوها ملك إسكتلندا الإسكندر الثالث وأمها الملكة مارگريت شقيقة إدوارد الأول، ولها شقيقان هما الإسكندر وديفيد، تزوجت ملك النرويج إريك الثاني في 31 آب 1281، وأنجبت منه ابنة واحدة هي مارگريت، التي عُرفت لاحقاً باسم "فتاة النرويج"، توفيت في 26 شباط في تونسبرغ، ودُفنت في كنيسة المسيح في بيرغن، للمزيد، ينظر: G. W. S. Barrow, A Kingdom in Crisis: Scotland and the Maid of Norway, The Scottish Historical Review, 1990, p.120 – 141 ; Archibald Alexander McBeth Duncan, The Kingship of the Scots, 842-1292: Succession and Independence, Edinburgh, 2002, p.166 ; Richard Oram, The Canmores: Kings & Queens of the Scots, 1040 – 1290, Stroud, UK, 2002, p.107.

(4) (1264 – 1284): ولد في 21 كانون الثاني 1264 في جيدبيرغ بمقاطعة روكسبيرغ الإسكتلندية، وهو الابن الأكبر والطفل الثاني للملك الإسكندر الثالث من زوجته الأولى الملكة مارگريت من إنگلترا، له شقيقة كبرى تدعى مارگريت وشقيق أصغر يدعى ديفيد، بصفته وريث العرش الإسكتلندي، تم إعداده لمنصبه المستقبلي، فحصل عام 1270 على لقب إيرل فايف، وبعد عام 1275 أصبح أيضاً لورد مان، مما منحه مكانة ملكية، تزوج ماركريت فلاندرز في

1284[1]، واثناء توجه الإسكندر الثالث في 18 آذار 1286 إلى كينغورن (Kinghorn) للقاء زوجته يولاند درو (Yolande of Dreux)[2]، سقطَ من حصانهِ وفارق الحياة[3]، تاركاً مملكته دون وريث من سلالتهِ سوى حفيدته مارگريت (Margaret)[4] ابنة ملك النرويج، الَّتِي اوصى أنْ ترث عرشه في حالة عدم انجابه وريث ذكر، وهَكَذَا اصبحت مارگريت المرشح الأوحد لعرش إسكتلندا[5]، فوجه النبلاء الإسكتلنديون في 29 آذار عام 1286 خطاباً إلى ملك إنگلترا أخبروه فيه بما حدث،

روكسبيرغ في 14 تشرن الثاني 1282، ولم ينجبا أطفال، توفي في 28 كانون الثاني في دير ليندورز بمقاطعة فايف الإسكتلندية وعمره عشرون عامًا، ودُفن في دير دنفرملاين، للمزيد، ينظر: G. W. S. Barrow, Kingdom in Crisis …, p.120 – 141 ; Archibald Alexander McBeth Duncan, Op. Cit., p.171, 211.

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.186.

(2) (1263 – 1322): ولدت في فرنسا، وهي ابنة روبرت الرابع كونت درو وبياتريس من مونتفورت، أصبحت ملكة إسكتلندا بزواجها من الملك الإسكندر الثالث عام 1285 لتأمين وريث للعرش، لكن وفاته المفاجئة عام 1286 دون وريث منها أدخلت إسكتلندا في أزمة سياسية كبرى، عادت بعدها إلى فرنسا وتزوجت عام 1292 آرثر الأول دوق بريتاني، وأنجبت منه عدة أبناء أدوا أدوارًا سياسية بارزة، من بينهم جون الكونت ليموج، وماري، واليس، توفيت في تشرين الثاني ودُفنت في دير شامبوا، للمزيد، ينظر: William F. Skene, Celtic Scotland: A History of Ancient Alban, Vol. I, Edmonston & Douglas, Edinburgh, 1876, p.495 – 498 ; G. W. S. Barrow, Robert Bruce …, p.3 – 11 ; Michael Penman, The Scottish Civil War: The Cousin's War 1286 – 1329, Stroud, 2002, p.22 – 26.

(3) Rosalind Mitchison, A History of Scotland, Taylor & Francis ELibrary, 2005, p.29.

(4) (1283 – 1290): ولدت في مطلع أيار في تونسبرغ، وهي الابنة الوحيدة لملك النرويج إريك الثاني وزوجته مارگريت ابنة الملك الإسكندر الثالث، بعد وفاة جدها الإسكندر وجميع أبنائه، أصبحت الوريثة الوحيدة لعرش إسكتلندا، وتم الاعتراف بها كملكة إسكتلندا عام 1286، لكنها اثناء رحلتها إليها مرضت ثم توفيت في جزر أوركني في 26 أيلول، ودفنت في كنيسة المسيح في بيرغن، وأدت وفاتها إلى أزمة خلافة عميقة على العرش في إسكتلندا، للمزيد، ينظر: G. W. S. Barrow, Kingdom in Crisis …, p.120 – 141 ; N. Reid, "Margaret 'Maid of Norway' and Scottish Queenship", Reading Medieval Studies, VIII. 8, 1982, p.75 – 96.

(5) Peter and Fiona Somerset Fry, The History of Scotland, London, 2005, p.70.

واستشاروه حول الحل الأمثل لمشكلة وراثة عرش بلادهم، وفي نيسان 1286 عقد البرلمان إسكتلندي جلسة في مدينة سكون (Scone)[1]، اِنْتَهَتْ إلى تعيين لجنة من ستة أوصياء لإدارةِ شؤون إسكتلندا حَتَّىَ تبلغ وريثة العرش مارگريت سن الرشد[2]، فاضطربت اوضاع إسكتلندا, واندلعَ تمردٌ في جنوبها، فاستعان الاوصياء بملك إنگلترا لمساعدتهم عَلَى حل أزمة وراثة العرش[3].

تهيأت للملك إدوارد الأول فرصة ثمينة للتدخل في الأزمة الإسكتلندية الَّذِي كَانَ مطلعاً عَلَى ملابساتها، وقلقاً من الصراع الَّذِي احتدم حول وراثة عرشها بين النبيلين الإسكتلنديين لورد أنانديل الخامس روبرت بروس "الجد" (Robert de Brus, 5th Lord of Annandale)[4], والبارون جون باليول (John Balliol) (1292 – 1296)[5], مع

(1) Joseph Bain, The Edward's in Scotland A.D. 1296 – 1377, Edinburgh, 1901, p.20.
(2) Rosalind Mitchison, Op. Cit., p.29.
(3) Marc Morris, Op. Cit., p.186.
(4) (1215 – 1295): وُلد في أناندال جنوب غرب إسكتلندا اباه لورد اناندايل الرابع روبرت دي بروس، ووالدته إيزوبل من هانتنغدون، مما جعله حفيد إيرل هانتنغدون ديفيد، ورث ممتلكات والده الإسكتلندية في أناندال عام 1233، فضلاً عن أراضٍ إنگليزية في مقاطعتي دورهام وإسكس، تزوج مرتين: الأولى من إيزابيلا دي كلير في أيار 1240، والثانية من كريستينا دي إيربي، أنجب من زوجته الأولى إيزابيلا ابنه روبرت دي بروس، قاتل إلى جانب الملك هنري الثالث في معركة لويس عام 1264 ودعم الأمير إدوارد في معركة إيفيشام عام 1265، أصبح وصياً على الملك الإسكتلندي الإسكندر الثالث، وبعد وفاة فتاة النرويج عام 1290، أصبح أبرز المتنافسين على العرش الإسكتلندي بوصفه سليلًا للملك ديفيد الأول من خلال أمه إيزوبل من هانتنغدون. لكن الملك إدوارد الأول حكم لصالح جون باليول عام 1292 بناءً على مبدأ البكورة، فتنازل روبرت دي بروس عن ألقابه ومطالبته بالعرش لابنه روبرت دي بروس، توفي في 31 ذار في قلعة لوشمابين بإسكتلندا، ودُفن في دير غيزبورو شمال يورك، للمزيد، ينظر: G. W. S. Barrow, Robert Bruce …, p.28 – 36.
(5) (1249 – 1314): ولد في قلعة برنارد قرب دورهام، أبوه بارون باليول، وأمه ديرفورغيلا غالواي سليلة ملك إسكتلندا ديفيد الأول، بعد وفاة فتاة النرويج عام 1290، أصبح احد المطالبين بالتاج الإسكتلندي، فتم اختياره ملكًا جديدًا لإسكتلندا وتوّج في 30 تشرين الثان 1292 في دير سكون، ثم توترت علاقته مع ملك إنگلترا إدوارد الأول، فهزمه في معركة دنبار، وخلعه عن عرشه في 10 تموز 1296، ثم سجنه في برج لندن لكنه اطلقه عام 1299 بعد توسط البابا بونيفاس الثامن له، عاش باقي حياته في عقارات عائلته في بيكاردي بفرنسا،

ما في ذلك من خطر على استقرار إنكلترا، لاسيما في حدودها المتاخمة لإسكتلندا[1]، لذا قرر الملك إدوارد الأول تزويج مارگريت من ابنه وولي عهده إدوارد كارنارفون، ليتمكن لاحقاً من تسنم عرشي إنكلترا وإسكتلندا[2]، واعتقد إدوارد الأول أَنَّ تلك الزيجة إن تمت ستنتهي إلى مملكة موحدة تمتد من القنال الإنكليزي إلى الجزر الغربية, ولتحقيق ذلك أرسل وفداً رفيع المستوى في ربيع عام 1289[3]، إلى ملك النرويج إيريك الثاني (Eric II (1268 – 1299)[4]، أخبروه برغبة ملك إنكلترا في تزويج ابنه إدوارد كارنارفون من مارگريت، وبحثوا معه ترتيبات تسنم ابنته الصغيرة عرش إسكتلندا, فوافق ايريك الثاني على العرض الإنكليزي[5]، تلتها مباحثات في سالزبوري بتاريخ 3 تشرين الاول، بين وفد نرويجي والأوصياء الإسكتلنديين الستة، بحضور الملك إدوارد الذي اعترف بمارگريت ملكة عليهم[6]، عَلَى ألا تتزوج دون موافقته[7].

أرسل الملك إدوارد وفداً إنكليزياً برئاسة أسقف دورهام انتوني بيك (Bishop of Durham, Anthony Beck)[8] لإبرام معاهدة مَعَ النبلاء الإسكتلنديين متوافقة مَعَ اتفاق

للمزيد، ينظر: Amanda Beam, The Balliol Dynasty, 1210–1364, Edinburgh, 2008, p.123 – 268.

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.187.

(2) Peter And Fiona Somerset Fry, Op. Cit., p.71.

(3) James H. Ramsay, The Dawn of the Constitution …, p.376.

(4) ولد عام 1268 ابيه ملك النرويج ماغنوس السادس (Magnus VI)، وامه إنغيبورغ إريكسداتر (Ingeborg Eriksdatter) ابنة ملك الدنمارك اريك الرابع (Eric IV), منح لقب الملك في الخامسة من عمره جنباً إلى جنب مَعَ والده، وتوج في بيرغن صيف عام 1280 بعد وفاة والده, ولصغر سنه حكم المملكة مجلس ملكي من ابرز البارونات فضلاً عن والدته الملكة الأرملة, حارب الدنمارك بين عامي 1287 – 1295، بسبب ادعاءه بحقه بميراث والدته الدنماركية, وفي وقت لاحق تزوج إيزابيل بروس شقيقة روبرت بروس، وبعد وفاته عام 1299، دفن في كاتدرائية بيرغن ولعد وجود أبناء له خلفه أخيه هاكون الخامس، للمزيد ينظر: Henry Smith Williams, The Historian's History of the World, Vol., XVI, the Outlook Company, New York, 1905, p.118 – 119.

(5) Patrick Fraser Tytler, The History of Scotland from the Accession of Alexander III to the Union, Vol. I, Edinburgh, 1866, p.55 – 57.

(6) James H. Ramsay, The Dawn of the Constitution …, p.376.

(7) Michael Brown, The Wars of Scotland …, p.162.

(8) (1245 – 1311): وُلد في لنكولن، اباه فارس يدعى والتر بيك امتلك أراضي في لينكولن، رافق الأمير إدوارد في حملته الصليبية عام 1270، وبعد عودة إدوارد إلى إنكلترا وتوليه العرش

سالزبوري[1]، فاجتمع الطرفان في بيركهام (Birgham) في 18 تموز 1290[2]، وأبرما معاهدة بيركهام[3], التي تضمنت اقتران الطفلة مارگريت بولي العهد الإنگليزي إدوارد كارنارفون في غضون سنة[4]، وتعهد إدوارد الأول بالحفاظ عَلَى استقلال مملكة إسكتلندا وقوانينها[5]، واحتفاظ كنيستها بامتيازاتها[6]، لكنه قبيل تصديقه المعاهدة في أب 1290[7]، أعلن ضرورة أداء النبلاء الإسكتلنديين يمين الولاء له، ووضع القلاع الإسكتلندية تحت سيطرته, واسناد حكم إسكتلندا إلى حاكم إنگليزي، ليتمكن من الإيفاء بقسمه بالحفاظ عَلَى قوانين إسكتلندا، وقرن قوله بالفعل حين عين أسقف دورهام انتوني بيك حاكماً عَلَى إسكتلندا باسم مارگريت وابنه إدوارد لتسهيل إدارةِ إسكتلندا وفقاً لقوانينها وأعرافها، مما أثار حفيظة الإسكتلنديين[8]، فتراجع الملك إدوارد، واعلن موافقته عَلَى اشراك الإسكتلنديين في تعيين حراس قلاعهم, وتعهد ألا تخضع إسكتلندا إلى إنگلترا[9].

اجتمع نبلاء إسكتلندا في دير سكون قرب بيرث (Perth) أواخر أيلول 1290 استعداداً لتتويج ملكتِهم الجديدة, وتوجه بعضهم لاصطحاب مارگريت من السفينة

عام 1274، أصبح انتوني بيك أقرب مستشاريه، وشغل مناصب مهمة مثل أمين الخزانة في أيلول 1274، ومسؤول برج لندن عام 1275، شارك في بعثات دبلوماسية، منها: التفاوض على معاهدة أبيركونوي مع أمير ويلز ليويلين أب غروفود في تشرين الثاني 1277، والتفاوض على زواج ابنة إدوارد إليانور من وريث أراغون الفونسو، ضمن إدوارد الأول عام 1283 انتخاب انتوني بيك أسقفا لدورهام، وتم تكريسه في 9 كانون الثاني 1284، فحاول توسيع حقوق الأسقفية ونفوذها، مما أقحمه في نزاعات مع التاج والنبلاء المحليين ورئيس دير دورهام، كان بيك قائدًا عسكريًا أثناء غزو ويلز والحروب الإسكتلندية، منحه البابا كلمنت الخامس عام 1305 لقب بطريرك القدس الفخري، مما جعله أعلى رجل دين في إنگلترا، توفي في 3 آذار في قصر إيلثام قرب لندن، ودُفن في كاتدرائية دورهام في 3 أيار، للمزيد، ينظر: C. M. Fraser, A History of Antony Bek, Bishop of Durham, 1283–1311, Oxford, 1957.

(1) Patrick Fraser Tytler, The History of Scotland …, p.62.
(2) Samuel Cowan, Op. Cit., p.221.
(3) Beatrice A. Lees, Op. Cit., p.185.
(4) Marc Morris, Op. Cit., p.188.
(5) Samuel Cowan, Op. Cit., p.377.
(6) Alphons Bellesheim, History of the Catholic Church of Scotland, Vol. II., William Blackwood and Sons, Edinburgh, p.5.
(7) T. F. Tout, The History of England from the Accession of Henry III to the death of Edward III (1216 – 1377), London, 1905, p.178
(8) Patrick Fraser Tytler, The History of Scotland …, p.63 – 65.
(9) Marc Morris, Op. Cit., p.189.

النرويجية، التي رست في جزر أوركني (Orkney Islands)[1]، لكنهم تلقوا في 29 أيلول 1290 نبأً صادماً بوفاة فتاة النرويج مارگريت[2] منذ ثلاثة أيام[3]، فانتهى ما تبقى من سلالة الملك الإسكندر الثالث، وأصبح ملف وراثة العرش الإسكتلندي مشرعاً بين النبلاء الطامعين فيه, وكَانَ معيار اختيارهم مدى قربهم من تلك السلالة، فتتبع النبلاء الإسكتلنديون شجرة ملوكهم بدءاً بوليام الأسد (William the Lion)(1165 – 1214)[4]، وَهُوَ الجد الثالث للملك الراحل إسكندر الثالث، فلم يجدوا وريثاً من نسله، ثم بحثوا عن سلالة شقيقه دافيد إيرل هانتينغدون (David, Earl of Huntingdon)[5]،

(1) Arthur D. Innes, A History England and the British Empire, Vol. I., New York, 1913, p.276.

(2) حول الترتيبات الإدارية والمالية التي اعقبت وفاة فتاة النرويج، أنظر مخطوطة رقم **(1)**.

(3) Laurence Binyon, Heroes in History, Oxford University Press, Oxford, 1917, p.46.

(4) (1142 – 1214): وُلد في هانتنغدون شرق إنگلترا، والده ايرل نورثمبريا هنري، ووالدته آدا دي وارين، له شقيقان: الأكبر ملك إسكتلندا مالكولم الرابع والأصغر إيرل هناتنغدون ديفيد، تسنم عرش إسكتلندا في 9 كانون الأول 1165، وتوج في دير سكون في 24 كانون الأول 1165، حاول استرداد نورثمبريا فتم أسره في النويك في 13 تموز 1174، وابرم معاهدة فاليز المذلة في 8 كانون الأول 1174، أسس دير أربيروث عام 1178، وهو أول من استخدم شعار الأسد الأحمر المتوثب كشعار ملكي إسكتلندي، تزوج إرمينغارد دي بومون عام 1186، وانجبا أربعة أبناء، هم: مارگريت، إيزابيل، الإسكندر الثاني الذي خلفه في الحكم، ومارجوري، استعاد استقلال بلاده بفضل اتفاق كانتربري في 5 كانون الأول 1189، الذي بموجبه ألغى الملك ريتشارد الأول معاهدة مقابل 10,000 مارك فضي، توفي في 4 كانون الأول في ستيرلنغ، ودُفن في دير أربيروث، للمزيد، ينظر: D. D. R. Owen, William the Lion, 1143 – 1214 : Kingship and Culture, East Linton, 1997.

(5) (1152 – 1219): وُلد في هانتنغدون شرق إنگلترا، والده ايرل نورثمبريا هنري، ووالدته آدا دي وارين، له شقيقان ملكان، هما: مالكولم الرابع ووليام الأسد، أسس دير ليندوريس في فايف عام 1190، تزوج في 26 آب 1190 من نبيلة إنگليزية تدعى مود دي كيفيليوك، وانجبا ثلاثة أطفال، هم: جون، مارگريت، ايزابيل، تبنى أدوارًا مهمة كوسيط بين إنگلترا وإسكتلندا لامتلاكه أراضي في كلاهما، من نشاطاته حمله أحد السيوف الاحتفالية في تتويج ريتشارد الأول ومشاركته في الحملة الصليبية الثالثة، ودعمه اياه ضد أخيه جون عام 1194، توفي في 17 حزيران في نورثهامبتون، ودُفن في دير سوتري في هانتنغدون، للمزيد، ينظر: K. J. Stringer, Earl David of Huntingdon, 1152 – 1219: A Study in Anglo-Scottish History, Edinburgh, 1985.

الَّذِي تزوج نبيلة إنكليزية, فخلصوا إلى أَنَّهُ اعقب ثلاث بنات, هن: سيدة غالاوي مارگريت هانتينغدون (Margaret of Huntingdon, Lady of Galloway)[1]، وسيدة أناندیل أيزابيل هانتينغدون (Isobel of Huntingdon)[2]، وكونتيسة هولندا آدا هانتينغدون (Countess of Holland, Ada of Huntingdon)[3]، وجميعهن تزوجن نبلاء كبار, فقد اقترنت ابنته الكبرى مارگريت بإيرل غالاوي وانتهى نسلها إلى جون باليول, وتزوجت الابنة الثانية إيزابيل لورد أناندیل روبرت بروس الرابع (Robert de Brus, 4th Lord of Annandale)[4]، وأنجبت منه ابنه لورد أناندیل الخامس روبرت

(1) (1194 – 1228): ولدت في هانتنغدون، وهي الابنة الكبرى لإيرل هانتنغدون ديفيد، أمها مود دي كيفيليوك، لها ثلاثة اشقاء هم: جون وايزابيل وأدا، تزوجت لورد غالاوي آلان عام 1209، وأنجبت منه كريستينا وديرفورغيلا، للمزيد، ينظر: K. J. Stringer, Op. Cit., p.149 – 152.

(2) (1199 – 1251): وُلدت في هانتنغدون، وهي الابنة الصغرى لإيرل هانتنغدون ديفيد، والدتها مود دي كيفيليوك، لها ثلاثة ثلاثة اشقاء هم: جون ومارگريت وأدا، تزوجت لورد أناندايل روبرت دي بروس عام 1209، وأنجبت منه عدة أبناء، أبرزهم لورد أناندايل الخامس روبرت دي بروس، توفيت عن عمر ناهز اثني وخمسين عامًا، ودُفنت في دير سوتري بجانب زوجها ووالدها، ينظر: James Balfour Paul, The Scots peerage : founded on Wood's ed. of Sir Robert Douglas's Peerage of Scotland; containing an historical and genealogical account of the nobility of that kingdom, Vol. I, Edinburgh, 1904, p.4 – 5.

(3) (1174 – 1240): ولدت في هانتنغدون، أبوها إيرل هانتنغدون ديفيد وامها مود دي كيفيليوك، لها ثلاثة اشقاء هم: جون وايزابيل ومارگريت، تزوجت كونت هولندا فلوريس الثالث، وأنجبا العديد من الأبناء، منهم ديرك السابع ووليام الأول اللذين أصبحا كونتات لهولندا لاحقًا، وفلوريس الذي أصبح أسقف غلاسكو. توفيت في 30 حزيران، ودُفنت في دير ميدلبورغ، للمزيد، ينظر: K. J. Stringer, Op. Cit., p.45 – 50

(4) (1195 – 1245): وُلد في أناندال جنوب غرب إسكتلندا، أبوه لورد انانداىل الثالث روبرت دي بروس، ووالدته بياتريس دي تايدن، تزوج عام 1219 من إيزابيلا هانتنغدون الابنة الثانية لديفيد أمير إسكتلندا وإيرل هانتنغدون الثامن، ومن خلال ذلكالزواج اكتسب روبرت ممتلكات في إنگلترا، ومنها قصور وريتل وهاتفيلد برود أوك في إسكس. أنجب روبرت وإيزابيلا أبناء منهم: روبرت دي بروس، اللورد الخامس لأناندال (جد روبرت بروس ملك إسكتلندا)، وبرنارد دي بروس، وبياتريس دي بروس. وبعد وفاته دُفن في دير جيزبروه في يورك، للمزيد، ينظر: Douglas Richardson, Royal Ancestry, Vol. II, Salt Lake City, 2011, p.282 – 285.

بروس الخامس "الجد"، أَمَّا الابنة الثالثة فانتهى نسلها إلى[1] البارون جون دي هاستينجز (John de Hastings)[2]، وبذلك أَصْبَحَ جون باليول وروبرت بروس "الجد" وجون هاستينجز، ابرز المتنافسين عَلَى العرش الإسكتلندي بوصفهم ورثة ملوك إسكتلندا من جهة الاناث[3]، أَمَّا باقي الطامعين بالعرش فكانت صلاتهم النسبية ضعيفة[4].

كثف روبرت بروس "الجد" ضغوطاته لضمان تسنمه العرش الإسكتلندي, فزحف بقواته نحو بيرث[5]، فرأى الملك إدوارد الأول في تلك التطورات فرصة للتدخل في ملف إسكتلندا، ومع أَنَّهُ تعهد باستقلالها بموجب معاهدة بريكهام، لَكِنَهُ حور بعض فقراتها لتتوافق مَعَ مطامحه في التفوق الإقطاعي الإنكليزي عَلَى إسكتلندا[6]، كبادرة لإخضاع عرش إسكتلندا إِليهِ تدريجياً، فأصدر أوامر إلى باروناته بالتحَشُدْ في نورهام (Norham) في موعد اقصاه 3 حزيران 1291، ودعا أساقفة إسكتلندا ونبلائها إلى اجتماع في نورهام للتداول حول خلافة العرش الإسكتلندي[7], ولكونها بلدة حدودية إنكليزية صغيرة عَلَى بعد خمسة أميال من بيرويك (Berwick)، توجس الإسكتلنديون لأن مسألة

---

(1) Oliphant, A History of Scotland for the young, M. F. Mansfield, New York, 1900, p.37.

(2) (1262 – 1313): وُلد في 6 أيار في مقاطعة وارويك، وهو الابن الأكبر لهنري دي هاستينجز من زوجته جوانا دي كانتيليوب، ورث من والدته عام 1273 ممتلكات اسرة كانتيليوب الغنية، أصبح اللورد الثالث عشر لأبيرغافيني، تزوج إيزابيل دي فالينس عام 1282، وهو أحد المتنافسين الأساسيين على العرش الإسكتلندي استناداً إلى نسبه من آدا من هانتنغدون، شارك في حروب الملك إدوارد الأول في إسكتلندا وأيرلندا وفرنسا، وشغل مناصب مهمة كـ سينشال غاسكوني وحاكم آكيتاين، حضر حصار كيرلافيروك، في عام 1301 وقع رسالة إلى البابا بونيفاس الثامن احتجاجًا على تدخله في شؤون إسكتلندا، تزوج إيزابيل لو ديسبرنسر عام 1310، لديه عدة أبناء، منهم: جون هاستينجز، البارون الثاني هاستينجز وأبناء آخرين، توفي في 28 شباط، ودُفن في كنيسة الرهبان الفرنسيسكان في وارويك، للمزيد، ينظر: George E. Cokayne et al., Op. Cit., Vol. VII, p.370 – 372.

(3) Frederica Rowan, History of England, William and Robert Chambers, London, 1851, p.96.

(4) Margaret Macarthur, History of Scotland, Henry Holt and Company, New York, 1874, p.36.

(5) John Hill Burton, The History of Scotland from Agricola's Invasion to the extinction of the Last Jacobite Insurrection, Vol. II, William Blackwood and Sons, Edinburgh, 1873, p.116.

(6) Patrick Fraser Tytler, The History of Scotland …, p.68.

(7) Eadie D. D, History of Scotland with Illustrative Notes from Recently Discovered State Documents, Vol. I., London, p.76.

الاختيار بين جون باليول وروبرت بروس "الجد" شأن داخلي يفترض حسمه في إسكتلندا، لكنهم اضطروا إلى موافاة الملك إليها[1]، بتاريخ 10 أيار 1291[2].

استهل الملك إدوارد الأول الاجتماع بتأكيده انه لن ينظر في ادعاءات المطالبين بعرش إسكتلندا، دون اقرار نبلائها أَنَّهُ سيدها الشرعي وصاحب الحق في جميع شؤونها[3]، ففوجئ الإسكتلنديون، وأعلنوا انهم غير مخولين بالموافقة على ادعاء ملك إنگلترا، لأن ذلك يقتضى وجود ملك إسكتلندي شرعي له الحق دون سواه في قبول ذلك الادعاء أَوْ رفضه[4]، فخيرهم الملك إدوارد بين الموافقة أَوْ اجتياح بلادهم بجيوش جرارة، ثم منحهم مهلة ثلاثة أسابيع للتداول مَعَ نظرائهم الغائبين[5]، وفي 2 حزيران 1291 اجتمع ثمانية من المتنافسين عَلَى العرش مَعَ أغلب نبلاء إسكتلندا وإنگلترا عَلَى سهل هوليويل هاف (Holywell Haugh) المقابل لقلعة نورهام (Norham Castle)، فأخبرهم رئيس قضاة إنگلترا روجر برابازون (Roger Brabazon)[6] أَنَّ هدف سيده ملك إنگلترا من حقه في السيادة عليهم تحديد الأحق بوراثة عرش إسكتلندا, ثم انتقل إلى روبرت بروس "الجد"، وطالبه بالاعتراف أَنَّ الملك إدوارد هُوَ السيد الاعلى لإسكتلندا، وأنهُ عَلَى استعداد لتلقي حكمه, فوافق روبرت بروس "الجد" وباقي المتنافسين[7]،

---

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.197.
(2) John Hill Burton, Op. Cit., p.118.
(3) W. M. Mackenzie, Outline of Scottish history from Roman Times to the Disruption, Adam and Charles Black, London,1907, p.75.
(4) Eadie D. D, Op. Cit., p.80.
(5) W. M. Mackenzie, Op. Cit., p.75.
(6) (1247 – 1317): وُلد في ليستر، أبوه وليام لو برابازون، نال لقب فارس عام 1268، وبدأ مسيرته المهنية عام 1275 لدى إدموند لانكستر، تزوج بياتريس عام 1281، وحاز ممتلكات في ليستر، أصبح قاضٍ في لانكشاير عام 1287، وتعين قاضيًا مبتدءاً في محكمة الملك عام 1289، أدى دورًا محوريًا في مشكلة وراثة العرش الإسكتلندي عامي 1291 و1292، اصدر حكمه لصالح جون باليول، أصبح رئيسًا لقضاة محكمة الملك عام 1295، ومفوضًا للتجنيد عام 1296، وعضوًا في مجلس الأمير إدوارد عام 1297، وماسحاً للغابات الملكية عام 1300، شارك في محاكمة إيرل أثول عام 1307، وعقد جلسات استماع في يورك عامي 1309 و1312، تقاعد في آذار 1316، وتوفي في 13 حزيران، ودُفن في كاتدرائية سانت بول في لندن، للمزيد، ينظر: Paul Brand, Sir Roger Brabazon 1247 – 1317, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford University Press, Sept 2004.
(7) Patrick Fraser Tytler, Lives of Scottish Worthies, J. Murray, London, 1831, p.152 – 153.

وتابعهم جون باليول بعد وصوله نورهام في 6 حزيران 1291[1]، وهكذا اكتسب الملك إدوارد سيادة إقطاعية قانونية على المتنافسين على العرش الإسكتلندي، ليغدو سيداً إقطاعياً عليهم.

رفض الاوصياء عَلَى العرش الإسكتلندي الاعتراف بالملك إدوارد سيداً عَلَى مملكتهم، فقدم تنازلاً لهم، تمثل بوصايتهم على قلاع مملكتهم، مما اقنعهم أن سيادته الإقطاعية على مملكتهم تنتهي بتسنم احد المتنافسين عرش إسكتلندا[2]، لذا سلّموا ختمهم إلى الملك إدوارد في 12 حزيران 1291، شريطة البت في طلبات المتنافسين عَلَى العرش في غضون شهرين، والحفاظ عَلَى عائدات المملكة لرفاهها, فوعدهم الملك الإنگليزي بذلك وتعهد بالحفاظ عَلَى قوانين إسكتلندا وأعرافها, وفي اليوم التالي اقسم الاعيان الإسكتلنديون يمين الولاء إلى الملك إدوارد بوصفه راعياً لمملكتهم ووصياً عليها حَتَّىَ اختيار الملك الجديد[3]، لكنهم كانوا مخطئين لأن قسم ولائهم له منحه سيادة على إسكتلندا، دعمتها البابوية، فاكتسب بعداً إقطاعياً شرعياً دينياً، جعل كل معارضة إسكتلندية له تمرداً[4]، وبعد اتمام تلك التَّدَابِيرِ أجرى الملك إدوارد جولة في تموز 1291 في أهم مدن إسكتلندا كإدنبرة، فورث (Forth)، هادينجتون (Haddington)، ستيرلنغ (Stirling)، دنفرملاين (Dunfermline)، لينليثغو (Linlithgow) والقديس اندرو (St Andrews)، والتقى كثيراً من سكانها لضمان ولاءهم له[5].

استغرقت المداولات حول تسنم العرش الإسكتلندي أكثر من سنة، ثم قرر الملك إدوارد اسناد العرش الإسكتلندي إلى جون باليول[6]، الأشد قرباً من إنگلترا والأكثر خضوعاً لها، فأصدر قراره 17 تشرين الثاني 1292 بتسنمه العرش الإسكتلندي، واللافت أَنَّ جون باليول[7]، قبل مغادرته نورهام إلى سكون أدى مراسم الولاء الإقطاعي لملك إنگلترا[8]، وفي 30 تشرين الثاني 1292 جرت مراسم تتويج جون باليول في دير سكون

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.199.
(2) Ibid, p.200.
(3) Charles H. Pearson, History of England during the early and Middle Ages, Vol.II, Bell and Daldy Covent Garden, London,1867, p.368.
(4) Eadie D. D, Op. Cit., p.81.
(5) Patrick Fraser Tytler, The history of Scotland …, p.76.
(6) T. F. Tout, The History of England …, p.182.
(7) حول الصك التعاقدي المبرم بين الملكين ادوارد الأول وجون باليول، أنظر مخطوطة رقم **(2)**.
(8) Patrick Fraser Tytler, Lives Scottish Worthies …, p.154.

(Scone Abbey) عَلَى حجر القدر الَّذِي توج عليه أسلافه منذ القدم, ثم أدى مراسم الولاء الإقطاعي مجدداً في 26 كانون الأول في قلعة نيوكاسل (Newcastle Castle)[1]، وبذلك ضمنت مؤسسة العرش الإنكليزي حكم مملكة إسكتلندا بالنيابة مَعَ ما في ذلك من نفوذ وامتيازات، فضلاً عن ضمانِ امن مقاطعاتها الشمالية.

اِشتَطَّ ملك إنكلترا في معاملة نظيره الإسكتلندي لإشعاره أنه لا يعدو كونه نائباً له في حكم إسكتلندا، وهناك قرائن واضحة عَلَى ذلك التوجه منها استدعاءه نظيره الإسكتلندي إلى إنكلترا لمسائلته عن شكوى قضائية ضد العرش الإسكتلندي قدمها مواطن من بيرويك يدعى روجر بارثالميو (Roger Bartholomew)، وبرر الملك الإنكليزي ذلك الاستدعاء بسيادته العليا عَلَى إسكتلندا الَّتِي تخوله سماع الشكاوى، واستدعاء أي شخصية إسكتلندية يثبت تورطها فيها بضمنها ملك إسكتلندا[2]، ولاريب أَنَّ ذلك النمط من التعامل الفوقي اشعر جون باليول بمهانة لا تتوافق مَعَ منصبه الملكي، لاسيما بعد أنْ كرر الملك إنكليزي نهجه، فغدا استدعاء الملك الإسكتلندي جون باليول إلى يورك أمراً روتينياً كلما اثيرت شكوى ضده أَوْ ضد حكومته، وفي حزيران 1294 طَلَبَ الملك إدوارد الأول منه المجيء مَعَ نبلاء إسكتلندا وجيشها لدعم الفعاليات القتالية الإنكليزية في غاسكوني ضد الملك الفرنسي فيليب الرابع (الجميل) (Philip IV, the Fair)[3]، وحين تجاهل الملك جون باليول ذلك الأمر[4]، أصدر الملك إدوارد الأول قراراً

---

(1) Egbert Herbert Story, The Church of Scotland Past and Present, William Mackenzie, London, 1993, p.285.

(2) John J. Anderson, A Manual of General History Clark & Maynard Publishers, New York,1870, p.171.

(3) (1268 – 1314): وُلد في قصر فونتينبلو في 23 حزيران، اباه الملك فيليب الثالث وإمه ايزابيلا من أراغون، تزوج في 16 آب 1284 ملكة نافارا جوان الأولى، وأنجب منها: لويس العاشر، فيليب الخامس، شارل الرابع، إيزابيلا، مارگريت، بلانش وروبرت، اعتلى العرش في 5 تشرين الأول 1285 وتُوِّج في كاتدرائية ريمس في 6 كانون الثاني 1286، خاض صراعات مع إدوارد الأول حول دوقية آكيتاين بين عامي 1294 و1303، وبدأ نزاعاً مع البابا بونيفاس الثامن بلغ ذروته بحادثة أناغني في أيلول 1303، هُزم في معركة كورتراي عام 1302، طرد اليهود من فرنسا عام 1306، وقمع فرسان الهيكل في 13 تشرين الأول 1307، ونقل مقر البابوية إلى أفينيون عام 1309، وأعدم قائد فرسان الهيكل جاك دي مولاي حرقًا في 18 آذار 1314، توفي في 29 تشرين الثاني في قصر فونتينبلو، ودُفن في كاتدرائية سان دوني في 3 كانون الأول، للمزيد، ينظر: Joseph R. Strayer, The Reign of Philip the Fair, Princeton, 1980 ; Georges Goyau, Philip IV of France, Dublin, 2013.

ألزم بموجبه الملك جون باليول بالتنازل عن ثلاثة قلاع إسكتلندية إلى إنكلترا، عقاباً له عَلَى عدم امتثاله لأوامره[1].

ويبدو أَنَّ نبلاء الملك جون باليول طلبوا منه وقف التدخل الإنكليزي في شؤونهم، واوضحوا له أَنَّ خضوعه لملك إنكلترا ينعكس سلباً عَلَى ذاته الملكية، فعقد الملك جون باليول مجلساً في سكون صيف عام 1295 انتهى إلى قراره بتجاهل أوامر ملك إنكلترا, لكن النبلاء والأساقفة الإسكتلنديون أضعفوا موقف ملكهم حين فرضوا عليه مجلساً دائماً لتوجيهِ السياسة العامة لإسكتلندا, وفي خضم تلك الصراعات الداخلية، سعى إدوارد الأول إلى استغلال حالة التفكك الإسكتلندي لصالحه، فصادر القلاع الإسكتلندية الحدودية، بيرويك وروكسبورغ (Roxburgh) وجيدبورغ (Jedburgh)[2]، وجعل أسقف كارلايل مشرفاً عليها (Bishop of Carlisle, John de Halghton)[3]، مما أثار حفيظة المجلس الإسكتلندي فأقنع الملك جون باليول في تموز 1295 بإبرام تحالف مَعَ فرنسا ضد إنكلترا[4]، للتخلص من استبدادها[5], وأوفد المجلس الإسكتلندي مبعوثين إلى ملك فرنسا ابرموا تحالف فرنسياً – إسكتلندياً مضاداً لإنكلترا في 23 تشرين الأول 1295، اكد عَلَى ضرورة دعم احداهما للأخرى ضد إنكلترا[6]، ولاشك أَنَّ تلك الإجراءات بمجملها دقتْ ناقوس الخطر لدى الملك إدوارد الأول، فأستولى عَلَى ممتلكات الإسكتلنديين في إنكلترا, واستدعى نظيره الإسكتلندي للمثول أمامه، وحينَ أعيتهُ الحيلة أعلن في 16

---

(4) Joseph Bain, Op. Cit., p.25-26.

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.210.

(2) David Hume, Op. Cit., Vol. I, p.142.

(3) (؟؟ – 1324): تلقى تعليمه في جامعة أكسفورد، وبدأ مسيرته الكنسية أميناً لمخزن كاتدرائية كارلايل قبل انتخابه أسقفا عليها في 23 نيسان 1292 كان في بيرويك حين منح الملك إدوارد الأول عرش إسكتلندا لجون باليول، وعمل مبعوثاً بابوياً لجمع ضريبة الحملة الصليبية في إسكتلندا بين عامي 1292 و1295، حرم معارضي الميثاق الأعظم كنسيًا في كانون الثاني 1298، وحرم روبرت بروس عام 1309 لقتله جون كومين، أُرسل مبعوثًا إلى إسكتلندا عام 1320، توفي في 1 تشرين الثاني في ضيعته في روز كاسل، ودُفن في كاتدرائية كارلايل، للمزيد، ينظر: C. M. L. Bouch, Prelates of the Diocese of Carlisle, Kendal, 1948, p.63 – 64.

(4) Robert S. Rait, The Relations between England and Scotland 500 – 1707, London, 1901, p.38.

(5) D. W. Burton, Op. Cit., p.292.

(6) Ibid, p.292 – 293.

كانون الأول عزمه إرسال حملة عسكرية ضد الملك جون بأيلول بوصفه متمرد على عرش إنگلترا[1].

هيأ الملك إدوارد الأول في كانون الأول 1295 مستلزمات حملة عسكرية عَلَى إسكتلندا، فأرسل خطابات استدعاء للمقاتلين الإنگليز والأيرلنديين، أوضح فيها حدوث مؤشرات عَلَى التمرد الإسكتلندي عَلَى إنگلترا[2]، فتجمع بعضهم في دورهام استعداداً لاقتحام إسكتلندا[3], وفي كانون الثاني 1296 اتم الملك حساب التكاليف المادية والمؤن التي يحتاجها لتمويل جيشه في حملته الإسكتلندية، وأعلن في الوقت نفسه استعداده دفع اجور عالية لتجنيد الأيرلنديين، وأصدر عفواً عن المساجين الأيرلنديين للعفو عنهم واسقاط ما بذمتهم من أَمْوَال للتاج مقابل انضمامهم إلى الجيشِ الإنگليزي[4].

عبأ الإسكتلنديون قواتهم على الحدود مع إنگلترا في مستهلِ عام 1296، تنفيذاً لبنود معاهدتهم مع فرنسا المتعلقة بفتحِ جبهة في شمال إنگلترا لتشتيتِ الجهد العسكري الإنگليزي بين الجبهتين الإسكتلندية والفرنسية، ولملاقاة الجيش الإنگليزي الَّذِي جمعهُ الملك إدوارد الأول لغزو إسكتلندا[5]، وتزامناً مَعَ ذلك التقى الملك إدوارد الأول جيشهِ في نيوكاسل بتاريخ 1 آذار 1296، وقبل بدء حملتهِ استدعى ملك إسكتلندا للمثول أمامهُ، ثم زحفَ بجيشهِ بمحاذاة ساحل شمال إنگلترا، وعسكر مقابل قلعة وارك (Wark Castle) المطلة عَلَى نهرِ التويد الفاصلْ بينَ البلدين، في حين شن الإسكتلنديون هجوماً عَلَى مدينة كارهام (Carham)، ثم كارلايل (Carlisle) الَّتِي فشلوا في اقتحامها[6]، فعَبرَ الإنگليز في 28 آذار 1296 نهر التويد نحو مدينة بيرويك، وبعد وصولهم لها نهبوها وذبحوا أغلب سكانها, فأنظم إليهِم النبلاء الإسكتلنديون المناوئون للْمَلِكِ جون باليول وفي مقدمتهم روبرت بروس "الجد", لكن الملك جون باليول لم يستسلم، وأرسلَ خطاب تحدي إلى الملك إدوارد الأول، أعلنَ فيه إلغاء تبعيته إليهِ[7]، وأوعز إلى قواته بالانسحاب من شمال إنگلترا والعودة إلى بلدهم استعداداً لمعركة فاصلة مَعَ الإنگليز الَّذِينَ زحف شطر

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.224
(2) D. W. Burton, Op. Cit., p.297.
(3) Ibid., p.298.
(4) Marc Morris, Op. Cit., p.224.
(5) D. W. Burton, Op. Cit., p.292.
(6) Marc Morris, Op. Cit., p.225.
(7) Oscar Browning, The New Illustrated History of England, Vol. I., J. S. Virtue and Co, London,1888, p.144.

من جيشهم بقيادة إيرل ساري جون وارين (John de Warenne, 6th Earl of Surrey)[1] في 25 نيسان 1296 نحو قلعة دنبار (Dunbar Castle)[2]، ثم تبعهم الملك إدوارد مَعَ باقي الجيش في اليوم التالي[3]، فحدثت معركة بين الإنكليز والإسكتلنديين، اِنْتَهَتْ إلى سقوط قلعة دنبار ومصرع الأف الإسكتلنديين[4]، وَهُوَ أمر بررته المصادر بافتقار الإسكتلنديين إلى خبرة القتال في جيش نظامي، وسوء التنسيق بين صفوفهم وعدم انضباطهم ازاء الهجوم الإنكليزي[5].

سار الملك إدوارد الأول بجيشه نحو مدينتي يوكسبورغ وجيدبورغ وسيطر عَلَى قلاعهما بسرعة شديدة، ثم اتجه شمالاً وقتل كل من اعترض طريقه لبث الرعب في صفوف الإسكتلنديين، وفي 6 حزيران 1296 احتل الجيش الإنكليزي مدينة إدنبرة (Edinburgh)، واخضعَ قلعتها في غضونِ اسبوع، وهَكَذَا سيطرَ الملك إدوارد الأول عَلَى مركز البلاط الإسكتلندي، واستولى عَلَى المجوهرات والمقتنيات الملكية الَّتِي وجدها هناك[6]، فَضْلًا عن مراسلاتْ ووثائقْ أَثْبَتَتْ تورط الملك جون باليول في التآمر ضد إنكلترا[7]، وطالتْ مسيرة الرعب مدينة لينليثغو الَّتِي سقطت بيد الإنكليز، تلتها ستيرلنغ التي لاذتْ حاميتها بالفرار قبل وصول الجيش الإنكليزي إليها، ثم احتل الإنكليز مدينة

---

(1) (1231– 1304): والده وليام دي وارين الخامس ووالدته مود مارشال، ولد في وارين مطلع شهر آب، ورث لقب ايرل ساري عام 1240 تحت وصاية ملكية، تزوج أليس دو لوزينيان أخت الملك هنري الثالث في آب 1247، وأنجب منها: وليام وايزابيلا واليانور، بدل ولاءه عدة مرات أثناء حرب البارونات الثانية ثم استقر على دعم الملك، شارك في معركة إيفيشام عام 1265، تورط في قتل آلان لا زوش في 10 آب 1270، وغُرم بسببه، خدم في حملات إدوارد الأول في ويلز بين عامي 1277 و1283، وأدى دورًا محوريًا في الحروب الإسكتلندية، فقاد القوات الإنكليزية في معركة دنبار عام 1296، أصبح حاكماً لإسكتلندا لكنه هُزِم في معركة جسر ستيرلنغ في 11 أيلول 1297، شارك في انتصار فالكيرك عام 1298، توفي في 27 أيلول، ودفن في دير لويس في ساسكس، للمزيد، ينظر: Scott L. Waugh, John de Warenne Sixth Earl of Surrey and Sussex, Earl Warenne 1231 – 1304, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford University Press.

(2) Marc Morris, Op. Cit., p.226.

(3) John Mackintosh, The History of Civilisation in Scotland, Vol. I, Aberdeen, 1877, p.292.

(4) Frederica Rowan, Op. Cit., p.98.

(5) Marc Morris, Op. Cit., p.226.

(6) Oscar Browning, Op. Cit., p.144.

(7) Alphons Bellesheim, Op. Cit., p.8.

بيرث في 22 حزيران، وبعد ثلاثة أيام من السلب عبروا نهر التاي (Tay River)، نحو بلدة فورفرشاير التي اقتحموها مطلع تموز، وفي العاشر من الشهر ذاته سيطروا عَلَى قلعة بريشين (Brechin Castle)، وهَكَذَا أَثْبَتَ الإنكليزي قُدْرَتهُم عَلَى التوغل في أقصى حدود إسكتلندا، واسقاط مدنها بكل سهولة[1]، وفي 8 تموز 1296 استسلم الملك جون بأيلول إلى ملك إنكلترا في مونتروز (Montrose), فجُرد من صولجانه وتاجه, وتم سجنه مع ابنه في برج لندن بتهمة التمرد على مؤسسة العرش الإنكليزي[2].

واصل الملك إدوارد الأول زحفهُ في شمال إسكتلندا، فسيطرَ عَلَى أبردين (Aberdeen) وإلجين (Elgin) في 26 تموز عام 1296, والزم النبلاء الإسكتلنديين الذين وقعوا في قبضته عَلَى تأدية قسم الولاء له بوصفهِ فاتح إسكتلندا وسيدها, وأثناء عودته إلى إنكلترا نقل حجر القَدَرْ المخصص لتتويج ملوك إسكتلندا من دير سكون الإسكتلندي إلى كاتدرائية وستمنستر الإنكليزية، لتحويل أهم رموز إسكتلندا إلى رمز لانتصار إنكلترا عليها وإنهاء نظامها الملكي, وامعاناً في اذلالها نقل صليبِ الملكةِ مارگريت إلى إنكلترا, ثم عاد إلى بيرويك في 22 آب 1296 بعد أنْ حقق اهدافه[3].

أدركَ الملك إدوارد حاجته لإيجادِ قانون إداري يضمن تبعية إسكتلندا إلى إنكلترا، ومع أَنَّ الأف النبلاء والفرسان الإسكتلنديين جاءوا معهُ إلى بيرويك لأداء يمين الولاء له لكن ذلك لَمْ يكن كافياً له، لذا جمع برلمانه في بيرويك أواخر آب 1296، وقرَّرَ فيه عدم اعادة إسكتلندا إلى نظامها الملكي, متجاهلاً رغبة إيرل كاريك روبرت بروس "الحفيد"[4](Robert Bruce) (1306 – 1329)[5] في تسنم عرشها بدلاً من

---

(1) Arthur D. Innes, Op. Cit., p.285.
(2) Marc Morris, Op. Cit., p.226 – 227.
(3) Margaret Macarthur, Op. Cit., p.40 – 41.
(4) الحديث من هذا الموضع صعوداً عن روبرت بروس الحفيد الذي أصبح ملك إسكتلندا.
(5) (1274 – 1329): ولد في 11 تموز في قلعة تورنبيري بمقاطعة آير الإسكتلندية، والده لورد أناندیل الخامس روبرت بروس ووالدته مارجوري كونتيسة كاريك. هو الأكبر بين إخوته: إدوارد، توماس، الإسكندر، ونايجل، فضلاً عن أخواته، تزوج إيزابيلا من مار، وأنجب منها ابنته مارجوري بروس، ثم اقترن بإليزابيث دي بيرغ، وأنجب منها ابنه ملك إسكتلندا ديفيد الثاني، فضلاً عن جون وماتيلدا ومارگريت، دعم الإنكليز أولاً ثم تحول إلى صفوف المتمردين الإسكتلنديين، توج ملكًا على إسكتلندا في سكون يوم 25 آذار 1306، وبدأ حرباً طويلة ضد إنكلترا، حتى ابرام معاهدة إدنبرة – نورثهامبتون عام 1328، التي اعترفت بموجبها إنكلترا

جون باليول ثمناً لدعمه للإنكليز، في مؤشر على رغبة ملك إنكلترا بحكم إسكتلندا مباشرةً, بواسطة إدارة إنكليزية في بيرويك[1]، وبعد أنْ أرسى أنظمة تلك الإدارة في تسيير شؤون إسكتلندا، اسند رئاستها إلى إيرل ساري جون وارين في 26 أيلول عام 1296 بوصفه حاكم إسكتلندا الإنكليزي[2]، وهَكَذَا أَصْبَحَ إيرل ساري مسؤولاً عن استلام عرائض الإسكتلنديين وشكاواهم لحلها بنفسه أَوْ احالتها إلى ملك إنكلترا, فضلاً عن مسؤوليته عن الابرشيات الإسكتلندية[3]، وتسنم باقي اعضاء الإدارة الإنكليزية مناصب حيوية، فأَصْبَحَ هيو كريسينجهام (Hugh Cressingham)[4] اميناً للخزانة الإسكتلندية[5]، ووالتر أمرشام (Walter Amersham)[6]، مشرفاً عل الأوامر والكتابات الملكية, واسند منصب مراقب الختم[7]، في 5 تشرين الأول 1296 إلى وليام

باستقلال إسكتلندا وبسيادته كملك عليها. توفي في 7 حزيران، في مانور أفيرون غرب لوثيان، ودُفن في دير دافيد الأول في دونفرملاين، للمزيد، ينظر: Michael Penman, Robert the Bruce: King of the Scots, New Haven, 2014.

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.227.

(2) Margaret Macarthur, Op. Cit., p.41.

(3) Fiona Jane Watson, Edward I in Scotland 1296 – 1305, PhD thesis, University of Glasgow, 1991, p.25 – 26.

(4) (1250 – 1297): كان كاتباً ملكياً، وشغل عام 1292 منصب قاضي متنقل، تم تعيينه عام 1296 خازنًا للإدارة الإنكليزية في إسكتلندا لجمع الضرائب، فأثارت أساليبه القاسية في جمع الإيرادات استياءً واسعاً بين الإسكتلنديين، وكان مسؤولاً عن هزيمة الإنكليز في معركة جسر ستيرلنغ في 11 أيلول بصفته مستشاراً لإيرل ساري جون دي وارين، وقُتل في تلك المعركة، وبسبب كراهية الإسكتلنديين له سلخوا جثته، للمزيد، ينظر: George Smith, The Dictionary of National Biography, London, 1882, p.71 – 72.

(5) Arthur D. Innes, Op. Cit., p.285.

(6) (1240 – 1304): بدأ مساره رئيساً لكنيسة القديس توماس في أولد وينشيلسي من عام 1269 حتى 1277، ثم عمل قاضياً بين عامي 1282 و1283، وتلقى تكليفًا في عامي 1286 و1287 للنظر في الشكاوى ابناء كوكهام ضد وكيل الملكة إليانور، عين عام 1291 مساعدًا لمستشار إسكتلندا ثم حارسًا لختمها عام 1291 و1292، ثم مستشار إسكتلندا عام 1296 حتى وفاته، له ولدين هما آلان وتوماس، ينظر: Edward Foss, The Judges of England: With Sketches of their Lives, Longman, Brown, Green, and Longmans, Vol. III, London, 1851, p. 211 – 214.

(7) فوض الملك إدوارد الأول مسؤوليه في إدارة إسكتلندا بإنهاء العمل بختم الاوصياء، واستعمال ختم خاص بالملك ادوارد الأول، لإضفاء شرعية على الإدارة الإنكليزية لإسكتلندا، أنظر مخطوطة رقم **(3)**.

بيفركوتس(William Bevercotes)[1] لتسلم وأرشفة الكتابات المختومة بالختم الملكي الإنكليزي حول اوضاع إسكتلندا، وفي 24 تشرين الثاني عام 1296 تم تعيين ثلاثة قضاة، هم: روجر سكوتر (Roger Skoter) ووليام أورمسبي (William of Ormesby)[2]، ووليام مورتيمر (William Mortimer)[3] للاستفادة من خبرتهم في القانونين الإنكليزي والإسكتلندي[4]، وتمَ تعيين عُمد ووكلاء ملكيين لمراقبة القلاع

(1) (1260 – 1325): بدأ مسيرته المهنية كاتباً في بلاط إدوارد الأول في 5 تشرين الأول 1296، تم تعيينه حارسًا لختم إسكتلندا في 5 تشرين الأول 1296، ثم تم تعيينه عام 1304 في منصب مستشار إسكتلندا ضمن الإدارة الإنكليزية في إسكتلندا، واستمر فيه حتى عام 1306، امتلك عدة عقارات في نوتنغهام، بيفركوتس، ماركهام، ميلنيتون وإلكسلي، لديه ابنان هما توماس وجون، ينظر: Fiona Watson, Op. Cit., p.18, 31

(2) (1250 – 1317): أصله من قرية أورميسبي شرق نورفولك، بدأ مسيرته القضائية في 10 نيسان 1292 حين تم تعيينه مع هيو دي كريسنهام وآخرين قاضياً في جولة قضائية بمقاطعات لانكشاير، ويستمورلاند، وكمبرلاند، مع توجيهات خاصة للاستماع والبت في الشكاوى ضد وكلاء الملك وموظفيه، شملت صلاحياته نورثمبرلاند في 28 آب 1292، وأصبح قاضياً في محكمة الملك ثم قاضياً لإسكتلندا عام 1296، هرب بعد هزيمة معركة جسر ستيرلنغ في 11 أيلول 1297، في آذار 1298 تم استدعاؤه إلى لندن، واستمر في أداء واجباته في محكمة الملك وأصبح عام 1305 رئيساً لقضاة مقاطعتي نورفولك وسوفولك، واستمر في عمله في عهد الملك إدوارد الثاني، دُفن في دير القديس بينيت في هولم، قرب نورفولك، للمزيد، ينظر: Fiona Watson, Edward I in Scotland: 1296 – 1305, Ph.D. Thesis, University of Glasgow, 1991, p.26 – 27.

(3) (1274 – 1337): اباه بارون لازوش روبرت دي مورتيمر وامه جويس لا زوش، شارك في معركة فالكيرك عام 1298، رغم تورطه في مقتل بيرس غافستون عفا عنه إدوارد الثاني عام 1313، تزوج أليس دي تويني عام 1316، وأنجب منها آلان وجويس، دعم إدوارد الثاني أثناء حرب ديسبنسر، وشارك في معركة بوروبريدج عام 1322، شغل مناصب منها: حارس قلعة كيرفيلي، غلامورغان ومورغانو، وحاجب كارديف، وحارس برج لندن، وقاضي غابات جنوب ترينت، تم استدعاؤه إلى البرلمان بصفته اللورد زوش منذ 26 كانون الأول 1323، دعم الملكة إيزابيلا ضد إدوارد الثاني خريف عام 1326، تزوج مجدداً من سيدة غلامورغان إليانور دي كلير عام 1329، وأنجب منها ابنه وليام الأصغر، توفي في 28 شباط، ودُفن في دير تيوكيسبيري، للمزيد، ينظر: George E. Cokayne et al., Op. Cit., Vol. VII, p.940 – 942

(4) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.26 – 27.

الملكية، والاشراف عَلَى تنفيذ قرارات الإدارة الإنكليزية، وهكذا تحولت إسكتلندا إلى كيان مِسخْ تابع لإنكلترا[1].

أَثْقَلَتْ الإدارة الإنكليزية كاهل الإسكتلنديين بأعباءٍ لا قِبلَ لَهُمْ بها، فاِشتَدَّ مقتهم للإنكليز ومظاهرِ وجودهم في إسكتلندا، وتنامى الشعور الوطني الإسكتلندي مَعَ زيادة الإجراءات التعسفية الإنكليزية ضدهم، ومنها: اجبار النبلاء الإسكتلنديين عَلَى تقديم يمين الولاء للملك إدوارد، ومحاكمة الإسكتلنديين لأسباب واهية، فَضْلًا عن جمع أَمْوَالَهُمْ بذرائع مختلفة, ومصادرة املاكهم وعقاراتهم وفرض غرامات عليهم, وتعامل الحاميات الإنكليزية في المنافذ والقلاع بتعالٍ وقسوة مَعَهم[2], فأصبح الإسكتلنديون متوثبين للتمرد عَلَى إنكلترا وتواقين إلى قيادة إسكتلندية تنظم جهودهم ضدها[3].

(1) Ibid., p.27.
(2) Walter Scott, Tales of A Grandfather, University Publishing New York, 1898, p.27 – 28.
(3) Mandell Creighton, Epoch Primer of English History, W. J. Gage & Company, Toronto, 1880, p.38.

المبحث الثاني

تزعم وليام والاس التمرد الإسكتلندي ضد إنكلترا، والرد الإنكليزي عليه

تموز 1297 – 30 تشرين الأول 1300

أَدَتْ التطورات آنفة الذكر إلى ظهور قيادات وطنية إسكتلندية سمت فوق المناطقية والأهداف ضيقة الأفق، لتحقيق هدفين هما: إدارة إسكتلندا بدلاً عن الإدارة الإنكليزية المتلكئة، وتعبئة الوطنيين الإسكتلنديين لمواجهة إنكلترا ورموزها، فظهر الزعيم الإسكتلندي أندرو دي موراي (Andrew de Murray)[1]، الَّذِي عبأ بعض الإسكتلنديين حولهُ[2]، وقاد انتفاضة في شمال غرب إسكتلندا منذ مطلع آذار 1297، واستعاد بعض مدنها وقلاعها من الإنكليز في أواخر تموز 1297[3]، بيد أَنَّ الشخصية الإسكتلندية الأبعد اثراً في مسار الأحداث تمثلت بوليام والاس (William Wallace)[4] المولود في

---

(1) (1265 – 1297): ولد في موراي شمال شرق إسكتلندا، وهو الابن الأكبر للسير أندرو موراي من بيتي قاضي شمال إسكتلندا، والدته ابنة جون كومين الأول من بادينوخ من زوجته ايفا، وهو سليل عائلة موراي النبيلة، تزوج وانجب ابناً واحداً اسمه اندرو أيضاً، تم أسره مع والده في معركة دنبار في نيسان 1296، وسجن في قلعة تشيستر، ثم هرب شتاء 1296 وعاد إلى الشمال الإسكتلندي، وفي ربيع 1297 قاد تمرداً واسعاً في أفوخ ضد الحكم الإنكليزي، ثم تعاون مع وليام والاس في أيار 1297، انتصر على الإنكليز في معركة جسر ستيرلنغ في 11 أيلول 1297، لكنه أصيب بجروح بالغة في تلك المعركة، أدت إلى وفاته في تشرين الثاني 1297، للمزيد، ينظر: Andrew Fisher, Andrew Murray, (d. 1297), patriot and solider, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.

(2) Joseph Bain, Calendar of Documents Relating To Scotland, Vol. II., Edinburgh, 1884, p.32.

(3) Charles Rogers, The Book of Wallace, Vol .II., Edinburgh, 1889, p.138; Evan M. Barron, Inverness in the Middle Ages, Printed by Robt Carruthers & Sons,1907, p.56 – 57.

(4) (1270 – 1305): ولد في إلدرسلي في بمنطقة رينفرو والده السير مالكولم والاس ووالدته مارگريت كروفورد، تزوج امرأة تدعى ماريون برايدفوت، ولم ينجبا أطفال، قتل حاكم لانارك الإنكليزي في أيار 1297، وحقق مع أندرو دي موراي انتصارًا حاسمًا في معركة جسر ستيرلنغ في 11 أيلول 1297، ثم نال لقب فارس وأصبح حارس مملكة إسكتلندا، لكنه استقال من منصبه بعد هزيمته في معركة فالكيرك في 22 تموز 1298، قضى عدة سنوات في أوروبا قبل أن يعود إلى إسكتلندا، خانه فارس إسكتلندي يدعى جون دي مينتيث ومهد لاعتقاله قرب

بلدة إلرسلي (Ellerslie)[1] التابعة إلى مقاطعةِ رينفرو (Renfrew) في إسكتلندا، وَهُوَ الابن الثاني لمالكولم والاس إلرسلي (Malcom Wallace)[2]، ووالدته ابنة ريجنالد كراوفورد (Reginald Crawford)[3] عمدة بلدة أير (Ayr)[4]، ومع أَنَّ وليام كَانَ كمواطنيه الإسكتلنديين ساخطاً عَلَى الاحتلال الإنكليزي لبلاده، لَكِنَّ سبباً شخصياً دفعه إلى مناوأة الإنكليز، خلاصته تعرضه إلى اهانة من جندي إنكليزي في بلدة لانارك (Lanark) الَّتِي أقامَ فيها هُوَ وزوجته, مما دفعه إلى قتل ذلك الجندي، ثم هرب إلى وادي كارتلاند (Cartland) الوعر, فأحرق حاكم لانارك وليام هازرليج (William Hezelrig)[5] منزل والاس، وقتلَ زوجته مما أجَجَ غضبْ وليام والاس عَلَى الإنكليز

غلاسكو في 5 آب 1305، فنُقل إلى لندن حيث أُعدم بوحشية في 23 آب وقطعت اشلاؤه، دُفنت بعض بقاياه في قبر مجهول في لندن، وعُرضت أجزاء من جسده في مدن إسكتلندية مختلفة، للمزيد، ينظر: Andrew Fisher, William Wallace, Edinburgh, 2002, p.128 – 134 ; James A. Mackay, William Wallace: Brave Heart, Edinburgh, 1996, p.254 – 270.

(1) Charles Rogers, Op. Cit., p.89.

(2) (1240 – 1291): فارس إسكتلندي من طبقة النبلاء الصغار، وُلد في رينفروشاير، وهو لورد منطقة إلرسلي والابن البكر لآدم والاس، يُعرف تاريخياً بكونه والداً للبطل القومي الإسكتلندي السير وليام والاس، تزوَّج من مارگريت كروفورد وأنجب منها ثلاثة أبناء: مالكولم، ووليام، وجون، عارض السيطرة الإنكليزية على إسكتلندا ورفض التوقيع على قائمة الولاء للملك إدوارد الأول، قُتل في مواجهة عسكرية ضد القوات الإنكليزية بقيادة السير فينويك في معركة لودون هيل، للمزيد، ينظر: James Mackay, William Wallace …, p.21 – 27 ; Andrew Fisher, William Wallace …, p.4 – 9 ; Graeme Morton, William Wallace: A National Tale, Mainstream Publishing, Edinburgh, 2004, p.33 – 36.

(3) (1245 – 1297): فارس ونبيل إسكتلندي، وُلد في آيرشاير، واصبح شريف مدينة آير، وهو خال البطل الإسكتلندي وليام والاس، إذْ كانت شقيقته مارگريت كروفورد والدة والاس، شارك في حركة التمرد ضد الهيمنة الإنكليزية ورفض الانصياع لسياسات الملك إدوارد الأول، لكنه أُجبر لاحقاً كبقية النبلاء على توقيع وثيقة الولاء عام 1296 للحفاظ على عائلته، قُتل في حزيران عام 1297 في حادثة حظائر آير الشهيرة حين استدرج الإنكليز نبلاء الغرب الإسكتلندي وأعدموهم غدراً، للمزيد، ينظر: James Mackay, William Wallace …, p. 23 – 29

(4) Charles Gordon Glass, Scotch and English History with the Life of Sir William Wallace, Printed By A. Stevenson, Montreal,1876, p.62 – 63.

(5) (1255 – 1297): فارس وشريف إنكليزي، عيّنه الملك إدوارد الأول حاكماً على منطقة لانارك في إسكتلندا بعد الغزو الإنكليزي عام 1296، عُرف بقسوته البالغة وصرامته في جمع

وكراهيته لهم، لاسيما بعد إعلان هازلريج خروج والاس عَلَى القانون ومنح مكافأة مالية لمن يسلمه حياً أَوْ ميتاً إلى الإنكليز[1]، فقتله وليام والاس[2]، ثم جمع بعض الاتباع، وشن غارات شديدة ضد الإنكليز في انجوس (Angus) وميرنس (Mearns) اِنْتَهَتْ بانتصارهِ وتكبيد اعدائهِ خسائر فادحة، ثم اقتحم قلعة دنوتار (Dunnottar Castle)، وفاجئ الحامية الإنكليزية في أبردين بهجوم دمر بعض المؤن والسفن الإنكليزية في ميناء المدينة رغمَ فشلهِ في اقتحام قلعتها[3].

أَصْبَحَ والاس انموذجاً للمقاومة الوطنية الإسكتلندية ضد الإنكليز، فالتفت جموع الإسكتلنديين حوله لتغدو جيشاً كبيراً هدفه طرد الجيش الإنكليزي من إسكتلندا[4]، ولاشك أَنَّ ما تقدم انتهى إلى ظهور بوادر عصيان مدني ضد الإدارة المدنية الإنكليزية في عموم إسكتلندا صيف عام 1297[5]، بالشكل الَّذِي عرقلَ انشطة تلك الإدارة بعد تعرض موظفيها ووكلائها إلى عراقيل منعتهم من تسيير شؤون إسكتلندا، أبرزها عدم تعاون السكان معهم، وتجاهلهم تنفيذ أوامر الإدارة الإنكليزية، ولذا أبلغ أمين الخزانة الإسكتلندية كريسينغهام الملك إدوارد في 24 تموز 1297 أَنَّ أغلب مقاطعات إسكتلندا افتقدت مراقبيها وموظفيها لأسباب مختلفة، وأن البيئة الإسكتلندية المعادية لَهُمْ اجبرت أغلبهم عَلَى العودة إلى إنكلترا، فتلكأت الإدارة الإنكليزية في إسكتلندا, باستثناء بيرويك وروكسبورغ، وأنشأ الإسكتلنديون بعد طرد الموظفين الإنكليز نظاماً إدارياً خاصاً بهم, مما دفع العرش الإنكليزي لتهيئة مستلزمات شن حملة عسكرية جديدة ضد إسكتلندا[6].

الضرائب نت السكان المحليين، وأشارت الروايات إلى أنه قاد حملة لمطاردة السير وليام والاس وأمر بإعدام زوجته (ماريون برادفوت بعد مساعدتها لوالاس على الفرار، مما دفع والاس إلى قيادة هجوم خاطف على بلدة لانارك في أيار 1297، فاقتحم مقر الإدارة الإنكليزية وقتل هازلرليج وقطّع جسده، وكانت تلك الحادثة الشرارة الفعلية لانطلاق التمرد الإسكتلندي، للمزيد، ينظر: Andrew Fisher, William Wallace …, p. 17 – 23

(1) Walter Scott, Tales of …, p.29 – 30.
(2) Thomas Gray, The Reigns of Edward I, Edward II and Edward III, Translated by Herbert Maxwell, The University Glasgow, 1907, p.18.
(3) William Watt, A History of Aberdeen and Banff, William Black Wood and Sons, Edinburgh,1900, p.61.
(4) Walter Scott, Tales of …, p.29 – 30.
(5) D. W. Burton, Op. Cit., p.306 – 307.
(6) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.48.

اندمجت قوات وليام الاس واندرو دي موراي في أب 1297 استعداداً لمواجهة الحملة الإنكليزية الوشيكة[1]، وانضم بعض النبلاء الإسكتلنديون الساخطون إليهما، وفي مقدمتهم لورد وادي دوغلاس جيمس دوغلاس (Lord of Douglas, James Douglas)[2]، وجون جراهام (John de Grahame)[3] الَّذِي أَصْبَحَ مستشار والاس وصديقه, لكن أغلب النبلاء الإسكتلنديين تقاعسوا عن الانضمام إلى والاس[4]، لاسيما بعد ورود أنباء اقتراب جيش إنكليزي من ستيرلنغ[5]، فذهب بعض أولئك النبلاء إلى قائد الجيش الإنكليزي جون دي وارن، وجددوا ولائهم لعاهل إنكلترا خوفاً من مصادرة ممتلكاتهم[6]، فتجاهلهم والاس لتعويله على بسطاء شعبه في تمرده ضد إنكلترا[7].

---

(1) Evan M. Barron, Inverness in the Middle …, p.59.

(2) (1286 – 1330): فارس وقائد عسكري إسكتلندي بارز، وأحد أهم أركان المقاومة الإسكتلندية والصديق المقرب للملك روبرت بروس، صودرت أراضي عائلته من لدن إدوارد الأول فانضم لبروس عام 1306، تميز بعبقريته في حرب العصابات، أبرزها هجومه على قلعته المحتلة فيما عُرف تاريخياً بمخزن دوغلاس الغذائي عام 1307، قاد الجناح الأيسر للجيش الإسكتلندي بكفاءة منقطعة النظير في معركة بانوكبيرن الحاسمة عام 1314، وأصبح كابوساً للمناطق الشمالية الإنكليزية عبر غاراته المستمرة، قُبيل وفاة الملك روبرت بروس، أوصى دوغلاس بحمل قلبه المحنط في رحلة حج إلى بيت المقدس، وفي طريقه انخرط دوغلاس في القتال إلى جانب قشتالة ضد مسلمي الأندلس، فقُتل في معركة تيبيا (Teba) عام 1330، أُعيد جسده وقلب الملك إلى إسكتلندا ودُفن في كنيسة سانت بريد، للمزيد، ينظر: Michael Penman, Robert the Bruce …, p.118 – 125 ; David R. Ross, James the Good: The Black Douglas, Glasgow, 2008 ; Michael Prestwich, Plantagenet England: 1225 – 1360, Oxford University Press, Oxford, 2005, p.192 – 198.

(3) (1260 – 1298): وُلد في أراضي دونداف في ستيرلنغ، أبوه ديفيد دي جراهام وأمه أغنيس نوبل، أصبح مستشارًا موثوقًا وصديقًا حميمًا لوليام والاس أثناء تمرده، برز كشخصية مقاومة للحكم الإنكليزي، وهو أهم رفاق والاس في حملاته العسكرية، شارك في معركة جسر ستيرلنغ عام 1297، وقاتل إلى جانب والاس في معركة فالكيرك في 22 تموز 1298، وقتل فيها مما شكل خسارة فادحة لوالاس، حمل والاس جثمانه إلى كنيسة فالكيرك القديمة، ودفنه فيها، للمزيد، ينظر: Dictionary of National Biography, Smith, Elder, & Co., Vol. XXII, London, 1890, p. 351 – 352.

(4) Walter Scott, Tales of …, p.32.

(5) P. Hume Brown, A Short History of Scotland, Oliver and Boyd, London, 1908, p.146.

(6) Walter Scott, Tales of …, p.32.

(7) Ibid, p.32 – 33.

بلغتْ اعداد فرسان الجيش الإنكليزي ثلاثمائة وعشرة الأف مقاتل، مقابل ثمانية الأف مقاتل إسكتلندي[1]، وقبيل المعركة عبأ الإسكتلنديون قواتهم في شطر مدينة ستيرلنغ الواقع شمال نهر فورث، وحَشَدَ الإنكليز قواتهم في شطرها الواقع جنوب النهر، ليغدو جسر ستيرلنغ الخشبي الوسيلة الوحيدة لتواصلهما[2]، فأرسل الإيرل جون وارن وفداً مؤلفاً من السير جيمس ستيوارت (Sir James Stewart, the High Steward of Scotland)[3]، ورجلي دين إنكليز عرضوا عفواً ملكياً عَلَى وليام الاس وأتباعه إذا استسلموا للإنكليز[4]، فأخبرهم وليام والاس أَنَّهُ لا قيمة لعفو ملكِ إنكلترا, والإسكتلنديين ليسوا دعاة سلام بل قتال لاستعادة حرية مملكتهم واستقلالها، وبعد وصول ذلك الجواب إلى مسامع القادة لإنكليز قرروا الهجوم, لَكِنَّ الفارس الإسكتلندي الموالي للإنكليز ريتشارد لوندين (Richard Lundin)[5] حذرهم من بدء الهجوم، لأن عبورهم جسر

---

(1) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.55.

(2) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and the Struggle For Scottlsh Independence, London, 1897, p.91.

(3) (1260 – 1309): وُلد في منطقة أيرشاير، اباه الوصي الرابع على إسكتلندا الإسكندر ستيوارت، ووالدته جين ماكروري، له أخوة منهم: كريستيان ستيوارت، إليزابيث، جون وهاوايز دي سوليس، خلف والده وصياً خامساً على إسكتلندا عام 1283، وشغل منصب حارسها بين عامي 1286 و1292، تزوج سيسيليا ابنة إيرل دنبار باتريك الثالث، وموريل ابنة إيرل ستراثيرن ماليس الثاني، وإيجيديا دي بورغ ابنة إيرل الستر والتر دي بورغ، من أبنائه: والتر، جون، أندرو، جيمس ستيوارت وإيجيديا، اقسم يمين الولاد لإدوارد الأول في 9 تموز 1297، انظم إلى وليام والاس بعد معركة جسر ستيرلنغ عام 1297، وبعد هزيمته في 22 تموز 1298 حول دعمه إلى روبرت بروس، ارسل عام 1302 ضمن وفد إلى ملك فرنسا لطلب المساعدة ضد إدوارد، وفي 23 تشرين الأول 1306 أُجبر على إعادة قسم الولاء لإدوارد في دير لانيركوست، لكنه عاد لدعم روبرت بروس حتى وفاته في 16 تموز، للمزيد، ينظر: G. W. S. Barrow & Ann Royan, James Fifth Stewart of Scotland, 1260 – 1309, Essays on the Nobility of Medieval Scotland, Edinburgh, 1985.

(4) Walter Scott, Tales of …, p.32.

(5) (1255 – 1307): فارس ونبيل إسكتلندي من منطقة فايف، انضم أولاً إلى صفوف حركة التمرد الإسكتلندي ضد الملك إدوارد الأول، لكنه تحول إلى الجانب الإنكليزي قبيل معركة إيروين عام 1297 بسبب خلافات ونزاعات بين النبلاء الإسكتلنديين، معلناً أنه لا يمكنه البقاء مع عصبة ممزقة يسودها الشقاق، أصبح مستشاراً عسكرياً بارزاً للقوات الإنكليزية بقيادة جون دي وارين في معركة جسر ستيرلينغ عام 1297، وحذرهم من عبور الجسر الضيق مقترحاً

ستيرلنغ يجعلهم تحت رحمة الإسكتلنديين، وبين لَهُمْ ضرورة استدراج الإسكتلنديين لعبور الجسر ليصبحوا في قبضتهم، لكن امين الخزانة الإسكتلندية كريسينغهام أصر عَلَى بدء القتال فوراً, وايده أغلب القادة الإنكليز، فلاذَ ريتشارد لوندين بالصمت رغم معرفته أَنَّ كريسينغهام رجل دين لا دراية له بالمعارك وادارتها، وفي ظل تلك الاجواء المشحونة ارتدى الإنكليز دروعهم استعداداً للقتال[1]، وسرعان ما وَقَعَ الجيشُ الإنكليزي في مصيدة الإسكتلنديين حين عبر كريسينغهام ومارمادوك دي تونج (Marmaduke de Twenge)[2] جسر ستيرلنغ في منتصف نهار 11 أيلول 1297، فسمح والاس بعبور أغلب من الجيش الإنكليزي، وبعد اكتظاظ الجسر بهم قطعه فغرقَ قسمٌ كبيرٌ منهم, بضمنهم امين الخزانة كريسينغهام[3]، الَّذِي مَثلَ الإسكتلنديون بجثتهِ, فاضطربتْ القوات الإنكليزية المرابطة عَلَى الضفة الجنوبية من النهر، واحرقت ما تبقى من الجسر خشية متابعة الجيش الإسكتلندي لها، ثم تركت امتعتها، وهربت[4]، قاطعة مائة ميل حتى بيرويك دون توقف, لتنتهي معركة جسر ستيرلنغ، بهزيمة مذلة للجيش الإنكليزي[5].

فوجئ الإنكليز بانتصار والاس واتباعه البسطاء عَلَى جيوش إنكلترا المتمرسة عَلَى القتال، وتوجسوا من تداعيات ذلْكَ عَلَى بلادهم، لاسيما بعد أنْ ترشحت لَديهُمْ انباء

خطة للالتفاف حول جيش وليام والاس لكن نصيحته رُفضت، استمر في ولائه للتاج الإنكليزي حتى وفاته، للمزيد، ينظر: Andrew Fisher, William Wallace …, p.34 – 39.

(1) Walter Scott, Tales of …, p.33.

(2) (1256 – 1322): وُلد في قلعة كيلتون بمقاطعة يورك، اباه مارمادوك دي تونج وامه لوسي دي بروس، تزوج إيزابيل دي روس وأنجب منها عدة أبناء منهم: وليام، روبرت، توماس، لوسيا ومارگريت، اشتهر بدوره أثناء الحروب الإسكتلندية، شارك في حملات إدوارد الأول في غاسكوني عام 1295، واكتسب شهرة في معركة جسر ستيرلنغ عام 1297، لأنه أحد القادة الإنكليز الذين عبروا الجسر، وهرب منه بإعجوبة فكان الفارس الوحيد الذي نجا من الذين حوصروا على الجانب الآخر، تم تعيينه حاكمًا لقلعة ستيرلنغ لكن القلعة استسلمت واعتقله الإسكتلنديون في قلعة دمبارتون حتى نيسان 1298، تم استدعاؤه إلى البرلمان الإنكليزي عام 1307، بوصفه بارون تونج الأول، شارك في معركة بانوكبيرن عام 1314م، وسلّم نفسه لروبرت بروس. توفي في 23 نيسان في كيلتون، ودفن في كنيستها، للمزيد، ينظر: https://www.geni.com/people/Sir-Marmaduke-de-Thweng-Lord-of-Kilton.

(3) P. Hume Brown, Op. Cit., p.146.

(4) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.92 – 93.

(5) Walter Scott, Tales of …, p.34.

عن استعداد الإسكتلنديين لاقتحام شمال إنگلترا[1]، تلت ذلك هجمات إسكتلندية مركزة على الحاميات الإنگليزية في جنوب إسكتلندا انتهت إلى سقوط أغلب قلاع جنوب إسكتلندا بيد والاس واتباعه، ولم تبق خارج سيطرته سوى قلاع بيرويك وروكسبورغ اللتان فرض عليهما إسكتلنديون حصاراً شديداً, وزاد نفوذ والاس بعد انفراده بقيادة المقاومة الإسكتلندية عَلَى أثر وفاة اندرو موراي، فعبر الحدود الإنگليزية – الإسكتلندية في تشرين الثاني 1297[2], بجيش ناهز عدد مقاتليه عشرون ألفاً[3]، وعاث في نورثمبريا وكمبريا فساداً، ثم انسحب إلى بلاده في تشرين الثاني 1297[4].

شرع والاس في اتخاذ أقصى ما امكنه من استحضارات لحماية بلاده من أي تصعيد إنگليزي متوقع، فأنشأ نظاماً مبسطاً لتجنيد مواطنيه، ودعا بارونات إسكتلندا لتزويد رجاله بالسلاح والمؤن عند الحاجة, وصدق حدس والاس حين جمعت مدن شمال إنگلترا في تشرين الثاني 1297 مؤن قدرها أربعة الاف وخمسمائة طن من القمح تم نقلها عَلَى متن 4500 عربة إلى المخازن الملكية في نيوكاسل, وَهُوَ مؤشر عَلَى تهيئة الملك إدوارد الأول مستلزمات حملة وشيكة قبل الشروع فيها[5]، واللافت أن الملك ادوارد الأول أراد كسب باروناته قبيل مواجهة الإسكتلنديين فأصدر وثيقة أكد فيها بنود العهد الأعظم[6]، ومع أن الملك ادوارد الأول اراد وأد المقاومة الإسكتلندية بأسرع وقت، لكن امكانات إنگلترا أخرت قدرتها عَلَى تهيئة قوات ومستلزمات حملتها إلى اذار 1298[7]، فانشغل الملك إدوارد بتهيئة الأموال والأسلحة والقوات من إنگلترا وويلز وأيرلندا، فضلاً عن المؤن الَّتِي احتاجها لتموين حامياته الإنگليزية المحاصرة في إسكتلندا، وأمر مسؤوليه الملكيين بتهيئة المُؤَنِ وارسالها إلى كارلايل, وأوعز في 15 نيسان 1298 إلى

---

(1) D. W. Burton, Op. Cit., p.307.

(2) Marc Morris, Op. Cit., p.240.

(3) Charles W. Thomson, Scotland's Work and Worth's, Vol. I., Oliphant Anderson & Ferrier, Edinburgh, 1909, p.32.

(4) Marc Morris, Op. Cit., p.241.

(5) David Stewart Bachrach, Military Logistics during the Reign of Edward I of England 1272 – 1307, London, 2006, p.436.

(6) ميثاق الملك ادواد الأول في 5 تشرين الثاني 1297 الذي أكد فيه التزامه بالماگنا كارتا، أنظر مخطوطة رقم **(4)**.

(7) A.F. Murison, Sir William Wallace, Charles Scribner's and Sons, New York, 1900, p.100.

وكلائه في أيرلندا بتجهيز المؤن وشحنها إلى كارلايل, وفي مطلع آذار 1298 استكمل المستلزمات الغذائية لحامياته المحاصرة في إسكتلندا، وحملته الوشيكة[1].

استدعى الملك إدوارد الأول قادة حامياته في إسكتلندا، وهم: إيرلات ساري، غلوستر، هيرفورد (Humphrey de Bohun, 3rd Earl of Hereford)[2]، نورفولك (Roger Bigod, 5th Earl of Norfolk)[3] وأنجوس (Earl of Angus, Gilbert de Umfraville)[4] إلى يورك للتداول معهم حول خطوات اعادة السيطرة الإنكليزية على

---

(1) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.68 – 70.

(2) (1249 – 1298): نبيل وقائد عسكري إنكليزي بارز، وُلد في إسكس، وتولى منصب اللورد المستشار الأعلى لإنكلترا (Lord High Constable) بالوراثة، قاد مع الإيرل روجر بيغود معارضة بارونية عنيفة ضد السياسات المالية والضريبية الصارمة لإدوارد الأول عام 1297، التي بلغت ذروتها في أزمة الاحتجاجات (Remonstrance) ورفض السفر للقتال في فلاندرز، مما أجبر الملك على إعادة إصدار الميثاق الأعظم، تصالح لاحقاً مع التاج وقاد المقدمة الإنكليزية في حملة إسكتلندا وشارك في تحقيق النصر بمعركة فالكيرك عام 1297، توفي في كانون الأول ودُفن في دير والدن، للمزيد، ينظر: Michael Prestwich, Edward I …, p.412 – 435 ; Jeffrey Hamilton, The Plantagenets History …, p.85 – 91 ; Michael Prestwich, War, Politics and …, p.224 – 239.

(3) (1245 – 1306): وُلد في ثيتفورد، والده قاضي إنكلترا الأعلى هيو بيغود، ووالدته جوان دي ستوتفي، ورث والده عام 1266، ثم عمه روجر إيرلاً لنورفولك عام 1270، تزوج ألين باسيت ثم أليس من هينو، شارك في حملات الملك إدوارد الأول في ويلز وإسكتلندا، ولعدم وجود وريث تنازل عن املاكه للملك في عام 1302، توفي في 6 كانون الأول ودفن في دير ثيتفورد، ينظر: Edward Maunde Thompson, Bigod, Roger 1245 – 1306 Dictionary of National Biography, Vol. V, London, 1886, p.26 – 28.

(4) (1244 – 1307): وُلد في قلعة برودو في نورثمبريا، والده بارون برودو غيلبرت دي أومفرافيل، ووالدته كونتيسة أنجوس ماتيلدا، ورث لقب إيرل أنجوس عبر والدته. تزوج إليزابيث ابنة إيرل بوكان الإسكندر كومين، وأنجبا: غيلبرت، توماس وروبرت الذي خلفه كإيرل أنجوس، شارك في صراعات الملك هنري الثالث مع باروناته، وفي عام 1267 دخل في نزاع مع وليام من دوغلاس، شارك في حملة ويلز عام 1276، وفي عام 1284 حضر البرلمان الإسكتلندي الذي أقر مارگريت وريثةً للملك الإسكندر الثالث، شارك في حملات إدوارد الأول الإسكتلندية، ومنها معركة فالكيرك عام 1298، أصبح حاكمًا لقلعة فورفار، ومُنح حق تعيين حراس الحدود، أسس ديرًا لكاهنين في قلعة برودو لإقامة القداس اليومي، تُوفي في 13 تشرين الأول، ودُفن قرب زوجته إليزابيث كومين في دير هيكسهام، للمزيد، ينظر: Thomas Frederick Tout,

إسكتلندا، فاجتمعوا في 14 أيار 1298 وانتهوا إلى ضرورة حَشدْ المزيد من قوات إنگلترا وويلز وأيرلندا لوأد التمرد الإسكتلندي تماماً، فأصدرت مؤسسة العرش الإنگليزي أوامر استدعاء اضافية إلى كارلايل لإثني عشر الف وستمائة مقاتل من ويلز والف مقاتل من لانكشاير[1]، فَضْلًا عن نبلاء وحرفيين إنگليز للإفادة منهم في الأمور الَّتِي يقتضيها الجهد العسكري في إسكتلندا[2]، وطلب الملك إدوارد في 27 أيار 1298 تعبئة قواته في روكسبورغ (Roxburgh) في موعد اقصاه 23 حزيران من ذلك العام[3]، وفي الوقت ذاته وفرت أيرلندا بضعة الاف مقاتل[4]، تزامناً مَعَ وفود خمسمائة مقاتل غاسكوني[5]، لرفد الجهد العسكري الإنگليزي[6]، الذي تم استنزافه في الحملات السابقة، بحيث أصبح أكثر من ثلثي مقاتلي الجيش الإنگليزي ويلزيين وغاسكونيين وأيرلنديين[7].

وصل الملك إدوارد في 25 تموز 1298 إلى روكسبورغ فوجد جيشه عَلَى اهبة الاستعداد للزحف نحو إسكتلندا, ومع أَنَّ بعض المصادر قدرت عدد الجيش بثمانين ألف[8]، إلَّا أَنَّ العدد الفعلي وفقاً لحسابات الخزانة الإنگليزية ناهزَ اثنان وعشرون الف مقاتل أُسنِدت قيادتهم الميدانية[9] إلى القائد جون سيغراف (John Segrave)[10]، وفي

Umfraville, Gilbert de 1244 – 1307, Dictionary of National Biography, Vol. 58, London, 1899, p.21 – 24.

(1) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.70 – 71.
(2) Ibid, p.71.
(3) A. F. Murison, Sir William Wallace ..., p.100.
(4) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.68.
(5) John Hill Burton, Op. Cit., p.199.
(6) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.68.
(7) Ibid, p.68.
(8) John Hill Burton, Op. Cit., p.199.
(9) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.68.

(10) (1256 – 1325): وُلد في 20 تموز في سيغريف في مقاطعة ليستر، وهو الابن البكر للبارون نيكولاس دي سيغريف، والدته مود دي لوسي، اخوته: سيمون، إليانور، نيكولاس، هنري وبيتر، تزوج عام 1270 كريستيانا ابنة السير هيو دي بليسيس، وأنجبا ستيفن، كريستيانا ومارگريت، اشترك في الحملات ضد أمير ويلز ليويلين أب غريفيد في عامي 1277 و1282، رافق الملك إلى إسكتلندا عام 1291، استُدعي إلى البرلمان في تشرين الثاني 1296، شارك في الحملات على إسكتلندا منذ عام 1297، اشتهر بحمل أجزاء من جسد والاس إلى وجهاتها في إسكتلندا عام 1305، عُين قاضيًا وقائدًا في إسكتلندا جنوب فورث، أصبح قاضيًا لغابات نهر ترينت وحاكمًا لقلعة نوتنغهام عام 1308، عُينَ حارساً لإسكتلندا في 10 آذار 1309، أُسر في معركة بانوكبيرن عام 1314، ثم أُطلق سراحه مقابل فدية كبيرة، عُين في مجلس الملك عام

مطلع تموز 1298 توغل الجيش الإنكليزي في إسكتلندا، فتعرض إلى غارات إسكتلندية مباغتة عَلَى مشارف ساليينغ (Sallying)، فاتجه جزء من الجيش الإنكليزي بقيادة أسقف دورهام انتوني بيك إلى بلدة ديرليتون (Dirleton) وقلاع لوثيان الشرقية (East Lothian)، واحتلهما بعد مقاومة شرسة كبدته خسائر فادحة[1]، ثم اكمل زحفه حَتَّىَ وَصَلَ في 15 تموز 1298 إلى قرية كيركليستون (Kirkliston) المطلة عَلَى جنوب نهر فورث[2], فعسكرَ فيها لضمان وصول سفن الامداد الإنكليزية القادمة من بيرويك، الَّتِي كَانَ بأمس الحاجة إلى مؤنها لإكمال فعالياته القتالية في الاراضي الإسكتلندية[3].

ويبدو أن قائد التمرد الإسكتلندي وليام والاس اتبع استراتيجية استنزاف الإنكليز بتجنب مواجهتهم ريثما تنفذ مؤنهم، ويضطروا للانسحاب إلى بلادهم، فيشن عَلَيْهِمْ غارات مباغتة لايقاع أَكبر قدرٍ ممكن من الخسائر بينهم[4]، وهو ما حدث تماماً حين شحتْ المؤن الإنكليزية بعد مدة وجيزة، فقضى بعض الإنكليز جوعاً، واضطر الملك إدوارد الأول للاحتفاظ بما لديه من مؤن قليلة لكبار اتباعه تاركاً باقي جيشه، مما أدى إلى صدامات بين بعضِ مقاتليه اِنْتَهَتْ إلى مقتل وإصابة عشرات الويلزيين والإنكليز[5]، فحذر بعض القادة ملكهم من انضمام الويلزيين إلى المتمردين الإسكتلنديين في أقرب فرصة، لكنه أعلن أَنَّهُ حينها سيقضي عَلَيْهِمْ جميعاً, ولتلافي مشكلة قلة المُؤَنِ أمر جيشه بالزحف نحو إدنبرة للحصول عَلَى المؤن اللازمة، وقبيل تنفيذ ذلك الأمر، وتحديداً في 21 تموز 1298 وردت معلومات من إيرلات إسكتلنديين موالين لإنكلترا مفادها أَنَّ وليام والاس وجيشه مختبأين في فالكيرك (Falkirk)، فزحف الإنكليز نحوهم ورابطوا ليلاً في لينليثغو، وهم في حالة ترقب خوفاً من كمين إسكتلندي, حَتَّىَ أَنَّهم ناموا قرب خيولهم استعداداً لأي طارئ، بضمنهم الملك إدوارد ذاته الَّذِي نامَ قرب حصانه وجعل درعه وسادة له، فداسه حصانه اثناء نومه، وكسرَ اثنين من

1318، وفي تموز 1324عُين قائدًا للقوات المتجهة إلى غاسكوني، توفي في 1 أيلول ودُفن في دير تشاكومب في نورثهامبتون، للمزيد، ينظر: A. J. Musson, Segrave, John, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.

(1) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.73.
(2) A. F. Morison, Op. Cit., p.100.
(3) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.73.
(4) R. L. Mackie, Scotland an account of Her Triumphs and Defeats, UK, 2013, p.151.
(5) A. F. Murison, Sir William Wallace ..., p.101.

اضلاعه[1]، لَكِنَهُ تحامل عَلَى نفسه واكمل مسيره فجر اليوم التالي, فقرر الإسكتلنديون المخاطرة بمواجهة الجيش الإنكليزي بعد أنْ نمت إلى مسامعهم اخبار قلة المؤن في المعسكر الإنكليزي، والشجارات الَّتِي حصلت بين أفراده، فأراد وليام والاس وقادته خوض معركة فاصلة ضد الإنكليز المنهكين للنيل منهم، لكن تغيراً حصل في ذلك الظرف الدقيق بعد وصول مؤن كثيرة للجيش الإنكليزي انتهت جوعه وهيأته لخوض معركة فاصلة ضد الإسكتلنديين[2].

عسكر الجيش الإنكليزي في 22 تموز 1298 عَلَى مرتفع قرب فالكيرك[3]، أكسبه موقعاً طبوغرافياً مشرفاً عَلَى الاراضي المحاذية له، ولم يبق أمام والاس وجيشه سوى تل صغير عَلَى أرض مفتوحة منخفضة كثيراً عن موضع تمركز الجيش الإنكليزي، وبدا التفوق الإنكليزي أيضاً في عدد مقاتليه وعدتهم، مما دفع الزعيم وليام والاس لحشدِ جيشه عَلَى جانب ذلك التل لمنعِ اعدائه من الالتفاف عَلَى جيشه، وقَسَمَ مشاته إلى أربعة فرق دائرية كبيرة، وَهُوَ تشكيل الفهُ الإسكتلنديون في أغلب معاركهم، ونشر والاس رماة جيشه عَلَى أطراف تلك الدوائر لحمايتها من هجمات الإنكليز، وتمركز الفرسان الإسكتلنديون في الخلف لمنع الفرسان الإنكليز من الالتفاف عَلَى مشاتهم، ورغم براعة ذلك التشكيل لَكِنَهُ لَمْ يحسم مشكلة الفارق العددي والتعبوي والنوعي بين الجيشين[4].

حَرَّصَ الإنكليز عَلَى تشتيت الدوائر الإسكتلندية، فهاجمها أسقف دورهام انتوني بيك من اليمين، وباغتها إيرلات نورفولك وهيرفورد ولينكولن من اليسار، فاضطر الإسكتلنديون لقتال الإنكليز من جانبين في آنٍ واحد[5], وزاد الوضع سوءاً بعد اندفاع القسم الثالث من الجيش الإنكليزي الَّذِي قاده الملك إدوارد الأول عَلَى مؤخرة الجيش الإسكتلندي، فأصبح الإسكتلنديون هدفاً لهجوم ثلاثي الاجنحة، زاد وطأته النبالون الإنكليز الَّذِين رموا سهامهم عَلَى الجيشِ الإسكتلندي المحاصر بين ثلاثة جيوش، فتقهقر الفرسان الإسكتلنديون، ومعهم وليام والاس[6]، تاركين مشاتهم تحت رحمة الجيش

(1) R. L. Mackie, Scotland an account …, p.151.
(2) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.75.
(3) Herbert Maxwell, The Making of Scotland lectures on the War of Independence, Glasgow, 1911, p.93.
(4) A. F. Murison, Sir William Wallace ..., p.103.
(5) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.97.
(6) George Grant, The Life and Adventures of Sir William Wallace, Published By J. Menzies, Edinburgh, 1939, p.158.

الإنكليزي، ومع أَنَّ المشاة الإسكتلنديون قاوموا ببسالة لَكِنَّهم حُشِروا في مصيدة قاتلة[1]، حولتْ المعركة إلى مذبحة أودت بحياة أغلبهم[2]، وقضت مضجع زعيمهم وليام والاس[3].

استثمر الملك إدوارد الأول تلك المعركة لفرض سيطرته عَلَى إسكتلندا، فاستعاد جنوبها الغربي، واطمأن إلى منعة قلاعه في أغلب اجزائها وقدرتها عَلَى الصمود أمام المتمردين, وبعد أربعة أيام من تلك المعركة، استعاد الملك إدوارد الأول قلعة ستيرلنغ (Stirling Castle)، ووضع فيها حامية ثم غادرها في 8 آب 1298 إلى قلعة أير (Ayr Castle)، ثم استعاد قلعة لوشمابين (Lochmaben Castle)، وبلدة القديس اندرو وبيرث، لكنه قرر العودة إلى بلاده لاعتقاده بانتهاء التمرد على سلطته، ولندرة المؤن اللازمة لقواته[4]، وفي طريق عودته استولى على قلعة جيدبورغ (Jedburgh Castle) في خريف 1298، ومما له مغزاه أن الإنكليز رغم نجاحهم العسكري فشلوا في تحقيق الاهداف السياسية والإدارية الَّتِي حققوها في حملاتهم السابقة، وليس أخرها: عدم قدرتهم عَلَى إخضاع إسكتلندا لنظام إداري مماثل لما اقروه سابقاً، واقتصار السيطرة عَلَى الحاميات الإنكليزية المرابطة في القلاع[5]، فضلاً عن استنزاف إنكلترا مالياً[6].

أدركت مؤسسة العرش الإنكليزي بعد انتهاء حملة عام 1298 أَنَّ ما تكبدته من خسائر مادية وبشرية ذهبت سدىً، ولم تنل من المتمردين الإسكتلنديين الذين استعادوا قوتهم السابقة أواخر عام 1298، فأصبحت قلعة ستيرلينغ والمناطق المحاذية لها مجدداً تحت تهديدهم بما قطع عنها خطوط الإمداد, ونشطت الغارات الإسكتلندية عَلَى حاميات بيرويك وروكسبورغ مطلع عام 1299, والقلاع الإنكليزية في غرب إسكتلندا التي كانت أضعف من سواها لقلتها وعزلتها وصعوبة وصول الدعم اللوجستي إليها, وفي منتصف عام 1299 كَثَفَ المتمردون الإسكتلنديون هجماتهم عَلَى القلاع الإنكليزية الشرقية أيضاً[7]، فدعا الملك إدوارد إلى عقد اجتماع في يورك في 1 آب 1299, لدراسة الوضع

(1) P. Hume Brown, Op. Cit., p.148.
(2) Charles W. Thomson, Op. Cit., p.34.
(3) Thomas Gray, Op. Cit., p.21; Arthur D. Innes, Op. Cit., p.292.
(4) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.76 – 77.
(5) Marc Morris, Op. Cit., p.244 – 245.
(6) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.86.
(7) John D. Carrick, Life of Sir William Wallace, Thomas D. Morison Ingram Street, Glasgow, 1783, p.68.

العسكري المتأزم في إسكتلندا، وكيفية وأد التمرد الإسكتلندي، وترسيخ السيطرة الإنكليزية على إسكتلندا، وفي الموعد المحدد اجتمع الملك إدوارد بأسقف دورهام انتوني بيك والسير هنري بيرسي (Sir Henry de Percy, 1st Baron Percy of Alnwick)[1] وإيرل لينكولن هنري دي لاسي ورئيس أساقفة يورك هنري دي نيوارك (Henry de Newark, Archbishop of York)[2] وقادة الحاميات في الجنوب الشرقي لإسكتلندا، والمعنيين بالدفاع عَلَى جانبي الحدود الإنكليزية – الإسكتلندية[3]، وانتهى ذلك الاجتماع إلى ضرورة إرسال حملة في شتاء عام 1299، لكن ندرة الموارد وصعوبة تعبئة قوات كافية أفشلت خطة الملك إدوارد في ارسال الحملة شتاءً، لاسيما أَنَّهُ لَمْ يكن مستعداً للمخاطرة

---

(1) (1273 – 1314): وُلد في 25 آذار في بيتوورث بمقاطعة ساسكس، مما أنقذ سلالته من الانقراض بعد وفاة أخويه في الطفولة ووفاة ستة من أعمامه دون ورثة، والده البارون هنري دي بيرسي ووالدته إليانور ابنة إيرل ساري جون دي وارين، في عام 1293 ورث ممتلكات عائلته في ساسكس ويورك، وفي عام 1294 تزوج إليانور ابنة إيرل اروندل ريتشارد فيتز آلان، وأنجبا هنري ووليام، شارك في معارك غاسكوني عام 1294، وتمردات ويلز عام 1296، وحملات بلاده الإسكتلندية، عُين قائدًا على غالاوي، استُدعي إلى البرلمان عام 1305 بموجب أمر ملكي بوصفه البارون الأول لبيرسي، وهبه إدوارد الأول في 25 آذار 1306 أراضي روبرت بروس المصادرة، وعينه قائداً على شمال غرب إنكلترا وجنوب غرب إسكتلندا، حاصر روبرت بروس في قلعة تورنبيري عام 1307، عارض إدوارد الثاني بسبب بيرس غافستون، فسجن بضعة أشهر عام 1312، توفي في 10 تشرين الأول في يورك، ودُفن في دير فاونتنز، للمزيد، ينظر: Thomas Frederick Tout, Henry Percy 1272 – 1315 in Dictionary of National Biography, edited by Leslie Stephen and Sidney Lee, Vol. 44, London: Smith, Elder & Co., 1895, p.404–406.

(2) (1240 – 1299): رجل دين ودبلوماسي إنكليزي، وُلد في نوتنغهام، وتدرج في المناصب الكنسية حتى عُين عميداً لكاتدرائية يورك، ثم انتُخب رئيساً لأساقفة يورك عام 1296، كان حليفاً مقرباً ومستشاراً للملك إدوارد الأول، ومثّله في بعثات دبلوماسية مهمة إلى فرنسا وروما، وأدى دوراً بارزاً في تمويل وتأمين الدعم اللوجستي والعسكري لحملات الملك إدوارد الأول ضد إسكتلندا بحكم موقع إيبارشيته القريب من الحدود الشمالية، توفي في آب ودُفن في كاتدرائية يورك، للمزيد، ينظر: J. H. Denton, Robert Winchelsey and the Crown 1294 – 1313: A Study in the Defence of Ecclesiastical Liberty, Cambridge University Press, Cambridge, 1980, p.155 – 159 ; C. H. Lawrence, Op. Cit., p.210 – 214.

(3) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.98.

بإرسال جيش صغير لا يستطيع تنفيذ المهام الملقاة عَلَى عاتقه، ومعرضاً لهزيمة تنعكس سلباً عَلَى الوجود العسكري الإنكليزي في إسكتلندا[1].

المبحث الثالث

اشتداد السجالات بين الجيوش الإنكليزية والمتمردين الإسكتلنديين حتى اعدام وليام والاس 24 حزيران 1300 – 23 آب 1305

واجه المتمردون الإسكتلنديون مصاعب جمة بعد هزيمة فالكيرك التي أثرت بشدة عَلَى مصداقية وليام والاس، واجبرتهُ عَلَى السفر إلى فرنسا للحصول عَلَى مساعدة عسكرية من ملكها فيليب الرابع[2], لكن اقتران شقيقته الأميرة مارگريت (Margaret of France)[3] من الملك إدوارد الأول في أيلول 1299 أفشلت مساعي وليام والاس في تحقيق اهدافه[4]، تزامناً مع حدوث تغييرات دراماتيكية أخرى عَلَى التمرد الإسكتلندي لَيْسَ أخرها تحول قيادة المتمردين إلى نبيل إسكتلندي معارض لإنگلترا هو جون كومين الثالث (John Comyn III of Badenoch)[5]، بدعم بعضِ النبلاء والأساقفة الإسكتلنديين وفي

(1) John D. Carrick, Op. Cit., p.69.
(2) Arthur D. Innes, Op. Cit., p.292.
(3) (1279– 1318): وُلدت في باريس، والدها ملك فرنسا فيليب الثالث ووالدتها ماري من برابانت، اخوتها هم: ملك فرنسا فيليب الرابع، لويس كونت إيفرو وبلانش دوقة النمسا. تزوجت الملك إدوارد الأول في 8 أيلول 1299، وأنجبت منه توماس، إدموند وإليانور، حافظت على علاقة جيدة بأبناء زوجها لاسيما إدوارد الثاني، واستخدمت نفوذها للتوسط بين زوجها وأخيها لضمان السلام بينهما، اشتهرت بتقواها وأعمالها الخيرية وشفاعتها للأخرين، توفيت في قلعة مارلبورو في ويلتشير في 14 شباط، ودُفنت في كنيسة غريفريرز في غرينتش، للمزيد، ينظر: Anne Crawford, Margaret of France c.1277 – 1318, A Historical Dictionary of British Women, Europa Publications, 2003.
(4) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.114 – 115.
(5) (1274 – 1306): وُلد في بادينوك شمال إسكتلندا، والده جون كومين الثاني، ووالدته إليانور باليول، لم تذكر المصادر وجود أخوة له، تزوج من جوان دي فالينس عام 1295، وأنجب منها ثلاثة أبناء هم: جون كومين الرابع، كونتيسة أثول جوان كومين وإليزابيث كومين، كان جون كومين الثالث شخصية محورية في حرب الاستقلال الإسكتلندية الأولى .بعد تنازل خاله الملك

مقدمتهم أسقف سانت اندروز وليام لامبرتون (Bishop of St Andrews, William de Lamberton)[1]، الَّذِي عدَ نفسه وصياً عَلَى العرش الإسكتلندي أثناء شغوره[2]، ومع أَنَّ عاهل فرنسا والبابوية كثفا ضغطهما عَلَى عاهل إنگلترا لمنعه من غزو إسكتلندا، لكن الملك إدوارد رفض ذلك لاعتقاده أَنَّ إسكتلندا تابعةَ لهُ ومن تحداه من شعبها رعايا متمردون سيخضعهم بقوة السلاح[3]، من هنا أمر الملك إدوارد مطلع عام 1300 بحشدِ ستة عشر الف مقاتل في كارلايل، وتهيئةِ مستلزمات حملته الَّتِي أرادَ ارسالها إلى إسكتلندا صيفاً، وتخزينها في قلاع بيرويك وسكينبورنيس (Skinburness) شمال غرب إنگلترا[4].

جون باليول عن العرش عام 1296، شغل منصب وصي إسكتلندا، وتمرد على الإنگليز، وانتصر عليهم في معركة روزالين عام 1303، لكنه هزم وأدى مراسم الولاء الإقطاعي للملك إدوارد الأول في 9 شباط 1304، قتله روبرت بروس في 10 شباط طعناً أمام مذبح كنيسة غريفريرز في دومفريز، فدُفن قرب الكنيسة نفسها، للمزيد، ينظر: Thomas Andrew Archer, John Comyn, (d.1306)", Dictionary of National Biography, Vol. II, London, 1887, p.460 – 462 ; Alexander Grant, "The Death of John Comyn: What Was Going On?", Scottish Historical Review, 2007, p.176 – 224.

(1) (1265 – 1328): وُلد في لامبرتون قرب وارويك، ولا توجد معلومات محددة عن والديه وإخوته، ولأنه رجل دين لم تكن لديه زوجة أو أبناء، شغل منصب مستشار كاتدرائية غلاسكو قبل أن يصبح أسقفا لسانت أندروز عام 1297، وهو ارفع منصب كنسي في إسكتلندا، وهو شخصية محورية في التمرد الإسكتلندي، دعم وليام والاس وبعد هزيمته في فالكيرك، أصبح أحد أوصياء إسكتلندا، قاوم الإنگليز بين عامي 1299 و1301، وأدى دورًا حاسمًا في تسنم روبرت بروس العرش وتتويجه، ومنحه الغفران عن مقتل جون كومين الثالث عام 1306، سجنه إدوارد الأول عام 1306 ثم اطلق سراحه، وساعد في تأمين الاعتراف البابوي بملكية بروس على الرغم من الحرمان الكنسي الأولي، توفي في سانت أندروز في 28 أيار 1328، ودُفن في كاتدرائيتها التي كانت رمزًا للهوية الإسكتلندية، للمزيد، ينظر: A. A. M. Duncan, Scotland: The Making of the Kingdom, Oliver & Boyd, Edinburgh, 1975, p.580 – 588 ; Marinell Ash, The Church in the Wars of Independence, In: The Scottish War of Independence, Dynamic Frontiers, Aberdeen University Press, 1980, p.45 – 52.

(2) Arthur D. Innes, Op. Cit., p.292.

(3) Marc Morris, Op. Cit., p.248 – 249.

(4) John A. C. Vincent, Lancashire Lay Subsidies Being An Examination of the Lay Subsidy Rolls Remaining in the Public Record Office, Vol. I, The Record Society, London, 1893, p.227.

والثابت أَنَّ حملات إنگلترا السابقة عَلَى إسكتلندا استنزفتْ قدرتها عَلَى توفيرِ المستلزمات الكافية لتلكَ الحملة، وَهُوَ ما بينهُ الملك إدوارد ذاتهُ حينَ أرسلَ خطاباً إلى أمين الخزانة الإسكتلندية في يورك جاءَ فيه أَنَّ مقاطعتي كامبريدج وهنتينغدون فشلتا في توفير الأَمْوَال الَّتِي طَلَبَها العرش الإنگليزي منهما لشراء المؤن اللازمة للحملة الإنگليزية الوشيكة[1]، ولا مناص عن نقل امدادات عاجلة من أيرلندا لمعالجة تلك المشكلة, وتمثلت المشكلة الأخرى في تكدس الامدادات في موانئ إنگلترا دون توفر وسائل لنقلها إلى بيرويك أَوْ كارلايل، رغم حاجة الحاميات الإنگليزية الشديدة إليها[2].

اكمل الملك إدوارد الأول التجهيزات الرئيسة لحملته، وانطلق في 24 حزيران 1300 نحو جيشه المرابط في كارلايل، فوَصَلَه في 28 حزيران[3]، واللافت أن عدد جيشه كان أقل بكثير من سابقه، وَهُوَ مؤشر آخر لتناقص قدرة إنگلترا عَلَى مقاتلة متمردي إسكتلندا، وكَانَ بديهياً أنْ يركزْ ملك إنگلترا في حملتهِ عَلَى جنوب غرب إسكتلندا لقوة متمرديها، وغاراتهم المتكررة عَلَى الحاميات الإنگليزية المرابطة في دومفريس وغالواي, وتمحورتْ خطة الملك الإنگليزي عَلَى ضربِ المتمردين في تلك المقاطعتين ثم احتلال أراضي جون كومين الثالث عقاباً له عَلَى تزعمهِ المقاومين الإسكتلنديين، وتطهير باقي مناطق غرب إسكتلندا وجنوبها حَتَّىَ مقاطعة آير، وكَانَ احتلال قلعة كايرلافيروك (Caerlaverock Castle) مفتاح تنفيذ تلك الخطة لأَنَ تلك القلعة الحدودية اصبحت منطلقاً للإسكتلنديين لمهاجمة الحاميات الإنگليزية المتاخمة لها في دومفريس وغالواي ولوشمابين[4].

شَرَعَ الملك إدوارد الأول بتنفيذ خطته، فتحركَ بقواته من كارلايل إلى قلعة كايرلا فيروك مطلع تموز 1300, وفور وصولهِ إليها في التاسع من الشهر ذاته[5] فرضَ عليها حصاراً محكماً[6]، وقسمَ قواته إلى أربعة أقسام تسنم قيادة أولاها، تاركاً الثانية إلى ابنه الأمير إدوارد، وقاد إيرل لينكولن هنري دي لاسي وإيرل ساري جون القسمين الثالث والرابع, مَعَ مشاركة بحرية إنگليزية فاعلة تمثلتْ بقصفِ السفن للقلعة اثناء تقدم القوات

(1) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.131.
(2) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.132.
(3) John A. C. Vincent, Op. Cit., p.227, 231.
(4) Marc Morris,Op. Cit., p.252.
(5) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.106.
(6) John A. C. Vincent, Op. Cit., p.231.

الإنكليزية البرية نحوها، فحدثتْ اضرار فادحة في بناية القلعة[1]، اضطر معها الإسكتلنديون لرفع علم أبيض اشارةً لاستسلامهم، لَكِنَّ الملك إدوارد بعد اقتحام القلعة أمر بشنقِ رجال حاميتها بوصفهم متمردين عَلَى سلطته الشرعية[2]، وفي 15 تموز 1300 زحف الجيش الإنكليزي إلى دومفريس, وحين هرب قسم كبير من مشاة جيشه، أمر باعتقالهم ومعاقبتهم, وبعد حدوث مناوشات مَعَ الإسكتلنديين استدعى الملك إدوارد في 27 تموز تعزيزات إنكليزية من أسطوله المرابط عَلَى سواحل إسكتلندا الغربية القريبة منه، وفي مطلع شهر آب التقى جيشاً إسكتلندياً في بلدة كيث (Keith)، فقسم جيشه إلى ثلاثة مجاميع تسنم قيادتها هو وإيرل هيرفورد همفردي دي بوهان وأمير ويلز إدوارد كارنارفون[3], ومع أن الإنكليز انتصروا لكن افتقارهم إلى القوات الويلزية سريعة الحركة وقوات الفرسان الَّتِي تتحرك في الأراضي الوعرة، منعهم من تدميرِ القوات الإسكتلندية المنسحبة[4].

عسكرَ الملك إدوارد الأول أواخر آب بقواتهِ المنهكة في منطقةِ دير سويتهارت (Sweetheart Abbey) جنوب مدينة لوشمابين، بانتظار تعزيزات عسكرية، لَكِنَهُ فوجئ بوصول رئيسِ أساقفة كانتربري روبرت وينشلسي الَّذِي قطع رحلة محفوفة بالمخاطر عبر سهل سولواي لإيصال خطاب البابا بونيفاس الثامن له, فظن الملك إدوارد أَنَّهُ تضمن دعماً له لعلاقتهما الوطيدة، لَكِنَّ رئيس أساقفة كانتربري نبه الملك إدوارد إلى أمور صادمة في مقدمتها تأريخ الخطاب[5]، الَّذِي وافق 27 حزيران 1299، اي قبل حملته بأكثر من عام، وأخبره أن البابا كَتَبَ خطابه بعد لقائه بعض المبعوثين الإسكتلنديين[6]، وفوجئ الملك الإنكليزي بفحوى الخطاب الذي رفض مهاجمة إسكتلندا بوصفها مملكة "**انتمت إلى الكنيسة الرسولية منذ عهود قديمة ... ولا زالت**"[7]، واتهم البابا الملك إدوارد بشنه حرباً ظالمة سببت خسائر فادحة لسكان إسكتلندا ودمرت قلاعها واديرتها، وزجت كثير من أساقفتها في السجون، وطالبه بالإفراج عن أولئك الأساقفة لاسيما أسقف

(1) John D. Carrick, Op. Cit., p.70 – 71.
(2) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.107.
(3) Marc Morris,Op. Cit., p.252 – 253.
(4) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.137.
(5) Marc Morris, Op. Cit., p.253.
(6) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.103.
(7) Quoted in: Howard De Walden, Some Feudal Lords and their Seals Mcccj with an Introduction, The De Walden Library, p.23.

غلاسكو روبرت ويشارت (Bishop of Glasgow Robert Wishart)[1]، ثم سحب جيوشه من إسكتلندا[2].

أدرك الملك الإنگليزي أَنَّ الخطاب البابوي مؤشر جديد عَلَى فشل حملته، وذا آثر سلبي عَلَى معنويات المقاتلين الإنگليز، لاسيما أنه وَصَلَ في ظروفٍ عسكرية وتعبوية غير مؤاتية، لذا قَرَّرَ التريث في تنفيذ خطته، فتركَ حملته وابحر إلى إنگلترا في أيلول 1300, وبعد وصوله حَمَلَ بعض المسؤولين والنبلاء الإنگليز مسؤولية فشل حملته, وأمرَ مستشاره والتر لانغتون (Walter Langton)[3] بمعاقبة الهاربين والمسؤولين عن تجنيدهم, وطَلَبَ ادراج أسماء اللوردات الَّذِينَ عرقلوا عملية التجنيد، ومع أَنَّ الملك لَمْ يُشر إلى اثر نقص المؤن عَلَى حملتهِ لكنها دون شك افقدتْ قواته الدعم اللوجستي اللازم لتوغلها في غرب إسكتلندا[4]، وكَانَ بديهياً أن يلجأ الملك إدوارد للتهدئة

---

(1) (1240 – 1316): وُلد في انغوس شرق إسكتلندا، والده اللورد أوف بيتارو روبرت ويشارت الأكبر، ووالدته اسمها هيلين، لا تتوفر معلومات عن إخوته، ولأنه رجل دين لم يتزوج، أصبح أسقف غلاسكو من عام 1273 إلى 1316، وصفه إدوارد الأول بـ "العدو الأكبر" لدعمه المتمردين الإسكتلنديين وتقديمه مساعدات مالية لوليام والاس ثم روبرت بروس، كان له دور محوري في تتويجه ملكًا على إسكتلندا في سكون عام 1306، بعد أن منحه الغفران عن مقتل جون كومين الثالث، قضى سنوات في الأسر حتى فقد بصره، أُطلق سراحه عام 1314 بعد معركة بانوكبيرن فعاد إلى إسكتلندا، توفي في غلاسكو بتاريخ 26 تشرين الثاني، ودُفن أمام مذبح كاتدرائيتها، للمزيد، ينظر: G. W. S. Barrow, Robert Bruce …, p.371, 380, 410

(2) Howard De Walden, Op. Cit., p.26.

(3) (1260 – 1321): وُلد في لانغتون بمقاطعة لنكولن، لا تتوفر معلومات عن والديه أو إخوته، وبصفته كاهنًا وأسقفا لم تكن له زوجة أو أبناء، بدأ مسيرته في خدمة إدوارد الأول عام 1290 مديراً للخزانة الملكية، انتخب أسقفا لكوفنتري وليشفيلد في عام 1296، واصبح أمين الخزانة من عام 1295 إلى 1307، كان المستشار الأول لإدوارد الأول، ومسؤول تمويل حروبه في إسكتلندا وفرنسا، وخصمًا للمطالبين بالاستقلال الإسكتلندي. بعد وفاة إدوارد الأول عام 1307 سُجن مؤقتًا بتهم الفساد، لكنه بُرئ وعاد إلى الخدمة في عهد إدوارد الثاني. توفي في أوكسبريدج بتاريخ 9 تشرين الثاني، ودُفن في كاتدرائية ليشفيلد، للمزيد، ينظر: Alice Beardwood, The trial of Walter Langton, Bishop of Lichfield, 1307 – 1312, Philadelphia, 1964 ; J. B. Hughes, The Register of Walter Langton, Bishop of Coventry and Lichfield, 1296–1321, Canterbury, 2007 ; Jill Hughes, Walter Langton and his family, Nottingham Medieval Studies, Vol. 35, 1991.

(4) Marc Morris, Op. Cit., p.253.

مَعَ الإسكتلنديين لفشلهِ في إخضاعهم، ولكسبِ البابوية وفرنسا إلى جانبه في تلك المرحلة الصعبة، فأطلق سراح أسقف غلاسكو روبرت ويشارت بعد أنْ أدى يمين الولاء له, واستجابَ إلى وساطة نظيرهِ الفرنسي الَّتِي وافقتْ مخططه فَعَقَدَ مَعَ رموزِ التمرد الإسكتلندية هدنة امتدتْ من 30 تشرين الأول 1300 حَتَّىَ 21 أيار 1301[1].

خططتْ مؤسسة العرش الإنكليزي لحملة جديدةَ على إسكتلندا بعد إعلان الهدنة مَعَ الإسكتلنديين بأكثرْ من ثلاثةِ أشهر، فاستدعى الملك إدوارد في 14 شباط 1301 أربعةَ وثمانون قائداً من كبارِ نبلائهِ، منهم ستة إيرلات للتحشد مَعَ اتباعهم في بيرويك في صيف العام ذاته, وشملتْ الأوامر أيضاً تهيئة دعم القوة البحرية من خلال تهيئة ثمان وخمسون سفينة مَعَ طواقمها ولوازمها، وصدرتْ أوامر إلى ستة موانئ أيرلندية لإرسال اثنتي عشر سفينة إلى دبلن لنقلِ الدعم الأيرلندي من هناك[2].

قرَّرَ الملك إدوارد تقسيم جيشهِ عَلَى قسمين، ليكون شطراً من جيشهِ في كارلايل بحلول 24 حزيران عام 1301 تحت قيادةِ ابنهِ أمير ويلز، ويرابط الآخر في بيرويك تحت قيادته[3]، وصدرتْ الأوامر الملكية لكلِ ميناءٍ ومقاطعة بتحديدِ الأعداد الدقيقة للسفنِ والمؤن الَّتِي سترسلها إلى قواته[4]، ولوجودِ جيشين إنكليزيين في شمال شرق إنكلترا وشمال غربها، فَإِنَ أوامر التوريد تَغَيَّرَتْ لضمان نقل المؤن إلى الشمال الشرقي والغربي لإنكلترا في أنٍ واحد, وعليه أوكل الملك إدوارد نقل الإمدادات إلى الشمال الشرقي إلى مدن كامبريدج وإسيكس وسوفولك ودربي ونورفولك ونوتنغهام ولينكولن ويورك ويارموث, أَمَّا المؤن الواردة من أيرلندا ولانكستر فَخُصِصَتْ إلى جيشِ كارلايل لتزويدِ أمير ويلز وجيشهِ والحاميات الجنوبية الغربية الإنكليزية في إسكتلندا[5]، وقبل أنْ ينضمْ إلى جيشهِ زارَ الملك إدوارد ضريح القديس توماس بكت (Thomas Becket)[6]

(1) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.108 .
(2) Ralph Anthony Kaner, Op. Cit., p.43
(3) Eadie D. D, Op. Cit., p.114.
(4) Ralph Anthony Kaner, Op. Cit., p.46.
(5) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.167.
(6) (1118 – 1170): وُلد في تشيبساید بتاريخ 21 كانون الأول، والده تاجر يدعى جيلبرت بكت ووالدته تدعى ماتيلدا، بصفته رجل دين، لم يتزوج، كان مستشار الملك هنري الثاني من عام 1154 حتى 1162، وصديقًا مقربًا له وداعمًا لسلطته، تغير موقفه جذرياً بعد تعيينه رئيسًا لأساقفة كانتربري عام 1162، فأصبح مدافعًا عن حقوق الكنيسة واستقلالها عن سلطة الملك،

لنيل بركة القديس لمشروعهِ[1]، ثم توجه في تموز 1301 إلى بيرويك الَّتِي تحشدَ اثنا عشر آلف مقاتل فيها، تزامناً مَعَ تحشدْ جيش آخر في كارلايل[2]، ولضمانِ سيطرة فاعلة عَلَى جيشهِ عَيَنَ الملك إدوارد في 15 تموز فريقاً من ثلاثةِ محققين للنظرِ في المشاكل الَّتِي تحدثْ بين الجند، واعتقال الفارين منه[3].

تَقَدَمَ الملك بجيشهِ من بيرويك إلى روكسبورغ، ومنها إلى وادي التويد ثم دخلَ سيلكيرك (Selkirk) في جنوب شرق إسكتلندا وصولاً إلى بلدة بيبلز (Peebles)[4] في 28 تموز 1301 الَّتِي عانتْ من هجمات إسكتلندية مستمرة، وآخرها غارة مباغتة عَلَى الرماة الإنكليز المرابطين هناك في نفس اليوم الَّذِي وَصَلَ فيه الملك, مما اضطرهُ للمكوثِ في بيبلز لأسبوعين لضمان تطهير المناطق المحيطة بها من الإسكتلنديين، وبعد اتمامِ هدفهِ زَحَفَ الملك إدوارد بجيشهِ إلى لانارك، ووَصَلَ إلى غلاسكو في 21 آب 1301, أَمَّا جيش أمير ويلز فَزَحَفَ من كارلايل نحو الجنوب الغربي لإسكتلندا, وسيطرَ عَلَى قلعتي كاريك (Carrick Castle) ودالسوينتون (Dalswinton Castle)، بعد استسلام حاميتيهما الإسكتلندية، ثم زَحَفَ الأمير بجيشه إلى بلدة تورنبيري (Tumberry) في جنوب غرب إسكتلندا وسيطر عليها في 5 أيلول[5].

لم تغير تلك النجاحات العسكرية حقيقة الوضع اللوجستي الإنكليزي المزري، المتمثل بضآلة الموارد والأَمْوَال اللازمة لاستمرار العمليات العسكرية، مما أدى إلى تمرد

مما أدى إلى صراع مرير حول دساتير كلارندون، نفي إلى فرنسا من عام 1164 إلى 1170، وبعد عودته إلى إنكلترا اغتيل بوحشية داخل كاتدرائية كانتربري في 29 كانون على يد فرسان الملك، ودُفن في سردابها، ثم طُوب قديسًا عام 1173، ونُقلت رفاته عام 1220 إلى ضريح فخم بنفس الكاتدرائية، وأصبح موقعًا رئيسًا للحج، للمزيد، ينظر: Frank Barlow, Thomas Becket, Berkeley, CA, 1986 ; John Guy, Thomas Becket: Warrior, Priest, Rebel, Victim, New York, 2012 ; Richard Winston, Thomas Becket, New York, 1967 ; James C. Robertson, Materials for the History of Thomas Becket, 7 Volumes, London, 1875 – 1885 ; Pierre Aubé, Thomas Becket, Zürich, 1990 ; Hanna Vollrath, Thomas Becket. Höfling und Heiliger, Göttingen/Zürich, 2004.

(1) Charles Annandale, A History of the Scottish People from the Earliest Times, Vol. I., Blacke & Son, London,1893, p.200.

(2) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.109.

(3) Ralph Anthony Kaner, Op. Cit., p.50.

(4) James H. Ramsay, The Dawn of the Constitution …, p.480.

(5) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.169.

بعض عناصر حامية بيرويك مطلع أيلول 1301، بسببِ تأخر اجورهم، وزادَ الأمر سوءاً بعد تهديد الحاميات الأخرى في جنوب إسكتلندا بعصيان شامل في حالة عدم حصولهم عَلَى اجورهم والمؤن اللازمة لمرابطتهم في قلاعهم[1]، وبلغ السوء ذروته بعد فرار ثلث مشاة جيش إدوارد الأول أثناء زحفهِ في جنوب إسكتلندا, إلا أن الملك إدوارد تجاهل ما حدث وحاصرَ قلعة بوثويل (Bothwell Castle) التي استولى عليها الإسكتلنديون مطلعْ عام 1301، وبعد أسبوعين من حصارها، اقتحمتها القوات الإنگليزية، ورابطتْ حامية فيها, ثم اندفعتْ شرقاً[2]، إلى مدينة ستيرلنغ، وحاصرت قلعتها في 27 أيلول[3].

ويحسب للإسكتلنديين أنهم استثمروا تفاقم أوضاع القوات الإنگليزية، فاستهلوا تشرين الأول 1301 بتعبئة قواتهم في غابة سيلكيرك وحول غلاسكو، وشنوا غارات مركزة على بعض القلاع الإنگليزية[4]، وأبرزها قلعة تورنبيري (Turnberry Castle) الَّتِي استردها منهم ولي العهد الإنگليزي إدوارد قبل مدة وجيزة، وبعد تعزيز قواتهم حاصر الإسكتلنديون تلك القلعة، وأرسلوا قوات اضافية إلى قلعة أير لمحاصرةِ حاميتها، تزامناً مَعَ تبدد أغلبْ قوات الجيش الإنگليزي بعد انسحاب القوات الأيرلندية منهُ، وعودتها إلى بلادها، مما فتَ في عُضدْ الأمير إدوارد ومنعهُ من تقديمِ المساعدة إلى أبيه، بل أَنَّ موقعَ الأمير ذاته أَصْبَحَ في خطرٍ محدق في ظلِ تلك التطورات العسكرية، فأنسحب إلى مدينة كارلايل[5]، تاركاً أباهُ في وضعٍ بالغ الصعوبة، مما اضطرَ الأب للانسحاب إلى لينليثغو والمرابطة فيها منذ 17 تشرين الثاني 1301[6] وسطِ ظروفٍ صعبةَ أسفرتْ عن وفاةِ أغلب خيول الإنگليز بسبب نفاذ اعلافها[7]، ومعاناة الفرسان والمشاة الإنگليز من الجوع والبرد لحلولِ فصلِ الشتاء، ومع أَنَّ الملك أرسل اوامره إلى إنگلترا لإرسال الإمدادات إلى قواته للتخفيف عنها، لَكِنَهُ كَانَ مدركاً أَنَّ الامدادات لن تصلْ في الوقت المناسب[8]، وأن استمرار حملته ستؤدي إلى كارثة كبيرة، تجعلْ إنگلترا ذاتها أمام خطر

(1) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.111.
(2) Marc Morris,Op. Cit., p.258.
(3) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.180.
(4) Marc Morris,Op. Cit., p.258.
(5) Ibid., p.258 – 259.
(6) James H. Ramsay, The Dawn of the Constitution …, p.480.
(7) Charles Annandale, A History of the Scottish …, p.200.
(8) Eadie D.D, Op. Cit., p.115.

اجتياح إسكتلندي, فأوعزَ الملك في أواخر عام 1301 إلى مستشاره لانغتون بإبرام هدنة مَعَ الإسكتلنديين[1]، وفي 26 كانون الثاني 1302 وبفضلِ وساطةِ الملك الفرنسي فيليب الرابع تم إبرام هدنة إنگلو – إسكتلندية جديدة، قضتْ بوقفِ القتال لمدة تسعة اشهر حتى 30 تشرين الثاني 1302[2], ثم انسحب الملك إدوارد بقواته نحو روكسبورغ ثم موربيث ودورهام ثم وَصَلَ لندن[3]، بعد حملةٍ مضنية فشلتْ في تحقيقِ أهدافها.

أصدر الملك الإنگليزي إدوارد الأول في 7 تشرين الثاني 1302 مذكرات استدعاء إلى الإيرلات والبارونات وكبار رجال الدين وسواهم من المستأجرين العسكريين, للتحشد مجدداً في بيرويك عَلَى نهر التويد في آمدٍ اقصاهُ 26 أيار 1303 مَعَ اتباعهم الإقطاعيين[4]، وأصدر أوامرهُ إلى سبعة مقاطعاتٍ إنگليزية لإمدادِ بيرويك قبلَ التاريخ أعلاه بخمسةِ الاف ربع من القمح وسبعة الاف ربع من الشوفان وثلاثة الاف وثمانمائة ربع من الشعير وسبعمائة ربع من الفاصوليا والبازلاء[5]، ورغمَ أهمية تلك الاستعدادات لكن تأخرها عن موعد نهاية الهدنة بأكثر من سبعة أشهر جعلتْ الحاميات الإنگليزية المرابطة في إسكتلندا في وضعٍ بالغْ الصعوبةَ لضآلةِ مؤنِهم، لاسيما بعد أن شَنَ الإسكتلنديون غارات عَلَى قلاعهم ومعسكراتهم فورَ انتهاء الهدنة, فاستردوا قلعة لينليثغو (Linlithgow Castle) الاستراتيجية مطلع كانون الثاني 1303[6]، وفي إطار تلك المعادلة التقليدية في الشد والجذب العسكري بين الطرفين تبنى الملك إدوارد الأول تدابير سريعةَ لاحتواءِ الاندفاع الإسكتلندي فأصدر مذكرات إلى ستة وعشرون من بارونات شمال إنگلترا لحشدِ قواتهم دعماً لنائبهِ عَلَى إسكتلندا جون دي سيغراف، وأرسل رالف دي مانتون (Ralph de Manton)[7] لتنظيم نفقاتها المالية[8].

---

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.259.
(2) Arthur D. Innes, Op. Cit., p.292.
(3) Eadie D.D, Op. Cit., p.115.
(4) John A. C. Vincent, Op. Cit., p.241.
(5) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.211.
(6) Marc Morris, Op. Cit., p.262.
(7) (؟؟ – 1303): وُلد في مانتون وسط إنگلترا، لا تتوفر معلومات عن والديه أو إخوته أو زوجته أو أبنائه في السجلات التاريخية المتاحة، شغل منصب أمين خزانة الملك إدوارد الأول وكان مسؤولاً عن إدارة الشؤون المالية للملك وجيشه، قتله سيمون فريزر أثناء معركة روزالين في 24 شباط، ولم يتم تحديد مكان دفنه، للمزيد، ينظر: Michael Prestwich, War, Politics and …, p.165 – 170.

اكمل الإنكليز حشودهم التي ناهزت عشرون آلف مقاتل، بقيادة جون دي سيغراف إلذي قسم قواته إلى ثلاثة أقسام منفصلة, ووصل في 20 شباط عام 1303 إلى قرية روزلين (Roslin) الواقعة عَلَى بعد 8 أميال جنوب إدنبرة ، فعسكرَ كلَ قسمٍ في مكانٍ بعيد نسبياً[1]، لصعوبة توفير طعامهم وتموضعهم جميعاً في مكانٍ واحد، وبعد تحديد الإسكتلنديين مكان تجمع ذلك الجيش قرروا الانقضاض عليه، فاحتشد ثمانية الأف مقاتل بقيادة جون كومين الثالث وسيمون فريزر (Simon Fraser)[2] في بيغار (Biggar)، ثم زحفوا إلى روزلين في 24 شباط 1303 لمفاجأة الإنكليز في هجوم ليلي مباغت, ومع أَنَّ صبي صغير هرع إلى جون دي سيغراف لتحذيره، لكن الجيش الإسكتلندي الَّذِي كَانَ عَلَى مقربةٍ منهُ, اقتحمَ مخيمات الإنكليز، فهزمَ جون دي سيغراف بعد أصابتهِ بجروحٍ بليغة، واودعَه السجن مَعَ عشرين فارساً إنكليزياً, وفي الوقت ذاته سحق وليام والاس القسمين الثاني والثالث[3]، على أرض روسلين، مكبداً اياهم الآف الضحايا بين قتيلٍ وجريح بضمنهم المسؤول المالي رالف دي مانتون، وخفف القائد الإنكليزي روبرت نيفيل (Robert Neville of Raby)[4] من الكارثة حين تَمَكَنَ من إنقاذ

---

(8) Charles Annandale, A History of the Scottish …, p.201.

(1) John D. Carrick, Op. Cit., p.76 – 77.

(2) (1256 – 1306): نبيل إسكتلندي، وُلد في تيريديل، وتولى منصب شريف منطقة بيبلز، انضم إلى المقاومة الإسكتلندية لكنه استسلم في إيروين عام 1297 وأُرسل للقتال مع الإنكليز في فرنسا كعقوبة، ثك عاد وجدّد ولاءه للقضية الإسكتلندية، فقاد إلى جانب جون كومين الجيش الإسكتلندي للنصر في معركة روسلين عام 1303، واصل القتال بعد استسلام كومين، وتحالف لاحقاً مع الملك روبرت بروس، أسرته القوات الإنكليزية بعد معركة ميثفن عام 1306، ونُقل إلى لندن حيث حُكم عليه بالإعدام خنقاً وسحلاً وقُطع رأسه وعُلق على جسر لندن بجانب رأس وليام والاس، للمزيد، ينظر: Fiona Watson, Under the Hammer: Edward I and Scotland 1286 – 1307, Tuckwell Press, East Linton, 1998, p.145 – 152.

(3) John Hill Burton, Op. Cit., p.218.

(4) (1287 – 1319): وُلد في دورهام، وهو الابن البكر لبارون نيفيل رانولف، والدته إيوفيميا فيتز روبيرت، تزوج هيلين دي مولينوكس عام 1318 لكن زواجهما لم يُثمر أطفالاً، اشتهر بشجاعته، شارك في حملات بلاده على إسكتلندا، وقاد احد الفرق العسكرية الثلاثة في معركة روسلين في 24 شباط 1303، أدى دورًا محوريًا في إنقاذ قائده السير جون سيغريف، الذي جُرح وأُسر في بداية المعركة، تم أسره في معركة بانوكبيرن في 24 حزيران 1314 ثم اطلق سراحه، قُتل في اشتباك حدودي خارج أسوار بيرويك في حزيران، ويُقال إنه قُتل في مبارزة مع القائد الإسكتلندي جيمس دوغلاس، دُفن في كنيسة سانت براندون في دورهام، للمزيد، ينظر: H.

بعض السجناء بضمنهم القائد جون دي سيغراف المصاب, اثناء انشغال الإسكتلنديين بإعدام بعض اسرى الجيش الإنكليزي[1].

وفور وصول تلك الانباء إلى الملك إدوارد أقسمَ بإخضاع الإسكتلنديين وجعلِ أراضيهم خراباً[2]، فأجبرَ من بذمتهم ديون لمؤسسة العرش الإنكليزي سدادها فوراً، واستولى عَلَى الأموال المتوفرة, ثم جمع قوات من شمال إنكلترا وويلز وأيرلندا ليغدو عددَ جيشهِ قُرابة خمسة وثلاثون ألفاً خصص لَهُمْ قرابة مائتي سفينة، وهي أكبر قوة بحرية اتجهتْ إلى إسكتلندا في عهده, وأمر روبرت بروس الموالي له بجلب الفي مقاتل مَعَهُ لدعم الجيش الإنكليزي[3]، ونقل الأسطول الإنكليزي قوات الملك إدوارد إلى الحدود الإنكلو – إسكتلندية في أواخر أيار 1303، وبعد اعادة انتشارها براً، قسمها الملك عَلَى قسمين، رأس الأول الأمير إدوارد وإيرل ألستر للزحف نحو مقاطعات غرب إسكتلندا، وسارَ الملك إدوارد بالقسم الثاني نحو مقاطعات شرق إسكتلندا, فوَصَلَ إدنبرة في 4 حزيران ثم لينليغثو بحلول 6 حزيران وبعدها إلى ستيرلنغ[4]، ومع أَنَّ الملك ابتهج لوصول قواته دون عراقيل، لَكِنَّ في غضون أيام قليلة وَصَلَتهُ خطابات استغاثة من نوابه عَلَى كارلايل أبلغوه فيها عن مهاجمة قوات إسكتلندية الحاميات الإنكليزية في دومفريز وغالاوي جنوب غرب إسكتلندا، واقتحامها شمال إنكلترا في 18 حزيران 1303، فسارع الملك إدوارد لإرسالِ قوة اغاثة إلى شمال إنكلترا بقيادة ايمر دي فالنس (Aymer de Valencea)[5] وروبرت بروس, وتحركَ بجيشهِ نحو بيرث، مُدمراً كل شيءٍ اعترضَ

M. Jewell, baron Robert de Neville (d. 1282), Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.

(1) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.224.

(2) Charles Annandale, A History of the Scottish …, p.201 – 202.

(3) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.225 – 226.

(4) James H. Ramsay, The Dawn of the Constitution …, p.488 – 489.

(5) أبوه وليام دي فالنس, وضعه إدوارد الأول في قيادة الجيش ضد روبرت بروس, ونجح في مفاجأته في ميثفين لَكِنَهُ هزم في معركة لودن هيل عام 1307, بعد مدة وجيزة من وفاة إدوارد الأول استقال من منصبه في إسكتلندا, وأصبح احد مقربي إدوارد الثاني, شارك في معركة بانوكبيرن عام 1314, كَانَ احد معارضي جافستون ولانكستر وشارك في أعدامهم, أَرْسَلَه إدوارد الثاني إلى فرنسا عام 1324, لَكِنَهُ قتل في الطريق بأمر من الملكة إيزابيلا. للمزيد يُنظر: Sidney J. Low and F. S. Pulling, The Dictionary of English History, Cassell and Company, London, 1910, p.1031.

طريقه, فانتشرت الحرائق وعمليات النهب والقتل من جيشهِ في المناطق الَّتِي اخترقها[1]، وبعد مكوثه وجيشهِ شهراً في بيرث وَصَلَتهُ إمدادات الطعام والنبيذ عبر نهر تاي بصحبة إحدى وعشرين سفينة، واشترى مائة وستين برميلاً من النبيذ الاحمر من تجارِ بيرث[2].

قَرَّرَ الملك إدوارد السيطرة عَلَى قلعة بريشين أثناء مكوثهِ في بيرث, فأصدر في 15 تموز أمراً إلى قائد حامية إدنبرة إيبولو ماونتز (Ebulo Mountz) لإرسالِ قواتٍ من بلدتي إدنبرة وجيدبورغ إلى مونتروس (Montrose) عن طريق البحر[3]، وفي 18 تموز انطلقَ الجيش الإنكليزي من بيرث ووَصَلَ بريشين في 5 آب، ففرضَ حصاراً عَلَى قلعتها لمدة عشرة أيام، وبعد مقتل حاكم القلعة السير توماس مول (Sir Thomas Maule)[4] في 9 آب اضطرتْ حاميتها إلى الاستسلام فحصنها الملك، ووضعَ فيها حاميةً إنكليزية ثم توجه نحو أبردين[5].

وَصَلَ الجيش الإنكليزي أبردين في 24 آب 1303، تزامناً مَعَ وصول خمسة سفن مزودة بالإمدادات إليه، لَكِنَّ حاجته إلى مزيد من المؤن دفعته لترك أبردين، واقتحام دير كينلوس (Kinloss Abbey) في 28 آب، ثم سيطر عَلَى قلعتي أوركهارت (Urquhart Castle) وكروفيارتي (Croffiarty Castle) في 12 أيلول[6]، وبحلولِ 15 أيلول وَصَلَ الجيش الإنكليزي شواطئ موراي فيرث (Moray Firth), وبعد أسبوع فرض حصاراً عَلَى قلعة جون كومين الثالث في لوشيندورب (Lochindorb) فسقطت بيده في

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.263.
(2) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.227.
(3) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.230.
(4) (1245 – 1303): وُلد في إسكتلندا، وهو الابن الأصغر للسير بيتر ماول وكريستينا دي فالونيس، تجلت شجاعته في دوره كقائد لقلعة بريشين حين حاصرها إدوارد الأول في تموز 1303، وأشارت الروايات إلى وقوفه على الأسوار ومسح الغبار الناتج عن قذائف محركات الحصار الإنكليزية بقطعة قماش، في إشارة ازدراء للعدو، لكنه اصيب بجروح قاتلة في 9 آب من حجر ألقي من محرك حصار إنكليزي فرفض الاستسلام وهو يحتضر، لكن الحامية استسلمت بعد وفاته مباشرة، مكان دفنه غير معروف، للمزيد، ينظر: Evan Macleod Barron, The Scottish War of Independence: A Critical Study, Robert Carruthers & Sons, Inverness, 1914.
(5) James H. Ramsay, The Dawn of the Constitution …, p.489.
(6) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.231.

تشرين الأول, لَكِنَّ جون كومين الثالث لَمْ يبد أي مؤشر عَلَى التراجع، وهاجم مواقع إنگليزية متفرقة مَعَ قوة صغيرة قدرت بألف ومائة أغلبها مشاة[1].

أَدْرَكَ جون كومين الثالث وحلفائه صعوبة الاستمرار بقتال الإنگليز بعد الدمار الذي تعرضت له بلادهم طوال سنوات، فأجرى مفاوضات مطلع عام 1304 مَعَ الإنگليز شدد ممثلوه فيها عَلَى ضرورة منحه واتباعه عفواً شاملاً، واستعادة ممتلكاتهم غير منقوصة في إسكتلندا وإنگلترا والحفاظ عَلَى قوانين إسكتلندا القديمة وعاداتها[2]، ثم اجرى جون كومين الثالث مفاوضات مباشرة في 6 شباط 1304 مَعَ الأمير إدوارد في ستراثورد (Strathord) تمخضت عن تعهد الأمير إدوارد بالتوسط لدى والده للابقاء عَلَى حياة كومين واتباعه, وفي 9 شباط ابرمت معاهدة بين الطرفين بموافقة الملك إدوارد, وفي 9 اذار 1304 حضر جون كومين الثالث وثلة من اتباعه إلى البرلمان الَّذِي عقده الملك إدوارد في مدينة القديس اندرو شرق إدنبرة[3]، وفيه أدى جون كومين الثالث واتباعه قسم الولاء للملك إدوارد الأول في البرلمان الذى عقد خصيصا لذلك, وبذلك تبقى للملك إدوارد عدداً قليلاً من النبلاء الإسكتلنديين المتمردين الَّذِينَ رفضوا المثول أمامه، وواصلوا حمل السلاح ضده[4].

وَصَلَ الملك إدوارد الأول إلى ستيرلنغ في 22 نيسان 1304[5], وفرض حصاراً على قلعتها لإخضاعها بوصفها آخر معاقل التمرد الإسكتلندي, ففرض عليها حصاراً شديداً استمات فيه المتمردون الإسكتلنديون بقيادة السير وليام أوليفان (Sir William Oliphant)[6] دفاعاً عن قلعتهم رغم ضآلة عددهم[7], فصمدوا أمام هجمات الجيش

(1) Marc Morris,Op. Cit., p.263 – 264.
(2) James H. Ramsay, The Dawn of the Constitution …, p.490.
(3) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.234 – 236.
(4) Charles Annandale, A History of the Scottish …, p.203.
(5) Fiona Jane Watson, Op. Cit., p.238.
(6) (1253 – 1330): وُلد في إسكتلندا، أبوه فيليب أوليفارد، كان قائداً في حروب بلاده ضد إنگلترا، تزوج إيزابيل دوغلاس وأنجبا ابنًا واحدًا هو السير والتر أوليفانت الذي تزوج لاحقًا من إليزابيث ابنة الملك روبرت الأول، اشتهر بدفاعه عن قلعة ستيرلنغ عام 1304 ضد القوات الإنگليزية، سُجن في برج لندن. وبعد إطلاق سراحه عينه إدوارد الثاني حاكمًا على بيرث. لكن روبرت بروس حاصرها عام 1312 ونفاه إلى الجزر الغربية، ثم عاد إلى دعم روبرت بروس وكان أحد موقعي إعلان أربورث عام 1320، وظل على ولائه له حتى وفاته، دُفن في مقبرة

الإنكليزي وتمكنوا من احداث فجوات كبيرة في صفوف قواتهم عبر رميهم بالآلات حادة من داخل أسوار قلعتهم ذات الانفاق السرية, وحين أَدْرَكَ الملك إدوارد عدم فعالية اسلحته في إخضاع القلعة، طلب من نوابه عَلَى مقاطعتي يورك ولينكولن جمع آلات الحرب أكثر فعالية كالسهام الطويلة لاستخدامها في إخضاع القلعة, وبعد ثلاثة أشهر من حصارٍ شديد وقصفٍ متواصل استسلمت حاميتها في 24 تموز 1304 بعد نفاذِ مؤنها, فاشترطَ عَلَيْهِمْ الملك السيرَ حفاة القدمين والحبال عَلَى رقابهم والرماد عَلَى رؤوسهم والزحفَ عَلَى رُكَبِهِمْ عَلَى أملِ أنْ يظهر لَهُمْ الرحمة, ويبدو أَنَّ ابقاء الملك عَلَيْهِمْ والاكتفاء بزجهم في سجون إنكلترا كَانَ مراعاةً منهُ لمعاهدتهِ مَعَ جون كومين الثالث[1]، وبعد حسمِ ملف قلعة ستيرلنغ غادرَ الملك إسكتلندا أواخر آب عام 1304[2].

أثرتْ الحاضنة المعرفية الإنكليزية لروبرت بروس، في موقفهِ من صراعِ مؤسسة العرش الإنكليزي مَعَ المقاومة الإسكتلندية، فظَلَّ مؤيداً لمؤسسة العرش الإنكليزي ومتبنياً مواقفها المناوأةَ للمتمردين الإسكتلنديين حتى وفاةِ أبيه لورد أناندیل السادس روبرت بروس "الأب" (Robert Bruce, 6th Lord of Annandale)[3]، عام 1304، ولذا مقتهُ المتمردون الإسكتلنديون بوصفهِ أحد أذرعْ السلطة الإنكليزية في بلادهم[4]، وللسبب ذاته حظيَ بثقة ملك إنكلترا إدوارد الأول حتى أَنَّهُ بعد اتمام حصار قلعة ستيرلنغ في صيف عام 1304 فَكَرَ بإسنادِ حكم إسكتلندا إليه[5]، لَكِنَّ الملك الإنكليزي بعد استشارته بعض

كنيسة أبردالغي في بيرث، للمزيد، ينظر: James Balfour Paul, Op. Cit., p.532 ; Archibald Hamilton Dunbar, Op. Cit., p.532.

(7) Charles Annandale, A History of the Scottish …, p.116.

(1) Robert S. Rait, The making of the Nations Scotland, Edinburgh, 1911, p.77.

(2) Marc Morris, Op. Cit., p.267.

(3) (1243 – 1304): ولد في تموز في ريتل بمقاطعة إسكس، اباه لورد أناندیل الخامس روبرت بروس وأمه إيزابيل دي كلير، ليس لديه اشقاء، تزوج مارجوري كونتيسة كاريك عام 1271، وأنجبا 12 طفلاً، بينهم ابنه الأكبر ملك إسكتلندا روبرت الأول، وابنته إيزابيل التي تزوجت ملك النرويج إريك الثاني، بعد وفاة زوجته عام 1292 تزوج مود فيتز آلان عام 1295، ثم إليانور عام 1299، اشتهر بولائه المتأرجح بين التاجين الإنكليزي والإسكتلندي، توفي في آذار في كمبرلاند أثناء سفره إلى أناندیل، ودُفن في دير هولم كولترام، للمزيد، ينظر: Aeneas James George Mackay, Bruce, Robert 1253 – 1304, Dictionary of National Biography, Vol. 7, London, 1886.

(4) John Hill Burton, Op. Cit., p.234 – 135 .

(5) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.120.

كبار النبلاء الإسكتلنديين، ومنهم أسقف غلاسكو وإيرل كاريك روبرت بروس، وجون دي موبراي (John de Mowbray, 2nd Baron Mowbray)[1] في برلمان وستمنستر عام 1305 حْولَ مشكلةِ حكم إسكتلندا، انتهى إلى أَنَّ اسناد عرشها إلى شخصٍ بعينه يخلقْ أجلاً أم عاجلاً بؤرة معارضة لمؤسسة العرش الإنكليزي[2].

وخَلُصَ الملك إدوارد الأول من تلك المداولات إلى إدارةِ إسكتلندا بفريقٍ من عشرةِ اشخاص، من درجات نبالة مختلفة، وأرجأ الملك إدوارد الأول التسوية النهائية لذلك الأمر إلى البرلمان المقبل الذي تقرر عقده في لندن في الثلث الأخير من عام 1304، لإستكمال اختيار الكادر الإسكتلندي المكلف بإدارةِ إسكتلندا نيابةً عن مؤسسة العرش الإنكليزي، وفي أيلول من العام ذاته اِلتأمَ البرلمان في لندن لحسم الملف الإسكتلندي، واستقبلَ المندوبين الإسكتلنديين العشرة الَّذِينَ تم اختيارهم بحفاوة كبيرة، ثم انضمَ إِليهِم عشرون من أعضاء البرلمان الإنكليزي لتشكيل لجنة مشتركة مسؤولة عن مناقشة الملفات الإسكتلندية العالقة، ووضع اللمسات الأخيرة لإدارةِ إسكتلندا, وبعد اتمام مداولاتهم، واستكمال التفاصيل الفنية كافة أصدر الملك إدوارد الأول مرسوماً ملكياً أسند فيه إدارةِ إسكتلندا إلى ابن أخته إيرل ريتشموند جون بريتاني (John of Brittany, 4th Earl of Richmond)[3]، بمساعدة عشرين شخصاً اِثْنَان منهم إنكليز[4]، وفي أيار

---

(1) (1286 – 1322): وُلد في 4 أيلول في نورفولك، ورث لقبه عند وفاة والده البارون روجر دي موبراي عام 1298، والدته روز دي كلير، أصبح بعد وفاة والده تحت وصاية ملكية، تزوج ألين دي براوس عام 1298، وأنجبا أطفالاً منهم جون دي موبراي، البارون الثالث لموبراي، والكسندر دي موبراي، شارك في الحروب الإسكتلندية للملك إدوارد الأول، وتولى مناصب مهمة مثل حاكم يورك وحارس الحدود الإسكتلندية، شارك في تمرد توماس، إيرل لانكستر ضد إدوارد الثاني. تم أسره في معركة بوروبريدج في 16 مارس 1322، وحُكم عليه بالإعدام بتهمة الخيانة، وتم شنقه في يورك بعد أيام قليلة في 23 آذار، وصودرت ممتلكاته. دُفن في دير غريفرياز في يورك، للمزيد، ينظر: Bernard Burke, "Mowbray-Earls of Nottingham, Dukes of Norfolk, Earls-Marshal, Earls of Warren and Surrey", A Genealogical History of the Dormant, Abeyant, Forfeited, and Extinct Peerages, of the British Empire, London, 1962, p.387 – 390.

(2) John Hill Burton, Op. Cit., p.230.

(3) (1266 – 1334): وُلد في بريتاني، والده دوف بريتاني جون الثاني ووالدته بياتريس ابنة الملك هنري الثالث، له ستة أشقاء هم: آرثر الثاني، وماري، وبيير، وبلانش، وإليانور وجوان، نشأ في البلاط الإنكليزي ودخل الخدمة الملكية تحت قيادة خاله إدوارد الأول، أصبح نائباً لدوقية

1305 تم استحداث مجلس استشاري – ذا اغلبية إسكتلندية – للحاكم الإنكليزي لإسكتلندا، وأبدى القضاة الإنكليز الأربعة تعاطفاً مَعَ الإسكتلنديين في مؤشر عَلَى رغبة مؤسسة العرش الإنكليزي بكسب الشعب الإسكتلندي إلى جانبه، وَهُوَ توجه ناقض توجه الإدارة الإنكليزية الَّتِي عاملت الإسكتلنديين بتسلط وتعالٍ في السنوات السابقة[1]، وبعد اعتقال وليام والاس في غلاسكو عَلَى اثر مواجهة بسيطة، واعدامه في 23 أب 1305 بدا للإسكتلنديين أَنَّ صفحة الصراع الإنكلو – إسكتلندي الدموية قد انطوت، بعد خسارة أهم رموزها[2].

آكيتاين بعد أن صادرها ملك فرنسا عام 1294، لكنه فشل في استعادتها، وفر من مدينة ريون، هُزم في معركة بونيغارد في كانون الثاني 1297، شارك في معركة فولكيرك عام 1298 وحصار كايرلافروك عام 1300، عينه إدوارد الأول عام 1305 وصيًا على إسكتلندا ومنحه لقب إيرل ريتشموند، شارك في تتويج إدوارد الثاني عام 1307 وظل مخلصاً له لكنه في النهاية دعم انقلاب إيزابيلا ومورتيمر ثم تقاعد إلى ممتلكاته في فرنسا وتوفي هناك في 17 كانون الثاني، فانتقلت املاكه إلى ابن اخيه دوق بريتاني جون الثالث، للمزيد، ينظر: Michael Jones, John of Brittany, Earl of Richmond 1266 – 1334, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, Oxford University Press, 2004.

(4) Ibid. p.231.

(1) Marc Morris, Op. Cit., p.270.

(2) Peter Donaldson, The Life of Sir William Wallace the Governor General of Scotland and Hero of the Scottish Chiefs, Published By Andrus and Judd, Hartford,1833, p.99 – 129.

المبحث الرابع

تمرد روبرت بروس على مؤسسة العرش الإنكليزي وقيادته المقاومة الإسكتلندية ضدها حتى وفاة الملك إدوارد الأول 10 شباط 1306 – 11 تموز 1307

أظهر الإنكليز مرونة كبيرة في التعامل مع الإسكتلنديين لامتصاص زخمهم, فأوفدت مؤسسة العرش الإنكليزية ممثلين عنها إلى مقاطعة ساري لتسوية مشكلة الإقطاعات والممتلكات الَّتِي فقدوها اثناء سجالاتهم السابقة، وتمكن الوفدان بعد اجتماعها من تسوية الملفات المعلقة في ذلك الشأن، بألية إعادة بعضها أَوْ تعويض الإسكتلنديين ببدل نقدي مقابلها, وتم عَلَى هامش تلك التسوية إِلغاء أحكام النفي المفروضة عَلَى الإسكتلنديين, فعاد الوفد الإسكتلندي إلى بلاده مبتهجاً بتلك التطورات بوصفها مؤشراً عَلَى مرحلة جديدة افضل من سابقاتها[1].

أخفقت حسابات مؤسسة العرش الإنكليزي في التعامل مع بعض النبلاء الإسكتلنديين المتعاونين معها، لاسيما روبرت بروس الَّذِي شَعرَ أَنَّهُ هُمشَ تماماً، ولم يُسندْ له منصب في إِدارةِ إسكتلندا يتلائم مَعَ نفوذ عائلته فيها[2]، فَضْلًا عن اعتقاده أَنَ الملك إدوارد الأول تجاهل حقوقه في عرش إسكتلندا التي ورثها من جده روبرت، كما أَنَّ اعدام وليام والاس أثار مشاعر روبرت بروس الَّذِي اعتقد أَنَّ الفرصة مواتية لاستقطاب مشاعر الإسكتلنديين الموتورين من التسلط الإنكليزي عليهم، ثم تزعمهم بوصفه قائدهم ضد

(1) Julia Corner, The History of Scotland and Ireland, Dean and Son Thread-needle Street, London, 1852, p.32.

(2) Charles Annandale, The Popular Encyclopedia: A General Dictionare of Arts Sciences Literature Biography and History, Vol. 2, Blackie & son, London, n. d., p.411.

الملك إدوارد الأول[1]، ونفذ روبرت مخططه بتحالفه سراً مَعَ أسقف القديس اندرو، وتبادله مراسلات معه لمناقشة سبل التخلص من الوجود الإنكليزي في إسكتلندا, وتسنم روبرت بروس عرش الإسكتلندي[2], ولضمان نجاح مخططه كشف روبرت بروس مخططه إلى النبيل الإسكتلندي جون كومين الثالث فوافق عليه، وتم ابرام اتفاقية بينهما ابدى فيها جون كومين الثالث استعداده دعم روبرت بروس شريطه استعادته جميع إقطاعاته وممتلكاته الإسكتلندية الَّتِي صادرها العاهل الإنكليزي[3]، لَكِنَّ جون كومين الثالث قدم للملك إدوارد الأول معلومات مفصلة عن مخطط بروس[4]، لتأليب الملك إدوارد الأول ضده[5]، ومكافأة جون كومين الثالث بجَعَلَهِ ملكاً عَلَى إسكتلندا أَوْ إعادة ممتلكاته وإقطاعاته الإسكتلندية إليهِ على أقل تقدير، ومع أَنَّ الملك إدوارد الأول صمم عَلَى قتل روبرت بروس فور اطلاعه عَلَى وشاية جون كومين الثالث لَكِنَهُ أراد أولاً اعتقال جميع أفراد الشبكة المرتبطة به لاقتلاع حركته من جذورها، وضمان وأد بؤر المعارضة الخفية لمؤسسة العرش الإنكليزي, فطلب من روبرت بروس عدم مغادرة لندن بذريعة حاجته إليه، ووضع حراس سريين لمراقبة تحركاته[6].

اِطلع إيرل غلوستر جيلبرت دي كلير صدفة على مخطط الملك إدوارد الأول أثناء سكره, فقرَّرَ إيرل غلوستر تحذير صديقه دون أَنَّ يجذب الأنظار إليهِ خوفاً من عقاب الملك، فأدعى أمام احد خدامه أَنَّهُ اقترض مالاً وحدوتي حصان من روبرت بروس، وطلب منه أنْ يعيدهما إليه، ليفهم روبرت بروس أَنَّ ثمة أمر يحاك ضده، ويهرب إلى بلاده، وَهُوَ ما حدث فعلاً، فحين تسلم روبرت الحدوتين ومحفظة المال من مبعوث إيرل غلوستر أَدْرَكَ أنها اشارة بأن أمره كشف وَهُوَ مراقب، فتجهز للهرب، واتخذ الليل ستاراً له مَعَ اثنين من اتباعه, بعد أنْ عكسوا حدوات خيولهم لتبدو آثار أقدامها وكأنها في طريقها إلى إحدى ضواحي لندن[7].

(1) Walter Scott, History of Scotland, New York, 1901, p.101.
(2) Julia Corner, Op. Cit., p.32 – 33.
(3) Alexander Whamond, Op. Cit., p.65.
(4) Walter Scott, History of …, p.101.
(5) Julia Corner, Op. Cit., p.32 – 33.
(6) Schala Select, The Life of Robert Bruce, King of Scotland, Peblishd Oliver & Boyd, Edinburgh, 1810, p.25.
(7) Ibid, p.64 – 65.

ووفقاً لرواية أخرى فإَنَّ الملك إدوارد الأول حين علِمَ باتفاقية روبرت بروس وجون كومين الثالث طلب من روبرت بروس المثول أمامه, وحين وَصَلَ واجهه الملك بإحدى رسائله الَّتِي حملت ختمه إلى جون كومين الثالث لتأكيد خيانة روبرت بروس بدليل قاطع، وسأله الملك إدوارد: "**هل أنت من ختمت هذه الرسالة**"، فقال له بروس: "**أني لا احمل ختمي معي طوال الوقت, فهو مَعَ شخص آخر, وارجو منك تأجيل النظر في هذه القضية حتى الغد, وسأجلب ختمي بسرعة, وأتعهد مقابل ذلك بجميع ثروتي اليك**"، فارتضى الملك إدوارد ذلك العرض، واعطاه مهلة يوم واحد عَلَى أنْ لا يغادر لندن، لَكِنَّ روبرت بروس نجح في مبارحتها تحت جنح الظلام[1]، ومع اختلاف هاتين الروايتين لكنهما اتفقتا على هرب روبرت بروس مَعَ اثنين من اتباعه من البلاط الملكي في لندن نحو الحدود مَعَ إسكتلندا، واثناء اقتراب روبرت بروس من الحدود الإسكتلندية صادف رسولاً من جون كومين الثالث إلى الملك إدوارد الأول، وحين فتشه وَجَدَ مَعَهُ نص اتفاقية روبرت بروس مَعَ جون كومين الثالث فقتله في الحال، وَهُوَ مبتهج لأن ارسال تلك الاتفاقية وفرت دليلاً قاطعاً عَلَى خيانة جون كومين الثالث, وفور وصول روبرت بروس إلى قلعته طلب من جون كومين الثالث مقابلته في كنيسة كريفرايرز (Minorite Friars) في دومفريز[2].

والثابت أن جون كومين الثالث لم يشك في روبرت بروس، لأنه لم يعلم باكتشافه خيانته، وأعتقد أن هدف لقاءهما الاتفاق على آليات ومستلزمات التمرد ضد الإنگليز، فذهب إلى الكنيسة ودخل بمفرده مَعَ روبرت بروس تاركاً اتباعهما خارجاً[3]، وحين اختليا في الكنيسة واجهه روبرت بروس بأدلة خيانته، وتآمره مَعَ ملك إنگلترا ضده[4]، فتشاجرا وسحب بروس خنجره وطعن كومين طعنة قاتلة أمام مذبح الكنيسة[5],

(1) Barbour John, The live and acts of the most Victorious conqueror Robert Bruse king of Scotland, Edinburgh, 1759, p.76.
(2) Herbert Wills, A Synopsis of Scottish history: or historical note-book, Blackie & son, London, 1885, p.20.
(3) Colm Mcnamee, The Wars of the Bruce Scotland, England and Irland 1306-1328, Tuckwell Press, Edinburgh, 1997, p.28.
(4) Sarah Woodbury and Dan Haug, This Small Corner of Time The After Cilmeri Series Companion, The Morgan-Stanwood Publishing Group, Oregon, 2018, p.43; Claire Hintz, Robert the Bruce Fights for Scottish Independence Once Again: The Influence of Nationalism and Myth in Scotland's Modern Pursuit of Independence, Master Thesis, Hollins University, 2021, p.3.

ثم خرج منها مضطرباً، فقابله اثنين من اتباعه هما كيركباتريك (Kirkpatrick)، ودي ليندسي (De Lindsey)، وحين سألاه عن سبب اضطرابه قال لهما: "**أشك أنّني قتلت جون كومين**"، فهرع كيركباتريك إلى الداخل وأجهز عَلَى كومين[1]، فغدا روبرت بروس مطلوب قانونياً من إدوارد الأول, ومطرود كنسياً من البابا[2].

تَورّط روبرت بروس في مأزق خطير، تمثل بالحرمان البابوي والتهديد العسكري الإنكليزي والولاءات المتضاربة، وهي محددات تطلّب منه دهاءً وشجاعةً لإخراج نفسه وبلاده من براثنها، فركز على كسب رموز الكنيسة الإنكليزية لكسب الشرعية الدينية والصفة الوطنية الَّتِي تمكنه من جمع الأتباع، والبدء في مقاومة الإنكليز[3]، فقابل أسقف غلاسكو وركع أمامه معترفاً بذنبه، وأوضح ملابسات مقتل جون كومين الثالث، ثم قدم أدلة خيانة الأخير إلى الأسقف الَّذِي تأكدَ من تورطِ جون كومين الثالث في مؤامرة مَعَ ملك إنكلترا إدوارد الأول ضد إسكتلندا، وبما أَنَّ الأسقف ويشارت وأغلب رجالات كنيسته أرادوا التخلص من الهيمنة الإنكليزية عَلَى بلادهم، لذا بَرَأَ روبرت بروس من تهمةِ تدنيسِ المقدسات, ومنحه الغفران على مقتل جون كومين الثالث، وألزمهُ بالقسم عَلَى صيانةِ حريات الكنيسة الإسكتلندية والدفاعِ عنها[4].

استغل روبرت بروس حصوله عَلَى الشرعية للسيرِ قُدُماً في تنفيذِ مخططه، انْضَمَّ إِليهِ اشقائهُ الأربعة[5]، توماس بروس (Thomas de Bruse)[6]، وإدوارد بروس

---

(5) Lyman Horace Weeks, Book of Bruce Ancestors and Descendants of King Robert of Scotland, The Americana Society, New York, 1907, p.79.

(1) Leonhard Schmitz, A history of England for junior classes, Collins, London, 1877, p.102.

(2) Margaret Macarthur, Op. Cit., p.46.

(3) Walter Scott, History of …, p.103.

(4) Robert Kerr, History of Scotland During the Reign of Robert I. Sir- Named the Bruce,Vol.1, Edinburgh press, London, 1811, p.190 – 192.

(5) Charles Annandale, A History of the Scottish …, p.209 – 210.

(6) (1284 – 1307): وُلد في كاريك، اباه لورد أناندیل السادس روبرت دي بروس، وأمه مارجوري، كونتيسة كاريك، شقيقه ملك إسكتلندا روبرت الأول، تزوج هيلين إرسكين، دعم أخاه روبرت بروس وجند سبع مائة مقاتل له، أسره الإنكليز مع أخيه ألكسندر أثناء معركة لوخ رايان، وفي 17 شباط قطع رأسه في قلعة كارلايل، بأمر الملك إدوارد الأول، ويُعتقد أنه دُفن هناك، للمزيد، ينظر: Joseph Bain (ed.), Calendar of Documents Relating to Scotland, H.M. General Register House, Vol. II, Edinburgh, 1884, p. 491 – 495.

(Edward de Bruce)[1]، ونايجل بروس (Nigel de Bruse)[2]، والكسندر بروس (Alexander de Bruse)[3]، وابن أخيه توماس راندولف ستراثدون (Thomas Randolph, 1st Earl of Moray)[4] وصهره كريستوفر سيتون (Sir Christopher

---

(1) (1280 – 1318): وُلد في كاريك، اباه لورد أناندیل السادس روبرت دي بروس، وأمه مارجوري كونتيسة كاريك، شقيقه ملك إسكتلندا روبرت الأول، كان قائد عسكري موهوب وداعم لأخيه في الحروب الإسكتلندية، فاستعاد قلعة روثرغلين عام 1313 وقاد إحدى كتائب المشاة الإسكتلندية في معركة بانوكبيرن في 23 – 24 حزيران 1314، ثم توجه إلى أيرلندا في أيار 1315، وأعلن نفسه ملكًا عليها، وتُوّج في 1 أيار 1316، لكنه قُتل في 14 تشرين الأول في معركة فاهارت بمقاطعة لاوث الأيرلندية، ودُفن هناك، للمزيد، ينظر:-Roger Chatterton Newman, Edward Bruce: A Medieval Tragedy, Cambridge, 1992.

(2) (1279 – 1306): وُلد في كاريك، اباه لورد أناندیل السادس روبرت دي بروس، وأمه مارجوري، كونتيسة كاريك، شقيقه ملك إسكتلندا روبرت الأول، كرس نفسه لدعم قضية أخيه الملك روبرت بروس في الحروب الإسكتلندية ضد إنگلترا، أدى دورًا رئيسًا في الدفاع عن قلعة كيلدرومي في أبردين عام 1306، للدفاع عن زوجة روبرت بروس وبعض نساء أقاربه وأطفالهم، فاخترقت القوات الإنگليزية القلعة وأسرته في 13 أيلول 1306، أُعدم بوحشية بأمر الملك إدوارد الأول، فتم سحبه وشنقه وتقطيعه في بيرويك، ولا توجد معلومات دقيقة عن مكان دفنه، للمزيد، ينظر: Joseph Bain (ed.), Op. Cit., Vol. II, p. 485 – 489

(3) (1285 – 1307): وُلِدَ في كاريك، اباه لورد أناندیل السادس روبرت دي بروس، وأمه ومارجوري، كونتيسة كاريك، شقيقه ملك إسكتلندا روبرت الأول، تميز عن إخوته المحاربين باهتمامه بالعلم والدين، فشغل منصب عميد غلاسكو، مما دل على مكانته الفكرية، أدى دورًا مهمًا في دعم أخيه روبرت أثناء صراعه ضد إنگلترا، وفي 9 شباط 1307 قاد قوة عسكرية إلى غالاوي بإسكتلندا برفقة أخيه توماس دي بروس، فتعرضا لهجوم إنگليزي عنيف وتم اعتقاله مع أخيه بعد معركة شرسة في منطقة لوخ رايان، وهما يعانيان من إصابات بالغة، في 17 شباط 1307، حكم مع أخيه بالإعدام بتهمة الخيانة، ونُفذ حكم الإعدام بحقهما بالشنق والتمزيق ثم قطع الرأس، لا تتوفر معلومات عن مكان دفنه، للمزيد، ينظر: David McRoberts (ed.), Essays on the Scottish Reformation, 1513 – 1625, John S. Burns & Sons, Glasgow, 1962, p.24 – 29.

(4) (1285 – 1332): وُلِدَ في مقاطعة دمفري الإسكتلندية، اباه توماس راندولف من ستيتشيل، وأمه اخت الملك روبرت مارثا من كيلكونكوهار، تحول لفترة وجيزة إلى الجانب الإنگليزي في بداية الصراع، ثم أصبح أكثر مؤيدي روبرت إخلاصًا وموثوقية، مُنح لقب إيرل موراي عام 1312. اشتهر بإنجازاته العسكرية البارزة، مثل الاستيلاء الجريء على قلعة إدنبرة في 14 آذار 1314، ودوره الحاسم في قيادة المشاة الإسكتلنديين في معركة بانوكبيرن عام 1314، وهو احد

(Seton[1])، وذهب الأسقف ويشارت بعيداً حين وافق على تسنم روبرت عرش إسكتلندا[2]، وصنع له تاجاً ذهبياً، ورداءاً وشعاراً ملكيين[3]، لتتويجهِ رسمياً ملكاً عَلَى إسكتلندا في ديرِ سكون في ٢٧ آذار ١٣٠٦[4].

توجه روبرت إلى الدير في 29 آذار 1306، وبدأ حفل التتويج الذي افتقرَ إلى وسائل التتويج التقليدية[5]، كحجر القَدَرْ الَّذِي تُوِجَ عليهِ أسلافه، فَضْلًا عن ردائه الملكي المتواضع، فضلاً عن غياب مسؤول التتويج التقليدي إيرل دنكان الَّذِي أَصْبَحَ موالياً للإنگليز[6], فأحضروا أخته إيزابيلا ماكدوف، كونتيسة بوخان (Isabella MacDuff, Countess of Buchan[7])، للحلولِ محله في تتويجِ روبرت بروس[8]،

موقعي إعلان أربوث عام 1320، إقنع البابا بالاعتراف بروبرت كملك عام 1324، وجدد التحالف الفرنسي–الإسكتلندي في معاهدة كوربيل عام 1326. بعد وفاة روبرت الأول أصبح وصياً على الملك الشاب ديفيد الثاني، لكنه توفي في 20 تموز في ماسلبورغ، أثناء استعداده لصد غزو إدوارد باليول دُفن في دير دنفرملاين في فايف قرب الملك روبرت الأول، للمزيد، ينظر: A. A. M. Duncan, "Randolph, Thomas, first earl of Moray", Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.

(1) (1278 – 1306): نبيل إنگليزي وإسكتلندي بارز، ولد في كمبرلاند، اباه السير جون دي سيتون وأمه إرمينيا لاسيلس، تزوج كريستينا بروس اخت الملك روبرت الأول وأصبح داعماً له، أدى دورًا حاسمًا في 10 شباط 1306 أثناء حادثة قتل جون كومين في دومفريز، فضرب السير روبرت كومين، وتلا ذلك حضوره تتويج روبرت الأول في سكون شارك في معركة ميثفن في 19 حزيران 1306، واعتقل اثناء استسلام قلعة لوخ دوون في 14 آب 1306، تم إعدامه وسحبًا وتقطيعًا في دومفريز في أيلول 1306، للمزيد، ينظر: A. A. M. Duncan, Thomas Randolph, first Earl of Moray, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.

(2) Patrick Fraser Tytler, Lives Scottish Worthies …, p.323.

(3) Robert Kerr, Op. Cit., p.192.

(4) Barry Jones, Dictionary of World Biography: Fourth edition, A. N. U Press, Australia, 2014, p.118.

(5) Francis Watt, History of Scotland from Robert the Bruce to the Union of the Crowns, W.& R. Chambers, London, 1885, p.28.

(6) Philip J. Potter, Gothic Kings of Britain: The Lives of 31 Medieval Rulers, 1016 – 1399, McFarland Publisbers, Britaish, 2009, p.285.

(7) (1270 – 1314): نبيلة إسكتلندية، وهي ابنة كولبان إيرل فايف، وزوجة جون كومين إيرل بوخان (أحد ألد أعداء روبرت بروس)، دخلت التاريخ بموقفها الشجاع عام 1306 حين غادرت أراضي زوجها متوجهة إلى سكون لتمثيل عائلتها آل ماكدوف، وممارسة حقهم التقليدي في وضع التاج على رأس ملك إسكتلندا الجديد روبرت بروس نيابة عن شقيقها دونكان إيرل فايف

وأشرف على تلك المراسم أسقفي غلاسكو سانت اندروز فَضْلًا عن اشقاء روبرت بروس، والسير جيمس دوغلاس، وبعض اتباع روبرت، الَّذِي غدا يلقب بملك إسكتلندا روبرت الأول[1].

والثابت أن تحديات خطيرة احاطت بالملك روبرت الأول في مقدمتها إصرار الملك إدوارد على شنِ حملة جديدة ضد إسكتلندا، وتهيؤ أقارب جون كومين الثالث ومؤيديه للتخلص من الملك روبرت الأول، وافتقار الأخير مستلزمات التصدي للخطر العسكري الإنكليزي، فلم تكن لدية سوى قلعتي لوشامبين (Lochmaben Castle) وأناندیل (Castle Annandale) القريبتين من الحدود الإنكليزية، مما افقدهما ميزة تجميع القوات وانطلاق الفعاليات العسكرية[2]، لَكِنَّ الملك روبرت عول على التحرك بسرعة وجمع ما أمكنه من قوات لطرد الإنكليز من بلاده[3]، فجمعِ بعض الإسكتلنديين الناقمين على الإنكليز[4]، وفي مقدمتهم اتباع وليام والاس[5]، وبعض نبلاء إسكتلندا[6]، كإيرلي لينوكس (Lennox) وأثول (Athol) وأربعة عشر باروناً[7].

والأهم من ذلك كله تمتع الملك روبرت الأول بدعم روحي ومادي وعسكري مطلق من رموز الكنيسة الإسكتلندية[8]، واكليروسها على اختلاف رُتَبه الدينية[9]، وبعض بسطاء الإسكتلنديين الَّذِينَ ذاقوا الأمرين من وطأة السيطرة الإنكليزية عَلَى بلادهم[10]، ورغبوا في الالتفافِ حول رجلٍ لديهِ الإمكانات والارادة عَلَى مقارعةِ

الذي كان موالياً للإنكليز، ودفعها موقفها هذا إلى دفع ثمن باهظ، إذْ أسرتها القوات الإنكليزية في وقت لاحق من ذلك العام، وأمر الملك إدوارد الأول بحبسها داخل قفص حديدي عُلّق على أسوار قلعة بيرويك لعدة سنوات كعقوبة علنية، نُقلت بعدها إلى دير كرميليت حيث توفيت، للمزيد، ينظر: Michael Penman, Robert the Bruce …, p.98 – 102

(8) Kathleen Spaltro and Noeline Bridge, Royals of England: A Guide for Readers Travelers and Genealogists Iuniverse, New York, 2005, p.59.

(1) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.132.

(2) Colm Mcnamee, The Wars of the Bruce …, p.29.

(3) Julia Corner, Op. Cit., p.34.

(4) Charles Annandale, A History of the Scottish …, p.209 – 210.

(5) Patrick Fraser Tytler, Lives Scottish Worthies …, p.323.

(6) Charles Annandale, A History of the Scottish …, p.209 – 210.

(7) Walter Scott, History of …, p.103.

(8) Lyman Horace Weeks, Book of Bruce Ancestors …, p.80.

(9) Patrick Fraser Tytler, Lives Scottish Worthies …, p.323.

(10) Charles Annandale, A History of the Scottish …, p.209 – 210.

الإنگليز[1]، وبعد اكتمالِ تلك التَّدَابِيرِ اجتمعَ النبلاء والاكليروس الإسكتلنديين في دير سكون وأعلنوا ولائهم لعاهلهم الجديد روبرت الأول[2].

عبأ الملك روبرت ما أمكنه من قوات وزحف إلى جنوب غرب إسكتلندا، فسيطر عليها بسرعة أشرتْ ضعف الحاميات الإنگليزية المرابطة فيها، وعدم قدرتها عَلَى مواجهةِ المتمردين الإسكتلنديين[3]، فأسقط في يد الملك إدوارد الأول لتزامن تلك التطورات الخطيرة مع تردي صحته ووفاة أغلب نبلائه, مما دفعه للاعتماد على جيل جديد من النبلاء الإنگليز[4]، لاسيما إيرل بيمبروك أيمر دي فالنس، الَّذِي عينهُ الملك وصياً عَلَى إسكتلندا[5]، وطلب منه تهيئة مستلزمات سحق "**تمردها**"[6].

أمر الملك إدوارد بتعبئة المقاتلين الإنگليز في كارلايل في 15 تموز 1306، قيادتهم لولي عهدهِ إدوارد كارنارفون[7], تجنباً لاحتمالات خيانة قادته[8]، ولإضفاء صفة مقدسة عَلَى بروزِ جيلٍ جديدٍ من القادة والنبلاء الإنگليز أقامَ الملك إدوارد احتفالاً في وستمنستر بمناسبة حصول ثلاثمائة شاب من ورثة العوائلِ النبيلة عل لقب فارس, فوُضِعَتْ بجعتان ذهبيتان عَلَى إحدى طاولات الحفل, ثم وَضَعَ الملك إدوارد يدهُ عليهما واقسمَ بالرب على معاقبةِ المتمردين الإسكتلنديين, وطلبَ من ابنهِ – في حالٍ وفاته – حمل عظامه في مقدمةِ جيشهِ حتى إخضاع إسكتلندا تماماً[9]، وأقسم ولي عهدهِ إدوارد كارنافورن أَنَّهُ لن ينامَ ليلتين في الموضع نفسهِ حتى سحق المتمردين الإسكتلنديين, وتابعهم جيل النبلاء الجديد الذين زُرعت في قلوبهم كراهية الإسكتلنديين، تلى ذلك تنازل التجار الإنگليز عن 10% من قيمة ممتلكاتهم المنقولة، وتنازل رجال الدين والاثرياء عَلَى 30% من قيمتها[10].

تهيأ الملك إدوارد للسجال العسكري ضد الإسكتلنديين، فبعث خطاباً في 24 أيار 1306 إلى أيمر دي فالنس أخبره فيها أَنَّهُ سيرسل ابنه إلى الشمال عَلَى رأسِ جيشٍ

(1) Lyman Horace Weeks, Book of Bruce Ancestors …, p.80.
(2) Marc Morris, Op. Cit., p.273.
(3) Charles Annandale, A History of the Scottish …, p.209 – 210.
(4) Patrick Fraser Tytler, Lives Scottish Worthies …, p.226 – 227.
(5) John Hill Burton, Op. Cit., p.243 – 245 .
(6) Walter Scott, History of …, p.104.
(7) Charles Annandale, A History of the Scottish …, p.211.
(8) Marc Morris, Op. Cit., p.273.
(9) John Hill Burton, Op. Cit., p.244.
(10) Charles Annandale, A History of the Scottish …, p.211.

كبير, ليتسنم القيادة العليا للجيوش الإنكليزية في إسكتلندا، ثم بعث خطاباً أخر إلى ايمر حثهُ فيه عَلَى اعتقال أسقفي غلاسكو والقديس أندرو[1]، وبعد اعتقال أسقف غلاسكو في قلعة كيوبار (Cupar Castle) ابدى الملك إدوارد بهجتهُ بذلك, وتابعَ ارسال توجيهاته إلى أيمر بشكلٍ شُبه يومي طالباً منه تنفيذها بحذافيرها[2].

أثبتْ القائد أيمر دي فالنس مهارة عسكرية كبيرة، حين اخترق الأراضي الإسكتلندية بسرعة، محققاً انتصارات كبيرة عَلَى المتمردين الإسكتلنديين، تكللتْ بسيطرته عَلَى قلعة لوشامبين الملكية وأراضي الملك روبرت في أناندیل، ثم منحها إلى إيرل هيرفورد وإسكس همفري دي بوهان الرابع (Humphrey de Bohun, 4rd Earl of Hereford)[3], ووزعَ ما تبقى من ممتلكات الملك روبرت إلى فرسانٍ آخرين[4]، وبدت الحنكة العسكرية لإيمر دي فالنس في سيطرته على مدينة بيرث[5]، ومباغتته معسكر الملك روبرت في غابة ميثفن القريبة منها في 19 حزيران 1306، فهُزِم الملك روبرت بروس[6]، وفر بما تبقى من قواتهِ، بعد أسر واعدام الكثير منهم، فتفرق أغلب أتباعه سوى قلة من اقاربهِ واصدقائه[7].

وتسارعت خطى الإبادة الإنكليزية حين زحف ملك إنكلترا نحو إسكتلندا في أواخر حزيران 1306 لتدميرِ ما تبقى من قوات روبرت بروس[8], تزامناً مع نشوب

---

(1) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.133.
(2) Ibid, p.133 – 134.
(3) (1276 – 1322): وُلد في قلعة بليشي بمقاطعة إسكس، أباه إيرل هيرفورد وإسكس همفري السادس وأمه اليانور دي برواز، تزوج إليزابيث ابنة إدوارد الأول، وأنجبا: همفري، جون، إليانور، مارگريت، وليام، برز في عهد الملك إدوارد الثاني، وكان معارضاً لمفضله بيرس غافستون وآل ديسبنسر، كان قائدًا في معركة بانوكبيرن عام 1314 فتم أسره، واستُبدل بزوجة روبرت بروس. قتل في 16 آذار في معركة بوروبريدج، ودُفن في كنيسة دومينيكان في يورك، للمزيد، ينظر: J. R. Maddicott, Thomas of Lancaster 1307–1322, London, 1970, p.293 – 299.
(4) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.134.
(5) Julia Corner, Op. Cit., p.34.
(6) John Dowden, The Bishops of Scotland, James Maclehose and Sons, Glasgow, 1912, p.307 ; Sophie Ambler, Robert the Bruce: King of Scots, Vol. I, 2015, p.732.
(7)Walter Scott, History of …, p.105.
(8) Marc Morris, Op. Cit., p.274.

معركة دالريغ (Dalrigh) في تموز 1306, التي أنتهت بسحق قوات الملك روبرت[1]، وفراره بخمسمائة من اتباعه، واتخاذه غابات غرب إسكتلندا الكثيفة مأوى ومخبأ لرجاله واسرته، ولصعوبة تلك المعيشة وخطورتها عَلَى نسائهِ واطفالهِ، نقلهنَ روبرت بمعيةِ أخيه نايجل بروس إلى قلعة كيلدرومي (Kildrummy Castle) الواقعة في مقاطعة أبردين[2].

ويؤخذ على الملك إدوارد الأول تبنيه سياسة إبادة جماعية للإسكتلنديين، تجلت في خطاباته إلى ايمر دي فالنس الت اتهم فيها الإسكتلنديين بإرهاق إنگلترا طوال سنوات، ونكث عهودهم مَعَ العرش الإنگليزي، وضرورة قتل من يقعْ بيده منهم، مهما كانت رتبته وصفته، وكرر الملك في مطلع أب 1306 اوامره لقائده ايمر بقتلِ من لديه من الإسكتلنديين، فحدثتْ مجازر مروعة راح ضحيتها المئات[3]، عدا مقدم دير سكون وأسقفي غلاسكو والقديس اندرو الَّذِينَ مثلوا أمام الملك إدوارد في دورهام، فأمرَ بإرسالهم مكبلين بالأصفادْ إلى إِحدى قلاع لندن[4]، وبعد وصولِ الملك إدوارد إلى الحدود مَعَ إسكتلندا انفصلَ عنهُ ابنه إدوارد كارنارفون بجيشٍ كبير، متجهاً نحو قلعة لوشمابين[5]، ثم عاد إلى بيرث للانضمام إلى قوات أيمر دي فالنس[6].

واتخذ الملك إدوارد الأول من بلدة ليركوست بريوري (Lanercost Priory) الحدودية مقراً له لمتابعة التطورات العسكرية في إسكتلندا، وتوجيه الأوامر لقواته المنتشرة فيها[7]، وبعد أنْ نمى إلى علمه أَنَّ اسرة روبرت بروس هربت نحو قلعة كيلدرومي في ابردين أمر ابنه بالتوجه نحوها، وعند اقتراب إدوارد كارنارفون منها لجأت زوجة روبرت بروس وباقي افراد اسرته إلى معبد القديس دوثاك (St. Duthac's)، فسيطر إدوارد عَلَى القلعة في 13 أيلول 1306، ثم اعتقلَ افراد اسرة الملك روبرت، بضمنهم نايجل بروس الَّذِي حوكم في بيرويك، فأُدين بتهمةِ الخيانة وقُطعَ رأسه[8]، وحُكمَ على زوجة الملك

(1) Ibid, p.275.
(2) Julia Corner, Op. Cit., p.34.
(3) Marc Morris, Op. Cit., p.275.
(4)Walter Scott, History of …, p.109.
(5) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.139.
(6) Marc Morris, Op. Cit., p.275.
(7) Ibid, p.275.
(8) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.139.

روبرت بالسجن ثمان سنوات، وأودعت في سجن بروستويك (Brustewick Prison)[1]، وتمّ ارسال كريستينا ومارجوري إلى الأديرة[2], ومع أَنَّ إيرل أثول حاولَ الهرب بحراً لَكِنَهُ أُعتُقِلَ، وأُدينَ بعد محاكمة سريعة، وتَمَ شنقهُ في 29 تشرين الأول 1306[3]، في لندن مَعَ أَنَّ له اصل ملكي[4]، دفع الملك إدوارد الأول لتمييزه بإعدامه عَلَى مشنقة أعلى من مشانق رفاقه, وأصدرتْ المحاكم الملكية احكاماً قاسية ضد النساء المعتقلات بتهمةِ تورطهن في دعمِ المتمردين الإسكتلنديين، فوضِعنَ في اقفاصٍ مرتفعة عَلَى ابراجِ قلاع بيرويك وروكسبرغ، وفي مقدمتهن كونتيسة بوشان الَّتِي شاركتْ في تتويجِ الملك روبرت، وشقيقته ماري, ليكون ذلك رادعاً لمن تسول له نفسه التمرد عَلَى العرش الإنكليزي[5]، وفشلت مناشدات ملكة إنكلترا بإظهار الرحمة مَعَ المعتقلين والمعتقلات، فاستمرت عمليات التنكيل والشنق دون هوادة، فتم شنق صهر الملك روبرت المدعو كريستوفر سيتون وشقيقته في لندن بتهمة الخيانة[6].

واجه الملك روبرت واقعاً مؤلماً، تمثل بتحوله إلى شخص طريد لا يملك من أمره شيئاً، وما رافق ذلك من فتك بأتباعه واسرته وذوي قرابتهم، لكنه استسلم لمصيره وانتقل بمن مَعَهُ بين الغابات والجبال, وحين أَصْبَحَ الطقس بارداً أواخر أيلول, قَرَّرَ العبور إلى شبه جزيرة كانتيري (Kintyre), عَلَى أمل أَنَّ يمنحهُ أنجوس أوغ (Angus Og) لورد الجزر وزعيم قبيلة إيسلاي (Islay Tribe)[7], مأوى, فعبر واتباعه بحيرة

---

(1) Jeanie Lang, Op. Cit., p.17.

(2) محمد عبد الرضا موسى, سياسة إنكلترا الخارجية, اطروحة دكتوراه غير منشورة, كلية التربية للعلوم الإنسانية, جامعة بابل, 2018، المصدر السابق, ص 270.

(3) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.139.

(4)Walter Scott, History of …, p.108.

(5) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.139 – 140.

(6) John Hill Burton, Op. Cit., p.245.

(7) (1272 – 1330): نبيل وزعيم قبلي إسكتلندي، وهو الابن الأصغر لأنجوس مور (Angus Mór)، تولى زعامة عشيرة ماكدونالد ولوردية الجزر وإيسلاي، أدى دوراً حاسماً في المقاومة الإسكتلندية من خلال تقديم الدعم والملاذ الآمن للملك روبرت بروس في الجزر الغربية بعد هزائمه المبكرة عام 1306، قاد جيشاً من مقاتلي الجزر لدعم بروس في معركة بانوكبيرن الحاسمة عام 1314، كوفئ على ولائه بمنحه أراضٍ شاسعة صودرت من عائلة ماكدوغال، توفي في قلعة فينلاغان ودُفن في جزيرة أيونا، للمزيد، ينظر: R. Andrew McDonald, The Kingdom of the Isles: Scotland's Western Seaboard, c.1100 – c.1336, Tuckwell Press, East Linton, 1997, p.175 – 189.

لوموند (Loch Lemond), وسط تشجيع الملك روبرت لإتباعه, بتأكيده أَنَّهُ لن يفقد الأمل مهما كَانَ الثمن والحظ سيحالفه في النهاية[1]، وحين وصل روبرت جزيرة كانتير استقبله انجوس ايسلاي، ووضع قلعة دونافيرتي (Dunaverty Castle) تحت تصرفه, فمكث فيها ثلاثة أيام فقط، لأن السير جون مينتيث (Sir John de Menteith)[2], والبارون جون بوتيتورت (John Botetourt, 1st Baron Botetourt)[3], هاجماه, فهرب الملك روبرت واتباعه إلى جزيرة راثلين قبالة الساحل الشمالي لأيرلندا[4]، فوافق سكانها عَلَى استضافته ومن مَعَهُ اثناء مدة اقامتهم[5]، الَّتِي شغلت فصل شتاء الممتد بين أواخر عام 1306 حتى شباط من العام الَّذِي تلاه[6]، وأثناء تلك المدة فكر الملك روبرت في الخيارات المتاحة له, وهي السفر إلى النرويج والعيش مع أخته إيزابيل بروس (Isabel Bruce)[7] أرملة ملكها الراحل, أَوْ الابحار إلى الجزر الغربية, للحصول عَلَى

---

(1) Colm Mcnamee, Robert Bruce our Most Valiant Prince, King and Lord, Birlinn Limited, Edinburgh, 2006, p.147.

(2) (1275 – 1323): نبيل إسكتلندي، أبوه إيرل مينتيث والتر بولستوك، شغل منصب شريف دمبارتون وحارس قلعتها بتكليف من الملك الإنكليزي إدوارد الأول، ارتبط اسمه في التاريخ بالخيانة لأنه الشخص الذي تعقّب السير وليام والاس وقبض عليه قرب غلاسكو في آب عام 1305 وسلمه للإنكليز، تحوّل لاحقاً عام 1308 إلى صفوف الملك روبرت بروس، وغدا مستشاراً مقرباً منه وشارك في التوقيع على إعلان أربروث الشهير لاستقلال إسكتلندا عام 1320، للمزيد، ينظر: G. W. S. Barrow, Robert Bruce …, p.177 – 181 ; Andrew Fisher, William Wallace …, p.128 – 134.

(3) (1265 – 1324): قائد عسكري إنكليزي بارز، عيّنه الملك إدوارد الأول قائداً لأسطول بحر الشمال الإنكليزي في حملاته البحرية لمحاصرة إسكتلندا، شارك بكفاءة عالية في معركة فالكيرك عام 1298، تولى مناصب إدارية هامة في المناطق الحدودية ومنها حارس قلعة ساوثامبتون، في عهد الملك إدوارد الثاني انضم إلى حركة المعارضة البارونية بقيادة الإيرل توماس لانكستر ضد المقربين من الملك، وشارك في التوقيع على الوثائق البارونية الإصلاحية عام 1310، توفي في تشرين الأول عام 1324، للمزيد، ينظر: Seymour Phillips, Edward II, Yale University Press, New Haven and London, 2010, p.162 – 168.

(4) Colm Mcnamee, The Wars of the Bruces …, p.36.

(5) Julia Corner, Op. Cit., p.35.

(6) Alphons Bellesheim, Op. Cit., p.12.

(7) (1272 – 1358): وُلدت في كاريك، أبوها لورد أناندیل روبرت دي بروس، وأمها مارجوري، كونتيسة كاريك، شقيقيها الملك روبرت الأول وإدوارد بروس الذي أصبح ملك أيرلندا لفترة وجيزة، تزوجت ملك النرويج إريك الثاني عام 1293، وأنجبت منه إينجبورج إيريكسدوتير عام 1297،

دعم كريستينا ماكروبير (Christina MacRuaridh)[1] الَّتِي صاهرت عائلة زوجته الأولى, أَوْ الابحار إلى أيرلندا[2]، فاختار التجوال في الجزر الغربية, وأرسل رجاله إلى شمال أيرلندا والجزر القريبة من ساحلها, واستطاع في النهاية جمع أسطول صغير وبعض الرجال, بانتظار الوقت المناسب للعودة إلى إسكتلندا[3].

عاد الملك روبرت إلى إسكتلندا، وفور وصوله لها قسم قواته عَلَى مجموعتين، تسنم قيادة الأولى شقيقيه توماس والكسندر بروس، برفقة مئات المجنديين من أيرلندا الشمالية, والسير مالكولم ماكويلان (Sir Malcolm Mcquillan)[4], ووجهتهم غالواي

بعد وفاة زوجها الملك إريك عام 1299، أصبحت أرملة في سن الـ 26 عامًا ولم تتزوج مرة أخرى، مفضلة البقاء في بيرغن كملكة أرملة، توسطت عام 1312 بين إسكتلندا والنرويج لتسوية النزاعات حول جزر أوركني وشتلاند، توفيت في بيرغن، ودفنت في كاتدرائيتها القديمة، للمزيد، ينظر: A. A. M. Duncan, "Isabel, queen of Norway 1272–1358, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.

(1) (1275 – 1345): نبيلة إسكتلندية، وهي ابنة وزعيمة عشيرة روبير لوردات غارموران والجزر الغربية، أدت دوراً حاسماً ومصيرياً في حروب الاستقلال الإسكتلندية، فبعد الهزائم القاسية التي لحقت بالملك روبرت بروس عام 1306 وتشتت أتباعه، فتحت له جزيرتها "عقبة بالمنظار" كملاذ آمن، وأمدّته بالدعم اللوجستي والمقاتلين والسفن اللازمة لإعادة تنظيم قواته والعودة إلى البر الرئيس لإسكتلندا لاستئناف المقاومة ضد الإنكليز، كافأها الملك بروس بتأكيد سيادتها وحيازتها الشرعية على أراضي غارموران، للمزيد، ينظر: Michael Penman, Robert Bruce …, p. 104 – 108 ; R. Andrew McDonald, Op. Cit., p. 182 – 188.

(2) Julia Corner, Op. Cit., p.37.

(3) Ronald McNair Scott, Robert the Bruce, King of Scots, Hutchinson, London, 1982, p.89.

(4) (1268 – 1307): فارس ونبيل إسكتلندي من الجزر الغربية، انضم مبكراً إلى حركة المقاومة الوطنية ضد التاج الإنكليزي، وتحالف بشكل وثيق مع عائلة بروس، في شباط عام 1307، قاد ماكويلان رفقة شقيقي الملك روبرت بروس توماس وألكسندر قوة عسكرية من المقاتلين الأيرلنديين وأبناء الجزر نزلت في ثماني سفن عند شواطئ لوخ ريان في غالوواي لفتح جبهة ثانية ضد الإنكليز، إلا أن القوة تعرضت لكمين مدمر على يد الزعيم المحلي الموالي لإنكلترا دونجال ماكدوول، فأُسر السير مالكولم في المعركة ونُقل مباشرة إلى كارلايل بأمر من الملك إدوارد الأول، حيث نُفذ فيه حكم الإعدام، وقُطع رأسه في الشهر ذاته، للمزيد، ينظر: Michael Penman, Robert Bruce …, p.106 – 110.

(Galloway) لمهاجمة حاكمها دونجال ماكدوول (Dungal MacDouall)[1]، وقطع الاتصالات بين كارلايل وأير لإشغال الإنكليز بجبهة ثانوية تمكن الملك روبرت من مهاجمة شمال إسكتلندا، فأبحرتْ تلك المجموعة عَلَى متن ثمانية عشر سفينة متوسطة الحجم إلى غالواي[2]، وتوجه الملك روبرت بمجموعته إلى كاريك، وفي مطلع شباط 1307 وَصَلَتْ المجموعة الأولى إلى غالواي فسحقتها قوات ماكدوال، وأسرت أخوة بروس وماكويلان، ثم أرسلتهم إلى كارلايل، فشنق الكسندر والزعيم الأيرلندي ماكويلان فوراً، وسحبت الخيول توماس ثم أُعدم، وعلقتْ رؤوسهم عَلَى بوابات المدينة[3].

وتعرض الملك روبرت ومجموعته إلى اخفاق آخر في كاريك[4], بسبب تقاعس سكانها الإسكتلنديين عن مساعدته، واخفاق مبعوثه إلى كاريك كوثبيرت في تحذيره من مغبة مهاجمتها[5], فهاجمها الملك روبرت في 10 شباط, وحين أَدْرَكَ عدم استعداد سكان كاريك لدعمه, انسحب بمن معه إلى اطرافها، وشن غارات ليلية غير موفقة عليها[6]، فأمر ملك إنكلترا في الأسبوع الثاني من شباط عام 1307 القائد أيمر دي فالنس بالزحف نحو كاريك[7]، وحين وصلتها القوات الإنكليزية قرر الملك روبرت الأول الاختباء في التلال المطلة عَلَيه, وأرسلَ شقيقهُ إدوارد مَعَ بعضِ قواته إلى غالواي, وسمحَ

---

(1) (1270 – 1327): وُلد في قلعة دومفريز، لم تُذكر تفاصيل عن والديه أو إخوته، لكنه كان متزوجًا من ماتيلدا وأنجب ابنه دنكان ماكدوغال، كان خصمًا قويًا لروبرت الأول، وقد كافأه إدوارد الأول بمنحه لقب فارس تقديرًا لخدماته للتاج الإنكليزي، تولى قيادة قلعتي دومفريز وروشين، ولُقب بقائد جيش غالواي، قاد قواته في معارك ضد أعداء إنكلترا وحلفاء بروس، بما في ذلك هزيمته لتوماس والكسندر بروس وإرسال رأسيهما إلى إدوارد الأول، بعد خسارته أراضيه في إسكتلندا حصل على أراضي في إنكلترا وأيرلندا، وخدم في أيرلندا بناءً على أوامر الملك الإنكليزي بين عامي 1311 و1314، توفي في كانون الأول، للمزيد، ينظر: Fiona Watson, Under the Hammer: Edward I and Scotland 1286 – 1307, Tuckwell Press, East Linton, 1998, p.201 – 205.

(2) G. W. S. Barrow, The Kingdom of the Scots: Government, Church and Society from the Eleventh to the Fourteenth Century, London, 1973, p.237.

(3) Sarah Crome, Scotland's First War of Independence, Mercat Press, Edinburgh, 1999, p.159.

(4) Philip J. Potter, Op. Cit., p.170.

(5) Nigel Tranter, Robert the Bruce The Path of the Hero King: the Second of A Trilogy of Novels, p.85.

(6) John Barbour, The live and acts …, p.196.

(7) Marc Morris, Op. Cit., p.277.

للقائد جيمس دوغلاس بالذهاب إلى أراضيه في دوغلاسديل (Douglasdale), وجاب الملك روبرت الأول بمن بقي معه تلال شرق كاريك, فبحث عنه البارون روبرت دي كليفورد (Robert de Clifford, 1st Baron de Clifford)[1]، ودونجال ماكدوول شرق كاريك, والسير دي فالنس شمالها, ولورد ارجيل جون دي لورن (Lord of Argyll, John of Lorne)[2] في التلال والجبال القريبة منها[3], وهكذا شعر الملك روبرت أَنَّهُ في مصيدة، لاسيما بعد تعرضه إلى محالة اغتيال من بعضِ الإسكتلنديين الَّذِينَ قرروا تسليمه إلى الإنكليز مقابل ستين ماركاً، فقتلهم جميعاً[4].

---

(1) (1274 – 1314): وُلد في 1 نسيان 1274 في قلعة كليفورد، والده روجر دي كليفورد ووالدته إيزابيلا دي فيبونت، تزوج مود دي كلير في 12 تشرين الثاني 1295، وأنجبا ثلاثة أطفال: روجر دي كليفورد (البارون الثاني)، روبرت دي كليفورد (البارون الثالث) وإيدوين دي كليفورد، كان قائداً إنكليزيًا بارزًا وأحد لوردات الحدود الإنكليزية مع إسكتلندا، شارك في الحملات ضد إسكتلندا بما في ذلك حصار بيرويك عام 1296 ومعركة فالكيرك عام 1298، أصبح في 29 كانون الأول 1299 البارون الأول لكليفورد بقرار ملكي، شغل منصب مارشال إنكلترا عام 1307، ونظم تتويج إدوارد الثاني في 25 شباط 1308، شارك في معارضة بيرس غافستون عام 1312، لقي حتفه في معركة بانوكبيرن في 24 حزيران 1314، ودُفن في دير شاب بويستمورلاند، للمزيد، ينظر: Henry Summerson, Robert Clifford, first Lord Clifford 1274 – 1314, soldier and magnate, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.

(2) (1270 – 1316): وُلد في قلعة دنستافناج، أبوه لورد أرغايل ألكسندر ماكدوغال، وأمه ابنة جون الأول كومين، انجب: إيوين، ألان، سوميرلي، ألكسندر وماري، أقسم يمين الولاء لإدوارد الأول عام 1291، أصبح هو ووالده عضوين في المجلس الاستشاري لنائب الملك إدوارد في إسكتلندا جون أوف بريتاني، هزم بروس في معركة دايل ري عام 1307، فكافأه إدوارد الأول بتعيينه شريفًا لأرغايل، بعد هزيمته في معركة ممر براندر عام 1308 فر إلى إنكلترا مع والده الذي توفي هناك عام 1310، تولى قيادة الأساطيل الإنكليزية عامي 1311 و 1314 كأميرال للبحر الأيرلندي، وفي عام 1315 غزا جزيرة مان لصالح التاج الإنكليزي، توفي في كنت أثناء رحلة حج إلى كانتربري، ودُفن هناك، ينظر: W. D. H. Sellar, MacDougall, John, lord of Argyll d. 1316, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, Oxford University Press, 2004.

(3) Margaret J. Miller, Op. Cit., p.63, 68, 69.

(4) R .L. Mackie, The Story of King Robert the Bruce, Thomas Y. Crowell Co., New York, 1913, p.69 – 70.

في خضم ذلك الحراك العصيب، انتشرت شهرة الملك روبرت بين أبناء جلدته، فتعاطف الكثيرون معه، وبدأت قواته بالازدياد منذ منتصف اذار 1307[1], لَكِنَّه أصيب بخيبة أمل بعد وصول انباء اعدام أخوته وكبار قادته, وما طال عائلته من تنكيل وتعذيب، فشعر أَنَّهُ المسؤول عن كل ذلك[2]، وأصبح في خضم ضغط نفسي خطير، دفعه للاقتناع بلقب الملك الشرير الَّذِي نعته به اعدائه[3], ففكر في التخلي عن نضال بلاده، والإبحار إلى الأرض المقدسة مَعَ رفاقه المخلصين لمقاتلة المسلمين[4], لَكِنَهُ بعد تفكير طويل قَرَّرَ الاستمرار في تحدي الإنكليز حتى تحقيق هدفه بتحرير بلاده، أَوْ الموت دونه[5]، فواصل تجواله قرب مستنقعات كاريك وتلالها, ولعدم قُدْرَتِهِ عَلَى توفير المؤن والأسلحة لقواته تضاءل عدد جنده تدريجياً, حتى أمسوا ستين فقط, مما اضطره إلى تبني اساليب حروب العصابات ومنها: الكر والفر لمباغتة اعدائه, وتسميم الآبار وحرق المحاصيل لتقليل مؤنهم والتراجع إلى الغابات والمستنقعات والأراضي الوعرة عند شعوره بالخطر، لتعويض نقص القوى البشرية الَّتِي عانى منها[6]، وهو ما بدا جلياً في معركة فورد، فحين علم بقرب القوات الإنكليزية منه, أمر أتباعه بالانسحاب إلى عمق المستنقع، واستغل مساره الضيق لتضليل الإنكليز والفتك بهم واحداً تلو الأخر، حتى هربوا بعد تكبدهم خسائر فادحة[7]، لكن الملك إدوارد الأول رغم اعتلال صحته، وانسحابه إلى كارلايل منذ منتصف اذار 1307، ظل مصمماً على تدمر الملك روبرت، فوجه من كارلايل مسار الفعاليات القتالية المضادة للملك روبرت[8].

زادت وطأة الملك روبرت عَلَى الإنكليز حين قاد جيمس دوغلاس في نيسان 1307 حملة عَلَى بعضِ مواقع الإنكليز عرف بحملة "**دوغلاس لاردر**"، اِنْتَهَتْ إلى غنائم كثيرة واسلحة ودروع ومجوهرات جلبها جيمس دوغلاس وإدوارد بروس إلى قلعة

(1) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.159.
(2) John Barbour, The live and acts …, p.198.
(3) Margaret J. Miller, Op. Cit., p.79.
(4) John Barbour, The live and acts …, p.198.
(5) P. C. Ganesan, How To Develop Self Confidence For Success, Sterling Paperbacks, Sterling, 2001, p.22.
(6) R.L. Mackie, The Story of King …, p.71.
(7) Jeanie Lang, The Story of Robert the Bruce, E. P. Dutton, New York, 2010, p.22.
(8) Marc Morris, Op. Cit., p.277.

الملك روبرت في دوغلاسديل, وحين علم الملك إدوارد الأول بذلك[1], أرسل خطاب تأنيب لقادته لفشلهم في وئد تحركات الملك روبرت، وطلب من القائد ايمر دي فالنس بالزحف مع فرسانه في الطريق المؤدي إلى كومنوك (Komnoc)، حيث مقر الملك روبرت, وتسلل جون دي لورن بقواته من الاتجاه المعاكس لمهاجمة روبرت بغتة, وقد انطلت تلك الخدعة عَلَى الملك روبرت، وكاد يقع في كمين الإنكليز لولا تحذير احد اتباعه في الوقت المناسب، فقسم أتباعه عَلَى ثلاثة مجموعات: الأولى بقيادة جيمس دوغلاس، والثانية بقيادة إدوارد بروس، وابقى الأخيرة معه, وأمرهم بالذهاب في ثلاثة اتجاهات مختلفة لإرباك العدو, ثمّ التجمع لاحقاً في مكان معين[2], ومع أَنَّ روبرت بروس فرق اتباعه مراراً للتخلص من مطاردة جون دي لورن لَكِنَهُ كاد يقع في قبضته[3], وبلغ الأمر حداً اضطر مَعَهُ الملك روبرت للبقاء بصحبة احد رفاقه، فتابعه خمسة جنود إنكليز حتى مجرى النهر الَّذِي اتخذه روبرت مساراً للهرب, ففقد جون دي لورن أثره[4]، وتعرض الملك روبرت الأول إلى خطر لاحق، حين التقى ثلاثة رجال في الضفة الأخرى ومع أَنَّهُ حرص عَلَى اخفاء شخصيته عنهم لكنهم عرفوه، ورغم ادعائهم أنهم موالين للملك روبرت وراغبين في خدمته لَكِنَّ روبرت توجس منهم، وبعد أنْ خلد الجميع للنوم تظاهر الملك روبرت بالنوم فسحبوا سيوفهم لقتله, لَكِنَهُ ورفيقه وثب عَلَيْهِمْ وقتلهم، بعد أنْ قتلوا رفيقه[5]، فأصبح الملك روبرت الأول بمفرده إلى أَنَّ وجده إدوارد بروس وجيمس دوغلاس[6].

عبأ الملك روبرت اتباعه في منطقة جبلية وعرة ليكون بمنأى عن الإنكليز، لَكِنَّ فرقة إنكليزية قوامها ثلاثمائة مقاتل أغلبهم رماة بقيادة البارون روبرت دي كليفورد،

(1) Herbert Maxwell, A History of the House of Douglas, Vol. I, London, 1902, p.34 – 35.
(2) Ronald Mcnair Scott, Op. Cit., p.97.
(3) Walter Scott, The Complete Works of Sir Walter Scott: With a Biography, and His Last Additions and Illustrations, Vol. VI, Conner & Cooke, New York, 1833, p.24.
(4) John Barbour, The live and acts …, p.260.
(5) William James Rolfe, Tales from Scottish History in Prose and Verse: Selected from the Works of Standard Authors, Harper & Brothers, New York, 1891, p.25.
(6) Ibid, p.26.

وجون دي فو (John de Foo)[1]، كشفت مخبأه, فأرسلوا إِليهِ امرأة بحجة البحث عن الطعام, لَكِنَّه كشف أمرها، فأخبرته عن موقع الجنود الإنكليز الَّذِي كَانَ أسفل معسكره تماماً, فنشر اتباعه عَلَى جوانب الجبل للاستفادة من ميزة ارتفاعهم عَلَى القوات الإنكليزية[2], وبدأوا برمي الصخور عَلَى القوات الإنكليزية الَّتِي انهارت وتفككت صفوفها، فتراجعت إلى أسفل الجبل بعد تكبدها خسائر فادحة, فانتشرتْ أخبار انتصاره, وازداد اتباعه[3]، فقرَّرَ الانتقال بمن مَعَهُ إلى منطقة جالستون (Galston) لاتخاذها منطلقاً لعمليات مباغتة ضد الإنكليز، فأرسل القائد أيمر دي فالنس خطاباً إلى روبرت ملؤه السخرية من اساليبه الحربية الَّتِي ركز فيها عَلَى تجنب القتال المباشر ضد الإنكليز وتبنى التسلل في تلال إسكتلندا وجبالها، وبعد أنْ نعته بالجبن تحداه لخوض معركة، في تل لودن (Loudoun Hill)[4]، في العاشر من أيار 1307[5], فقبل الملك روبرت التحدي، لزيادة نفوذه بين الإسكتلنديين وكسب المزيد منهم إليه، ونفي صفة التخاذل عنه، لَكِنَهُ كَانَ حذراً في كيفية خوض تلك المعركة، ومصراً عَلَى تجنب أخطائه العسكرية في سجالاته السابقة ضد الإنكليز المتفوقين عليه بالعدة والعدد، لذا ذهب إلى موقع المعركة قبل نشوبها بليلة لاستطلاع طبوغرافيته ومداخله ورسم خطة تمكنه من الانتصار[6], وبعد استجلائه الموقع تيقن أَنَّ الإنكليز سيختارون الطريق الشمالي السريع

---

(1) (1271 – 1322): فارس ونبيل إنكليزي من عائلة دي فو التي حازت أراضٍ واسعة في مقاطعتي نورفولك ويوركشاير، عيَّنه الملك إدوارد الأول في مناصب إدارية وعسكرية حدودية نظراً لولائه للتاج، وشارك في الحملات العسكرية المبكرة على إسكتلندا، تم تعيينه حارساً لقلعة سكاربورو عام 1312 في خضم الأزمة البارونية العنيفة المرتبطة ببيير غافيستون، انضم لاحقاً إلى القوات الملكية المتوجهة شمالاً لصد التمدد الإسكتلندي واشترك في معارك الحدود، توفي في أواخر عام 1322، للمزيد، ينظر: Seymour Phillips, Op. Cit., p.181 – 195 ; J. S. Hamilton, The Plantagenets History …, p.98 – 104.

(2) Kelly Devries, Infantry warfare in the early fourteenth century: discipline, tactics, and technology, Boydell Press, New York, 1998, p.51.

(3) Sidney Dean, Scottish profiles in leadership: William Wallace and Robert the Bruce Medieval Warfare, Vol. 6, No. 2, 2016, p.55.

(4) Michael Lynch, Companion to Scottish History, Oxford University Press, New York, 2001, p.334.

(5) Robert Sinclair, The Sinclairs of Scotland, Author House, U.K, 2013, p.45.

(6) John MacIntosh, Historical Review of Galston and Loudoun Parishes, and Poems, M. & W. Walker, Newmilns, 1890, p.29.

لولوج ذلك الموقع, الَّذِي هُوَ عبارة عن تل محاط من ثلاثة جوانب بمستنقعات ضحلة[1]، ونباتات طويلة لا يتمكن الفرسان الإنكليز من عبورها[2], مما سيجنبه وجيشه خطر الالتفاف الإنكليزي، وسيجعلهم في موقع حصين يمكنهم من تركيز قتالهم في جهة واحدة، واستناداً لما سبق أمر روبرت بروس بحفر ثلاث خنادق متباعدة أمام التل وزع عليها اتباعه الستمائة[3]، بواقع مجموعتين تألفت الأولى من الرماة الَّتِي قادها بنفسه إلى جانب أخيه إدوارد والقائد جيمس دوغلاس، وركزَ ما تبقى من قواته خلف الخندق الثاني, وحصن مؤخرة الجيش الإسكتلندي بمقاتلين غير محترفين ذوي تسليح بسيط لتوفير دعم احتياطي عند الحاجة[4], وترك ممراً بين تلك الخنادق لإغراء العدو بالهجوم, واحتجازه فيها للإجهاز عليه[5].

وَصَلَ في اليوم التالي جيش إنكليزي ناهز عدد افراده ثلاثة الأف[6], تقدمهم الرماة الَّذِينَ فور نشوب المعركة رشقوا الإسكتلنديين بسهامهم لكنها لَمْ تجد نفعاً بسبب تموضع الإسكتلنديين في الخنادق[7]، فاعتقد القائد دي فالنس أَنَّ البديل لحسم المعركة سحب رماته وتقديم سلاح الفرسان في طليعة جيشه، فتقدم سلاح الفرسان نحو الإسكتلنديين من ثلاثة جهات لَكِنَّ خيولهم تعثرت في المستنقعات, وأعاقهم الخندق, فتجمعوا معاً لتجنبه[8], وحين اقتربوا منهُ وجهَ الإسكتلنديون حرابهم إلى أحشاء الخيول لتنحرف عن مسارها[9]، وركزَ الرماة الإسكتلنديين رشقات سهامهم نحوهم، موقعين مئات الاصابات بينهم، وبعد تتابع الرشقات اضطرب سلاح الفرسان وتراجع لتفاديها, ومع أَنَّ دي فالنس حاول اعادة تشكيل قواته لشن هجوم أخر لَكِنَّ اضطراب قواته منعه، فسحب ما تبقى منها إلى مقره في قلعة بوثويل (Bothwell Castle)[10]، بعد هزيمة شجعت الملك روبرت عَلَى شن مزيد من الهجمات ضد الإنكليز حتى أَنَّهُ هزم جيشين إنكليزيين

(1) Patrick Fraser Tytler, Lives Scottish Worthies …, p.383.
(2) Marc Morris, Op. Cit., p.277 – 278.
(3) Patrick Fraser Tytler, Lives Scottish Worthies …, p.383.
(4) John Barbour, The live and acts …, p.306.
(5) Marc Morris, Op. Cit., p.277 – 278.
(6) Spencer C. Tucker, Battles that Changed History: An Encyclopedia of World Conflict, ABC- CLIO, London, 2011, p.126.
(7) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.164.
(8) John MacIntosh, Op. Cit., p.30.
(9) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.164.
(10) Jim Bradbury, The Routledge Companion to Medieval Warfare, Routledge, New York, 2004, p.215.

في غضون أسبوعين، واتخذ تلال غالاوي منطلقاً له لشن هجمات وَصَلَ مداها إلى أسوار قلعة اير الإنكليزية، دون أنْ يتمكن الإنكليز من فعل شيء[1].

تابع الملك روبرت نشاطه العسكري، فهاجم قوات إنكليزية في قرية موس ربلوش (Raploch Moss), وفتك بعدد كبير منها[2], تاركاً القائد دي فالنس في وضع عسكري دقيق اضطره إلى جمع أغلب القوات الإنكليزية في إسكتلندا في كارلايل استعداداً لحملة موسعة بحثاً عن الملك روبرت[3], واستشاط الملك إدوارد الأول غضباً من هزائم جيوشه المتتالية، فانتقل من لندن إلى دومفريس لتهيئة مستلزمات حملة جديدةَ[4]، وحشد قواته في كارلايل في منتصف حزيران 1307[5]، ورغم مرضه وَصَلَ كارلايل في منتصف حزيران، استعداداً لاقتحام إسكتلندا[6]، وفي 24 حزيران باشر زحفه دون انتظار اكتمال تعبئة قواته، وتوجه إلى غرب كارلايل[7], للإبحارِ إلى إسكتلندا عبر سولواي (Solway)[8]، وبعد وصوله بورغ (Burgh) في 6 تموز 1307[9], اشتد مرضه وتوفي بعد خمسة أيام[10]، ففُصلت عظامه عن لحمه ليحملها الجيش اثناء مسيره[11].

غيرت وفاة الملك إدوارد الأول حيثيات الملف الإسكتلندي، ومكنت الملك روبرت من تبني موقف الند لإنكلترا، وَهُوَ ما بدا واضحاً فيما فعله الملك روبرت فور سماعه بنبأ وفاة الملك إدوارد، فقد ضحك الملك روبرت بشكل هستيري قائلاً لاتباعه: **"اضحكوا معي لأن الرب ساعدني, وسأرى سقوط أعدائي, ولكن اعلموا اني لا اضحك**

---

(1) Alexander Querengässer, Before The Military Revolution: European Warfare and the Rise of the Early Modern State 1300 – 1490, Oxbow Book, U. S. A, 2021, p.14.

(2) James Baldwin, Fifty famous people, short stories, American Book Co., New York, 1912, p.141 – 142.

(3) محمد عبد الرضا موسى, المصدر السابق, ص272.

(4) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.164 – 165.

(5) Marc Morris, Op. Cit., p.278

(6) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.166 – 167.

(7) Marc Morris, Op. Cit., p.278

(8) John Hill Burton, Op. Cit., p.246.

(9) Julia Corner, Op. Cit., p.36.

(10) Osmund Airy, Text-book of English History from the Earliest Times for Colleges and Schools, London, 1893, p.102.

(11) إدوارد تشيني, موجز تاريخ انكلتره حتى 1944, ترجمة: صادق حسن السوداني, بغداد, 2019, ص 62.

عَلَى موت عدوي, بل من أجل تحرير بلدنا وشعبنا"[1]، وَهُوَ ما تحقق حين ولج الملك روبرت لاحقاً مرحلة جديدة في صراع بلاده مَعَ إنگلترا، غَيَرَ خلالها قواعد الصراع وحيثياته، واعاد إلى إسكتلندا مكانتها واستقلالها، منهياً أغلب ما حققته إنگلترا فيها في المرحلة السابقة.

(1) Caroline Bingham, Robert the Bruce, London, 1998, p.170.

الفصل الثالث

تصدع هيبة العرش وأثره في تمردات البارونات في عهد إدوارد الثاني 1307 – 1327

المبحث الأول

مؤسسة العرش الإنكليزي بين سندان التمرد البارونـي ومطرقة التمرد الإسكتلندي كانون الأول 1307 – حزيران 1314

شَكَلَتْ وفاة إدوارد الأول وتسنم ابنه إدوارد الثاني عرش إنكلترا[1]، فرصة ثمينة لملك إسكتلندا لنبذ السيطرة الإنكليزية على بلاده، لاسيما بعد بروز مؤشرات عَلَى ضعف عاهل إنكلترا الجديد، أبرزها استبدال قائد قواته في إسكتلندا دي فالنسيا بإيرل ريتشموند جون بريتاني أواخر عام 1307، فهاجم ملك إسكتلندا دوجال ماكدوال في غالواي انتقاماً منه على تواطئهِ مَعَ الإنكليز[2], ثم توغل في جنوب إسكتلندا مدمراً المستوطنات الإنكليزية فيها، فهرب دوجال إلى إنكلترا، ووقع جنوب إسكتلندا في قبضته[3], تزامناً مع اقتراف إدوارد الثاني خطأً فادحاً تمثل بإعادة صديقه بيرس غافستون[4] إلى إنكلترا، متجاهلاً مخاوف نبلاءه من خطره على مصالحهم، وهو ما بينه الملك لسبعة من إيرلاته[5]، حين رفض اعتراضاتهم على بيرس غافستون[6] مؤكداً أنه مستشاره الأوحد[7].

انتهت التطورات السابقة إلى ظهور بوادر حرب أهلية بين إدوارد الثاني والنبلاء المناوئين له[8]، لكن بعضهم حاولوا الوصول إلى تسوية معه، فقابلوه وأكدوا له أن هدفهم "**صيانة حقوق التاج، وتصحيح ما حدث ضد شرف الملك ورعاياه**"[9].

---

(1) G. W. S. Barrow, Scotland and its Neighbours in the Middle Ages London, 1992, p.179.

(2) Patrick Fraser Tytler, The History of Scotland …, p.290.

(3) G. W. S. Barrow, Robert Bruce and the Community …, p.55 – 56.

(4) (1284 – 1312), أبوه ارنو دي غافستون، وهو أحد فرسان البلاط الملكي الَّذِي عمل في خدمة الملك إدوارد الأول, اتهم بعلاقة شاذة مَعَ الملك إدوارد الثاني، فنفاه إدوارد الأول, وفي عام 1307 جعله إدوارد الثاني إيرل كورنوال وتحكم في سياسة إنكلترا, الأمر الَّذِي تسبب في مقتله عام 1312. للمزيد ينُظر: Susan Higginbotham, Op. Cit., p.8 – 14

(5) J. R. Maddicott, Sir Otto de …, p.70 – 72.

(6) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Foedera, convention-nes, literæ, et cujuscunque generis acta publica, inter reges Angliæ et alios … fideliter exscripta, Vol. II, London, 1739, p.24.

(7) Annales Paulini, Chronicles of the Reigns of Edward I and Edward II, London, 1882, p.260 – 262.

(8) J. S. Hamilton, Piers Gaveston Earl of Cornwall 1307 – 1312 Politics and Patronage in the Reign of Edward II, London, 1988, p.49 – 50.

(9) J. R. S. Phillips, Aymer de Valence, Earl of Pembroke 1307 – 1324: Baronial Politics in the Reign of Edward II, Oxford University Press, New York, 1972, p.316 – 317.

عقد البارونات برلماناً في وستمنستر في الثلث الأخير من اذار 1308، وانتهت جلساتهم إلى تقييد سلطة الملك التنفيذية بإجباره على تنفيذ القوانين التي يقرها البرلمان، وعدم احقيته في تشريع أي قانون من دونه[1]، وهكذا أصبح الملك في موقف بالغ الدقة، دون مؤيدين له خلا قلة من النبلاء منهم: إيرلات لانكستر وريتشموند وأكسفورد فضلاً عن غافستون[2] وروجر مورتيمر (Roger Mortimer)[3]، وتحسباً لحرب أهلية وشيكة ضد مناوئيه[4]، اجرى إدوارد الثاني في 20 اذار 1308 تغييرات في حراس القلاع الملكية[5]، ومنح مؤيديه مناصب مهمة، وفي مقدمتهم بيرس غافستون، هيو دسبينسر (Hugh Dispenser)، روجر مورتيمر، هنري بيرسي، جون شاندوس (John Chandos)[6]، وروبرت فيتز باين (Robert Fitz Payne)[7]، وسواهم من النبلاء الذين أظهروا دعماً مطلقاً له[8].

ويحسب للإسكتلنديين أنهم استغلوا تلك الأزمة لطرد الإنگليز من بلادهم، فشن جيمس دوغلاس غارات اِنْتَهَتْ إلى استعادة قلعة دوغلاسديل في 17 نيسان 1308,

---

(1) Natalie Fryde, The Tyranny and Fall of Edward II 1321 – 1326, Cambridge, 1979, p.17.

(2) J. R. Maddicott, Sir Otto de …, p.87.

(3) (1287 – 1330) هو الابن البكر لـ اللورد إدموند مورتيمر, منحه الملك إدوارد الأول عام 1306 لقب فارس, شارك مَعَ إدوارد الثاني في حروبه ضد إسكتلندا وأيرلندا, تمرد لاحقاً على الملك إدوارد الثاني وهرب من سجنه إلى فرنسا، فالتقى بالملكة إيزابيلا التي اغرمت به، وقاما بانقلاب عام 1327, وأصبح الحاكم الفعلي لإنگلترا حتى اعدمه الملك إدوارد الثالث عام 1330. للمزيد يُنظر: Susan Higginbotham, Op. Cit., p.34.

(4) J. S. Hamilton, Piers Gaveston Earl …, p.49 – 50.

(5) Calendar of Fine Rolls Preserved in the Public Record Office, 1272 – 1509, Vol.22, London, 1911, p.19.

(6) (1320 – 1369): ولد في قصر رادبورن في ديربي، أبوه السير إدوارد تشاندوس، قاد بعض الجيوش الإنگليزية اثناء حرب المائة عام، فاشترك في معارك سلوايس وكريسي وبواتييه وسواها، حقق نصرًا في معركة اوري في 29 أيلول 1364، فمُنح لقب فيكونتية سانت سوفور وحاكم بواتوا، قتل في معركة ضد الفرنسيين في 31 كانون الأول فدفن في قلعة مورثمير في 1 كانون الثاني 1370، أنظر: حسنين عبد الكاظم عجه، الصراع الإنگليزي – الفرنسي والمواقف الأوربية منه 1337 – 1377، اطروحة دكتوراه "غير منشورة"، كلية التربية – جامعة واسط، 2002، ص200 – 201، 207.

(7) Calendar of Patent, Op. Cit., p.51, 52, 58.

(8) M. McKisack, The Fourteenth Century, 1307 – 1399, Oxford, 1959, p.7 – 8.

والسيطرة عَلَى غابات جيدبرج (Jedberg) وكلايديساید (Clydeside)[1], تزامناً مَعَ انتشار عسكري إسكتلندي مماثل في وسط إسكتلندا وشرقها واسترجاع إينفيرنيس (Inverness), ونايرن (Naiarn), وأوركهارت (Urquhart), وقلعة كومين إنيرلوتشي (Comin Inerlochy Castle)[2].

أصبح الملك إدوارد الثاني بين مطرقة المتمردين الإسكتلنديين وسندان نبلاؤه الذين كثفوا ضغوطهم عليه بدعم زوجته ايزابيلا (Isabella)[3]، وابيها ملك فرنسا فيليب الرابع، مما دفع إدوارد الثاني لإحداث انشقاق بين مناوئيه من خلال منح بعضهم مكتسبات على حساب بعضهم الأخر، فمنح توماس لانكستر (Earl of Lancaster Thomas)[4] رقابة على العرش، واعطى الملكة ايزابيلا مدينتي بونثيو (Ponthieu) ومونتروي (Montreuil)، لكن تلك التنازلات لم تمنع الملكة ايزابيلا وتوماس لانكستر من الإصرار على نفي بيرس غافستون، تزامناً مع دعوات مشابهة أطلقها مناوئي الملك في برلمان وستمنستر في 28 نيسان 1308، فاضطر إدوارد الثاني لنفي غافستون، وأبحر الأخير نحو أيرلندا في 25 حزيران 1308 بصفته ملازمًا للملك[5].

---

(1) Caroline Bingham, Op. Cit., p.171 – 172.

(2) Walter Scott, The Complete Works …, p.28.

(3) (1295 – 1358): ولدت في باريس أبوها عاهل فرنسا فيليب الرابع وامها ملكة نافار جوان الأولى، اقترنت بأمير ويلز إدوارد كارنافورن، وانجبت منه أربعة اطفال، ثم توترت علاقتهما بسبب علاقاته مع بيرس غافستون ثم هيو ديسبنسر، فألبت البارونات عليهما، تآمرت مع مورتيمر ضد زوجها، وفرضت وصايتها على ابنها إدوارد الثالث حتى تخلص من مورتيمر عام 1330، ووضعها تحت الاقامة الجبرية، ترهبنت اواخر حياتها، توفيت في 22 آب، فدفنت في لندن، للمزيد، أنظر: Alison Weir, Isabella she Wolf of France, Queen of England, London, 2005.

(4) (1278 – 1322): هو الابن الاكبر لإدموند كروتشباك ابن الملك هنري الثالث، شغل منصب إيرل لانكستر وليستر وديربي عام 1296 بصفته اقوى بارونات إنگلترا، وإيرل لينكولن وسالزبوري بين عامي 1311 – 1322، شارك في معركة فالكريك عام 1298 ضد إسكتلندا، حضر تتويج إدوارد الثاني ودعمه ثم انقلب عليه، كان احد القضاة الذين ادانوا بيرس غافستون وشهدوا اعدامه عام 1312، تنامت شعبيته بعد معركة بانوكبيرن عام 1314، خسر معركة بوروبريدج في 16 اذار 1322 ثم حوكم واعدم في 22 اذار 1322، للمزيد ينظر: J. R. Maddicott, Sir Otto de …, p.332.

(5) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.44 – 45.

استغل الملك الإسكتلندي تلك التطورات لسحق عدوه اللدود في إسكتلندا إيرل بوشان جون كومين، فعبأ قواته في إينفريري (Infriri) استعداداً لمواجهته لَكِنَهُ اصيب بوعكة منعته من القتال[1]، وانسحب اتباعه إلى سلاوتش (Slioch) تاركين قوات قليلة في اينفريري[2], هاجمها إيرل بوشان وديفيد دي بريشين (David de Brechen), المواليان للإنكليز وطرداها[3], فزحف الملك روبرت نحوهما في أيار 1308, وهزمهما, ثم سيطر على ميناء أبردين في 1 أب 1308 للحصول عَلَى منفذ بحري لتمويل قواته[4]، وَهُوَ ما حصل حين زوده تجار فلمنكيين بأسلحة ومؤن لمواصلة قتاله، فَضْلًا عن الرسوم التجارية والأرباح الجمركية الَّتِي حازها من التبادل التجاري معهم, وفي الشهر ذاته أرسل القائد جيمس دوغلاس حملة نحو القوات الإنكليزية المتمركزة في لانكشاير (Lancashire) والمدن الواقعة عَلَى جانبي الحدود الإنكلو – إسكتلندية[5].

واجه إيرلي بوشان واثول الاندفاع العسكري للملك روبرت فهاجماه في منطقة سلاوتش في 20 كانون الأول 1308[6], لكنهما منيا بهزيمة اضطرتهما للفرار، فلاحقتهما قوات الملك روبرت واستعادت إنفيريري[7]، تلتها حملة طهرت جنوب غرب إسكتلندا من الجيوب العسكرية الإنكليزية والنبلاء الإسكتلنديين الموالين لها، واعتقلت إيرل موراي توماس راندولف، أَمَّا جون دي لورن فهرب إلى إنكلترا مطلع عام 1309[8]، تزامناً مَعَ هرب النبيلان الإسكتلنديان الموالين لإنكلترا الكسندر ماكدوال (Alexander Mcdougal)[9]، وابنه جون إلى أيرلندا[10]، بعد سيطرة الملك روبرت عَلَى

(1) Alan Young and Michael J. Stead, In The Footsteps of Robert Bruce, The History Press, London, 1999, p.103.
(2) Herbert Maxwell, Robert the Bruce… Op. Cit., p.176.
(3) Alexander Fraser Tytler, The Frasers of Philorth, Vol. III, Edinburgh, 1879, p.191.
(4) John Sadler, Border Fury: England and Scotland at War 1296 – 1568, Routledge, New York, 2013, p.103 – 104.
(5) Alexander Fraser, The Frasers …, p.191.
(6) Philip J. Potter, Op. Cit., p.291.
(7) Herbert Maxwell, Robert the Bruce and …, p.177.
(8) Herbert Maxwell, A History of the House …, p.41 – 42.
(9) أبوه ماكدوغال إيرل ارغيل، كَانَ عضواً في المجلس الاستشاري للملك إدوارد الأول في إسكتلندا، وبعد تتويج إدوارد الثاني ملكاً أعلن عن تأييده له، توفي في عام 1310. للمزيد من المعلومات، يُنظر: Fiona Watson, Alexander Macdougall, lord of Argyll (d. 1310)", Oxford Dictionary of National Biography, Oxford University Press, 2004.

ممتلكاتهما في أرغيل وقلعة دونستافناج (Dunstaffnage)، لتصبح منطقة جنوب غرب إسكتلندا حكراً عَلَى الملك روبرت واتباعه[1]، فانعكست تلك الانتصارات سلباً عَلَى معنويات القادة الإنگليز والنبلاء الإسكتلنديين الموالين لهم، لاسيما بعد نقص الإمدادات والمرتبات المرسلة لَهُمْ من إنگلترا، وَهُوَ ما عده الملك روبرت مؤشراً عَلَى قرب زوال الحاميات الإنگليزية في إسكتلندا[2]، ولإدراك الملك روبرت أهمية القلاع في الانتشار العسكري الإنگليزي في إسكتلندا أمر بتدميرها مبيناً لاتباعه أَنَّهُ : "**مهما كانت جدران القلعة قوية, وبغض النظر عن مدى قوة إرادة الحامية للمقاومة, فإنها ستسقط حتماً**"[3].

واللافت أن إدوارد الثاني أهمل الملف الإسكتلندي، وركز على إعادة بيرس غافستون إلى إنگلترا بأي ثمن، فاستدعى نبلاءه لحضور برلمان وستمنستر في 27 نيسان 1309[4]، وقدَّم لهم تنازلات مقابل سماحهم بعودة بيرس[5]، الذي استقبله إدوارد باحتفال مهيب، ثم رافقه إلى جلسة البرلمان التي عقدت في تموز 1309 في ستامفورد (Stamford)، وساوم اعضاء البرلمان حين وافق على تخفيض التخصيصات المالية للأسرة الملكية، مقابل تصويتهم على إعادة غافستون لمنصب إيرل كورنول[6].

ويبدو أن إدوارد الثاني كان متيقناً بتجدد صراعه مع باروناته الذين شكلوا تمرداً موحداً ضده، لذا قرر استباق ذلك بكسب النبلاء، الذين اثبتوا ولائهم له سابقاً، فتتابعت منحه على أولئك النبلاء الملكيين[7]، وكان بديهياً أن تضعف تلك التجاذبات قدرة العرش الإنگليزي على تهيئة مستلزمات التصدي للمتمردين الإسكتلنديين، فلجأ إدوارد الثاني إلى صهره فيليب الرابع والبابا كلمنت الخامس (Clement V)(1305 – 1314) للتوصل

---

(10) Colm Mcnamee, The Wars of the Bruce …, p.69.

(1) Herbert Maxwell, A History of the House …, p.41 – 42.

(2) ستار حامد عبد الله، إنكلترا في عهد إدوارد الثاني 1307–1327، إطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بابل– كلية التربية للعلوم الانسانية، 2019, ص128.

(3) Bruce Webster, Anglo – Scottish Relations, 1296 – 1389, The Scottish Historical Review, Vol.74, No. 197, Part 1 (Apr., 1995), Edinburgh University Press, p.102 – 103.

(4) Parliamentary Writs and Writs of Military Summons, ed. F. Palgrave, Vol. IV, London, 1827, p.25 .

(5) J. S. Hamilton, Piers Gaveston Earl …, p.55.

(6) Frederick George Marcham, A History of England, New York, 1853, p.156 – 157.

(7) J. R. Maddicott, Sir Otto de …, p.325.

إلى هدنة بين إنكلترا وإسكتلندا، ومع أَنَّ تِلْكَ الوساطة اثمرت عن هدنة حتى مطلع تشرين الثاني 1309[1], لَكِنَّ الملك روبرت استمر في حملاته ضد إنكلترا[2]، لإدراكه أَنَّ في اضطرابها وضعف عاهلها فرصة لتحرير التراب الإسكتلندي، لاسيما أَنَّ نظيره الإنكليزي لَمْ يبد استعدادًا للاعتراف باستقلال إسكتلندا، وبدا واضحاً أَنَّهُ أراد كسب الوقت انتظاراً لشن حملات عليها، ومع أَنَّه خول قادته إجراء مفاوضات مَعَ نظيره الإسكتلندي تمخضت عن ابرام هدنة جديدة حتى 7 حزيران 1310[3], لَكِنَّ الملك روبرت باغت الإنكليز في بانف ليثبت عدم التزامه باتفاقاته معهم[4]، وهاجم الإسكتلنديون سفناً إنكليزية محملة بالمؤن للقوات المتمركزة في إسكتلندا[5]، وبدا واضحاً أَنَّ أهدافهم تمركزت على حاميات قلاع بيرث ولوثيان وبيرويك، وَهُوَ ما بينه قادة تلك الحاميات لعاهلهم إدوارد الثاني لكنه تجاهل تحذيراتهم لصراعه مع نبلائه المتمردين عليه[6].

اجتمع البرلمان في لندن بتاريخ 27 شباط 1310، وقدم اعتراضات حول السياسة المالية للعرش الإنكليزي، وضرورة إبعاد مستشاري الملك السيئين، في اشارة إلى بيرس غافستون[7]، تلى ذلك ارسال البارونات خطاباً تهديدياً إلى الملك في 16 آذار 1310، تضمن طلباً بنفي بيرس غافستون وتبني برنامج إصلاحي شامل، وتشكيل لجنة لتنفيذ تلك الإصلاحات التي عرفت بالمراسم (Ceremonies) بعد مصادقة الملك[8]، واضطر الأخير تحت وطأة الضغط الداخلي لإصدار ميثاق في اليوم ذاته منح فيه البارونات صلاحية اختيار أعضاء لجنة صياغة المراسم، مع تشكيل لجان فرعية لمتابعة

(1) Michael Penman, Op. Cit., p.112 – 113.
(2) Archibald Hamilton Dunbar, Op. Cit., p.132.
(3) Charles Knight, The Popular History of England: from the Invasion of Cesar to the end of the Reing of Edward III, Vol. 1, Bradbury and Evans, London, 1856, p.430.
(4) David Corinell, Kingdom Cleared of Castles: the Role of the Castle in the Campaigns of Robert Bruce, The Scottish Historical Revierw, Vol. 87, No. 224, October 2008, p.235 – 238.
(5) E. L. G. Stones, Anglo – Scottish Relations, 1174 – 1328, Edinburgh, 1964, p.122.
(6) Henry Owen, A Calendar of The Public Records, Vol. I, Cymmrodorion, London, 1911, p.10.
(7) J. R. S. Phillips, Aymer de Valence …, p.30.
(8) Mauricn Ashley, Great Britain to 1688, New York, 1961, p.125 – 126.

تطبيقها، فابتهج البارونات وأكدوا أن حقوق عاهلهم إدوارد الثاني وورثته لن تتعرض لأي خطر شرط التزامه بتنفيذ المراسم التي ستحدد اللجنة موعداً لإقرارها[1].

اعتقد إدوارد الثاني أن في حسم مشاكله مع نبلائه فرصة ثمينة لمهاجمة المتمردين الإسكتلنديين، فأمر بجمع جيش كبير في بيرويك في 8 أيلول 1310، لتكون منطلقاً لقواته نحو إسكتلندا[2]، وفي أواخر أيلول 1310 قاد جيشه إلى بيرويك، وأثناء مسير ادوارد الثاني تلقى خطاباً من نظيره الإسكتلندي، للنظر في حسم مشاكل مملكته مع إنگلترا، لكن الخطاب لم يلاقِ صدىً عنده، وعند أفراد بلاطه[3]، ثم شق ادوارد الثاني طريقه إلى بيرث الَّتِي حاصرها الإسكتلنديون، فوصلها في 3 تشرين الثاني من العام ذاته ونجح في إنهاء حصارهم، وزودها بكثير من المؤن والاسلحة، وتوجه شطر من الجيش الإنگليزي نحو مدينة لوثيان الَّتِي حاصرتها القوات الإسكتلندية, فانتصر الجيش الإنگليزي عَلَى الإسكتلنديين الَّذِينَ انسحبوا بسرعة تجنباً لإبادتهم، حينها قَرَّرَ روبرت بروس التضييق عَلَى الامدادات الإنگليزية لحامياتها في إسكتلندا، فأوعز لاتباعه بمهاجمة السفن الإنگليزية عَلَى سواحل بلاده الجنوبية لمنعها من تزويد حاميات لوثيان وبيرث بالمؤن[4]، ومع أَنَّ إدوارد الثاني اراد مهاجمة المدن الإسكتلندية الخاضعة للملك روبرت، لَكِنَ تجدد الأزمة مَعَ باروناته اجبرته على ابرام هدنة مع الملك روبرت للتفرغ لهم، وايجاد ملاذ أمن لغافستون في إسكتلندا، لذا أرسل في 17 كانون الأول 1310 روبرت كليفورد وروبرت فيتز للقاء ملك إسكتلندا في سيلكيرك, لكن الملك الغى الاجتماع خشية وجود كمين لاغتياله، وحين فشل إدوارد الثاني في كسب الملك روبرت في صراعه ضد باروناته، قرر كسبهم بذريعة الخطر الإسكتلندي على إنگلترا[5].

والحقيقة أن قلة من النبلاء استجابوا لدعوة إدوارد الثاني في تهيئة مستلزمات الحملة الإنگليزية الوشيكة على إسكتلندا، وشكل القاضي تشيرك مورتيمر في شباط 1311 محكمة للبت في قضية تغريم اهالي نورثمبريا (Northumbria) المتخلفين عن

---

(1) Jams H. Ramsay, Genesis of Lancaster or the three Reiguns of Edward II, Edward III, and Richard II, 1307 – 1399, Vol.1, London, 1913, p.27 – 28.

(2) Colm Mcnamee, The Wars of the Bruce …, p.49.

(3) رسالة الملك روبرت بروس الى الملك ادوارد الثاني في 1 تشرين الأول 1310، أنظر مخطوطة رقم **(5)**.

(4) Evan M. Barron, The Scottish War of Independence, London, 1934, p.110 – 112.

(5) Colm Mcnamee, The Wars of the Bruce …, p.51.

الانضمام إلى الحملة الإنكليزية، وبعد عدة جلسات غرم القاضي تشيرك سكان نورثمبريا مائة وخمسين ماركاً لتجاهلهم الاستدعاء الملكي للمشاركة في الحملة ضد إسكتلندا[1]، وأرسل الملك في 20 أيار 1311 خطابات إلى نبلائه دعاهم فيها لنبذ خلافاتهم مَعَهُ مؤقتاً، والتفرغ لمقاتلة المتمردين الإسكتلنديين، وطالبهم بتوفير الدعم العسكري واللوجستي لجيوش إنكلترا المرابطة في إسكتلندا، وجمع اتباعهم في روكسبرغ في تموز من العام ذاته لتسيير حملة ضد إسكتلندا[2]، وعرض مشكلة تمردها عَلَى البرلمان الإنكليزي[3]، لَكِنَّ البارونات اصروا عَلَى مناقشة مراسم تقييد سلطة الملك[4], وشجعوا اتباعهم عَلَى تجاهل دعواته بالذهاب إلى إسكتلندا[5]، ويبدو أن تنصل معظم بارونات إنكلترا عن التزاماتهم العسكرية ازاء العرش الإنكليزي يعود إلى اعتقادهم أنها محاولة لوأد معارضتهم لسياسة ملكهم الداخلية[6]، مما أفشل مساعي ارسال حملة ضد إسكتلندا في النصف الأول من عام 1311[7]، وهيأ فرصة ثمينة للملك روبرت لترسيخ سلطته في إسكتلندا[8].

ادرك الملك إدوارد الثاني خطورة تقاعس باروناته عن المشاركة في حراكه العسكري ضد إسكتلندا، فعقد اجتماعاً للمجلس الملكي في 16 حزيران 1311 لمناقشة سبل تعبئة باروناته ضد المتمردين الإسكتلنديين[9]، وفي 18 حزيران 1311 أصدر أوامر استدعاء لباروناته للتحشد في بيرويك في 8 أيلول 1311[10]، فلبى قلة منهم تلك الدعوة، منهم بيرس غافستون وروجر مورتيمر وإيرل غلوستر وروبرت كليفورد، لهدفين أولهما اظهار طاعتهم لعاهلهم[11]، وللحفاظ على ما تبقى من السيطرة الإنكليزية على

(1) Ibid, p.53.
(2) M. R. Powicke, Edward II and Military Obilgation in Medival England, London, 1962, p.81.
(3) David James Smith, Only Smiths Wallace Bruce Freedom, Lulu, 2015, p.111.
(4) ناطق عزيز شناوة، إدوارد الثالث وسياسته الداخلية في إنكلترا 1327 – 1377، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية/الجامعة المستنصرية، 2021, ص 20–21.
(5) Bertie Wilkinson, Studies in the Constitutional History of the Thirteenth and Fourteenth Centuries, Manchester, 1952, p.43 – 52.
(6) Vita Edwardi Secundi, ed. N. Denholm Young, Oxford, 1957, p.14.
(7) Parliamentary Writs, Op. Cit., Vol. IV, p.373, 382.
(8) G. W. S. Barrow, Robert Bruce and the Community …, p.181 – 182.
(9) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.108.
(10) Parliamentary Writs, Op. Cit., Vol. IV, p.395.
(11) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.100.

إسكتلندا[1]، بيد أن باقي النبلاء الإنكليز رفضوا مجاراتهم لرغبتهم في تقويم مسار سياسة عاهلهم الداخلية وإبعاد مستشاره غافستون قبل البت في القضية الإسكتلندية[2].

ولا ريب أَنَّ ما تقدم شكل فرصة ثمينة للملك روبرت لنقل فعالياته القتالية إلى إنكلترا، فاقتحم شمالها مطلع اب 1311[3]، فاضطرت أسقفيات الشمال الإنكليزي إلى ابرام هدنة مَعَه في 6 اب 1311 لكف اذاه عنها، مقابل دفعها بَعْضِ الأَمْوَال اليه[4]، وابرم سكان المقاطعات الحدودية الإنكليزية هدنة مَعَ الملك روبرت حتى 2 شباط 1312 عَلَى الشروط ذاتها[5]، وبلغ الخطر الإسكتلندي حداً دفع الملك الإنكليزي ذاته لإبرام هدنة مَعَ الملك الإسكتلندي أواخر أيلول 1311 قضت بانسحاب الإسكتلنديين من شمال إنكلترا[6]، الذي شهد دماراً كبيراً[7]، فانسحب الملك روبرت في 23 أيلول 1311[8].

توجه الملك روبرت بعد مدة وجيزة نحو إنكلترا واستولى عَلَى بَعْضِ قلاعها[9]، وفشل الإنكليز في التصدي له[10]، وتوازياً مَعَ ذلك التراجع الإنكليزي تعاظمت قوة إسكتلندا، وتوفرت موارد مادية لها من حملاتها عَلَى الإنكليز، فَضْلًا عن فتح موانئها أمام التجارة الخارجية، وهي أمور ايجاباً عَلَى تجهيز جيوشها وامكاناتها، فاسترجعت مزيداً من المدن الخاضعة للإنكليز في إسكتلندا، في مقدمتها داندي ولوثيان[11] لتقتصر

(1) Calendar of Inquisitions Post Mortem and Other Analogous Documents Preserved in the Public Record Office, Henry III – Richard III, Vol. V, London, 1904, p.300 – 305.
(2) Colm McNamee, The Wars of the Bruce …, p.49.
(3) A. Grant, Independence and Nationhood: Scotland 1306 – 1469, London, 1984, p.122 – 123.
(4) Cuthbert Sharp Knight, history of Hartlepool, Published John Procter, London, 1851, p.33.
(5) A. Grant, Op. Cit., p.122 – 123.
(6) M. R. Powicke, Op. Cit., p.90.
(7) J. Campbell, England, Scotland and the Hundred Years War in Europe in the Late Middle Ages, ed. J. R. Hale, J. R. L. Highfield and B. Smalley, London, 1965, p.321.
(8) A. Grant, Op. Cit., p.122 – 123.
(9) Hanawalt B. A., Crime and Conflict in English Communities 1300 – 1348, London, No date, p.105.
(10) A. Tuck and A. Goodman, War and Border Societies in the Middle Ages, New York, 1992, p.120.
(11) Robert Simpson, The History of Scotland, from the Earliest Period to the Accession of Queen Victoria, Oliver & Boyd, Edinburgh, 1848, p.39 – 40.

سيطرة إنگلترا عَلَى مدن وقلاع قليلة[1]، كـ بيرث، روكسبرغ، ستيرلنغ وإدنبرة[2]، وبلغ ضعف إدوارد الثاني ذروته حين خسر بعض نبلائه المقربين، ومنهم روجر مورتيمر الذي ترك مشاركته في الحملة الإسكتلندية وسار إلى لندن، وأظهر براغماتية كبيرة حين انظم إلى البارونات المتمردين على الملك، وشاركهم في فرض مراسم 11 تشرين الأول 1311، التي قيدت سلطته، فأثبت بذلك قدرته على تغيير ولاءاته وفقاً لمصالحه[3]، ثم سار بأتباعه إلى إسكتلندا للمشاركة في الحملة العسكرية عليها، فوصلها في 1 تشرين الثاني 1311، ومونَ قواته من مخازن بيرويك في 3 تشرين الثاني 1311[4].

وفور وصول الجيوش الإنگليزية جنوب إسكتلندا انسحب الملك روبرت إلى شمالها لاستنزاف قدرات الإنگليز في مجاهل بلاده قبل مواجهتهم[5]، وبعد بضعة أشهر، أدرك الإنگليز استحالة حسم الملف الإسكتلندي، بسبب براعة الملك روبرت، فضلاً عن تعقد المشهد السياسي الإنگليزي بعد عودة بيرس غافستون إلى إنگلترا من منفاه في الفلاندرز (Flanders)[6]، فتورط إدوارد الثاني مجدداً في صراع غير متوازن مع باروناته[7]، لاسيما بعد أن عقد أعضاء لجنة المراسم ورئيس أساقفة كانتربري اجتماعاً قرروا فيه اعتقال بيرس غافستون[8]، وأرسلوا في 4 أيار 1312 قوة إلى يورك (York) لاعتقاله، فغادرها بصحبة الملك إلى نيوكاسل (Newcastle)، ومنها إلى قلعة سكاربورغ (Scarborough Castle) المنيعة[9]، ثم عاد الملك إلى يورك، تاركاً صديقه غافستون فيها، فاقتحمتها قوات البارونات، واعتقلته مطلع حزيران 1312[10]، وبعد ثلاثة أسابيع اقتيد إلى جبل بلاك لو (Black Lo)، ثم قطع رأسه وتركت جثته في العراء[11].

(1) Lionel and Patricia Fan Thorpe, Mysteries and Secrets of Numerology, Dundurn Toronto Press, Britanie, 2013, p.224.
(2) Colm Mcnamee, The Wars of the Bruce …, p.55.
(3) Calendar of Chancery Rolls Various Preserved in the Public Record Office, London, 1277 – 1326, London, 1912, p.99 – 100.
(4) Colm McNamee, The Wars of the Bruce …, p.49.
(5) Paul Richard Dryburgh, The Career of Roger Mortimer, first earl of March 1287 – 1330, PhD thesis submitted to the University of Bristol – College of Arts - Department of Historical Studies, March 2002, p.33.
(6) Vita Edwardi Secundi, Op. Cit., p.22.
(7) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.34.
(8) David Hume, Op. Cit., Vol. II, p.85.
(9) T. F. Tout, The Political History of England, Vol. III 1216 – 1377, London, 1905, p.250.
(10) David Hume, Op. Cit., Vol. II, p.99.
(11) Susan Higginbotham, Op. Cit., p.11.

اقترنت تلك التحديات الداخلية بتمرد آل فيردون في مدينة دوليك (Dolic) الأيرلندية على الإدارة الإنكليزية فيها، بذريعة تدخلها في شؤونهم وتعديها على ممتلكاتهم في دوليك ولاوث (Louth)[1]، فهاجم نيكولاس دي فيردون (Nicholas de Verdon) وثيوبالد دي فيردون (Theobald de Verdon)[2] مع اتباعهما أراضي ملكية في مقاطعتي لاوث وميث[3]، مما دفع الإدارة الإنكليزية في أيرلندا للتفكير في استخدام القوة ضد المتمردين، لكن إدوارد الثاني بعد اطلاعه على حيثيات التمرد فوض روجر مورتيمر للتعامل مع التمرد بما يراه مناسباً، بوصفه مقرباً من العرش، وأبرز نبلاء المنطقة التي حدث فيها التمرد[4]، فاستبعد روجر مورتيمر الحل العسكري، وأجرى محادثات مع نيكولاس دي فيردون[5]، انتهت بإعلان المتمردين في 24 أيار 1312 استسلامهم أمام روجر، ووسطوه في تقديم مطالبهم أمام المجلس الإنكليزي في أيرلندا[6].

وهدأت الأوضاع في إنكلترا أيضاً بسبب نشوب خلافات بين البارونات المتمردين على الملك أضعفت تحالفهم، فانسحب بعض أعضاء لجنة المراسم وأعلنوا تأييدهم لسياسة ملكهم الذي استغل تلك الخلافات للقضاء على معارضيه من البارونات[7]، فأقنع سكان لندن في تموز 1312 أن معارضيه متمردين على شرعية العرش الإنكليزي، وبعد جولة في مدن أخرى، عاد إلى لندن وحضر جلسة البرلمان في آب 1312 لاستحصال موافقته على إلغاء المراسم بذريعة مخالفتها قوانين المملكة، لكن البارونات المتمردين أرسلوا الفاً من مقاتليهم إلى قاعة البرلمان، وأجبروا أعضائه على رفض طلبات ملكهم[8].

ومع أن النبلاء الويلزيين نأوا بأنفسهم عن ذلك التمرد، لكن بعضهم تمرد ضمناً على مؤسسة العرش الإنكليزي حين استغلوا ضعف الإدارة الإنكليزية فخاضوا سجلات

---

(1) Calendar of Fine, Op. Cit., p.76.

(2) (1278–1316): هو الابن الثاني الباقي على قيد الحياة لثيوبالد دي فيردان، من ألتون ستافورد، للمزيد، ينظر: George Edward Cokayne, Op. Cit., p.250 – 251

(3) Smith Brendan, Colonisation and Conquest in Medieval Ireland the English in Louth 1170 – 1330, Cambridge, 1990, p.101.

(4) Calendar of the Justiciary Rolls or Proceedings in the Court of the Justiciar of Ireland I to VII Years of Edward II, Dublin, 1905, p.238 – 239.

(5) Smith Brendan, Op. Cit., p.118.

(6) Calendar of Fine, Op. Cit., p.76.

(7) Mauricn Ashley, Op. Cit., p.126.

(8) T. F. Tout, The History of England …, p.252.

فيما بينهم، لاسيما جروفيد دي لابول (Gruffydd de la Poule)، الذي خاض سجالاً ضد حاكم باويس جون تشارلتون، للاستيلاء على ممتلكاته ولقبه، فتوسط القاضي تشيرك مورتيمر، وبعد فشل وساطته أصدر أوامر بإنهاء الحصار الذي ضربه جروفيد دي لابول على جون تشارلتون، وأوعز إلى الأخير بمغادرة قلعته خلسة، وحذر تشيرك مورتيمر جروفيد دي لابول من الاستمرار في اعماله العدائية، مؤكداً أنه بوصفه قاضياً على ويلز مسؤولاً عن امنها وديمومة السلطة الملكية فيها، لكنهما تجاهلا تلك المناشدات، فانتقد إدوارد الثاني في 13 آب 1312 أداء قاضي ويلز، ووبخه لفشله في إنهاء اضطراباتها[1]، وزاد الأمر سوءاً أن آل شارلتون كانون محسوبين على بيرس غافستون[2]، ومقربين من الملك إدوارد الثاني[3]، وهو ما بينه جروفيد دي لابول وعدد من البارونات المتمردين على الملك إدوارد الثاني، لاسيما إيرل اروندل[4]. وحاكم ويتنجتون فولك فيتز وارين (Whittington Folk Fitzwarren)، وفولك ليسترانج (Folk Lestrange)، حين أكدوا أن آل تشارلتون دعموا بيرس غافستون سابقاً، ولا بد من الانتقام منهم، وهكذا كادت تلك الأزمة تتحول إلى ملف اضافي لتصفية حساب المتمردين مع المحسوبين على الملك الإنكليزي، ومنطلقاً لحرب أهلية خطيرة[5].

أدرك روجر أن تلك التحركات جزء من مخطط باروني هدفه سحب الملكيات والألقاب التي منحها إدوارد الثاني إلى النبلاء الموالين له المرتبطين بشبكة عنكبوتية محورها صديقه الراحل غافستون[6]، وأن هدف مناوئي الملك تجريد آل مورتيمر وال تشارلتون من الهبات الملكية التي رسخت نفوذهم في ويلز وزادت سيطرتهم على أراضيها[7]، فتأزمت أوضاع إنكلترا بالشكل الذي رسخ سلطة الملك روبرت في إسكتلندا، وشجعه على إِضفاء الشرعية عَلَى صفته الملكية، من خلال ابرام اتفاقيات مَعَ بَعْضِ

(1) Calendar of Close Rolls Preserved in the Public Record Office, 1272 – 1509, Vol. 47, London, 1896, p.417, 419, 424, 459, 479.
(2) T. F. Tout, The Place of the Reign of Edward II in English History: Based upon the Ford Lectures delivered in the University of Oxford in 1913, Manchester, 1914, p.315.
(3) W. Dugdale, Monasticon Anglicanum, VI, ed. J. Caley, London, 1830, p.35
(4) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol II, p.191 – 192.
(5) Calendar of Fine, Op. Cit., p.68.
(6) Calendar of Patent, Op. Cit., p.188.
(7) Calendar of Ancient Correspondence Concerning Wales, ed. J. G. Edwards, Cardiff, 1935, p.102 – 103.

الممالك الأوربية تتضمن اعترافها بعرشه واستقلال مملكته، وتنظيم علاقاتها السياسية والاقتصادية معها، فأبرم في 29 تشرين الأول 1312 مَعَ ملك السويد والنرويج هاكون الخامس (Haakon V)[1]، معاهدة سكوتو (Scotto Treaty) الَّتِي اعترفت به ملكاً عَلَى إسكتلندا المستقلة، واسقاط ما بذمتها من ديون وتسوية حوادث القرصنة معها[2]، وعلى اثر ذلك هيأ الملك روبرت استحضاراته لمهاجمة الحاميات الإنكليزية فيما تبقى من مدن بلاده وقلاعها كـ ستيرلنغ، روكسبرغ، إدنبرة وبيرث[3]، وفي ظل تلك التحديات أوعز الملك إدوارد الثاني لنبلائه المقربين بتجنيد ما امكنه من مقاتلين استعداداً لشن حملة على إسكتلندا، فكسب النبلاء الملكيين بعض سكان أيرلندا بضمنهم المتمردين سابقاً على العرش الإنكليزي، فذهب أولئك المتمردون إلى قلعة دبلن (Dublin) في 17 نيسان 1313، وتم تجنيدهم في الحملة الإنكليزية الوشيكة على إسكتلندا[4]، فاتبع الملك روبرت نهجاً مضاداً متناسباً مع واقع وثوابت ومنطلقات وأهداف نظيره الإنكليزي، فأوعز للقائد جيمس دوغلاس بمهاجمة قلعة بيرث في كانون الأول 1313[5]، ولضمان السيطرة عليها ارتدى القائد جيمس ومقاتليه معاطف سوداء فوق دروعهم، وتسلقوا اسوارها ليلاً، واقتحموها[6]، ثم سمحوا لسكانها الإنكليز بافتداء أنفسهم مقابل العودة إلى بلادهم[7]، وتوجه الجيش الإسكتلندي نحو قلعة ستيرلنغ وحاصرها منذ شباط 1314[8]، وفي اذار من السنة ذاتها اقتحم القائد الإسكتلندي توماس راندولف قلعة إدنبرة بغتة[9]،

---

(1) ولد عام 1270, أَصْبَحَ ملكاً على النرويج عام 1299, وبنى قلاع ملكية لتحصين البلاد وضمان سلطته, الغى ألقاب إيرل وبارون من النبلاء, وحكم البلاد حكماً مطلقاً, لم يكن لديه ورثة ذكور, لذلك حين توفي عام 1319, انتقل العرش إلى حفيده من ابنته الأمير السويدي ماغنوس السابع ليصبح ملكاً للنرويج والسويد. للمزيد يُنظر: Eric Braum, Norway in Pictures, Larner Publication Gompany, Norwag, 2003, p.26.

(2) Caroline Bingham, Op. Cit., p.207.

(3) Colm Mcnamee, The Wars of the Bruce …, p.55.

(4) Calendar of Close, Op. Cit., p.456 – 457.

(5) T. F. Tout, The History of England …, p.258.

(6) Peter Purton, History of the Late Medieval Siege, 1200 – 1500, Boydell, London, 2010, p.90.

(7) Randall Storey, Technology and Military Policy in Medieval England C. 1250 – 1350, London, 2003, p.71.

(8) Peter Purton, Op. Cit., p.90.

(9) R. L. Mackie, The Story of King …, p.130.

وفور سماع إدوارد الثاني بذلك انهمرت دموعه لإدراكه أَنَّ إسكتلندا تحررت من سيطرته، وقرَّرَ بذل ما باستطاعته للدفاع عما تبقى من قلاعها، وحدث أمر اثناء حصار ستيرلنغ شجعه عَلَى تنفيذ رغبته، فقد توصل القائد إدوارد بروس في منتصف نيسان 1314 إلى اتفاق مَعَ فيليب موبراي (Philip Mowbray) قائد حامية ستيرلنغ[1]، مفاده أَنَّهُ في حالة عدم وصول أي قوات إنگليزية للقلعة ستستسلم حاميتها للإسكتلنديين, أَمَّا إذا جاءتْ قوات إنگليزية فسيتخلى الإسكتلنديون عنها, وسمح لموبراي بالذهاب إلى إنگلترا لإخبار ملكه بتلك الصفقة, ومع أَنَّ الملك الإسكتلندي غضب عَلَى أخيه فور علمه بذلك الأمر، لَكَنَ القائد فيليب موبراي بارح إسكتلندا، وأخبر ملكه بالاتفاق[2]، فاتفق الأخر مَعَ باروناته عَلَى تجاوز خلافاتهم ورص صفوفهم لتشكيل جيش يتولى تِلْكَ المهمة، ثم أصدر أوامره[3], بالتجمع في بيرويك في 10 أيار 1314, وبعد أنْ احتشد 20 ألف مقاتلاً في بيرويك, انتدب ستين سفينة لتموينهم بحراً، وأمرهم بالزحف نحو قلعة ستيرلنغ المحاصرة في 27 أيار 1314، وأَنَّهُ سيوافيهم في 24 حزيران 1314[4].

(1) David Corinell, Op. Cit., p.234.
(2) John Sadler, Bannockburn: Battle For Liberty, Yorkshire, 2008, p.80.
(3) Chris Brown, Bannockburn 1314, London, 2008, p.215.
(4) M. R. Powicke, Op. Cit., p.22 – 24.

المبحث الثاني

وقائع ونتائج صراع مؤسسة العرش الإنكليزي مع القوى المتمردة عليها 23 حزيران 1314 – 25 تموز 1316

تَتَبعَ الملك روبرت حيثيات سجاله المقبل مَعَ إنكلترا، فتوصل إلى أَنَّ متابعته مسار الحملة الإنكليزية تمنحه ميزة اختيار موعدها وموضع منازلتها، وبعد تتبع مسارها من إدنبرة إلى ستيرلنغ[1]، اختار الملك روبرت غابة توروود (Torwood Forest)[2]، قرب نهر بانوكبيرن (Banockbyrn River), مقراً له ولجيشه، لوقوعها جنوب قلعة ستيرلنغ بثلاثة أميال فقط، ومحاذاتها ضفاف النهر المغطاة بالأعشاب, فَضْلًا عن وجود مستنقعات كارس (Kars Swamps), الَّتِي يصعب عَلَى الفرسان الإنكليز التحرك فيها، وتُمكن الجيش الإسكتلندي من التجحفل في موضع دفاعي مناسب[3], وبعد تكامل قواته قسم بروس جيشه الَّذِي ضم ستة الأف مقاتل، إلى أربعة أقسام، تألف الأول من مقاتلي كاريك وارجيل ورأسها الملك روبرت، وضم القسم الثاني رجال غالاوي بقيادة إدوارد بروس، أَمَّا القسم الثالث فضم مقاتلي موراي وشمال إسكتلندا بأمرة توماس راندولف، وضم القسم الأخير رجال المقاطعات الحدودية برئاسة القائد جيمس دوغلاس[4].

استشرف الملك روبرت مشكلة التباين العددي بين جيشه والجيش الإنكليزي، وندرة الخيول في جيشه قياساً إلى كثرة الفرسان في الجيش الإنكليزي[5]، فوضع خطة

(1) John Barbour, The live and acts …, p.404.
(2) Caroline Bingham, Op. Cit., p.221 – 222.
(3) Colm McNamee, The Wars of the Bruce …, p.62 – 63.
(4) Sidney Dean, Op. Cit., p.55.
(5) John Sadler, Bannockburn …, p.87 – 88.

متوافقة مَعَ طبوغرافيتها وكمائنها وامكانات الفرق الإسكتلندية المرابطة فيها، وتقسيم المهام العسكرية بين تِلْكَ الفرق بكيفية تحول المعركة إلى خطوات متسلسلة تكمل احداها الأخرى للوصول إلى نصر إسكتلندي حاسم عَلَى اعدائه الإنكليز[1]، الَّذِينَ لا يستطيعون دخول قلعة ستيرلنغ إِلَّا من منفذ واحد حُفِرَتْ فيه فخاخ عديدة, لتكون مقابر للفرسان الإنكليز[2], مَعَ تهيئة النبالين ليكونوا عماد الجيش الإسكتلندي دفاعاً وهجوماً[3]، وعبأ الملك روبرت مقاتليه المرضى وغير المحترفين وطاقم تمويل جيشه خلف تل غيليس (Gillies Hill)، ليكونوا قوة داعمة لجيشه عند الضرورة[4], وبعد استكمال استعداداته أرسل قائديه جيمس دوغلاس وروبرت كيث لمعرفة الموضع الَّذِي وصله الإنكليز، واستطلاع قواتهم وامكاناتها وتسليحها، وحين عادوا أبلغوا ملكهم أَنَّ الإنكليز قادمين من إدنبرة بجموعٍ هائلة شديدة التنظيم[5]، فأمرهم الملك روبرت بإخبار رفاقهم بمعلومات مغايرة حفاظاً على معنوياتهم[6]، وتحسباً من رد فعل اتباعه في حال رؤيتهم عدد مقاتلي الجيش الإنكليزي خاطبهم الملك قائلاً: "**قد تكون أعداد العدو كبيرة، لكنها منهكة وغير منظمة، وأي إسكتلندي يفتقر للشجاعة يمكنه مغادرة ساحة المعركة حالاً**"[7].

توجهتْ القوات الإنكليزية نحو نهر بانكوبيرن في 23 حزيران 1314، فتخفى الإسكتلنديون في غابة توروود[8], وانتقل الملك روبرت إلى نيو بارك (New Park) عَلَى الجانب الغربي من فورث, للإفادة من قربه من نهر بانكوبيرن، فَضْلًا عن كثافة اشجاره واعشابه المليئة بالكمائن[9], ومحاذاته لمستنقعات كارس, الَّتِي يصعب عَلَى الفرسان الإنكليز التحرك فيها, وتحشدت فرقتي إدوارد بروس وجيمس دوغلاس شمالها، ولاستكمال الطوق العسكري الإسكتلندي المتناغم مَعَ طبوغرافية أرض المعركة، انتشرت فرقة راندولف في كيركتون (Kirkton) شمال شرقي نيو بارك[10].

---

(1) Colm McNamee, The Wars of the Bruce …, p.62 – 63.
(2) James K. McDonell and Robert B. Campbell, Lords of the North, General Store Publishing Hous, Canada, 1997, p.4.
(3) John Sadler, Bannockburn …, p.87 – 88.
(4) Ronald McNair Scott, Op. Cit., p.160.
(5) John Barbour, The live and acts …, p.422.
(6) Jeanie Lang, Op. Cit., p.32.
(7) John E. Morris, Bannockburn, Cambridge, 1914, p.24 .
(8) Ronald McNair Scott, Op. Cit., p.160 – 161.
(9) Chris Brown, Op. Cit., p.271.
(10) Caroline Bingham, Op. Cit., p.224.

ويؤخذ على الملك إدوارد الثاني أنه لم يستفد من تحديد فرق استطلاعه مواقع الإسكتلنديين، واثبت جهله العسكري حين قرر مهاجمة تِلْكَ المواقع، رغم صعوبة ولوجها وانتشار الإسكتلنديين بكيفية توافقت مَعَ تضاريسها، ووجود عشرات الكمائن والفخاخ فيها، وتمثل الخطأ الثاني بتنازع إيرل غلوستر وهمفري دي بوهان[1]، في ظرف دقيق حول قيادة طليعة الجيش الإنكليزي الَّذِي سينفذ عملية الاقتحام، واضطرار الملك إدوارد الثاني إلى اسناد القيادة لكليهما تجنباً لاستشراء خلافهما، كما أَنَّهُ اردف قواتهما بفرقة ثانية لتسير القوتان في مسارين متوازيين، هما: طريق كارس والطريق الروماني القديم، لتعملان كفكي كماشة لحشر الإسكتلنديين بين القوات الإنكليزية من جهتي اليمين واليسار، متجاهلاً سعة انتشار القوات الإسكتلندية وتباين تشكيلاتهم، وتخفي أغلبهم بين الاعشاب والاشجار، واستناداً لتلك الخطة سلكت الفرقة الإنكليزية الأولى الطريق الروماني القديم ثم توغلت في الغابة[2]، لَكِنَّها سقطت في فخ اعدائها، لأنها دخلت موضعاً مليء بالأشجار والاعشاب والارض الرخوة المليئة بالكمائن، فتشتت مسارها، وافتقد مقاتلوها ميزة رؤية اعدائهم، فسقط بعضهم في الكمائن، وهاجمهم الإسكتلنديون دون أنْ يستطيعوا حراكاً، لكنهم عززوا بمزيد من الفرسان الإنكليز، فحدث قتال شديد مَعَ الإسكتلنديين داخل الغابة، ثم أغار الملك روبرتَ علَى الإنكليز بدعم القوات الإسكتلندية الَّتِي نزلت من تل غاليس، ورمى فأساً عَلَى القائد الإنكليزي همفري بوهون فلق هامته[3]، ففقد الإنكليز انضباطهم وامسوا فريسة للإسكتلنديين الَّذِينَ طوقوهم من ثلاثة اتجاهات، ولم ينجوا سوى أربعمائة مقاتل انسحب بهم إيرل غلوستر بصعوبة[4].

أوعز الملك إدوارد الثاني في اليوم ذاته للقائد الإنكليزي كليفورد بالابتعاد ما امكنه ذلك عن الكمائن الإسكتلندية للوصول إلى ستيرلنغ بأمان, فقاد كليفورد قواته بحذر, وكاد يجتاز كارس ويصل قلعة ستيرلنغ بنجاح لولا القائد الإسكتلندي توماس راندولف الذي أسرع لمواجتهه، وشكل مربع متحرك يصعب عَلَى الفرسان اختراقه، فتراجع كليفورد وبومون إلى معسكر الملك إدوارد الثاني, وسرعان ما انهارتْ الروح

(1) Michael Brown, Bannockburn: The Scottish War and the British Isles 1307 – 1323, Edinburgh, 2008, p.217.
(2) John Sadler, Bannockburn …, p.88 – 89.
(3) Hanawalt Margaret Macarthur, History of Scotland, New York, 1889, p.49 – 51.
(4) John Sadler, Bannockburn …, p.90 – 91.

المعنوية في صفوف الإنگليز[1]، وفي ذلك الظرف الدقيق أخبر السير كليفورد ملكه أَنَّ هناك أرض صلبة شمال مواقع الإسكتلنديين يمكن اتخاذها معبراً إلى ستيرلنغ، فقرر الملك اتخاذ تِلْكَ الأرض مساراً إلى ستيرلنغ، وعبور نهر بانكوبيرن ليلاً مَعَ سلاح الفرسان والرماة ثم يتبعه مشاته صباح اليوم التالي الموافق 24 حزيران، ليكتمل حشدهم أمام قلعة ستيرلنغ ويخوضوا معركة فاصلة ضد الإسكتلنديين في أرض مفتوحة[2].

ويبدو أَنَّ الملك الإسكتلندي روبرت بروس كَانَ متوقعاً ذلك المخطط لَكِنَهُ اعتقد أَنَّ نظيره الإنگليزي سيعبر نهر بانكوبيرن بجميع جيشه، وَهُوَ أمر تخوف منه الملك روبرت لاعتقاده أَنَّ امكاناته العسكرية لا تمكنه من خوض معركة في أرض مفتوحة ضد الجيش الإنگليزي المتفوق عليه عددياً، لذلك فكر الملك روبرت بالانسحاب إلى لينوكس وإنهاء حصاره عَلَى ستيرلنغ[3], لَكِنَّ الإسكندر سيتون (Alexander Seton)[4], وَهُوَ قائد إنگليزي من اصول إسكتلندية، جاء إلى الملك روبرت متخفياً في جنح الليل، وأخبره عن خطة الملك إدوارد الثاني والانقسامات الموجودة بين قادته, فأصبح الملك روبرت عَلَى دراية كاملة بمخطط نظيره الإنگليزي, الَّذِي سيضمن للإسكتلنديين الانفراد بالفرسان والرماة الإنگليز قبل عبور رفاقهم المشاة[5]، لذا قَرَّرَ الملك روبرت خوض معركة مصيرية ضد الإنگليز، ولأهمية تلك المعركة في تحديد مستقبل بلاده[6]، خاطب جيشه قائلاً: "**لدينا كل الأسباب الَّتِي تجعلنا واثقين من نجاحنا, لأنّ الحق في جانبنا, فأعدائنا يقاتلون من أجل الهيمنة والسيطرة, لكننا نقاتل من أجل أطفالنا, وزوجاتنا, وحياتنا, وحرية بلادنا, وبذلك يجب أنْ تقاتلوا بطريقة تصون شرفكم**"[7], ثم عبأ الملك روبرت قواته، فوضع إدوارد بروس عَلَى ميمنتها, وتوماس راندولف عَلَى يسارها, وجيمس دوغلاس في وسطها, ونشر الرماة عَلَى أجنحتها, متجحفلاً مَعَ فرقته خلفها**(8)**.

---

(1) Alex Miller, Miller's Handbook of Central Scotland, Oliver & Boyd, Edinburgh, p.58.
(2) Michael Brown, Bannockburn …, p.117.
(3) Chris Brown, Op. Cit., p.277.
(4) Caroline Bingham, Op. Cit., p.230.
(5) John T. Koch, Celtic Culture A. Historical Encyclopedia, Vol. I, ABC- Clio, London, 2006, p.167.
(6) William Burns, The Scottish War of Independence, Vol. II, Glasgow, 1874, p.234 – 235.
(7) Colm Mcnamee, Robert Bruce our Most …, p.202.
(8) John Barbour, The Bruce, Edinburgh, 1997, p.65 – 68.

باغتَ الجيش الإسكتلندي القوات الإنكليزية أثناء زحفها إلى ستيرلنغ فتسأل الملك إدوارد الثاني متعجباً: "**هل سيقاتلون في أرض مفتوحة؟**"، لأنّ ذلك غاير توقعات الجميع بضمنهم الملك روبرت, فأصدر الملك إدوارد الثاني أوامره إلى إيرل غلوستر بالاِشْتِباكٌ مَعَ الإسكتلنديين قبل وصولهم إليه، لَكِنَّ الأخير تردد في تنفيذ الأمر لأن قواته في غاية الاجهاد بعد المعركة الَّتِي خاضتها في الليلة السابقة لَكِنَّ الملك اتهمه بالتخاذل، مما أثار حفيظته، فحمل هُوَ وروبرت كليفورد بفرسانهما عَلَى الإسكتلنديين[1]، وبعد قتالٍ شديدْ قتل إيرل غلوستر وروبرت كليفورد وكوكبة من كبار القادة الإنكليز، وتعرض الإسكتلنديين بدورهم إلى ضغط شديد لاسيما فرقة إدوارد بروس، فأنضم إِلَيْهِا توماس راندولف وجيمس دوغلاس بفرقتيهما، مما دفع الرماة الويلزيين[2]، لاستهداف فرقة دوغلاس لتشتيتها ومنعها من دعم فرقة إدوارد بروس، فتكبدت الفرقة خسائر فادحة، وكادت تنهزم لولا ايعاز الملك روبرت للقائد الإسكتلندي كيث باستهداف الرماة الويلزيين لإجبارهم عَلَى الانسحاب[3], فطرد القائد كيث الرماة، ليفقد الإنكليز سلاحاً مهماً جعل هزيمتهم حتمية، فاِشتَدَّت الوطأة عَلَى الجيشِ الإنكليزي، وقتل أغلب مقاتليه عَلَى مرأىً من رفاقهم الَّذِينَ منعهم وجودهم عَلَى الضفة الأخرى من مساعدتهم[4].

تتبع الإنكليز قتالهم اليائس مَعَ ملكهم إدوارد الثاني الَّذِي قاتل بضراوة ورفض مغادرة ساحة المعركة، لولا ضغط إيرل بمبروك عليه، فانسحبَ إلى قلعة ستيرلنغ, ثم غادرها بطلب من قائد حاميتها خشية وقوعه في قبضة الجيش الإسكتلندي[5]، فتوجه وما تبقى من القوات الإنكليزية نحو إدنبرة[6]، وبعد اقتراب القائد جيمس دوغلاس منها،

(1) Robert White, History of the Battle of Bannockburn, Fought A.D. 1314, Edmonston and Douglas, Edinburgh, 1871, p.82 – 90.
(2) P. Meadows, A Source Book of London history from the Earliest Times to 1800, G. Bell and Sons, Ltd, London, 1914, p.51 – 52.
(3) Hugh Chisholm, Encyclopedia Britannica: A Dictionary of Arts, Sciences, Literature and General Information, Vol. 23, Cambridge Unversity Press, New York, 1911, p.397.
(4) Robert White, Op. Cit., p.113 – 115.
(5) John Harris, True Stories from the History of Scotland: Intended as a Companion to True Stories from English History, S. and R. Bentley, 1829, p.67.
(6) John Richard Green, History of the English People, Vol 1, Harper & Brothers Publisher, New York, 1886, p.232.

غادرها ورفاقه إلى قلعة بيرويك[1]، ولا شك أَنَّ تلك المعركة اِنْتَهَتْ إلى تداعيات خطيرة، ابرزها سيطرة الإسكتلنديين عَلَى قلعة ستيرلينغ, واعتراف البابا كلمنت الخامس ضمناً بروبرت ملكاً شرعياً لإسكتلندا[2]، وتوسع مدى الغارات الإسكتلندية نحو العمق الإنكليزي، فاجتاز إدوارد بروس وجيمس دوغلاس حدود إنكلترا في 1 أب 1314، وعاثاً فساداً في بلدات نورثمبريا وقراها، وتوغلا حتى نهر التايمز ثم انسحبا[3].

لَمْ يشأ الملك روبرت خوض مضمار تحدي إنكلترا إلى اقصاه، لأنه كَانَ في غنى عن سجالات اضافية معها في تِلْكَ الحقبة، لاسيما بعد وساطة عاهل فرنسا فيليب الرابع، الَّتِي كَانَ لها وقعها عَلَى الملك روبرت، فأرسل خطاباً إلى إدوارد الثاني في 20 تشرين الأول 1314 أوضح فيه رغبته في إبرام هدنة مَعه، شريطة اطلاق سراح زوجته وباقي افراد عائلته مقابل اطلاق سراح الأسرى الإنكليز، وحين رفض إدوارد الثاني[4]، جمع الملك روبرت بروس برلمانه في كامبوس كينيث (Camsbus kenneth) في 6 تشرين الثاني 1314، وأعلن مصادرة املاك النبلاء الإسكتلنديين الموالين لإدوارد الثاني, وهي خطوة نمت عن دهاء سياسي لأن أولئك الملاك تنصلوا من روابطهم مَعَ إدوارد الثاني، وأعلنوا ولائهم التام للملك روبرت، فغدت جميع إسكتلندا تابعة له عدا بيرويك[5].

اقترن الخطر الإسكتلندي على إنكلترا باستمرار الاضطرابات الداخلية بين مؤسسة العرش الإنكليزي وباروناتها "**بسبب رفضها المراسم التي فرضت عليها، وتحفظها على سيطرة البارونات على الإدارة الملكية**"[6]، فغدت تلك الحقبة محورية في تاريخ إنكلترا، لاسيما بعد أن كادت الالة العسكرية الإسكتلندية تسحق نظيرتها الإنكليزية[7]، وفي ضوء ما تقدم قرر الملك روبرت إتمام تحرير بلاده[8]، من خلال نقل

(1) Charles H. Pearson, English History in the Fourteenth Century, London, 1876. p.154.
(2) J. Raine, Historical papers and letters from the Northern Registers, London, 1873, p.216 – 217.
(3) N. Gemini Sasson, The Honor Due A King : the Bruce Trilogy, Cader Idris Press, 2011, p.30.
(4) Wendy R. Childs, Vita Edwardi Secundi, New York, 2005, p.100 – 101.
(5) Ronald McNair Scott, Op. Cit., p.169.
(6) J. R. Maddicott, Sir Otto de …, p.160 – 258.
(7) A. J. Otway Ruthven, A History of Medieval Ireland, London, 1968, p.105.
(8) C. W. Previte Orton, The Shorter Cambridge Medieval History, Vol. II, University Press Cambridge, Cambaridge, 1960, p.898.

فعالياته القتالية إلى أيرلندا لفتح جبهات متعددة عَلَى إنگلترا لتشتيت جهدها العسكري[1]، تزامناً مع استمرار حراكه العسكري في المناطق المحاذية للحدود الإنگلو – إسكتلندية، فنشر شائعات عن نيته "**السيطرة عَلَى أيرلندا وويلز**", وقطف ثمار مخططه قبل تنفيذه حين سحب إدوارد الثاني أغلب قواته من شمال إنگلترا وجنوب إسكتلندا إلى ويلز وأيرلندا تحسباً من هجوم إسكتلندي عليهما، فغدت الجبهة الإسكتلندية بمنأى عن الخطر العسكري الإنگليزي، وتهيأت ظروف تحرير ما تبقى منها[2]، وبقدر تعلق الأمر بالمشروع العسكري الإسكتلندي في أيرلندا فَإِنَ الملك روبرت اعتقد أَنَّ الروابط العرقية بين الإسكتلنديين والأيرلنديين ومعاناتهما من التسلط الإنگليزي يمنحهُ فرصةً تأليب الأيرلنديين عَلَى إنگلترا، وحرمان العرش الإنگليزي من الموارد الاقتصادية والبشرية الأيرلندية الَّتِي طالما استُخْدِمَتْ في الحراك العسكري الإنگليزي ضد لإسكتلندا، لَكِنَّ الملك روبرت قرر استبدال السيطرة الإنگليزية بسيطرة إسكتلندية عَلَى أيرلندا[3]، فشدد اثناء لقائه بَعْضِ النبلاء الأيرلنديين عَلَى أَنَّ تخليصهم من إنگلترا مشروط بتسنم أخيه إدوارد عرش بلادهم[4]، ولاستقطاب الأيرلنديين لمخططه، بعث خطاباً إِليهِم أطلق فيه اسم امتنا عَلَى الشعبين الإسكتلندي والأيرلندي في اشارة إلى تشابه عرق وتقاليد ولغتي الشعبين، وضرورة الإفادة منها لدعم المشروع الإسكتلندي الوشيك في أيرلندا، لَكِنَّ النبلاء الإنگلو – أيرلنديين رفضوا حيثيات ذلك الخطاب واهدافه جملة وتفصيلاً[5]، بضمنهم روجر الذي أمر اتباعه بتطوير دفاعات قلاعه في ميث، لأنها بوابة الإسكتلنديين إلى دبلن[6].

وأكد أحد المؤرخين أن النبلاء الإنگلو – أيرلنديين كانوا مدركين أن ما ورد في خطاب الملك روبرت لم ينطلق من عاطفة قومية نحوهم، بل بسبب اطماعه في أيرلندا التي زارها مراراً قبل تسنمه عرش إسكتلندا[7]، واطلع على خيراتها، لذا اراد إنهاء السيطرة

(1) Robin Frame, Ireland and Britain, 1170 – 1450, London, 1998, p.80 – 81.
(2) Caroline Bingham, Op. Cit., p.251.
(3) Sean Duffy, The Bruce Brothers and the Irish Sea World 1306 – 1329, Cambridge, 1991, p.63.
(4) Caroline Colvin, The Invasion of Ireland by Edward Bruce, A Thesis Submitted for the Degree of Doctor of Philosophy, Univesity of Pennsylvania, 1901, p.13 – 14.
(5) J. F. Lydon, England and Ireland in the later Middle Ages essays in honour of Jocelyn Otway-Ruthven, Dublin, 1981, p.66 – 67.
(6) H. G. Richardson & G. O. Sayles, The Administration of Medfeval Ireland, Dublin, 1963, p.84.
(7) Colm McNamee, The Wars of the Bruce …, p.37.

الإنكليزية عليها واستثمار خيراتها لدعم إسكتلندا التي تدمرت بسبب حروبها مع إنكلترا[1]، واعتقد الملك روبرت أيضاً أن غزو أيرلندا سيجبر نظيره الإنكليزي على الاعتراف باستقلال إسكتلندا[2]، مع أن القائد جون ارغيل (John Argyll)[3] احتل جزيرة مان (Isle of Man)، وثبت السيطرة الإنكليزية على الشواطئ الغربية في آذار 1315[4].

وهنا من المناسب القول أن الملك إدوارد الثاني بذل جهداً لافتاً لإفشال محاولات روبرت بروس بالتقرب من الأيرلنديين، فأرسل خطابات إلى نبلائهم دعاهم فيها إلى دعم جهود إنكلترا في التصدي للإسكتلنديين، وأكد انه فوض وفداً إنكلو – أيرلندياً من ثلاثة اشخاص هم قاضي أيرلندا إدموند بتلر (Edmund Butler)[5]، وامين خزانة دبلن ريتشارد دي بيريفورد (Richard De Berreford)[6]، ومستشار خزانة دبلن والتر إيسليب

(1) Rev. James Mackenzie, The History of Scotland, London, 1902, p.169.

(2) A. A. M. Duncan, The Scots invasion of Ireland 1315 The British isles, 1100 – 1500 Comparisons Contrasts and Connections, Edinburgh, 1988, p.100 – 117.

(3) (1295 – 1333): احد النبلاء الإسكتلنديين، له دور في حروب إنكلترا وإسكتلندا، توفي في قلعة دانفرك بإسكتلندا، للمزيد ينظر: N. A. M. Rodger, The Safeguard of the Sea : a Naval history of Britain 660 – 1649, Vol. I, London, 1998, p. 504 – 509.

(4) Calendar of Patent, Op. Cit., p.263.

(5) (1278 – 1321): والده ثيوبالد بتلر وامه جوان فيتز جيفري، تزوج جوان فيتز جيرالد وانجبا أربعة اطفال، انضم إلى برلمان أيرلندا عام 1302، وأصبح نائبًا لقاضيها حتى أيار 1305، ثم قاضيا لها من 1312 إلى 1318، قاد حملة لإخضاع عشيرة أوبيرن في لينستر، منحه إدوارد الثاني لقب إيرل كاريك، توفي في 13 أيلول، ودُفن في كنيسة سانت ماري، ينظر: John Lodge, The Peerage of Ireland or, A Genealogical History of The Present Nobility of That Kingdom, Vol. IV, Dublin,1789, p.6.

(6) (؟؟ – 1318): رجل دين وقاضي إنكليزي، عائلته من بارفورد في وارويك، امتهن جمع الضرائب في ووستر عام ١٢٨٣، وعمل في خدمة أسقف سالزبوري عام 1284، أصبح عام 1291 قسيسًا، تسنم منصب أمين خزانة أيرلندا بين عامي 1300 و 1308، وكُلف بكسب الاكليروس الأيرلنديين للتعبئة ضد إسكتلندا، اصبح مستشار لورد أيرلندا من عام ١٣١٤ إلى ١٣١٧، أنظر: H. S. Sweetman, Calendar of documents, relating to Ireland, preserved in Her Majesty's Public Record Office, Vol. V, London, 1302 – 1307, p.51, 63 – 70.

(Walter Islip)[1]، وسينظم ذلك الوفد أوضاع أيرلندا مالياً، وسيوضحون للأيرلنديين رؤية العرش الإنگليزي للمخاطر الإسكتلندية على بلادهم[2].

وتسارعت خطى الصراع حين هيأ الملك روبرت في اذار 1315 ستة الأف مقاتل بقيادة إدوارد بروس، واثنتي عشر سفينة لحملهم إلى أيرلندا[3]، وفي اليوم ذاته استكمل الملك إدوارد الثاني استحضارات الدفاع عن أيرلندا حين عين جون دي بوتيتورت (John de Botetourt)[4] أميرالاً للبحار الشرقية، وأرسل أسطولاً إلى سلايز (Slice) لاعتراض السفن الإسكتلندية التي تقترب من شواطئ أيرلندا[5]، وضرب حصاراً على الموانئ الإسكتلندية[6]، وكان مقررًا أن تسير حملة جون دي بوتيتورت بالتوازي مع حملة جون أرغيل الذي كُلِفَ بشن حملة على شواطئ إسكتلندا الغربية[7]، كما أصدر الملك إدوارد الثاني أمراً لروجر مورتيمر بـ "**الذهاب إلى أيرلندا**" للدفاع عن شمالها[8]، وفور وصوله اليها مطلع أيار 1315[9]، عينَ روجر هيو دي توبيلتون (Hugh de

---

(1) (1280 – 1348): ولد في اكسفورد، شغل منصب رئيس محاسبي الضرائب، شغل منصب أمين الخزانة ثلاثة مرات بين عامي 1314 و1325، وأثناء الغزو الإسكتلندي لأيرلندا، كان مسؤول جمع التبرعات للدفاع عن دبلن، وأقام في قلعتها، تعاون مع جون هوثام، المستشار السابق لخزانة أيرلندا، حصل على إلغاء الحرمان الكنسي الذي صدر ضده عام 1329، عاد إلى دير كيلماينهام لقضاء سنواته الأخيرة، للمزيد، أنظر: F. Elrington Ball, Op. Cit., Vol. I, p.28, 58 – 61.

(2) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.202 – 203.

(3) Grant G. Simpson, The Scottish Soldier Abroad, 1247 – 1967, Edinburgh, 1992, p.2 – 3.

(4) (1265 – 1324): كان حاكمًا لسانت بريافيلز عام 1291، وأصبح أميرال الشمال بين عامي 1294 و1297، ثم بارون بوتيتورت عام 1305، شارك في الحملة على إسكتلندا عام 1307، عُين حاكمًا لفراملينجهام عام 1314، ثم أميرالًا لبحر الشمال عام 1315، شارك في معركة بوروبريدج إلى جانب توماس لانكستر، ثم عفي عنه في ٨ تشرين الأول 1322، توفي في ٢٥ تشرين الثاني، ينظر: Richard Gorski, Botetourt, John, first Lord Botetourt d. 1324, Oxford, 2009.

(5) Calendar of Close, Op. Cit., p.218 – 219.

(6) J. R. Maddicott, Sir Otto de …, p.168.

(7) Colm McNamee, Robert Bruce our Most …, p.169 – 170.

(8) Calendar of Patent, Op. Cit., p.277.

(9) J. R. S. Phillips, Documents on the Early Stages of the Bruce invasion of Ireland 1315 – 1316, Oxford, 1979, p.249.

(Turbilton قائداً لقلعة كيلدير (Kildare Castle) في 18 أيار[1]، للاستفادة من موقعها في الدفاع عن شمال أيرلندا ازاء الهجوم الإسكتلندي المرتقب، و"**بعد يومين ... أرسل شريف دبلن إليهِ بعض الاسرى الذين اعتقلهم في جزيرة مان، لتثبيط عزيمة الإسكتلنديين عن مهاجمة دبلن**"[2]،

وبلغ التوتر العسكري ذروته حين تغاضى الملك روبرت عن الرفض الأيرلندي لمشروعه، والتدابير العسكرية الإنگليزية المضادة له[3]، واستبق حملته بحسم موضوع وراثة عرشه لمنع اقتتال نبلاء مملكته في حال وفاته، فجمع برلمانه في 27 نيسان 1315, وتقرَّرَ انه: "**إذْا توفى الملك دون وريث ذكر, فينتقل تاجه إلى إدوارد بروس, وإذْا توفى كلاهما دون ورثة ذكور ينتقل إلى مارجوري**"، الَّتِي ستقترن بوالتر ستيوارت (Walter Stewart), ووافق البرلمان عَلَى مهاجمة أيرلندا[4]، وفي أيار 1315 انطلق الأسطول الإسكتلندي من ميناء آير, فوصل إلى لارن (Larne)، في 26 أيار 1315 واِشْتَبَكَ مَعَ قبائلها[5]، ثم احتل لينستر (Leinster) وتوموند (Tommond)[6].

وحرصاً على تشتيت الجهد العسكري الإنگليزي اقتحم الملك روبرت شمال إنگلترا، ودمر هورت (Hort), كوربورغ (Corborog), ودورهام الَّتِي توصل أسقفها لويس دي بومونت (Louis de Beaumont)[7]، إلى هدنة امدها عامين مَعَ الإسكتلنديين مقابل فدية قدرها الفان وأربعمائة مارك[8], ثمّ اقتحم بينريث (Penrith), كارلتون

---

(1) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.42.
(2) Philomena Connolly, Irish Materials in the Class of Ancient petitions in the Public Record Office, London, 1987, p.230, 239.
(3) Rev. James Mackenzie, Op. Cit., p.169.
(4) Marilyn Kohinke Washburn, Swords of the Spirit, Author House, USA, 2005, p.239.
(5) Sean Duffy, Medieval Ireland an Encyclopedia, Routledge, New York, 2005, p.51.
(6) P. Hume Brown, Op. Cit., p.162.
(7) (1270 – 1333): ولد في نوتنغهام، اباه لويس دي برين وأمه أغنيس دي بومونت، عمل أميناً لصندوق سالزبوري ثم أصبح أسقف دورهام في 9 شباط 1317، بدعم من الملكة ايزابيلا بذريعة الإفادة من نفوذه لحماية حدود ابرشيته من الخطر الإسكتلندي، تم تكريسه في دورهام في 26 آذار 1318، فبذل نشاطات لمنع الإسكتلنديين من مهاجمة بلاده لكنه فشل في ذلك، توفي في 24 أيلول، للمزيد، ينظر:- Hugo Schwyzer, Northern Bishops and the Anglo-Scottish War in the Reign of Edward II, Boydell Press, Woodbridge, 1999.
(8) Thomas Thomson, Earliest times to the death of Robert Bruce 1329, Vol. II , Blackie & Son Limited, London, 1896, p.245 – 246.

(Carlton), سوربري (Surpri) وكوبلاند (Copeland)[1]، وهاجم كارلايل في 29 حزيران 1315، فصدته حاميتها بقيادة أندرو هاركلي (Andrew Harclay)[2]، ويحسب على مؤسسة العرش الإنكليزي أنها اكتفت بمراقبة التطورات في شمال إنكلترا وأيرلندا[3]، وطلبت من نبلائها في تموز 1315 إرسال ما بحوزتهم من معلومات عن تحركات الإسكتلنديين[4]، وفي ذلك الظرف العصيب مرت أيرلندا بضائقة مادية أدت إلى عدم دفع اجور المقاتلين الإنكلو – أيرلنديين، وزجت نبلائهم في خلافات اضعفت قدرة إنكلترا في التصدي للإسكتلنديين[5] وركزت جهودها على ويلز دون سواها[6].

ناشد نبلاء أيرلندا الملك الإنكليزي بإنهاء الضائقة المالية التي آلمت بـ أيرلندا، فأرسل موظفاً ملكياً إلى أيرلندا يدعى جون دي هوثوم (John de Hothom)[7] في 1 أيلول 1315، مع منحه صلاحيات الإشراف على خزانة دبلن الخاوية، والعفو عن المجرمين شريطة اشتراكهم في قتال الإسكتلنديين، واسقاط الديون عن الأيرلنديين المشتركين في قتالهم، والنظر في الدعاوى التي اقامها بعض الأيرلنديين ضد الإسكتلنديين لاتخاذ القرارات المناسبة بشأنها[8]، ونبهت مؤسسة العرش هوثوم باستخدام الوسائل التي تعزز الولاء لإنكلترا وتشجع المقاومة الأيرلندية ضد الإسكتلنديين[9]، وكانت

---

(1) ستار حامد عبدالله العماري, المصدر السابق, ص 137.

(2) (1270 – 1313): هو الابن الأكبر لعمدة كمبريا السير مايكل هاركلي, خلف اباه في منصبه عام 1311، شارك في حروب بلاده ضد إسكتلندا، تم تنصيبه إيرل كاريك, دعم إدوارد الثاني ضد لانكستر, فحسده هيو ديسبنسر، وحرض الملك ضده, يُنظر: Isaac Kimber, History of England, from the Earliest Accounts of Time, to the Death of the Late Queen Anne, Vol. I, London, p.249.

(3) William Sanderson, The Border Magazine An Illustrated Monthly, Vol. 10, John Menzies & Co., London, 1905, p.189.

(4) J. R. S. Phillips, The Mission of John de Hothum to Ireland 1315 – 1316, London, 1981, p.66 – 67.

(5) Calendar of Close, Op. Cit., p.186.

(6) R. F. Frame, The Bruces in Ireland, 1315 – 1318, Cambridge, 1974, p.3 – 37 ; R. F. Frame, Ireland and Britain, 1170 – 1450, London, 1998, p.71 – 98.

(7) (؟؟ – 1361) : ظل عميدًا لكلية الملكة في أكسفورد من عام ١٣٥٠ إلى عام ١٣٦١، وشغل منصب مستشار جامعة أكسفورد بين عامي ١٣٥٧ و١٣٦٠، دُفن في تشينور في مذبح كنيسة أوكسفورد، أنظر: A. M. W. Stirling, The Hothams Being the Chronicles of the Hothams of Scorborough and South Dalton from their Hither to Unpublished family, Vol. I, London, 1918, p.1 – 19.

(8) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.275.

(9) J. R. S. Phillips, The Mission of John …, p.64 – 66.

تلك مهمة ملائمة لـ هوثوم بوصفه خبير مؤسسة العرش الإنكليزي في الشؤون الأيرلندية منذ سنوات، وأكثر المسؤولين الإنكليز اطلاعاً على حيثيات الملف الأيرلندي وخفاياه[1].

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن تلك التدابير الإنكليزية احتاجت أشهراً لتحقيق اهدافها، ولم يملك النبلاء الأيرلنديين القدرة على مواجهة اندفاع الإسكتلنديين، وهو ما بدا جلياً في سجالات الطرفين، ومنها: معركة كونور (Connor Battle) التي حدثت في 10 أيلول 1315، وانتهت بسحق المتمردين الإسكتلنديين قوات إيرل أولستر[2]، فجمع قاضي أيرلندا إدموند بتلر قوة من الإنكلو – أيرلنديين للتصدي لهم، انضم اليها كبار نبلاء أيرلندا[3]، ومع انتشار الإسكتلنديين في أيرلندا اشتدت مخاوف نبلاءها، وتوجسوا من امتداد خطرهم إلى ويلز[4]، مما دفع الملك الإنكليزي إلى تغيير القيادات المتصدية للإسكتلنديين، فكلف مجلس دبلن في تشرين الأول 1315 روجر مورتيمر بقيادة الجيش الإنكليزي، بوصفه الخيار الأفضل لمؤسسة العرش والبارونات[5].

اتجه روجر بقواته إلى مدينة كليس (Clalais)، واشتبك مع قوات إدوارد بروس في معركة شديدة تعرض فيها الإسكتلنديين إلى خسائر جسيمة، لكن وصول خمسة الاف مقاتل اثناء المعركة، ادت إلى هزيمة روجر وانسحابه إلى دبلن، تاركاً كليس لقمة سائغة لـ إدوارد بروس الذي احتلها في 7 تشرين الثاني 1315، ثم سيطر على ميث (Meth)[6]، دوندالك (Dundalk)[7], وكاريكفرغس (Carrickfergus)[8].

والثابت أن الملك إدوارد الثاني لم يفقد ثقته بروجر مورتيمر رغم ما تعرض له من هزائم، فأوعز لمبعوثه هوثوم بتقديم كافة انواع الدعم له، فاتصل به هوثوم بعد هزيمته في سكيريز (Squeezeez)، وضمن له كافة انواع الدعم، وأسقط الديون الملكية

(1) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.44.
(2) Daniel Webster Hollis, The History of Ireland, Greenwood Press, London, 2001, p.36.
(3) J. R. S. Phillips, The Mission of John …, p.68.
(4) J. Beverley Smith, Gruffydd Llwyd and the Celtic Alliance Bulletin of the Board of Celtic, London, 1976, p.463 – 478.
(5) H. W. Dulcken, A Popular History of England from the Earliest Period of the Jupilee of Victoria Queen and Empress in the Year 1887, New York, 1888, p.190.
(6) Ibid, p.190 – 191.
(7) R. L. Mackie, The Story of King …, p.170 – 171.
(8) H. W. Dulcken, Op. Cit., p.190 – 191.

على ممتلكاته في تريم[1]، ومنحه هبة ملكية لإدامة أراضيه في ستراتفيلد (Stratfield) وبيركس (Berks)، فضلاً عن اسقاط الضرائب عن مقاطعته في تريم لثلاثة سنوات[2]، وبدا الدعم الملكي لـ روجر[3]، في الخطاب الذي أرسله إدوارد الثاني إليهِ في كانون الأول 1315، وحثه فيه على الاستمرار بمقاومة الإسكتلنديين، مؤكدا دعمه المطلق له[4]، فعبأ روجر قواته "**وأدى دوراً محورياً في الدفاع عن المناطق الحيوية ومنها مقاطعة ميث**"[5]، لكن الإسكتلنديين انتصروا في 7 كانون الأول 1315 على جيش روجر[6]، مع أنه ناهز خمسة عشر الف مقاتل، وهو أمر بررته المصادر بوصول تعزيزات إسكتلندية أثناء المعركة[7]، فيأس الأيرلنديون[8]، وتمردت بعض عوائلهم على الإنگليز، ومنها عائلة لاكيز (Luckys family) التي تضامنت مع إسكتلندا[9].

وحدثت تداعيات خطيرة على الملف الأيرلندي، انتهت إلى تحميل روجر مسؤولية تلك الهزائم، لاسيما بعد أن عهد بالدفاع عن تريم إلى والتر دي كوزاك (Walter de Cusack)[10]، وغادر إلى إنگلترا تاركاً أيرلندا تحت رحمة الإسكتلنديين، في موقفٍ مخزٍ انعكس سلباً على سمعته بين اقرانه، لاسيما بعد ورود اتهامات كثيرة عنه، بضمنها ادعاء والتر دي لاسي أمام محكمة ملكية أن مورتيمر أرسله للتفاوض مع الإسكتلنديين، وبعد لقائه بهم ارشدهم إلى اقصر الطرق للسيطرة على ميث وأوفالي[11]،

---

(1) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.44.
(2) Calendar of Patent, Op. Cit., p.349, 412.
(3) Calendar of the Charter Rolls Preserved in the Public Record Office 1272 – 1300, Vol. VI, London, 1903, p.434.
(4) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.46.
(5) J. R. S. Phillips, The Mission of John …, p.68.
(6) Laud annals in Chartularies of St. Maty's Abbey Dublin, Vol. II, ed. J. T. Gilbert, London, 1884, p.348.
(7) Jacobi Grace, Kilkenniensis, Annales Hiberniae, ed. & transl. Richard Butler, Dublin, 1842, p.63.
(8) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.46.
(9) Laud annals, Op. Cit., p.407 – 409.
(10) (1270 – 1334): ينتمي إلى عائلة إنگليزية وفدت إلى مقاطعة ميث بعد الفتح النورماندي، شارك في الحرب ضد إسكتلندا بين عامي 1303 – 1307، أصبح قاضي دبلن عامي 1308 – 1310، ثم قاضي أيرلندا عامي 1317 – 1318، حوكم بتهمة الخيانة لعلاقاته بروجر مورتيمر، ينظر : James Roderick O'Flanagan, The lives of the lord chancellors and keepers of the great seal of Ireland : from the earliest times to the reign of Queen Victoria, Vol. I, London, 1870, 207 – 215.
(11) Laud annals, Op. Cit., p.348, 407 – 409.

لكن هيئة محلفي تلك المحكمة برأت والتر دي لاسي حفاظاً على سمعة روجر المقرب من الملك الإنكليزي[1]، ومع أن المؤرخ الإنكليزي فيليبس برر مغادرة روجر أيرلندا برغبته في مواجهة تمرد الزعيم الويلزي[2] ليويلين برين (Liewellyn Breen)[3]، لكن الحقيقة التاريخية ان الملك إدوارد الثاني استدعاه للمشاركة في برلمان لينكولن[4]، وهو أمر رحب به روجر لمداراة فشله في أيرلندا[5]، والغريب أن إدوارد الثاني أرسل إلى روجر خطاباً في منتصف كانون الأول أكد فيه ثقته به[6]، مع أن هزائمه جعلت دبلن ذاتها تحت طائلة الخطر الإسكتلندي، فتبنى المبعوث الملكي هوثوم في 9 كانون الأول 1315 تدابير سريعة لتعزيز دفاعاتها[7].

قَرَّرَ الملك الإسكتلندي روبرت ادامة زخم انتصارات اتباعه في أيرلندا، فشن في ليلة 15 كانون الثاني 1316، هجوماً برياً – بحرياً مزدوجاً عَلَى بيرويك، تولى بنفسه القيادة براً تاركاً للقائد جيمس دوغلاس قيادة الهجوم البحري، بيد أَنَّ الحامية رصدتهم، واستخدمت ضدهم اسلحة كثيرة، كبدتهم خسائر فادحة، واضطرتهم للانسحاب[8].

تعرضت السلطات الإنگلو – أيرلندية لضغط إسكتلندي شديد اضطرها لطلب مساعدة نبلاء أيرلندا ومقاتليها لدعمها في مواجهة المتمردين الإسكتلنديين[9]، لكن ذلك لم يمنع اندفاع الإسكتلنديين نحو مقاطعة ميدلاندز (Midlands) فنهبوها، ثم استولوا على دبلن ففتح طريقهم لغزو ويلز، لكنهم واصلوا التقدم جنوبًا، وبعد وصولهم أردسكول

---

(1) R. F. Frame, The Bruces …, p.93.
(2) J. R. S. Phillips, The Anglo – Norman Nobility the English in Medieval Ireland, Dublin, 1984, p.92.
(3) (1267 – 1317): نبيل ويلزي من نسل إيفور باخ زعيم الويلزيين في جنوب ويلز، تمرد ضد إدوارد الثاني في 18 كانون الثاني 1316 حين هاجم قلعتي كيرفيلي وتوربيرفيل، فانتشر التمرد في غلامورجان وجوينت، ونهبت قلعتي كينفيج ولانتريسانت، وهوجمت قلاع سانت جورج سوبر إيلي وقلعة تريجروج في لانجيبي وقلعة دينفور، وفي 18 اذار 1316 استسلم إلى إيرل هيرفورد في يسترادفيلت، فسجنه هيو ديسبينسر الأصغر، ثم أُخذ إلى قلعة كارديف وتم اعدامه فيها، للمزيد ينظر: T. F. Tout, Llywelyn Bren who was executed in 1318, Oxford, 2000
(4) Calendar of Close, Op. Cit., p.320.
(5) J. Beverley Smith, Edward II and the allegiance of Wales, London, 1976 – 1977, p. 147 – 151.
(6) Laud annals, Op. Cit., p.407 – 409.
(7) J. R. S. Phillips, The Mission of John …, p.68.
(8) Colm Mcnamee, Robert Bruce our Most …, p.220.
(9) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.48.

(Ardsschool) هزموا جيشًا إنكليزياً في 26 كانون الثاني 1316[1]، بعد أن تكبدوا خسائر فادحة اضطرتهم للمغادرة نحو ليكس[2]، واتخاذها قاعدة لهم[3]، فاعتقد اللورد ليويلين برين أن ما جرى في أيرلندا فرصة لإنهاء السيطرة الإنكليزية على ويلز، لذا أعلن تمرده في قلعة كيرفيلي (Caerphilly Castle) في 28 كانون الثاني 1316[4]، وحدثت اضطرابات في غلامورجان (Glamorgan)، مورجانوج (Morganog)، لانتريسانت (Llantrisant) كينفيج (Kenfig)[5]، أنهت سلطة العرش الإنكليزي في أغلب انحاء ويلز[6]، فأرسل الملك إدوارد الثاني في 30 كانون الثاني 1316 خطابات إلى نبلائه **"للانضمام إلى الحملة الملكية الوشيكة على ويلز لسحق متمرديها"**[7].

وشهدت أيرلندا في الوقت ذاته تطوراً دراماتيكياً تمثل بطلب إدوارد بروس من أخيه الملك روبرت القدوم بقواته إلى أيرلندا لمساعدته في السيطرة عليها، وإعلانها مملكة مستقلة خاضعة له، فاعتقد الملك روبرت أَنَّ سجاله مَعَ إنكلترا أَصْبَحَ عَلَى المحك، وعليه الذهاب بنفسه إلى أيرلندا لحسم ملفها بما يضمن مصالح إسكتلندا[8]، ولتحقيق ذلك أبرم في شباط 1316 هدنة مَعَ إنكلترا[9], بذريعة المجاعة الَّتِي ضربتْ البلدين[10].

التأم برلمان لينكولن في 6 شباط 1316، لمناقشة سبل وقف التهديد الإسكتلندي في أيرلندا ووأد التمرد الإسكتلندي، ومنح إيرل لانكستر توماس سلطة إنشاء

---

(1) G. O. Sayles, Documents on the Affairs of Ireland before the King's Council, Dublin, 1979, p.78 – 79.
(2) J. R. S. Phillips, The Mission of John …, p.69.
(3) R. F Frame, English Officials and the Irish Chiefs in the Fourteenth Century, London, 1975, p.749 – 477.
(4) Flores Historiarum, Vol. III, ed. H. R. Luard, London, 1890, p.339.
(5) J. Beverley Smith, The Rebellion of Llywelyn Bren Glamorgan County History, Vol. III, Cardiff, 1971, p.79.
(6) R. A. Griffiths, The Revolt of Llywelyn Bren, in idem (ed.) Conquerors arid Conquered in Medieval Wales, Stroud, 1994, p.87.
(7) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.49.
(8) Stephen Spinks, Robert the Bruce: Champion of a Nation, Amberley Publishing, London, 2019, p.193.
(9) R. L. Mackie, The Story of King …, p.167.
(10) هطلت امطار في الأعوام 1315 – 1318 اتلفت المحاصيل، وأهلكت الحيوانات، ونشرتْ الاوبئة، للمزيد يُنظر: مواهب عدنان أحمد, التطورات الاقتصادية في إنكلترا 1315 – 1381, اطروحة دكتوراه غير منشورة, كلية التربية للعلوم الانسانية, جامعة القادسية, 2019, ص 54 – 58.

لجنة لإصلاح مثالب مؤسسة العرش الإنكليزي[1]، وناقش البرلمان سبل اصلاح الوضع العسكري الإنكليزي في أيرلندا، وتعزيز الدفاعات العسكرية الإنكليزية في ويلز أيضاً[2]، واستناداً لقرارات البرلمان أُسند العرش الإنكليزي في 11 شباط 1316 مهمة سحق تمرد ويلز إلى إيرل هيريفورد[3]، مع قيادات ميدانية تمثلت بـ: روجر مورتيمر، جون هاستينجز (John Hastings)[4]، جون جيفارد (John Giffard)[5]، وفي 13 شباط 1316 أُمر الملك إدوارد حراس قلاع شمال ويلز بالانضمام إلى جيوشه لوأد التمرد الويلزي، وحُددت مدينة كارنارفون لتجمع الجيوش الملكية، وفي 14 شباط تم دفع رواتب القوات الملكية لتشجيعها على الاندفاع ضد متمردي ويلز[6].

تخلل تلك الاستحضارات تطور مهم في ملف ويلز تمثل بتخويل القاضي تشيرك ابن أخيه روجر في 20 شباط صلاحيات العفو عن المتمردين الويلزيين الذين يعلنون إنهاء تمردهم على الملك[7]، وتمكن روجر مورتيمر في 24 شباط من السيطرة على بلينليفني (Belbenlevni)، وبويشيديناس (Poichidinas)[8]، لكن مخاطر المتمردين الويلزيين زادت في مدينتي غلامورجان وباويس (Bowes)، وبلغ الأمر ذروته في 4 آذار 1316، مما دفع إيرل هيريفورد وقادته للتوجه نحوهما قبل مقاتلة ابرين

---

(1) J. R. Maddicott, Sir Otto de …, p.179 – 182.
(2) J. Beverley Smith, Edward II and …, p.147.
(3) Calendar of Patent, Op. Cit., p.432.
(4) (1287 – 1325) : ولد في 29 أيلول، أبوه بارون هاستينجز، ورث لقبي بارون هاستينجز وبارون أبيرغافيني، والدته إيزابيل ابنة إيرل بيمبروك وليام دي فالنس، زوجته جوليانا دي ليبورن، شارك في الحرب الإسكتلندية في عهد إدوارد الثاني، توفي في 20 كانون الثاني، أنظر: Hunningham, A History of the County of Warwick, Vol. 6, London, 1951, p.117 – 126 ; C. Brooks, Interest, Patronage and Professionalism: John, 1st Baron Ashburnham, Hastings and the Revenue Services, London, 1984, p.51 – 70.
(5) (1287 – 1322): ولد في غلوستر في 24 حزيران، وهو من اسرة جيفارد الإنكليزية التي ظهرت بعد الغزو النورماندي عام 1066، أصبح بارون بريمسفيلد الثاني بعد وفاة والده عام 1299، وكانت ممتلكاته في إسكس، هامبشاير، خاض معارك مع إدوارد الاول وإدوارد الثاني ضد إسكتلندا، شارك في معركة بوروبريدج، فاعتقل وحوكم بوصفه خائناً وشنق في أيار، ودفن في أرض المعركة، ينظر: David Crouch, "Giffard family (per. c. 1066–1322)", Oxford Dictionary of National Biography, Oxford University Press, 2004.
(6) Calendar of Close, Op. Cit., p.266 – 267.
(7) Ibid, p.443
(8) Calendar of the Charter, Op. Cit., p.306.

ليويلين، لضمان عزل التمرد الويلزي في موضع واحد[1]، وفي 12 آذار تقهقر ليوين ابرين نحو جبال غرب ويلز، وهزم أمام القادة وليام مونتاجو (William Montagu)[2] وجون جيفارد وهنري لانكستر (Henry Lancaster)، وفي 16 آذار 1316 توغل جيش إنگليزي بقيادة الكونت هاستينجز وروجر مورتيمر في يسترادفيلتي (Yastaradfilati) جنوب غرب بريكون (Brecon)، واعتقلا زعيم التمرد ابرين ليويلين[3].

وتضاربت الدراسات عن ظروف استسلام ليويلين ابرين، فذكرت دراسة وثائقية إنگليزية أن استسلامه لم يكن مشروطًا، بينما زعم المؤرخ تينترن أن الاستسلام تم وفقاً لصفقة ضمنت حياته مقابل فدية، وهو أمر مستبعد لأنه لم يملك مبالغ افتدائه[4]، وهنا ادعى احد المصادر أن روجر أبقى على حياته، لأن أصغر أبناءه يدعى روجر[5]، وهو تبرير غير منطقي لاسيما أن روجر برر في تقريره إلى الملك في 22 آذار 1316 الابقاء على حياة ليويلين ابرين بالرغبة في تحري أسباب تمرده واطرافه وخفاياه[6].

هيأ حسم ملف ويلز فرصة للملك إدوارد الثاني بالتفرغ إلى الملف الأيرلندي، فأرسل في 26 آذار 1316 خطابات إلى خمسة عشر باروناً إنگلو – أيرلندياً طالبهم فيها ببذل اقصى جهودهم لوقف الإسكتلنديين عند حدهم[7]، لكن الإسكتلنديين اداموا زخم اندفاعهم[8]، فهزموا قوات توماس ماندفيل (Thomas Mandeville)، في نيسان 1316[9]، وأصبح أغلب شمال أيرلندا بيدهم، فأيدَهم بعض نبلاء أيرلندا واكليروسها

---

(1) Calendar of Close, Op. Cit., p.276.

(2) (1275 – 1319): أبوه سيمون دي مونتاجو وامه هاويس سانت أماند، شارك في حروب إسكتلندا، وعمل مسؤولاً عن تعبئة مؤن الحرب عام 1303، شارك في حصار قلعة ستيرلنغ عام 1304، وأصبح مسؤول قلعة بيرخامستيد عام 1311 ثم قلعة بيرويك عام 1314، كان القائد العام للقوات الملكية الإنگليزية التي أرسلت إلى ويلز، ونجح بفضل حنكته في محاصرة المتمردين وإجبار ليويلين برين على الاستسلام غير المشروط في قلعة كيرفيلي، عينه إدوارد الثاني حارساً لدير أبينجدون، توفي في 18 تشرين الاول ودفن في دير بيشام، ينظر: J. R. Maddicott, Thomas of Lancaster …, p. 180 – 186 ; Dictionary of National Biography, Smith, Elder, & Co., London, 1894, Vol. XXXVIII, p. 262 – 263.

(3) R. A. Griffiths, Op. Cit., p.88.

(4) Flores Historiarum, Vol. III, Op. Cit., p.340.

(5) Calendar of Close, Op. Cit., p.283 – 285.

(6) Calendar of Ancient, Op. Cit., p.68 – 69.

(7) Calendar of Patent, Op. Cit., p.460 – 462.

(8) Daniel Webster Hollis, Op. Cit., p.36.

(9) R. L. Mackie, The Story of King …, p.170 – 171.

وانتقدوا الإدارة الإنكليزية فيها، وأرسلوا وثيقة بهذا المعنى إلى البابا يوحنا الثاني والعشرون (John XXII)[1], سُمِيَتْ بِـ احتجاج الأمراء الأيرلنديين[2], إلا أن البابا تجاهل طلبهم وأصدر مرسوماً بحرمان إدوارد بروس لإفقاده شرعية تسنم العرش الأيرلندي، وفي ذلك الظرف الدقيق استكمل الملك روبرت مستلزمات سفره إلى أيرلندا[3]، لمساعدة أخيه في استكمال احتلالها[4]، وقبيل وصوله توج إدوارد بروس ملكاً عَلَى أيرلندا عَلَى تل نوكنيميلان (Noknemil Hill) قرب دوندالك في 2 أيار 1316, بحضور بَعْضِ حلفاءه الأيرلنديين[5]، أَمَّا الملك روبرت فقد مرَ بمقاطعات أولستر، ميث، لينستر، مونستر، كونوت ثم كاريكفرغس، لإشعار الأيرلنديين بقوته[6].

قرر إدوارد بروس توظيف حضور أخيه لإسقاط دبلن بوصفها أهم نقطة ارتكاز للإنكليز في أيرلندا، ففرض عليها حصاراً قابله سكانها بمقاومة شديدة أسفرت عن فشل الحصار[7], فانسحب نحو مونستر للقاء حليفه بريان بان (Brian Ban)[8]، زعيم قبيلة أوبراين (Obrien)، الَّذِي أكد له أَنَّهُ بعد لقائهما ستحدث انتفاضة ضد الإنكليز، لَكِنَّ بمجرد وصول الإسكتلنديين إلى الضفة اليمنى لنهر شانون (Shannon) شمال مقاطعة ليمريك (Limerick)[9], فوجئوا بتحشد جيش أيرلندي موالي للإنكليز عَلَى الضفة

---

(1) (1244 – 1334): ولد في غوين, ارتقى كرسي البابوية عام 1316, أسس مراكز لتعليم العبرانية والعربية والكلدانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا, للمزيد يُنظر: Peter Hebblethwaite, John XXIII Pope of the Century, Continum Press, London, 1984.

(2) Edumnd Gurtis, A History of Ireland, Routledge, New York, 2012, p.185.

(3) ستار حامد عبدالله العماري, المصدر السابق, ص 137، 152.

(4) Stephen Spinks, Op. Cit., p.193.

(5) Edumnd Gurtis, Op. Cit., p.186.

(6) David Willis M. Cullough, Wars of the Irish Kings, Three Rivers Press, New York, 2002, p.212.

(7) Caroline Colvin, Op. Cit., p.38 – 39.

(8) (؟؟ – 1343): كان ابناً لـ تويرديلباخ مّور، طرده ابن عمه الملك دونشاد عام 1314، ففرَّ إلى معسكر إدوارد بروس في كوناكت، وبسبب تقلب تحالفات دونشاد خسر دعم حليفه ريتشارد دي كلير، فهزمه الفصيل المنافس له من العشيرة في معركة لوخ راسكا عام 1317، ونفي حليف النورماني ماتغامين أوبراي، قاد المواجهة الفاصلة في معركة ديسيرت عام 1318 التي أسفرت عن مقتل دي كلير وطرد النورمان نهائياً، فانفرد بحكم مملكة تومواند حتّى وفاته ، أنظر: J. F. Lydon, Colony and frontier in medieval Ireland, London, 1995, 201 – 216.

(9) Ronald McNair Scott, Op. Cit., p.179.

المقابلة بقيادة مورتوغ أوبراين (Murtough Obrien)، وعلموا أَنَّ مورتوغ قتل حليفهم، وكسب عشيرته لصالح الإنكليز[1]، فقرَّرَ الإسكتلنديون النأي بأنفسهم عن مواجهة غير ضرورية مَعَ اعدائهم، وغيروا مسارهم نحو أولستر، وأثناء مسيرهم اشتبكوا مَعَ قوات إدموند بتلر (Edmund Butler) زعيم مقاطعة لينستر, ثمّ اكملوا رحلتهم شمالاً[2]، واستناداً إلى تِلْكَ المعطيات، فَإِنَ إدوارد بروس فشل في تحقيق اهدافه، وأخفق أخيه روبرت في دعمه عسكرياً[3]، ولم يكن موقف إدوارد الثاني بأفضل منهما بسبب سيطرة الإسكتلنديين على النصف الشمالي من أيرلندا، وتوغلهم في شمال إنكلترا وتدميرهم بعض مدنها، تزامناً مع حدوث مجاعة في جميع أنحائها[4].

والأسوأ من ذلك أن الوفاق الذي تم بين الملك ومستشاره إيرل لانكستر انتهى بعد عودة الإيرل إلى ممتلكاته[5]، وزادت الاضطرابات مطلع تموز 1316 بعد اندلاع أعمال عنف في بريستول (Bristol) بسبب خلافات سلطاتها مع حاكم قلعتها بارثولوميو بادلسمير، ومع أن إيرل بيمبروك حاول التوصل إلى تسوية سلمية[6] لكن المواطنين حاصروا قلعة بريستول، فأصبحوا متمردين على العرش الإنكليزي، فأرسل الملك إدوارد الثاني جيشاً في 19 تموز1316 حاصر مواطني المدينة، واخضعهم بعد اسبوع[7].

(1) Robin Frame, Op. Cit., p.86.
(2) Michael Penman, Op. Cit., p.174.
(3) David Dalrymple, Annals of Scotland from The Accession of Malcolm III, Surnamed Canmore to The Accession of Robert I, London, 1776, p.73.
(4) I. Kershaw, The great famine and agrarian crisis in England, 1315 – 1322, Past and Present A Journal of Historical Studies, Number.59, 1973, p.3 – 50.
(5) J. R. S. Phillips, Aymer de Valence …, p.101.
(6) J. R. Maddicott, Sir Otto de …, p.184 – 185.
(7) J. R. S. Phillips, Aymer de Valence …, p.106.

المبحث الثالث

وأد العرش الإنگليزي التمرد الإسكتلندي في أيرلندا، وخسارته قلاعه الإسكتلندية 24 أيلول 1316 – نيسان 1320

قرر الملك إدوارد الثاني بعد حسم تمردي ويلز وبريستول التفرغ للملف الأيرلندي الذي كان في اسوأ مراحله[1]، وكان الوضع العسكري الأيرلندي شديد التعقيد بسبب سيطرة المتمردين الإسكتلنديين على كاريكفيرجوس، الذي دعم خطوط امدادهم في وسط أيرلندا، فانظم الملك روبرت إلى أخيه في تحركاته العسكرية نحو وسط أيرلندا[2]، وزادت الأمور صعوبة بعد فقدان النبلاء الإنگلو – أيرلنديين زعيمهم جون فيتز توماس في الشهر ذاته[3]، تزامناً مع سيطرة إدوارد بروس على إيرلية أولستر[4]، فسافر حاكم أيرلندا

(1) Calendar of Patent, Op. Cit., p.563 – 564.
(2) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.52.
(3) Goddard Henry Orpen, Ireland under the Normans 1216 – 1333, Vol. IV, Oxford, 1920, p.212.

ريتشارد دي بورغ إلى إنكلترا في 24 أيلول 1316 لمقابلة الملك إدوارد الثاني[1]، وقرر ريتشارد تخليص نفسه من مسؤولية سقوط أيرلندا بيد الإسكتلنديين من خلال الترويج لفكرة تنصيب روجر حاكماً عليها لدوره في وأد تمردي ويلز وبريستول ونفوذه بين العائلات الأيرلندية والنبلاء الإنكلو – أيرلنديين، فضلاً عن قربه من الملك الإنكليزي[2]، والحقيقة أن إدوارد الثاني كان مقتنعاً أن روجر هو الوحيد من النبلاء الإنكلو – أيرلنديين الذي ابدى مراراً رغبة في الدفاع عن أيرلندا، وامتلك شبكة علاقات فيها، وتمتع بخبرة في شؤونها، ناهيك عن إخلاصه الذي أثبته في مناسبات كثيرة، أخرها دوره في وأد تمردي ويلز وبريستول، فاكتسب سمعة أهلته لإداء دور محوري في الملف الأيرلندي[3].

ويبدو أن دور آل مورتيمر في التصدي للمؤامرات الإسكتلندية – الويلزية كان من بين أسباب تفضيل روجر على سواه، فعمه تشيرك مورتيمر بذل جهداً لافتاً في كشف مراسلات إدوارد بروس مع النبيل الويلزي جروفييد لويد (Gruffydd Lloyd)[4] التي ركزت على علاقة شعبيهما بوصفهما من العرق السلتي، وضرورة تعاونهما ضد العرش الإنكليزي، ففشلت مؤامرة النبيل جروفييد لويد مع إدوارد بروس[5]، مما أثبت لـ إدوارد الثاني أن آل مورتيمر هم الخيار الأفضل لوقف الخطر الإسكتلندي في ويلز وأيرلندا[6].

انتهت التطورات السابقة إلى قناعة الملك إدوارد الثاني بتنفيذ استراتيجية طرد المتمردين الإسكتلنديين من الاراضي الخاضعة له في شمال إنكلترا وأيرلندا من خلال قائدين يمكنه الاعتماد عليهما، فعين في 20 تشرين الثاني 1316 إيرل اروندل قائداً

---

(4) Annàla Uladh, The Annals of Ulster ; a chronicle of Irish affairs from 431 A.D. to 1540 A.D, ed. B. MacCarthy, Dublin, 1887, p.429.

(1) Calendar of Patent, Op. Cit., p.549.

(2) Annàla Uladh, Op. Cit., p.429.

(3) Colm McNamee, Robert Bruce our Most …, p.149.

(4) (1262 – 1335) أباه ريس أب جروفيد، ورث أراضي عائلته في شمال ويلز عند وفاة والده عام 1284، لديه وزوجته جوينليان سبعة بنات، دعم العائلة المالكة الإنكليزية، أصبح مسؤولاً عن جمع القوات العسكرية في شمال ويلز ، شارك في قمع تمرد روجر مورتيمر عام 1322 ضد الملك إدوارد الثاني، للمزيد، أنظر: John Edward Lloyd (ed.), Dictionary of Welsh Biography down to 1940, University of Wales Press, Cardiff, 1959, p. 318 – 320 ; J. Beverley Smith, Sir Gruffydd Llwyd and the Celtic Alliance, In: Welsh History Review, University of Wales Press, Cardiff, 1973, Vol. VII, No. 4, p. 463 – 478.

(5) Calendar of Fine, Op. Cit., p.312.

(6) J. Beverley Smith, Gruffydd Llwyd and …, p.477 – 478.

عسكرياً شمال إنگلترا، وأمر اللوردات الشماليون بدعمه عسكريًا، وتم نشر أكثر من 1000 رجل في مواقع مهمة هناك[1]، وفي 23 تشرين الثاني 1316 عين روجر مورتيمر حاكماً أيرلندا، مما وضعه في وضع بالغ الدقة لأن تعيينه كان بمثابة تكليفه بالتصدي للإسكتلنديين[2]، وفي اليوم ذاته أعاد إدوارد الثاني تعيين تشيرك مورتيمر قاضيًا لويلز[3]، وخوله سلطات قضائية واسعة لاعتقال الويلزيين الذين يثبت تآمرهم مع الإسكتلنديين ضد إنگلترا، فبدت أهمية الدور المزدوج الذي اسنده الملك إدوارد الثاني إلى آل مورتيمر للتصدي للإسكتلنديين عسكريًا وسياسياً في الملفين الأيرلندي والويلزي[4].

منح إدوارد الثاني حاكم أيرلندا الجديد صلاحيات استثنائية لتمكينه من اصدار قرارات حاسمة في الشأن الأيرلندي دون الرجوع إلى مؤسسة العرش الإنگليزي[5]، وهيأ حملة كبيرة لمرافقته إلى أيرلندا، مع تزويدها بالأسلحة والمؤن ودفع مرتبات عناصرها وقادتها مقدماً، ومنح روجر مورتيمر مبلغاً قدره ثلاثة الأف مارك، ووعده بإرسال تسعة الأف مارك اضافي لتسيير الأمور الإدارية في أيرلندا[6]، وأصدر الملك في 22 كانون الأول أوامر إلى أساقفة إكستر وونشستر وهيريفورد والأساقفة الويلزيين الأربعة بدفع ألف وخمسمائة مارك من عشور أبرشياتهم لتمويل الفعاليات القتالية ضد الإسكتلنديين[7]، وأُمر جباة ضرائب ورشيستر وهيريفورد (Hereford) وشروبشاير بجمع سبعمائة وخمسين مارك، وفي 4 كانون الثاني 1317 طُلب من الممول الجنوي أنطونيو بيساجنو (Antonio Pisagno)[8] إرسال ستمائة مارك إلى روجر[9]، وفي اليوم ذاته صدرت أوامر ملكية لخمسة عشر نبيلاً برئاسة جون هاستنجز بمرافقة حملة روجر إلى أيرلندا أو إرسال قوة كبيرة لاحقاً للانضمام إليها[10]، لرفد حملته بأكبر قدر من المقاتلين[11]، وأوعز في 29 كانون الثاني إلى مدينة شروبشاير بدفع مائة وخمسين ماركاً للحملة[12]،

(1) Colm McNamee, Robert Bruce our Most …, p.149 – 150.
(2) Calendar of Patent, Op. Cit., p.277, 563 – 564.
(3) Calendar of Fine, Op. Cit., p.312.
(4) J. Beverley Smith, Gruffydd Llwyd and …, p.477 – 478.
(5) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.53.
(6) Calendar of Patent, Op. Cit., p.608.
(7) Calendar of Close, Op. Cit., p.382.
(8) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.54.
(9) Calendar of Patent, Op. Cit., p.608.
(10) Calendar of Close, Op. Cit., p.450 – 451.
(11) B. P. Evans, The Family of Mortimer, Ph.D thesis, University of Wales, 1934, p.208.
(12) Calendar of Close, Op. Cit., p.391.

وبعد استكمال تلك الاستعدادات غادر روجر مورتيمر[1]، وبعد وصوله اليها نشر قواته في جبهاتها المختلفة[2]، فأجرى الملك روبرت في كانون الثاني 1317 تحضيرات إسكتلندية مضادة لمساعدة شقيقه وإخضاع أيرلندا برمتها[3]، فاخترق مونستر[4]، وتموضع فيها لمواجهة القوات الإنكليزية[5]، ثم هاجم في شباط 1317 أراضي النبلاء الموالين للإنكليز جنوب أيرلندا، فوصل إلى مدينة سلان (Slan), وهاجم قصر إيرل أولستر[6].

تزامنت تلك التطورات العسكرية مع اعتقال إيرل أولستر ريتشارد دي بورغ في 21 شباط 1317[7], بعد كمين فاشل على الإسكتلنديين في بلدة سلين تمخض عن اقترابهم من دبلن، وتدمير دفاعاتها[8]، فانتشرت مزاعم بتواطؤه مع الملك روبرت، لهزيمته في جميع معاركه ضد الإسكتلنديين، ولأنه صهر الملك روبرت، مما دفع روجر للنظر في تلك القضية، لاسيما بعد أن امره إدوارد الثاني بتحري ملابساتها[9].

تلى ذلك اصدار روجر اوامر إلى القائد إدموند بتلر بشن هجمات خاطفة على المقاتلين الإسكتلنديين في جنوب أولستر، فعبأ القائد إدموند قواته في شباط 1317، وشن هجمات خاطفة على مؤخرة الجيش الإسكتلندي واجنحته[10]، استنزفت قدرات الإسكتلنديين[11]، وزاد الوضع الميداني سوءًا بعد ايصال أميرال الأسطول الإنكليزي جون دي آثي (John de Athey)، تعزيزات عسكرية إلى يوجال الأيرلندية في 7 نيسان 1317[12]، فضلاً عن اقتراب وصول تعزيزات عسكرية برئاسة روجر مورتيمر إلى القائد ادموند، فأسرع الملك روبرت وأخيه نحو معقلهما في أولستر تجنبًا لمواجهة ذلك الخطر، وأمر روجر القائد ادموند في 11 نيسان بعدم شن هجوم عليهما قبل وصوله[13]، حينها

(1) Calendar of Patent, Op. Cit., p.574 – 575.
(2) Friar John Clyn, Annalium Hiberniae Chronicon ad annum MCCCX LIX, Dublin, 1849, p.13.
(3) Annàla Uladh, Op. Cit., p.429.
(4) Calendar of Close, Op. Cit., p.53.
(5) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.52.
(6) David Willis M. Cullough, Op. Cit., p.212.
(7) Caroline Colvin, Op. Cit., p. 38 – 39.
(8) Laud annals, Op. Cit., p.352.
(9) Calendar of Close, Op. Cit., p.404.
(10) Caroline Colvin, Op. Cit., p.39 – 40.
(11) Laud annals, Op. Cit., p.355.
(12) Jacobi Grace, Op. Cit., p.84.
(13) Laud annals, Op. Cit., p.355.

تخلت العوائل الأيرلندية عن حلفائها الإسكتلنديين، وتظاهرت بموالاة إدوارد الثاني الذي شكرها في 28 نيسان 1317، لدعمها الإنكليز ضد المتمردين الإسكتلنديين[1]، واستدعى الحاكم روجر المجلس الأيرلندي في 22 نيسان 1317 لاطلاعهِ على أسباب اعتقال حاكم أيرلندا السابق[2]، وبعد مناقشات مستفيضة قرر اطلاق سراح إيرل أولستر، الذي أرسل عريضة التماس إلى الملك فصل فيه ملابسات اعتقاله[3].

ويحسب للملك إدوارد الثاني أَنَّه قرر تخفيف الضغط الاستثنائي الذي شكله الأخوين بروس على أيرلندا من خلال مهاجمة إسكتلندا، لإجبارهما على مبارحة أيرلندا، ومحاولة إعادة السيطرة الإنكليزية على بعض اجزاء إسكتلندا، واستناداً لتلك الخطة هاجم القائد الإنكليزي إيرل اروندل توماس ريتشموند (Thomas Richmond)[4], البلدات الإسكتلندية المتاخمة لإنكلترا في 23 نيسان 1317، ثمّ توجه أسطول إنكليزي في 17 أيار من العام ذاته نحو مدينة فورث, ففشل إيرل فايف في مواجهته، وتركها بيد الإنكليز[5]، لكن أسقف دنكليد وليام سنكلير (William Sinclair), جمع ما امكنه من متطوعين إسكتلنديين، وطرد الإنكليز منها[6]، ومع أَنَّ تِلْكَ الإنباء دلت عَلَى فشل الإنكليز في تحقيق تقدم عسكري في إسكتلندا لكنها كانت مؤشرات عَلَى حراك إنكليزي عسكري غير مسبوق نحوها، لذا فور معرفة الملك روبرت بتلك الأنباء غادر أيرلندا في 22 أيار 1317, تاركاً شقيقه إدوارد بمفرده[7]. فتنفست سلطات أيرلندا الصعداء بعد انسحاب الملك روبرت منها، وناقش مجلس دبلن ملف العائلات الأيرلندية التي تواطأت مع المتمردين الإسكتلنديين، وانتهى إلى أن هناك عوائل كثيرة حالفتهم في بداية غزوهم أيرلندا ثم ادعت ولائها للتاج الإنكليزي، ومنها عائلة لاكيز، فقرر روجر الانتقام من تلك العوائل تباعاً، ورأس حملة مطلع حزيران 1317 انطلقت من دروغيدا (Drogheda)،

(1) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.327.
(2) Calendar of Close, Op. Cit., p.405.
(3) Jacobi Grace, Op. Cit., p.81.
(4) هو احد قواد الجيش الإنكليزي، أوكلت إليهِ مهمة الغارات على إسكتلندا, فقاد مجموعة من المقاتلين في 23 نيسان 1317 لاعتقال جيمس دوغلاس الَّذِي كَانَ قرب جيدبورغ, لَكِنَّ دوغلاس علم بتلك الغارة ونصب فخاً لهم, وفي القتال الَّذِي أعقب ذلك قُتل توماس ريتشموند عام 1317. للمزيد، يُنظر: Stephen Spinks, Op. Cit., p.190
(5) Stephen Spinks, Op. Cit., p.193.
(6) David Dalrymple, Op. Cit., p.73.
(7) Walter Scott, The Complete Works …, p.30.

واثناء زحفها أرسل روجر أوامر استدعاء إلى آل دي لاسي طالباً منهم إعلان ولائهم التام للملك[1]، وفي 3 حزيران 1317 خاض معركة انتهت بهزيمة حاكم راثواير (Ruler of Rathwire) والتر دي لاسي، لكنه تعرض لهجوم مباغت من والتر دي لاسي اضطره للعودة ادراجه دون مواجهة عائلة لاكيز[2]، وبعد عودته أعلن في 18 تموز 1317 تمرد عائلة دي لاسي[3]، فهرب زعماؤها إلى إسكتلندا[4]، ثم شن الإنكليز حملات ضد الأيرلنديين المتمردين على العرش الإنكليزي[5]، تاركين إدوارد بروس في موقف خطير[6]، لاسيما بعد استعادة تريم، واعتقال الإسكتلنديين المحتشدين فيها[7].

أظهر القائد الإنكليزي ادموند بتلر قدرة فائقة على استعادة أغلب أنحاء أيرلندا[8]، تلتها ضربات موجعة لمعارضي التاج الإنكليزي في شمال أيرلندا وجنوبها طوال شهر تموز 1317، لـ "**تعزيز السلام وقمع المتمردين**"[9]، ثم اقتحم كوناكت (Connacht) ولونجفورد (Longford)[10]، واصطدمت القوات الإنكليزية بالمتمردين الأيرلنديين في جلينسلي (Gleneagles) في 6 أيلول 1317، وحققت عليهم نصراً صعباً[11]، لكن ذلك كله لم يمنعهم من الاستمرار في مهاجمة المقاتلين الإنكليز[12].

ويهمنا هنا الإشارة إلى أن الملك روبرت استعاض عن مهاجمة أيرلندا بمحاولة استرجاع بيرويك بوصفها الجزء الأخير المحتل من مملكته[13]، فمضى قُدُمَاً في حراكه العسكري للاستيلاء على مدينة بيرويك وقلعتها، وحين احاط بها خلص إلى حقيقتين، أولهما شحة المؤون فيها بسبب نقص الإمدادات اليها، ووجود خلافات بين أبناء بيرويك الإسكتلنديين وحاميتها الإنكليزية، فاتصل ببعض إسكتلنديي بيرويك الممتعضين من الإنكليز، واتفق معهم عَلَى تسهيل سيطرته عَلَى المدينة[14]، وبعد استكمال ترتيباته اتجه

(1) Calendar of Fine, Op. Cit., p.331.
(2) Jacobi Grace, Op. Cit., p.89.
(3) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.57.
(4) Laud annals, Op. Cit., p.356 – 357.
(5) Friar John Clyn, Op. Cit., p.13.
(6) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.58.
(7) Jacobi Grace, Op. Cit., p.87.
(8) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.60.
(9) Philomena Connolly, Irish Exchequer Payments …, p.242.
(10) Jacobi Grace, Op. Cit., p.91.
(11) Philomena Connolly, Irish Exchequer Payments …, p.248 – 249.
(12) Friar John Clyn, Op. Cit., p.13.
(13) Alex J. Warden and F. S. A. Scor., Angus Or Forfarshire the Land and People, Vol. V, Chables Alxander &Co., Dundee, 1885, p.159.
(14) David Dalrymple, Op. Cit., p.77.

جيش إسكتلندي في أيلول 1317 نحو منطقة دونز بارك (Dunes Park)، لتكون منطلقاً لفتح بيرويك، مما جعل كفة الإسكتلنديين راجحة فيما تبقى من بلادهم[1].

أما في أيرلندا فكان الحراك السياسي والعسكري ليس في مصلحة الإسكتلنديين، بسبب إصرار حاكم أيرلندا على التعامل مع المتمردين الأيرلنديين بسلطات مطلقة[2]، مدعياً أن سلطاته مستندة إلى تفويض ملكي "**لتسريع الأعمال الملكية ضد المتمردين الإسكتلنديين**"، وأصدر عفواً عن كل متورط في الجرائم إذا قاتل الإسكتلنديين، واستنادًا لذلك عفى عن بعض الأيرلنديين والإنكليز في فيرموي مقابل تعهدهم بمقاتلة الإسكتلنديين[3]، مما أثار حفيظة الأيرلنديين فرفعوا شكاوى إلى الملك الإنكليزي، محذرين من تداعيات اعفاء المجرمين على : "**السلام في أيرلندا**"[4]، فأمر إدوارد الثاني بعدم منح العفو عن جرائم القتل إلا بعد نظر مجلس دبلن فيها[5]، لكن ذلك لم يمنع تدابير حاكم أيرلندا ضد الإسكتلنديين، ومنها أصداره في 28 تشرين الأول 1317[6]، أمراً بإسقاط ديون المقاتلين الأيرلنديين، مما وضع الإسكتلنديين في موقف دقيق[7].

وتطالعنا صورة مغايرة تماماً في إسكتلندا أنذرت بزوال السيطرة الإنكليزية على ما تبقى منها، ففي مطلع نيسان 1318 تسلل الإسكتلنديون من دونز بارك نحو بيرويك، وسيطروا عَلَى جزء من اسوارها ليلاً بانتظار وصول عاهلهم روبرت وجيشه[8], ومع حلول الصباح انتشروا في شوارع المدينة واسواقها فهرب اعدائهم إلى القلعة[9], وبعد اشتداد حصارها استسلم قائد حاميتها روجر هورسلي (Rogerus Horsley)[10], في 18 حزيران 1318[11]، ثم أمر الملك روبرت بنصب متاريس عَلَى اسوارها, وعين والتر

(1) Caroline Bingham, Op. Cit., p.261.
(2) Calendar of Patent, Op. Cit., p.563 – 564.
(3) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.60.
(4) G. O. Sayles, Op. Cit., p.99 – 101.
(5) Calendar of Close, Op. Cit., p.405.
(6) G. J. Hand, English Law in Ireland, 1290 – 1324, Cambridge, 1967, p.35 – 36.
(7) E. Tresham, Rotulorum Patentium et Clausorum Cancellariae Hiberniae Calendarium, ed. E.Tresham, Dublin, 1828, p.23.
(8) Sarah Crome, Op. Cit., p.132.
(9) Stephen Spinks, Op. Cit., p.194.
(10) William Gurstelle, The Art of the Catapult: Build Greek Ballistae Roman Onagers English Trebuchets and More Ancient Artillery, Chicago Revview Press, USA, 2004, p.120.
(11) Alexander Leslie Klieforth and Robert John Munro, The Scottish Invention of America, Democracy and Human Rights, University Press of America, New York, 2004, p.341.

ستيوارت حاكماً عليها, واستولى عَلَى قلاع هاربوتل (Harbottle), وارك (Wark) وميتفورد (Mitford), وهاجم القائدان جيمس دوغلاس وتوماس راندولف يورك والبلدات القريبة منها ثم عادا إلى إسكتلندا الَّتِي غدت مستقلة تماماً عن إنكلترا[1].

واللافت أن إنكلترا في ذلك الوضع الخطير شهدت اضطراباً انعكس سلباً على حراكها العسكري في إسكتلندا، فقد اشتدت الخلافات مجدداً بين الملك وتوماس لانكستر فحشد الأخير قواته في قلعة بونتيفراكت (Ponte Fract) الواقعة في مدينة ويكفيلد (Wakefield) لمهاجمة القوات الملكية في يورك، فامتعض بعض النبلاء، وأقنعوا توماس بالتريث للوصول إلى حل مع الملك[2]، ومع أن البرلمان حاول حسم تلك الأزمة لكنه أُرجأ مراراً لشدة الخلافات بين توماس والملك، وبعد نقاشات مستفيضة بحضور ممثلين عن البابا يوحنا الثاني والعشرين وافق توماس على السلام[3]، شريطة إعلان الملك التزامه بالأنظمة التي فرضها عليه البارونات سابقاً، وإزالة مستشاريه السيئين، وفرض عقوبات على مسؤوليه المتورطين في شبهات فساد، واسترجاع الاراضي الممنوحة خلافاً للقوانين الإنكليزية[4]، فتوسط بعض النبلاء ونجحوا بين 14 و16 تموز 1318 في الحصول على وعد ملكي بـ إزالة المستشارين الأشرار واستعادة الأراضي التي اغتصبوها[5]، وبناءً على ذلك اجتمع البرلمان في 7 آب 1318 بحضور الملك وابن عمه اللذان أعلنا استمرار مفاوضاتهما حتى الوصول إلى اتفاق[6]، وأبرما في 9 آب 1318 معاهدة ليك[7]، التي أكد الملك بمقتضاها التزامه بـ القوانين، واعلن عفوه عن توماس لانكستر ومؤيديه مع تشكيل مجلس من ثمانية أساقفة وثمانية نبلاء للإشراف على إنكلترا، مما جعل الملك خاضعًا لمشورة ذلك المجلس وتوجيهاته[8].

---

(1) Caroline Bingham, Op. Cit., p.262.
(2) Cros, A. L., A Shorter History of England and Greater Britain, New York, 1920, p.199 – 201.
(3) Kathryn Warner, The Rise and Fall of a Medieval Family: The Despensers, Pen & Sword Military, Britain, 2020, p.161.
(4) J. Goronwy Edwards, The negotiating of the Treaty of Leake, 1318, in H. W. C. Davis (ed.), Essays in itistory presented to R. Lane Poole, Oxford, 1927, p.364.
(5) J. R. Maddicott, Sir Otto de …, p.224.
(6) James Conway Davies, The Baronial Opposition to Edward II its Character and Policy A Study in Administrative History, Cambridge, 1918, p.436 – 437.
(7) Calendar of Patent, Op. Cit., p.277.
(8) J. R. S. Phillips, Aymer de Valence …, p.179 – 181, 189.

تنفس الملك الصعداء بعد حسم ملف توماس لانكستر، فقابل حاكم أيرلندا وأشاد بخدماته للعرش الإنكليزي وجهوده التي "**من أجل سلامة أيرلندا وصد المتمردين فيها**"[1]، وسرعان ما وجهت إنكلترا ضربة مدمرة للمشروع العسكري الإسكتلندي في أيرلندا، حين سحق أسطولها نظيره الإسكتلندي وقطع الامدادات عن إدوارد بروس[2], وتحشد جيش إنكليزي بقيادة جون دي برمنغهام (John de Bermingham) قرب دونداللك لمهاجمة جيش إدوارد بروس[3]، فأرسل الملك روبرت تعزيزات محدودة إلى أخيه إدوارد بروس, الَّذِي قَرَّرَ التصدي للإنكليز، فأرسل قائديه فيليب دي موبراي وجون ستيوارت (John Stewart) لاستطلاع عدد قواتهم, فأخبراه بعد رؤيتها أنها تفوق جيشه بثلاثة أضعاف, والأفضل تأجيل القتال لتقاعس حلفائه الأيرلنديين عن دعمه، وضآلة التعزيزات الَّتِي وصلته، لَكِنَّ إدوارد بروس تجاهل طلبهما، وتقدم نحو القوات الإنكليزية، فدارت رحى معركة فوكارت (Battle of Fukart)، في 14 تشرين الأول 1318[4]، الَّتِي اِنْتَهَتْ بانتصار إنكليزي حاسم وسحق أغلب الجيش الإسكتلندي بضمنهم إدوارد بروس الَّذِي قتلهُ جون موباس (John Maupas), وجون ستيوارت الَّذِي فتك به جون دي برمنغهام, ولم ينجو من تلك الكارثة سوى دي موبراي وقلة من جنده الَّذِينَ هربوا مَعَه إلى إسكتلندا[5], لتنتهي محاولة تأسيس حكم ملكي في أيرلندا إلى فشل ذريع[6].

باشر حاكم أيرلندا فور قضائه على الإسكتلنديين نشاطات مكثفة في التفاوض مع العوائل الأيرلندية المتمردة على السلطة الإنكليزية، واللوردات الإنكلو – أيرلنديين الساخطين عليها لاستعادة ولائهم إلى العرش الإنكليزي[7]، فرأس في 19 كانون الأول 1318 اجتماعاً لزعماء تلك العوائل، بحضور ادموند بتلر ورئيس أساقفة كاشيل وليام فيتز جون (William Fitz john)[8]، والمستشار كيلدير وموريس فيتز توماس وجون

(1) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.62.
(2) Ronald McNair Scott, Op. Cit., p.187.
(3) R. L. Mackie, The Story of King …, p.176.
(4) Caroline Colvin, Op. Cit., p.50 – 51.
(5) Walter Scott, The Complete Works …, p.30.
(6) David Willis M. Cullough, Op. Cit., p.224.
(7) Laud annals, Op. Cit., p.359.
(8) (؟؟ – 1326) : وُلد في إنكلترا وأصبح قسيسًا في كاتدرائية القديس كانيس الأيرلندية، وفي عام 1302، تسنم منصب أسقفية أوسوري، اختاره البابا يوحنا الثاني والعشرون عام 1317 لمنصب رئيس اساقفة كاشيل، شغل منصب مستشار لأيرلندا بين عامي 1318 و1320، ثم نائب لورد أيرلندا عام 1318، ساءت علاقاته بالملك والبابا، فأصدر عليه أمر بالحرمان البابوي، ومات

ووجان[1]، وانتهى ذلك الاجتماع إلى اتفاق عوائل مدينة كورك على إنهاء الخلافات بينها، وأقسم زعماء عوائل باري، كاريو، كونتون، كوجان، دي كورسي وروش على مراعاة سلام الملك، واذا ثبت مستقبلاً تورطهم في صراعات تفرض عليهم غرامات بتهمة الاخلال بقسمهم، وتغريرهم بالسلطات الحاكمة، وحذر الحاكم تلك العوائل من التمرد ضد سلطة الملك، وإلا خسرت ممتلكاتها[2]، ونجح في كسب ولاء أربعة من نبلاء أولستر للملك مجددًا، هم: آلان فيتز وارين، وهيو لوغان، وعضوين من عائلة سافاج[3].

واقترنت الأوامر الملكية آنفة الذكر بتوجهات إنكليزية لإعادة تأكيد السيطرة على أولستر والبحر الأيرلندي وطرد السفن الإسكتلندية منه، وحرص حاك أيرلندا على اسناد مناصب حساسة إلى مقربيه لضمان استتباب الأمن على شواطئها المحاذية لإسكتلندا، فأقنع الملك إدوارد الثاني بأسناد قيادة الأسطول الإنكليزي في أيرلندا إلى صديقه جون أوف آثي، مع منحه وصاية على قلعة كاريكفيرجوس[4]، وهكذا استتبت الأمور لإنكلترا في الجزر الغربية القريبة من أيرلندا[5]، ورقى إدوارد الثاني جون دي بيرمينغهام إلى مرتبة إيرل لاوث في 12 أيار 1319[6]، لدوره في الانتصار على الإسكتلنديين[7].

اعتقد الملك إدوارد الثاني أن الوقت غدا مناسباً لإعادة الأمور إلى نصابها في إسكتلندا بعد حسمه الملف الأيرلندي وإنهاء ازماته الداخلية، فعزم عَلَى تجهيز حملة عسكرية لاستعادة بيرويك واتخاذها منطلقاً لبسط هيمنة إنكلترا عَلَى إسكتلندا، وبعد اكتمال حشود الجيش الإنكليزي باشر زحفه في حزيران 1319، فاخترق حدود إسكتلندا وحاصر بيرويك في آب 1319, لَكِنَّ هذا الجيش فوجئ بمقاومة إسكتلندية من حاكم بيرويك والتر ستيوارت وحاميته, وزاد الوضع سوءاً حين أوعز الملك الإسكتلندي روبرت بمقابلة الإنكليز بالمثل، من خلال مهاجمة بلادهم لإجبارهم عَلَى مبارحة بيرويك، فأوعز

أثناءه، أنظر: Philomena Connolly, "Fitzjohn, William (d. 1326)", Oxford Dictionary of National Biography, Oxford University Press, 2004.

(1) G. J. Hand, Op. Cit., p.24 – 25.
(2) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.61.
(3) R. F. Frame, English Lordship in Ireland 1318 – 1361, Oxford, 1982, p.135.
(4) Calendar of Patent, Op. Cit., p.311.
(5) R. F. Frame, English Lordship …, p.135.
(6) Calendar of Patent, Op. Cit., p.334 – 335.
(7) Sean Duffy, The Continuation of Nicholas Trivet a new source for the Bruce invasion, London, 1991, p.308.

إلى جيمس دوغلاس وتوماس راندولف بمهاجمة إنكلترا بغتة، وتدمير أكبر قدرٍ ممكن من مدنها وقراها, واعتقال الملكة ايزابيلا إنْ سنحت لَهُمْ الفرصة[1].

اخترق جيش إسكتلندي ناهز خمسة عشر الف مقاتل شمال إنكلترا، ووصلوا ضواحي يورك, فأرسل رئيس أساقفتها ميلتون (Milton)، الملكة إلى مدينة نوتنغهام (Nottingham)[2], وعبأ جيشاً غير نظامي توجه به إلى ميتون (Myton) لمواجهة الإسكتلنديين، فحدثت معركة ميتون (Battle of Myton) التي اِنْتَهَتْ بهزيمة الإنكليز، وانفراد الإسكتلنديين بأراضي شمال إنكلترا[3]، وحين نمت أخبار ذلك الخطر العسكري إلى مسامع إدوارد الثاني وباروناته، اراد بارونات الجنوب استمرار حصار بيرويك بغض النظر عن الخطر الإسكتلندي على شمال إنكلترا، وَهُوَ ما فضله الملك، في حين صمم توماس إيرل لانكستر ونظراؤه من بارونات الشمال عَلَى إنهاء الحصار والعودة فوراً إلى الشمال الإنكليزي، لحمايته من الخطر الإسكتلندي، وَهُوَ ما حدث حين غادر إيرل لانكستر وباروناته بيرويك، فتبعهم الملك إدوارد الثاني ومؤيديه رغماً عنهم[4].

ترشحت اخبار تراجع الإنكليز إلى اعدائهم الإسكتلنديين، فعادوا إلى بلادهم عبر كارلايل لتفادي معركة غير محسوبة مَعَ الإنكليز, وفور وصولهم إسكتلندا أقام لَهُمْ الملك روبرت وليمة, ثم زار بيرويك واشاد بشجاعة قائدها والتر وافراد حاميته[5]، أَمَّا بارونات شمال إنكلترا فبعد أنْ شاهدوا ما حل بإقطاعاتهم ومدنهم من خراب اِشتَدَّ غضبهم عَلَى عاهلهم إدوارد الثاني الَّذِي اثبت فشله مراراً في القضاء عَلَى نظيره الإسكتلندي، وكلفتهم مغامراته العسكرية الكثير، فأرغموه عَلَى إجراء مفاوضات لإبرام هدنة امدها سنتين مَعَ الملك روبرت، وَهُوَ ما لاقى قبولاً لدى الملك الإسكتلندي الَّذِي سأم الحروب بعد تحقيق أهدافه، فوافق عَلَى إعادة السفن الإنكليزية الَّتِي تحطمتْ عَلَى سواحل إسكتلندا مَعَ اطقمها وبضائعها، وعدم تشييد قلاع جديدة عَلَى الجانب الإسكتلندي, مقابل تعهد إدوارد الثاني بتدمير قلعة هاربوتل، وفتح صفحة جديدة في علاقات البلدين[6]، لَكِنَّ إدوارد الثاني لَمْ يكن جاداً في ابرام سلام ينطوي عَلَى خسارة نفوذه في إسكتلندا، وزج البابوية في حملته ضد الملك روبرت، لنفي أي شرعية عنه،

(1) John Barbour, The Bruce ..., p.636, 644.
(2) John Frederick Smith, John Cassell's Illustrated History of England, Vol. I, W. Kent and Co., London, 1857, p.347.
(3) John Barbour, The Bruce ..., p.646.
(4) T. F. Tout, The History of England …, p.277.
(5) John Barbour, The Bruce ..., p.661 – 662.
(6) Caroline Colvin, Op. Cit., p.267.

ونجح في الحصول عَلَى اعتراف البابا بسيادة إنگلترا عَلَى إسكتلندا[1]، وقد اِشتَطَّ البابا مَعَ الملك روبرت حين خاطبه بإسمه المجرد "**روبرت بروس, الَّذِي يحكم إسكتلندا**"، واستدعاه في كانون الثاني عام 1320 للمثول بين يديه في أفينيون (Avignon) للتكفير عما وصفه بـ آثامه وعصيانه, فعقد الملك روبرت اجتماعاً في آذار 1320 في دير نيوباتل (Neobatl Abbey)، قَرَّرَ في ختامه إرسال خطاب إلى البابا، يتضمن خلاصة معاناة شعبه من إنگلترا[2].

كتب أسقف دير اربروث ومستشار المملكة برنارد[3]، في 6 نسيان 1320 خطاباً إلى البابا صادقه ثمانية إيرلات، وثمانية وثلاثون من نبلاء إسكتلندا[4], تطرق فيه إلى أصل الإسكتلنديين[5], وكيف استغل إدوارد الأول اضطراباتهم فهاجمهم, حتى خلصهم الملك روبرت[6], وانتهى الخطاب بمناشدة البابا استخدام نفوذه لإقناع إدوارد الثاني بالدخول في محادثات سلام مَعَ نظيره الإسكتلندي[7]، وأكد أن الإسكتلنديين إذا حسموا مشاكلهم سيشتركون في حملة صليبية عَلَى الاراضي المقدسة[8].

تأثر البابا بما ورد في الخطاب، وبالعرض المغري الَّذِي تضمنه, فأرسل رسالة إلى إدوارد الثاني، حثّه فيها عَلَى السلام مَعَ الإسكتلنديين تمهيداً لاشتراك المملكتين في حملة صليبية, فرضخ إدوارد الثاني، وجرتْ محادثات في نيوكاسل وبيرويك لكنها عُلِقتْ بسبب تشبث الطرفين بمطالبهم التقليدية، حينها انحاز البابا لعاهل إنگلترا، فأصدر قرار

---

(1) Sarah Crome, Op. Cit., p.136.
(2) Rosalind Mitchison, Op. Cit., p.37 – 38.
(3) (؟؟ – 1331): أحد اساقفة الكنيسة الإسكتلندية, اصْبَحَ قسيساً في دير موردينجتون عام 1296, وفي عام 1307 أَصْبَحَ مستشار الملك روبرت, وفي عام 1309 أَصْبَحَ مقدم دير اربروث، ثم تخلى عن منصبي المستشار والمقدم في عام 1328, وتم تكريسه أسقفاً لسانت اندروز, يُنظر: Alexander Leslie Klieforth and Robert John Munro, Op. Cit., p.187.
(4) Edward J. Cowan, For Freedom Alone The Declaration of Arbroath, 1320, Tuckwell Press, London, 2003, p.3.
(5) Alexander Leslie Klieforth and Robert John Munro, Op. Cit., p.190.
(6) Sarah Crome, Op. Cit., p.136.
(7) David Armitage, The Declaration of Independence, Harvard University Press, U. S. A., 2008, p.42.
(8) Quoted in: James Mitchell, The Scottish Question, Oxford, 2014, p.85.

الحرمان ضد نظيره الإسكتلندي، فولج الملك روبرت مسار التآمر عَلَى عاهل إنكلترا بالتعاون مَعَ توماس لانكستر، الَّذِي اخفى شخصيته باسم رمزي هُوَ "**الملك آرثر**"[1].

المبحث الرابع

أسباب ونتائج تمرد بارونات ويلز وشمال إنكلترا على مؤسسة العرش الإنكليزي 5 أيلول 1320 – 28 آب 1323

شكلت مشكلة لوردية جوير (Lordship of Jouer) الويلزية سبباً في تمرد نبلاء المارجيز الويلزيين على إدوارد الثاني، وخلاصة تلك المشكلة إعلان مالك اللوردية وليام دي براوز (Willam de Braose) رغبته في بيعها لعدم وجود وريث له[2]، فاقتنص

(1) Edward J. Cowan, Op. Cit., p.86 – 88.
(2) Vita Edwardi Secundi, Op. Cit., p.108 – 109.

روجر تلك الفرصة لشرائها[1]، وابلغ عمه تشيرك برغبته، مبيناً أن من أسباب تفكيره بشرائها متاخمتها املاك آل مورتيمر في ويلز، وبعد اتفاقهما توجها إلى اللورد وليام دي براوز واتما تلك الصفقة[2]، لكن روجر فوجئ باستيلاء إيرل هيريفورد جون دي موبراي صهر وليام دي براوز على قلعة سوانزي (Swansea Castle) ولوردية جوير، متجاهلاً صفقة بيعها إلى آل مورتيمر[3]، مؤكداً أن صهره منحه عقداً بملكية اللوردية، مما أثار غضب آل مورتيمر على مالك اللوردية وصهره[4].

تدخل الملك إدوارد الثاني في تلك القضية، فأيد حقوق آل مورتيمر وانتقد خرق إيرل هيريفورد للقوانين باستيلائه عليها[5]، لاسيما أنه تدخل في إرث اللوردية دون ترخيص ملكي[6]، وفرض الملك إدوارد الثاني في 13 تشرين الأول 1320 حجزاً على اللوردية ريثما يبت في مصيرها[7]، لكن متغيرات جديدة انعكست سلباً على علاقة روجر بالملك إدوارد الثاني ، تمثلت بدور مستشاره المقرب هيو ديسبينسر في تحريضه ضد آل مورتيمر، مما دفع الملك إدوارد الثاني لإصدار أمر في 26 تشرين الثاني 1320 بدعم هيو ديسبنسر في الحصول على اللوردية[8]، فغضب لوردات المارجيز وأرسلوا خطابات إلى الملك بينوا فيها أنهم تمتعوا بسلطات في مناطقهم خولتهم شراء أراضي بعضهم، وليس في ذلك مخالفة للقانون الإنكليزي، لأنه شائع وفقاً لأعرافهم في شراء الممتلكات الويلزية، لكن الملك تجاهل طروحاتهم[9]، فأدرك روجر مورتيمر أن هيو ديسبينسر هو العقل المدبر لسياسة الملك ضدهم، بهدف توسيع ممتلكاته على حساب نبلاء ويلز[10].

(1) Drummond William, The lives of Roger Mortimer, Earl of March, and of Robert, Earl of Oxford, &c. Prime Ministers in the reigns of Edward the second, and Richard the second, Oxford, 1711, p.11 – 12.
(2) Flores Historiarum, Op. Cit., Vol. III, p.345.
(3) Cartae et Alia Munimenta de Glamorgan 1271 – 1331, Vol. III, ed. G. T. Clark, Cardiff, 1910, p.1038.
(4) James Conway Davies, The Despenser War in Glamorgan, London, 1915, p.21 – 32.
(5) Calendar of Close, Op. Cit., p.268.
(6) James Conway Davies, The Despenser War in Glamorgan ..., p.38.
(7) Calendar of Close, Op. Cit., p.268.
(8) Kathryn Warner, The Rise and Fall …, p.203.
(9) John Edward Lioyd, A History of Wales from the earliest times to the Edward ian Conquest, London, 1911, p.217.
(10) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.72.

خاض هيو ديسبينسر قُدماً في سياسته "**فحصل على إقطاعات ويلزية اضافية ابرزها قلعة نيوبورت من أودلي**"[1]، وأبرم عقدًا مع مستأجري أراضيه منحهم بموجبه امتيازات كثيرة، موجها ضربة للملاك الويلزيين بسبب ضغط مستأجري أراضيهم عليهم لمنحهم امتيازات مماثلة[2]، فتوجس النبلاء الويلزيون من خطورة ذلك على مصالحهم، وأثره في انخفاض عوائدهم، فاجتمع إيرلات هيريفورد، أودلي، أموري، وغيرهم، وأقسموا على تدمير هيو ديسبينسر[3]، لوأد خطره، و"**الحفاظ على مصالحهم**"[4]، وكان روجر أكثر النبلاء الحانقين على هيو ديسبينسر، لأنه "**حرض الملك إدوارد الثاني على استعادة القلاع التي اهداها إلى روجر سابقاً، في بادرة دلت على رغبته بنقل ملكية تلك القلاع اليه**"[5]، وهكذا تضافرت عوامل كثيرة اقنعت روجر بضرورة حمل السلاح بوجه هيو ديسبينسر، وهو أمر زجه في تمرد ضمني ضد الملك إدوارد الثاني.

ظهرت أولى بوادر التمرد، حين حرض روجر مورتيمر قوة ويلزية قادها رايس آب هيويل (Rice Up Hywell) لتحدي الأوامر الملكية بالاستيلاء على لوردية جوير، فواجهت القوة الويلزية شريف غلوستر ونائبه ومنعتهم من تنفيذ الأمر الملكي، ومع أن القاضي تشيرك اعتقل رايس آب هيويل في 1 كانون الثاني 1321 بتهمة اعاقة تنفيذ الأوامر الملكية[6]، لكن هيو ديسبينسر اقتنص تلك الحادثة للنيل من آل مورتيمر، فأرسل في 18 كانون الثاني1321 خطاباً إلى شريف غلامورجان جون إنج (John Ing)، أخبره فيه أن رايس آب قام بخطوته بناءً على تعليمات النبلاء الويلزيين المتمردين على الملك[7]، وفي مقدمتهم روجر وإيرل هيريفورد، وأن رايس آب عمل وكيلاً لهما[8]، ويبدو أن روجر حرص على ادارة معارضته من خلال اشخاص أخرين، لذا تعمد مغادرة ويلز إلى ستراتفيلد[9]، واستشار صديقه أسقف هيريفورد ادم اورلتون (Adam Orleton)، في

(1) Calendar of Patent, Op. Cit., p.257, 456.
(2) James Conway Davies, The Despenser War in Glamorgan ..., p.29.
(3) Vita Edwardi Secundi, Op. Cit., p.109.
(4) James Conway Davies, The Despenser War in Glamorgan ..., p.28.
(5) Vita Edwardi Secundi, Op. Cit., p.108.
(6) Calendar of Close, Op. Cit., p.285.
(7) Calendar of Ancient, Op. Cit., p.219 – 220.
(8) James Conway Davies, The Despenser War in Glamorgan …, p.46.
(9) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.72.

الأسلوب الأمثل لحل مشاكله مع التاج[1]، لكنه في 30 كانون الثاني1321 أقحم نفسه في مواجهة عاهله، حين رفض أمراً ملكياً بالاجتماع به[2].

قرر الملك إدوارد الثاني تجريد روجر مورتيمر من أسباب قوته، فأوعز بإجراء تحقيقات في قضية جوير انتهت إلى توجيه أصابع الاتهام لكبار المسؤولين الملكيين في ويلز[3]، ثم جرد روجر في 1 شباط 1321 من منصبي قاضي أيرلندا وحاكمها، واستعاض عنه بـ رالف دي جورجس (Ralph de Georges)، التابع لـ هيو ديسبينسر[4]، ليصبح روجر أمام حقيقة مفادها أن هيو دمر مستقبله السياسي، وحين عاد روجر إلى ويجمور في 11 شباط 1321، ناقش مع صديقه إدموند بتلر السبل الكفيلة بحل المشكلة، وانتهى نقاشهما إلى ضرورة وقف تهديد هيو ديسبينسر بقوة السلاح إن اقتضى الأمر[5]، ثم شكل روجر مع إيرل هيريفورد في 6 آذار 1321 قوة لمهاجمة ممتلكات هيو ديسبينسر في غلامورجان في الوقت المناسب[6]، لكن روجر حرص أن يظهر أمام عاهله راغباً في السلام مع أنه كان احد المحركين الأساسيين للمعارضة الويلزية للملك إدوارد الثاني، فاتفق مع إيرلات هيريفورد، أموري، وجون تشارلتون وجون هاستنجز في 27 آذار 1321 على التهدئة[7]، لكن مساعيه انتهت إلى الفشل بسبب رفضه في 28 آذار 1321 الاجتماع مع الملك في غلوستر في 5 نيسان من العام ذاته لمناقشة تأزم أوضاع ويلز، وحين أخبر جون دي سوميري (John de Somery)، وروبرت دي كيندال إدوارد الثاني في 6 نيسان1321[8]، باعتذار إيرلي مارس وهيريفورد عن الاجتماع به غضب بشدة، وأكد أن معنى ذلك إعلان تمردهما عليه[9].

وزاد الأمر خطورة بعد إرسال إيرل هيريفورد خطاباً للملك أشار فيه إلى تجاوزات هيو ديسبينسر على النبلاء الويلزيين، وضرورة تسليمه إلى توماس لانكستر ريثما يجتمع البرلمان لعرض تجاوزات هيو ديسبينسر عليه، وأن اجتماعه بالملك مقرون

(1) R. M. Haines, The Church and Politics in Fourteenth Century England 1275 – 1345, Cambridge, 1978, p.127.
(2) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.442.
(3) Calendar of Patent, Op. Cit., p.547 – 548.
(4) Calendar of Patent Rolls Preserved in the Public Record Office, London, vol.53, London, 1891, p.547-548.
(5) Calendar of Close, Op. Cit., p.360, 558.
(6) J. R. Maddicott, Sir Otto de …, p.264.
(7) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.445.
(8) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.73.
(9) Calendar of Close, Op. Cit., p.367 – 368.

بتنفيذ ذلك الإجراء، فأجابه الملك بخطاب في 23 نيسان 1321، استهجن فيه عدم حضوره الاجتماع، واستخف بالذرائع التي أوردها لاعتقال هيو ديسبينسر[1]، مؤكداً أن هيو أمين سره، وذا نفوذ في البلاط والبرلمان، وأنه لن يسلمه "**لأن ذلك يشكل سابقة خبيثة، وينتهك الحقوق الملكية التي أقرها الميثاق الأعظم والقوانين التي تلته**"، وبعد اطلاع إيرل هيريفورد على ذلك الخطاب أدرك أن لا بديل له سوى التمرد على الملك[2]، والثابت أن الملك قرر معاقبة إيرل هيريفورد على جرأته عليه، التي أعادت إلى ذهنه جريمة قتل غافستون، فقرر كسب روجر إلى جانبه لإنهاء تحالفه مع إيرل هيريفورد، فعين قاضياً جديداً لأيرلندا موالياً لمورتيمر[3]، هو إيرل كيلدير جون فيتز توماس[4].

فشلت محاولات نبلاء ويلز في انتهاج سياسة حافة الهاوية ضد الملك إدوارد الثاني الذي حذرهم في 1 أيار 1321 من مهاجمة هيو ديسبينسر في اجتماع البرلمان المقرر عقده في اكسفورد بتاريخ 10 أيار 1321، لكن روجر وإيرل هيريفورد اقتنصا فرصة انعقاد البرلمان، فشنا حملة شعواء على هيو ديسبينسر، وحين فشلا في النيل منه[5]، قررا استخدام القوة لتدميره، فعادا إلى ويلز وعبئا جيشاً كبيراً قدرته المصادر بـ ثمانمائة فارس وعشرة الاف من المشاة، وباشرا في أيار وحزيران 1321 حملة لتدمير ممتلكات هيو ديسبينسر جنوب ويلز[6]، وانضم إِلَيهِما سكان كارديف الذين رفعوا الرايات الملكية وزحفوا نحو ضياع هيو ديسبنسر[7]، مدعين أنهم يخلصون الملك من شره[8]، وبلغت الأمور ذروتها حين تلاهم الأف الويلزيين مطالبين بإنهاء ظلم آل ديسبينسر[9]، وتزامناً مع تلك الاضطرابات استبدل الملك قاضي أيرلندا جون فيتز توماس في 21 أيار 1321[10]، بجون دي بيرمنجهام الموالي لديسبينسر الأبن[11]، في إشارة إلى غضبه وعدم

(1) J. R. Maddicott, Sir Otto de …, p.266.
(2) Pike. L. O., Constitutional History of the House of Lords, New York. 1894, p.111.
(3) H. G. Richardson & G. O. Sayles, Op. Cit., p.84.
(4) Calendar of Patent, Op. Cit., p.578.
(5) Calendar of Close, Op. Cit., p.371.
(6) Calendar of Patent, Op. Cit., p.541.
(7) Flores Historiarum, Op. Cit., Vol. III, p.344 – 345.
(8) Calendar of Patent, Op. Cit., p.541.
(9) Vita Edwardi Secundi, Op. Cit., p.110.
(10) H. G. Richardson & G. O. Sayles, Op. Cit., p.84.
(11) J. R. S. Phillips, Aymer de Valence …, p.255.

استكانته لتمرد نبلاء ويلز ضده.

أستمر روجر بفعالياته القتالية في ويلز، فسيطر على إيرلية أروندل وحصل على ولاء مستأجريها[1]، ثم حاصر كارديف وأسر قاضي أيرلندا رالف دي جورجيس[2]، ورفض عرض إدوارد الثاني افتدائه مقابل سبعمائة وخمسين مارك[3]، لرغبته في إثارة مخاوف الموالين لهيو ديسبينسر[4]، وهو ما بدا واضحاً في مهاجمته حاكم أيرلندا جون دي برمنجهام الذي طاردته قوات روجر بعد أن علمت بمجيئه إلى ويلز للقاء هيو ديسبينسر[5]، فعقد الملك برلماناً في وستمنستر في 15 أيار 1321 لمناقشة ملف متمردي ويلز، لكنه فشله في كسب برلمانه ضدهم[6]، وزادت صعوبة الأمر على الملك حين انظم باقي نبلاء مملكته إلى نظرائهم الويلزيين، بسبب إيرل لانكستر الذي طالما اثبت قدرته على إخضاعه وجميع مسؤولي مؤسسة العرش الإنگليزي لإرادة النبلاء، فقد أعلن إيرل لانكستر أن متمردي ويلز تجاهلوا مكانته بوصفه زعيمهم، وكان عليهم أن يتصلوا به قبل بدء تمردهم[7]، وسرعان ما تواصل الإيرل مع نبلاء ويلز للاطلاع على أهدافهم، وأعلن تضامنه معهم، وحين ناشدوه الانضمام إليهم[8]، استجاب لمناشداتهم وعقد في 24 أيار 1321 اجتماعاً في بونتفراكت مع نبلاء الشمال لضمان دعمهم إذا تمرد على الملك، فأعلنوا موافقتهم إذا تعرض لهجوم ملكي، لكنهم رفضوا مهاجمة عاهل إنگلترا، واتفقوا على ميثاق دفاع متبادل ثم قرروا عقد اجتماع لاحق في شيربورن (Sherborne) في 28 حزيران 1321 لمتابعة المستجدات واتخاذ ما يناسبها من قرارات[9].

حرص متمردو ويلز على جعل اجتماع شيربورن أساساً لائتلافهم مع بارونات شمال إنگلترا برئاسة إيرل لانكستر ضد آل ديسبينسر[10]، فحضر ثلاثة من النبلاء

(1) W. Dugdale, Op. Cit., Vol. VI, p.352.
(2) Flores Historiarum, Op. Cit., Vol. III, p.345.
(3) Calendar of Patent, Op. Cit., p.596.
(4) R. F. Frame, English Lordship …, p.161 – 162.
(5) J. R. S. Phillips, Aymer de Valence …, p.255.
(6) Parliamentary Writs, Op. Cit., Vol. II, p.235.
(7) J. R. Maddicott, Sir Otto de …, p.267.
(8) James Conway Davies, The Baronial Oposition …, p.586 – 587.
(9) Bridlington, Gesta Edwardi Tertii Auctore Canonico Bridlingtoniensis Chronicles of the Reigns of Edward I and Edward II, Vol. II, ed. W, Stubbs, London, 1883, p.62 – 65.
(10) T. F. Tout, The Place of Edward II …, p.128 – 129.

الويلزيين ذلك الاجتماع[1]، وأعلنوا أسباب مهاجمتهم ضياع آل ديسبينسر، وخروجهم على الملك، وقدموا إلى إيرل لانكستر وثيقة بما تعرضوا له من مظالم ليرفعها إلى البرلمان الذي سيعقد في وستمنستر لنفي آل ديسبينسر، فأقسم الإيرل على تدمير آل ديسبينسر، وجعل وثيقة مظالم نبلاء ويلز أساساً لنقاشات برلمان وستمنستر، ومنطلقاً لبرنامج اصلاح شامل لمؤسسات إنگلترا، لكنه تريث في قيادة التمرد الويلزي[2]، بسبب ضعف دعم بارونات الشمال له[3]، لذا غاب عن برلمان وستمنستر[4]، ويبدو أن إيرل لانكستر كان بحاجة لتقييم موازين قوى إنگلترا لزج نفسه في معادلة تضمن له التفوق، كما أنه فوجئ بمتغيرات احتاج دراستها بروية قبل تبني موقف يتجاوز الخطب والوعود، منها على سبيل المثال انشقاق عدوه اللدود نائب الملك بارثولوميو بادلسمير عن الملك، وانضمامه إلى معسكره، فتوجس الإيرل من أن ذلك الانشقاق مكيدة ملكية للنيل منه[5]، ومع أن الإيرل اطمأن إلى صدق دوافع بارثولوميو لكن أمور أخرى دفعته للتريث، بضمنها مناشدة رئيس أساقفة كانتربري له بعدم التورط في تمرد نبلاء ويلز[6].

استقر رأي إيرل لانكستر على إخضاع الملك من خلال نبلاء الشمال الحانقين عليه لتفضيله آل ديسبينسر، واستناداً لما تقدم أرسل اللوردات في 9 تموز 1321 مبعوثين إلى لندن للمطالبة بنفي هيو ديسبينسر وعائلته من إنگلترا، لكن إدوارد الثاني رفض مقابلتهم، فغضب بارونات الشمال[7]، وامروا مقاتليهم بارتداء زي أخضر لتأكيد وحدتهم ضد الملك، وزحف الويلزيون من سويندون[8]، في 22 تموز 1321 للانضمام إليهم[9]، وفي 27 تموز 1321، التقى اللوردات الويلزيون بإيرلات أروندل، بمبروك، وارين، ريتشموند، لتغدو كفتهم هي الراجحة في حال نشوب حرب ضد الملك واتباعه[10].

---

(1) R. Morgan, The Barony of Powys 1275 – 1360 Welsh Historical Review, University of Wales, 1980, p.25.
(2) Thomas Walsingham, Quondam Monachi Sancti Albani, Historia Anglicana 1272 – 1381, Vol. I, ed. H. T. Riley London, 1863, p.160.
(3) J. R. S. Phillips, Aymer de Valence …, p.207.
(4) Calendar of Close, Op. Cit., p.310.
(5) J. R. Maddicott, Sir Otto de …, p.293 – 294.
(6) B. P. Evans, Op. Cit., p.218.
(7) W. Dugdale, Op. Cit., Vol. VI, p.352.
(8) R. R. Davies, Lordship and Society in the March of Wales, 1282 – 1400, Oxford, 1978, p.84.
(9) B. P. Evans, Op. Cit., p.219.
(10) Vita Edwardi Secundi, Op. Cit., p.112.

اقتنص نبلاء الشمال فرصة ائتلاف النبلاء الويلزيين معهم، فأرسلوا قواتهم إلى لندن في 1 آب 1321، بعد أن زودوها بتعليمات خلاصتها أن تعسكر في ضواحي العاصمة، وتهدد بتدميرها إذا رفض الملك نفي آل ديسبينسر، وبعد مرابطة تلك القوات، نصح إيرل بيمبروك الملك، قائلاً: "**أيها الملك أنظر إلى قوة اللوردات ولا تخسر مملكتك واقتبس من الكتاب المقدس سيفنى من حب أحداً أكثر من نفسه**"، لكن الملك تغاضى عن قوله[1]، تزامناً مع انعقاد البرلمان لحسم ذلك الملف، وأثناء نقاشات البرلمان أورد النبلاء عشرات الاتهامات ضدهم، فرضخ الملك، وأمر في 14 آب 1321 بنفيهم[2]، وبعد ستة أيام أعلن عفوه عن النبلاء المتورطين في اعمال العنف السابقة[3].

أقسم الملك إدوارد الثاني على الانتقام من اعضاء برلمان وستمنستر والنبلاء الذين أجبروه على نفي أقرب مستشاريه اليه، لاسيما بارثولوميو بادلسمير[4]، الذي قرر الملك محاصرته في معقله بقلعة ليدز (Leeds Castle)، فأرسل في 23 تشرين الأول 1321، جزءاً من قواته لحصار قلعة ليدز[5]، ووافاهم الملك بنفسه في 25 تشرين الأول1321 لتشديد الحصار على القلعة[6]، وحين علم النبلاء الويلزيون بتلك الانباء هبوا لنجدة بادليسمير وتوجهوا إلى كينغستون في 27 تشرين الأول 1321، فقابلهم رئيس أساقفة كانتربري وأسقف لندن وعرضا عليهم التوسط لدى الملك إذا انسحبوا[7]، فأكد النبلاء الويلزيون ضرورة رفع الملك حصاره عن قلعة ليدز فوراً، وتعهدوا بتسليمها له لاحقاً إذا رفع الحصار، لكنهم شعروا بالضعف بعد أن أمرهم إيرل لانكستر بعدم مساعدة بادلسمير والعودة إلى ديارهم[8]، فانسحبوا من كنغستون في 31 تشرين الأول1321، ونكاية بالنبلاء أعاد إدوارد الثاني هيو ديسبينسر إلى إنگلترا وأمره بمهاجمتهم[9].

---

(1) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.75.
(2) Calendar of Close, Op. Cit., p.492 – 494.
(3) Martyn John Lawrence, Power Ambition and Political Rehabilitation The Despensers 1281 – 1400, D.Phil. thesis, University of York, 2005, p.27.
(4) The Anonimalle Chronicle 1307 to 1334, eds. W. Childs & J. Taylor, Yorkshire, 1991, p.103 ; P. C. Doherty, Isabella Queen of England, D.Phil. thesis, University of Oxford, 1977, p.83 – 85.
(5) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.458.
(6) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.77.
(7) Chronicon Galfridi le Baker de Swynbroke, ed. E. M. Thompson, London, 1889, p.12.
(8) Calendar of Patent, Op. Cit., p.32.
(9) George L. Haskins, The Doncaster Petition 1321, Oxford, 1938, p.479.

استهجن معارضي الملك عودة هيو ديسبينسر إلى مملكتهم، فعاودوا التمرد، وسيطروا على قلعة وارويك (Warwick Castle) في 11 تشرين الثاني1321، ثم أرسلوا قواتهم إلى غلوستر لمنع ديسبينسر من حشد قواته في جنوب شرق ويلز[1]، فأصدر إدوارد الثاني في 12 تشرين الثاني1321 تحذيرًا صارمًا لأولئك النبلاء[2]، وتبنى تدابير قاسية لشق صفوفهم، ليس أخرها اصداره أمر في 15 تشرين الثاني1321 برفع الضرائب على ممتلكاتهم[3]، وإعلانه اطلاق حملة ملكية ضدهم[4]، لاسيما روجر الذي أصبح عدوه الألد[5]، حين تسنم قيادة المتمردين عليه في تشرين الثاني 1321[6].

استدعى إيرل لانكستر البارونات إلى دونكاستر (Doncaster) في 29 تشرين الثاني1321 لمناقشة الحراك الملكي المفاجئ ضد نبلاء ويلز[7]، وأرسل في 2 كانون الأول1321 خطاباً إلى سكان لندن[8]، ادعى فيه أن معارضتهم للملك مشروعة بسبب حمايته آل ديسبينسر رغم ابتزازهم النبلاء الإنكليز والويلزيين على حدٍ سواء[9]، ورأس الإيرل مجلس حرب لبارونات شمال إنكلترا اتفقوا فيه على التعاون أمام أي خطر ملكي[10]، وطلب من حلفائه جمع قواتهم لمواجهة القوات الملكية[11]، ولضمان التفوق على إدوارد الثاني تواصلَ سراً بالملك الإسكتلندي[12]، فحدثت مفاوضات اِنْتَهَتْ إلى تعهد الإيرل بإبرام سلام مَعَ إسكتلندا يتضمن الاعتراف باستقلالها، وبـ روبرت بروس ملكاً عليها, مقابل تعهد الأخير بدعم مساعيه لخلع إدوارد الثاني عن العرش، وإرساله قوات إسكتلندية إلى نورثمبريا لدعم المتمردين عَلَى إدوارد الثاني[13]، لكن الملك الإسكتلندي لَمْ يكن جاداً في تنفيذ اتفاقه لعدم ثقته بالإيرل، وَهُوَ ما بينه الملك بوضوح، حين خاطب مستشاريه قائلاً: **"كيف يمكن لرجل لم يحفظ وعوده مَعَ ملكه أَنَّ يحافظ**

(1) J. R. S. Phillips, Aymer de Valence …, p.217.
(2) Parliamentary Writs, Op. Cit., Vol. II, p.169.
(3) Calendar of Patent, Op. Cit., p.35.
(4) Calendar of Close, Op. Cit., p.506.
(5) J. R. S. Phillips, Aymer de Valence …, p.218.
(6) Placitorum Abbreviatio, ed. William Illingworth, London, 1811, p.345.
(7) George L. Haskins, Op. Cit., p.479.
(8) Le Livere de Reis de Brittanie, ed. J.Glover, London, 1865, p.339.
(9) George L. Haskins, Op. Cit., p.483 – 485.
(10) Vita Edwardi Secundi, Op. Cit., p.120 – 121.
(11) Calendar of Patent, Op. Cit., p.38.
(12) Walter Scott, The Prose Works of Sir Walter Scott, Vol. VIII, A. and W. Galignani and C., Paris, 1834, p.47.
(13) Caroline Bingham, Op. Cit., p.279.

عليها معي؟"[1]، ولذا فهدف الملك روبرت اقتصر على إثارة البلبلة في إنگلترا[2].

استغل النبلاء الويلزيون تدهور علاقة إيرل لانكستر بالملك إدوارد الثاني فاقتحموا مدينة غلوستر في 6 كانون الأول1321[3]، واستولوا على قلعتها[4]، وباشروا بتعبئة وتدريب المزيد من المقاتلين[5]، وحين سمع الملك بذلك غادر لندن لمباشرة حملة عسكرية ضدهم[6]، وبعد وصوله إلى سيرينستر (Cirinster)، في 20 كانون الأول 1321، عبأ قواته، ووضع خططاً عسكرية لشن هجمات واسعة النطاق على المتمردين لكنه تجنب الهجوم على غلوستر، واتجه إلى ووستر (Worcester)[7]، وحين اقترب من الضفة اليسرى لنهر سيفرن هاجمه بعض المتمردين، وتعرض جيشه إلى خسائر[8]، اضطرته لتغيير مساره إلى بريدجنورث (Bridgnorth)[9]، لكن آل مورتمير اقتحموها في 5 كانون الثاني 1322 وأغلقوها بوجه القوات الملكية، مما جعل إدوارد الثاني متوثباً للقضاء على آل مورتيمر بوصفهم الحلقة الاقوى بين معارضيه، فأقال تشيرك مورتيمر من منصب قاضي ويلز في كانون الثاني 1322، وعَينَ إيرل أروندل بديلاً عنه[10].

وتستوقفنا هنا حقيقة مفادها أن الملك الإسكتلندي روبرت الأول استغل تردي أوضاع إنگلترا، فأرسل جيشاً عبر الحدود إلى دارلينغتون (Darlington), وهاربوتل, وريتشموند (Richmond), وعاث فيها فساداً[11], عَلَى مرأى ومسمع من إيرل لانكستر، واقترن ذلك الأمر باكتشاف إدوارد الثاني خيانة إيرل لانكستر له عن طريق رئيس أساقفة يورك وليام ميلتون، الَّذِي أرسل إِليهِ بَعْضِ مراسلات الإيرل مَعَ الإسكتلنديين الَّتِي ذيلها بإسم الملك آرثر, فقرَّرَ الملك إدوارد الثاني القضاء عَلَى الإيرل الخائن بعد حسم ملف التمرد الويلزي[12], وبدا ضعف الملك إدوارد الثاني واضحاً حين أكد لـ إيرل كاريك السير

---

(1) Quoted in: Caroline Bingham, Op. Cit., p.279.
(2) Clifford J. Rogers, The Oxford Encyclopedia of Medieval Warfare and Military Technology, Vol. I, Oxford University Press, New York, 2010, p.229.
(3) J. R. S. Phillips, Aymer de Valence …, p.217.
(4) Flores Historiarum, Op. Cit., Vol. III, p.346.
(5) R. M. Haines, The Church and …, p.135.
(6) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.463 – 465.
(7) Flores Historiarum, Vol. III, Op. Cit., p.346.
(8) Calendar of Fine, Op. Cit., p.84 – 85.
(9) Calendar of Patent, Op. Cit., p.44.
(10) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.82.
(11) Clifford J. Rogers, The Oxford Encyclopedia of Medieval …, Vol. I, p.229.
(12) Stephen Spinks, Op. Cit., p.220.

أندرو هاركلي أَنَّ مؤسسة العرش الإنكليزي تعلم بخطورة الإسكتلنديين عَلَى مقاطعات شمال إنكلترا، لَكِنَّ ردها لن يكون حاسماً ومؤثراً إلَّا بعد وأد تمرد نبلاء ويلز[1], واستناداً لتلك الرؤية أمر الملك إدوارد الثاني إيرل كاريك بتقوية دفاعات قلعته, ومنحه صلاحية التفاوض عَلَى هدنة مؤقتة مَعَ الإسكتلنديين[2].

دفعت التطورات السابقة الملك إدوارد الثاني لتكثيف ضغوط العسكرية على متمردي ويلز فاتجه إلى شروزبري لاتخاذها منطلقاً لمهاجمتهم، لكنهم حاولوا تشتيت قواته، فهاجم إيرل هيريفورد ضواحي ووستر وقلاع ديسبينسر الأكبر في بلدتي إلملي وهانلي، وركز مورتمير قواته في وسط ويلز لحمايتها من الجيش الملكي[3]، بيد أن التطورات السوقية لسجالات الملك ضد نبلائه المتمردين في تلك المرحلة غايرت الواقع العسكري للمراحل السابقة، كونها شهدت زمام المبادرة لصالح الملك، وانتقال مركز ثقل الفعاليات العسكرية في وسط ويلز، فحاصر الجيش الملكي قلعتي كلون (Clun Castle) وتشيرك، وأطلق الملك مبادرات سلمية لكسب الويلزيين إلى جانبه، فتفرق الآلاف منهم عن نبلائهم المتمردين[4]، وقرن الملك إدوارد الثاني تدابيره السابقة بإرسال خطابات إلى النبلاء المتمردين وعدهم فيها بالعفو عنهم، والنظر في مظالمهم، مقابل استسلامهم اليه، فخُدعوا بخطاباته المضللة، وفكروا في الصلح بعد أن أنفض عنهم أغلب انصارهم واعيتهم الحيلة في التصدي لجيشه[5]، لاسيما بعد أن سقطت قلعة إيرل لانكستر في هولت (Holt) بيد القائد الملكي روبرت لو إيور (Robert le Eure)[6].

أجرى المتمردون الويلزيون في 13 كانون الثاني 1322 مفاوضات استسلام مع رُسل ملكيين تكللت بالاتفاق على ضمان أمنهم وامتيازاتهم، ومُنحَ واحد وعشرين منهم تصاريح أمنة، لكن تلك المفاوضات كانت "**مؤامرة من الرسل الملكيين**" لطمأنة النبلاء المتمردين ثم اعتقالهم[7]، وهو ما حدث في 15 كانون الثاني 1322[8]، تلاه استيلاء

(1) Anthony Guggenberger, A General History of the Christian Era, Vol. II, B. Herder, 1901, p.43 – 44.
(2) R. M. Haines, King Edward II: His Life, His Reign, and Its Aftermath, 1284-1330, Mcgill-Queens University Press, London, 2003, p.270.
(3) J. R. Maddicott, Sir Otto de …, p.305.
(4) Calendar of Inquisitions Miscellaneous Preserved in the Public Record Office 1219 – 1422, Vol. VII, London, 1916, p.170.
(5) Chronica Monasterii de Melsa, ed. E. A. Bond, Vol. II, London, 1867, p.340.
(6) Bridlington, Op. Cit., Vol. II, p.74 – 75.
(7) Chronica Monasterii de Melsa, Op. Cit., p.340.
(8) Calendar of Close, Op. Cit., p.511 – 512.

القائد الملكي جروفيد لويد في 16 كانون الثاني1322 على قلعة ويلشبول، وأسر جون دي تشارلتون[1]، وفي 22 كانون الثاني 1322 استسلم من تبقى من آل مورتيمر[2]، فابتهج إدوارد الثاني وكتب خطاباً إلى باروناته جاء فيه: "**إن آل مورتمير مثلوا أمامي واعترفوا بخيانتهم، ثم وضعوا أنفسهم تحت رحمتي**"[3] "**للحصول على عفو ملكي**"[4]، وهو ما استهجنه أحد المؤرخين حين ذكر أن آل مورتيمر زجوا ويلز في تمرد ضد إدوارد الثاني، ثم استسلموا دون انتظار التعزيزات التي وعدهم بها إيرل لانكستر[5]، وهنا لا بد من التنبيه إلى أن آل مورتيمر استسلموا بعد أن حذرهم إيرل لانكستر من استمرار تعاونهم مع بارثولوميو بادلسمير وإلا سيتخلى عنهم[6]، واستناداً لما تقدم لم يكن لآل مورتيمر بديل عن الرضوخ في ظل الإصرار الملكي على النيل منهم، وتقاعس اتباعهم عن دعمهم، وتخلي إيرل لانكستر عنهم[7]، وانطبق الشيء ذاته على أغلب حلفائهم، فقد استسلم معهم رايس أب هيويل وآيمر بونسفوت (Aymer Ponsfoot)، ثم استسلم موريس بيركلي الأب وهيو أودلي الأب (Hugh Audley)[8].

حرص إدوارد الثاني على كسب أهالي ويلز، فجعل يوم استسلام آل مورتيمر في 22 كانون الثاني 1322 توقيتاً للعفو عن المتورطين في مناوئة سلطته، وفوض قائد قلعة مونتغمري فيليب دي ميدلتون (Philip de Middleton)، باستقبال الراغبين في نيل العفو الملكي[9]، وفي ذلك الظرف الدقيق استولى هيو على ضيع آل مورتيمر جنوب ويلز[10]، بذريعة الانتقام لموت جده الذي قُتل أثناء حرب البارونات[11]، واستولى إيرل أروندل على "**ممتلكات روجر مورتيمر في ويجمور ووسط ويلز**"، ولم تستثن السلطات الملكية أراضي روجر الأيرلندية من المصادرة[12]، وفي مقدمتها تريم التي الحقتها في 23 كانون الثاني1322 بأملاك العرش، وأوكلت حراستها إلى موظفين مرتبطين

(1) Calendar of Patent, Op. Cit., p.49.
(2) Parliamentary Writs, Op. Cit., Vol. II, p.174.
(3) James Conway Davies, The Baronial Oposition …, p.561.
(4) W. Dugdale, Op. Cit., Vol. VI, p.352.
(5) Polychronicon Ranulphi Higden, ed. J.R.Lumby, Vol. VIII, London, 1882, p.310.
(6) Chronica Monasterii de Melsa, Op. Cit., p.340.
(7) J. R. Maddicott, Sir Otto de …, p.295 – 296.
(8) Thomas Walsingham, Quondam Monachi …, Vol. I, p.183.
(9) Calendar of Patent, Op. Cit., p.51.
(10) Calendar of Fine, Op. Cit., p.143.
(11) Vita Edwardi Secundi, Op. Cit., p.109.
(12) Calendar of Fine, Op. Cit., p.91, 93.

بالملك[1]، واعتُقل روجر ورفاقه في برج لندن بتاريخ 13 شباط 1322[2].

وأثبت إدوارد الثاني قدرة استثنائية على سحق معارضيه حين وجه قياداته الميدانية بتدمير ما بقي منهم، فشن القائد روبرت لو إيور في 10 آذار 1322 هجوماً كاسحاً على المتمردين في معركة بيرتون (Burton)[3]، واستكمل إدوارد الثاني سلسلة انتصاراته حين منع إيرل لانكستر من التواصل مع الإسكتلنديين[4]، وسحقهُ في 16 آذار 1322 في معركة بورو بريدج (Borough Bridge)، وقتل أغلب نبلائه أثناء المعركة، بضمنهم إيرل هيريفورد[5]، بينما حوكم إيرل لانكستر وحلفائه في بونتيفراكت وأعدموا[6]، وسجن نجل بارثولوميو بادلسمير، ونجل جون دي موبراي في برج لندن مع آل مورتمير[7]، أما الذين فروا من إنگلترا كـ موريس بيركلي الابن (Maurice Berkeley)[8] وجون بوتيتورت ووليام تروسيل (William Trussell)[9]، فقد أمر إدوارد

---

(1) Calendar of the Charter, Op. Cit., p.441 – 446.
(2) Bridlington, Op. Cit., Vol. II, p.74 – 75.
(3) Ibid, p.74 – 75.
(4) Anne Curry and Michael Hughes, Arms, Armies and Fortifications in the Hundred Years War, The Boydell Press, UK, 1994, p.4.
(5) Charles Arnold Baker, The Companion to British History, Routledge, New York, 2002, p.499.
(6) Sidney J. Low and F. S. Pulling, Op. Cit., p.1031.
(7) Natalie Fryde, Op. Cit., p.160 – 163.
(8) (1281 – 1326): اباه توماس دي بيركلي وامه جوان دي فيريرز، عينه إدوارد الثاني عام 1312 حاكماً لغلوستر ثم بيرويك عام 1314، وقاضياً لجنوب ويلز عام 1316، ووكيلاً لدوقية اكيتاين عام 1319، شارك في حروب إسكتلندا، لكن مشاركته في تمرد إيرل لانكستر ضد إدوارد الثاني انهت مستقبله، فاستسلم في شباط 1322، وسجن في قلعة والينجفورد، حتى توفي في 31 أيار، ينظر: Hamilton Hall, The Seize of Berkeley, Transactions of the Bristol and Gloucestershire Archaeological Society, Vol. 28, 1905, p.104 – 107.
(9) (؟؟ – 1347): ولد في وارويك، تزوج مود ابنة وارين ماينوارينج ورزق منها بثلاثة أطفال، أصبح شريفاً لوارويك وليستر عامي 1314 – 1315، مثل ليستر في برلمان 1314، كان مؤيداً لآل لانكستر، وأدى دوراً في اغتيال بيرس غافستون، لكن إدوارد الثاني عفا عنه وعينه شريفاً لنورثهامبتون عام 1319، اشترك في تمرد البارونات ضد إدوارد الثاني عام 1322، فسجن في قلعة سكاربورو في تموز 1322 لكنه هرب إلى فرنسا في 14 آذار 1323، انضم إلى المتمردين عام 1326، شارك في محاكمة آل ديسبنسر، وعين رئيساً لمجلس العموم في 21 كانون الثاني 1327، ثم اصبح مستشار إدوارد الثالث، دفن في كنيسة القديس ميخائيل في دير وستمنستر، للمزيد، ينظر: Ann Darracott, The Genealogy of the Trussell Family from C13th to C15th/16th, London, 2018.

الثاني
بمحاكمتهم غيابياً، وصدرت احكام بسجنهم مدى الحياة[1].

قرر الملك إنهاء ما بقي من المتمردين عليه، فعين في 14 تموز1322، قضاة لمحاكمة "**الخونة للملك ومملكته**"[2]، فاعتقد المتمردون السجناء في برج لندن بقرب اعدامهم، لاسيما بعد معرفتهم ما غدا عليه الملك من استبداد بعد معركة بوروبريدج، التي تلتها موجة اعدامات لمعارضيه وسجن زوجاتهم وأطفالهم[3]، وواجه روجر وعمه تشيرك حكماً أولياً بالإعدام بتهمة الخيانة العظمى ونكث يمين الولاء، لكن ذلك المسار القضائي الصارم اصطدم بتوازنات القوى داخل البلاط وخارجه، مما دفع إدوارد الثاني لتخفيف حكمهما إلى السجن مدى الحياة استجابةً لضغوط مركبة شملت التماسات الويلزيين ووساطة كنسية مدعومة بنفوذ الملكة إيزابيلا لتجنب إحراج حلفائها الأساقفة[4].

حرص الملك في الوقت ذاته على تدمير اعدائه الإسكتلنديين، ولإضفاء الشرعية على فعالياته القتالية أرسل خطاباً إلى البابا يوحنا الثاني والعشرين، أوضح فيه نيته فرض السلام عَلَى إسكتلندا بقوّة السلاح, واشرف شخصياً عَلَى تحشيد جيش كبير في نيوكاسل طوال شهر تموز 1322[5]، ولخطورة تِلْكَ الإجراءات تبنى الإسكتلنديون استراتيجية عسكرية استباقية لتشتيت الإنكليز، من خلال شن حملة عسكرية قادها الملك الإسكتلندي عَلَى ساحلي كمبريا ولانكشاير فَدُمِرَتْ بلدتي لانكستر وبريستون (Preston) وكارلايل, ثم عاد الإسكتلنديون محملين بالغنائم إلى بلادهم في 24 تموز[6]، وفور وصوله إلى بلاده هيأ الملك روبرت بروس الترتيبات اللازمة لمواجهة الغزو الإنكليزي الوشيك بتبني استراتيجية تحاشي مواجهة مَعَ الجيش الإنكليزي، وتبني أسلوب الأرض المحروقة لاستنزافه، فأمر بإخلاء الجنوب الشرقي من إسكتلندا من سكانه وحيواناته ومحاصيله[7], وتقوية دفاعات بيرويك ليقينه أَنَّ احتلالها هُوَ الهدف الرئيس من الحملة

(1) John Smyth of Nibley, The Lives of the Berkeleys from 1066 – 1618, Vol. I, ed. John Maclean, Gloucester, 1883, p.247 ; Eulogium Historiarum, Vol. III, ed. F. S. Haydon, London, 1863, p.197.
(2) Parliamentary Writs, Op. Cit., Vol. II, p.213 – 217.
(3) Flores Historiarum, Op. Cit., Vol. III, p.215 – 217.
(4) Calendar of Ancient Petitions Relating to Wales from the thirteenth to the Sixteenth Century in the Public Record Office, London, 1975, p.255.
(5) Caroline Bingham, Op. Cit., p.281 – 282.
(6) Stephen Spinks, Op. Cit., p.223.
(7) Chris Brown, Op. Cit., p.283.

الإنكليزية عَلَى بلاده[1].

وصل إدوارد الثاني بجيشه البالغ عشرين ألف مقاتل إلى لوثيان، ثم توجه نحو إدنبرة، وعسكر فيها بانتظار وصول سفن الامدادات[2], لَكِنَّ أسطوله تعرض لغارات الفلمنكيين[3]، الَّذِينَ دعموا الإسكتلنديين ضد الإنكليز, واستحال عَلَى الأسطول الإنكليزي موافاة جيشه في إدنبرة، فتناقصت مؤن الإنكليز، وتفشى الجوع في صفوفهم، مما أجبر الملك إدوارد الثاني[4]، للتوجه بجيشه نحو ميلروز للحصول على مؤنها, لكن ثلاثمائة من الإنكليز الباحثين عن الطعام وقعوا في كمين إسكتلندي أتى عليهم فانسحب الملك إدوارد الثاني إلى إنكلترا أواخر أيلول من العام ذاته[5]، وأثبت المتمردون خطرهم على الملك مجدداً، فمع أن زعمائهم كانوا مسجونين في برج لندن، لكن اتباعهم استغلوا غياب الملك في إسكتلندا وقاموا بفعاليات قتالية محدودة، فشن جون مالترافيرز (John Maltravers)[6]، وزملاؤه من أتباع عائلة بيركلي في أيلول[7] غارات انتقامية على

---

(1) Ronald McNair Scott, Op. Cit., p.202.

(2) Clifford J. Rogers, The Oxford Encyclopedia of Medieval …, Vol. I, p.229.

(3) عرق جرماني سكن الاراضي المنخفضة، واقام فيها مدن تجارية مزدهرة تمتعت بنوع من الاستقلال عن فرنسا والامبراطورية الرومانية المقدسة، مَعَ أن جزئها الشمالي ارتبط نظرياً بالإمبراطورية الرومانية المقدسة، وجزئها الجنوبي المسمى مقاطعة الفلاندرز ارتبط نظرياً بفرنسا, للمزيد، انظر: James Minahan, One Europe, Many Nations: A Historical Dictionary of European National Groups, UK, 2000.

(4) Michael Prestwich, The Three Edwards: War and State in England, 1272 – 1377, London, 2003, p.51.

(5) John Barbour, The Bruce ..., p.682 – 684.

(6) (1290 – 1364): ولد في مقاطعة دورست، اباه السير جون مالترافيرز وأمه اليانور، اختير فارساً لـ دورست في 20 تشرين الأول 1318، تزوج ميليسنت ابنة موريس دي بيركلي، وانجب منها أربعة أبناء، وبعد وفاتها تزوج أغنيس بيريفورد، كان رفيقًا لروجر مورتيمر، حصل على عفو ملكي في آب 1321 عن تورطه في مطاردة آل ديسبينسر، شارك في معركة بوروبريدج في 16 آذار، فهرب ثم استعاد ممتلكاته عام 1327، عُين في 3 نيسان 1327 حارساً لـ إدوارد الثاني لكنه اتهم باغتياله، وحكم عليه بالإعدام، ففر إلى الفلاندرز، وبسبب خدماته لـ إدوارد الثالث مُنح حماية ملكية في 5 آب 1345، وأصبح حاكم جزر القنال عام 1351، استعاد ممتلكاته في 8 شباط 1352، توفي في ١٦ شباط ودُفن في ليتشيت، للمزيد، ينظر: Charles Lethbridge, John Maltravers, ed. Lee Sidney, Dictionary of National Biography, Vol. 36, 1893, London.

(7) Natalie Fiyde, Op. Cit., p.123 – 133.

عقارات هيو ديسبينسر الأب (Hugh Despenser the Elder)[1] جنوب ويلز[2].

أثبت الملك روبرت بروس مجدداً دقة حساباته العسكرية، فشرع بحملة عسكرية في 1 تشرين الأول 1322 نحو كارلايل ثم كمبريا، وبعد سماعه بإقامة إدوارد الثاني في بلاكشو مور (Blackshow Moor)، بهدف تحشيد جيش إنگليزي هناك[3], تحرك مسرعاً ليلة 13 تشرين الأول لاعتقاله, لَكِنَهُ اصطدم بقطعات إنگليزية بقيادة إيرل ريتشموند جون بريتاني، فاِشْتَبَكَ مَعَهُ في معركة اولد بايلاند (Battle of Old Byland), الضارية التي اِنْتَهَتْ بانتصار الإسكتلنديين[4], وفور انتصاره أمر الملك روبرت والتر ستيوارد بالتوجه إلى محل اقامة إدوارد الثاني في دير ريفلوكس (Rievaulx Abbey), لَكِنَّ إدوارد الثاني فرّ تاركاً وراءه مبالغ كبيرة، وختمه وأمتعته الملكية, فاستولى عليها الإسكتلنديون[5]، تاركين إدوارد الثاني في حيرة من أمره، بعد تشتت قواته، ونهب أمواله[6].

تلقى الملك إدوارد الثاني درساً مؤلماً مفاده أن حراكه عسكرياً في محورين ينعكس سلباً على قوته، فقرر استئصال ما بقي من ذيول المتمردين في إنگلترا، فأصدر في 28 تشرين الأول 1322 أمراً باعتقالهم في ووستر وغلوستر[7]، لهجماتهم على عقارات ديسبينسر في مالفرن (Malvern) وسط ووستر[8]، أردفه بأمر ملكي ثان في 1 تشرين الثاني 1322 لاعتقال جميع من ثبت تورطه في التمرد عليه[9]، وفي 11

---

(1) (1261 – 1326):ولد في 1 آذار، والده هيو لو ديسبنسر وأمه ألين وريثة فيليب باسيت، قُتل والده في معركة افيشام لكن نفوذ جده لأمه انقذ ارثه من المصادرة، تزوج ايزابيل ابنة إيرل وارويك وليام دو بوشامب، وانجب منها أربعة اطفال، خدم إدوارد الأول ونال لقب بارون عام 1295، أصبح ابنه هيو ديسبنسر مفضلاً لدى إدوارد الثاني مما أثار قلق البارونات فتم نفيه مع ابنه عام 1321، ثم استدعاهم إدوارد الثاني، وعينه إيرلاً على ونشستر عام 1322، تم أسره في بريستول، وشنق مرتدياً درعه في 27 تشرين الأول، ثم قطعت جثته واطعمت للكلاب، وأرسل رأسه إلى ونشستر، ينظر: Roy Martin Haines, King Edward II His Life, His Reign and its Aftermath, 1284 – 1330, Montreal, 2003, p.320 – 324.

(2) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.87.

(3) Thomas Wright and J. G. Cumminc, The History and Topography of the Counties of Cumberland and Westmoreland, London, 2011, p.17.

(4) John Barbour, The Bruce ..., p.690.

(5) Brian And Moira Gittos, Interpreting Medieval Effigies: The evidence from Yorkshire to 1400, Oxbow Books, 2019, p.153.

(6) James H. Ramsay, Genesis of Lancaster …, Vol. 1, p.134.

(7) Calendar of Patent, Op. Cit., p.254.

(8) Natalie Fryde, Op. Cit., p.151.

(9) Calendar of Patent, Op. Cit., p.215.

تشرين الثاني 1322، أصدر أمراً ثالثاً باعتقال المتمردين المرتبطين بجون ويارد وجون ديل شاستيل (John Del Chastel) وريتشارد وروبرت هارلي (Robert Harley)[1]، لتورطهم في مهاجمة أملاك آل ديسبينسر[2]، وتزامناً مع تلك المراسم نمت إلى اسماع الملك تفاصيل مؤامرة حاكها روجر للإطاحة به، وأن المتآمرين اجروا مفاوضات مع الملك روبرت لخلعه وارساء سلام بين المتمردين الإنكليز والملك الإسكتلندي[3].

وتأكدت تلك الأنباء بعد اقتراف إيرل كاريك خطئاً فادحاً حين قَرَّرَ دون مشاورة ملكه الشروع في مفاوضات مَعَ الملك روبرت, فسافر في 3 كانون الثاني 1323، إلى قلعة لوخامبين[4], وأجرى مفاوضات اِنْتَهَتْ إلى وضع أُسس لمعاهدة سلام خلاصتها الاعتراف بإسكتلندا مملكة مستقلة، خاضعة لروبرت بروس[5]، وفور اطلاع اندرو هاركلي الملك عَلَى تفاصيل اتفاقه اتهمه بالخيانة واعتقله، وبعد سيطرة المتمردين على قلعة والينجفورد أرسل الملك في 17 كانون الثاني 1323 جيشاً حاصرهم[6]، واعتقلهم بضمنهم موريس بيركلي الأب وهيو أودلي الأب[7]، وبعد استجوابهم ذكروا أنهم خططوا لتخليص معارضي الملك من برج لندن ثم تعبئتهم للتمرد عليه[8].

زاد الملك إدوارد الثاني عدد حراس سجن برج لندن، وعين في شباط 1323 أحد ثقاته الذي يدعى ستيفن دي سيجريف (Stephen de Segrave)[9] قائداً لهم، وضاعف مرتباتهم إلى خمسة عشر ألف مارك، مقابل تشديدهم الإجراءات الأمنية في

---

(1) Calendar of Close, Op. Cit., p.685.
(2) Calendar of Patent, Op. Cit., p.17.
(3) Calendar of Documents Relating to Scotland Preserved in the Public Record Office, London, ed. J. Bain, Vol. IV, London, 1881, p.502.
(4) Ronald H. Fritze and William B. Robison, Historical Dictionary of Late Medieval England (1272-1485), Greenwood Press, London, 2002, p.597.
(5) R. M. Haines, King Edward II …, p.272.
(6) Calendar of Patent, Op. Cit., p.234.
(7) Vita Edwardi Secundi, Op. Cit., p.129 – 130.
(8) Johannis de Trokelowe et Henrici de Blaneforde, Chronica et Annales, Edited by H. T. Riley, London: Longmans, Green, and Co., 1866, p.138 – 139.
(9) (1280 – 1325): ولد في سيجريف الواقعة في ليستر، أباه بارون سيجريف الثاني جون، تزوج أليس فيتز الان عام 1314، وانجبا أبناء منهم بارون سيجريف الرابع جون سيجريف، دخل في خدمة الملك إدوارد الثاني، الذي اسند له مهام إدارية وأمنية، استدعت مكوثه في العاصمة لندن، توفي في 12 كانون الأول، للمزيد، ينظر: George E. Cokayne et al., Op. Cit., Vol. XI, p.596 – 598.

برج لندن، ووأد أية محاولة لإطلاق سراح السجناء[1]، وغذا هيو ديسبنسر وبعض بارونات الشمال مخاوف الملك لتأليبه ضد إيرل كاريك بتهمة تواصله بين الملك روبرت بروس والمتمردين الإنكليز، فاعتقله واخضعه لمحكمة قضت بإعدامه في 3 آذار 1323, فغدت كارلايل فريسة سهلة للإسكتلنديين الَّذِينَ طالما طمعوا فيها[2]، وبسبب هواجسه أمر الملك في 7 نيسان 1323 بإجراء تحقيقات في المؤامرة الأخيرة للاستيلاء على والينجفورد، ووندسور، وبرج لندن[3]، ولاشك أن جميع ما حصل منذ اعتقال روجر كان مربكاً للملك، الذي أدرك أن بقاء روجر حياً سيكون دافعاً لمؤيديه على استمرار التمرد ومحاولة تهريبه من سجنه، مع ما يتبع ذلك من تهديد خطير للعرش الإنكليزي[4].

واللافت أَنَّ تلك المتاعب دفعت إدوارد الثاني لإجراء مفاوضات مَعَ الإسكتلنديين[5]، اِنْتَهَتْ باتفاق بيشوب ثورب (Truce of Bishopthorpe)[6], الذي نص على سريان هدنة بين البلدين امدها ثلاثة عشر عاماً[7]، وعدم تشييد أي منهما تحصينات جديدة في المقاطعات الحدودية، وتعيين حراس من كلا الجانبين للسيطرة عَلَى المعابر الحدودية[8]، وإحالة الأمور المعقدة إلى الملكيين للبت فيها، وتجنب الإنكليز السفن الإسكتلندية[9]، وعدم معارضة إزالة الحرمان الكنسي ضدهم[10].

ويبدو أن ابرام تلك هدنة في 30 أيار 1323، قد اضافت زخماً لمساعي إدوارد الثاني ضد معارضيه لأنها مكنته من التفرغ لشؤون مملكته، دون الخوف من التهديدات الإسكتلندية التي طالما ارهقته، فتعامل بشدة مع بارونات المتمردين ورعاياه المتعاطفين

(1) Placitorum Abbreviatio, Op. Cit., p.343.
(2) Natalie Fryde, Op. Cit., p.157.
(3) Calendar of Patent, Op. Cit., p.314.
(4) Johannis de Trokelowe et Henrici de Blaneforde, Op. Cit., p.146.
(5) J. R. S. Phillips, Aymer de Valence …, p.231.
(6) George Chalmers, Caledonia Or A Historical and Topographical Account of North Britain from the Most Ancient to the Present Times, Vol. II, Printed for T. Cadeli and W. Davies, London, p.230.
(7) William Ferguson, Scotland's Relations with England A Survey to 1707, Bell & Bain, Britain, 1977, p.26.
(8) R. Clark, Scotia, The Journal of the St. Andrew Society, Vol. I, St. Andrew Society, Edinburgh, 1907, p.11.
(9) James H. Ramsay, Genesis of Lancaster …, p.136.
(10) Caroline Bingham, Op. Cit., p.293.

معهم، حتى أنه أمر شريف بونتفراكت (Pontefract) في حزيران 1323 بغلق موقع إعدام توماس لانكستر أمام جموع الإنگليز التي وفدت إليهِ من جميع انحاء المملكة للتبرك به، بعد ما اشيع عن حدوث معجزات فيه جعلته رمزاً ضد إدوارد الثاني الذي قتله متجاهلاً قرابته[1]، وشاع أيضاً حدوث كرامات في مدفن هنري دي مونتفورت (Henry de Montfort)[2]، في بريستول[3]، وتوافد الحجاج إلى تلك المواضع، وتحول تقديسهم لأولئك البارونات إلى مقت لـ إدوارد الثاني الذي أعدمهم، فوبخ إدوارد الثاني في 28 حزيران 1323 أسقف لندن وطلب منه تكذيب تلك المزاعم، خشية تحولها إلى نشاط مناوئ للملكية، وفي تلك المرحلة زادت خطورة روجر لأنه بعد اعدام توماس لانكستر غدا محور المعارضة البارونية، مما جعل اعدامه طوق النجاة لـ إدوارد الثاني[4].

أدرك روجر أن أيامه باتت معدودة، فدبر مخططاً جريئاً تمخض عن فراره من برج لندن في 1 آب 1323[5]، إلى بورتسموث (Portsmouth)، ومنها إلى فرنسا[6]، وفي 26 آب 1323 ترشحت معلومات إلى الملك بأن روجر ينوي الذهاب إلى أيرلندا، وزاد شك السلطات الملكية بعد رصد ثلاثة سفن أيرلندية قبالة ساحل كنت، فتم تعيين جواسيس للتأكد من وجود روجر على متن احداها، وفي 28 آب 1323 صدرت أوامر ملكية إلى سلطات أيرلندا وقاضيها ونبلائها ببث العيون في عموم أيرلندا لرصد روجر إذا وصل اليها، واعتقاله، لكن إدوارد الثاني أيقن بسرعة أن روجر اتخذ فرنسا مقراً له[7].

---

(1) J. R. Maddicott, Sir Otto de …, p.329 – 330.

(2) (1238 – 1265): ولد في تشرين الثاني والده سيمون دي مونتفورت، وامه اليانور ابنة الملك جون، أدى مع والده دوراً في صراع البارونات ضد هنري الثالث، وهو أحد ممثلي البارونات في اتفاق اميان في كانون الثاني 1264، قاد طليعة جيش أبيه في معركة لويس في 14 أيار 1264، وبعد انتصاره تم تعيينه قائداً لقلعة دوفر، وقع مع أبيه في كمين نصبه الأمير إدوارد، فوقعت معركة افيشام التي انتهت بقتله في 4 آب، ينظر: Kate Norgate, Henry of Montfort, ed. Sidney in Lee, Dictionary of National Biography, Vol. 38. London, 1894, p. 283 – 284.

(3) Calendar of Patent, Op. Cit., p.378.

(4) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.525 – 526.

(5) Johannis de Trokelowe et Henrici de Blaneforde, Op. Cit., p.146.

(6) The Anonimalle Chronicle, Op. Cit., p.107.

(7) Calendar of Close, Op. Cit., p.133 – 134.

المبحث الخامس

نشاط روجر مورتيمر ورفاقه المتمردين في منفاهم ضد العرش الإنكليزي آب 1323

انعكس هروب روجر مورتيمر بقوة على هيكلية معارضي العرش الإنكليزي، فغدا روجر زعيم تلك المعارضة بسبب اعدام كبار زعمائها، ومن قاعدته القارية، وظف روجر مورتيمر شبكة علاقاته في ويلز وأيرلندا وإنكلترا وفرنسا لتشكيل معارضة سياسية موحدة للملك إدوارد الثاني، ومع أن الملك اعتقد أن روجر مورتيمر توجس من نشاطات روجر مورتيمر اضعف من أن يشكل تهديداً جدياً لعرشه[1]، لكنه توجس من نشاطاته، وحرص على وأدها بما تيسر له من أساليب، فبعث إلى النبيلين الفرنسيين جون (John de Finlays) وروبرت دي فينليس (Robert de Finlays) في 1 تشرين الأول 1323 خطاباً استفزازياً ابدى فيه دهشته من استضافتهما روجر مورتيمر في بيكاردي (Picardy)، متوعداً اياهما بردٍ قاس إذا لم يسلماه[2]، لكن النبيلين تجاهلا تهديده[3].

واللافت أن روجر مورتيمر استغل خلاف عاهل فرنسا شارل الرابع (Charles IV) (1322 – 1328)[4]، بصهره الملك إدوارد الثاني، فباشر نشاطاته المعارضة

---

(1) Natalie Fryde, Op. Cit., p.140.

(2) Calendar of Close, Op. Cit., p.140 – 141.

(3) Johannis de Trokelowe et Henrici de Blaneforde, Op. Cit., p.146.

(4) (1294 – 1328): ولد في كليرمون في 18 حزيران، وهو الأبن الثالث للملك فيليب الجميل، والدته ملكة نافار جوان الأولى، تسنم العرش عام 1322، واجه تحديات منها ثورة الفلاندرز عام 1323، ومحاولة الفوز بمنصب الإمبراطور الروماني المقدس عام 1324، دخل في صراع مع تابعه إدوارد الثاني حول اقطاعية غوين انتهت بإبرام سلام عام 1325، تزوج بلانش ابنة دوق بورغندي اوتو الرابع ثم ألغى زواجهما، وتزوج ماري لوكسمبورغ ابنة الامبراطور الروماني المقدس هنري السابع، فرزق منها بطفلين توفيا سريعاً، وبعد وفاتها اقترن بـ جان ديفرو ورزق منها بثلاثة بنات هن جين وماري وبلانش، توفي في 1 شباط دون وريث ذكر، وهو أخر ملوك الخط المباشر من آل كابيه، دفن في قلعة فينسين، ودفن قلبه في كنيسة كوفنت جاكوبينز في

للملك إدوارد الثاني دون الخوف من رد فعل صهره الملك الفرنسي[1]، فقرر الملك إدوارد الثاني نفي الصفة الشرعية لمعارضة روجر لعرشه على اساس أنه متمرد على عاهله الشرعي ومتورط في جرائم كثيرة، ولتحقيق ذلك أمر الملك إدوارد الثاني بتشكيل محكمة غيابية لمقاضاة روجر مورتيمر، وفي 14 تشرين الثاني 1323، وجهت تلك المحكمة سلسلة اتهامات إلى روجر عن الأحداث التي حصلت أثناء سجنه في برج لندن، ومنها تواصله مع المتمردين الذين سيطروا على قلاع وندسور ووالينجفورد، وتخطيطه لمؤامرة الاستيلاء على برج لندن لإخراجه ورفاقه السجناء منه، وقضت المحكمة بإعدامه "**لتورطه في تلك الجرائم**"[2].

ويحسب للملك ورجال بلاطه أنهم كشفوا في يوم محاكمة روجر مؤامرة بين الأخير وبعض النبلاء الإنكليز ضد مؤسسة العرش الإنكليزي، فأرسل الملك إدوارد خطاباً إلى مستشاريه ومسؤوليه ونبلائه أبلغهم فيه بحبك روجر مورتيمر مؤامرة لتهديد عرشه وقتل مستشاريه[3]، وأماط الملك اللثام عن تفاصيل تلك المؤامرة، مبيناً أنها عبارة عن اتفاق بين روجر واثنين من رفاقه الإنكليز هما: ريتشارد فيرنهال (Richard Fernhall)، وتوماس نيوبيجين (Thomas Newbigin) اللذان فور اعتقالهما اعترفا بالمخطط الخطير الذي كانا ورفاقهما على وشك تنفيذه[4]، وهو حرق قصور واراضي آل ديسبينسر، أروندیل، ومستشار الملك روبرت دي بالدوك (Robert de Baldock)[5]،

باريس، ينظر: Thomas Wyatt, istory of the kings of France; containing the principal incidents in their lives, from the foundation of the monarchy to Louis Phillippe, with a concise biography of each. Illustrated by seventy-two portraits of the sovereigns of France, Philadelphia, 1846, p.166 – 169.

(1) Natalie Fryde, Op. Cit., p.141.

(2) Calendar of Patent, Op. Cit., p.350.

(3) Ibid, p.350.

(4) Parliamentary Writs, Op. Cit., Vol. II, p.244 – 249.

(5) (1287 – 1344): كان رئيس شمامسة ميدلسكس، ثم اصبح في 27 كانون الثاني 1320 مراقب خزانة الملابس الملكية ولورد ختم الملك الخاص، ومقدم دير ايلزبري في آب 1320، ثم مستشار إدوارد الثاني، وانتخب في 23 تموز 1325 أسقفاً لنورويتش، كان احد الهاربين القلة من لندن مع الملك إدوارد الثاني في تشرين الأول 1326، وبقي مع الملك وآل دبسبنسر وبعد فشله في الهرب إلى أيرلندا، تم اعتقاله مع الملك، ففقد مناصبه، ولأنه رجل دين أرسل إلى لندن في شباط 1327 للمثول امام محكمة دينية، ووضع قيد الاقامة الجبرية في قصر هيريفورد في لندن، لكن العامة اقتحموا القصر، والقوا به في سجن نيوجيت فقتله بعض السجناء، للتفصيل

وسكرتير الملك جيفري لو سكروب (Geoffrey Le Scrub)، وأن روجر مورتيمر أرسل تابعه ريتشارد سانت أومير (Richard St. Omer) لتسريع تنفيذ ذلك المخطط، لكن السلطات الملكية تمكنت من اعتقال ريتشارد فيرنهال وتوماس نيوبيجين، وبعد تحقيقات سرية اعترفا بتورطهما في المخطط، وابديا استعدادهما التعاون مع السلطات الملكية لكشف شبكة عملاء مورتيمر، وأشار الملك في ختام خطابه أن لجنة ملكية خاصة وظفت الشخصين المتورطين لاستئصال أكثر من خمسة وثلاثين رجلاً من حلفاء مورتيمر من مختلف انحاء إنكلترا، ورافقت تلك اللجنة ريتشارد ونيوبيجين إلى ويلز لاعتقال مزيد من المعارضين "**الذين يعرفون أسماءهم**"[1].

لم يثن ذلك الاخفاق روجر عن الاستمرار في تشجيع معارفه على معارضة الملك إدوارد الثاني، فأرسل عشرات الخطابات السرية إلى إنكلترا وويلز وأيرلندا، ومع أن الملك ومستشاريه كانوا على علم بنشاطات مورتيمر، لكنهم فشلوا في تحديد الشخصيات التي أرسلت اليها[2]، وفي ظل الأجواء اضطرت السلطات الملكية لمنح حليفي فيرنهال ونيوبيجين حريتهم، مقابل مساعدتهم في اعتقال حلفاء روجر مورتيمر، لكن اغلب المعتقلين اثبتوا براءاتهم من التهم المنسوبة إليهم، وحملوا فيرنهال ونيوبيجين مسؤولية اتهامهم، مما دفع الملك لإخضاعهما إلى محكمة قررت حبسهما مدى الحياة[3].

ويبدو أن مورتيمر ركز في صلاته على شخصيات إنكلو – أيرلندية مهمة، لاسيما إيرلي كيلدير وأولستر، ونجح في نيل وعود بدعمهما له في حال مجيئه إلى هناك، لكن مورتيمر افتقر إلى الارادة والدعم لمحاولة غزو أيرلندا[4]، لاسيما بعد أن عينت مؤسسة العرش الإنكليزي جون دارسي المقرب من الملك إدوارد الثاني قاضياً لأيرلندا، وتبنت السلطات الإنكلو – أيرلندية خطوات محسوبة لاستئصال من شكوا بولائهم لروجر مورتيمر مما أضعف موقفه هناك[5].

عن ظروف مقتله، ينظر: John Francis Waller (ed.), The Imperial Dictionary of Universal Biography, Vol. 1, London: William Mackenzie, 1865, p.363 – 364.

(1) Calendar of Close, Op. Cit., p.137 – 138.
(2) Ibid, p.138.
(3) R. F. Frame, English Lordship …, p.167.
(4) Calendar of Patent, Op. Cit., p.348.
(5) Pierre Chaplais, The War of St. Sardos 1323 – 1325, London, 1954, p.2 – 5.

استمرت مساعي الملك إدوارد الثاني لإضعاف اتباع روجر في إنگلترا، فشكل لجاناً ملكية أواخر عام 1323 اجرت تحقيقات انتهت إلى أن هدف مورتيمر الرئيس هو اغتيال ملك إنگلترا إدوارد الثاني، ما يجعله هو ومن يثبت تواصله معه، متمردين وخارجين عن القانون الإنگليزي[1]، وتوافقاً مع ذلك صدر مرسوم برلماني في 24 آذار 1324، قضى بعدم اتصال أي شخص بروجر مورتيمر وإلا حوكم بتهمة الخيانة العظمى للعرش الإنگليزي[2]، واستغلت الملك ومقربيه تلك المراسم لتصفيه حسابهم مع بعض النبلاء الذين شكلوا مشكلة للتاج بشكل أو بآخر، لذلك امر الملك الإنگليزي في 20 نيسان 1324، بتوسيع التحقيق مع من يشتبه في تواصلهم مع روجر مورتيمر ليشمل لوردات بريكون، هاي، هنتينكتون، برينليس، تالجارث، بينسيلي وبلينليفني[3]، وفي 22 نيسان 1324، اعلنت المحاكم الملكية أن التحقيقات أسفرت عن اكتشاف محاولات فاشلة لاغتيال الملك، سيتم عرضها "**ليتمكن الجميع من معرفة تفاصيلها**"[4].

حرص روجر مورتيمر على كسب ود كبار النبلاء الفرنسيين وعاهلهم شارل الرابع، لدعم خطته في خلع الملك إدوارد الثاني، وتمثلت خطوته الأولى بحشد قوة عائلة دي فينليس الفرنسية لتكوين نواة جيش فرنسي يغزو به إنگلترا، وحين رفض قريباه مخططه، أعاد النظر في استراتيجيته. وركز على التقرب من الملك الفرنسي ونبلائه[5]، مستغلاً الصراع السياسي والصدامات العسكرية بين فرنسا وإنگلترا، التي بلغت أوجها أواخر عام 1324، وفي إطار مساعيه آنفة الذكر رافق روجر مورتيمر كونت بولوني في مسيرته للانضمام إلى الملك شارل الرابع في تولوز لمهاجمة الأجينيين[6]، ووثق صلته بجيفري ابن كونت بولوني، بعد اطلاعه على علاقته الوثيقة بملك فرنسا شارل الرابع[7]، وقدم روجر مورتيمر ورفاقه المنفيون خدمة كبيرة للملك شارل الرابع في حملته التي شهدت استسلام الأجينيين في آب 1324، مما أكسبه حظوة لديه[8].

---

(1) Calendar of Patent, Op. Cit., p.385.
(2) Calendar of Chancery Warrants Preserved in the Public Record Office 1244 – 1326, London, 1927, p.553.
(3) Ibid, Op. Cit., p.553.
(4) Calendar of Close, Op. Cit., p.87 – 89.
(5) Chronicon Galfridi le Baker, Op. Cit., p.16.
(6) G. W. Watson, Geoffrey de Mortemer and his Descendants, London, 1906, p.1 – 16.
(7) Pierre Chaplais, Op. Cit., p.22.
(8) Natalie Fryde, Op. Cit., p.143.

ركز روجر مورتيمر أيضاً على كسب أهالي هانلت إلى مشروع غزو إنكلترا، مستغلاً خلافهم التجاري معها، فأقنعهم بالدعم الفرنسي لهم في حال تجهيزهم حملة لغزو إنكلترا[1]، فعبأوا عشرات السفن جنبًا إلى جنب مع ستين سفينة فرنسية في كاليه، واعتقد روجر أن الملك شارل الرابع سيدعم حملته، نكاية بأعدائه الإنكليز الذين اشتبكوا مع الجيوش الفرنسية في غاسكوني[2]، وكان روجر مصيباً في تقييم مدى تردي العلاقات الفرنسية – الإنكليزية، التي وصلت حداً دفع الملك الفرنسي شارل الرابع[3]، في أيلول 1324، للتفكير في "**غزو فرنسي وشيك للأراضي الإنكليزية**"، التي قابلها ملك إنكلترا إدوارد الثاني باعتقال جميع الفرنسيين في مملكته بتاريخ 27 أيلول 1324[4].

اقتنص روجر مورتيمر فرصة تلك التوترات، وطلب من عاهل فرنسا الشروع في حملة عسكرية ضد إنكلترا، متعهداً له بتقديم أربعة وعشرين ألف مارك في بدء الحملة، وتسديد كلفتها كاملة بعد تحقيق اهدافها، لكن الملك شارل الرابع لم يكن جاداً في مهاجمة إنكلترا، وكان شهر تشرين الأول 1324 حاسماً في وأد مشروع مورتيمر العسكري، فمع أن هيو ديسبينسر عبأ قواته على سواحل إنكلترا للاشتباه بحدوث غزو وشيك على نورفولك وسوفولك بقيادة "**روجر مورتيمر واتباعه ... ومن ورائهم حلفاؤهم الفرنسيين**"، إلا أن الحقيقة غايرت توقعات هيو ديسبينسر، لأن مورتيمر أخفق في إقناع حلفائه بمخططه، وأدرك أن ما قاموا به "**مجرد استفزاز لملك إنكلترا**"، والأنكى من ذلك كله أن الملك إدوارد الثاني أنهى خلافه مع كونت هانلت، وأرسل له في 20 تشرين الأول 1324 خطاباً طلب فيه اعتقال جميع أعداءه في موانئ هانلت، فأخبره الكونت أن السفن التي جمعها روجر مورتيمر صغيرة لا تمكنه من غزو إنكلترا، وستكون هزيمتها أكيدة في حال تحركها، وهو ما أكده أيضاً حاكم غاسكوني الإنكليزي نيكولاس دي هوجيت (Nicholas de Huguet)، حين قال لقادته أن السلطات الإنكليزية لا تنظر بخوف إلى تدابير روجر مورتيمر لضآلة امكاناته، والمعلومات التي تردها عن استعداداته العسكرية مضللة[5].

---

(1) P. C. Doherty, Isabella Queen …, p.141.
(2) Pierre Chaplais, Op. Cit., p.59.
(3) M. McKisack, Op. Cit., p.81.
(4) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.510.
(5) Pierre Chaplais, Op. Cit., p.102 – 103.

ركز روجر على المدن الفلمنكية في تنفيذ مخططه، فاتصل في كانون الأول 1324 بكونتات هانلت، هولندا، وزيلاند، الفلاندرز، برابانت وملك بوهيميا، لمساعدته في غزو إنگلترا، فرفضوا طلبه لكنهم أكدوا غضهم النظر عن مساعيه لكسب بعض رعاياهم في مغامرته، فجمع روجر قوة لابأس بها من المرتزقة الفلمنكيين وهيأ لهم أسطولاً صغيراً قبالة الساحل الهولندي(1)، وبعد ورود تقارير عن تلك التطورات إلى الملك إدوارد الثاني استدعى برلمانه في 30 كانون الأول1324، وأعلن أنه سيفشل مساعي مورتيمر من خلال تحييد التهديد الإسكتلندي لإنگلترا، وايجاد حل مع نظيره الفرنسي لملف غاسكوني، لمنع روجر مورتيمر من الحصول على اي دعم اقليمي(2).

وقرن الملك إدوارد الثاني قوله بالفعل حين بعث خطاباً إلى نظيره الفرنسي أبدى فيه استعداده إجراء مفاوضات حول غاسكوني، مشدداً على أن هناك خط احمر لا يمكن مناقشته في المفاوضات، هو ملف روجر مورتيمر ورفاقه المتمردين الذين لا يمكن العفو عنهم أبداً(3)، فأكد له الملك الفرنسي في 7 شباط 1325 أنه على استعداد لاستقبال أخته ملكة إنگلترا ايزابيلا كمفاوضة عن إنگلترا، شريطة جلب ابنها البكر إدوارد ليكون بديلاً عن والده في تأدية مراسم الولاء الإقطاعي له، فأبدى إدوارد الثاني موافقته المبدئية لكنه اشترط طرد روجر مورتيمر من فرنسا قبل سفر الملكة ايزابيلا وابنها اليها، ثم غض النظر عن ذلك الشرط بعد أن رفضه الملك الفرنسي(4).

ابحرت الملكة إيزابيلا من دوفر (Dover) نحو فرنسا في 9 آذار 1325 للبدء بـ "**مفاوضات السلام**"(5)، وتوصلت مع أخيها شارل الرابع في 31 أيار 1325 إلى تسوية سلام بين مملكتيهما، جنبت الملك إدوارد الثاني صداماً عسكرياً كان في غنى عنه في تلك المرحلة المضطربة من تاريخ إنگلترا(6)، فارتعب روجر مورتيمر من تلك التطورات، التي اقترنت بخسارته دعم الكونتات الفلمنكيين، بعد اصدار ملك إنگلترا في 12 أيلول 1325 تصاريح أمان لوفد فلمنكي بزيارة إنگلترا لتسوية الخلافات الفلمنكية –

(1) Calendar of Chancery Warrants, Op. Cit., p.560.
(2) Calendar of Close, Op. Cit., p.335 – 336.
(3) Pierre Chaplais, Op. Cit., p.194.
(4) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.99.
(5) Calendar of Entries in the Papal Registers Relating to Great Britain and Ireland, Vol. II, Papal Letters 1305 – 1342, London, 1895, p.408.
(6) Natalie Fryde, Op. Cit., p.147 – 148.

الإنكليزية[1]، وبلغ يأس روجر مورتيمر ذروته بعد تأدية ولي العهد الإنكليزي أمير ويلز إدوارد مراسم الولاء الإقطاعي لخاله الملك شارل الرابع في 24 أيلول 1325[2].

قرر روجر مورتيمر – في خضم تلك الأحداث – تغيير أولويات تحالفه، ومحاولة كسب ملكة ايزابيلا إلى جانبه، لاسيما ان خلافاتها مع زوجها الملك ومقتها ال ديسبنسر كانت معروفة لديه، ومن ثم فإن لديها الكثير لمشاطرته اياه، ولضمان وقوعها تحت تأثيره قرر روجر ايقاعها في حبائله من خلال تأييد توجهاتها وآرائها وابدائه تعاطفه الكبير ازاء معاناتها من زوجها، وبتلك الأساليب الملتوية أصبحت الملكة ايزابيلا بعد مدة قصيرة من تواصلها مع روجر العوبةً بيده، وتوطدت علاقتهما أكثر بسبب مقتهما المشترك لآل ديسبنسر، حينها تكونت نواة لتحالف مثالي بين روجر مورتيمر والملكة ايزابيلا، حتى أدعى المؤرخ جيفري أن هدف الملكة إيزابيلا من سفرها إلى فرنسا القيام بمؤامرة للتخلص من براثن زوجها ومفضليه، وهو قول بالغ الخطورة لأنه قد يكون مؤشر على أن الملكة وجدت في روجر الأداة المناسبة لتنفيذ مؤامرتها، فارتبطت به عاطفياً لنيل ولائه التام لها[3].

وذهب المؤرخ لو بيكر بعيداً حين ذكر أن الأسقفين أدم أورليتون وهنري بورجيرش (Bishop of Lincoln, Henry Burghersh)[4]، اقنعا الملكة ايزابيلا بتقديم نفسها إلى زوجها الملك إدوارد الثاني كمبعوثة سلام إلى فرنسا نيابة عنه، للوصول إلى روجر مورتيمر ورفاقه واستخدامهم في خلع زوجها الملك، لكنه لم يورد أدلة على ادعائه، لاسيما أنه لم يوجد اتصال مسبق بين الملكة ايزابيلا وروجر مورتيمر، كما أن زوجها

---

(1) Calendar of Patent, Op. Cit., p.171.
(2) Pierre Chaplais, Op. Cit., p.269.
(3) Chronicon Galfridi le Baker, Op. Cit., p.17.
(4) (1292 – 1340): أبوه روبرت بارون بورغرش وعمه بارثولوميو بادلسمير، تلقى تعليمه في فرنسا، وفي 27 أيار 1320 عينه البابا يوحنا الثاني والعشرون أسقفاً لـ لنكولن، وبعد إعدام بادلسمير عام 1322، استولى الملك إدوارد الثاني على أراضي هنري بورغرش، وحث البابا على حرمانه، ومع أنه استعاد ممتلكاته عام 1326، لكنه انضم إلى الملكة ايزابيلا في عزل الملك والحث على قتله، تمتع الأسقف بدعم الملك إدوارد الثالث، فجعله مستشاره عام 1328، لكنه فشل في تسنم منصب رئيس أساقفة كانتربري، سجن بعد فقدان ايزابيلا سلطتها لكنه استعاد نفوذه وأصبح امين خزانة إنكلترا بين عامي 1334 و1337، توفي في غنت في 4 كانون الأول، للمزيد، ينظر: N. H. Bennett, The Registers of Bishop Henry Burghersh, 1320 – 1342, Lincoln, 1999.

الملك إدوارد الثاني هو من طلب منها التوسط لدى أخيها نيابة عنه لحسم الخلافات الإنگلو – فرنسية في ملف غاسكوني[1]، ومع اختلاف تلك الطروحات، لكن الملكة ايزابيلا فور وصولها إلى فرنسا رمت بثقلها إلى جانب روجر ورفاقه[2]، ومع أنها حاولت أولاً الوصول إلى تسوية مع زوجها، لكنها تراجعت بعد تورطها عاطفياً مع روجر[3].

وفور معرفة إدوارد الثاني بما حدث أرسل خطاباً إلى زوجته ايزابيلا في 1 كانون الأول 1325، طلب فيه منها العودة إلى إنگلترا مع ابنها إدوارد[4]، لكنها رفضت متذرعة بأن "**شخصًا فصلها عنه**"، في اشارة إلى هيو ديسبينسر، وأنها ارتدت ثياب الأرملة لفقدها سيدها، ولن ترتدي ثياب الزوجة إلا بعد ازاحة ذلك الشخص، فتأكد إدوارد الثاني "**أن شخصًا ما غيّر موقفها**"[5]، وبعد عودة الوفد الإنگليزي إلى إنگلترا في 23 كانون الأول 1325، زوده بأدلة قاطعة على العلاقة المشبوهة بين الملكة وروجر[6].

اقتنص روجر تلك الفرصة الثمينة، فاتخذ من الملكة عنصراً لجذب تأييد بعض نبلاء فرنسا وإنگلترا والاراضي المنخفضة لمشروعه الطموح، في ظل خضوع الملكة ايزابيلا له، فأحس إدوارد الثاني بالإهانة والخطر في الوقت ذاته[7]، مما دعاه في 25 كانون الأول 1325 لإصدار أوامر عاجلة لجلب مقاتلين من جميع انحاء إنگلترا تحسباً لهجوم مفاجئ عليها، وفي 28 كانون الأول 1325 أمر بالحجر على مارگريت والدة روجر في دير إلستو في بيدفورد (Bedford)[8]، بحجة عقدها "**تجمعات مشبوهة**"[9].

شكل وجود ولي العهد إدوارد مكسباً لمعارضي أبيه، الذين وظفوا وجوده لكسب كبار النبلاء الأوربيين لإسقاط أبيه، ويبدو أن الملك شارل الرابع أيد ذلك التوجه ضمناً وإن لم يؤيده علانية، فأرسل في 2 كانون الثاني 1326 خطاباً إلى كونت هانلت طلب

---

(1) P. C. Doherty, Isabella Queen …, p.107.
(2) The Brut or Chronicles of England, ed. F.W.D. Brie, Early English Text Society, Vol. I, Oxford, 1906, p.233.
(3) P. C. Doherty, Isabella Queen …, p.124.
(4) Calendar of Close, Op. Cit., p.580.
(5) Vita Edwardi Secundi, Op. Cit., p.143.
(6) P. C. Doherty, Isabella Queen …, p.127.
(7) ستار حامد عبد الله، المصدر السابق، ص165.
(8) Calendar of Close, Op. Cit., p.533.
(9) Calendar of Patent, Op. Cit., p.206.

فيه بدء مفاوضات زواج الأمير إدوارد من ابنته فيليبا (Philippa of Hainault)[1]، وطلب منه الاشتراك في غزو إنكلترا في توافق تام مع مساعي روجر مورتيمر[2] مع الكونت جون هانلت (John of Beaumont)[3]، مما دفع الأخير لقطع وعود أكيدة بالاشتراك في اي حملة مضادة للملك إدوارد الثاني، لاسيما إذا أصبح ولي عهد إنكلترا ووريث عرشها صهره[4]، وازاء تلك التحديات هيأ الملك إدوارد الثاني مستلزمات حماية مملكته من أي عمل عدواني، ونشر فرق استطلاعية على ساحل كنت وساسكس[5].

وفي إطار استعداداته فكر إدوارد الثاني بالتحالف مع نظيره الإسكتلندي[6], فأرسل إيرل مار دونالد (Earl Mar, Donald), إلى قريبه الملك روبرت بروس, لعرض صفقة مغرية له مفادها استعداده الموافقة عَلَى جميع شروط إسكتلندا الَّتِي رفضها سابقاً، ومنحها جزء كبير من شمال إنكلترا إذا قدم له مساعدة عسكرية ضد المتمردين عَلَى عرشه، لكن عدم ثقة الملك روبرت بنظيره الإنكليزي أفشلت تحالفهما[7].

---

(1) (1310 – 1369): ولدت في 24 حزيران وهي واحدة من ثمانية أطفال للكونت وليام الأول، والدتها جوان فالوا، اقترنت بإدوارد الثالث في تشرين الأول 1327، توجت ملكه في 18 شباط 1330، وأنجبت ثلاثة عشر طفلاً، كانت محببة للشعب ومؤثرة على زوجها، أصبحت وصية على العرش الإنكليزي عام 1346، ووازنت بين الواجبات الملكية والعائلية، توفيت في 15 آب في قلعة وندسور، ينظر: Kathryn Warner, Philippa of Hainault Mother of English, Stroud, 2020 ; Juliet Vale, Philippa of Hainault 1310 – 1369, Oxford, 2004.

(2) P. C. Doherty, Isabella Queen …, p.128.

(3) (1288 – 1356): اباه كونت هانلت جون الثاني ووالدته فيليبا لوكسمبورغ، وهو الأخر الأصغر لكونت هانلت وليام الأول، كان حاكماً على مدن بومونت، هيرليخايد، نوردفايك، بيفرفايك، ثولين وجوس، أصبح كونتاً على سواسون بعد زواجه من وريثتها مارگريت سواسون التي رزق منها خمسة أطفال، هم: جان، يوحنا، وليام، أمالريك وراينوت، قاد حملة ضد إنكلترا عام 1326، أصبح عام 1340 وصياً على ابن أخيه الكونت وليام الرابع، قاد حملة إلى فريزلاند عام 1345، توفي في 11 آذار، للمزيد، ينظر: Jean Froissart, The Chronicle of Froissart, Translated from French by Thomas Johnes, Vol. I, 1307 – 1340, ed. Simeon Luce, Paris, 1869, p.25 – 48 ; Charles Cawley, Medieval Lands: A prosopography of medieval European noble and royal families, s.v. "Hainaut: Comtes de Hainaut," [online database].

(4) The Chronicle of Lanercost 1272 – 1346, Translated by Sir Herbert Maxwell, Glasgow, 1913, p. 250.

(5) Calendar of Patent, Op. Cit., p.208 – 212.

(6) Robin Eagles, England, Rough Guides, London, 2002, p.136

(7) Colm Mcnamee, Robert Bruce our Most …, p.274.

انتشرت شائعات بين شهري كانون الثاني وآذار 1326حول الغزو الوشيك لإنكلترا، فتداول كبار أساقفة إنكلترا ونبلائها المأزق الذي ينتظرهم في حال تحقق تلك الشائعات، لأن حربهم ضد ملكتهم وولي عهدهم أمر غير محبذ، وقد تكون له تداعيات خطيرة، كما أن تقاعسهم عن دعم ملكهم ضد حملة الملكة وابنها خيانة لإنكلترا وعرشها، مما يعني تورطهم في انشقاقات أفراد العائلة المالكة، لكن النبلاء والأساقفة اعتقدوا أن تعبئة قوات غزو إنكلترا وتهيئة مستلزمات قتالها وتموينها سيستغرق وقتاً طويلاً، مما يجعل الوقت مبكراً أمام تعرضهم لذلك الاختبار الصعب(1)، لكن الملك إدوارد الثاني استبق الغزو بتهيئة مستلزمات الدفاع عن سواحل مملكته، ووضع شطراً من قواته للمرابطة فيها(2)، وأعلن رسمياً في 8 شباط 1326 "**أن الملكة وابنها لن يعودا لأنها سلمت نفسها لمشورة مورتيمر المتمرد**"(3)، ونبه الملك قادته بتعبئة قواتهم والتصدي لأي تدخل محتمل من قوات الملكة وحلفائها "**لإزعاج الملك وتدمير مملكته**"(4).

وأصدر الملك إدوارد الثاني في 12 شباط 1326 أوامر للخزانة الملكية بتموين قلاع العرش في شمال ويلز تحسباً من فرض معارضيه حصاراً عليها(5)، وأرسل في 6 آذار1326 مفوضين إلى هيريفورد وويلتشاير للتحقيق مع أتباع مورتيمر الذين اشتبه بتبادلهم مؤن ودروع ومساعدات للإنضمام إلى مورتيمر عند قدومه إليهم(6)، وفي 14 آذار 1326، أُتصل بعض مسؤولي البلاط الإنكليزي ببعض اعضاء الوفد الإنكليزي الذين رافقوا الملكة ايزابيلا ولم يعودوا إلى إنكلترا، لمعرفة أسباب بقائهم في فرنسا، والتأكد من ولائهم للملك أو انقلابهم عليه، وبعد التأكد من تغير ولاء أغلب اعضاء الوفد الإنكليزي(7)، صدرت أوامر ملكية في 24 آذار 1326، بمصادرة ممتلكات وأراضي وقلاع ومقتنيات وأموال النبلاء والساسة بتهمة الخيانة العظمى لمملكة إنكلترا والتآمر

(1) Literae Cantuarienses, ed. J.B. Shepard, Vol. I, London, 1887, p.172 – 173.
(2) Natalie Fryde, Op. Cit., p. 183.
(3) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.619
(4) Calendar of Close, Op. Cit., p.543.
(5) Ibid, p.440 – 445.
(6) Calendar of Patent, Op. Cit., p.283.
(7) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.622.

ضد عاهلها، وفي مقدمتهم جون دي كرومويل (John de Cromwell)[1]، وجون دي تشوكومب (John de Chocombe)، وإيرل كنت ادموند وودستوك (Earl of Kent, Edmund of Woodstock)[2]، الأخ غير الشقيق للملك إدوارد الثاني، الذي عينه أخوه حاكماً على إقطاعية غاسكوني القارية منذ آذار 1324، واللافت أن الملك إدوارد الثاني ركز غضبه على كرومويل أكثر من سواه، وحمله مسؤولية "**تحريض الملكة على البقاء في فرنسا، والتمسك بروجر مورتيمر من ويجمور ... ومتمردين آخرين**"[3].

بذل الملك إدوارد الثاني جهداً مضاعفاً لإضعاف معارضيه[4]، مركزاً على ابنه البكر إدوارد، فأرسل في حزيران 1326 خطاباً عاتبه فيه على تقريب روجر مورتيمر منه، واستهجن حضوره مع روجر مورتيمر أثناء تتويج ملكة فرنسا، وحين يأس الملك إدوارد الثاني من كسب ابنه، تحول إلى صهره شارل الرابع، فأرسل إليهِ خطابات بلهجة متوسلة أخبره فيها أن تصرفات أخته أثرت على سمعة العائلة المالكة الفرنسية، وأن روجر وفريقه يؤثرون على العلاقات بين مملكتيهما، فاقتنع الملك شارل الرابع[5]، وطرد روجر وايزابيلا واتباعهما من فرنسا، مما دعاهم للتوجه إلى كونت هانلت[6].

---

(1) (1275 – 1335): ولد في نوتنغهام والده رالف دي كرومويل الثاني ووالدته مارگريت دي سوميري، تزوج ايدوين دي فيبونت، التي انجب منها عدة أطفال، أصبح لورد كرومويل الأول والأخير لأنه لم يخلفه في منصبه أحداً من ورثته أو سواهم، توفي في 8 تشرين الأول، للمزيد، ينظر: J. R. S. Phillips, Aymer de Valence …, p. 145 – 152 ; George E. Cokayne et al., Op. Cit., Vol. III, p. 551 – 553.

(2) (1301 – 1330): ولد في 5 آب في وودستوك، وهو الابن السادس والأصغر للملك إدوارد الأول، والابن الثاني لزوجته مارگريت، كان وفياً لأخيه إدوارد الثاني، فعينه إيرلاً لكنت عام 1321، وساعد أخيه في وأد التمردات التي حدثت ضده، فمنحه ممتلكات في ويلز، وكلفه عام 1323 بحراسة شمال إنگلترا، وبعثه في مهمة دبلوماسية إلى فرنسا عام 1324، لكن ادموند سخط على أخيه لتفضيله آل ديسبنسر، فانضم عام 1326 إلى تمرد مورتيمر وايزابيلا، ثم اختلف معهما فاعدم في 19 آذار بتهمة التخطيط للتمرد، ثم أعدم إدوارد الثالث روجر بتهم منها اعدام عمه، وبرأ عمه بعد وفاته، ونقل لقبه وممتلكاته إلى ابنه ادموند، للمزيد، ينظر: Penny Lawne, Edmund of Woodstock, Earl of Kent 1301 – 1330 A Study of Personal Loyalty, ed. Cheistopher Given Wilson, Cambridge, 2023.

(3) Calendar of Close, Op. Cit., p.463 – 464.

(4) Nigel Saul, The Despensers and the Downfall of Edward II, The English Historical Review, Vol. XCIX, Issue. CCCXC, January 1984, p.1 – 4.

(5) Calendar of Close, Op. Cit., p.576 – 578.

(6) P. C. Doherty, Isabella Queen …, p.141.

ووجه الملك إدوارد الثاني ضربة أخرى إلى روجر مورتيمر حين أصدر تصاريح مرور آمنة لهيو دي لاسي في 16 تموز 1326، من إسكتلندا إلى أيرلندا[1]، وأمر بإعادة عائلة دي لاسي المناوئة لروجر إلى ميث لمواجهة أي تهديد مفاجئ هناك، وعين عدو روجر الالد جون دارسي شريفاً على تريم في 22 تموز 1326، وأُمر سلطات أيرلندا بمنح العفو للمجرمين في أيرلندا، وتعبأتهم لمواجهة اي طارئ عسكري[2].

فشلت تدابير الملك السابقة في ثني روجر عن الاستمرار في مشروعه، ونجح روجر في إقناع وليام كونت هانلت أن زواج الأمير إدوارد من ابنته مقترن بخلع والده عن عرش إنگلترا، فوضع الكونت موارده ومقاتليه تحت تصرف مورتيمر، وفي 24 تموز1326 أمر الكونت رؤساء موانئ زيلاند بمساعدة روجر بتهيئة أسطول غزو إنگلترا، وفي 3 آب 1326 أبرمت الملكة والكونت صفقة الغزو بوساطة "**روجر مورتيمر الذي نظم التفاصيل الدقيقة لاتفاقهما**"، وتم تجهيز 140 سفينة لمهمتهم القادمة[3]، وبعد أن نمت تلك الانباء إلى الملك إدوارد الثاني رجح أن ويلز هي وجهة حملة روجر مورتيمر الوشيكة، لكثرة اتباعه ومؤيديه فيها، فحث سلطات ويلز في أيلول بإكمال استعداداتها لمواجهة خطر مورتيمر الوشيك، وتسارعت خطوات السلطات الويلزية للتصدي لخطر حملة روجر ورفاقه، ووأد الحركات المؤيدة لها في عموم ويلز[4].

(1) Calendar of Patent, Op. Cit., p.296.
(2) Rotuli Parliamentorum 1272 – 1326, Vol. II, ed. J. Strachey et al, London, 1767, p.21.
(3) P. C. Doherty, Isabella Queen …, p.144 – 146.
(4) W. Dugdale, Op. Cit., Vol. VI, p.352.

المبحث السادس

غزو المتمردون إنكلترا وتدابيرهم السياسية والعسكرية فيها حتى خلع الملك إدوارد الثاني 22 أيلول 1326 – 24 كانون الثاني 1327

عبأ المتمردون أسطولهم في دوردرخت (Dordrecht) وشحنوه بالمقاتلين[1]، ثم أبحروا في 22 أيلول 1326 نحو إنكلترا بخمسة وتسعين سفينة[2]، فرسوا في مصب نهر أورويل (Orwell River)[3]، في نورفولك بتاريخ 24 أيلول 1326[4]، ثم شكلوا قواتهم بوضعية هجومية[5]، واختلفت المصادر في تقدير اعدادهم، فقدرها احدها بثلاثة الأف[6]، وحددها آخر بـ ثلاثمائة إلى ألف وخمسمائة[7]، وقدره سواها بسبعمائة، وهو الأقرب للدقة[8]، والثابت أن روبرت دي واترفيل (Robert de Waterville)[9]، المكلف بحراسة نورفولك انظم للمتمردين متجاهلاً ثقة الملك فيه بوصفه صهر هيو ديسبنسر[10].

(1) Chronique de Jean le Bel, ed. J. Viard and E. Deprez, Vol. I, Paris, 1904, p.17.
(2) The Scalachronica of Sir Thomas Gray, ed. H. Maxwell, Glasgow, 1907, p.72.
(3) Chronique de Jean le Bel, Op. Cit., Vol. I, p.18.
(4) Memorials of St. Edmund's Abbey, ed. T. Arnold, Vol. II, London 1892, p.327.
(5) J. H. Round, The Landing of Queen Isabella in 1326, The English Historical Review, Vol. XIV, 1899, p.104 – 105.
(6) Thomae Walsingham, Historia Anglicana 1272 – 1381, Vol. I, ed. H. T. Riley, London, 1863, p.180.
(7) Jean Froissart, The Chronicle of Froissart, Translated from French by Thomas Johnes, Vol. I, 1307 – 1340, ed. Simeon Luce, Paris, 1869, p.25.
(8) The Brut, Op. Cit., p.237.
(9) (1308 – 1330): ولد في اورتون بمقاطعة هانتيغدون، والده جاي واترفيل، تزوج سيدة تدعى أليس أوفورد، وبعد وفاتها اقترن بسيدة أخر تدعى مارگريت دي هاستنجز، للمزيد من

ابتهجت الملكة ايزابيلا برسوها في أراضٍ تابعة لأخي الملك إيرل نورفولك توماس بروثيرتون (Thomas of Brotherton, 1st Earl of Norfolk)[1]، الذي كان من مؤيدي تيارها، وفور لقائه بهم انضم إليهم[2]، فأدركوا حتمية حدوث مزيد من انشقاقات النبلاء عن عاهلهم إدوارد الثاني، لتفضيله ال ديسبنسر عليهم[3].

أمضى المتمردون ليلتهم الأولى في والتون (Walton)، فيما عاد الأسطول الذي اقلهم إلى الاراضي المنخفضة، مما جعل المتمردين أمام ضرورة هزيمة الملك أو الموت على يديه[4]، وحين علم إدوارد الثاني بوصول تلك الحملة[5]، أصدر في 26 أيلول 1326 أوامره بتجهيز المقاتلين في لندن وبمدن إسكس، وكلف روبرت دي واترفيل بتجنيد مقاتلي شرق إنگلترا، وأرسل خطابات إلى قادته طالبهم فيها بالتوجه إِليهِ لتشكيل جيش قادر على سحق المتمردين[6]، وطلب من حاكمي شمال ويلز وجنوبها، جروفيد لويد وريس أب جروفيد، حشد قواتهما في ويلز ليتخذها قاعدة له عند الضرورة[7].

وتضمنت خطابات الملك أوامر مشددة لحكام المقاطعات بالتصدي للمتمردين، واعتراض رسائلهم وبعثها إِليهِ دون فتحها، لكن ذلك النشاط لم يتمخض عن شي ملموس بسبب خيانة اغلب مسؤوليه، ومنهم روبرت واتفيل الذي تجاهل أوامره بتعبئه مقاتلي شرق

المعلومات، ينظر: William Page et al. (eds.), A History of the County of Huntingdon, Vol. III, London: St. Catherine Press, 1936, p.89–93 ; Calendar of Inquisitions Post Mortem, Vol. VII: Edward III, London, 1909, p.195 – 197.

(10) Nigel Saul, The Despensers and …, Vol. XCIX, Issue. CCCXC, p.13 – 14.

(1) (1300 – 1338): ولد في 1 حزيران في يورك، وهو الابن الثاني للملك إدوارد الأول، والبكر من زوجته الثانية مارگريت الفرنسية، خصص له اخيه الملك ممتلكات إيرل نورفولك روجر بيغود عام 1306، وكان الوريث المفترض له حتى ولاده ابنه إدوارد، كانت إيرلية كورنوال مخصصة له لكن أخيه منحها إلى بيرس غافستون، ثم اعادها إِليهِ وجعله مارشال إنگلترا في 10 شباط 1316، أصبح مستشاراً إدوارد الثالث، وقاد ميمنة جيشه في معركة هالدين هل في 19 تموز 1333، توفي في 4 آب، ودفن في دير بوري سانت ادموندر، ينظر: Waugh, Scott L., Thomas First Earl od Norfolk 1300 – 1338, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.

(2) Robert Adam Murimuth, Adæ Murimuth Continuatio chronicarum: Robertus de Avesbury De gestis, London, 1889, p.46.

(3) Memorials of St. Edmund's, Op. Cit., Vol. II, p.328.

(4) Nigel Saul, The Despensers and …, Vol. XCIX, Issue. CCCXC, p.15.

(5) P. C. Doherty, Isabella Queen …, p.151 – 152.

(6) Calendar of Patent, Op. Cit., p.322, 327 – 328.

(7) J. G. Edwards, Sir Gruffydd Llwyd, The English Historical Review, Vol. XXX, 1915, p.589 – 601.

إنگلترا وانضم إلى جيش المتمردين، والطريف أنه قبل ورود أنباء خيانته إلى لندن أرسل إليهِ الملك خطاباً لحثه على مطاردة المتمردين دون هوادة، وإذا به يفاجئ أن روبرت واترفيل انضم إليهم، مما أقلق الملك[1]، فعرض ستة عشر ألف مارك لمن يجلب رأس روجر مورتيمر، مع وعد بالعفو عن أي مجرم راغب في محاربة المتمردين، ودفع اجور مجزية للمقاتلين الذين يفدون إليه، لكنه فوجئ أن رعاياه ومسؤوليه لم يجمعوا القوات التي ارادها[2]، وبحلول 28 أيلول 1326 ادرك الملك أن جواسيس المتمردين اخترقوا إنگلترا، وتواصلوا بخطابات مع كبار اكليروسها وبعض مسؤوليها، فأعلن أنه سيعتقل أولئك الخونة، وجميع الرجال المستعدين لمقاومة الغزاة سيحصلون على أجور مناسبة، وسيحصل السجناء والخارجين عن القانون على عفو ملكي إذا انضموا إليه[3].

اتبع المتمردون أساليب مضادة شديدة الذكاء والفاعلية، متناسبة مع واقعها وثوابتها ومنطلقاتها وأهدافها، لاسيما روجر الذي كان الزعيم الفعلي للمتمردين[4]، فقد وظف روجر التعاطف الشعبي مع الملكة والأمير الشاب لعزل إدوارد الثاني عن رعاياه، وأصبح روجر وريثاً أوحداً لتوماس لانكستر في التخلص من ال ديسبنسر ومستشاري الملك السيئين، مما جعل كبار النبلاء والمسؤولين الإنگليز خاضعين له، بضمنهم من تورطوا بصلات وثيقة مع آل ديسبنسر[5]، فضلاً عن النبلاء الذين ارتضوا زعامة روجر بوصفه الوحيد الذي تحدى الملك بنجاح، ومن أولئك النبلاء هنري لانكستر، وليام تروسيل، توماس روسل (Thomas Russell)، وجون دي روس (John de Ross)[6]، ومن خلال أولئك استطاع روجر الإفادة من التيار اللانكستري، الذي حرص على اظهار احترامه لقادته والتزامه بأهدافهم المناوئة لـ إدوارد الثاني[7].

(1) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.643.
(2) Thomae Walsingham, Historia Anglicana …, p.181.
(3) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.644.
(4) The Scalachronica, Op. Cit., p.72.
(5) Flores Historiarum, Op. Cit., Vol. III, p.206.
(6) Bridlington, Op. Cit., Vol. II, p.86.
(7) Chronicon Henrici Knighton, vel Cnitthon, monachi Leycestren-sis, Vol. I, London, 1889, p.435.

كسب المتمردون أربعة من كبار أساقفة إنكلترا، هم: رئيس أساقفة دبلن الكسندر بكنور (Archbishop of Dublin Alexander Bucknor)[1]، أسقف لنكولن هنري بورغيرش (Henry Burgess)، أسقف ايلي جون هوثوم وأسقف هيريفورد آدم أورلتون[2]، وأعلن أولئك الأساقفة عدالة قضية المتمردين، وأن لهم أسباباً كثيرة لمعارضة آل ديسبنسر وحاميهم إدوارد الثاني[3]، والأخطر من ذلك كله، أن المؤن والاموال والمقاتلين تتابعوا إلى جيش المتمردين، فعلى سبيل المثال أقرض بعض تجار والتون الملكة ايزابيلا ثلاثة الآف ومائة وخمسين ماركاً للأنفاق على قواتها، وأرسلت مدن ايست انجليا مئات المقاتلين للانضمام إلى جيوشها[4]، وعند وصول المتمردين إلى دير بيري، منحهم مقدمه الفان وسبعمائة مارك كان قد أودعها لديه رئيس قضاة محكمة الملك هيرفي دي ستانتون (Hervey de Stanton)[5]، مما وفر الأموال اللازمة لدفع رواتب مقاتليهم، ووضع الملك في وضع لا يحسد عليه[6].

قيم الملك إدوارد الثاني ومستشاروه حيثيات صراعهم مع المتمردين، وخلصوا إلى أنهم حصلوا على قليل من الدعم مقابل الدعم الذي حازه المتمردون، وأن سكان لندن ذاتها تقاعسوا عن مساعدة ملكهم حين اراد منهم الانضمام إِليهِ لمحاربة اعدائه، مما أدى إلى خلل في موازين القوى لا يستطيع معه الملك مقاومة الراغبين في خلعه عن عرشه، وفي ذلك الظرف العصيب ارتكب الملك ومستشاروه خطأً استراتيجياً حين قرروا الرحيل

---

(1) (1265 – 1349): هو أحد مسؤولي إدوارد الأول، وأمين صندوق أيرلندا بين عامي 1307 و1309، ثم رئيس أساقفة دبلن عام 1310، أسس قلعة لحماية تالاغت من الخطر الإسكتلندي، شارك في بعثات دبلوماسية إلى فرنسا، أعلن استعداده تحدي هيو ديسبنسر في مبارزة، وأدى دوراً في خلع إدوارد الثاني فعاقبه إدوارد الثالث وكتب إلى البابا حول خروقاته لمنصبه الديني، ومنها بعض الاختلاسات المالية لأسقفيته ثم عفا عنه عام 1332، توفي في دبلن، للمزيد، ينظر: Charles Erbermann, Alexander Bicknor, Catholic Encyclopedia, New York, 1913.

(2) Roy Martin Haines, The Church and Politics in Fourteenth Century England 1275 – 1345, Cambridge, 1978, 227.

(3) K. Edwards, The Political Importance of the English Bishops during the reign of Edward II, The English Historical Review, Vol. LIX, 1944, p. 311 – 347.

(4) Calendar of the Memoranda Rolls Exchequer Michaelmas 1326 to Michaelmas 1327, ed. R. E. Latham, London, 1968, p.355.

(5) Calendar of Close, Op. Cit., p.249.

(6) The Brut, Op. Cit., p.237.

غرباً[1]، فاتجه الملك إلى ويلز لاعتقاده بخضوعه لـ آل ديسبينسر وحاكميها المواليان له، بالشكل الذي يمكنه من استقطاب أهلها والإفادة من ثرواتها في مقاتلة المتمردين[2].

شرع الملك في رحلته إلى ويلز في 1 تشرين الأول 1326[3]، فوصل في 4 تشرين الأول 1326 إلى أكتون (Acton) ثم رويسليب (Ruislip)، وأثناء مسيره أصدر أوامر إلى أمين الخزانة الملكية بتوفير الأموال لدفع رواتب الرجال الذين قادهم إيرل ساري جون دي وارين (Earl of Surrey John de Warenne)، ضد المتمردين[4]، وبحلول 6 تشرين الأول وصل الملك إلى والينجفورد، وصدرت الأوامر بإعداد غرف الملك في قلعة جلوستر الواقعة على حدود ويلز، ففسر أهالي لندن مغادرة إدوارد الثاني عاصمة مملكته بهربه من المتمردين، مما انعكس سلباً على ولاءاتهم[5].

ولا تفوتنا الإشارة إلى أن المتمردين استغلوا الفراغ الذي حدث في لندن بعد رحيل إدوارد الثاني عنها، فحاولوا ضمها بعد أن سيطروا على كامبريدج (Cambridge)، فأرسلوا في 6 تشرين الأول 1326 خطاباً إلى سكانها، استهجنوا فيه تجاهلهم خطاباتهم السابقة، وطلبوا منهم إعلان ولائهم للملكة ايزابيلا وابنها بوصفه عاهلهم المقبل[6]، وتزامناً مع ذلك كثف أنصار المتمردين نشاطاتهم في لندن تمهيداً للسيطرة عليها، مما انعكس سلباً على نفوذ الملكيين فيها، وهيأ ظروفاً مثالية لاستيلاء المتمردين عليها[7].

تعرض نفوذ الملك لضربة مماثلة في ويلز، التي فوجئ بعد وصوله اليها في 13 تشرين الأول 1326 بانتشار الفوضى فيها، وعدم قدرته على تجنيد ابنائها ضد المتمردين[8]، فعبأ في 14 تشرين الأول 1326 قواته لحراسة غابة دين والتخوم الويلزية خشية وصول المتمردين[9]، ولتلافي تعرضه لمواجهة غير متكافئة معهم أمر القائد جون أنج بالانسحاب من ويجمور وموافاته في غلوستر في 15 تشرين الأول 1326، وأصدر أمراً مماثلاً إلى القائد توماس ويك (Thomas Wiek)، بموافاته في 18 تشرين الأول 1326، وطلب من شريف ستافورد إطلاق سراح السجناء شريطة انضمامهم إليهِ ضد

(1) Thomae Walsingham, Historia Anglicana …, p.180.
(2) Calendar of Close, Op. Cit., p.649.
(3) Chronicon Galfridi le Baker, Op. Cit., p.23.
(4) Calendar of Fine, Op. Cit., p.420.
(5) The French Chronicle of London, ed. G.Aungier, London, 1844, p.51.
(6) The Anonimalle Chronicle, Op. Cit., p.125.
(7) Calendar of Fine, Op. Cit., p.420.
(8) Parliamentary Writs, Op. Cit., Vol. IV, p.295.
(9) Paul Richard Dryburgh, Op. Cit., p.166 – 168.

المتمردين[1]، وفي 16 تشرين الأول 1326 أصبح هيو ديسبينسر الأب مسؤولاً عن القوات الملكية جنوب غرب إنگلترا[2]، فقابل المتمردون تلك الإجراءات باجتياح اكسفورد في 15 تشرين الأول[3]، واقتحام برجها وإطلاق سراح نزلائه[4]، وفي اليوم ذاته أصدرت الملكة إيزابيلا بياناً باسمها وأسمي ابنها وصهرها إيرل كنت بررت فيه تمردها على زوجها بخنوعه لآل ديسبنسر، مدعية أنهم نهبوا موارد الكنيسة، وفرضوا ضرائب باهظة على عامة الشعب، وأضعفوا مكانة التاج، وأعدموا النبلاء أو سجنوهم أو نفوهم، وشدد البيان على أن إنگلترا فقدت بوصلتها، وأنها وأنصارها جاءوا لرفع الظلم واستعادة شرف الكنيسة والتاج والمملكة، ولتحقيق ذلك ناشدت ايزابيلا المقاتلين بالانضمام إليها[5].

أصبحت لندن مضماراً بين الملكيين والمتمردين، فاستغل سكان لندن الفرصة لتصفية حساباتهم مع المحسوبين على الملك وآل ديسبنسر، فحاول بعض الأساقفة المؤيدين للملك تهدئة اضطرابات لندن، فاجتمع أسقف رينولدز أمام ثلة من سكان لندن، وبحضور أسقفي لندن وونشستر قرأ مرسوماً زعم أنه صادر عن كبار رجالات الكنيسة الإنگليزية ملؤه الإدانة للمتمردين والولاء للملك، لكن الحضور كذبوه، وأعلنوا أن مرسومه عبارة عن وثيقة عمرها سبع سنوات أعدت لمواجهة الغزو الإسكتلندي[6]، فاقتنص ريتشارد بيثون (Richard Bethune)، زعيم التيار المؤيد للمتمردين تلك الحادثة للتشكيك في مصداقية الأساقفة، والدعوة لملاحقة انصاره في لندن[7]، في حين فضل أخرون التوسط في سلام بين الملك والمتمردين، فاجتمعوا في لامبث (Lambeth)، بحضور رئيس أساقفة كانتربري وأساقفة لندن، اكستر، ونشستر، ورشستر وروتشستر، لكنهم فشلوا في تحقيق هدفهم[8]، وفشلت محاولة مماثلة لثلاثة قضاة ملكيين هم السير

(1) Calendar of the Memoranda Rolls Exchequer, Op. Cit., p.105.
(2) Calendar of Patent, Op. Cit., p.332.
(3) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.645 – 646.
(4) Robert Adam Murimuth, Op. Cit., p.48.
(5) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.645.
(6) R. M. Haines, The Church and …, p.22.
(7) Gwyn A. Williams, Medieval London – From Commune to Capital 1321 – 1326, London 1963, p. 286 – 296.
(8) Historia Roffensis ab anno 1314 ad 1350 Willelmi de Dene, ed. H. Wharton, London 1691, p.366.

جيفري لو سكروب، وهيرفي دي ستانتون (Hervey D. Stanton)، ووالتر من نورويتش (Walter of Norwich)، بسبب هجوم سكان لندن عليهم وتفريقهم[1].

طالت اعمال العنف في لندن مقربي آل ديسبنسر، ومنهم جون مارشال (John Marshall)، سكرتير ديسبنسر الأصغر الذي قطع السكان رأسه[2]، والأسقف ستابلدون (Bishop of Stapledon) الذي هوجم قرب كنيسة سانت بول[3]، ثم قطع رأسه مع اثنين من فرسانه، هما: جون بادينجتون (John Paddington)، ووليام وال (William Wall)[4]، وتعرضت منازل جون تشارلتون ووليام دي كليف (William de Cleve)، للنهب[5]، وامتدت اعمال العنف إلى برج لندن، الذي حرر الناس نزلائه الملكيين، ومنهم ابن الملكة ايزابيلا جون التام، ثم جعلوه حاكماً لمدينتهم[6]، وبعد اطلاع الملكة ايزابيلا على تلك التطورات أرسلت خطاباً إلى سكان لندن طالبتهم فيه بحماية نزلاء البرج، وبعث المتمردون في 20 تشرين الأول 1326 خطاباً إلى سكان لندن طالبوهم فيه بدعمهم[7]، واعتقال انصار آل ديسبينسر[8]، وفي اليوم التالي دخل المتمردون لندن، فهاجموا مقربي الملك وآل ديسبنسر، وصادروا ممتلكاتهم وأموالهم[9].

أصدرت الملكة إيزابيلا في خضم تلك التطورات مزيداً من البيانات لتبرير فعالياتها القتالية ضد زوجها[10]، وحين أحس المتمردون أنهم كسبوا الإنگليز في صراعهم ضد آل ديسبنسر، توجهوا إلى ويلز بوصفها المعقل الأخير للملك وآل ديسبنسر، فحاول الملك عرقلة زحفهم إليهِ من خلال تجنيد بعض القوات، فأصدر أوامره إلى روبرت دي ميشيلدور (Robert de Micheldur)، بحشد قواته في ويلتشاير، وأمر شريف ساسكس

(1) E. L. G. Stones, Sir Geoffrey le Scrope 1285 – 1340, un published Ph. D. Thesis, University of Glasgow, 1950, p. 132 – 133.
(2) Croniques de London depuis l'an 44 Henri III jusqu'a l'an 17 Edward III, ed. G.J. Aungier, London, 1844, p.52.
(3) Mark Buck, Politics Finance and the Church in the Reign of Edward II, Cambridge, 1983, p.197 – 216.
(4) The Brut, Op. Cit., p.237 – 238.
(5) Annales Paulini, Op. Cit., p.321.
(6) Chronicon Henrici Knighton, Op. Cit., Vol. I, p.434 – 435.
(7) Calendar of the Plea and Memoranda Rolls of the Corporation of the City of London at the Guildhall, 1323 – 1364, ed. A. H. Thomas, London, 1926, p.42.
(8) Chronica Monasterii de Melsa, Op. Cit., p.351.
(9) Annales Paulini, Op. Cit., p.314 – 315.
(10) R. M. Haines, The Church and …, p.165.

بحشد ما امكنه من مقاتلين للتصدي للمتمردين، وأخبره أنه سيدفع اجورهم فور وصولهم له، وهناك مؤن وامدادات في قلعة بريستول كافية لجميع المقاتلين[1].

تبددت أمال الملك إدوارد الثاني بعد تقاعس قواده عن ارسال المقاتلين الذين ارادهم منهم مما جعله مكشوفاً أمام جيش المتمردين، فاستقل في 20 تشرين الأول 1326 سفينة في تشيبستو للهرب إلى الجزر الواقعة بين إنگلترا وأيرلندا[2]، تاركاً ويلز لمصيرها، وهكذا انتهت سيطرته فعلياً على ما تبقى من إنگلترا[3]، لكن سفينته علقت على شواطئ ويلز، فدفع اموالاً إلى راهب ليصلي من أجل هبوب رياح مواتية للابحار إلى أيرلندا[4]، وحين يأس عاد بسفينته إلى كارديف في 25 تشرين الأول 1326[5].

تلى ذلك استيلاء المتمردين على بريستول في 26 تشرين الأول 1326، وتدميرهم قوات ديسبنسر الأكبر، واعتقاله[6]، فاستغل المتمردون تدهور وضع إدوارد الثاني لنقل السلطة إلى ولي عهده، وعقدت الملكة ايزابيلا اجتماعاً لأساقفة إنگلترا ونبلائها، وأوضحت أن إدارة شؤون إنگلترا متعذر في ظل وجود اختامها بيد إدوارد الثاني، ولابد من سحب صفته الرسمية لشرعنة إجراءاتهم الإدارية، وشددت على ضرورة إعلان ابنها إدوارد حارساً لإنگلترا، ليتمكنوا من إدارتها بسهولة[7]، فوافق الحاضرون[8].

حكم القاضي وليام تروسل بالإعدام على هيو ديسبنسر الأب لإدارته وعائلته حكومة غير شرعية في السنوات السابقة، وتورطه وعائلته في نهب الكنيسة واعدام النبلاء، وفي مقدمتهم توماس لانكستر[9]، ومع أن الملكة ايزابيلا اظهرت رغبة في انقاذه لكن البارونات اصروا على الانتقام لتوماس لانكستر[10]، فتم إعدامه وتعليق رأسه وجسده خارج قلعة بريستول[11]، حينها أدرك إدوارد الثاني أنه على وشك الوقوع بيد المتمردين، مما وضعه تحت طائلة ضغط شديد اضطره لتبني إجراءات متناقضة، فقد ناشد الملكة

(1) Rotuli Parliamentorum, Vol. II, Op. Cit., p.34.
(2) The Anonimalle Chronicle, Op. Cit., p.131.
(3) Calendar of Memoranda Rolls Exchequer, Op. Cit., p.218 – 219.
(4) Ranald Nicholson, A Sequel to Edward Bruce's Invasion of Ireland, Scottish Historical Review, Vol.XLII, 1963, p.30 – 40.
(5) Chronicon Galfridi le Baker, Op. Cit., p.22 .
(6) Chronique de Jean le Bel, Op. Cit., Vol. I, p.23.
(7) Calendar of Close, Op. Cit., p.655.
(8) David Anthony Harding, The regime of Isabella and Mortimer 1326 – 1330, Masters thesis, University of Durham, 1985, p.18.
(9) Chronique de Jean le Bel, Op. Cit., Vol. I, p.23.
(10) Memorials of St. Edmund's, Op. Cit., Vol. II, p.328.
(11) Annales Paulini, Op. Cit., p.318.

ايزابيلا إجراء محادثات سلام[1]، وحاول استرضاء روجر ليقينه أنه رأس المتمردين، فأصدر في 27 تشرين الأول 1326 أمراً باستعادته ممتلكاته[2]، لكنه تنصل عن قراره[3]، واستأنف استعداداته لمواجهة المتمردين، فأمر بحشد مقاتليه في لورديات أوسك (Osk)، نيث (Neith)، أبيرجافيني، كيرفيلي، بيمبروك، جوير، هافرفورد وغلامورجان[4]، لكن أوامره انتهت إلى فشل ذريع لتقاعس الويلزيين عن نصرته[5].

وصلت الملكة ايزابيلا إلى هيريفود في 29 تشرين الأول[6]، وتولت بإسم ابنها زمام السلطة في إنگلترا[7]، فانتقل إدوارد الثاني إلى كيرفيلي في 31 تشرين الأول 1326، ثم انسحب في 4 تشرين الثاني 1326 إلى جنوب ويلز، وفي 6 تشرين الثاني 1326 وجهت الملكة ايزابيلا ضربة جديدة له حين عينت أسقف ونشستر ستراتفورد أمينًا للخزانة الملكية بدل رئيس أساقفة يورك ميلتون (Archbishop of York Milton) المؤيد لإدوارد الثاني[8]، بذريعة انشغاله بشؤون أسقفيات شمال إنگلترا، وفي 7 تشرين الثاني 1326 سلمت ختماً جديداً للأسقف ستراتفورد، اما إدوارد الثاني فهرب في اليوم نفسه إلى نيث، وحين بلغ يأسه ذروته في 10 تشرين الثاني 1326 أرسل وفداً للتفاوض مع الملكة ايزابيلا، فرفضت[9]، وأرسلت نبيلين لتحديد مكانه هما: وليام لا زوش وريس أب هيويل، وفي 16 تشرين الثاني 1326 اعتقلا إدوارد الثاني، هيو ومارشال ديسبينسر، سيمون دي ريدنج (Simon de Redding) وروبرت بالدوك قرب نيث، فوضع الملك في عهدة هنري لانكستر، الذي نقله إلى قلعة مونماوث (Monmouth Castle) في مشهد سقوط تراجيدي لعاهل فقد عرشه وحريته معاً[10]، واعتقل المتمردون إيرل أروندل في شروزبري فاعدموه دون محاكمة[11].

ركز المتمردون على تنظيم مؤسسة العرش الإنگليزي، وتأمين لندن لأنصارهما، وبناءً على ذلك أصدرت الملكة ايزابيلا بإسم ابنها تعليمات بإجراء انتخابات جديدة

---

(1) Calendar of Patent, Op. Cit., p.336.
(2) Calendar of Fine, Op. Cit., p.421.
(3) Calendar of Patent, Op. Cit., p.333 – 335.
(4) Calendar of Fine, Op. Cit., p.421.
(5) Calendar of Patent, Op. Cit., p. 332 – 333.
(6) P. C. Doherty, Isabella Queen …, p.164.
(7) Calendar of Memoranda Rolls Exchequer, Op. Cit., p.110 – 111.
(8) J. Beverley Smith, Edward II and …, p.164 – 165.
(9) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.647.
(10) Robert Adam Murimuth, Op. Cit., p.49.
(11) Flores Historiarum, Op. Cit., Vol. III, p.234.

لاختيار اعضاء المجلس الكبير وتسنم المناصب المهمة في لندن، وتمخضت تلك الانتخابات عن وصول انصار الملكة ايزابيلا وروجر إلى المناصب المهمة في إنگلترا[1]، مما رسخ نفوذ روجر، وفي الوقت ذاته أصدرت الملكة ايزابيلا بإسم ابنها تعليمات بإعادة الحياة إلى طبيعتها في لندن، وإعادة فتح المحاكم، وسُمح للتجار بمزاولة أعمالهم، وشددت الملكة على منع مهاجمة أي شخص بذريعة أنه عدو لها[2].

أثبتت الملكة ايزابيلا نضجاً سياسياً في أوامرها وتعليماتها، لكن اعتقال إدوارد الثاني اضعف شرعية ادارتها على أساس الملك الشرعي، فلم يعد من الممكن استخدام الختم الذي حصلت عليه سابقاً، وكان لابد لـ إدوارد الثاني من تسليم ختمه إليها للحصول على شرعية حكم إنگلترا، فأرسلت الأسقف أورلتون والسير وليام بلونت (Sir William Blount) إليهِ في 20 تشرين الثاني 1326، فوافق بعد تردد[3]، مما وضع حكم البلاد بين يديها، لكن مؤشرات كثيرة دلت على أنها خضعت لتوجيهات روجر بشكل تام[4].

اقتاد المتمردون هيو ديسبنسر ورفاقه إلى هيريفورد للبت في مصيرهم، وعند دخولهم إلى هيريفورد استقبلتهم حشود كبيرة ونفخت الأبواق احتفالاً باعتقالهم، وكان المعتقلون ممتطين ظهور جيادهم، وعلى اعناقهم لافتات ساخرة، وعلى رأس هيو ديسبنسر اكليل نبات، ومع أن الملكة ايزابيلا ارادت محاكمتهم في لندن لكن المتمردين اقنعوها بمحاكمتهم في هيريفورد، لاسيما أن هيو ديسبنسر امتنع عن تناول الطعام، فتردت حالته بالشكل الذي تطلب تنفيذ إعدامه بسرعة[5]، فالتأمت في 24 تشرين الثاني 1326 محكمة[6]، برأسة وليام تروسيل وعضوية هنري لانكستر، إيرلي نورفولك وكنت وروجر مورتيمر، وبعض كبار البارونات، وتضمنت لائحة الاتهام أغلب انتهاكات آل ديسبنسر، وهي: تحدي هيو ديسبنسر أوامر البرلمان الإنگليزي بنفيه عام 1321، وعودته إلى إنگلترا دون أذنه، وسرقته حمولة سفينتين إنگليزيتين تجاريتين قيمتها 90 ألف مارك، وتشجيع إدوارد الثاني عام 1322 على تصفية كبار نبلاء إنگلترا، وإقناعه بغزو إسكتلندا دون استحضارات مناسبة مما عَرَضَ إنگلترا لهزائم مستمرة، ومصادرة

(1) Calendar of Letter Books of the City of London l314 – 1337, ed. R. R. Sharpe, London, 1903, p. 214.
(2) Calendar of the Plea, Op. Cit., p.17.
(3) Calendar of Close, Op. Cit., p.655.
(4) R. R. Davies, Lordship and Society in the March …, p.56 – 57.
(5) Chronicon Henrici Knighton, Op. Cit., Vol. I, p.436.
(6) John Taylor, The Judgement on Hugh Despenser the Younger, Medievalia et Humanistica, Vol. XII, 1958, p.70 – 77.

أراضي روجر وأساقفة هيريفورد وإيلي ونورويتش وسواهم، وختمت هيئة المحكمة لائحة اتهاماتها بإدانة آل ديسبنسر بسبب تعمدهم ايجاد خلافات بين الملكة وزوجها، وهربهم مع الملك وبحوزتهم الختم الأعظم والكنز الملكي[1]، ولم يُسمح لديسبنسر بالدفاع عن نفسه، واقتيد إلى مشنقة ثم قُطع رأسه ورُميت أحشاؤه في النار، وشنق باقي رفاقه[2]، ثم ثُبت رأسه على جسر لندن، وأرسلت اجزاء جسده الأربعة إلى يورك وبريستول وكارلايل ودوفر[3].

أصبح روجر على قمة هرم السلطة الإنكليزية، بسبب خضوع الملكة ايزابيلا له، وكان ضمن حاشيتها في حلها وترحالها[4]، وفي 30 تشرين الثاني 1326 عهدت الملكة وابنها برعاية الختم الملكي الأعظم إلى الأسقف أيرمين من نورويتش[5]، وبوساطته أصدرت الملكة الأوامر اللازمة لإدارة إنكلترا[6]، لكن الهدف الأساسي لها كان التخلص من زوجها نهائياً، فقررت استدعاء البرلمان إلى وستمنستر في 14 كانون الأول 1326 للبت في مصير الملك، وفي 3 كانون الأول 1326 تأجل انعقاده حتى 7 كانون الثاني 1327[7]، لتقييم الموقف تماماً قبل التأمه[8].

ازدحمت لندن بأعضاء البرلمان مطلع عام 1327[9]، وفي مقدمتهم رئيسي أساقفة كانتربري ويورك وأغلب أساقفة إنكلترا ونبلاءها، مع ثمانية وعشرون مقدم دير[10]، واجتمع البرلمان بحضور الملكة وابنها في 7 كانون الثاني 1327، للبت في مصير إدوارد الثاني[11]، ولم توجه دعوة رسمية لسكان ويلز إلا في 8 كانون الثاني 1327، لمواقفهم المناوئة لروجر، مما دعا البرلمان لإحضارهم إِليهِ بعد انتهاء جلساته واجبارهم على الموافقة عليها[12].

---

(1) Bridlington, Op. Cit., Vol. II, p.87 – 89.
(2) The Brut, Op. Cit., p.240.
(3) Calendar of Close, Op. Cit., p.175.
(4) Robert Adam Murimuth, Op. Cit., p.49.
(5) J .L. Grassi, William Airmyn and the Bishopric of Norwich, The English Historical Review, Vol. LXX, 1955, p.550 – 561.
(6) Calendar of Close, Op. Cit., p.655 – 656.
(7) Parliamentary Writs, Op. Cit., Vol. IV, p.453.
(8) M. V. Clarke, Committees of Estates and the Deposition of Edward II in idem Medieval pgpreseniation and Consent, New York, 1964, p.174 – 195.
(9) Parliamentary Writs, Op. Cit., Vol. IV, p.457.
(10) Thomae Walsingham, Historia Anglicana …, p.186.
(11) Annales Paulini, Op. Cit., p.319, 332.
(12) J. Beverley Smith, Edward II and …, p.165 – 166.

أرسل البرلمانيون الأسقفان أورلتون وستراتفورد إلى الملك إدوارد الثاني المقيم في كينيلورث لطلب حضوره إلى البرلمان[1]، لكنه رفض الحضور لعدم رغبته في إضفاء شرعية على إجراءاته[2]، فباشر البرلمان جلساته دون حضور الملك، وعند عودة الأسقفين في 12 كانون الثاني 1327[3]، أعلنت الملكة للبرلمان أنها غير راغبة في العودة إلى زوجها، وخيرت البرلمان بين الملك وولي عهده، وعولت الملكة ايزابيلا على شعبيتها لإجبار البرلمان على خلع إدوارد الثاني من عرشه، ولضمان تحقيق اهدافهما غير منقوصة، أوعز روجر لعمدة لندن ريتشارد دي بيثون بإرسال خطاباً إلى البرلمان داعم للملكة ايزابيلا وابنها، فأرسل العمدة خطاباً إلى البرلمان أكد فيه على ولاء اللندنيين للملكة وابنها، وضرورة "**تتويج الأبن وخلع والده بسبب جرائمه المتكررة ضد شعبه**"[4].

ناقش البرلمان مصير الملك إدوارد الثاني، فطلب البعض اعدامه، وطالب سواهم بخلعه[5]، وبالتعاون مع الملكة ايزابيلا مارس روجر مورتيمر عملية استحواذ محكمة على اعضاء البرلمان تضمنت حيلاً سياسية[6]، وإدارة متقنة للجلسات البرلمانية، وتهديدات وإكراه للمتعاطفين مع الملك إدوارد الثاني[7]، وقدتضافرت عوامل كثيرة على هيمنة الملكة ايزابيلا وعشيقها على البرلمان، منها خوفهم من رد فعل سكان لندن المؤيدين للملكة، وعدم حضور الملك الذي اضعف موقف المتعاطفين معه، ووجود ولي العهد الذي أكسب والدته نوعاً من الشرعية، فضلاً عن امتلاكها الختم الملكي الأعظم، مما جعل الكرة في ملعب البرلمان، الذي امسى مضطراً على انفاذ رغبة ايزابيلا وعشيقها بخلع الملك إدوارد الثاني[8]، لاسيما بعد تسلم البرلمان مذكرة تهديد ضمني من عمدة لندن ريتشارد بيثون طالبهم فيها بالقسم على الدفاع عن قضية إيزابيلا وابنها وعزل الملك[9]، فاضطر أساقفة إنگلترا ونبلاؤها للذهاب إلى مقر عمدة لندن لأداء القسم، فاستقبلهم عمد لندن ريتشارد بيثون وحشد كبير من المواطنين، وأدار أحد كتبة العمدة مراسم القسم بحماية إيزابيلا وابنها والحفاظ على حريات لندن، والأخطر من ذلك كله أن

(1) The Chronicle of Lanercost, Op. Cit., p.257.
(2) Historia Roffensis, Op. Cit., p.367.
(3) The Chronicle of Lanercost, Op. Cit., p.258.
(4) David Anthony Harding, Op. Cit., p.41.
(5) M. V. Clarke, Op. Cit., p.27 – 45.
(6) P. C. Doherty, Isabella Queen …, p.193.
(7) The Brut, Op. Cit., p.241.
(8) Historia Roffensis, Op. Cit., p.367.
(9) Calendar of the Plea, Op. Cit., p.11 – 12.

القسم تضمن اقرار البرلمانيين بالحفاظ على القوانين التي أقرها البرلمان والتي سيتم إقرارها مستقبلاً[1]، وهكذا نجح مورتيمر وحلفاؤه في إخضاع البرلمان لتوجهاتهم[2]، ومع أن أكثر من نصف المدعوين لإداء القسم تخلفوا عن الحضور لأسباب مختلفة، لكن موقفهم في البرلمان أصبح مسانداً للملكة ايزابيلاً أو مجارياً لرأي الأغلبية الداعمة لها[3].

أعلن روجر مورتيمر أمام البرلمان أن كبار مجلس الملك وافقوا بالإجماع على عزل الملك، ولأن الأمر كان مبرمجاً مسبقاً، رفع توماس ويك يديه قائلاً: "**لا ينبغي للملك أن يحكم بعد الآن**"، ثم القى أورلتون خطاباً خلاصته ضرورة خلع "**الملك غير الحكيم الذي دمر شعبه**"، وقال في احد ثنايا خطابه: "**ويل للأرض التي ملكها طفل**"[4]، وانتقد الأسقف ستراتفورد مساوئ الملك، مؤكداً أن ضعفه انعكس سلباً على إنكلترا والكنيسة، وأبدى ثقته أن الأساقفة قرروا "**إن الملك لن يحكم بعد الآن إذا وافق الشعب**"[5]، وحين وصل الأسقف ستراتفورد لتلك النقطة، لوح توماس ويك بيديه وطالب بتحري رأي الشعب في قضية خلع الملك، فأجابه الأسقف رينولدز قائلاً: "**إن الشعب مضطهد منذ فترة طويلة من الملك ومستشاريه الأشرار، والآن أصبح صوت الشعب مسموع لأنه بموافقة جميع أقطاب المجلس الكبير تم عزل الملك، ويجب تنصيب ابنه على العرش**"[6]، فأجابه اغلب اعضاء البرلمان فوراً بالصراخ "**فليكن ذلك**"[7]، ولضمان مزيد من التأثير اصطحب روجر الأمير إدوارد إلى البرلمان فهتف اعضاؤه: "**ها هو ذا ملككم**"[8].

شكلَ البرلمان وفداً غادر إلى كينيلورث لإخبار إدوارد الثاني بقراره[9]، وقبيل لقاء الوفد إدوارد الثاني، اختلى به الأسقفان ستراتفورد وبورجيرش وحذراه من أن رفضه التنازل عن التاج لصالح ابنه سيدفع الإنكليز لاختيار ملك من خارج عائلته، ويتوجون شخصًا من غير الدم الملكي، فاستسلم الملك، وحين التقى باقي أعضاء الوفد كان كل شيء مكتملًا باستثناء الشكليات[10]، فتليت أسباب استبداله بابنه، وهي: عدم كفاءته

(1) Parliamentary Writs, Op. Cit., Vol. IV, p.354.
(2) Croniques de London depuis l'an, Op. Cit., p.58.
(3) M. V. Clarke, Op. Cit., p.27 – 45.
(4) The Chronicle of Lanercost, Op. Cit., p.254.
(5) Natalie Fryde, The Op. Cit., p.234.
(6) David Anthony Harding, Op. Cit., p.43.
(7) The Chronicle of Lanercost, Op. Cit., p.254 – 255 .
(8) Historia Roffensis, Op. Cit., p.367.
(9) The Chronicle of Lanercost, Op. Cit., p. 255.
(10) Chronicon Galfridi le Baker, Op. Cit., p.26 – 27.

وخضوعه لمستشارين أشرار، واضطهاده الإيرلات، وخسارته إسكتلندا، واستغلاله الكنيسة، وفشله في تنفيذ قسم تتويجه، وتخليه عن مملكته وشعبه، وبعد ذلك تم التخلي رسميًا عن الولاء لإدوارد الثاني، وخاطبه السير وليام تروسل بصفته ممثلاً عن للبرلمان قائلاً: "**أنا، وليام تروسل، نائب الجميع على الأرض الإنگليزية وكل فرد فيها، استرجع منك يا إدوارد الولاء الذي قدمته لك سابقاً، ومن الان فصاعداً لا اثق بك واحرمك من كل سلطة ملكية**"(1)، وانتهت إجراءات التنازل حين كسر السير توماس بلونت عصاه(2).

أعلن الوفد في 24 كانون الثاني 1327 رسمياً تنازل الملك في وثيقة جاء فيها: "**لقد استقال السير إدوارد ملك إنگلترا السابق من تلقاء نفسه، بمشورة وموافقة الأساقفة والكونتات والبارونات وسواهم من النبلاء وممثلي العامة، وأوصى السير إدوارد وصيته أن ينتقل العرش إلى ابنه البكر وولي عهده إدوارد، ولهذا السبب قدم جميع الأقطاب الولاء إلى سيدهم السير إدوارد الابن، ونأمر تحت طائلة الحرمان من الميراث وفقدان الحياة والأطراف ألا ينتهك أحد سلام سيدنا الملك الجديد**"(3).

(1) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Op. Cit., Vol. II, p.650 – 651.

(2) Chronicon Galfridi le Baker, Op. Cit., p.28.

(3) علي كريم عباس، إيرل مارس روجر مورتيمر ونشاطه السياسي والعسكري 1287 – 1330، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الإنسانية، 2025، ص 152.

الفصل الرابع

المؤامرات والتمردات على العرش الإنگليزي، في عهد البلانتجانت المتأخر 1327 - 1399

المبحث الأول

المؤامرات والتمردات ضد البلاط الإنكليزي في عهد الملك إدوارد الثالث

1377 – 1327

أولاً – بواكير الصراع الإنكلو – إسكتلندي 1327 – 1329:

شكل تتويج الملك إدوارد الثالث في 2 شباط 1327 تحدياً خطيراً لملك إسكتلندا روبرت بروس، فألغى معاهدة 1323 وباغت نورثمبريا بجيوشه[1], وبعد وصوله إلى قلعة نورهام (Norham Castle), فرض حصاراً محكماً عليها، وحين أفشل الإنكليز حصاره[2]، واصل هجماته على القلاع الحدودية على أمل احداث مزيد من الاضطرابات التي قد تجبر العاهل الجديد والأوصياء عليه على الدخول في مفاوضات بين المملكتين, وصحت توقعاته حين أعلنت الملكة إيزابيلا وعشيقها مورتيمر في 6 آذار عن نيتهما إبرام معاهدة سلام مع مملكة إسكتلندا, فاجتمع وفدين رفيعي المستوى لمناقشة بنود تلك المعاهدة، لكن نقاشاتهم انتهت إلى تقاطع كبير في وجهات نظر المملكتين افشل تلك المفاوضات, لاسيما أن الملك روبرت استخدم لغة تهديد ووعيد مع المفاوضين الإنكليز، وهو ما عدته مؤسسة العرش الإنكليزي خنوعاً للإسكتلنديين لا سلاماً معهم[3], وهكذا لم يجد الملك روبرت بروس بداً من استئناف هجماته على شمال إنكلترا, مما أثار حفيظة الملك إدوارد الثالث فتبنى خطوات سريعة للدفاع عن شمال مملكته، فأصدر أمراً بتعبئة قواته في نورثمبريا وجهزها بالأسلحة والمؤن اللازمة، وامام ذلك التحدي سافر الملك الإسكتلندي إلى إيرلندا في 12 نيسان عام 1327[4], لخلق جبهة مناوئة تشغل الملك إدوارد الثالث عن التصدي للحراك العسكري الإسكتلندي في شمال إنكلترا، وبعد وصول الملك روبرت إلى إيرلندا أنهى اضطرابات أولستر بعد وفاة ريتشارد والد زوجته, وبذل مساعي كبيرة لحشد جيش من الإسكتلنديين والإيرلنديين لشن هجوم على إنكلترا على الجبهتين الإيرلندية والإسكتلندية، لكن مساعيه ذهبت ادراج الرياح، فأبرم هدنة امدها عام

---

(1) Barbour John, The live and acts …, p.423 – 424.

(2) William Longman, The history of the life and times Edward the third, Vol. I, London, 1869, p.39 – 40.

(3) W. J. Ashley, English history by Contemporary Writers Edward III and his wars 1327 – 1360, London, 1887, p.27 – 28 ; Roy Martin Haines, King Edward II His Life …, p.279.

(4) Caroline Bingham, Op. Cit., p.305.

واحد مع شعب أولستر، تضمنت تمردهم على إنگلترا[1], ومع أنه حاول عقد هدنة على غرارها مع سكان دبلن, لكنه فشل بسبب موالاة سلطات دبلن لمؤسسة العرش الإنگليزي[2], وأثناء وجود الملك الإسكتلندي في إيرلندا أمر نظيره الإنگليزي في 29 أيار بإبحار أسطوله دعماً للقوات البرية الإنگليزية التي رابطت في نورثمبريا، مما أجبر القادة الإسكتلنديين راندولف وجيمس دوغلاس (James Douglas) ودونالد على تقسيم جيشهم إلى ثلاثة اقسام استعداداً لمنازلة الجيش الإنگليزي[3], وفي 15 تموز 1327 عاث المتمردون الإسكتلنديون فساداً في مدن نورثمبريا، مستغلين وجود الجيش الإنگليزي في يورك، فزحف القادة الإنگليز نحو دورهام (Durham)، للقاء المتمردين الإسكتلنديين[4].

ويبدو أن القوات الإنگليزية كانت أقل مهارة من نظيرتها الإسكتلندية بسبب اعتمادها على سلاح الفرسان، الذي منحها سرعة ومرونة كبيرتين في التحرك بين مدن شمال إنگلترا، كما أنها التزمت بتعليمات ملكها الذي حذرها من لقاء الجيش الإنگليزي، والاكتفاء بتركيز جهودها على سلب ونهب أكبر قدر ممكن من مؤن وثروات مدن شمال إنگلترا، لاستنزاف قواها واجبار أهلها على الضغط على مؤسسة العرش الإنگليزي للنزول عند رغبة الملك الإسكتلندي, أما الإنگليز فاكتفوا بطرقهم التقليدية في تجميع قواتهم وتسليحها بأسلحة ثقيلة أبطأت سرعتها لاسيما الدروع التي شكلت نقطة ضعفها، لاسيما أنها تحركت في أحر أشهر الصيف بصحبة عربات نقل المؤن التي أعاقت حركة الجيش الإنگليزي إلى حدٍ كبير[5], وبعد تنفيذ الجيش الإسكتلندي أهدافه السابقة توجه إلى كيلدر جاب (Kielder Gap)، في أقصى شمال إنگلترا، فإسقط في يد الملك إدوارد الثالث الذي لم يستطع تحديد موضع الجيش الإسكتلندي بسبب تضارب التقارير التي وصلته عن موضعهم، وزاد الوضع سوءاً حين تتابعت الاسابيع دون جدوى، فأصيب الجيش الإنگليزي بوهنٍ شديد بسبب الأمطار الغزيرة والإرهاق والجوع بين أفراده, فأعلن الملك إدوارد الثالث أن الشخص الذي سيخبره بمكان تمركز الإسكتلنديين سيحصل على وسام الفروسية ودخل قدره مائة باون مدى الحياة[6], فحاول جندي إنگليزي يدعى توماس

(1) R. L. Mackie, the Story of King Robert the Bruse,1913, p.240.
(2) Caroline Bingham, Op. Cit., p.305.
(3) Ibid, p.305
(4) Michael Prestwich, The Three Edwards …, p.51-53.
(5) C. McNamee, The Wars of the Bruces: Scotland, England and Ireland, 1306 – 1328 (East Linton, 1997), especially p.72-123.
(6) R. L. Mackie, Op. Cit., p.241 ; C. McNamee, Op. Cit., p.123.

روكبي (Thomas Rokeby)، تحديد موقع الإسكتلنديين، لكنهم اعتقلوه أثناء وجودهم في بلانشلايد (Blanchlade), وقدموه إلى قائدهم جيمس دوغلاس، وحين استجوبه وعلم منه بالجائزة التي حددها إدوارد الثالث مقابل معرفة مكانهم، اعتقد القائد دوغلاس أن الجيش الإنكليزي وصل حداً من الارهاق يمكن استثماره لتحقيق نصر سهل عليه، فأمر بإطلاق سراح الجندي الإنكليزي، لإبلاغ ملك إنكلترا بمكان وجودهم واستلام جائزته[1].

دافع الإسكتلنديون عن أنفسهم ببناء معقل على سلسلة تلال الصخرية جنوب نهر واير (Wear River), لتجنب مواجهة مباشرة مع الجيش الإنكليزي[2]، ولم يتمكن الجيش الإنكليزي من إبعاد خصمه عن موقعه والانخراط في قتال شرس, وأصبحت الأمور أكثر تعقيدًا حين سحب دوغلاس في 3 آب 1327 قواته خلف ستانهوب (Stanhope), مُستخدماً الظلام كغطاء لتحركاته، وغطى انسحابه بهجوم على المعسكر الإنكليزي في 4 آب 1327, فقتل ثلاثمائة جندي، وكاد يأسر الملك إدوارد الثالث لولا يقظة حراسه، وبعد انتهاء الهجوم اضطر إدوارد الثالث لحل جيشه والعودة إلى لندن[3].

حاول الملك الإسكتلندي الاستفادة من ضغط قادته على الإنكليز، فاتجه في أيلول 1327 نحو قلعة دورهام, وقاد دوغلاس وراندولف ألنويك (Alnwick) واركورث (Warkworth), هجمات شديدة في كامبرلاند وستمورلاند (Wesmoreland), اضطرت سكانها لدفع مبالغ هائلة مقابل عقد هدنة[4], واستناداً إلى ذلك منح العاهل الإسكتلندي رجاله هدايا ومُنح من أراضي نورثمبريا, وأعلن أنه سيقسم مقاطعات شمال إنكلترا بين مؤيديه, وأرسل دونالد إلى ويلز لإيجاد الملك إدوارد الثاني وتحريره[5]، ولتدارك ذلك عينت الملكة إيزابيلا هنري دي بيرسي (Henry de Percy)، واللورد ألنويك، ووليام دي دينوم (William de Dennum), للعمل كمفاوضين تعويضاً عن فشلها هي ومورتيمر في إقناع برلمان لنكولن بتمويل حملة جديدة ضد إسكتلندا, ثم انتقلت إلى قلعة دورهام المحاصرة للقاء الملك الإسكتلندي والمطالبة بالسلام[6].

---

(1) Ian Mortimer, The Perfect King: The Life of Edward III Father of the English Nation, Jonathan Cape, London, 2006, p.66 – 67.
(2) Caroline Bingham, Op. Cit., p.306.
(3) Colm Mcnamee, Robert Bruce…Op. Cit., p.276 ; Micheal Prestwich, The Three Edwards …, p.53
(4) Ronald Mcnair Scott, Op. Cit., p.220 – 223.
(5) Michael Prestwich, Plantagenet England, 1225 – 1360, Oxford University Press, New York, 2005, p.242 – 245.
(6) Roy Martin Haines, King Edward II His Life …, p.277 – 279.

باشر عاهلا إنگلترا وإسكتلندا في 18 تشرين الأول 1327 محادثات سلام قدم الملك روبرت فيها ستة مطالب فوافق الملك إدوارد الثالث عليها، وأعلن انه سيرسل مبعوثيه إلى نيوكاسل للاجتماع مع المبعوثين الإسكتلنديين للتوصل إلى صيغة مقبولة للسلام، مؤكداً أن هدفه التعاون مع إسكتلندا لتبقى المملكتان في حالة سلام دائم، وطرح إدوارد الثالث على هامش المحادثات فكرة زواج شقيقته جوان (Joan) من ديفيد (David) نجل الملك روبرت, مقترحاً أن تتضمن المعاهدة ابرام اتفاق مساعدة متبادلة, وامتناع المملكتين من الاستيلاء على ممتلكات بعضهما، ودفع الملك الإسكتلندي تعويضات حرب قدرها عشرين ألف باون في غضون ثلاثة سنوات من إبرام معاهدة السلام, مقابل تعهد الملك إدوارد الثالث بإقناع البابا يوحنا الثاني والعشرين لرفع الحرمان البابوي على العاهل الإسكتلندي ومملكته[1]، فاشترط الملك روبرت في 30 تشرين الأول 1327 موافقته على العرض الإنكليزي بموافقة إنگلترا على استقلال إسكتلندا، وبعد تجدد المفاوضات في 23 تشرين الثاني 1327 أضاف الإسكتلنديون شروط أخرى هي: إعادة السجلات التي صادرها إدوارد الأول أثناء حملاته ضدهم وحفظها في أرشيفه الملكي لشرعنة هيمنته عليهم، واستعادة القطع الأثرية المقدسة الإسكتلندية التي استولت عليها إنگلترا لاسيما العصا السوداء، وحجر القدر المحفوظ في كنيسة وستمنستر[2].

غادر المندوبون الإسكتلنديون إلى يورك بعد اختتام المفاوضات في شباط 1328، فاضطر إدوارد الثالث بعد ذلك إلى التنازل عن مطالبه، واعلن موافقته على بنود معاهدة السلام في 17 آذار 1328، التي صادقها البرلمان في 4 نيسان عام 1328 في نورثهامبتون، بعد أن صدقها الملك روبرت في دير هوليرود (Holyrood Abbey) في إدنبرة[3], وبمجرد تصديق المعاهدة، واجه الملك الإسكتلندي ملف: "**المحرومين**" الذي شرعه أحد بنود معاهدة إدنبرة – نورثامبتون (Edinburgh–Northampton) بالقول أن "**النبلاء الإسكتلنديين والإنگليز، الذين كانوا يمتلكون أراضي في البلد الآخر قبل بدء الحرب، يجب إعادتهم إلى عقاراتهم**", لكن الملك روبرت صُدم بعد تأكده أن العقارات التي طالب بها الإنگليز أكثر عددًا وقيمة من التي طالب بها الإسكتلنديون، لذا لم يكن

(1) Fionan Watson, Robert the Bruce Pocket Glants, the History Press, British, 2014, p.108-109.
(2) Rev Thomas Thomson, Earliest times to the death of Robert Bruce 1329, Vol.1, Blackie & Son Limited, London, 1896, p.269.
(3) G.W.S Barrow, Robert Bruce …, p.363.

مستعدًا لتهديد جوهر سياسته الخاصة بإعادة الأراضي التي أدت استمالة مقاتليه اليه, ولذا ماطل في تطبيق ذلك الجزء من المعاهدة[1], ولا بد من الإشارة إلى أن زواج ديفيد وجوان كان الهدف الأهم لايزابيلا وعشيقها، ولذا وخوفًا من تراجع الملك الإسكتلندي، طالبا بدفع مائة ألف باون في حالة فشل الزواج[2].

بدأ الاستعداد لزواج ابن عاهل الإسكتلندي من شقيقة ملك إنگلترا، فغادرت الملكة إيزابيلا وابنتها إلى إسكتلندا في 1 تموز 1328 لاستكمال مراسمه, وحين علم الملك بروس برفض الملك إدوارد الثالث حضور حفل زفاف شقيقته، اتخذ قراراً مماثلاً بذريعة مرضه الشديد، وبقى في قصر كاردروس (Cardros)، الذي اتخذه مقراً دائماً له[3]، لكن كبار قادة إسكتلندا ونبلائها حضروه، بضمنهم جيمس دوغلاس وراندولف، وتمت مراسم الزفاف الملكي في بيرويك (Berwick) بتاريخ 12 تموز 1328 مع أن ديفيد لم يتجاوز الرابعة، وجوان في السابعة من عمرها[4], ثم صاحب دوغلاس وراندولف الملكة إيزابيلا إلى الحدود، وعادا لاحقًا لأخذ الزوجين إلى العاهل الإسكتلندي في كاردروس[5].

أظهر الملك إدوارد الثالث حسن نواياه في تنفيذ بنود المعاهدة, واستخدم نفوذه لمصالحة البابا مع الملك الإسكتلندي، فحرر البابا يوحنا الثاني والعشرين في 15 تشرين الأول 1328 عاهل إسكتلندا ورعاياه من الحرمان الكنسي والحظر البابوي، مما سمح للملك إدوارد الثالث بالحصول على الدفعة الأولى من العشرين ألف باون الذي نصت عليه المعاهدة[6]، لكن الملك روبرت لم يهنأ كثيراً بما حققه، فأصيب بوعكة مطلع عام 1329[7], وساءت حالته رغم جهود الأطباء[8], فتوفي في قصر كاردروس في 7 حزيران عام 1329، بحضور قائديه المخلصين جيمس دوغلاس وتوماس راندولف[9].

---

(1) Micheal Prestwich, The Three Edwards …, p.53
(2) Colm Mcnamee, Robert Bruce …, p.278.
(3) G.W.S Barrow, Robert Bruce …, p.363.
(4) Ibid, p.363.
(5) Stephen Spinks, Op. Cit., p.255-257.
(6) Micheal Prestwich, The Three Edwards …, p.54.
(7) Rev Thomas Thomson, Op. Cit., p.269.
(8) Geo Neilson, Robert the Bruce Last Journey, The Scottish Antiquary, Vol. 13, No. 50, Oct., 1898, p.50- 54.
(9) Michael Penman, Op. Cit., p.302.

ثانياً – تنامي التمرد الإسكتلندي المضاد لإنكلترا 1329 – 1340:

انتقل عرش إسكتلندا بعد وفاة روبرت بروس إلى ابنه ديفيد الثاني (David II) (1329 – 1371) ذا الخمسة سنوات، تحت وصاية إيرل موراي توماس راندلف (Thomas Randolph, 1st Earl of Moray), وتزامناً مع ذلك، وتحديداً في 19 تشرين الأول 1329 اعتقل إدوارد الثالث روجر مورتيمر ثم أعدمه وفرض سلطته على إنكلترا[1]، وبدأ يسعى لإلغاء ما وصفها بصفقة الـ "**سلام مخزي**" (Shameful Peace) مع إسكتلندا، وحدثت تطورات في إسكتلندا صبت في مصلحته، منها رفض بعض النبلاء الإسكتلنديين أداء قسم الولاء لديفيد بروس، ومناداة إدوارد باليول (Edward Balliol) بحقه في عرش إسكتلندا على أساس أنه ابن ملكها الأسبق جون باليول[2]، وزاد الوضع الإسكتلندي سوءاً بسبب خلو خزانتها من الأموال، وكره أغلب الإسكتلنديين الوصي على الملك الطفل ديفيد الثاني، وفي ظل تلك الظروف وجه إدوارد باليول نداء استغاثة إلى الملك الإنكليزي طالباً مساعدته لاستعادة عرش أبيه[3], وسانده النبلاء الإنكليز "**المحرومون**" (The deprived) من ممتلكاتهم الإسكتلندية في مساعيه لتسنم عرش إسكتلندا[4]، لذا أبرم الوصي الإسكتلندي "**تحالف أولد**" مع ملك فرنسا فيليب السادس (Philip of Valois) لكسب دعمه في الصراع الوشيك بين إسكتلندا وإنكلترا[5].

تجمع النبلاء الإنكليز المحرومون في يوركشاير تحت قيادة إدوارد باليول وهنري بومونت، إيرل بوشان , لغزو إسكتلندا، بتأييد غير معلن من إدوارد الثالث[6], ولإبعاد شبهة نقض معاهدته مع إسكتلندا، منع الملك إدوارد تابعه إدوارد باليول من غزو إسكتلندا براً، فأبحر باليول بقواته من موانئ يوركشاير في 31 تموز 1332[7], تزامناً مع اغتيال وصي العرش المحنك إيرل موراي توماس بالسم، الذي لم تكن وفاته مجرد خسارة

---

(1) W. Mark Ormrod, The Reign of Edward III. Yale Medieval Monarchs series. New Haven, Yale University Press, 1990, p.6.
(2) Weir, Alison, Queen Isabella: Treachery, Adultery, and Murder in Medieval England, New York, 2006, p.313-314.
(3) W. Mark Ormrod, Op. Cit., p.6 – 7.
(4) Ranald Nicholson, Siege of Berwick 1333, Scottish Historical Review, 1961, p.117.
(5) W. Mark Ormrod, Op. Cit., p.7 – 8.
(6) Sumption, Jonathan, Trial by Battle. The Hundred Years' War, Vol. I., London, 1990, p.124 – 126.
(7) DeVries, Kelly, Op. Cit., p.119 – 120.

رجل دولة، بل انهيار آخر صمام أمان يحمي العرش الصغير من أطماع الإنگليز[1]، وفي ذلك الظرف الدقيق فاجأ باليول الإسكتلنديين بإنزال في كينغورن (Kinghorn) على ساحل فايف في 6 آب 1332، مسجلاً فصلاً جديداً في ملف الصراع الإنگلو – إسكتلندي[2]، فواجه مقاومة إسكتلندية شرسة، تغلب عليها في معركة كينغهورن، وبعد خمسة أيام التقى جيشاً إسكتلندياً تحت قيادة الوصي الجديد دونالد إيرل مار، جنوب بيرث، فعبر الإنگليز نهر إيرن (Earn River) ليلاً عبر معبر غير محروس واتخذوا موقعًا دفاعيًا قويًا, وفي صباح اليوم التالي الموافق 11 آب 1332 حدثت معركة دبلن مور (Duplin Moor)، بهجوم إسكتلندي احتواه الإنگليز ثم طوقوه، فقُتلَ الآف الإسكتلنديين، بضمنهم إيرل مار وأغلب نبلاء المملكة، وسقطت بيرث[3].

ناقش برلمان وستمنستر الإنگليزي تلك التطورات الدراماتيكية في أيلول 1332, واقترحت استدعاء إدوارد باليول، الذي توج ملكًا على إسكتلندا في سكون في 24 أيلول 1332، لإداء مراسم الولاء الإقطاعي للملك إدوارد الثالث[4]، ولضمان تنفيذ ذلك حشد الملك إدوارد الثالث قواته في شمال إنگلترا، تمهيداً لفرض سيادة إنگليزية مطلقة على إسكتلندا[5]، وفي 7 تشرين الأول 1332 اكتمل تحشد قواته في نوتنغهام وزحف نحو مدينة روكسبيرغ (Roxburgh)[6]، فوافاه الملك إدوارد باليول اليها، والتقيا في 23 تشرين الثاني 1332، وفي ختام مباحثاتهما أدى الملك إدوارد باليول يمين الولاء الإقطاعي للملك إدوارد الثالث، بوصفه السيد الأعلى (Overlord) لمملكة إسكتلندا، مع ما ترتب على ذلك من التزامات مادية وقضائية، ووافق على تسليم مقاطعة بيرويك لإنگلترا[7].

توجس الإنگليز من تورط عاهلهم في إسكتلندا ودعمه الملك الغاصب إدوارد باليول, وشن الإسكتلنديون غارات طفيفة على كمبرلاند، لكن إدوارد الثالث تجاهل تلك التحديات، واتجه بقواته إلى بيرويك، اغنى مدن إسكتلندا واكثرها اكتظاظاً بالسكان, واثناء

(1) William Longman, Op. Cit., Vol. I, p.55.
(2) Ibid, p.55.
(3) Lyman Horace Weeks, King Robert Bruse of Scotland, New York, 1907, p.93.
(4) Ranald Nicholson, Siege of …, p.19.
(5) Ian Mortimer, The Perfect King: The Life of Edward III …, p.148.
(6) William Longman, Op. Cit., Vol. I, p.57.
(7) Wyntoun, Andrew, The Original Chronicle of Scotland, Vol. II., Edinburgh, 1907, p.395.

طريقه اليها تجنب المتمردون الإسكتلنديون مواجهة جيوشه، واستخدموا تكتيكات حرب العصابات في مهاجمة قواته[1], وفي نيسان 1333، انظم الملك إدوارد باليول إلى سيده الإقطاعي إدوارد الثالث، وفرضا حصاراً محكماً على بيرويك في أيار 1333, فوافقت حامية المدينة على الاستسلام إذا لم تصلها نجدة حتى 20 حزيران[2] وفي 19 تموز 1333 حدثت معركة تل هالدين (Halidon Hill) التي كانت ضربة قاسية لمؤيدي الملك المخلوع ديفيد الثاني, وفي اعقابها جدد الملك إدوارد باليول مراسم ولائه لإدوارد الثالث, وأكد تبعية بيرويك له[3], وفي شباط 1334، سلمً الملك إدوارد باليول لوثيان بأكملها لإدوارد الثالث، واعلن الإسكتلنديين المقربين من باليول ولائهم لملك إنكلترا[4].

أرسل الأوصياء على الملك ديفيد الثاني نداءً استغاثة إلى فيليب السادس، فاتصل بنظيره الإنكليزي وابلغه أنه سيرسل سفيرًا إلى إنكلترا لمناقشة الأمر, وحين عاد إدوارد الثالث من روكسبيرج في شباط 1335 وجد أسقف أفرانش بانتظاره لتحري أسباب هجومه على ديفيد الثاني، فارجأ إدوارد الثالث إجابته، لكنه وافق على السماح للمندوبين الفرنسيين بالتفاوض، وبدت براغماتية إدوارد الثالث في استغلاله انقسام آراء الأوصياء المشاركين على ديفيد الثاني[5], لتهيئة مستلزمات شن حملة جديدة ضد إسكتلندا[6], فحشد جيشاً قوامه ثلاثة عشر الف مقاتل في اذار 1335، وانطلق في تموز في مسار غزو ثلاثي الجبهات مع وجود قوة بحرية داعمة قرب نهر كلايد (Clyde River)، وبعد وصوله غلاسكو انطلق إدوارد الثالث بقواته إلى بيرث، فأرسل الملك الفرنسي فيليب السادس مقاتلين فرنسيين وامدادات عاجلة إلى المتمردين الإسكتلنديين لإدامة زخم مقاومتهم, وأبلغ إدوارد الثالث أنه إذا لم يعرض النزاع لتحكيم فرنسا والبابا، فستتدخل فرنسا في الصراع، وحين تجاهل إدوارد الثالث تحذيره[7], انتظم المرتزقة الفرنسيين في صفوف المتمردين الإسكتلنديين، وجلبت السفن الفرنسية مساعدات لوجستية إلى موانئهم،

(1) Michael Prestwich, Edward I …, p.469.
(2) Hall, Bert, Hall, Bert, Technology and Tactics in Corfis, Ivy; Wolfe The Medieval City Under Siege. Medieval Archaeology Series, 1999, p.277.
(3) Ang Andrew, A History of Scotland from the Roman, 1903, p.250,
(4) Maxwell, Op. Cit., p.279.
(5) Rogers Clifford, The Wars of Edward III: Sources and Interpretations, Boydell Press, 1999, p.241.
(6) Rogers Clifford, The Oxford Encyclopedia of Medieval …, Vol. I, p.144.
(7) Rogers, Clifford, The Wars of Edward III …, p.241.

وانضم قسم منها إلى سفنهم في طلعاتها على الموانئ والسفن الإنكليزية[1]، تزامناً مع ضغط فيليب السادس دبلوماسياً على إنكلترا لإعادة ديفيد بروس إلى عرشه، وتوسطه في النزاع، بعد إدراكه عدم قدرة المتمردين الإسكتلنديين على الاستمرار بالمقاومة، مما أسفر عن موافقة إنكلترا على إبرام هدنة استمرت حتى 4 نيسان 1335[2].

ثالثاً – حيثيات الدعم الفرنسي للتمرد الإسكتلندي 1334 – 1346:

أفضت تلك الانتكاسات الميدانية إلى تدويل الأزمة، بعد مغادرة الملك ديفيد الثاني في 14 أيار 1334 إلى فرنسا، التي تحولت إلى حاضنة حكومته، وبذلك تجاوز الصراع أبعاده المحلية إلى ورقة ضغط جيوسياسية اتخذت من الأراضي الفرنسية قاعدة خلفية لهيكلة الجهد التعبوي الإسكتلندي، والتخطيط لاستعادة السيادة[3], فطمع إدوارد باليول في إخماد باقي بؤر التمرد الإسكتلندي، التي لم تتجاوز اصابع اليد الواحدة في جميع أنحاء إسكتلندا[4], لكنه انزعج لأن عدوى التمرد بين صفوف الإسكتلنديين امتدت إلى حلفائه[5], وهو أمر يمكن تفسيره بتركيز مؤيدي الملك إدوارد باليول على مصالحهم الذاتية على حساب دعم حكمه، بموازاة تكثيف السير اندرو موراي وروبرت ستيوارت جهودهما للدفاع عن الملك ديفيد الثاني بوصفهما وصيين مشتركين على عرشه[6].

وبموازاة ذلك شنت إنكلترا عمليات عسكرية جديدة ضد إسكتلندا مطلع تموز 1335[7]، فأبدى التاج الفرنسي رد فعل عنيف، وأرسل بعثات دبلوماسية في 20 آب 1335، حثت إنكلترا على إيقاف حربها ضد إسكتلندا، والانضمام إلى حملة صليبية تروم فرنسا قيادتها ضد المسلمين، ونبه ملك فرنسا نظيره الإنكليزي – بأسلوب انطوى على تهديد ضمني – إلى التحالف المبرم بين ملك إسكتلندا السابق روبرت بروس ونظيره الفرنسي شارل الرابع، وطلب منه عرض الخلاف على البابا، مبيناً إنه في حال الرفض سينفذ التزامات بلاده اتجاه إسكتلندا، لإنقاذ حليفه ديفيد بروس، مما دل على خشية فرنسا

(1) Rev. Thomas Thomson, Op. Cit., Vol II, p.306.
(2) Chronicon Henrici Knighton, Op. Cit., Vol. I, p.472.
(3) Rogers, Clifford, War Cruel and Sharp: English Strategy under Edward III, 1327–1360, Woodbridge, Suffolk: Boydell Press, 2000, p.79.
(4) Ranald Nicholson, Siege of …, p.129.
(5) Patrick Fraser Tytler, History of Scotland, Edinburgh, 1845, p.410 – 411.
(6) Michael Brown, The Wars of Scotland …, p.238.
(7) Rogers, Clifford, The Wars of Edward III …, p.241

من انهيار إسكتلندا الذي سيحرمها من سلاح فعال طالما استخدمته ضد إنگلترا[1].

ويبدو أن خطورة ذلك التوجه الفرنسي دفعت إنگلترا إلى إتباع إستراتيجية مرنة مع فرنسا التي شكلت ورقة ضغط على القرار الإنگليزي الخارجي، فبين الملك الإنگليزي للبعثات الدبلوماسية الفرنسية إن هدفه إقرار السلام في إسكتلندا، وأن هناك وشائج وعلاقات وأصول مشتركة لملوك فرنسا وإنگلترا كافية لإبطال أي تحالف بين فرنسا وإسكتلندا[2]، والحقيقة أن تتابع البعثات الدبلوماسية الفرنسية إلى إنگلترا اجبرها على منح المتمردين الإسكتلنديين هدنة استجمعوا خلالها قواهم[3]، واسترجعوا شمالي إسكتلندا، ثم انحدروا جنوباً وحاصروا بعض قلاع إدوارد باليول، ولم ينسحبوا منها إلا بإيعاز من فرنسا، مما اقنع إنگلترا أن هزيمة إسكتلندا لن تتم دون سحق فرنسا[4]، لاسيما بعد التفوق الميداني للمتمردين الإسكتلنديين على أبناء جلدتهم الموالين لإنگلترا ، الذي تلاه تدخل عسكري إنگليزي اعتقال بعض قادة التمرد، بضمنهم روبرت ستيوارت[5]، الذي عُرف بصلابته ضد الموالين لملك إنگلترا[6].

اجتهد الملك إدوارد الثالث في القضاء على أخر بؤر التمرد الإسكتلندي فحاصر قلعة دمبارتون (Dumbarton Castle)، التي قادها الوصي الوحيد المتبقي، السير أندرو موراي (Andrew Murray) [7]، فأجرى الأخير مفاوضات مع إدوارد الثالث أسفرت عن هدنة رسمية من منتصف تشرين الأول حتى كانون الأول 1335، لكنها كانت "انتقائية" لم تشمل إدوارد باليول أو أتباعه، مما ترك الباب مواراباً لاستمرار الصراع محلي مع اذرع الإنگليز في إسكتلندا[8], وبينما التزم إدوارد الثالث بالهدنة ظاهرياً حاصر ديفيد ستراثبوغي أحد أبرز أتباع باليول زوجة الوصي أندرو موراي كريستيان بروس في قلعة كيلدرومي (Kildrummy Castle)، فهب زوجها لنجدتها بمساعدة القائد وليام

(1) Chronicon Henrici Knighton, Op. Cit., p.476.
(2) Ibid, Op. Cit., p.476 – 477.
(3) Archibald David Constable, History of Great Britain as well as England and Scotland, Printed at University Press by T. and A. Constable of the Scottish Historical Society, 1892 p.296 – 297.
(4) John Fordun's, Chronicle of the Scottish nation, Edinburgh, 1872, p.353 – 354.
(5) Sumption, Jonathan, Op. Cit., p.144.
(6) Michael Brown, The Wars of Scotland …, p.238.
(7) Rogers, Clifford, The Wars of Edward III …, p.241.
(8) Michael Brown, The Wars of Scotland …, p.239.

دوغلاس، وحدثت معركة كولبلين (Battle of Culblean) في 30 تشرين الثاني 1335، التي انتهت بقتل ديفيد ستراثبوغي وسحق قواته، في أول انتصار للمتمردين على جيش باليول، مما أجبر الأخير على الانكفاء في الظل العسكري الإنكليزي[1].

ويبدو أن إدوارد الثالث كان مهتمًا في تلك المرحلة في المقام الأول بالحفاظ على المقاطعات الثماني التي منحها له باليول، فعزز قوتها وتحصيناتها، وراقب بحذر تحركات فرنسا المقترنة بطلب ملكها انسحابه من إسكتلندا، تزامناً مع تزايد احتمال قيام الفرنسيين بعمل عسكري ضد أراضيه الموروثة في آكيتاين الفرنسية، وهي أمور مهدت بمجملها لاندلاع حرب المائة عام[2]، وفي أواخر عام 1335 ومطلع العام الذي تلاه، تفاوضت البابوية والفرنسية مع ملك إنكلترا حول معاهدة نيوكاسل المقترحة (Treaty of Newcastle)، التي قضت باحتفاظ إدوارد باليول بالعرش وتسمية ديفيد الثاني ولياً لعهده, وأقنع البابا بنديكتوس الثاني عشر الملك فيليب السادس بتأجيل عمله العسكري، لكن الأخير اقنع ديفيد الثاني في اذار 1336 برفض المعاهدة، مع أن وصيه اندرو موراي وافق عليها[3], ورداً على ذلك أرسل إدوارد الثالث في أيار 1336 جيشاً بقيادة هنري لانكستر لمهاجمة المتمردين الإسكتلنديين الذين حاصروا لوتشيندروب وكوبار، فتوقف هنري لانكستر مؤقتًا للحصول على تعزيزات في بيرث، وأرسل السير توماس روسلين لتحصين قلعة دنوتار المدمرة، وتزامناً مع ذلك تلقى إدوارد الثالث معلومات استخباراتية مبالغ فيها عن تحشد قوات فرنسية لطرد الإنكليز من إسكتلندا واحتلال شمال إنكلترا، فقرر إحباط ذلك المخطط من خلال تدمير ميناء أبردين الذي كان الميناء الأنسب لإنزال قواتهم[4]، وسرعان ما وصل إدوارد الثالث إلى إسكتلندا بقوة قوامها 400 رجل، والتقط 400 جندي إضافي من قوات لانكستر للتقدم بهم إلى لوتشيندورب، منهيًا ذلك الحصار، ثم توجه إلى موراي فيرث[5], مدمراً كل ما واجهه من هناك، وفي الشهر ذاته، دمر إيرل كورنوال جون الثام مدينة كاريك ووادي كلايد[6].

---

(1) Jonathan Sumption, Op. Cit., p.154 – 158.
(2) W. Mark Ormrod, Op. Cit., p.10 – 12.
(3) Brown Chris, Second Wars of Scottish Independence, 1332 – 1363, Stroud, 2002, p.143.
(4) Sumption, Jonathan, Op. Cit., p.159 – 161.
(5) Rogers, Clifford, The Wars of Edward III …, p.242.
(6) Brown Chris, Op. Cit., p.144.

وصحت معلومات التقارير جزئياً باتخاذ الصراع طابعاً اقتصادياً حاداً مع انخراط قوى فرنسية في قرصنة منظمة ضد إنكلترا، فمن خلال دمج السفن والخبرات الفرنسية مع الأسطول الإسكتلندي المتمرد، شنت تلك القوة المشتركة هجمات مدمرة على الموانئ والسفن الإنكليزية، لممارسة ضغط مالي ولوجستي على التاج الإنكليزي، وإجباره على إعادة توجيه قواته من الجبهة البرية في الشمال لحماية سواحله الجنوبية والشرقية[1].

اشتدت الحملات الإنكليزية على المتمردين الإسكتلنديين بين عامي 1336 – 1337، لكنها فشلت في وأْد التمرد الإسكتلندي[2]، وأظهرت مدى تورط فرنسا فيه، فأصبحت الحرب الإنكلو – فرنسية حتمية، بيد أن مناورة إنكلترا استمرت حتى النهاية، وتجلت بصورة واضحة في إرسال بعثة إنكليزية برئاسة إيرلي سالسبوري (Earl Salisbury) وارندل (Earl Arundel) إلى فرنسا في تشرين الأول 1337 للتفاوض بشأن القضية الإسكتلندية، بهدف امتصاص زخم التاج الفرنسي، بدليل إن البعثة لم تقدم حلاً للقضية، كما أن جيوش إنكلترا ركزت جهودها لسحق المتمردين الإسكتلنديين، قبل التفرغ للصراع الوشيك مع فرنسا[3]، وأثناء فصل الصيف قابلت سفارة إنكليزية مفوضة من المجلس الكبير الملك فيليب السادس وديفيد الثاني, لبحث الملف الإسكتلندي، ففاجئ فيليب السادس السفراء الإنكليز بتأكيد دعمه المطلق لأنصار ديفيد بروس, ولو اضطر لغزو إنكلترا, فأرسل السفراء رسالة عاجلة إلى مجلس إنكلترا عما جرى، واقترنت تلك التطورات بهجوم قراصنة فرنسيين على مدينة أورفورد واغراقهم بعض السفن الإنكليزية، مما أشاع الذعر على طول الساحل الجنوبي الإنكليزي, وبعد وقت قصير من وصول المبعوثين الملكيين إلى بلادهم استولى القراصنة الفرنسيون على بعض السفن الملكية الراسية في جزيرة وايت, وتمثل رد إدوارد الثالث بفرضه ضرائب حرب جديدة وتهيئة مستلزمات حملة جديدة على إسكتلندا[4].

واصل المتمردون الإسكتلنديون مضايقة المقاتلين الإنكليز، فدمر السير اندرو موراي بلدات دونوتار وكينيف ولوريستون لمنع إدوارد من استخدام مؤنها، فانتشرت

(1) Chronicon Henrici Knighton, Op. Cit., Vol. I, p.472.
(2) Michael Brown, The Wars of Scotland …, p.239.
(3) John of Fordun, Op. Cit., p.354.
(4) Jonathan Sumption, Op. Cit., p.163-167.

المجاعات والأمراض في جميع أنحاء إسكتلندا, وفي ذلك الوقت بالتحديد ادرك إدوارد الثالث انه بين فكي كماشة فرنسية – إسكتلندية إنگلترا على الرغم من تراجع الهجمات البحرية الفرنسية، فنبذ فكرة غزو إسكتلندا، وعول على غزو فرنسا أواخر عام 1337[1], وسيراً على نهج تشتيت الحراك العسكري الإنگليزي استغل المتمردون الإسكتلنديون انشغال إدوارد الثالث بالملف الفرنسي فغزا السير اندرو موراي والسير وليام دوغلاس فايف, لكن إدوارد الثالث تجاهل هجماتهم ليقينه أن الفرنسيين هم التهديد الأكبر لمملكته, تاركاً القادة الإنگليز في إسكتلندا لقمة سائغة للمتمردين الإسكتلنديين, فاستولوا على معظم قلاع الإنگليز ودمروا تحصيناتهم في عموم إسكتلندا[2].

تنامى الحراك العسكري للمتمردين الإسكتلنديين فهاجموا غالاوي الخاضعة لسيطرة إدوارد باليول، ودمروها في مطلع 1338، وبموازاة ذلك قرر المجلس الفرنسي الكبير انتزاع غاسكوني وبونثيو من الملك إدوارد بذريعة انتهاكه التزاماته الإقطاعية ازاء سيده الإقطاعي الاعلى فيليب السادس مما ورط مملكتي فرنسا وإنگلترا في حرب المائة عام، ومع بداية تلك الحرب داهم الإسكتلنديون المعاقل الإنگليزية غرب بلادهم، وحاصروا قلعة إدنبرة في تشرين الثاني 1338، واخترقت بعض جموع المتمردين حدود إنگلترا وتوغلت في كارلايل وكمبرلاند, فاضطر إدوارد الثالث لإرسال بعض قواته إلى شمال إنگلترا رغم حاجته الماسة لها في الجبهة الفرنسية[3]، وهنا من المناسب القول أن موقف إسكتلندا من الحرب الإنگلو – فرنسية خضعَ إلى ثلاثة أبعاد هي: الإرث التاريخي للصراع الإنگلو – إسكتلندي[4]، والتحالف الفرنسي – الإسكتلندي التقليدي، ومشكلة إسكتلندا التي كان لها أثرٌ في نشوب الحرب الإنگلو – فرنسية، وبلورة موقف إسكتلندا منها[5]، ومن ذلك المنطلق كان انحياز الإسكتلنديين إلى حليفتهم فرنسا ضد غريمتهم إنگلترا حتمياً، لاسيما أن المعارك الإنگلو – إسكتلندية كانت محتدمةً قبل شن

(1) King, Andy, According to the Customs Used in the French and Scottish Wars: Prisoners and Victims in the Fourteenth-Century Scottish Marches, Journal of Medieval History, XXVIII, 2002, p.263 – 290.
(2) Jonathan Sumption, Op. Cit., p.171 – 173.
(3) King, Andy, Op. Cit., p.290.
(4) Joseph Stevenson, Documents illustrative of the history of Scotland from the death of King Alexander the Third to the accession of Robert Bruce, Vol, Edinburgh, 1870, p.56 – 73.
(5) Webster Bruce, David II 1324 – 1371, Oxford University Press, 2004, p.90 – 93.

الحرب على فرنسا[1]، بل أن ملك إسكتلندا المخلوع ديفيد بروس الذي تمسك به الإسكتلنديون شكل بعد خلعه قواعد لمقاتليه في فرنسا، ونسق معها حينما شنت إنگلترا حرباً عليها التي رأى فيها بروس سجالاً بين حاميه ملك فرنسا وملك إنگلترا حامي غريمه جون باليول[2]، فألقى بروس ثقله في العمليات العسكرية الفرنسية، وتم التنسيق بين الأسطولين الفرنسي والإسكتلندي لمهاجمة سواحل إنگلترا، تزامناً مع صدامات إنگلو – فرنسية على تخوم مقاطعات إنگلترا في فرنسا، ومناوشات إنگلو – إسكتلندية شمالي إنگلترا، مما اقلق إنگلترا التي أدركت صعوبة القتال على جبهتين في آنٍ واحد[3].

وألفتْ القوات الإسكتلندية إِحدى الأجنحة الساندة للجيش الفرنسي أثناء العمليات العسكرية التي شنتها إنگلترا ضد فرنسا، في معركة برونفاس (Battle of Buironfosse) في 21 تشرين الأول 1339 التي حضرها جيشٌ قادهُ بروس شخصياً[4]، وباغت المتمردون الإسكتلنديون شمال إنگلترا أثناء وجود جيوشها في الجبهة الفرنسية، وهكذا فإن الدور العسكري الإسكتلندي تمحورَ في جبهتين إحداهما شمالي إنگلترا عند مغادرة جيوشها إلى فرنسا، والآخر في فرنسا لمواجهة تلك الجيوش[5].

وهنا تكفي معرفة أن التاج الفرنسي أوعز للمتمردين الإسكتلنديين عام 1340 بمشاغلة إنگلترا بهجمات مباغتة، لتتمكن فرنسا من توجيه ضربة قاصمة إلى الفلمنكيين، ومن ثَمَّ حرمان إنگلترا من أهم حلفائها، فضلاً عن إقامة كمائن لأي أسطول إنگليزي يحاول مساعدة الفلمنكيين أو يظهر في المانش[6]، وبعد وصول الجيش الإنگليزي إلى المدن الفلمنكية وحصاره وحلفائه مدينة تورنيه منذ منتصف تموز 1340 اشترك ملك إسكتلندا بجيشه في حملة تشكلت في أيلول 1340 من جيوش فرنسا وحلفائها لفك ذلك الحصار، لكن المواجهة لم تحصل بين الطرفين بعد التوصل إلى هدنة ايسبليجن[7].

وبفضل تدفق الدعم الفرنسي إلى إسكتلندا بالمال والسلاح والخبرات العسكرية، حسم المتمردون الإسكتلنديون بحلول عام 1340 صراعهم الميداني ضد إنگلترا في

(1) Brown Chris, Op. Cit., p.127 ; Webster Bruce, Op. Cit., p.50 – 56.
(2) Archibald David Constable, Op. Cit., Vol. X, p.268 – 272.
(3) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Vol. II, Op. Cit., p.954 – 970.
(4) Chronicon Henrici Knighton, Op. Cit., p.345.
(5) Maitland Club Glasgow & Joseph Stevenson, Op. Cit., p.283, 295 – 296.
(6) Henry Newbolt, Froissart in Britain, London, 1900, p.51 – 54.
(7) W. J. Ashley, English history by …, p.71. ; Brown Chris, Op. Cit., p.127.

معظم أرجاء بلادهم، وتجلى ذلك النجاح في تراجع الوجود الإنكليزي لمستويات غير مسبوقة، فلم يعد لاتباع باليول والتاج الإنكليزي أي نفوذ حقيقي سوى جيوب معزولة تمثلت في بعض القلاع الحدودية، مما جعل السيادة الإنكليزية على إسكتلندا اسمية[1].

ولا بد من الإشارة إلى أن نشوب الحرب مع فرنسا كان السبب الاهم في تقوية المتمردين الإنكليزية على حساب اعدائهم الإنكليز، وأنقذ إسكتلندا من الانهيار، وأعطاها فرصة التقاط أنفاسها، ومكنها من إسناد فرنسا بمهاجمة شمال إنكلترا، ليثبت قوة التحالف الفرنسي – الإسكتلندي، الذي كان أبرز أسباب نشوب حرب المائة عام[2], وهكذا فإن العداء الإنكلو – إسكتلندي أوجد منعطفاً مهماً في العلاقات الأوربية[3]، فذلك العداء، والتحالف الفرنسي – الإسكتلندي، كانا عاملين محوريين في معادلة شنجت غربي أوربا حقباً طويلة، ركزت فرنسا أثناءها على ضرورة استقلال إسكتلندا، وأبرمت معها اتفاقات، أسهمت في حفظ أمن فرنسا عِبر استغلال إسكتلندا كثقل موازن لإنكلترا[4].

سكنت طبول الحرب في خريف عام 1343، بعد أن وافق التاجان الإنكليزي والفرنسي على وضع السلاح، وهي التهدئة التي سرى أثرها فوراً على المرتفعات الإسكتلندية، وطوال العامين التاليين وحتى عام 1345، تمتع السكان بحقبة هدوء نادرة في تلك المرحلة الخطيرة[5]، واستثمر المتمردون الإسكتلنديون سني الهدنة بذكاء لم يقتصر على الجانب العسكري فحسب، بل شمل توطيد نفوذهم في المراكز الحضرية[6]، فبينما كانت السيوف مغمدة، نجح أتباع ديفيد الثاني في تثبيت ركائز إدارتهم وتوطيد ولائهم في قلوب السكان، مما حول السيطرة العسكرية المؤقتة إلى سلطة مدنية وسياسية راسخة، وجعل من الصعب على إنكلترا أو باليول اختراق تلك الحواضر مجدداً[7].

لم يكن هجوم ديفيد الثاني على شمال إنكلترا في عام 1346 مجرد غارة عادية، بل التزاماً أخلاقياً وسياسياً ازاء فرنسا التي احتضنته في منفاه، فبعد كارثة

---

(1) ناطق عزيز شناوه الساعدي، المصدر السابق، ص124.

(2) W.J. Ashley, English history by …, p.71.

(3) A.F. Murison, King Robert the Bruce, London, 1899, p.155 – 156.

(4) E. M. Wilmot Buxton, A Catholic history of great Britain, London, 1913, p.125.

(5) زهراء رياض ناصر، الصراع الإنكليزي – الفرنسي 1272 – 1348، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الإنسانية، 2024، ص171.

(6) ناطق عزيز شناوه الساعدي، المصدر السابق، ص124.

(7) Clifford J. Rogers, The Wars of Edward III …, p.39.

كريسي (Battle of Crécy) التي عصفت بالجيش الفرنسي، وجد الإسكتلنديون أنفسهم أمام مسؤولية إنقاذ حليفهم[1]، وظن ديفيد الثاني أن إنكلترا قد أفرغت قلاعها من حامياتها لإرسالهم إلى فرنسا، فدفع بجيشه نحو مقاطعات شمال إنكلترا، محاولاً استغلال ما اعتقد أنه فراغ عسكري لانتزاع مكاسب ميدانية وتشتيت انتباه إدوارد الثالث.

تجلت كفاءة الإدارة العسكرية لإدوارد الثالث في قدرته على إدارة جبهتين متباعدتين بفعالية، فمن خلال إعفاء سكان المقاطعات الشمالية من الخدمة في فرنسا ضمن وجود جيش احتياطي محلي يتمتع بمعرفة طبوغرافية دقيقة، ولهذا تحول غزو ديفيد الثاني لإنكلترا من هجوم مباغت إلى مواجهة غير متكافئة، بسبب التعبئة الإنكليزية المحكمة[2]، فقد عزز إدوارد الثالث دفاعاته الشمالية بحامية عسكرية تراوحت بين 7000 و8000 مقاتل، لتكون بمثابة خط الدفاع الأول عن إنكلترا ضد أي تحرك إسكتلندي، ولم تكن تلك القوات مجرد ميليشيات محلية، بل قوة ضاربة هيأها الملك لإحباط طموحات ديفيد الثاني في استغلال غياب جيشه الرئيس، مما حول المقاطعات الشمالية إلى حصن منيع يصعب اختراقه[3]، لكن المتمردين الإسكتلنديين تجاهلوا ذلك واندفعوا في 17 تشرين الأول 1346 نحو مدينة دورهام، فباغتهم جيش إنكليزي كبير عند اقترابهم من منطقة نيفيل كروس (Neville Cross)[4].

وانتهت تلك المواجهة التي جرت قرب أسوار دورهام بكارثة عسكرية حسمت مصير التمرد الإسكتلندي، فتعرض جيش ديفيد الثاني لهزيمة ساحقة ابادت معظم مقاتليه، وشملت الخسائر مقتل نخب عسكرية وسياسية إسكتلندية، وتوّج ذلك الانكسار بسقوط الملك ديفيد الثاني نفسه أسيراً في قبضة الإنكليز، فأُرسل مكبلاً إلى الملك إدوارد الثالث الذي زجه في برج لندن، فتحول من ملك يطالب بالسيادة إلى سجين خلف القضبان[5].

---

(1) حسنين عبد الكاظم عجه، المصدر السابق، ص76.

(2) ناطق عزيز شناوه الساعدي، المصدر السابق، ص124.

(3) حسنين عبد الكاظم عجه، المصدر السابق، ص76.

(4) ناطق عزيز شناوه الساعدي، المصدر السابق، ص125.

(5) John Major's, Greater Britain, Publications of the Scottish history society, Vol. X, Translated from the original Latin and Edited with Notes by Archibald Constable, Edinburgh, 1892, p.268 – 272.

رابعاً: مؤامرة إدموند إيرل كنت (Edmund Earl Kent)(1):

تعرض إدموند إيرل كنت شقيق الملك الراحل إدوارد الثاني إلى مؤامرة دنيئة حاكها له روجر مورتيمر ببراعة وسوء نية، فجنّد شبكة عملاء سريين للإيقاع به عبر استغلال مشاعره تجاه أخيه الراحل، فأوهم أولئك العملاء إدموند عبر شائعات ممنهجة وشهادات زائفة أن أخاه لم يمت في قلعة بيركلي كما أُشيع رسمياً، بل هو سجين في مكان مجهول تحت حراسة مشددة، وهو في أمس الحاجة لإنقاذه من براثن خاطفيه(2)، ولم يكن هدف مورتيمر من تلك المكيدة تصفية إيرل كنت فحسب، بل إرسال إشارة ترهيب إلى أمراء الدم من العائلة المالكة، مفادها أن أحداً مهما علت مكانته وقربت صلته من الملك، لن يكون بمأمن من بطشه إذا تجرأ على معارضته(3).

وابتلع إيرل كنت الطعم، حين صدق تلك الرواية المفبركة، فبدأ التخطيط لعملية انقاذ سرية معقدة، دون ان يدرك انه بذلك يمنح مورتيمر الذريعة القانونية لتصفيته بتهمة الخيانة العظمى والتآمر لقلب نظام الحكم، فأجرى الإيرل اتصالات مع بعض الاطراف لإنقاذ اخيه، على مرأى ومسمع روجر الذي اطلع في 3 كانون الأول 1329 على تفاصيل تواصل ذلك الإيرل مع اطراف فرنسية لإنقاذ اخيه، وبخسة استغل مورتيمر عاطفة ذلك الإيرل موهماً إياه عبر شبكة جواسيس أن شقيقه لا زال حياً في غياهب سجون سرية(4)، فأدار الإيرل عملية إنقاذ سرية، دون أن يدرك أنه يكتب وثيقة إعدامه.

ولإضفاء صبغة جدية على مسعاه، استغل الإيرل تذمر رئيس أساقفة يورك وأسقف لندن من استبداد مجلس الوصاية، فاجتمع سراً في 7 كانون الأول 1329 مع

1() هو الشقيق الأصغر للملك ادورد الثاني، ساهم بخلع الملك ادورد الثاني، وشارك في المحاكمة التي ادانت ديسبينسر الكبير بالاعدام، له دور فعال في دعوة اول برلمان في العهد الجديد، وكان عضواً في مجلس الوصايا، وكان عضواً مؤثراً في العائلة المالكة، ومتزوج من ابنت عم روجر مورتمر، وبسبب قربه من العائلة المالكة تمكن من الحصول على افضل الاراضي، للمزيد عن إيرل كنت انظر: Sharon Irene Walker, Tyranny, Complaint and Redress: The Evidence of the Petitions Presented to the Crown C. 1320 to, A Thesis submitted for the Degree of Doctor of Philosophy, University of Nottingham, December, 2013.

(2) David Hume, Op. Cit., Vol. II, p.537.

(3) W. Warburton Title Epochs of Modern History Edward III, Publisher Longmans Green, London, 1896, p.19.

(4) Thomas William Barlow, The Kingship of Edward III of England: 1327-1377, A Thesis Submitted to the Faculty of the Graduate School of the University Sp., 2014, p.39.

مبعوثيهما وبعض البارونات في لندن، وقدم لهم الأدلة المزيفة التي دسها له روجر مورتيمر لإيهامه بعدم وفاة اخيه إدوارد الثاني، وفي 15 من الشهر ذاته أرسل إيرل كنت خطابات بالمعنى ذاته إلى قادة الشمال وفي مقدمتهم دونالد، إيرل مار (Donald Earl Mar)، الذي تجاوب معه، بسبب ولائه المطلق لذكرى الملك الراحل إدوارد الثاني[1]، وانضم إلى ذلك المسعى أيضاً بقايا تيار آل ديسبنسر والمنفيين في الخارج، الذين وجدوا في حركة إيرل كنت فرصة لتقويض سلطة إيزابيلا ومورتيمر التي أقصت الجميع، وهكذا تحولت محاولة تحرير الملك المزعوم إلى بؤرة تجمع سياسي لكل من طالته سياسات التهميش والإقصاء الممنهج التي فرضها نظام الوصاية، وبلغت الخطورة ذروتها حين حصل جواسيس مورتيمر في 21 كانون الأول 1329 على مسودات من مراسلات إيرل كنت، التي استخدمت لاحقاً لإدانته بالخيانة العظمى[2].

والقراءة التحليلية لتلك الحركة أثبتت أن قناعة اطرافها بوجود الملك إدوارد الثاني لم تكن المحرك الوحيد للتحرك، بل أنها مسألة ثانوية أمام الهدف الأكبر المتمثل في الإطاحة بمورتيمر[3]، وسواء آمن أولئك الحلفاء بوجود الملك الراحل أم اعتبروها مجرد شائعة سياسية[4]، فقد وجدوا فيها غطاءً شرعياً وذريعة مثالية للنيل من الملكة إيزابيلا وعشيقها، وبذلك تحول الملك إدوارد الثاني من مجرد ذكرى ملك سابق إلى أداة سياسية فعالة استُخدمت ببراعة لحشد الساخطين على تسلط الاوصياء، وهو أمر استغله روجر لبذر الشقاق بين إدوارد الثالث وعمه إيرل كنت، فأخبر إدوارد الثالث في 25 كانون الأول 1329 عن شكوكه حول مؤامرة يحيكها إيرل كنت ضد مؤسسة العرش الإنكليزي[5].

واستغل مورتيمر افتتاح برلمان وستمنستر للتخلص من إيرل كنت، فزود البرلمان في 11 آذار 1330، بوثائق اثبتت تورط الإيرل في مؤامرة ضد مؤسسة العرش الإنكليزي، ووسط ذهول اعضاء البرلمان عرض مورتيمر ملابسات مؤامرة الإيرل، ثم تم

---

(1) Susan Higginbotham, Edward II his Friends his Enemies and his Death, New York, 2005, p.48

(2) Ibid, p.49.

(3) ناطق عزيز شناوه الساعدي، المصدر السابق، ص86.

(4) رسالة من رئيس أساقفة يورك وليام ميلتون آواخر 1329 الى الملك ادوارد الثالث، ذكر فيها أن الملك إدوارد الثاني لازال حياً، أنظر مخطوطة رقم (6).

(5) Ian Mortimer, The Perfect King The Life of Edward III …, p.73.

استدعائه للمثول أمام البرلمان بتهمة الخيانة العظمى[1]، وفي 16 اذار 1330 ثبتت تلك التهمة حين عرض مورتيمر رسالة لاتقبل الجدل كتبت بخط يد زوجة الإيرل، زف فيها الإيرل لشقيقه إدوارد الثاني بشرى استعادة عرشه قريباً[2]. وأمام ذلك الدليل المادي، وجد الإيرل نفسه عاجزاً عن الإنكار، فأقر بذنبه محاولاً تبرير فعله برواية واهية حول راهبٍ غامض أخبره ببقاء الملك حياً، وهي محاولة يائسة لحماية مصادره الحقيقية، لكنها لم تغير مصيره، فصدر الحكم بإعدامه فوراً بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم[3].

ومع أن الملك إدوارد الثالث حضر جلسة محاكمة عمه، لكن الغموض ظل يكتنف دوره الحقيقي في إصدار الأمر، ودلت المؤشرات والقرائن التاريخية على أن القرار لم يكن نابعاً من إرادة الملك الحرة أو قناعته الشخصية، بل كان إذعاناً لسطوة مورتيمر التي بلغت ذروتها في تلك المرحلة[4]، وبعد مصادقة الملك رسمياً على حكم الإعدام صُدِمَ اعضاء البرلمان، وذهلوا من استشراء نفوذ مورتيمر، الذي وصل حداً من الجبروت مكنه من إجبار الملك على توقيع صك مقتل أقرب أقربائه، فشاع جواً من الفزع والترقب في صفوف النبلاء الذين أدركوا أن رقابهم جميعاً باتت تحت رحمة ذلك الطاغية[5]

ولم يكن اعدام إيرل كنت في 19 آذار 1330 بمعزل عن ذلك الجو القاتم، بسبب تحوله إلى مهزلة دموية كشفت عن حجم الرفض الشعبي لقرارات مورتيمر[6]، ففي يوم التنفيذ وقف الأمير فوق منصة الإعدام ساعات طوال بسبب رفض الجلاد الرسمي تنفيذ الحكم، استعظاماً لسفك دم أمير من العائلة المالكة[7]، وفي مشهد مهين لقدسية التاج، اضطر مورتيمر للبحث عن مخرج لذلك المأزق، فلم يجد سوى حمال محكوم عليه بالإعدام في جناية سرقة، فوافق ذلك الحمال على أداء دور الجلاد مقابل نيل حريته، فقطع رأس الأمير في مشهد جسد الانحدار القيمي لإنكلترا في تلك الحقبة[8].

استغل مورتيمر حادثة اعدام الإيرل لتصفيه معارضيه عبر حملة اعتقالات واسعة لعشرات النبلاء خلال شهري نيسان وأيار 1330، ولحصانته الدينية وضع رئيس

---

(1) Ian Mortimer, The Perfect King The Life of Edward III …, p.74.
(2) ناطق عزيز شناوه الساعدي، المصدر السابق، ص86.
(3) Ian Mortimer, The Perfect King The Life of Edward III …, p.73.
(4) علي كريم عباس، المصدر السابق، ص171.
(5) William Longman, Op. Cit., Vol. I, p.36 – 38.
(6) Susan Higginbotham, Op. Cit., p.48.
(7) David Hume, Op. Cit., Vol. II, p.539.
(8) W. Warburton, Op. Cit., p.537.

أساقفة يورك قيد الإقامة الجبرية، ريثما تتم محاكمته[1]، وأمام ذلك التهديد، هرب كبار النبلاء خارج إنكلترا خوفاً من بطش مورتيمر[2]، إلا أن السمة الأبرز لتلك المرحلة الانحدار الأخلاقي لنظام الوصاية، إذْ تناقضت أفعال الملكة إيزابيلا مع شعاراتها السابقة، فبدلاً من حماية النساء، أمرت بسجن كونتيسة كنت (Countess of Kent) وهي في شهرها التاسع من الحمل[3]، ضاربةً بعرض الحائط قرابة الكونتيسة بمورتيمر نفسه[4].

والثابت أن ما حصل زاد مقت إدوارد الثالث لـ مورتيمر، وريبته منه، لاسيما انه كان متحاملاً عليه اصلاً لدوره في قتل ابيه، وتزويج اخته رغماً عنه، والتلاعب بأمه، وابرامه معاهدة مذلة مع إسكتلندا، كما أن إدوارد الثالث ذاته كان متوجساً من انه سيكون الهدف المقبل لروجر، كي يستحوذ على عرشه، فشعر إدوارد الثالث أن بقاءه حياً مرهون بمدى سرعته في الانقضاض على ذلك الطاغية[5].

خامساً: القضاءعلى تمرد روجر مورتمر والملكة ايزابيلا:

أدى إعدام ادموند إيرل كنت إلى فقدان مجلس الوصاية عمقه الشعبي، وضجر الملك إدوارد الثالث من واقعه السياسي الذي هيمنت عليه الملكة ايزابيلا وروجر، وكان الاستقرار الأسري للملك إدوارد الثالث المتمثل في زواجه وإنجاب وريثه محفزاً له على تغيير واقعه المزري، الذي زاد مورتيمر وطأته بإصراره على احتكار سلطة العرش ومنع الملك الشاب من ممارسة صلاحياته رغم نضجه السياسي والمامه بأمور الحكم[6].

وتجاوزت ممارسات روجر مورتيمر حدود الإشراف الإداري والسياسي على مؤسسات التاج إلى استلاب أصوله، فاستولى بشكل غير قانوني على قلاع وقصور الملكية، وأعاد توزيع الأراضي على نخبته الموالية له لتقويض الاستقلال المالي للملك إدوارد الثالث، وتجاوزت تلك الهيمنة الأصول العقارية، إلى الشؤون السيادية للعائلة

---

(1) Charles Knight, Op. Cit., Vol. 1, p.446.

(2) ناطق عزيز شناوه الساعدي، المصدر السابق، ص87.

(3) Linda E. Mitchell, Portraits of Medieval Women: Family, Marriage, and Politics in England 1225-1350, Palgrave Macmillan, New York, 2003, p.91 – 92.

(4) Charles Knight, Op. Cit., Vol. 1, p.446.

(5) W. Mark Ormrod, Op. Cit., p.6 – 7.

(6) Robert Ross, Outlines English History, Marshall Simpkin and Co., London, 1860, p.74-76.

المالكة، فبدد المهر الخاص بالملكة فيليبا (Philippa of Hainault) وعرقل مراسم تتويجها، في محاولة ممنهجة لتحجيم أي نفوذ موازٍ لسطوته داخل البلاط[1].

وامتدت هيمنة مورتيمر إلى الملف الخارجي بكيفية ناقضت مصالح العرش وحطت من مكانته، منتهجاً مسلكاً انسحابياً تجسّد في سلسلة تنازلات دبلوماسية، قوّضت الثقل الإقليمي لإنگلترا، فكان هو العقل المدبر لمعاهدة إدنبرة – نورثامبتون في 17 آذار 1328، التي أنهت السيادة الإنگليزية على إسكتلندا، مقابل ضمان ديمومة نظام الوصاية[2]، واستدرج التاج الإنگليزي إلى مربع تبعية مذلة لفرنسا، حين اجبر الملك إدوارد الثالث على تأدية مراسم الولاء الإقطاعي لـ فيليب السادس في 6 حزيران 1329، مؤطراً بذلك اعترافاً ملكياً إنگليزياً بأحقية ال فالوا في عرش فرنسا، وتنازلاً قسرياً عن الحقوق التاريخية للتاج الإنگليزي في الإقطاعات الفرنسية، ومولداً مقتاً شديداً لدى النخب العسكرية التي رأت فيما تقدم إذلالاً لكرامة العرش، ومصادرة لدوره القاري[3].

وزاد المقت لمورتيمر بسبب ادارته الممنهجة للمناورات والدسائس في أوساط البلاط وحاشية الملك، واختراقه نسيج الأسرة الملكية، بدأبه على تأزيم علاقة الملكة إيزابيلا بزوجها إدوارد الثاني، محولاً إياها إلى إحدى أدواته السلطوية، وأنتهى استحواذه على الملكة إلى تهتك الروابط المقدسة المقترنة بهيبة العرش، تلاها اغتيال الملك في 21 أيلول 1327، التي كانت جرماً استثنائياً، ووصمة لاأخلاقية لازمت نظام الوصاية[4]، وفي السياق ذاته، اتبع مورتيمر ضغطاً نفسياً على الملك الشاب، عبر تأزيم علاقته بوالدته، محولاً أروقة القصر إلى ثكنة استخباراتية خاضعة لرقابته واشرافه المباشرين[5].

تصاعدتْ وتيرةُ الاحتقانِ السياسي جراءَ تكريس مورتيمر نهجاً إقصائياً همش طبقةِ النبلاءِ، فتحول التذمر الفردي إلى معارضة مؤسسية منظمة، ومع بلوغ الملك إدوارد الثالث عامه السابع عشر عام 1329، انتقلت علاقته بالوصي مورتيمر من طور الامتثال إلى مرحلة التمرد الواعي مدفوعاً بإرادة استعادة سيادته المسلوبة[6].

---

(1) Thomas William Barlow, Op. Cit., p.41.
(2) William Longman, Op. Cit., Vol. I, p.37
(3) Richard Barber, The Chronicle of Geoffrey Le Baker of Swinbrook, Transl: David Preest, The Boydell Press, Woodbridge, 2012, p.42.
(4) John Froissart, Chronicles of England, France and the adjoning Countries, from the latter part of the reign of Edward II to the coronation of Henry IV, Transl: Thomas Johnes, The Hafod Press, Hafod, 1803, Vol. I, p.39.
(5) Thomas William Barlow, Op. Cit., p.41.
(6) David Hume, Op. Cit., Vol. II, p.537.

واتسمت سني حكمه الأولى بسعيه الحثيث لتقويض الوصاية القسرية التي فرضها الثنائي إيزابيلا وموريتمر عليه، ولم تكن عملية استعادة سيادته مجرد رغبة شخصية، بل تحولاً بنيوياً في مؤسسة العرش اعتمد فيه الملك على عقيدة سياسية جديدة قوامها النخب العسكرية المخلصة له، مما خلق رابطة بين الملك ومحيطه الاستشاري[1]، لكن إدوارد الثالث ادار مخططه بآلية تغيير بطيء وغير منظور لبناء نواة صلبة من الشباب المرتبطين به، مع التزامه الكتمان السياسي للتمويه على رقابة شبكة جواسيس مورتيمر، وهنا برز وليام مونتاغو (William Montagu)[2] بوصفه العقل المدبر لتلك التحركات[3]، وفي إطار تلك المعادلة المعقدة تعدى دور مونتاغو آليتي التعبئة المعنوية والتخطيط الميداني، إلى ارساء أبعاد الشرعية الملكية وسبل صيانتها، فرأس بعثة دبلوماسية سرية في أيلول 1329 إلى مقر البابوية في أفينيون (Avignon)[4]، لانتزاع دعم ديني وسياسي من البابا جون الثاني والعشرين (John XXII)[5]، للملك إدوارد الثالث، مما هيأ له غطاءً شرعياً بابوياً لاسترجاع سلطاته الدستورية المغتصبة[6].

---

(1) Ian Mortimer, The Perfect King: The Life of Edward III …, p.25.

(2) (1301 – 1344): أبوه وليام بارون مونتاكو، كان مقرباً من الاسرة المالكة وصديقاً لـ إدوارد الثالث ورفيقه المقرب، نال العديد من الألقاب والامتيازات بعد القضاء على تمرد روجر مورتمير، توفي في احدى نزالات الفروسية الإنكليزية، للمزيد عنه، انظر: May McKisack, The Fourteenth Century: 1307–1399, Oxford University Press, Oxford,1959, p.152 ; Ian Mortimer, The Perfect King: The Life of Edward III …, p.175.

(3) Susan Higginbotham, Op. Cit., p.50.

(4) مدينة جنوب فرنسا، انتقلت اليها البابوية من روما بعد انتخاب البابا كلمنت الخامس بتدخل ملك فرنسا فليب الرابع، فاصبح لفرنسا دور بارز في توجيه البابوية، وعرف ذلك الحدث بإسم " الاسر البابوي" واستمر اكثر من سبعين عام، انظر: مريم هادي حسن الياسري، الانقسامات الكنسية واثرها على الحروب المذهبية في فرنسا 1309– 1518، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، 2019، ص 74– 96 ؛ J. Gordon Melton, the Encyclopedia of Religious Phenomena, Visible Ink Press LLC., United States of America, 2008, p.22.

(5) (١٢٤٤–١٣٣٤) هو بابا الكنيسة الكاثوليكية في افينيون للمدة منذ 7 اب 1316، حتى وفاته، وهو البابا الثاني في سلسلة بابوات افينيون انتخبه مجمع عقده الأمير فيليب كونت بواتييه خلفا لسلفه البابا كلمنت الخامس، للمزيد عنه، انظر : Mark A. Lamport, Encyclopedia of Martin Luther and the Reformation, Rowman and Littlefield, Lanham, Boulder, New York and London, 2017, p.506.

(6) A. R. Myers, Vol. IV, p.494.

واللافت أن لقاءاتُ أفينيون منحت إدوارد الثالث مزايا غير متوقعة، ليس أخرها خلق قنوات اتصال سيادية سرية بينه وبين الحبر الأعظم، تجاوزت رقابةَ الأوصياء الشاملةَ عليه، وخضع نظام التراسل السابق إلى معايير موثقة تطورت بسرعة إلى ميزة دبلوماسية قل نظيرها بين ملوك أوربا، فتحولت البابويةَ إلى حليف ضامن لإرادة الملك المستقلة ضدَّ إملاءات نظام الوصاية المقيت[1]، وفي نيسان 1330 اشترط الكرسي الرسولي احتواء الخطابات الملكية على شفرة سرية، لضمان صدورها من الملك دون سواه، وشدد البابا على أن أي رسالة تخلو من العلامة المتفق عليها فاقدة للشرعية وإنْ حملتْ الختم الملكي، وهكذا جُرّدَ مورتيمر من قدرتهِ على تمثيلِ التاج أمامَ الكنيسة[2].

أوكل الملك لسكرتيره ريتشارد دي بوري (Richard de Bury) تأصيل ذلك النظام، وتقرر تذييل رسائله الشخصية بعبارة الأب المقدس (Pater Sancte) بخط الملك حصراً، لضمان وصول رؤية الملك إلى البابا، بعيداً عن املاءات المستحوذين عليه[3]، ولا شك أن ما تقدم عكس نضجاً سياسياً لدى إدوارد الثالث من خلال تهيئة بيئة داعمة له قبل تحركه ضد روجر ولإضفاء حصانة بابوية عليه، أثناء شروعه في التخلص منه.

شهد برلمان نوتنغهام (Nottingham Parliament) ذروة الصراع الإداري بين التاج ونظام الوصاية، إذْ سعى روجر لتحويل المجلس الكبير إلى منصة لاستعراض قوته عبر استجواب حلفاء الملك، لكن تماسك مؤيدي إدوارد الثالث أفشل هدفه، ومنح النبلاء المتوجسين مسوّغات كثيرة لتسريع وتيرة الانقلاب الملكي ضده[4]، لاسيما بعد أن تجاوزت تصرفاته حدود البروتوكولات والمراسم الملكية، وفي غمرة يأسه وقلقه تعامل مورتيمر مع الملك إدوارد الثالث بفوقية، وتبنى إجراءات لصلاحياته، ومهمشة لذاته الملكية، ووصلت تلك الغطرسة إلى حد تبني سياسة الإبعاد القسري للنخب المخلصة له، أمثال إيرلي لانكستر وهيريفورد، في محاولة ممنهجة لعزلِ العرش عن مستشاريه[5]، مما فجر أزمة شرعية غذتها اتهامات شعبية ونخبوية طالت العلاقة بين مورتيمر والملكة إيزابيلا، وتحولت تلك الشائعات من طعن أخلاقي إلى تهديد لاستمرار السلالة الحاكمة، على أساس أن طموح مورتيمر تجاوز الوصاية نحو اغتصاب العرش[6].

---

(1) David Hume, Op. Cit., Vol. II, p.536 – 537.
(2) A. R. Myers, Vol. IV, p.51.
(3) Michael Prestwich, The Three Edwards …, p.99 – 100.
(4) David Anthony Harding, Op. Cit., p.311.
(5) A. R. Myers, Vol. IV, p.51.
(6) Sharon Irene Walker, Tyranny, Complaint and Redress: The Evidence of the Petitions Presented to the Crown C. 1320 to 1335, Op. Cit., p.124.

أدرك الملك إدوارد الثالث أنه قد يتعرض لتصفية جسدية كما حدث لوالده وعمه، ثم تدشين شرعية بديلة تحت هيمنة الوصي، وأن لامناص من تحركه العاجل حفاظاً على سلطته واستمرا سلالته[1]، وفي ذلك الظرف بالتحديد استرجع إدوارد الثالث نهج مورتيمر في تدمير عائلته ونيله من سمعة والدته وسواها من تجاوزات شكلت بمجملها منطلقاً لقرار الملك إنهاء التبعية لمورتيمر وتطهير المؤسسة الملكية من هيمنته غير الشرعية[2]، فصاغ مع وليام مونتاغو خطة انقلاب مباغت بنخب عسكرية محدودة، ضمن إطار زمني مدته يوم واحد، لتفادي أي رد فعل من مورتيمر وشبكة جواسيسه[3]، لكن المشروع الملكي واجه تحدياً معقداً، إذْ حول مورتيمر قلعة نوتنغهام (Nottingham Castle) إلى ثكنة عسكرية تحت اشرافه، وقلص حاشية الملك إلى 3 أو 4 مرافقين لضمان رقابة لصيقة، مركزاً على كسب ولاء الحرس وتجاهل الأوامر الملكية، كما غير أقفال البوابات وسلم المفاتيح لـ الملكة إيزابيلا شخصياً كل مساء[4].

التقى إدوارد الثالث وليام مونتاغو وإدوارد دي بوهون (Edward de Bohun) مساء 19 تشرين الأول 1330، واتفقوا على توجيه ضربة استباقية، لخصها مونتاغو قائلاً: "**لابد من قتل الذئب قبل ان يأكلنا**"[5]، وللتمويه على جواسيس مورتيمر غادر الملك ورفاقه لندن نهاراً ثم تسللوا اليها مجدداً تحت جنح الظلام، وهنا برز الدور المحوري لـ سير روبرت هولاند، مأمور قلعة روجر مورتيمر الذي كشف للملك عن وجود نفق سري يؤدي إلى القلعة عبر الصخر الرملي الواقع تحتها[6]، فتسلل إدوارد الثالث ورفاقه الإحدى وعشرين من ذلك الممر السري المعروف تاريخياً بـ "**حفرة مورتيمر**" (Mortimer's Hole) إلى قلب الجناح الملكي متجاوزين مئات الحراس[7]، وعند اقتحام القاعة الرئيسة، وجدوا مورتيمر في اجتماع مع أسقف لنكولن جون ستراتفورد[8]، فحيدوا حرس القاعة وطوقوا مورتيمر الذي عجز عن إبداء أي مقاومة[9]، وحين وصلت الملكة

(1) Michael Prestwich, Edward I …, p.100.
(2) Richard Barber, Op. Cit., p.41.
(3) David Anthony Harding, Op. Cit., p.312.
(4) David Hume, Op. Cit., Vol. II, p.538.
(5) A. R. Myers, Vol. IV, p.51.
(6) W. Warburton, Op. Cit., p.21.
(7) David Anthony Harding, The regime of Isabella and Mortimer 1326 - 1330, Op. Cit., p.312.
(8) William Longman, Op. Cit., Vol. I, p.36.
(9) A. R. Myers, Vol. IV, p.51 – 52.

إيزابيلا، ناشدت ابنها قائلة: "**ارحم مورتيمر**"، في مؤشر على ارتباطها العاطفي والسياسي به[1]، لكن إدوارد ورفاقه تجاهلوا نداءاتها واقتادوه خارج القلعة[2]، ومع بزوغ فجر اليوم التالي، أعلن الملك إدوارد الثالث نهاية حقبة الوصاية، مكرساً بداية مرحلة السيادة المطلقة في عملية انتقال دقيقة للسلطة، جنبت البلاد حرباً أهلية[3].

نقل مورتيمر إلى برج لندن[4]، ولخطورته أُسندت محاكمته إلى برلمان وستمنستر للنظر في لائحة اتهام ضمت 14 بنداً، ركزت في جوهرها على اغتصاب مورتيمر السلطة السيادية وتضليل الملكة، وتمحورت التهم الموجهة لـ روجر حول استبداده السياسي واحتكاره القرار السيادي، بعد تفريغ مجلس الوصاية من محتواه الدستوري، محولاً إياه إلى هيكل صوري عبر إقصاء أعضاءه الشرعيين وتعيين نخبة موالية له، مما أدى إلى عزل الملك إدوارد الثالث وجرده من سلطته[5]، وشملت التهم ملفات خارجية حساسة مست هيبة المملكة كـ الملف الإسكتلندي، الذي تضمن اتهام مورتيمر بتلقي رشاوى مقابل سماحه بفرار الجيش الإسكتلندي[6]، وإبرامه معاهدة مخزية بموجب أحد بنودها فرض زواج دبلوماسي بين شقيقة الملك وديفيد بروس، مما منح الإسكتلنديين اعترافاً بسيادة متساوية، وهو ما عده البارونات إهانة للتاج الإنگليزي[7]، وأُدين مورتيمر أيضاً بتبديد موارد الخزانة العامة على نفسه والملكة الأم في وقت عانت فيه إنگلترا من أزمات مرهقة[8]، لكن البارونات أظهروا حكمتهم حين اسقطوا تهمة العلاقة غير الشرعية بين مورتيمر وإيزابيلا من لائحة الاتهام الرسمية، وهو صمت قانوني هدفه حماية سمعة الملك وحفظ الاستقرار السلالي وابقاء صورة العائلة المالكة فوق مستوى الشبهات[9].

واتهم البرلمان مورتيمر أيضاً بتقويض التجربة الديمقراطية الناشئة عبر استخدام القوة العسكرية لتهديد أعضاء برلمان سالزبوري (Salisbury Parliament)، محولاً

---

(1) Ian Mortimer, The Perfect King The Life of Edward III …, p.82.
(2) Michael Prestwich, Edward I …, p.100.
(3) C. W. C. Oman, Op. Cit., p.13.
(4) Paul Doherty, Isabella and the Strange Death of Edward II, Carroll & Graf Publishers, New York, 2003, p.161 – 162.
(5) W. Warburton, Op. Cit., p.22.
(6) William Longman, Op. Cit., Vol. I, p.37.
(7) David Anthony Harding, Op. Cit., p.321.
(8) William Longman, Op. Cit., Vol. I, p.37.
(9) ناطق عزيز شناوه الساعدي، المصدر السابق، ص105.

مؤسسة العرش إلى ديكتاتورية عسكرية تحت غطاء الوصاية[1]، واستأثرت جريمة إعدام إيرل كنت إدموند باهتمام البرلمان بوصفها سابقة سياسية وانتهاك أخلاقي لا يغتفر، وهي الشرارة التي وحدتهم، بعد يقينهم أن إرهاب مورتيمر لن يستثني أحداً[2].

وختم البرلمان المحاكمة بإدانة مورتيمر دون حق الدفاع عن نفسه، في محاكاة للعرف الإجرائي الذي استُخدمه سابقاً ضد خصومه، ثم حكم عليه بالإعدام[3]، وفي 29 تشرين الثاني 1330 أُجبر على ارتداء الوشاح الأسود ذاته الذي ارتداه في جنازة الملك إدوارد الثاني، في إشارة رمزية لمحاكمته على خيانته المزدوجة للملكين الراحل والشاب، ثم نُفذ فيه حكم الإعدام بوصفه خائناً لعرش إنگلترا[4]، وعكست طريقة التعامل مع جثة مورتيمر التي تُرِكت معلقة ثلاثة أيام رغبة السلطة الجديدة في ترسيخ الردع السياسي واستعادة هيبة التاج أمام فئات شعبه كافة، وانتهى به المطاف مدفوناً في دير الفرنسيسكان (Franciscan Priory) بلندن دون مراسم رسمية[5].

ورغم نجاة الملكة الام ايزابيلا من مصير مورتيمر الدموي بفضل الرابطة المقدسة للعرش، إلا أن إيزابيلا الملقبة بـ "**ذئبة فرنسا**" (Wolf of France) واجهت عملية تجريد سياسي شاملة، حيث طوى إدوارد الثالث صفحة نفوذها عبر مصادرة أراضيها وإقطاعياتها التي استولت عليها اثناء الوصاية[6]، ووضعها قيد الإقامة الجبرية في قلعة رايزينج (Rising Castle) بنورفولك، بعيداً عن مراكز القرار[7]، لكنه ابقى لقبها الملكة الأم كإرث معنوي فحسب، مع ضمان عدم عودتها للمشهد السياسي نهائياً[8]، وهكذا باشر إدوارد الثالث بتأسيس واحدة من أقوى حقب الحكم في تاريخ إنگلترا الوسيط.

والثابت أن السرديات التاريخية التقليدية كانت مخطئة في تصوير حياة الملكة إيزابيلا في قلعة رايزينغ كسجن مؤبد، فالمعطيات الأكاديمية أثبتت بقرائن وأدلة قاطعة أن إقصاءها عن السلطة لم يمنعها من امتيازات الطبقية[9]، ولم تكن إقامتها في نورفولك

---

(1) David Anthony Harding, Op. Cit., p.321.
(2) Thomas William Barlow, Op. Cit., p.41.
(3) ناطق عزيز شناوه الساعدي، المصدر السابق، ص 102.
(4) John Froissart, Chronicles of England …, Vol. I, p.39.
(5) ناطق عزيز شناوه الساعدي، المصدر السابق، ص 102.
(6) W. Warburton, Op. Cit., p.23.
(7) William Longman, Op. Cit., Vol. I, p.40.
(8) Robert Ross, Manual of English History, Marshall Simpkin and Co., London, n. d. p.133.
(9) David Anthony Harding, Op. Cit., p.317.

قيداً انفرادياً، بل ضمن حاشية خاصة، كما أنها استعادت تدريجياً حريتها في التنقل[1]، وتجلت رفاهيتها في مخصصاتها المالية، فقد حظيت براتب سنوي ضخم قُدّر بـ 3,000 باون، مما مكّنها من إدارة حاشية ملكية وإقامة مآدب فاخرة[2]، وقد أثبت ذلك الانفتاح الاجتماعي، المصحوب بحرية الحركة لأداء المناسك الدينية والزيارات الميدانية، أن الملك الشاب لم يعد يرى في والدته خطراً جيوسياسياً، وفي سنواتها الأخيرة كرست إيزابيلا حياتها للعمل الخيري والتقوى، مما أدى إلى صياغة خاتمة وقورة لمسيرتها المضطربة، التي انتهت بهدوء في ظلال عرش ابنها.

(1) David Hume, Op. Cit., Vol. II, p.539.

(2) The Annals of England, A. D. 1154 to A. D. 1485, The Plantagenets: Epitome of English History, James Parker and Co. Oxford and London, 1877, p.129 ; Gwilym Dodd and Anthony Musson, The Reign of Edward II: New Perspectives, A York Medieval Press, University of York, 2006, p.44.

المبحث الثاني

تمرد وات تايلر عام 1381 ضد الملك ريتشارد الثاني

لم يكن تمرد فلاحي إنكلترا عام 1381 حدثاً مفاجئاً، بل تجسيداً لرفضهم نظاماً إقطاعياً اشتدت وطأته عليهم، وتراتبية طبقية اختمرت في رحم النظام الإقطاعي الإنكليزي لعقود طويلة، ومنظومة إقطاعية ضاغطة جذرت لتضاد طبقي كامن نبع من تتابع عقود الاستلاب السوسيو – اقتصادي والقهر الطبقي والاستنزاف المادي لفلاحي إنكلترا، الذين عانوا الأمرين من مظالم تراكمت عبر أجيال، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن تطورات دراماتيكية مهدت لذلك التمرد، في مقدمتها الاختلال البنيوي في طبقات المجتمع الإنكليزي بعد الكارثة الديموغرافية لوباء الطاعون "الموت الأسود" (Black Death)، الذي أودى بحياة 40% من سكان إنكلترا، مقلصاً اليد العاملة إلى أدنى مستوياتها، فوجدت الطبقات المسحوقة خيارت اقتصادية بديلة مكنتها من زعزعة روابط الإقطاع، والبحث عن مهن بديلة ذات أجور مرتفعة[1].

وأزاء ذلك الحراك لم تَألُ الأرستقراطية الإقطاعية جهداً لاحتواء حراك فلاحي إنكلترا وكبح جماحهم، فأصدرت مؤسسة العرش قانوناً للعمال (The Statute of Labourers) عام 1351، شدد على ابقاء اجور الفلاحين والحرفيين ضمن مستويات ما قبل الطاعون، ومنع الفلاحين من ترك إقطاعييهم، نزولاً عند نظام القنانة (Serfdom) الذي صادر حقوقهم القانونية، وإزاء ذلك التصلب التشريعي أصبح الصدام الطبقي (Historical Inevitability) حتمية تاريخية لا مفر منها[2].

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن مؤسسة العرش الإنكليزي وأذرعها الإقطاعية فرضت بين عامي 1377 و1380 مزيداً من الضرائب التي أرهقت طبقات الشعب المسحوقة، ومنها ضريبة الرأس (Poll Taxes)[3]، التي كمنت خطورتها في عدم مراعاتها قدرة البسطاء المادية، وتعاظم السخط الراديكالي بسبب تعسف الجباة، فتطور

---

(1) هناء خضير احمد، انتفاضة الفلاحين في إنكلترا عام 1381م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة سامراء، كلية التربية، قسم التاريخ، 2020، ص 10.

(2) سجى جمهوري حميد درويش، إنكلترا في عهد ريتشاد الثاني 1377 – 1399، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، قسم التاريخ، 2025، ص80.

(3) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص12.

الرفض الضريبي من احتجاج مالي إلى منطلق أيديولوجي للتمرد على الإقطاع وأذرعه، والأخطر من ذلك أن تلك الارهاصات واكبت فراغاً مؤسسياً وفساداً بيروقراطياً مقترناً بوصاية نخب إقطاعية متصارعة على الملك القاصر ريتشارد الثاني[1]، تزامناً مع غليان شعبي ونمو خطاب ديني راديكالي اداره وعاظ جوالون ركزوا على مبدأ المساواة، لتدشين عقد اجتماعي يخلص إنگلترا من نظامها الإقطاعي[2]، وزاد الأمر سوءاً استنزاف حرب المائة عام مقدرات إنگلترا، لاسيما اريافها التي آنت تحت وطأة استنزاف ضريبي مستمر بذريعة تمويل الجبهات وتجهيز الاساطيل[3]، ووصل الاستنزاف مداه حين لم يجد النظام بديلاً لرفد معاركه عن جيوب البروليتاريا الزراعية، ففرض ثلاثة ضرائب رأس متتالية ساوى فيها بين القن والموسر، مما ألقى في روع الفلاحين أنهم ضحية مؤسسات إقطاعية نهمة التهمت مواردهم في مغامرات عسكرية، وبسبب ما نالهم من حيف، شككوا في شرعية اسيادهم، الذين جعلوهم ادوات لتحقيق اهدافهم دون الاهتمام بمصالحهم[4].

أولاً: التمرد في لندن:

شهد التضاد الطبقي آنف الذكر تطوراً نوعياً في حراكٍ قادهُ وات تايلر (Wat Tyler) في مقاطعتي إسكس وكنت، مورداً أهدافاً تجاوزت الاستنزاف الضريبي إلى أفكار ورؤى استندت إلى تنظيرات القس جون بول (John Ball) التي نادت بصياغة عقد اجتماعي جديد مُرتكز على المساواة القانونية وإلغاء القنانة، وأهداف طموحة أخرى أشرت نشوء وعي طبقي راديكالي يسعى لتفكيك المنظومة الإقطاعية برمتها[5]، لكن ما سبق لم يمنع وات تايلر من توظيف ضريبة الرأس لتحفيز مواطنيه على التمرد ضد مؤسسة العرش ورموز إدارتها في المقاطعات، وكانت بارنستابل (Barnstaple) منطلق تمرد وات تايلر وأنصاره، الذين تغلغلوا في مدن مقاطعة إسكس وأريافها، مُركزين على تدمير البنى البيروقراطية للإقطاع عبر إحراق السجلات القضائية الخاصة بشؤونها

(1) Ronald Webber, The Peasants' Revolt The uprising in Kent, Essex, East Anglia and London in 1381 during the reign of King Richard II, Terence Dal Ton Limited LA Venham Suffolk, 1980, p.78.

(2) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص18.

(3) سجى جمهوري حميد درويش، المصدر السابق، ص57.

(4) Christopher Fletcher, Richard II Manhood, Youth, and Politics, 1377 – 1399, Oxford University Press, New York, 2008, p.261.

(5) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص 38.

المختلفة[1].

ولم يلق المتمردون عنتاً في توسيع نطاق حراكهم نحو مقاطعة كنت، فسيطروا على قلعة روشستر (Rochester Castle) وكانتربري وميدستون (Maidstone)، وبدا نضج تكتيكهم العسكري في عزلهم الملك ريتشارد الثاني وحاشيته عن أنصارهم في المقاطعات[2]، وأظهرت أحداث 30 أيار 1381 في برينتوود (Brentwood) قدرة كبيرة لقادة التمرد في تنظيم مسار فعالياتهم القتالية، وكسب المزيد من الإنكليز بشعاراتهم التعبوية، ولامتصاص زخم المتمردين أرسلت مؤسسة العرش المفوض الملكي توماس بامبتون (Thomas Bampton) للقاء قادتهم، وإقناعهم أن العرش سيعيد النظر في نظام التحصيل الضريبي بما يتوافق مع قدرتهم المادية، لكنه فشل في مهمته، بسبب الغليان الطبقي في قرى فوبينغ (Fobing)، كورينغهام (Corringham)، وستانفورد (Stanford)[3]، وعند محاولته دخول برينتود تعرض مع وفده إلى هجوم المتمردين، الذي اقترن باستهداف نوعي لادوات السلطة في المدينة، مما أدى إلى هروب بامبتون وممثلي السلطة قسراً، وبموازاة ذلك طرد المتمردون حرس مدن مقاطعة إسكس مسببين فراغاً أمنياً فيها، مما وفّر للمتمردين زخماً معنوياً أثبت فاعلية تلاحمهم الطبقي[4].

واللافت أن مؤسسة العرش الإنكليزي، لم تتحرَ أسباب التمرد، وصورته كأعمال شغب معزولة، مع أنه كان في طور الانتقال إلى باقي انحاء إنكلترا، بما هدد سلامة مؤسسة العرش الإنكليزي ورموزها في عموم إنكلترا[5]، وبدى قصر نظر موسسة العرش في محاولتها فرض الردع الملكي ضد المتمردين بإجراءات قضائية، فأوفدت رئيس المحكمة العليا السير روبرت بيلكناب (Sir Robert Belknap)، إلى برينتوود بصحبة قوات ملكية، لإجراء محاكمات تأديبية لمتمرديها، واعادة فرض القانون بما يضمن هيبة العرش[6]، لكن قادة التمرد أظهروا استجابة سريعة لاحتواء ذلك الإجراء، فنقلوا شطراً من

(1) John Connor, John Ball, Primitivist The Peasants' Revolt and the state of Nature, London, 1999, p.9.
(2) Charles Oman, The Great Revolt of 1381, The University of Oxford, Canada, 2001, p.24.
(3) Herbert Eiden, The Peasants Revolt in Essex and Norforld, Wiley, V. 83, No 269, 1998, p.11.
(4) Margraet Schlauch, The Revolt of 1381 in England, Guilford, Vol. 4, 1940, p.418.
(5) Rodney Hilton, Rodney Hilton, Bond Men Made Free, Medieval Peasant Movements and The England Rising of 1381, London, 2003, p.140.
(6) Christopher Dyer, Every Life in Medieval England, London and New York, N.D, 218.

أتباعهم من قرى إسكس وبلداتها إلى بلدة برينتوود، ونظموهم بوضعية قتالية خلقت ما يمكن تسميته توازن رعب مع القوات الملكية، محولين الريف الإنگليزي إلى ساحة عصيان مفتوحة استبقت وصول القوة القضائية[1]، وفي 2 حزيران 1381 باغت المتمردون السير روبرت في مقر محكمته، واخضعوه في مفارقة تاريخية لاستجواب عكسي حولهم إلى قضاة له، في محاكمة رمزت لسقوط قوانين المملكة المجحفة، ثم أجبروه على القسم فوق الإنجيل بعدم ممارسة مهامه القانونية والضريبية مستقبلاً[2]، وهو إجراء رمزي تعدى الإهانة الشخصية، إلى نزع الشرعية عن أي انتهاك مستقبلي للتاج.

واستشرى الصراع بين مسؤولي العرش والمتمردين، حين توجه توماس بامبتون بصحبة قوات ملكية إلى برينتود، واعتقل احد زعماء التمرد، فأعتبر المتمردون ذلك اهانة لهم، وإعلاناً ملكياً بمحاربتهم[3]، فتبنوا سلوكاً دموياً بإعدامهم بعض موظفي العرش أمام السير روبرت بركناب، في رسالة تحذيرية إلى العرش مفادها أنهم يمتلكون القوة على مجابهته وتدمير رموزه[4]، وتزامناً مع ذلك نسق متمردو إسكس وكنت تحركاتهم الميدانية، لتشتيت قدرة القوات الملكية، وفتح مزيد من الجبهات ضدها، فأصبح تحريك القوات الملكية من لندن إلى مواضع التمرد مغامرةً خطيرة تجعل العاصمة مكشوفة أمام المتمردين، مما أشر انتقال مؤسسة العرش من استراتيجية الهجوم إلى الدفاع[5].

اتسم حراك مقاطعة كنت بقيادة أبيل كير (Abel Ker) بتنظيم عسكري متقدم، بدأ باستهداف دير ليسنيس (Lesness Abbey) في منطقة إيريث (Erith)، لأنه رغم صفته الدينية، كان مركزاً لإقطاعية كنسية ارهقت الفلاحين، وبعد اقتحامهم الدير أجبر المتمردون رئيس الدير بالقسم على موالاتهم، لتأمين شرعية روحية لتحركاتهم[6].

وشهد التمرد تطوراً نوعياً حين انتقل من طور التحركات القروية المنعزلة إلى التنسيق الإقليمي المنظم، فنجحت فرقة أبيل كير في تجاوز العوائق الجيوسياسية عبر عبور مصب نهر التايمز (River Thames)، للاجتماع مع متمردي باركينغ

---

(1) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.24.
(2) Micheal T. Davis, Crowd Actions in Britain and France from the Middle Ages to the Modern World, United Kingdom, 2015, p.22.
(3) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.25.
(4) Ibid. p.26.
(5) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص66.
(6) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.28.

(Barking)، وبعد اجتماعهم اجروا مداولات سريعة لتوحيد اجنداتهم واهدافهم وتحركاتهم بين ضفتي النهر، مما وضع لندن عملياً بين فكي كماشة، وبحلول 5 حزيران 1381 دخلت إنگلترا مرحلة انفلات امني مقترن بانهيار السيطرة الملكية[1]، في ظل انهيار شبكات المعلومات الرسمية، وقطع الطرق على قوات العرش وموظفيه، المقترن بتحول التمرد إلى حشود غير مرتهنة بأفراد، زاحفة نحو لندن للانتقام من رموز الملكية[2].

واللافت أن بؤرة تمرد جديدة برزت في دارتفورد (Dartford)، بقيادة خباز يدعى روبرت كيف (Robert Cave)، أظهر قدرة تنظيمية عالية بحشد قوى التمرد في أريث وبيكسلي (Bexley)، وفرض حصار على قلعة روشستر في 6 حزيران، لتقويض القوى الملكية العسكرية فيها، والتخلص من رمزيتها المقيتة التي مثلت في الوعي الجمعي للمتمردين اداة من ادوات الهيمنة النورماندية الجائرة[3]، وبسبب تعدد القيادات اجتمع قادة التمرد في ميدستون بتاريخ 7 حزيران، ونصبوا وات تايلر قائداً عاماً، محولين تمردهم من حراك عسكري لتجمعات فلاحية غاضبة إلى حراك سياسي وعسكري منظم، بسبب امتلاك تايلر رؤية تفاوضية ومهارة قيادية قادرة على مواجهة مؤسسات التاج في العاصمة[4]، وفي يومي 7 و8 حزيران 1381 اجرى تايلر تغييرات بنيوية على تمرده، لضمان تمدده إلى باقي مقاطعات المملكة[5].

وتكفينا لإثبات ما تَقَدَمْ معرفة أن وات تايلر طلب من الحرفيين وصغار الكسبة وفقراء المدن الانضمام إلى تمرد الفلاحين، مُشكلاً زخماً عددياً وضع السلطة الملكية في لندن أمام معادلة صعبة في ظل عجز عسكري بسبب عدم قدرة خطوط دفاعها التقليدية احتواء طوفان بشري زاحف من محاور متعددة إلى مدن إنگلترا الرئيسة وفي مقدمتها لندن[6]، وهو ما حدث فعلاً حين اقتحمت قوات وات تايلر كانتربري في 10 حزيران دون مقاومة، في اشارة واضحة إلى "**تآكل سلطة التاج في العاصمة الدينية لإنگلترا**"، مما

---

(1) Miri Rubin, The Hollow Crown, A History of Britain in the late Middle Ages, London, 2005, p.62.

(2) Rodney Hilton, Bond Men Free, Medieval Peasant Movements …, p.144.

(3) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.25.

(4) سجى جمهوري حميد درويش، المصدر السابق، ص61.

(5) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.77.

(6) جون ج. روبنسون، النشأة الدموية الاسرار المفقودة للماسونية، ترجمة: محمد الواكد، دمشق، سوريا، 2012، ص 41.

منح التمرد بعداً سياسياً هائلاً، مقترناً بشرعية دينية على المستوى الشعبي[1].

ومما له مغزاه أن المتمردين أظهروا نضجاً سياسياً ووعياً دينياً كبيراً عند اقتحامهم كاتدرائية كانتربري، فأعلنوا أنهم يقدسونها ككيان ديني تابع للبابوية، لكن هدفهم اعتقال رئيس أساقفتها سيمون سودبري (Simon Sudbury) لانه من النخب العلمانية التي تورطت في ممارسات مقيتة ضد الإنكليز، فقد وظف عضويته في مجلس الملك وسلطته كمستشار سياسي له لإدارة ملف الضرائب بما تنافى مع مصلحة حرفيي إنكلترا وفلاحيها، فاشترك في فرض ضريبة الرأس على الفقراء، وحارب الوعاظ الجوالون الذين دافعوا عنهم، وفي مقدمتهم القس جون بول الذي سجنه في سجن ميدتسون (Maidstone Prison)[2]، ثم قاطع المتمردون القداس، وأعلنوا في ممارسة شعبية قسرية غير مألوفة تحدت حق التعيين الملكي والكنسي عزل رئيس أساقفة كانتربري سيمون سودبري، لأنه بإجراءاته السياسية المجحفة فقد جدارته الروحية[3].

ولم يكتفِ المتمردون بذلك بل حرروا القس جون بول من سجن ميدستون، في اليوم ذاته[4] موفرين للتمرد ممثلاً دينياً أدلج التمرد كحركة دينية ذات أبعاد اجتماعية، فوجه القس جون بول خطاباً دينياً ثورياً مناوئاً للعرش واذرعه الإقطاعية، صور التمرد بـ لحظة خلاص تاريخي لإعادة صياغة العقد الاجتماعي بين العرش ورعاياه، والأخطر من ذلك أنه وظف خطابه لتبرير انتقال الحكم من العرش إلى الشعب، موفراً غطاءً شرعياً لشرعنة التمرد بوصفه ارادة الرب التي تعلو فوق سلطة الملك ريتشارد الثاني والكنيسة الرسمية، مما جعل المواجهة حتمية ومقدسة في نظر أتباعه[5]، فتسارعت وتيرة الانضمام للتمرد بشكل مخيف في 11 و12 حزيران 1381, ومع تدفق كتائب غرب كنت اكتمل طوق حصار لندن[6].

كشف سلوك المتمردين في 12 حزيران عن نضج سياسي تمثل في العنف الانتقائي، حيث استهدفوا السجلات الإقطاعية والقصور، بينما أظهروا انضباطاً ازاء

---

(1) جون ج. روبنسون، المصدر السابق، ص 41.

(2) المصدر نفسه، ص41.

(3) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص68.

(4) جون ج. روبنسون، المصدر السابق، ص 41.

(5) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص68.

(6) S.H. Rigby, English Society in the Later Middle Ages, London, 1990, p.112.

الملكة الأم جوان (Princess Joan)، التي كان لقائهم معها رسالة إلى العرش للتخلص من بطانته الفاسدة، ولضرورة تحول الملك ريتشارد الثاني إلى حَكَم بين الطبقات لا خصم لها، وبالتوازي مع ذلك عكس اقتحام السجون وتحويل السجناء إلى مقاتلين وجود تنسيق لوجستي عابر للمقاطعات وجهاز اتصال فعال أربك حسابات التاج[1]، وبالمقابل أظهر اجتماع مجلس الملك وعمدة لندن مساء 12 حزيران حالة من العجز البيروقراطي، بعد فشل مؤسسات المملكة في القضاء على التمرد بعد 13 يوماً من اندلاع شرارة برينتوود، وعكس ذلك الاجتماع انفصالاً سيكولوجياً عن الواقع، في ظل انقسام المجتمعين بين صقور نادوا بالسحق العسكري رغم عدم وجود استحضاراته، وحمائم خشوا من سقوط العرش، وفظلوا تقديم تنازلات للمتمردين، لضمان بقاء النظام والحفاظ على عرش الملك ريتشارد الثاني[2].

كشف وصول وات تايلر إلى أسوار لندن عن حالة من الشلل الدفاعي أصابت التاج، فرغم التفوق العسكري النظري، إلا أن السلطة فقدت الإرادة السياسية للمواجهة، وتحولت الأسوار من خط دفاعي إلى قشرة هشة بفعل نشاط الطابور الخامس داخل العاصمة، بقيادة شخصيات مثل جون هوم (John Home)، الذي هندس تحالف الطبقات عبر ربط مظالم الريف بتطلعات فقراء المدن، مما نزع الشرعية عن التفوق النبيل أمام خطاب جون بول المساواتي[3]، ومثّل سقوط جسر لندن في 13 حزيران 1381 انهياراً لمنظومة الدفاع المادي للدولة، إِذْ عكس استسلام الحراس يقيناً بالهزيمة أو تعاطفاً طبقياً مع المتمردين، وتجلى تنظيم التمرد في قدرة قياداته على ضبط آلاف الحشود وتوجيه الغضب المنظم نحو أهداف سياسية حصراً[4].

بلغت الأزمة ذروتها عند أسوار برج لندن، حيث مارس المتمردون ما يمكن تسميته بـ الإرهاب الثوري الممنهج، فلم يكن استهداف رؤوس الخونة فوضوياً، بل سعياً لتطهير الجهاز الإداري للتاج، وأمام صمود الحشود فقدت القلعة الحجرية هيبتها، وأصبح العرش أمام خياري المواجهة الانتحارية أو القبول بـ شروط الشارع[5]، فانتقل مجلس

(1) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.26.
(2) Sheila Sweetinbrgh, Later Medieval Kent 1220-1540, U.S.A., 2010, p.25.
(3) Margraet Schlauch, Op. Cit., p.419.
(4) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص69.
(5) Edward P.Cheyney, An Introduction to the Industrial and Social History of England, London, 1916, p.30.

الملك ريتشارد الثاني في 14 حزيران إلى طور الدبلوماسية الاضطرارية، متبنياً أسلوباً تطمينياً لتفتيت الحشد عبر وعود تحريرية، وتمثلت الخطة الملكية في منح صكوك الحرية وإلغاء القنانة كمناورة لإنهاء مطالب المتمردين، ثم الانفراد بقيادات التمرد وتصفيتها لاحقاً[1]، وضمن ذلك السياق تبنى مجلس الملك تكتيك المماطلة الإدارية عبر مطالبة المتمردين بتوثيق شكاواهم تحريرياً، للرد عليها بالأسلوب نفسه، ثم مغادرة العاصمة[2]، وهكذا فإن عقلية النخب الحاكمة كانت تآمرية بامتياز راهنت على أن الاعتراف البيروقراطي بالمظالم سيؤدي إلى تبديد الزخم القتالي للفلاحين، ثم ابادتهم لاحقاً، لكن المتمردين اثبتوا امتلاكهم وعياً سياسياً حين وصفوا العرض الملكي الأول بتفاهات وسخرية، لإداركهم بمحاولات التفاف النخب الحاكمة على مطالبهم الجوهرية، حينها ادرك الملك ريتشارد الثاني ضرورة كسب المتمردين بخروجه شخصياً اليهم، فأعلن أنه سيلتقي حشودهم في مايل إيند (Mile End) يوم 14 حزيران، بعد أن رفض لقاءهم مسبقاً في بلاكهيث (Blackheath)[3].

والحقيقة أن اختيار منطقة مايل إيند خضع لرغبة الملك في نقل الصراع من أزقة لندن الضيقة إلى فضاء مفتوح تسهل فيه المناورات التكتيكية المحسوبة، لإدراكه أن لقاءه بالمتمردين في ازقة لندن تمنحهم ميزة التحكم في الميدان، بينما تمكنه منطقة ايل ايند المفتوحة فرصة جيدة لاستخدام ذاته الملكية لشق صفوف التمرد، ومحاولة تحييد الحشود الجماهيرية عن قيادتها الراديكالية المتمثلة في وات تايلر وجون بول، عبر تقديم وعود علنية وموثقة بإلغاء القنانة[4].

ويبدو أن قائد التمرد وات تايلر كان بدوره راغباً في إخلاء أجزاء من لندن والتوجه نحو مايل إيند، لوضع الملك في موقف تفاوضي ضاغط مع جموع المتمردين الغفيرة، لإجباره على تنفيذ مطالبهم غير منقوصة أثناء مواجهته الدبلوماسية معهم، واراد وات تايلر أيضاً تأكيد صفته القيادية أمام الملك وتحويل لقاءه إلى مضمار لفرض الشروط، على ملك بمفرده بعيداً عن حماية حصونه وجيوشه[5].

---

(1) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.28.

(2) Steven Justice, Writing and Rebellion England in 1381, University of California Press, 1994, p.38.

(3) جون ج. روبنسون، المصدر السابق، ص 45.

(4) سجى جمهوري حميد درويش، المصدر السابق، ص65.

(5) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص71.

وقد أظهر وات تايلر وعياً عسكرياً متقدماً بفرضه رقابة صارمة على برج لندن أثناء توجهه للتفاوض، لتوجسه من احتمال قيام التاج بتهريب سيمون سودبري وروبرت هيلز (Robert Hales) عبر نهر التايمز، وهكذا حوّل تايلر البرج من حصن سيادي إلى سجن مؤقت للرهائن السياسيين[1]، مما وضع الملك في وضع تفاوضي حرج، فبينما كان يتحدث في مايل إيند، كانت عيناه ترنو إلى البرج المحاصر، وهو مدرك أن أي مراوغة ستؤدي فوراً إلى تصفية النبيلين، مما جعل التنازلات الملكية ضرورة حتمية للبقاء لا خياراً سياسياً، وحوّل المتمردين إلى قوة موازية فرضت إرادتها على العرش[2].

قدم وات تايلر في اجتماع مايل إيند وثيقة قانونية استهدفت تقويض الركائز الاقتصادية للقرون الوسطى، ولم تكن مطالبها مجرد احتجاج على ظروف عارضة بل هجوماً ممنهجاً على النظام الإقطاعي، عبر الدعوة لإلغاء السخرة واستبدالها بـ الحرية التعاقدية، لتحويل الفلاح من قنٍّ ملحق بالأرض إلى فاعل اقتصادي حر، متحدياً بذلك قانون العمال الذي فرضته النخب الحاكمة لتقييد الأجور وحركة العمال في أعقاب الطاعون الأسود[3]، وامام مطالب المتمردين حدث تحولاً جذرياً في فلسفة الحكم، حين وافق ريتشارد الثاني على نقطتين قانونيتين أولاهما: إلغاء القنانة وإنهاء التبعية الجسدية والقانونية، ومنح الفلاح الأهلية القانونية الكاملة، والثانية: إقامة نظام إيجار نقدي باستبدال العمل الإجباري بنظام المستأجرين الأحرار، المتضمن دفع الفلاح مبلغاً نقدياً قدره 4 بنسات للفدان، مما يمنحه استقلالية في إدارة جهده وفائض إنتاجه[4]، ونجح وات تايلر أيضاً في الحصول على وعد ملكي بكسر الاحتكار، من خلال اعترافه بـ مشاعية الأسواق وحق الفلاحين في بيع منتجاتهم دون قيود، ولضمان ديمومة ذلك التحول، فرض وات تايلر على التاج منح عفو عام للحيلولة دون ملاحقات قضائية لاحقة للمتمردين، حينها تكلل التمرد بتفوق عسكري وهدم للأركان القانونية والاقتصادية التي قام عليها المجتمع الطبقي الإنكليزي لقرون[5].

---

(1) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.31-33.

(2) James A. Robinson, Economic Origins of Dictatorship and Democracy, University Cambridge, U.S.A., 2006, p.137.

(3) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص75-76.

(4) جون ج. روبنسون، المصدر السابق، ص 46.

(5) R. H. Hilton and T. H. Aston, The English Rising of 1381, New York, N.D., p.90.

القضاء على التمرد في لندن:

استثمر التاج مفهوم الولاء التقليدي عبر خطاب تعبوي امتص زخم التمرد بوعود إصلاحية واهية، وتزامن ذلك مع تآكل القاعدة الشعبية للتمرد نتيجة تنامي المخاوف من الانفلات الأمني في لندن، فأحدث الفارق بين المطالب الحقوقية الرصينة والممارسات الميدانية العنيفة شرخاً سيكولوجياً دفع الفئات المعتدلة من الحرفيين وصغار الكسبة لفك الارتباط بالمتمردين الراديكاليين[1]، فحدث تصدع في بنية التمرد فتت الجموع البشرية، ودفعت فئات واسعة نحو الموافقة على العودة إلى منازلهم[2]، وتزامناً مع ذلك فوجئ الملك بنبأ تعذيب المتمردين رئيس الأساقفة سيمون سودبري بتهمة سياساته الضريبية الجائرة[3]، ثم إعدامه فوق تلة البرج (Tower Hill)، بثمانية ضربات لإتمام عملية قطع الرأس، فاعتبر الملك ما جرى تعبيراً عن حقد طبقي دفين، ومشهداً رمزياً بشعاً رأى في سيمون سوبري تجسيداً للبيروقراطية الملكية، فقرر الملك ونخبه الثأر من تايلر والمتمردين في أقرب فرصة[4]، لكنه أخفى نواياه وتجلت براعته في استمراره بإصدار مواثيق العفو، واستخدام اموال الخزانة الملكية لشراء ذمم حشود المتمردين، ومع انصراف الآلاف الذين اكتفوا بوعود مايل إيند، انحصرت المواجهة مع الجناح الراديكالي للمتمردين بقيادة وات تايلر، وتحول لقاء سميثفيلد (Smithfield) من منصة تفاوضية إلى كمين سياسي محكم[5]، فقد كان اختيار سميثفيلد الواقعة خارج أسوار لندن قراراً استراتيجياً رتبه العمدة وليام والورث، فبينما وفرت المنطقة فضاءً مفتوحاً يسمح بمناورة الخيالة الملكية وتطويق الحشود، أتاحت للسلطة فرصة عزل قادة التمرد عن اتباعهم، مما حوّل الثقة المفرطة التي أبداها تايلر بعد انتصار البرج إلى ثغرة أمنية قاتلة[6].

التقى الملك ريتشارد الثاني في 15 حزيران بحشود المتمردين التي أحاطت به من ثلاث جهات، فطلب وهو على صهوة جواده من زعيمهم وات تايلر الركون إلى

---

(1) James A. Robinson, Op. Cit., p.138.
(2) Aaron Wilkes, Invasion, Plague and Murder Britain 1066 – 1485, United Kingdom, 2003, p.79.
(3) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.33.
(4) Samuel K. Cohn, JR., Pupular Protest in Late Medieval English Towns, New York, 2013, p.300.
(5) جون ج. روبنسون، المصدر السابق، ص 47.
(6) H.O. Arnold – Forster, A History of England Julius Caesar to Richard III, Jamestown, Ohio, 2017, p.188.

مفاوضات لمعرفة مطالب أتباعه، فاستعرضها له بأسلوب استفزازي تجاوز فيه على ذاته الملكية[1]، فضلاً عن تفكيك الركائز الثلاث للنظام القروسطي (الملكية، الكنيسة، والإقطاع)، من خلال رؤيته القائمة حول المساواة القانونية التامة بين الإنكليز وإلغاء التمايز القانوني بين النبلاء والفلاحين، والسعي لإلغاء رتبة النبلاء عملياً، ليصبح جميع الرعايا أحراراً متساوين تحت سلطة التاج المباشرة فقط[2].

عكست تلك المطالب راديكالية تجاوزت عصرها، مما جعل تصفية تايلر ضرورة وجودية للنظام الإقطاعي برمته، فقد أدرك مستشارو الملك أن قبول تلك الشروط يعني نهاية إنكلترا القروسطية، ولذا كان أغتيال وات تايلر هو الرد العملي الوحيد الذي يمكن التاج من استعادة الهيمنة الطبقية[3]. فقد تجاوزت مطالب وات تايلر في سميثفيلد حدود الإصلاح الاقتصادي لتصبح مشروعاً لتفكيك مملكة إنكلترا الثيوقراطية الإقطاعية، فقد استهدف الكنيسة الكاثوليكية كقوة اقتصادية، مطالباً بتوزيع أملاكها التي بلغت ثلث أراضي المملكة على الفقراء، مع إلغاء التراتبية الكنسية العليا والإبقاء على دور روحي محلي صرف، وهو ليس مجرد اصلاح ديني، بل تأميم للثروات خدمةً للعدالة الاجتماعية[4]، كما طالب تايلر بانتزاع امتيازات الأرستقراطية، عبر المطالبة بـ مشاعية الموارد الطبيعية (حق الصيد والمراعي)، مما ينهي التبعية المعيشية لسيد الإقطاعية، ونادى أيضاً بإلغاء قانون العمال، وهو ما يعني تاريخياً تقويض محاولات الدولة لتقييد الأجور بعد الطاعون الأسود، وإرساء دعائم نظام السوق الحرة[5].

وهنا لابد من التنويه إلى أن الملك ريتشارد الثاني، وإن لم يقتنع بمطالب وات تايلر الطموحة، لكنه أوهمه بقبولها قائلاً :"**سأنفذ مطالبكم، بكل اهتمام وانصاف**"[6]، لكن تايلر لم يستحسن أقوال الملك، واشتط في تعامله معه، حتى أنه شرب ماءً ثم رمى بقيته قرب وجهه بأسلوب مهين أثار حفيظة الملك وتطور إلى مشادة كلامية بينهما، فتدخل السير جون نيوتن (Sir John Newton) الذي نعت تايلر بـ "**السارق الأعظم في**

---

(1) Jacob Abbott, Op. Cit., p.65 – 66.

(2) Juliet Barker, The People, The King and The Great Revolt of 1381, London, 2014, p.200.

(3) سجى جمهوري حميد درويش، المصدر السابق، ص67.

(4) H.O. Arnold – Forster, Op. Cit., p.188.

(5) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.33.

(6) Henri Alexandre Wallon, Op. Cit., Vol. I, p.78 – 79.

مقاطعة كنت"[1]، وحين تقدم تايلر لقتله تصدى له عمدة لندن وليام والورث واصاب رقبته[2]، ثم ضربه جون كافندش (Sir John Cavendish) (1346 – 1381) على ركبته، فهرب تايلر نحو الحشود مضرجاً بدمه، وسط فوضى المتمردين ورعبهم[3]، وبمجرد سقوط وات تايلر، واجه العرش لحظة وجودية كادت أن تنتهي بمجزرة للحاشية الملكية، إلا أن الملك ريتشارد الثاني نفذ مناورة شجاعة، إِذْ نجح في سحب فتيل الانفجار عبر الانسحاب التكتيكي نحو كليركينويل (Clerkenwell)، تاركاً جموع المتمردين في حالة ارتباك تنظيمي، مما منح السلطة الملكية فرصة ثمينة لإعادة تنظيم صفوفها[4]، فبينما استغرق المتمردون في مشاورات داخلية عقيمة، شرع السير روبرت نولس (Sir Robert Knowles) في استنفار وحداته داخل لندن، وتحول المشهد سريعاً من حصار شعبي للعرش إلى تطويق عسكري للمتمردين، حين نجح التاج في حشد قرابة ستة آلاف مقاتل، محققاً تفوقاً عددياً واستراتيجياً ملموساً في منطقة كليركينويل، مما حول موازين القوى من الشارع إلى المؤسسة العسكرية الملكية[5].

شهدت صفوف التمرد انحلالاً بنيوياً، ولم يبقَ سوى تنظيم رجال كنت بقيادة جاك سترو (Jack Straw) وجون بول، وفي تلك الأثناء، تعقب العمدة وليام والورث القائد الجريح وات تايلر في مستشفى سانت بارثولوميو (St. Bartholomew's Hospital)، وأخرجه منها ثم ضرب عنقه، لرد اعتبار الملك، فبوضع رأس تايلر فوق جسر لندن بدلاً من رأسي الأسقف سيمون سودبري وروبرت هيلز، أعلن التاج رسمياً استعادة سيادته وانكسار شوكة التمرد، محولاً قائد التمرد ورمزه إلى عبرة بصرية في قلب العاصمة[6].

انتقل التاج الإنكليزي من طور الدفاع إلى تعميم إِجراءات رادعة عبر تشكيل لجان تقصي ذات صلاحيات استثنائية، فانتشر القضاة الملكيون في الأقاليم لتقييم حجم المشاركة في التمرد، محولين المسار من مواجهته ميدانياً إلى ملاحقة قانونية منظمة

(1) George Smith, Dictionary of National Biography, Oxford, 1973, p.1347.
(2) Samuel Rawson Gardiner, A Student's History of England, Vol. I, New York, 1916, p.146.
(3) Jacob Abbott, Op. Cit., p.66.
(4) Herbert Eiden, The Peasants Revolt in Essex and Norforld, Wiley, Op. Cit., p.15.
(5) B. Wikinson, The Peasant's Revolt's of 1381, University of Chicago Press on behalf of the Medieval Academy of America, Vol. 15, No. 1, 2018, p.24.
(6) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.33.

لتفكيك بنية قوى التمرد[1]، واعتمدت السلطة القضائية سياسة الردع الانتقائي لتحقيق توازن دقيق بين الاحتواء والترهيب، حيث مُنح العفو عن المخالفات الإجرائية البسيطة لامتصاص السخط العام، بينما نُصبت منصات الإعدام للمحرضين والقيادات الميدانية، لعزل الرؤوس المدبرة عن قواعدها، وترسيخ هيبة الدولة عبر مشهد العنف القانوني[2]، ومع استقرار لندن وتدفق القوات الملكية من المقاطعات، صاغ العرش آليات هجومية تصاعدية لإخماد بؤر التمرد، وتوجت تلك الآليات بمراسم ملكية قاسية قيدت صلاحيات الإفراج وألغت الكفالات، مع منح المفوضين صلاحيات عابرة للمقاطعات لتعقب الفارين، وتحويل إنگلترا إلى ساحة ملاحقة لهم، مما قطع الطريق أمام محاولة المتمردين إعادة تنظيم الصفوف، وأعلن رسمياً نهاية مواثيق مايل إيند[3]، ثم أصدر الملك أوامره إلى قواته المتجحفلة شمال إنگلترا بالتوجه نحو بؤر التمرد، فاتجهت القوات الملكية إلى شرق إنگلترا وكامبردج وتم وأد تمردهما في 19 حزيران 1381[4].

اعتبر التاج مقاطعة إسكس المركز الأكثر راديكالية، مما دفع الملك ريتشارد الثاني لقيادة حملة عسكرية كبرى في 22 حزيران 1381، وفي تحول خطابي حاسم، أصدر التاج بياناً سياسياً فند فيه شائعات موافقته الضمنية على مطالب المتمردين، واصفاً إياهم بـ "**الخونة والخارجين عن القانون**"، لنزع الشرعية عن المتمردين، وتحويل فعلهم من حراك مطلبي إلى اعتداء مباشر على سيادة الدولة[5]، ورغم التصعيد الملكي، أظهر متمردوا إسكس إصراراً على حماية مكتسباتهم، وبرز ذلك في التعبئة العامة في جريت بادو (Great Baddow) وريتيندين (Rettendon)، ومن الناحية التكتيكية اتخذ المتمردون وضعية دفاعية على أطراف غابات بيليريك (Billericay)، فانشأوا تحصينات ميدانية متقدمة شملت خنادق وعوائق مادية عبر ربط العربات بالسلاسل لإعاقة تقدم الخيالة الملكية[6]، مما دل على تحول المقاومة من هجمات عشوائية إلى حرب دفاعية منظمة لاستنزاف القوات الملكية، في محاولة يائسة لحماية صكوك الحرية

(1) R. B. Dobson, The Peasants' Revolt of 1381, Macmillan press ltd Landan and Basingstoke Companies, London, 1986, p.77.
(2) Margraet Schlauch, Op. Cit., p, 419.
(3) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.94.
(4) Dan Jones, Summer of Blood (The Peasants Revolt of 1381), London, 2009, p.176 – 182.
(5) Ibid, p.205.
(6) Rodney Hilton, Bond Men Made Free, Medieval Peasant Movements …, p.224.

التي ذابت تحت وطأة قرارات تريسليان (Tresilian) الصارمة[1].

شهدت صفوف المتمردين تحللاً متسارعاً بسبب الضغط العسكري عليها تاركةً النواة الصلبة من متمردي إسكس في عزلة ميدانية، وفي محاولة أخيرة لاستعادة الزخم، سعى المتمردون للتحرك شمالاً نحو سودبوري في سوفولك، لكن ذلك المسار جوبه بحائط صد عسكري قاده اللورد فيتز والتير (Lord Fitz Walter) والسير جون هارليستون (Sir John Harleston)، مما شتت قوى التمرد وشل قدرتها على المناورة[2]، كما سحق أسقف نرويتش (Bishop of Norwich) هنري لو دسبنسر (Henry le Despenser)[3] بؤر المتمرد شمال والشام (Walsham) في 25 حزيران، وسحقت قوات أخرى أمثالهم في سومرست (Somerset)، يورك، بيفرلي (Beverley) وسكاربورغ (Scarborough)[4]، وفي 28 حزيران 1381 أعلن الملك إلغاء عفوه عن المتمردين في عموم البلاد بضمنهم متمردي لندن الذين انخدعوا بوعده السابق، وأعتقل كبار زعمائهم في لندن، ثم عبأ قوات اضافية لحفظ النظام فيها، منهياً ذلك التمرد بعد أن كاد يودي به وبنظامه[5].

وتزامناً مع تلك التطورات، استعادت السلطة سيطرتها على مقاطعة كنت عبر استراتيجية تطهير قضائي مستند إلى لجان تحقيق برئاسة المفوض توماس هول (Thomas Hall)، لتعقب المحرضين في البلدات كافة، واستمرت تلك الفعاليات الرقابية حتى نهاية تموز، مما ضمن اجتثاث جيوب التمرد دون الحاجة لحملات عسكرية كبرى قد تثير السخط مجدداً[6]، لكن القضاء في مقاطعة كنت أظهر ميلاً نحو الاعتدال

---

(1) R. H. Hilton and T.H. Aston, The English Rising of 1381, New York, N.D, p.100.

(2) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص107.

3() (1341–1406م) أحد النبلاء الإنكليز أصبح عام 1370 أسقفاً لنورويتش ثم شرع عام 1382 في مشروع البابا أوربان السادس لقيادة حملة صليبية في فالاندرز ضد انصار كليمنت السابع المناهض للبابا بعدها عزل في 1383 وتم تجريده من أراضيه استعاد في وقت لاحق أراضيه وصالح الملك ريتشارد الثاني، توفي هنري ديسبنسر في 23 آب، للمزيد من التفاصيل ينظر: Richard Allington – Smith, Henry Despesner (The Fighting Bishop), United Kingdom, 2003.

(4) Edgar Powell B.A., The Rising in East Anglia in 1381, The University of Cambridge, 1896, p.61 ; Dan Jones, Summer of Blood …, p.194 – 195.

(5) Charlies Oman, The Great Revolt ..., p.60.

(6) Frank Mclynn, The Road not Taken (How Britain Narrowly Missed a Revolution, London, 2012, p.64.

النسبي بالتنسيق مع هيئات المحلفين المحلية، لتجنب خلق بؤر احتقان في المقاطعة، وضمان استعادة استقرارها الإداري دون إثارة ردود افعال انتقامية من الفلاحين[1].

توج التاج انتصاره بتعقب الرمز الأيديولوجي للتمرد، الراهب جون بول، فبعد فراره أُعتُقلَ في كوفنتري (Coventry) ثم نُقل إلى سانت ألبانز (Saint Albans) للمثول أمام المحكمة العليا بقيادة القاضي المتشدد تريسليان، فطلب منه القاضي التراجع عن افكاره المتطرفة، لكنه رفض، وامام إصراره قضت المحكمة بإعدامه، ونفذ الحكم فيه في 15 تموز 1381 ثم قطع إلى أربعة اجزاء وزعت على اطراف إنگلترا[2]، والحقيقة أن محاكمة الراهب جون بول لم تكن استثناءاً، فقد شهدت مرحلة التعقب القضائي لرموز التمرد غياباً تاماً للضمانات القانونية، فطغت الإعدامات الفورية على المحاكمات الأصولية، وتجلى ذلك في تصفية القائد الميداني جاك سترو، الذي كشفت اعترافاته قبل الإعدام في منتصف تموز 1381 عن الدور المحوري للخطاب الأيديولوجي لـ جون بول في تحريك الجماهير، وقد شكل إعدام سترو رسالة ردع مباشرة لضرب الوعي الراديكالي الذي تجرأ على اغتيال رموز ملكية[3]، وبحلول 30 آب 1381 نحت سياسة العرش نحو التهدئة عبر إصدار مرسوم عفو كشف في صياغته القانونية ازدواجية طبقية حادة حين شمل أفراد الطبقة الأرستقراطية، لرص صفوف النخب حول العرش، واستثنى العناصر الشعبية بوصفهم خارجين عن القانون، مما حول العفو من أداة للعدالة الاجتماعية إلى وسيلة لتثبيت التحالف التقليدي بين التاج والنبلاء[4]، بدليل إصدار الملك ريتشارد الثاني امراً بتعقب كل من تورط في مناوأة سلطاته، واعدام الف وخمسمائة من المتمردين بحلول تشرين الثاني 1381، وهو أمر كشف عن عزمه اظهار نفسه أمام رعاياه بمظهر العاهل القوي الذي لا يساوم على سلطته[5]، واستناداً لما تقدم يمكن القول أن تمرد عام 1381 أثبت أن التاج الإنگليزي كان مستعداً للتضحية بمستشاريه وببعض ثوابته للحفاظ على البنية الطبقية للمجتمع، ورغم فشل التمرد في تحقيق مطالبه، إلا أنه زرع بذور التحول نحو العمل المأجور وأنهى عصر القنانة المطلقة في الوعي الإنگليزي.

---

(1) Dan Jones, Summer of Blood …, p.210.
(2) J. Morrison Davidson, The Annals of Toil, London, 1899, p.40.
(3) Rosalyn Rossignol, Critical Companion to Chaucer, United States of America, 2006, p.447.
(4) Judy Ann Ford, John Mirks' Festial, United Kingdom, 2006, P.72.
(5) Andrew Prescott, The Hand of God, the Supression of the Peasants' Revolt in 1381, Donington, 2004, p.317 – 341.

المبحث الثالث

تمرد مقاطعات شرق إنكلترا عام 1381

أولاً: وقائع التمرد وتطوراته:

لم يرتبط الحراك في شرق إنكلترا ببدايات تمرد وات تايلر، إذْ تأخر انفجاره حتى 15 حزيران 1381، مدفوعاً بوصول العناصر الفارة من العاصمة عقب مقتل وات تايلر، وبرز جون راو (John Wrawe) كقائد ميداني استمد شرعيته من كونه ناقلاً لمطالب المركز، وساعياً لتوطين مكتسبات التمرد في الأقاليم الشرقية عبر استنفار القرى وتوحيد الجبهات مع مدينة سودبري[1].

لم ينهِ اغتيال وات تايلر الحراك الشعبي، بل كشف عن وجود خلايا تمرد عابرة للمقاطعات امتلكت استقلالية ميدانية بالإضافة إلى قيادات التمرد التي هربت بعد واقعة سميثفيلد، فقد انتقل الفكر الراديكالي إلى المقاطعات الشرقية، وتحديداً سانت ألبانز، ففي 14 حزيران 1381، وبالتزامن مع أحداث لندن، قاد وليام جريند كوب (William Grindcobbe) حشوداً من سانت ألبانز عبر منطقة هايبري (Highbury)، وقد تجاوز الحراك في سانت ألبانز طور العنف المادي المتمثل في الهجوم على منزل رئيس الدير إلى مواجهة مؤسسية، ففي صبيحة 15 حزيران، أجمع السكان على نزع الشرعية عن السيادة القانونية والاقتصادية للدير، لاستعادة استقلالهم الإداري والقانوني من التبعية الكنسية، محولين المدينة إلى بؤرة استقلال عن السلطة الإقطاعية لرجال الدين[2].

اتخذ التمرد في مقاطعتي نورفولك وسوفولك مساراً مغايراً اتسم بعنف راديكالي حاد تجاوز الأطر التنظيمية نحو فوضى شاملة شملت تصفيات جسدية ممنهجة وحرائق متعمدة، مما نأى بتلك المقاطعة عن الاعتدال الاستراتيجي الذي لوحظ في لندن وكنت[3]، واستهل جون راو تحركاته الميدانية باستهداف المؤسسة الإقطاعية في ليستون (Liston)، المملوكة لـ عضو البرلمان السابق ريتشارد ليونز (Richard Lyons)، سيئ السمعة، الذي أُدين بفساد مالي عام 1376[4]، مما عكس رغبة المتمردين في ممارسة قضاء شعبي بديل، يملأ الفراغ الذي تركه عجز البرلمان عن محاسبة النخب المالية، في

---

(1) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.33.
(2) Ibid, p.36.
(3) Rodney Hilton, Bond Men Made Free, Medieval Peasant Movements …, p.218.
(4) Edgar Powell B.A., Op. Cit., p.25.

إشارة إلى تركيز التمرد على وأد الفاسدين والإقطاع[1].

مثّل استهداف مدينة بيري سانت إدموندز (Bury St Edmunds) ضربة استراتيجية لأحد أقوى معاقل الإقطاع الكنسي في إنگلترا، ولم يكن سقوط المدينة مجرد اختراق عسكري وافد، بل نتيجة تواطؤ مع الحرفيين والتجار المحليين الذين وفّروا معلومات استخباراتية لتفكيك شبكة مسؤولي الدير، مما أدى إلى انهيار السلطة الكنسية محلياً، وأجبر الإدارة الرهبانية على الفرار نحو ميلدنهال (Mildenhall)[2]، وقد عكست عمليات الرقابة اللصيقة على الممرات المائية والطرق في سوفولك نضجاً تكتيكياً لدى المتمردين، فأفشلوا محاولات الفرار عبر النهر بسبب تمركزهم على ضفتيه، وتوجت تلك الملاحقات في ميلدنهال بتصفية مسؤول الدير، بالتزامن مع إعدام السير جون كافنديش، رئيس المحكمة العليا[3].

عمد جون راو إلى السيطرة على الأرشيف الإداري للدير مع التحفظ على معادنه النفيسة كـ رهينة مادية لإجبار الرهبان على تدوين وثيقة حرية تمنح المدينة استقلالاً بلدياً[4]، كما بسط راو نفوذه على معظم غرب سوفولك، محولاً تمرده من حراك احتجاجي إلى سلطة قوية امتلكت جهازاً إدارياً وقدرة على التعبئة الإقليمية[5]، ورغم استقلال الفصائل المتمردة في إيبسويتش، إلا أن اسم جون راو أصبح يمثل القيادة المركزية للتمرد في الشرق الإنگليزي، التي استعادت زخمها في الأسابيع اللاحقة محولةً الريف إلى مضمار لإعادة صياغة القوانين المحلية[6]، وبعد تمرد راو شهدت منطقة جنوب إيبسويتش ولادة قطب تمرد جديد بقيادة جون باتيسفورد (John Battisford) وتوماس بارسون (Thomas Barson) من باكليرشام (Bucklesham)[7]. اللذان زحفا نحو بعض بلدات المقاطعة في 16 حزيران 1381 بآلاف المقاتلين، مما كشف عن تحول التمرد إلى عبث لا مركزي تجاوز سلطة جون راو[8].

---

(1) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص85.

(2) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.71.

(3) Herbert Eiden, Op. Cit., p.17.

(4) جون ج. روبنسون، المصدر السابق، ص 53.

5() هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص86.

(6) جون ج. روبنسون، المصدر السابق، ص54.

(7) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.40.

(8) Anthony Emery, Greater Medieval Houses of England and Wales 1300-1500, University of Cambridge, London, 2000, Vol. 11, p.15.

استهدف القائد جيوفري ليتستر (Geoffrey Litster) في 17 حزيران المقر الإداري لإيرل سوفولك (Earl of Suffolk) في هيث (Heath)، فتنكر الإيرل بزي فلاحة وفر نحو سانت ألبانز، وفي إطار نشاطاتهم جرد المتمردون كبار النبلاء من سجلاتهم الإقطاعية، في تدمير ممنهج لعوامل تفوق الطبقة الأرستقراطية[1]، وسرعان ما انتقل زخم المتمردين نحو نورويتش، التي كانت مركزاً مهماً، وخلافاً للانهيار الذي شهدته العاصمة أظهرت النخبة الحضرية في نورويتش وعياً وقائياً عبر رفع الجسور وتحصين المداخل لرغبة البرجوازية المحلية في عزل مدينتهم عن عدوى الفوضى الإقليمية، وحماية مكتسباتهم التجارية من الاندفاع الراديكالي للفلاحين والعمال[2].

أدى الشلل المؤسسي في نورويتش إلى تبني النخب الحضرية أسلوب المساومة المالية لتجنب الصدام العسكري الشامل، لكن ذلك الاتفاق التعاقدي لم يصمد أمام الضغط الراديكالي للقواعد الشعبية، فانتقل ليتيستر من طور القائد المنضبط إلى طور المُنفذ للعدالة الطبقية[3]، فتخلص من القاضي ريجنالد إكليس (Reginald Eccles)، الذي مثّل في الوعي الجمعي سلطة الإكراه القانوني، وتبنى المتمردون مصادرة ممنهجة لإصول النخب السياسية، بضمنهم عضو البرلمان هنري لومينور (Henry Luminor)، مما عكس رغبة المتمردين في تقويض تحالف السلطتين التشريعية والقضائية، وركز ليتستر على استراتيجية المحو الوثائقي باستهداف أرشيف دير كارو (Carrow Abbey)، معتبراً السجلات القضائية أدواتٍ لترسيخ التبعية القانونية والإقطاعية[4].

انتقل زخم التمرد نحو ميناء يارموث (Yarmouth) بقيادة روجر بيكون (Roger Bacon)، مستغلاً التصدع الطبقي بين سكان الضواحي والنخبة المتنفذة، ولم يكن الهجوم مجرد فعل تخريبي، بل عملية تطهير اقتصادي استهدفت الامتيازات الحصرية والسياسات الاحتكارية التي خنقت الأسواق المحلية[5]، فقد سعى روجر بيكون إلى فرض نظام تجارة حرة بدائي، يحرر المنتجين الصغار من هيمنة كبار التجار، عبر إحراق المواثيق والامتيازات التجارية في يارموث، مما جعل تمرد الشرق الإنكليزي ثورة

---

(1) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.72 – 73.
(2) Rodney Hilton, Bond Men Free, Medieval Peasant Movements …, p.218.
(3) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.82 – 83.
(4) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص90-91.
(5) Rodney Hilton, Bond Men Made Free, Medieval Peasant Movements …, p.218.

ضد الرأسمالية المبكرة والامتيازات الاحتكارية بقدر ثورته على الإقطاع[1]، وأقدم السير روجر بيكون أيضاً على فعل ذي دلالة قانونية بالغة بتمزيقه ميثاق يارموث، لوأد سلطة الاحتكار التي خولت نخب يارموث حق حظر النشاط التجاري على سكان الضواحي ضمن نطاق الـ 7 أميال[2]. وقد عكس تمزيق المواثيق توافق جيوفري ليتستر وجون راو في المحو المادي للقيود الاقتصادية، وتوج المتمردون ما فعلوه باقتحام السجن المركزي وتحرير السجناء، معلنين نهاية الولاية القضائية للنظام القديم[3].

وأزاء الأنباء الواردة حول مقتل وات تايلر في لندن وتحشيد الملك ريتشارد الثاني لقواته، أدرك ليتستر ضرورة الانتقال من سلطة الواقع إلى سلطة القانون، لذا أوفد بعثة رسمية إلى البلاط الملكي في 21 حزيران 1381 حاملةً مطلبين أساسيين أولهما: الحصول على امتيازات تماثل وعود مايل إيند، وثانيهما تأمين الحماية القانونية للقيادات الميدانية من تبعات التمرد[4]، وفي محاولة لامتصاص الغضب الملكي، أرفق ليتستر مطلبيه بمبالغ مالية باهظة كـ غرامات صلح لتعويض الدولة عن الأضرار المادية، فأبدى الملك في 22 حزيران موافقة مبدئية على مطالب ليتستر[5]، لاستلام أمواله وتهدئة الشرق الإنكليزي ريثما يكتمل حشد القوات النظامية، فوقع ليتستر في فخ الشرعية الزائفة التي سبقه إليها تايلر، واضعاً متمردي نورفولك في حالة من الاسترخاء الأمني القاتل.

انطلقت شرارة التمرد في مقاطعة كامبردج (Cambridge) بتاريخ 14 حزيران 1381، في تزامن دقيق مع ذروة التمرد في لندن، وتميز حراك تلك المقاطعة بـ اللامركزية الجغرافية، إذْ اندلعت أعمال العنف بشكل متزامن في اثنتي عشرة بؤرة مختلفة، مما أربك أجهزة الردع المحلية وحال دون احتواءها الاضطرابات في مهدها[6]، وأدت الاتصالات مع متمردي العاصمة والاطلاع على اعمال وات تايلر فيها دوراً حاسماً في تسريع وتيرة الانفجار، وهنا برز الدور المحوري لـ المحرضين السياسيين مثل جون ستانفورد وجون غريستون (John Greystone)، اللذان استثمرا مشاهداتهما الحية لدخول المتمردين للعاصمة لندن لتحفيز قواعدهما الشعبية في بارينغتون (Barrington) وبوتيشام

(1) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.81.

(2) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص90-91.

(3) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.82.

(4) Rodney Hilton, Medieval Peasant Movements …, p.218.

(5) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص92.

(6) Herbert Eiden, Op. Cit., p.18.

(Bottisham)[1]، وخلال 36 ساعة فقط من عودة أولئك الكوادر، انتقلت المقاطعة من الترقب إلى العنف الممنهج، الذي استهدف المصالح الحكومية والسجلات الإدارية، في محاولة لمحاكاة نموذج إسكس في تدمير الأرشيف الإقطاعي، مما حول كامبردج من ريف هادئ إلى جبهة مفتوحة تهدد استقرار الجامعة والمؤسسات الكنسية التي مثلت الهيمنة الفكرية والمالية في المقاطعة[2].

شهدت المقاطعة في 15 حزيران 1381 تحولاً استراتيجياً في أساليب التحشيد، فانتهج جون غريستون وجون ستانفورد تكتيك ادعاء التفويض السلطوي، عبر الترويج لوجود أوامر ملكية سرية تشرعن ملاحقة الخونة، ونجحا في إضفاء صبغة قانونية زائفة على التحشيد الشعبي في قريتي بوتيشام وأبينغتون (Abingdon)، مما مكنهما من تحويل السخط الفلاحي إلى قوة مسلحة بذريعة حماية التاج[3]، وانتقل الحراك سريعاً من التعبئة السياسية إلى فرض الإذعان المادي، فمورست عمليات ابتزاز منظمة استهدفت النخب المحلية الثرية، ولم يتوقف الأمر عند الصراع الطبقي، بل شمل انتهاكات بحق صغار الفلاحين، مما كشف عن انهيار أمني تجاوز الأهداف الأيديولوجية الكبرى للحركة نحو تحقيق مكاسب فئوية ونفعية، ففقد التمرد صبغته الإصلاحية واكتسب نمط إجرامي مشابه لما شهدته أجزاء من إيست إنگليا (East Anglia)[4].

استندت المجموعات المسلحة في تبرير أفعالها إلى خطاب ثوري مستند إلى ادعاء بصدور مراسم ملكية بـ إلغاء القنانة، وفي محاولة لتغيير الواقع القانوني بالقوة، ركز المتمردون هجماتهم على الوثائق الإقطاعية، فجرى إتلاف وحرق سجلات الضياع بصورة ممنهجة[5]، لمحو الأدلة القانونية التي تثبت الالتزامات والخدمات الإقطاعية، وطالت التصفية مقر إقامة مدير المقاطعة، مما عكس رغبة المتمردين في تقويض السلطة التنفيذية والمالية للملاك، وتحويل الريف إلى فضاء خالٍ من التبعية التقليدية[6].

واتخذ التمرد في كامبردج طابعاً تطهيرياً استهدف النخب الإدارية والقضائية والكنسية، لأسباب ليست عقيدية، بل لكونها قوة إقطاعية مهيمنة على الأراضي، وتجلت

(1) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.84.

(2) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص93.

(3) R.H Hilton and T.H. Aston, Op. Cit., p.95.

(4) B.Wikinson, Op. Cit., Vol. 15, No. 1, p.33.

(5) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.85.

(6) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص94.

تلك الراديكالية في الاعتداء على مأمور المقاطعة هنري إنگليش (Henry English)، وصولاً إلى إعدام القاضي الثري إدموند فالسينغهام (Edmund Walsingham)[1]، بعد محاكمة شعبية في إيفرسدن (Eversden)، ثم عُلقَ رأسه، ليكون رمزاً لنهاية سلطة التاج القضائية، وتحويل جسد القاضي إلى رسالة بصرية تؤكد تطهير المقاطعة ممن وصفهم المتمردون بـ الخونة، وهو مصطلح استُخدم لتبرير تصفية كل من مثل امتداد للنظام الإقطاعي[2]، وبحلول 15 حزيران انتقل زخم التمرد من الأرياف إلى كامبريدج، وحولها الأخوين غرانتشستر (Grantchester) من مركز إداري للتاج إلى معقل للتمرد[3].

انتقل تمرد كامبريدج إلى طور راديكالي استهدف المؤسسة الأكاديمية بوصفها ذراعاً معرفياً وقانونياً للسلطة، وبدأت الملاحقات باستهداف مسؤولي الجامعة بضمنهم وليام ويغمور (William Wigmore)، الذي أُهدر دمه ودُمر منزله تعبيراً عن سقوط الحصانة الأكاديمية، وتوج ذلك المسار باقتحام كلية كوربوس كريستي (Corpus Christi College)، وحرق صندوق المواثيق، لإدراك المتمردين أن قوة الجامعة تكمن في وثائقها التي تمنحها حقوقاً عقارية وامتيازات قانونية تضغط بها على سكان البلدة[4]، وفي صباح اليوم التالي، بلغت الجرأة ذروتها باقتحام كنيسة القديسة مريم (St. Mary's Church) أثناء القداس، محطمين قدسيتها للوصول إلى الخزائن المركزية للجامعة، ولم تكن الغنائم مجرد مصوغات وذهب، بل أرشيف تاريخي وثق الامتيازات الملكية الممنوحة للجامعة، مما عكس رغبة المتمردين في تجريد المؤسسة من شرعيتها ومواردها في آنٍ واحد[5].

استُكمل الهجوم باجتياح جموع المتمردين دير الرهبان الكرمليين (Carmelites Abbey)، فاستولى المتمردون على النواة الأولى لـ مكتبة جامعة كامبريدج، وفي مشهد عبر عن مقت المعرفة في تلك الحقبة الدقيقة من تاريخ إنگلترا الوسيط، نُقلت المخطوطات والكتب إلى ساحة السوق لإحراقها علانية[6]، ولم تكن تلك النيران مجرد فعل انتقامي، بل محاولة لمحو الفجوة المعرفية بين العامة والنخب، فبإحراق السجلات والكتب، ظن المتمردون أنهم يحرقون الديون والتبعية القانونية والقيود التي كبلت

---

(1) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.85.

(2) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص94.

(3) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.86.

(4) Ibid, p.86.

(5) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص95.

(6) Margraet Schlauch, Op. Cit., p.422.

البلدة[1]، وقد تسببت تلك الحرائق في ضياع الأصول التأسيسية لجامعة كامبريدج، مما احدث انقطاعاً معرفياً في تاريخ إنكلترا الأكاديمي.

لم يكتفِ سكان كامبريدج بما سبق، بل انتقلوا لمرحلة إملاءات قانونية لضمان مستقبل خالٍ من الهيمنة الأكاديمية، فصاغوا مواثيق قسرية الزمت الجامعة بالتنازل عن كافة امتيازاتها التاريخية، وللحفاظ على ذلك الانتصار فرضوا ضمانة مالية تعجيزية (سند رهن) بقيمة 3000 باون، وهو مبلغ هائل بمقاييس العصور الوسطى، لشل قدرة الجامعة على أي تقاضٍ قانوني مستقبلي ضد المدينة، محولين إياها من مؤسسة سيادية إلى كيان مرتهن لإرادة البلدة[2]، وبعد تحييد الجامعة، اتجه الزخم الشعبي بقيادة جون هانشاش (John Hanchach) نحو دير بارنويل (Barnwell Abbey) لتسوية نزاع تاريخي حول أراضي استنهال (Estenhall)، واستعادة حقوق المراعي المشاعة التي صادرها الدير، مما عكس جوهر الصراع بين ملكية الكنيسة وحقوق الجمهور[3]، وفي تحول لافت، سعى المتمردون لإضفاء شرعية رسمية على هجومهم عبر إجبار رئيس البلدية إدموند ريدميدو (Edmund Redmeadow) على تولي قيادتهم تحت تهديد التصفية الجسدية، ثم انطلق 1000 مقاتل منهم، في عملية تجريد مادي للدير[4]، ثم نهب المتمردون مخازن الأعلاف والمؤن، كعقوبة اقتصادية مدروسة استهدفت كسر شوكة رئيس الدير وإضعاف قدرته على إدارة أراضيه، مما يثبت أن تمرد كامبريدج سار وفق أجندة دقيقة لإعادة توزيع الموارد والاراضي لصالح الطبقات الكادحة[5].

وبلغت استراتيجية تأمين التمرد ذروتها في كامبريدج حين أرغم المتمردون رئيس دير بارنويل (Barnwell Abbey) على توقيع سند قانوني بقيمة ألفي جنيه إسترليني، ليصبح قيداً قانونياً لشل قدرة المؤسسة الكنسية على التقاضي مستقبلاً[6]، وبينما كانت كامبريدج تشتعل، انتقل الزخم إلى مقاطعة هانتينغدون (Huntingdon)، التي أظهرت صموداً مؤسسياً عبر إغلاق بواباتها وتحصين أسوارها، مما عكس تباين الجاهزية الدفاعية بين المدن الإنكليزية، وقد حال ذلك الاستقرار النسبي سقوط المقاطعة بالكامل،

1() هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص95.

(2) R. B. Dobson, Op. Cit., p.85.

(3) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص97.

(4) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.88.

(5) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص97.

(6) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.89.

ووضع حداً جغرافياً للتمدد الراديكالي الذي انطلق من الشرق[1].

ثانياً: قمع تمرد مقاطعات شرقي إنكلترا:

انتهج جيوفري ليتستر – بعد مقتل وات تايلر – استراتيجية الشرعنة المتأخرة، فسعى لتحويل سيطرته الميدانية على نورفولك إلى مكسب قانوني دائم عبر القنوات الدبلوماسية، فأوفد بعثة تفاوضية للملك ريتشارد الثاني حاملةً التماسات للعتق من القنانة والعفو الشامل[2]، ولضمان اختراق البروتوكول الملكي، استخدم تكتيك التفاوض بوكلاء طبقيين، فوضع فارسين أسيرين، هما: السير وليام دي مورلي والسير جون دي برو على رأس الوفد، وزودهم بهبة ملكية من أموال الضرائب، في محاولة لتصوير التمرد كـ سلطة إدارية بديلة تمتلك الموارد والشرعية[3]، لكن تلك الطموحات اصطدمت عند بلدة نيوماركت (Newmarket) بالقوة العسكرية للأسقف هنري ديسبنسر، الذي مثّل نموذج الأسقف المحارب، إذْ لم ينتظر الأوامر الملكية، بل استنفر نخب فرسانه ورماته من بيرلي (Burghley) منطلقاً في حملة لاستعادة السيادة الكنسية والسياسية في أبرشيته[4].

انتهج ديسبنسر استراتيجية استعادة الولاء بالقوة، فأرغم النبلاء المحليين الذين كانوا في حالة ذعر أو مهادنة على الانضمام لفيلقه العسكري، وبدلاً من التفاوض باغتت قواته المتمردين في خضم صراعهم مع الإدارة الديرية حول مواثيق العتق[5]، مستخدمةً القوة المفرطة في هجوم خاطف، محولاً المواجهة من جدل حقوقي حول القنانة إلى تصفية عسكرية ميدانية، ولم تكن تلك المعركة مجرد كسر لشوكة المتمردين، بل إعلاناً عن فشل المسار الدبلوماسي لـ ليتستر، وبداية النهاية للوعود الورقية التي انتزعها الفلاحون، حيث حسم السيف الكنسي ما عجزت المواثيق الملكية عن احتوائه[6].

اتسمت استراتيجية الأسقف هنري ديسبنسر بالسرعة والحسم، فبدأ بتطهير منطقة رمزي (Ramsey)، مُسلماً الأسرى لرئيس الدير في تكريس واضح لـ وحدة المصير بين أركان المؤسسة الدينية[7]. ومع تقدمه نحو كامبردج، تحول فصيله إلى قوة

---

(1) R.B. Dobson, Op. Cit., p.86.
(2) J. Morrison Davidson, Op. Cit., p.140.
(3) هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص113-114.
(4) J. Morrison Davidson, Op. Cit., p.140.
(5) Charles Oman, The Great Revolt ..., p.106.
(6) A.R. Myers, Vol. IV, p.136.
(7) Sarah J. Coony, Social Upheaval and Social Change in England 1381-1750, Thesis of Master, Portland state university, 1974, p.26.

نظامية صلبة، استطاعت استعادة النظام وفرض واقع عسكري جديد تجاوزت فيه الكنيسة دورها الروحي إلى الدور القمعي المباشر[1]، ثم نصّب ديسبنسر نفسه قاضياً ومنفذاً في تجاوز صريح للولاية القانونية للتاج، عبر الإعدامات الفورية[2]، وعند بلدة نيوماركت، وقع الانهيار الأكبر للتمرد، إذْ استغل الفارسان الأسيران دي مورلي ودي برو اللقاء للتنصل من مهمتهما، معلنين أن تمثيلهما لـ ليتستر كان تحت الإكراه، فاستغل الأسقف قولهما لإنكار شرعية الوفد، الذي كشف للأسقف عن الجهل الدبلوماسي لقادة التمرد[3]، حينها وظّف ديسبنسر الرعب كأداة للسيطرة السياسية، فأمر بقطع رؤوس قادة المتمردين ونصبها على أعمدة نيوماركت، لاستعادة سطوة القانون الإقطاعي[4].

أدت تلك الانتصارات المتلاحقة إلى تشجع النبلاء، فخرجوا من مخابئهم فتكتلوا تحت راية الأسقف المحارب، وبحلول 24 حزيران 1381، وصل ديسبنسر إلى أسوار نورويتش على رأس جيش كبير، مما أجبر جيوفري ليتستر على الانسحاب التكتيكي، لنقل المعركة من أزقة المدن إلى الحقول المفتوحة حيث تتفوق الخيالة النظامية[5]، وتوج الأسقف هنري ديسبنسر حملته العسكرية بهجوم كاسح على معقل المتمردين شمال والشام، أبدى اثنائه شجاعة ميدانية لافتة بتقدمه صفوف الخيالة، مخترقاً التحصينات التي أقامها المتمردون، ورغم المقاومة، أدى التفوق المهني لفرسان الأسقف إلى تشرذم صفوف الفلاحين، والمفارقة الكبرى تمثلت في أن العوائق الدفاعية التي صممها جيوفري ليتستر لمنع التراجع، ارتدت عكسياً لتصبح فخاً مكانياً حاصر قواته ومنعها من الفرار، مما سهل عملية الإبادة الميدانية واعتقال ليتستر نفسه[6]، فأصدر ديسبنسر حكماً فورياً بإعدامه مع التنكيل بجثمانه عبر تقطيعه إلى أربعة أجزاء، بوصفه متورطاً بالخيانة العظمى[7]، وفي سوفولك، كان المشهد أقل دموية وأكثر حسماً، إذْ أدت التعبئة العسكرية الضخمة التي قادها إيرل سوفولك بخمسمائة جندي إلى انهيار الحراك تلقائياً، ونهاية

1() هناء خضير احمد، المصدر السابق، ص115.

(2) Charles Oman, The Great Revolt ..., p 106.

(3) Juliet Barker, Op. Cit., p.106.

(4) Rodney Hilton, Bond Men Free, Medieval Peasant and the England …, p.160.

(5) Sarah J. Coony, Op. Cit., p.26.

(6) Juliet Barker, Op. Cit., p.226.

(7) Rodney Hilton, Bond Men Free, Medieval Peasant and the England ..., p.160.

الزخم الشعبي دون الحاجة لصدام مسلح، حيث أدرك المتمردون أن غياب التنسيق المركزي مع لندن يجعل من المقاومة انتحاراً عسكرياً، مما أعاد الهيمنة المطلقة للتاج على شرق إنگلترا[1].

انتقلت السلطة الملكية لاحقاً من التطهير العسكري إلى الاستيعاب القانوني والمالي، فاستُبدلت احكام الاعدام بـ منظومة الغرامات النقدية كآلية للتسوية القضائية، ولم تكن الغرامات مجرد عقوبة، بل أداة لترسيخ التبعية، إذْ فُرض على المشمولين بالعفو التحول إلى مخبرين محليين، وهو إجراء حوّل الفلاحين من كتلة متمردة إلى جهاز رقابة ذاتي، فأصبح الحفاظ على العفو مرتبطاً بالولاء المطلق والتبليغ عن أي بوادر للعصيان، مما ضمن للتاج استقراراً طويل الأمد عبر تفكيك الثقة داخل الطبقات الدنيا[2].

لقد أثبتت أحداث الشرق الإنگليزي أن التحالف بين العرش والكنيسة أقوى من المواثيق الورقية التي طمح إليها الفلاحون، ورغم سحق التمرد إلا أن تكلفة الاستقرار أجبرت النظام الإقطاعي على البدء في تحولات اقتصادية أدت في النهاية إلى اضمحلال القنانة عبر آليات السوق لا عبر التمرد المسلح.

(1) Juliet Barker, Op. Cit., p.227.
(2) Dan Jones, Summer of Blood …, p.215.

المبحث الرابع

التجاذبات السياسية والعسكرية التي تخللت تمرد برلمان إنكلترا على الملك ريتشارد الثاني، 1386 - 1398

أخفق ريتشارد الثاني في تحقيق حسم عسكري لفعاليات بلاده القتالية مع فرنسا، وكان ميزان القوى فيها يميل عموماً لصالح الفرنسيين[1]، ومع أنه أرسل بعض الحملات إلى فرنسا لرفد فعاليات إنكلترا القتالية هناك، ومنها حملة أسقف نرويتش عام 1383، لكنها انتهت إلى فشلٍ ذريع[2]، وقرر عاهل فرنسا شارل السادس (Charles VI) نقل فعالياته إلى إنكلترا ذاتها لولا انشغاله بتمرد مدينة غانت[3]، وفشل ريتشارد الثاني أيضاً في سحق الإسكتلنديين – حلفاء فرنسا التقليديين – عام 1385، واضطرت الحملة التي قادها ريتشارد الثاني شخصياً للانسحاب على عجل من جنوب إسكتلندا[4].

أحس البرلمان الإنكليزي بخطورة تلك الاخفاقات مادياً ومعنوياً على بلاده، لاسيما بعد صدور أوامر ملكية باستيفاءِ مزيداً من الضرائب، التي اقتنع البرلمان بعبثيتها بوصفها استنزاف لأموال إنكلترا ومواردها دون طائل[5]، فركزت المعارضة البرلمانية على الفساد الذي استشرى في مؤسسة العرش، لأسباب تحمل ريتشارد الثاني مسؤوليتها أكثر من سواه، لأنه قرب إليهِ مستشارين اعتقد أغلب أعضاء البرلمان أنهم غير جديرين بمناصبهم[6]، كما أن مستشاري الملك وتحديداً إيرل سافولك مايكل دي لابول (Earl of Suffolk)، وإيرل اكسفورد روبرت دي فير فرضا ضرائب كثيرة لم يتمخض عنها شيء ملموس في الملفات التي فُرِضَتْ لأجلِها، واستأثر أولئك المستشارون بشطرٍ كبير من أموالها[7]، واعتقد البرلمان أن نبلاء أخرين قادرين على انقاذ العرش من واقعه المزري، المقترن بإداءٍ حكوميٍ غاية في الفشل[8]، ومع أن أعمام الملك توافقوا مع توجه البرلمان، لكنهم امتلكوا سباً اضافياً تمثل في عدم استحواذهم على ابن أخيهم بسبب مستشاريه الذين أفردهم الملك في اتخاذ القرار، تاركاً أعمامه دون نفوذ[9].

---

(1) Danielle Sabatka, Op. Cit., p.3 – 6.
(2) Edouard Perroy, The Hundred Years War, Bloomington, 1962, p.189.
(3) Charlies Oman, The Great Revolt ..., p.20 – 21.
(4) David Hume, Op. Cit., Vol. II, p.142 – 145.
(5) Jacob Abbott, Makers of History Richard II, London, 1901, p.65 – 66.
(6) W. C. Oman, Op. Cit., p.86.
(7) Jonathan Sumption, Op. Cit., p.420.
(8) W. C. Oman, Op. Cit., p.85.
(9) Frank T. Marzials, Passages from Froissart with an introduction, London, 1894, p.189.

ولا ريب أن اختلاف دوافع الطرفين لم تحل دون تظافر جهودهما ضد مؤسسة العرش ممثلة بالملك ومقربيه، مما أقحم البلاد في أزمات سياسية مستمرة بدءاً بعام 1385، لأسباب ليس أخرها "**الاداء الحكومي الهزيل في مختلف الصعد الذي جعل الملك في موقف دقيق**"[1]، كما أن البرلمان "**لم يمتلك سبباً منطقياً يدعوه للصمت على بذخ الملك غير المبرر على مغامراته العسكرية الفاشلة، ونظامه الضريبي الاعتباطي**"[2]، اللذان احدثا ازمة مالية خانقة في إنگلترا القى البرلمان مسؤوليتها على إيرل سافولك، وبذخ الملك[3]، بيد أن استشراء التحديات الخارجية منذ اذار 1386 التي شهدت تعبئة عاهل فرنسا شارل السادس أسطول فرنسي في سلوايس قرب اقليم الفلاندرز لغزو إنگلترا، وتهيؤ أسطوله للإبحار في أيلول 1386[4]، دفع ريتشارد الثاني للإعتقاد أن برلمانه سينشغل عن تجاوزاته بالخطر الخارجي على البلاد، فرأس مجلساً ملكياً في 8 تشرين الأول 1386، قرر في ختامه استدعاء البرلمان لتبني تدابير مستعجلة ضد الهجوم الفرنسي المرتقب[5]، فالتأم البرلمان الذي أسمته المصادر بـ "**الرائع**" (Wonderful Parliament)[6].

اقتنص البرلمان تلك الفرصة لإخضاع الملك لتوجهاته، متجاهلاً رغبة الملك في قصر دور البرلمان على رفد الملك ومستشاريه بمزيدٍ من الأموال، بذريعة تهيئة مستلزمات التصدي للخطر الفرنسي[7]، فحاول البرلمان إقناع الملك على تعيين البرلمان لجنة من بين اعضائه لا تنحصر مهمتها في تحسين طرق انفاق أموال الضرائب فحسب، بل ومنع الملك من رفع ذوي الأنساب المغمورة إلى مصاف النبلاء، ومنحهم ألقابها وامتيازاتها دون رقيب[8]، وحين رفض الملك توجهات برلمانه اندلعت "**أزمة سياسية خطيرة بين الجانبين**"[9]، عبر عنها عم الملك دوق غلوستر لبعض اتباعه،

(1) Roskell. J. S., The Impeachment of Michael de la Pole Earl of Suffolk in 1386 in the Context of the Reign of Richard II, Manchester, 1984, p.18.
(2) Palmer. J. J., The Parliament of 1385 and the Constitutional Crisis of 1386, UK, 1971, p.477 – 490.
(3) Edouard Perroy, Op. Cit., p.184.
(4) Roskell. J. S., The Impeachment of …, p.43.
(5) Palmer. J. J., Op. Cit., p.480 – 482.
(6) Samuel Rawson Gardiner, Op. Cit., p.151.
(7) Clementine Oliver, Parliament and Political Pamphleteering in Fourteenth Century England, Woodbridge, 2010, p.87.
(8) David Hume, Op. Cit., Vol. II, p.289.
(9) Chris Given Wilson, Parliament rolls of Medieval England 1275 – 1504, Vol. VII, 2005, p.313.

قائلاً: "**أن خلع الملك من بين الخيارات المطروحة**"[1]، لكن الملك تغاضى عن ذلك كله، ورفع سقف مطالبه المالية إلى 160 الف باون، لشن حملة معاكسة على فرنسا[2].

وزاد سخط البرلمان على الملك بسبب ايعازه للمتهم الأول عن ملفات الفساد إيرل سافولك مايكل دي لابول بإلقاء خطاب افتتاحي في اروقة البرلمان لتوضيح وجهة نظر العرش في حل الأزمة الخارجية التي عانتها إنگلترا، فأكد إيرل سافولك في خطابه آنف الذكر أن خطة العرش تتمحور حول إرسال حملة يقودها الملك شخصياً[3]، لكن البرلمان الذي كان موتوراً جداً[4]، قرر تبني موقفاً قوياً ضد ريتشارد الثاني ومستشاريه، بالشكل الذي جعل ريتشارد الثاني ازاء معارضة لا قِبَلَ له بها، في ظل أشخاص اقوياء في البرلمان كـ إيرل اراندل ريتشارد فاتز الان (Earl of Arundel, Richard FitzAlan)، وإيرل وارويك توماس دي بوشامب (Earl of Warwick, Thomas de Beauchamp)، وأسقف اكستر توماس دي برانتكهام (Bishop of Exeter, Thomas de Brantingham)، وأسقف ونشستر وليام ويكهام (Bishops of Winchester, William of Wykeham)، فضلاً عن رئيس أساقفة كانتربري وليام كورتيناي (Archbishop of Canterbury, William Courtenay)[5]، فتغاضى البرلمان عن طلبات العرش، وركز نقاشاته على انتقاد مستشار الملك إيرل سافولك مايكل دي لابول بتهمة الإثراء غير المشروع من أموال الضرائب، واتصالاته السرية بفرنسا لحسم الصراع معها بما يتعارض مع مصلحة إنگلترا، وحمل البرلمان إيرل اكسفورد روبرت دي فير مسؤولية الفشل العسكري على الجبهتين الفرنسية والإسكتلندية، وشدد البرلمان على رفض أية ضريبة الا بعد اقالة هذين المستشارين، وسواهم من مقربي الملك السيئين[6].

---

(1) Nigel Saul, Richard II …, p.158.
(2) Shepard Ashman Morgan, The history of Parliamentary Taxation in England, New York, 1911, p.197.
(3) https://erenow.net/biographies/chaucers-tale-1386-and-the-road-to/6.php.
(4) David Hume, Op. Cit., Vol. II, p.289.
(5) Matthew Giancarlo, Parliament and Literature in Late Medieval England, New York, 2007, p.165 – 166.
(6) Franck Bright, A history of England, Mediaeval monarchy from the Departure of the Romans to Richard III. 449 – 1485, London, 1887, p.247 – 248.

انبرى إيرل سافولك للدفاع عن نفسه، فأكد للبرلمان أن الفعاليات القتالية ضد فرنسا هي قرار جمعي يتحمل المجلس الملكي مسؤوليته[1]، وأن "**الحقد الشخصي عليه**"، جعلته عرضة لاتهامات البرلمان أكثر من باقي مستشاري الملك[2]، وبعد أن وصلت تلك الانباء الى الملك، قال باستخفاف: "**انني لن اعزل تافهاً من مطبخي بناءً على طلب البرلمان**"، وقرر تجاهل جلسات البرلمان[3]، لكن خطورة التحديات التي واجهتها البلاد، اجبرت الطرفين على إجراء تمخضت عن موافقة الملك على لقاء وفد يمثل البرلمان في قصر ايلثام الملكي، ومع أن الملك ارسل بطاقات دعوة إلى أكثر من أربعين شخصاً من كبار زعماء البرلمان[4]، لكن البرلمان تردد بعد أن حذره عمدة لندن نيكولاس اكستون من وجود مؤامرة ملكية لاعتقال اعضاء الوفد أو اغتيالهم أثناء وجودهم في القصر الملكي[5]، لذا اكتفى البرلمان بإرسال عم الملك دوق غلوستر وأسقف الي توماس اراندل(Bishop of Ely, Thomas Arundel)[6]، فأظهرا مع الملك جرأة شديدة انتهت إلى توجيه دوق غلوستر تهديداً مباشراً للملك، مفاده أن البرلمان قد يلجأ لوسائل عنيفة إذا استمر الملك على احجامه عن حضور جلسات البرلمان، وقد يواجه مصيراً مماثلاً لما واجهه إدوارد الثاني[7]، وأردف تهديده بمطالبة الملك بتعيين بعض مستشاريه في البرلمان ليستوضح منهم البرلمان على ما يشاء من شؤون الادارة والحكم، ويوجه من خلالهم نقاشاته وقوانينه إلى الملك[8].

أخذ الملك تلك التحديات الداخلية المقترنة بأخطار خارجية بنظر الاعتبار، فنزل عند ارادة البرلمان، وعين أسقف ألي في 23 تشرين الأول 1386 بدلاً عن كبير مستشاريه إيرل سافولك[9]، عزل امين الخزانة الملكية أسقف دورهام جون فيرهام (Bishop of Durham, John Fordham)، ومراقب الختم الملكي والتر سكارلو

(1) Henri Alexandre Wallon, Op. Cit., Vol. I, p.313 – 314.
(2) Clarke, M. V., The Lancastrian Faction and the Wonderful Parliament, Oxford, 1967, p.35 – 37.
(3) David Hume, Op. Cit., Vol. II, p.289 – 290.
(4) Henri Alexandre Wallon, Op. Cit., Vol. I, p.308 – 309.
(5) Paul Strohm, The Poet's Tale Chaucer and the year that made The Canterbury Tales, London, 2015, p.150.
(6) Matthew Giancarlo, Op. Cit., p.165.
(7) Jacob Abbott, Op. Cit., p.74.
(8) Kenneth H. Vickers, England in the later middle ages, Vol. III, London, 1913, p.272 – 273.
(9) Henri Alexandre Wallon, Op. Cit., Vol. I, p.311.

(Walter Skirlaw)[1]، وعين بدلهما شخصين ارتضاها البرلمان، واخضع الملك الجهاز المالي لمؤسسة العرش سنة كاملة تحت إشراف لجنة برلمانية عُرِفَتْ بـ "**اللوردات المستأنفين**" (Lords Appellant)[2].

تدارك ريتشارد الثاني تنازله آنف الذكر، وخاض قدماً في مواجهة برلمانه الذي كان في ذروة قوته، لرغبته في تأكيد سلطته المطلقة بوصفه ملكاً، وتجريد برلمانه من قدرته على كبح العرش الإنكليزي[3]، فرقى مستشاره إيرل اكسفورد روبرت دي فير إلى منصب دوق دبلن في تشرين الأول 1386 تزامناً مع الازمة المستشرية مع البرلمان، مما أضعف الأثر الإيجابي لاتفاق قصر ايثالم الذي مر ذكره، وأشعر البرلمان بعدم جدية الملك في التعاون معه، فعادت العلاقات إلى ما عبرت عنه المصادر بـ "**اسوأ أزمة سياسية منذ تسنم ريتشارد الحكم**"[4]، فانتقد البرلمان تجاوزات الملك، ونبه إلى زوال المبدأ التقليدي الذي سار عليه بعض ملوك إنكلترا السابقين في حكم البلاد على وفق السلطة المطلقة[5]، وزادت الامور سوءاً بسبب دعم البرلمان المطلق لإجراءات لجنة اللوردات المستأنفين[6]، وتجاوز تلك اللجنة مهامها، وقيامها بمراقبة تصرفات الملك، لاعتقادها أنها امتلكت تفويضاً قانونياً بذلك من البرلمان والملك ذاته[7]، وزاد اندفاع تلك اللجنة اللوردات في مناوأة الملك بعد أن فوض اليها البرلمان في 19 تشرين الثاني 1386 تسيير شؤون الحكم لسنة واحدة، فضلاً عن اشرافها السابق على الشؤون المالية لمؤسسة العرش، لتغدو حاكمة إنكلترا الفعلية[8]، كما أن تألفها من أقوى نبلاء إنكلترا زاد من اندفاع اعضائها[9]، إذْ تألفت من 13 عضواً أبرزهم : رئيسي أساقفة كانتربري ويورك، وأسقفي ونشستر واكستر، وإيرل اراندل ودوق غلوستر، وكان إيرل اراندل ودوق غلوستر أكثر الاعضاء تصدياً للملك وجرأة في انتقاده[10]، ولذا نبها اعضاء اللجنة إلى

(1) Roskell. J. S., The Impeachment of …, p.64.
(2) Samuel Rawson Gardiner, Op. Cit., p.150.
(3) J. P. McCall & G. Rudisill, The Parliament of 1386 and Chaucer's Trojan Parliament, UK, 1959, p.276 – 278.
(4) Nigel Saul, Richard II …, p.157 – 159.
(5) Charles M. Andrews, History of England, Boston, 1903, p.191 – 192.
(6) Gerald Harriss, Op. Cit., p.459.
(7) John Richard Green, Op. Cit., Vol. I, p.501.
(8) Henri Alexandre Wallon, Op. Cit., Vol. I, p.314 – 317.
(9) Allen C. Thomas, A history of England, Boston, 1913, p.158.
(10) Jacob Abbott, Op. Cit., p.75.

أن مدة سنة غير كافية لكبح جماح الملك، وصلاحيات اللجنة لا تكفي لتقييد سلطاته المطلقة، لكن الملك رفض التنازل عن مزيد من سلطاته، وأخبر لجنة اللوردات المستأنفين أن مهامها استشارية بحتة غير ملزمة للملك، والانكى أن الملك سرعان ما نقض قراره السابق بسجن إيرل سافولك مايكل دي لابول، فأطلق سراحه من قلعة كورفي وأعاد له إيرليته[1].

شرع الملك في مطلع عام 1387 بجولة في انحاء إنگلترا بهدف جمع أنصار له ضد البرلمان، ولإشعار لجنة اللوردات المستأنفين بتجاهل مؤسسة العرش لها، ووضعها في موقف صعب بسبب ابتعاده عن رقابتها[2]، ولضمان إنهاء ذلك الوضع، وفرض سلطته على مملكته تبنى ريتشارد الثاني اجرائين في منتهى الخطورة[3]، تمثل أولهما بالتفاوض سراً مع نظيره الفرنسي شارل السادس للتوصل إلى سلام يمكن ريتشارد الثاني من سحب أغلب قواته من فرنسا وسحق اعدائه الداخليين، وفعلاً ارسل ريتشارد الثاني في حزيران 1387 وسطاء إلى مدينة هانلت فاوضوا مندوبي التاج الفرنسي، وانتهوا إلى اتفاق مفاده تسليم ممتلكات التاج الإنگليزي في شمال فرنسا بضمنها مدينة كاليه[4]، مقابل اعتراف الفرنسيين بممتلكاته في جنوب فرنسا، وإعادة ما اقتطعوه منها في السجالات السابقة، واضعين ملك إنگلترا في موضع لا يحسد عليه أمام شعبه الذي كان حساساً ازاء الملف العسكري الفرنسي[5].

وتمثل الإجراء الداخلي في تبني الملك إجراءً خطيراً ضد لجنة اللوردات المستأنفين في آب 1387، حين استدعى سبعة قضاة ملكيين، وعقد معهم جلسة رسمية تمحورت حول سحب شرعية لجنة اللوردات المستأنفين والبرلمان ذاته، لصالح مؤسسة العرش[6]، وافتتح ريتشارد الثاني الجلسة بتأكيده للقضاة أنه ينوي تثبيت نظام متكامل يؤسس لامتيازات التاج واختصاصاته، كي يحاكم من يتجاوزها بوصفه خائناً للبلاد، بتهمة "**الانتقاص من سيده الملك**"، وأكد ضرورة وضع قيود قانونية على البرلمان تمنعه

(1) https://www.genealogieonline.nl/en/genealogie-richard-remme.
(2) Anthony Tuck, Crown and Nobility 1272 – 1461 Political Conflict in Late Medieval England. London, 1985, p.189.
(3) Kenneth H. Vickers, Op. Cit., Vol. III, p.273.
(4) Jonathan Sumption, Divided Houses the Hundred Years War, London, 2009, p.633.
(5) Ibid, p.633 – 634.
(6) Henri Alexandre Wallon, Op. Cit., Vol. I, p.325 – 326.

من التحكم في الملك ومؤسسة العرش بصورة عامة، ليستعيد سلطاته[1]، وسلم للقضاة وثيقة تضمنت ابرز محاور كلامه، وطلب منهم تصديقها لإضفاء شرعية عليها، ومع أن القضاء ابدوا تردداً لكنهم اضطروا لتصديقها تحت وطأة تهيد الملك بإعدامهم[2]، وفي الشهر ذاته جمع الملك قضاة المجلس الملكي في نوتنغهام (Nottingham)، وأبرز لهم وثيقة امتيازات التاج الإنكليزي التي صادقها القضاة في اجتماع شروزبيري، لإخضاع البرلمان لمؤسسة العرش على وفق الامتيازات الملكية الجديدة[3].

واستناداً للقرار السابق أوعز ريتشارد الثاني لشرفاء مقاطعات إنكلترا بعدم تنفيذ أوامر لجنة اللوردات المستأنفين وتوجيهاتها[4]، وتزامنت تلك التطورات مع انسحاب رئيس أساقفة يورك الكسندر نفيل (Alexander Neville) من البرلمان وانضمامه إلى الملك[5]، وامعاناً في التحدي اعاد ريتشارد الثاني إيرل سافولك مايكل دي لابول كبيراً لمستشاريه في الشهر ذاته، وصحبه معه إلى لندن في تشرين الثاني 1387[6]، حينها ادرك البرلمان الرائع ضرورة استخدام الحل العسكري ضد الملك[7]، وزادت قناعة البرلمان، ولجنة اللوردات المستأنفين تحديداً بحتمية القتال، بعد اكتشافهم المحادثات السرية بين مبعوثي العرش ونظرائهم الفرنسيين، الذي قرب احتمالات ابرام ملك إنكلترا معاهدة سلام تجعلهم أمام امر واقع لا قِبَلَ لهم به[8]، وكحل أخير شكل البارونات وفداً قابل الملك في برج لندن واجروا محادثات معه بينوا أثنائها قناعتهم أن هناك من استغلوه لخدمة مصالحهم الانانية، وقرروا جعل إنكلترا صيداً سهلاً للفرنسيين، وأن ذلك انتحاراً سياسياً سيدفع ريتشارد الثاني قبل سواه ثمنه، ووجه دوق غلوستر وإيرلي اراندل ودربي مزيد من الاتهامات للملك، لكن ريتشارد الثاني أصر على موقفه، وحين المح له الوفد احتمال استخدامهم السلاح ضده، انبرى قائلاً : "**افهم من كلامكم أنكم تودون امتشاق الحسام ضدي**"[9]، ثم طلب منهم المغادرة، قائلاً : "**لا يمتلك البرلمان حق رفع السلاح**

(1) Nigel Saul, Richard II …, p.171 – 173.
(2) Roskell. J. S., The Impeachment of …, p.54.
(3) Jacob Abbott, Op. Cit., p.75.
(4) Rev. Mr. Cooper, History of England From the Earliest period to the present time, London, 1842, p.31.
(5) Roskell. J. S., The Impeachment of …, p.52.
(6) Roskell. J. S., The Commons and their Speakers in English Parliaments 1376 – 1528, Manchester, 1965, p.131.
(7) Edouard Perroy, Op. Cit., p.185.
(8) Jonathan Sumption, Op. Cit., p.633.
(9) Arabella B. Buckley & W. J. Robertson, history of England, Toronto, 1891, p.87 – 88.

بوجهي بوصفي الملك"، فأجابه عمه دوق غلوستر بكلام ذا مغزى، قائلاً: "**لكنني ابن ملك أيضاً**"، وهكذا اضحى السجال وشيكاً، وهو ما سعى إِليهِ الملك، لسحق لجنة اللوردات المستأنفين وسواهم من معارضيه[1]، فأوعز سراً إلى مستشاريه دوق دبلن وإيرل اكسفورد روبرت دي فير بجمع ما تيسر له من انصار العرش للتحرك نحو لندن وسحق البرلمان ولجنة اللوردات المستأنفين، فتقدم روبرت دي فير وتوماس مولانيكس بجيش ناهز أربعة الف مقاتل نحو لندن[2].

نمت إلى مسامع البرلمان بموازاة تلك التطورات انباء عن موافقة ريتشارد الثاني على دعم عسكري فرنسي، لذا عبأ عم الملك، دوق غلوستر توماس وابن عمه إيرل دربي هنري بولنبروك (Earl of Derby, Henry Bolingbroke)، وباقي البارونات وأعضاء البرلمان جيشاً قارب عدده أربعة الاف وخمسمائة شخص[3]، وكمنوا في 19 كانون الأول 1387 لقوات عاهل إنكلترا قرب جسر رودكيت (Radcot Bridge) على نهر التايمز قرب مدينة اكسفورد، وحين اقترب الجيشان من بعضهما، خاضا معركة اظهر فيها البارونات تفوقاً على جيش ريتشارد الثاني منذ البدء[4]، فلجأ روبرت دي فير إلى الفرار تاركاً شريف تشيستر توماس مولانيكس وحده في الميدان، بيد أن روبرت دي فير ومن تبعه من جند وجدوا إيرل دربي ودوق غلوستر مرابطين على جسر رودكيت وجسر بادنيل (Pidnell Bridge) القريب منه لمنعه من الهرب[5]، فقفز نحو النهر وسط رشقات سهام الاعداء، فجرفه التيار بعيداً ثم هرب متنكراً إلى خارج إنكلترا[6]، ومع أن شريف تشيستر حاول الثبات أمام اعدائه بيد أنه مني بخسائر فادحة اضطرته للتقهقر بمن تبقى من قواته نحو النهر بعد أن أغلقت الجسور، فجرف التيار المئات من قواته وبعد نجاحه في العبور ذبحه السير توماس مورتيمر (Sir Thomas Mortimer) (1350 ـ 1403)، فانسحب ريتشارد الثاني مرعوباً من ساحة القتال نحو برج لندن مع

(1) John Richard Green, Op. Cit., Vol. I, p.502.
(2) Jonathan Sumption, Op. Cit., p.634.
(3) Franck Bright, Op. Cit., p.248.
(4) Kenneth H. Vickers, Op. Cit., Vol. III, p.275.
(5) Anthony Goodman, The Loyal Conspiracy The Lords Appellant under Richard II, London, 1971, p.129 – 130.
(6) A. D. Greenwood, History in biography Edward II to Richard III, Vol. II, London, 1912, p.79.

ثلة من انصاره[1]، وبعد بعض التصفيات ضد اتباع الملك، اتجه البارونات وبضمنهم اعضاء لجنة اللوردات المستأنفين في 27 كانون الأول 1387 إلى البرج، فرتبوا تشكيلاتهم أمامه، وحين أعلن الملك استسلامه اخضعه البارونات لاستجواب مهين، ومع أنهم هددوه بالإعدام أو الخلع بوصفه خائناً لبلاده، لكنهم لم يذهبوا إلى أبعد من إخضاعه لتوجهاتهم[2]، فأعتقلوا أغلب موظفي البلاط الملكي وقتلوهم، وهيمنوا على مؤسسة العرش، في ظل ملك فقد مقاليد سلطته[3].

استهل البرلمان جلساته في 3 شباط 1388، بسلسلة تصفيات ضد انصار الملك ومقربيه، حتى استحق إسم "**البرلمان القاسي**" (Merciless Parliament)، لأنه لم يكتف بإقرار التصفيات السابقة، بل استرسل فيها، معرضاً اتباع الملك إلى مصير الإعدام دون الاهتمام بمكانتهم وخدماتهم التي سبق أن قدموها لإنگلترا[4]، واللافت أن البرلمان نفذ معظم أحكامه دون محاكمات رسمية، كما أنه لم يجهد نفسه في تحري حقيقة التهم التي أُلْصِقَ قسمٌ منها ببعضهم لأسباب شخصية بحتة[5]، وكان بديهياً صدور احكام إعدام غيابياً بحق زعماء التمرد الأساسيين، روبرت دي فير ونيكولاس دي لابول بـ "**تهمة تظليل ملك إنگلترا، والاستيلاء على اموال الضرائب لصالحهم**"[6]، اما رئيس أساقفة يورك الكسندر نيفيل فلم يُنَفَذْ فيه حكم الإعدام لمكانته الدينية، وتمت مصادرة املاكه ونفيه خارج البلاد[7]، وكذا الحال مع أسقف تشيستر توماس روشوك (Bishop of Chichester, Thomas Rushhook)[8]، وقرر البرلمان معاقبة القضاة الملكيين السبعة الذين وفروا السند القانوني للعرش إزاء البرلمان، بتصديقهم على وثيقة

(1) Alastair Dunn, The Great Rising of 1381 the Peasants' Revolt and England's Failed Revolution, Stroud, 2000, p.162.
(2) Jonathan Sumption, Op. Cit., p.641.
(3) Samuel Rawson Gardiner, Op. Cit., p.151.
(4) Ibid, p.248 – 249.
(5) Jonathan Sumption, Op. Cit., p.643.
(6) Thomas Favent, History or Narration Concerning the Manner and Form of the Miraculous Parliament at Westminster, London, 2002, p.231 – 232.
(7) Anthony Goodman, The Loyal Conspiracy …, p.129 – 130.
(8) May Mskisack, The Fourteenth Century 1307 – 1399, Oxford, 1959, p.458.

الملك التي استند اليها لتوفير السند الشرعي لسحق البرلمان[1]، لذا فخضعوا لمحاكمة على الملأ انتهت بإدانتهم، ثم اعدامهم مباشرة[2].

ولا ريب أن ملف الحرب مع فرنسا شغل حيزاً مهماً من وقائع تلك الجلسات، لاسيما بعد حدوث تطورات صبت في مصلحة البرلمان بعد أن أرسل دوق بورغندي فيليب الجريء (Duke of Burgundy, Philip the Bold)، مبعوثين التقوا لجنة اللوردات المستأنفين وطالبوها بتنفيذ اتفاق الصلح الذي أبرمه مبعوثي الملك ريتشارد الثاني مع نظرائهم الفرنسيين، فطردتهم اللجنة، وجعلت ذلك الامر سبقاً لها لاستقطاب الراي العام الإنكليزي، من خلال ممثليه في مجلس العموم، ثم استبدلت القيادات الإنكليزية الموالية لعرش إنكلترا في مختلف قطاعات الجبهة الفرنسية، بأخرى موالية لها، وزودت القيادات الجديدة بتعليمات هدفها تغيير استراتيجياتها من دفاعية إلى هجومية[3]، لكنها حصلت في 21 شباط 1388 على مبلغ مقداره خمسة واربعين ألف مارك لا يتناسب مع التحديات العسكرية في الجبهة الفرنسية، مع وعود مبهمة بإرسال أموال اضافية لتجهيز دوريات بحرية إنكليزية جوالة في بحر المانش تحمي سواحل إنكلترا من اية اعتداءات فرنسية، أما داخليا فخاضت اللجنة قُدُمَاً في مسلسل التصفيات الذي امتد حتى 6 اذار 1388[4].

خضع البرلمان القاسي إلى رغبة لجنة اللوردات المستأنفين باجتثاث انصار الملك، فاستأنف جلساته في 12 اذار 1388 بوصفه محكمة ادانة[5]، وأثناء شهري نيسان وأيار حوكمت هيئات مهمة في مؤسسة العرش، منها فرسان غرفة ريتشارد الملكية[6]، اعقبتها محاكمة مبعوثي ريتشارد الثاني لإبرام السلام مع فرنسا، مما أحدث رعباً بين الأشخاص متورطين أو مشتبه بهم أو لديهم خلافات شخصية مع بعض اعضاء البرلمان ولجنة اللوردات المستأنفين، فهرب شطر منهم إلى ريف إنكلترا أو خارجها[7]، وفي الاسبوع الأول من أيار خصص البرلمان إحدى جلساته لمحاكمة فارس

(1) David Hume, Op. Cit., Vol. II, p.295.
(2) Sharles Henry Parry, The Parliament and Councils of England Chronologically Arranged From the Reign William I to the revolution in 1688, London, 1839, p.151 – 152.
(3) Jonathan Sumption, Op. Cit., p.646.
(4) Ibid, p.644 – 646.
(5) Ibid, p.646.
(6) May McKisack, Op. Cit., p.458.
(7) John Richard Green, Op. Cit., Vol. I, p.504.

إنكليزي مشهور شغل منصب مستشار الأمير الأسود في المراحل الأولى من الصراع ضد فرنسا، هو السير سيمون بيرلي، ومع أن شطر من النبلاء ـ وفي مقدمتهم عم الملك دوق يورك ادموند لونغلي ذا النفوذ المؤثر المسند بكتلة مهمة في البرلمان ـ توسطوا لدى لجنة اللوردات المستأنفين للعفو عن السير سيمون بيرلي، بحكم الخدمات التي قدمها لإنكلترا، ولعلاقاته الواسعة مع أغلب نبلائها، لكن الطلب أُهْمِلْ، حينها بلغ طلب ريتشارد الثاني من لجنة المستأنفين قبول اعتراض اللورد لونغلي[1]، فتصدى له عمه دوق غلوستر ونشب جدالاً بين الرجلين كاد يتطور إلى عراك بالإيدي لولا تدخل بعض أعضاء البرلمان، ثم انبرى دوق غلوستر قائلاً للملك بنبرة ملؤها التهديد: "**اذا أردت الاحتفاظ بتاجك، فتوقف عن الدفاع عن أصدقائك**"، فسكت الملك على مضض، وتمت ادانة سيمون بيرلي، ونفذ فيه الحكم في 5 أيار 1388، وفي جلسات لاحقة أُدين مزيداً من الحاشية الملكية مثل جيمس باريت (James Baret)، جون لوكتون (John Locton)، روبرت بيلكناب (Robert Bealknap)، جون بيكامب (John Beauchamp)، روجر فولثورب (Roger Fulthorp)، مسؤول الخزانة الملكية جون كاري (John Cary)، وعشرات سواهم، بل أن عوائل بكاملها قَضتَ في تلك التصفيات[2].

أسهمت متغيرات في اختلاف نمط علاقة لجنة اللوردات المستأنفين والملك، بما صب في مصلحة الأخير، لاسيما بعد اختلاف توجهات قوىً متنفذة في البرلمان مع تلك اللجنة بالصورة التي أضعفت نفوذها وحددت مساراتها بشكل متزايد، وبدا ذلك الأمر في تهديد دوق يورك بإنهاء تحالفه مع اعضاء تلك اللجنة احتجاجاً على اعدام السير سيمون بيرلي[3]، كما أن حدوث سلسلة تمردات فلاحية في جنوبي إنكلترا وغربيها، لاسيما مدينة كنت أواخر نيسان والشهر الذي تلاه، أشغل اللجنة وخفف ضغوطاتها نوعاً ما على الملك، فانصرفت اللجنة لمناقشة مسائل فنية ومالية روتينية حتى انفضاض البرلمان في 4 حزيران 1388[4]، وبعد التئام جلسات البرلمان في كامبردج في أيلول 1388، ابدى مجلس العموم نقداً شديداً لأداء لجنة اللوردات المستأنفين في الحكومة والبرلمان على حدٍ سواء، واوجز المجلس انتقاده للجنة بأنها اهتمت اساساً بتدمير من تبقى من مؤيدي الملك على حساب مصلحة البلاد، وتناقص دعم مجلس العموم للجنة اللوردات

(1) Jonathan Sumption, Op. Cit., p.645 – 646.
(2) Jonathan Sumption, Op. Cit., p.645 – 647.
(3) Kenneth H. Vickers, Op. Cit., Vol. III, p.275, 277 – 278.
(4) Jonathan Sumption, Op. Cit., p.646.

المستأنفين باضطراد حتى كاد يتلاشى أواخر العام 1388[1]، مع أن لجنة اللوردات المستأنفين ظلت تسيطر على سياستي إنگلترا الداخلية والخارجية ما تبقى من عام 1388، وشطرٍ من العام الذي تلاه، وجعلت ريتشارد الثاني دميتها[2].

شكلت عودة دوق لانكستر جون النحيف العم الأكبر للملك ريتشارد من اسبانيا إلى إنگلترا أواخر 1389، فرصة لتخلص الملك من استحوذ لجنة اللوردات المستأنفين، بسبب رغبة دوق لانكستر بإنهاء التطرف في سياستي إنگلترا الداخلية والخارجية[3]، وإنهاء التوتر الذي حدث بين أركان الحكم والادارة في مؤسستي البرلمان والعرش، التي تزامنت مع توجس مجلس العموم من إجراءات لجنة اللوردات المستأنفين التي انتهت إلى فشل ذريع في الملف الداخلي، وإخفاق في الملف الخارجي على صعيد الحرب مع فرنسا تزامناً مع اختراق جيوش إسكتلندا لاجزاء كبيرة من شمال إنگلترا[4]، المقترن بشعور الملك ريتشارد بمرارة شديدة بسبب الاذلال الذي تعرض له[5]، ورغبته في الانتقام ممن أسهموا في تدميره[6]، وفور استعادة ريتشارد الثاني مقاليد الحكم في 3 أيار 1389، حمل لجنة اللوردات المستأنفين الذين وصفهم بـ "**السيئين**" جميع ما حاق بإنگلترا [7].

وركز ريتشارد الثاني في الملف الخارجي على إنهاء التوتر مع فرنسا تمهيداً لإجراء مصالحة شاملة معها، توافقاً مع توجه في الملف الداخلي هدفه تقليل العبء الضريبي على السكان لكسب ولائهم، ومصالحة بعض ذوي النفوذ من بارونات إنگلترا وأساقفتها، وسواهم من مناوئي الملك غير المتورطين في قتل مستشاريه وانصاره، وهي سياسة أراد من ورائها ترسيخ حكمه، وفرض سلطة مطلقة تجتث ما حققه البرلمان من سلطات في عهود اسلافه، فضلاً عن تصفية حساباته مع لجنة اللوردات المستأنفين[8].

أبرم الملك ريتشارد هدنة لولنكهام (Truce of Leulinghem) مع فرنسا في 18 حزيران 1393، وأدار محادثات سلام مع الفرنسيين على اساس توسيع إقطاعية اكيتاين

(1) Sharles Henry Parry, Op. Cit., p.152 – 153.
(2) John Richard Green, Op. Cit., Vol. I, p.503.
(3) Gerald Harriss, Op. Cit., p.468 – 469.
(4) John Richard Green, Op. Cit., Vol. I, p.500.
(5) Gerald Harriss, Op. Cit., p.468 – 469.
(6) John Richard Green, Op. Cit., Vol. I, p.503.
(7) Nigel Saul, Richard II …, p.367.
(8) W. C. Oman, Op. Cit., p.89.

الفرنسية التابعة للتاج الإنكليزي، بيد أن إصرار الفرنسيين على تبعية عاهل إنكلترا لنظيره الفرنسي بوصفه سيده الإقطاعي الاعلى انعكست سلباً على الراي العام الإنكليزي، وأفشلت المحادثات[1]، وسرعان ما انتهى الطرفان عام 1396 إلى اتفاق بزواج سياسي بين ريتشارد الثاني وايزابيلا ابنة عاهل فرنسا شارل السادس، كان من نتائجه قناعة البلدان باستمرار الهدنة ما تبقى من عهد ريتشارد الثاني[2]، وهنا اعتقد ريتشارد أن الوقت غدا مناسباً للانتقام من اعدائه، لاسيما دوق غلوستر، وإيرلات دربي وارويك واراندل بوصفهم الرباعي الأبرز من أعضاء لجنة اللوردات المستأنفين ممن شكلوا خطراً دائماً عليه، فوضع مخططاً شاملاً للانتقام منهم بوسائل شتى[3]، فتم اعتقال دوق غلوستر وإيرلي اراندل ووارويك في تموز 1397[4]، بتهمة دورهم المناوئ للملك في احداث الأعوام 1386 – 1388[5]، وفي أيلول 1397 حوكم إيرل اراندل وأُعدم فوراً[6]، وحُوكِمَ دوق غلوستر في وستمنستر في 17 أيلول 1397، وتم نفيه إلى كاليه ثم قُتل في[7]، وأُخْضِعَ توماس مورتيمير في 21 أيلول 1397 لمحاكمة مماثلة عن قتله شريف تشيستر توماس مولانيكس، فَحُكِمَ بالإعدام ثم صُودرت ممتلكاته ونُفي خارج إنكلترا بعد توسط بعض النبلاء[8]، ولاقى إيرل وارويك المصير ذاته، حين أُبْدِلَ حكم الإعدام بمصادرة ممتلكاته ونفيه إلى إحدى الجزر النائية بسبب شفاعة بعض النبلاء[9]، وكذا الحال مع رئيس أساقفة كانتربري الذي تورط في اهانة الذات الملكية سابقاً[10].

ويحسب لريتشارد الثاني تبنيه سياسة ذكية لمنع معارضة البارونات لإجراءاته، من خلال منحهم أغلب ممتلكات نظرائهم ممن تورطوا سابقاً في مناوأته، كما آلب بعض العوائل على نفسها حين عاقب بعض افرادها، ورفد أخوانهم وبني عمومتهم بممتلكاتهم وألقابهم، فأبناء جون النحيف مثلاً هنري بولنبروك وجون بيوفورت (John Beaufort)،

---

(1) Ibid, p.367 – 368.
(2) Samuel Rawson Gardiner, Op. Cit., p.152.
(3) A. D. Greenwood, Op. Cit., p.80.
(4) Nigel Saul, Richard II …, p.371– 375.
(5) Gerald Harriss, Op. Cit., p.479.
(6) Frank T. Marzials, Op. Cit., p.226.
(7) Jean Froissart, Op. Cit., Vol. II, p.184.
(8) Chris Given Wilson, Chronicles of the Revolution 1397 – 1400 the Reign of Richard II, New York, 1993, p.58.
(9) W. C. Oman, Op. Cit., p.93.
(10) Franck Bright, Op. Cit., p.252.

انعم عليهما بدوقيتي هارفورد واوميل على التوالي، وسواهم عشرات ممن أخذ الملك ممتلكات اقاربهم وألقابهم، ومنحها لهم، ليقلب طبقة البارونات على نفسها، وهو ما نجح فيه الملك إلى حدٍ كبير[1]، لكن الملك بالغ في سياسة الانتقام، وتفنن في تنفيذها بوسائل بشعة، ليس أخرها ارسال لجان تحقيقية إلى عموم مقاطعات إنگلترا حاكمت عشرات من مسؤوليها المحليين المتهمين بولائهم إلى لجنة اللوردات المستأنفين، فأعدمت بعضهم، وصادرت ممتلكات البعض الأخر بالصورة التي انتهت إلى خلق تيار معارض لمؤسسة العرش[2]، كما أنه انقلب على بعض اعدائه الذين اشترى ذممهم من قبل، في إطار حرصه على الإنفراد بهم واحداً تلو الأخر للتخلص منهم في النهاية، وهو ما حصل مع كثيرين[3]، ومنهم هنري بولنبروك ابن عمه جون النحيف الذين نفاه الملك إلى فرنسا في 16 أيلول 1398، وصادر املاكه[4].

ويبدو أن ذلك التوجه، كان مدخلاً لفرض سلطة ملكية مطلقة غيرت معادلة توازن القوى السياسية التي ألفتها إنگلترا سابقاً[5]، فقد انتهز ريتشارد الثاني سقوط اعدائه الذين شكلوا ارقاماً صعبة، ليحظى بسلطة شبه مطلقة لاقى من يناوئها النفي أو القتل[6]، وأقحم مفاهيم سياسية تناغمت مع توجهاته السلطوية، فأمر أن تغير مخاطباته الملكية من "**سمو الملك**" إلى "**صاحب الفخامة الملكية**"، ومنع الحديث في بلاطه دون إذنه، وإن استمر الصمت ساعات طوال، واوعز إلى من ينظر إليهِ بالجثو على ركبتيه حتى يشيح بناظره عنه، وهي ارهاصات دلت على مدى حماسته لإخضاع الجميع له بوصفه الملك الذي لا يستطيع أياً كان تجاوزه أو التمرد عليه[7]، وأمر ريتشارد الثاني عام 1398 باجتماع البرلمان في شروزبيري، واستصدر منه قراراً ببطلان جميع تدابير البرلمان القاسي[8]، ثم اختزل ريتشارد الثاني قوة البرلمان وسلطته في لجنة مؤلفة من ثمانية عشر عضواً من الموالين له، اثنتا عشر منهم بارونات والستة الباقين من البرجوازيين، مما اشر وقوع إنگلترا تماماً تحت استبداد مؤسسة العرش، لاسيما بعد قرار ريتشارد الثاني

(1) May McKisack, Op. Cit., p.483 – 484.
(2) Frank T. Marzials, Op. Cit., p.243 – 244.
(3) A.D. Greenwood, Op. Cit., p.84.
(4) W. C. Oman, Op. Cit., p.89.
(5) Frank T. Marzials, Op. Cit., p.234 – 235.
(6) A.D. Greenwood, Op. Cit., p.84.
(7) Nigel Saul, Richard II …, p.340 – 341.
(8) A.D. Greenwood, Op. Cit., p.83.

عدم دعوة البرلمان للاجتماع مستقبلاً إلا بأمر ملكي[1]، حينها أصبح واضحاً للجميع مغزى سياسة ريتشارد، فتواصل البارونات مع نظرائهم المنفيين في فرنسا للتخلص منه[2]، وكان عدم انجاب ريتشارد وريثاً للعرش من بين الأمور التي شجعت مناوئيه على استبداله بأحد أبناء عمومته[3].

المبحث الخامس

تمرد هنري بولينغبروك ضد عاهل إنكلترا ريتشارد الثاني عام 1399

شكلت وراثة الملك ريتشارد الثاني مشكلة مزمنة استشرت عبر الزمن، بسبب عدم انجابه وريثاً، وبسبب خلافه مع بني عمومته، اختار عام 1385 إيرل مارس الرابع وريثاً له، بوصفه حفيداً للملك إدوارد الثالث من ابنته فيليبا[4]، لكنه عدل عن اختياره السابق ووعد ابن عمه هنري بولنغبروك بوراثة عرشه عام 1387، ووصلت علاقة الرجلين ذروتها، حين أنعم ريتشارد الثاني على هنري بولنغبروك وأخيه جون بيوفورت في 29 أيلول 1397، بدوقيتي هيرفورد (Duchy of Hereford) وأوميل (Duchy of Aumale) لكن علاقتهما تغيرت جذرياً بعد أن انقلب ريتشارد الثاني على هنري بولنغبروك فصادر املاكه واقطاعاته، ونفاه إلى فرنسا في 16 أيلول 1398[5]، ثم فرض سلطة ملكية مطلقة غيرت موازين القوى السياسية التي ألفتها إنكلترا فيما سبق[6]، منتهزاً سقوط اعدائه الذين شكلوا ارقاماً صعبة، ليحظى بسلطة شبه مطلقة لاقى من يناوئها النفي أو القتل[7].

شعر هنري بولنغبروك بحيف شديد، لاسيما انه منذ بواكير حياته اعتقد أن جده إدوارد الثالث ترك وصية مفادها حصر توريث عرش إنكلترا في خطه الذكوري، الذي بموجبه يصبح وريث ريتشارد الثاني وولي عهده، لكن ريتشارد الثاني لم يُقرّ قط بوجود

---

(1) Franck Bright, Op. Cit., p.252.
(2) Andre Maurois, A history of England, Translated from the French by Hamish Miles, London, 1917, p.180.
(3) Nigel Saul, Richard II …, p.196 – 197.
(4) Nigel Saul, Richard II …, p.145.
(5) W. C. Oman, Op. Cit., p.89.
(6) Frank T. Marzials, Op. Cit., p.234 – 235.
(7) A.D. Greenwood, Op. Cit., p.84.

مثل تلك الوثيقة، وربما يكون قد أتلفها[1]، واستشرى هنري غضبه بعد معرفته بميل الملك ريتشارد لتوريث العرش إلى عمه الباقي على قيد الحياة إدموند من لانغلي (Edmund Langley) دوق يورك (Duke of York)، على أن يخلفه ابنه وشقيق ريتشارد بالتبني إدوارد دوق أوميل (Edward, Duke of Aumale)[2]، فضلاً عن رفع اسم هنري من قائمة الخط الذكوري للملك إدوارد الثالث، لتجريده من حقه في وراثة العرش[3]، ومن المناسب هنا التأكيد على أن أسباب تمرد هنري على ابن عمه ريتشارد شهدت منحاً تصاعدياً بدءاً بمطالب هنري بحقوقه الشخصية في إرث والده، مروراً باحتجاج هنري على اعادة ريتشارد الثاني صياغة أمر مفتقر للشرعية لتبرير إقصائه، بالضد من وصايا سلفه إدوارد الثالث، وتعديل ترتيب خلافته لصالح عمه إدموند من لانغلي دوق يورك[4]، وانتهاءاً بإعلان هنري خائناً ونفيه، مما جرده من أهليته في تراتبية السلطة[5].

وشهد استبداد الملك ريتشارد الثاني تطوراً نوعياً حين تبنى نهجاً دكتاتورياً اقحم مفاهيم سياسية تناغمت مع توجهاته السلطوية، فأمر أن تغير مخاطباته الملكية من "**سمو الملك**" إلى "**صاحب الفخامة الملكية**"، ومنع الحديث في بلاطه دون إذنه، وإن صمت ساعات طوال، واوعز إلى من ينظر إليهِ بالجثو على ركبتيه حتى يشيح بناظره عنه، وهي ارهاصات دلت على رغبته في إخضاع إنگلترا على اختلاف فئاتها لحكمه المطلق[6]، بدلالة قراره عدم دعوة البرلمان للاجتماع إلا بأمر ملكي[7]، حينها أصبح واضحاً للجميع مغزى سياسة ريتشارد، فتواصل بارونات إنگلترا سراً مع نظرائهم المنفيين في فرنسا وعلى رأسهم هنري بولنغبروك للتخلص منه[8]، وكان عدم انجاب ريتشارد وريثاً للعرش من بين الأمور التي شجعت مناوئيه على الاستعاضة عنه بأحد أبناء عمومته المتوافقين مع التوجهات العامة لبارونات إنگلترا وبرلمانها، وفي مقدمتهم هنري[9].

---

(1) Ibid, p.194.
(2) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous King, Printing and Publishing Company Rosetta Books, London, 2014, p.193.
(3) Michael Bennett, Edward III Entail and the Succession to the Crown, 1376 – 1471, The English Historical Review, No 113, Published By: Oxford University Press, 1998, p.333.
(4) سجى جمهور حميد درويش، المصدر السابق، ص39.
(5) Ian Mortimer, Henry IV : The Righteous …, p.194.
(6) Nigel Saul, Richard II …, p.340 – 341.
(7) Franck Bright, Op. Cit., p.252.
(8) Andre Maurois, Op. Cit., p.180.
(9) Nigel Saul, Richard II …, p.196 – 197.

شكلت وفاة ـ عم ريتشارد الثاني ـ دوق لانكستر جون النحيف في 3 شباط بداية انهيار سلطة الملك ريتشارد الثاني[1]، لأظهاره سلوكاً قاسياً مع ابني عمه المتوفى، ومنعهم من المجيء إلى إنكلترا لحضور جنازته، كما أعلن مصادرة ألقاب عمه وممتلكاته إلى التاج الإنكليزي، مما أثار حفيظة بارونات إنكلترا الذين عدوا تلك التصرفات وسواها سوابق لتجريدهم من امتيازاتهم وفقاً لتوجهات ملك موتور، لا يقيم لهم وزناً[2]، وزاد الأمر سوءاً بعد إعلان ريتشارد الثاني تمديده نفي ابن عمه هنري بولنغبروك

من عشر سنوات إلى مدى الحياة[3].

ويبدو أن خطورة تلك الإجراءات أدت إلى فقدان ريتشارد الثاني دعم نبلاء عائلات الشمال، وعلى رأسهم عائلتي بيرسي (Percys) ونيفل (Nevilles) الذين لم ينضموا لهنري حباً فيه، بل لأنهم رأوا في تصرفات ريتشارد ضد إيرلية لانكستر سابقة خطيرة قد تُطبق عليهم مستقبلاً، لاسيما أن هنري بولنغبروك لم يبدأ تمرده للاستيلاء على العرش، بل تحت شعار استرجاع حقوقه في وراثة إيرلية لانكستر[4].

وتهيأت فرصة ثمينة لهنري بولنغبروك حين ارتكب ريتشارد الثاني خطأً فادحاً بمغادرته إنكلترا لقيادة حملة عسكرية في إيرلندا في أيار 1399، تاركاً البلاد في عهدة عمه دوق يورك الذي لم يتمتع بقوة كافية، فحدث فراغاً سياسياً شجع هنري على القدوم إلى إنكلترا[5]، ودعمه في ذلك البارونات المنفيون الذين نسقوا مع نظرائهم في إنكلترا للتخلص من ريتشارد الثاني، وتلقى هنري بولنغبروك أيضاً دعماً من دوق اورليان لويس الذي لم ترق له سياسة تقارب التاجين الفرنسي والإنكليزي لأسباب خاصة به[6]، فشجع هنري والنبلاء المنفيين في باريس على العودة إلى إنكلترا في مطلع حزيران 1399، للتحرك ضد الملك المشغول بحملته الإيرلندية[7]، فتريث هنري في الموافقة ليقينه أن

(1) John A. Wagner, Encyclopedia of the Hundred Years War, London, 2006, p.44.
(2) Jean Froissart, Op. Cit., Vol. II, p.203 – 205.
(3) Frederica Rowan, Op. Cit., p.110 ; Samuel Rawson Gardiner, Op. Cit., p.152.
(4) Michael Bennett, Richard II and the Revolution of 1399, Sutton Publishing Limited, UK, 1999, p.71 – 77.
(5) Michael Bennett, Edward III Entail …, p.333.
(6) Nigel Saul, Richard II …, p.406 – 407.
(7) Gerald Harriss, Op. Cit., p.486 – 487.

تركه المنفى ليس مجرد مناورة، بل مغامرة قد تنتهي إلى اعدامه بتهمة الخيانة العظمى، كما أنه رغم الدعم الذي وعده به إيرلا ويستمورلاند (Earl of Westmorland) ونورثمبريا (Earl of Northumberland) لم يضمن ولاء البارونات وافتقر إلى قوة عسكرية مكافئة لجيوش حامي المملكة دوق يورك، لكنه اقتنع بالتمرد على الملك بعد وصول رسائل دعم له من رفاقه، مثل توماس ريمبستون (Thomas Rempston)، جون نوربيري (John Norbury)، وتوماس إيربينغهام (Thomas Erpingham)[1].

هيأ هنري بولنغبروك استحضارات رحلته بسرعة لكنه لم يجاهر بوجهته إلى البلاط الفرنسي الذي كان في ضيافته، لأن ريتشارد الثاني كان زوج ايزابيلا ابنة الملك شارل السادس، وضامن السلام بين المملكتين، ومن مصلحة الملك الفرنسي حمايته[2]، كما أن سرية وجهته كانت شرطاً رئيساً لنجاح مهمته، لذا قابل الملك الفرنسي وطلب اذنه لمغادرة فرنسا إلى اسبانيا، وقبل إبحاره حرص هنري على تعزيز شرعيته الدينية والاجتماعية عبر زيارة دير سان دوني (Saint-Denis Abbey)، واعداً باستعادة حقوق رهبانه في دير هيرست (Deer hurst Abbey) في غلوستر، وهو الوعد الذي التزم به لاحقاً بعد اعتلائه العرش، مما عكس ذكاءه في بناء شبكة ولاءات حتى قبل وصوله إلى السلطة، ومع أن المؤرخ فرويسارت زعم أنه رحل من بريتاني[3]، لكن اغلب المصادر شددت على أنه أبحر بمن معه فعلاً في أواخر حزيران 1399 من ميناء بولوني[4].

وحرص هنري بولينغبروك اثناء رحلته على التضليل المعلوماتي والمناورة الجغرافية، فأبحر بمحاذاة الساحل، تزامناً مع استيلاء رفيقه السير جون بيلهام (Sir John Pelham) على قلعة بيفينسي (Pevensey Castle) التي تقع في الجنوب لتشتيت انتباه القوات الملكية، ثم رست سفن هنري في كرومر (Cromer) ونشرت أخبار كاذبة عن موضع إنزال جيش، لحماية جيشه الصغير الذي لم يتجاوز 300 مقاتل، من بينهم 15 فارساً فقط، وهي قوة لا تستطيع الصمود أمام أي مواجهة نظامية مبكرة في حال

(1) John J. Manning, The Life and Raigne of King Henrie IIII, Part One, Vol. 42, Royal Historical Society, London, 2003, p.5.
(2) Thomas Johnes, The Chronicles of Enguerrand de Monstrelet, vol 2, Printed for Longman, Hearst, Rees, Orm, and Brown, Paternoster Row; J. White & Co., Fleet Street, London, 1853, p.18-19.
(3) Sir John Froysart, Records England, France, Spain and neighboring countries, Volume Two, Colonial Press, No date, p.686.
(4) Gerald Harriss, Op. Cit., p.486 – 487.

كشفها[1]، ثم رسى في منطقة رافينسبور (Ravenspur) عند مصب نهر همبر (Humber River)، في 4 تموز 1399، في وقت افتقدت فيه شبكة جواسيس دوق يورك معلومات عنه، وتضاربت الأنباء الاستخباراتية حول وجهته الفعلية[2].

استفاد هنري من حالة الإرباك التي أصابت إدموند، دوق يورك، فتحرك بسرعة شمال بعيداً عن لندن، ثم استولى بدعم حلفائه على مراكز مهمة منها: دير بريدلينغتون (Bridlington Priory)، ومع أن لقائه إيرل نورثمبريا وابنه هوتسبير (Hotspur) في قلعة بيكرينغ (Pickering Castle) في 7 تموز، قد وفر له قاعدة عملياتية أولية[3]، لكنه الفى نفسه أمام مأزق لأن إليزابيث مورتيمر (Elizabeth Mortimer) زوجة هوتسبير من أسرة إدموند مورتيمر (Edmund Mortimer)، المنافس القوي لهنري على العرش، لذا كان لزاماً عليهم تقييد طموح هنري بضمانات علنية وقسم ملزم[4]، فأقسم هنري حسب بعض الروايات على رفات بريدلينغتون (Bridlington) أن غايته استرداد إيرلية لانكستر، وإصلاح البلاط الملكي وعدم فرض ضرائب دون موافقة البرلمان، وبقاء ريتشارد ملكاً اسمياً تحت إشراف النبلاء، حينها حظي هنري بمكانة شبه ملكية تجاوزت رتبة الدوق[5].

ويحسب لهنري انه اظهر دهاءاً سياسياً في اضافة فقرة عدم استيلائه على العرش بالقوة إلى قسمه، مما مكنه لاحقاً من اعتلاء العرش ليس كمغتصب عبر القوة العسكرية، بل لملء الفراغ الدستوري بعد استقالة ريتشارد الطوعية ظاهرياً[6]، وفي اليوم التالي اتجه هنري إلى قلعة نارسبورو (Knaresborough Castle) التي استسلمت له بعد مدة وجيزة من حصارها[7]، وحين وصل إلى معقل عائلته الحصين في قصر بونتفراكت (Pontefract Castle) في 10 تموز، انضم إِليهِ روبرت واترتون (Robert Waterton)

---

(1) Ian Mortimer, Henry IV : The Righteous …, p.199.
(2) Michael Bennett, Richard II and the …, p.154.
(3) سجى جمهور حميد درويش، المصدر السابق، ص150.
(4) G. L. Harriss, Cardinal Beaufort: a Study of Lancastrian Ascendancy and Decline, Clarendon Press, London, 1988, p.82.
(5) James Sherborne, Perjury and the Lancastrian Revolution of 1399, Welsh History Review, Vol 14, Bloomsbury Academic, U.K., 1988, p.219.
(6) Chris Given Wilson, Records of the Revolution 1397 – 1400 Reign of Richard II, London, 1993, p.192 – 194.
(7) سجى جمهور حميد درويش، المصدر السابق، ص150.

وحشود من نبلاء يوركشاير ولانكشاير (Lancashire) فزاد جيشه إلى نحو 30 ألف مقاتل عند وصوله إلى دونكاستر (Doncaster)، ثم ليستر في 20 تموز 1399، مما عكس قوة الولاءات التقليدية لاتباع والده، الذين رأوا فيه الوريث الشرعي للمملكة ومنقذها، محولين فصيله الصغير إلى جيش لا يقهر[1].

أدرك هنري عند وصوله إلى ليستر أن عامل الوقت هو التحدي الأكبر، فالحشود الضخمة يصعب إطعامها والحفاظ على حماسها لمدة طويلة، لذا اتخذ قراراً إستراتيجياً بالتحرك نحو الوصي دوق يورك بدلاً من الزحف نحو لندن، وفي الوقت نفسه عانى الدوق إدموند حالة من الارتباك العسكري والمرض الجسدي، فبسبب إصابته بالتهاب المفاصل الحاد وعجزه عن حشد جيش كفؤ يستطيع الوقوف أمام جيش هنري، اضطر الدوق للانسحاب من أكسفورد نحو الغرب، بينما هرب أعضاء المجلس الملكي نحو بريستول، ثم استقر الدوق إدموند في قلعة بيركلي، تاركاً فراغاً سياسياً في قلب إنگلترا مهد الطريق لهنري للسيطرة على مقاليد الأمور قبل عودة ريتشارد من إيرلندا[2]، وصحت توقعات هنري حين عاد الملك ريتشارد الثاني إلى إنگلترا في 24 تموز 1399، ليجد نفسه في وضع دقيق، اصبحت إنگلترا فيه عملياً تحت هيمنة هنري بولنغبروك[3].

وشهدت أواخر تموز 1399 انهياراً فعلياً لسلطة الملك ريتشارد الثاني، فقد انتقل الثقل السياسي في تلك المرحلة من المواجهة العسكرية إلى التفاهمات العائلية والدبلوماسية، بين هنري وعمه الدوق، فالتقيا داخل الكنيسة المجاورة لقلعة بيركلي، واستطاع هنري إقناع الدوق إدموند أن وقوفه مع الملك ريتشارد الثاني سيسبب حرباً أهلية دموية من اجل الدفاع عن نظام استبدادي[4]، وبعد أن حصل على تأييد عمه انتقلا سوية نحو بريستول، المعقل الأخير لاتباع الملك ريتشارد الثاني، ففرضا حصاراً انتهى إلى انهيار الروح المعنوية داخل القلعة، ورغم الرفض الأولي للقائد بيتر كورتيناي

(1) John Taylor, Wendy R. Childs & Leslie Watkiss, The St Albans Chronicle: the Chronica Maiora of Thomas Walsingham, 1376–1394, Oxford, London, 2003, p.122.
(2) Benjamin Williams, Chronicque de la Traïson et Mort de Richart Deux Roy Dengleterre, Published Aux dépens de la Société, London, 1846, p.180 – 181.
(3) Edith Thompson, Op. Cit., p.117.
(4) Douglas Biggs, A wrong whom conscience and kindred bid me to righ: a reassessment of Edmund Langley, duke of York, and the usurpation of Henry IV, magazine Albion, Vol 26, no 2, Published By: The North American Conference on British Studies, Chicago, 1994, p.244.

(Peter Courtenay)، للاستسلام إلا أن عرض إيرل نورثمبريا العفو عن المستسلمين أدى إلى فرار جماعي للحامية عبر الأسوار والنوافذ، وبفتح بوابات بريستول في 29 تموز 1399 سقطت آخر خطوط الدفاع الملكية[1]، وانتهت قوة الملك لريتشارد الثاني تماماً، فأعدم هنري بولينغبروك اتباع الملك المقربين وليام سكروب (William Scrope) إيرل ويلتشير، وجون بوسي (John Bussy)، وهنري غرين (Henry Green) بتهمة الخيانة العظمى[2].

وبدت شعبية هنري في استقبال السكان له بهتاف ذا طابع ديني هو **(مباركٌ الآتي باسم الرب)**، ولم يعد هنري في نظرهم مجرد متمرد، بل بطل جاءت به معجزة، ورأى فيه شعراء مثل تشوسر (Chaucer) وجوير (Gower) مصلحاً قادراً على إنهاء المظالم، ووظفت ماكنة هنري الإعلامية النبوءات القديمة لإضفاء صيغة إلهية على تحركاته، مما وفر له غطاءً شرعياً تجاوز العقبات القانونية، لكن ما اقلقه ان وضعه القانوني ظل قلقاً، فالمملكة كانت أمام خيارين أحلاهما مر، هما: دعم الملك المستبد ريتشارد بذريعة الولاء للملك الشرعي، أو الخيانة بدعم هنري العادل[3]، فكان المخرج الصدام بالملك، لكن الملك ريتشارد الثاني تجنب الصدام بسبب انهياره النفسي، فترك جيشه، وهرب متخفياً مع مقربيه[4]، من كارمارثين (Carmarthen) إلى شمال ويلز بسبب توجسه من خيانة قادة جيشه بعد اكتشاف مؤامرة دبرها له دوق أومالي وتوماس بيرسي (Thomas Percy) وللاحتماء بمعاقل رماة تشيشاير (Cheshire Archers)[5].

استغل هنري ما حصل لتنظيم ادارة المملكة، بصلاحيات ملكية فعلية، فعيّن إيرل نورثمبريا في 2 أب 1399 حاكماً للحدود، مستخدماً ختماً ذا شعار ملكي، في اشارة ضمنية عن انتقال السلطة إليه، بسبب الفراغ السياسي والاداري الذي خلّفه الملك الهارب[6]، ولكسب باروناته وشعبه قدم هنري برنامجاً إصلاحياً شاملاً، تجاوز مطالبه الشخصية إلى قضايا الرأي العام، فوعد بتخفيض الضرائب لتخفيف أعباء الشعب، وحل

(1) Benjamin Williams, Op. Cit., p.186.
(2) Ian Mortimer, Henry IV : The Righteous …, p.203 – 204.
(3) Chris Given-Wilson, The Chronicle of Adam Usk 1377-1421, Clarendon Press, Oxford, London, 1997, p.137.
(4) Michael Bennett, Richard II and the …, p.156.
(5) Ian Mortimer, Henry IV : The Righteous …, p.205 – 206.
(6) Michael Bennett, Richard II and the …, p.163.

عصابات رماة تشيشاير، التي مثلت الذراع العسكري لاستبداد ريتشارد الثاني، وشدد على أن تكون سلطة الملك ريتشارد اسمية فقط، وتُناط السلطة الفعلية به[1].

ويبدو أن الملك ريتشارد الثاني وضع خطه لاستدراج هنري بولنغبروك إلى جنوب ويلز من خلال ايهامه أنه سيذهب جنوباً لإبعاد هنري عن انصاره في تشيشاير، ثم استغلال تضاريس ويلز الوعرة لاختطاف هنري او اغتياله، لكن الملك سرب تفاصيل تلك الخطة لإيرل سالزبوري جون مونتاغو (John Montagu) الموالي له، ثم ترشحت تلك المعلومة إلى هنري، فاتخذ احتياطات امنية مشددة افشلت خطة الاغتيال[2]، وحين فشلت خطته حاول الملك ريتشارد الثاني تدارك الوضع، فأرسل شقيقه دوق إكستر (Exeter) لتقديم عرض عفو على المتمردين واعادت الاملاك اللانكسترية إلى هنري والاعتراف به وريثاً لعرشه، لكن هنري الذي توطد موقعه لم يعد يثق بالوعود الملكية، فاحتجز المفاوضين، واستولى على كنز الملك الضخم في قلعة هولت (Holt Castle)، مما جرّد الملك ريتشارد من آخر أوراق المساومة المالية والسياسية، وعلى اثر ذلك انهار معقلة السياسي والعسكري الأخير في مدينة تشيستر (Chester)[3].

ونظراً لتحصن الملك ريتشارد الثاني بقلعة كونواي (Conway Castle) وصعوبة اختراقها عسكرياً، لجأ هنري إلى خطة استدراج الملك واخراجه منها بتقديم إيرل نورثمبريا وعوداً كاذبة للملك ريتشارد الثاني، مفادها أن هنري بولنغبروك يقسم أن مطالبه تنحصر في ميراثه في مقاطعة لانكستر والقصاص من قتلة عمه توماس من وودستوك (Thomas of Woodstock)[4]، فالتقى إيرل نورثمبريا بالملك ريتشارد الثاني في 14 آب 1399، واقنعه باقسام مضللة عما اتفق عليه، فخرج الملك ريتشارد الثاني في اليوم التالي من حصنه المنيع لاعتقاده أن برلماناً سيعقد في لندن لاعادته إلى عرشه، واثناء خروجه انقضت عليه القوات الملكية في ممر بينماينماور (Penmaenmawr) ونقلته إلى قلعة ردلان (Rhuddlan Castle)، ثم نُقل منها في 18 آب 1399 إلى قلعة فلينت (Flint Castle) لانتظار وصول هنري بولينغبروك من تشيشاير[5].

---

(1) James Sherborne, Op. Cit., Vol 14, N.2, p.218 – 220.
(2) Ian Mortimer, Henry IV : The Righteous …, p.205 – 206.
(3) James Sherborne, Perjury and the Lancastrian Revolution of 1399, Op. Cit., p.229.
(4) Chris Given Wilson, Records of the Revolution …, p.145.
(5) Michael Bennett, Richard II and the …, p.173.

احاط هنري بولينغبروك في صباح 19 آب بالقلعة بجيش ضخم راه ريتشارد الثاني من فوق الاسوار فأسقط في يده لاعتقاده أن ساعة حسابه قد حانت، ثم نزل إلى الفناء الداخلي للقلعة للقاء ابن عمه، وهو يرتدي ثياباً فاخرة كعادته، بينما كان هنري يرتدي درعه القتالي الكامل، في تباين بين الملك الرمزي والقائد الفعلي، وعند اقتراب هنري من الملك ريتشارد قام بحركة بروتوكولية خادعة، راكعاً على ركبتيه ثلاثة مرات احتراماً لذاته الملكية، ثم خاطبه قائلاً: "**سيدي الملك، لقد عدتُ من منفاي قبل الأوان الذي حددتموه لي، لأن شعبك اشتكى من أنك حكمته بقسوة وظلم طوال 22 عاماً، لذا جئتُ الآن لأساعدك في حكمهم بشكل أفضل، وبموافقة البرلمان والنبلاء**"، فاجابه ريتشارد الثاني، بمرارة: "**يا ابن عمي، بما أن هذا يرضيك، فإنه يرضيني أيضاً**"، ثم أركب الملك على حصان هزيل لإهانته أمام الجند، وسار الموكب وهنري في طليعته وريتشارد الثاني خلفه تحت حراسة مشددة من آل بيرسي[1]، ومر موكبهما بـ ليتشفيلد، كوفنتري ونورثهامبتون، وهنري يُعامل كملك، بينما يعرض ريتشارد الثاني على الشعب كملك مخلوع[2].

وسجن ريتشارد الثاني في برج لندن في 1 أيلول 1399 ريثما يقرر البرلمان مصيره[3]، ومع أن هنري بولنغبروك كان قاب قوسين من العرش لكنه واجه معضلة قانونية كبرى، تمثلت بأنه لم يكن فاتحاً بالمعنى التقليدي كي يفرض إرادته قسراً، وإن ما أوصله إلى موقعه هو دعم النبلاء الكاسح له، الذي قد يفقده أن ظهر بمظهر المستبد، كما أنه بموجب القوانين التي أقرتها تسوية عام 1290 في عهد إدوارد الأول، كانت الأولوية في العرش لآل مورتيمر عبر خط الإناث، ولتجاوز ذلك العائق اتبع هنري نصيحة القاضي وليام ثيرنينغ (William Thirning)، فلم يطالب بوصية جده إدوارد الثالث، التي قد تلغى بتسوية لاحقة من ريتشارد، بل طالب بالعرش كأقرب وريث ذكر من سلالة هنري الثالث، كما رفض استلام العرش نتيجة انتصاره على الملك ريتشارد الثاني، لأن القاضي حذره من أن مطالبته بالعرش بصفته فاتحاً ستلغي شرعيته، وبعد

(1) Nigel Saul, Richard II …, p.411 – 413.
(2) Chris Given-Wilson, Henry IV, Yale English Monarchs Series, Yale University Press, New Haven and London, 2016, p.132.
(3) Jean Froissart, Op. Cit., Vol. II, p.209 – 211.

استكمال تلك المشاورات[1]، عقد هنري بولنغبروك والبارونات واعضاء البرلمان جلسة في قصر وستمنستر بتاريخ 30 أيلول 1399، وفي خطوة رمزية ألقى هنري خطاباً باللغة الإنكليزية (لغة الشعب) وليس الفرنسية (لغة البلاط التقليدية)، بين فيها احقيته في العرش، بوصفه منقذاً للمملكة وممثلاً لإرادة الشعب[2]، ثم قدم رئيس أساقفة كانتربري توماس أروندل تبريراً منطقياً لخلع الملك ريتشارد الثاني، مستنداً إلى ضرورة حكم الرجل المكتمل العقل بدلاً من الطفل المتقلب، في إشارة إلى تفضيل الكفاءة والخبرة العسكرية لهنري على الحق الوراثي لصبي مثل إدموند مورتيمر[3].

وأكد رئيس الأساقفة أن وفداً زار الملك في برج لندن قبيل عقد الجلسة، فاعترف الملك باستبداده وسوء حكمه بما يجعله غير مؤهل للاستمرار في تسنم عرش إنگلترا، وأنه أعلن رسمياً أمام رئيس أساقفة كانتربري توماس اراندل وبعض أعضاء البرلمان تنازله رسمياً عن العرش لإبن عمه هنري بولنغبروك[4]، واكتملت إجراءات التنازل حين خلع البرلمان ريتشارد الثاني صبيحة الأول من تشرين الأول 1399، ثم نصب ابن عمه هنري بولنغبروك ملكاً على إنگلترا في 13 من الشهر ذاته، بإسم هنري الرابع (Henry IV) (1399 – 1413)[5]، منهياً تمرده بجلوسه على العرش الإنكليزي، وبحمله لسيف لانكستري أعلن عن انتهاء حكم اسرة البلانتاجنت وانتقالها إلى بيت لانكستر، ومع أن الأخير اعلن انه لن يلحق الاذى بالملك المخلوع، لكنه قتله صبراً في سجنه بمنع الطعام عنه، فتوفي ريتشارد الثاني في 14 شباط 1400[6]، في ختام عهد حافل بالاضطرابات السياسية والصراعات المحتدمة بين العرش والبرلمان.

(1) Michael Bennett, Richard II and the …, p.187.
(2) Ian Mortimer, Henry IV : The Righteous …, p.216.
(3) Ibid, p.218.
(4) Jean Froissart, Op. Cit., Vol. II, p.209 – 211.
(5) Ibid, p.211.
(6) John A. Wagner, Op. Cit., p.269.

الفصل الخامس

موقف العرش الإنكليزي من المؤامرات والتمردات التي حيكت ضده في بواكير عهد آل لانكستر 1399 - 1422

المبحث الأول

أزمة الشرعية والمؤامرات المبكرة ضد آل لانكستر

1405 – 1399

اقترن تسنم هنري بولينغبروك عرش إنكلترا عام 1399 بمتغيرات سياسية جذرية عنيفة أطاحت بالملك الشرعي ريتشارد الثاني، ومهدت للتخلص منه في ظروف مريبة، زجت خليفته هنري الرابع في خضمِ معضلة أخلاقية وقانونية طاردته طوال حياته، فبوصفه أول ملوك آل لانكستر، ألفى نفسه مرتدياً تاجاً مثقلاً بالعداء والاتهامات مما جعل عهده سلسلةً لامتناهيةً من المؤامرات والتمردات، وهو ما خلده هنري ذاته بقوله: "**إن الرأس التي ترتدي التاج لا تعرف طعم النوم**"، وهي مقولة اصابت كبد الحقيقة، وقانوناً لما تبقى من عهده، الذي اكتظ بالمؤامرات والتمردات، في مقابل جهوده لتثبيت أركان عرشه[1]، وكالآتي:

أولاً – مؤامرة عيد الغطاس (Epiphany) **عام** 1399[2]:

يمكن تصنيف تلك المؤامرة كرد فعل أرستقراطي مباشر على سياسات الإقصاء والتهميش التي انتهجها الملك هنري الرابع ضد بارونات فور تسنمه العرش، مما عبأهم ضده، ودفعهم للتخلص منه، ليس بوصفه رمزاً سلطوياً مقيتاً فقط، ولا كـ رد فعل انتقامي من أنصار الملك المخلوع ريتشارد الثاني، بل بوصفه عاهلاً مستبداً، استحدث منظومة ذات قبضة حديدية، لوضعهم في قبضة مؤسسة العرش الإنكليزي بنسختها اللانكسترية، فانضم للمؤامرة حشد كبير منهم، في مقدمتهم إيرلات كنت وسالزبوري وهانتنغدون، وكان توقيت المؤامرة أسرع من توقعات الملك هنري الرابع وأنصاره، واختباراً حقيقياً لشبكة

---

(1) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.117.

(2) عيد الغطاس أهم الأعياد في الكنيسة المسيحية، وهو يرتبط بشكل مباشر بذكرى اعتماد السيد المسيح في نهر الأردن على يد يوحنا المعمدان يسمى عيد الظهور الإلهي Theophany لأنه، وفقاً للاعتقاد المسيحي، شهد إعلان الذات الإلهية بأقانيمها الثلاثة أثناء المعمودية. يُنظر إليهِ كبداية الخدمة الجهارية للسيد المسيح وانطلاقة رسالته للعامة. يُحتفل به في الكنائس التي تتبع التقويم الغربي في 6 كانون الثاني، تختلف التقاليد باختلاف الثقافات لكن هناك فيه قواسم مشتركة بين جميع المسيحيين، ارتبط ذلك العيد تاريخياً بانتهاء مدة أيام عيد الميلاد الاثني عشر، ويُعتبر في بعض الثقافات الغربية هو الموعد الذي زار فيه المجوس الثلاثة الطفل يسوع، للمزيد حول عيد الغطاس انظر : Arthur Cushman McGivert, Church History, Independent Publishing Platform CreateSpace, London, 2015, p.33.

ولاءات مؤيدي الملك المخلوع[1].

وهنا من المناسب القول أن المتآمرين لم يكونوا غرباء عن البلاط، بل النواة الصلبة للنخب الموالية للملك المخلوع ريتشارد الثاني، الذين تضررت مكانتهم السياسية والاجتماعية بعد تغيير النظام، وفي مقدمتهم: إيرلا كنت وهانتينغدون اللذان خُفِّضَت رتبتهما إلى دوقي سري وإكستر على التوالي، وتوماس ديسبينسر (Thomas Despenser) الذي خُفِّضَت رتبته من إيرل غلوستر إلى دوق ديسبنسر، وإيرل سالزبوري وليام مونتاج (William Montague)، الذي صودرت بعض أملاكه، وسُجن مدة قصيرة في برج لندن، فضلاً عن أربعة من فرسان ريتشارد الثاني، هم: توماس بلونت (Thomas Blount)، بينديكت سيلي (Benedict Seeley)، رالف لورد لوملي (Ralph Lord Lumley) وابنه توماس (Thomas)[2]، ولم تقتصر جذور تلك المؤامرة على النخب العسكرية فحسب، بل شملت مفاصل الدولة الإدارية والروحية التي شكلت عصب نظام ريتشارد الثاني، فتورطت نخب كنسية رفيعة في التخطيط، بضمنهم أسقفي كارلايل ونورويتش، ورئيس دير وستمنستر وليام كولشيستر (William Colchester)، وروجر والدن (Roger Walden)، الذي عينه ريتشارد الثاني سابقاً في مقر كانتربري أثناء نفي توماس أروندل منه، (Thomas Arundel)، وأربعة من كتبة قصر ريتشارد الثاني، هم: ريتشارد مودلين (Richard Maudeleyn)، وليام فيريبي (William Ferriby)، توماس ميركس (Thomas Merckx) وهنري ديسبنسر (Henry Despenser)[3]، ولم يكن دور إيرل روتلاند (Rutland)، واضحاً في المؤامرة، فزعم بعضهم أنه كان مع المتآمرين ثم خانهم، أو ربما أدى دوراً مزدوجاً منذ البداية، لكنه أزال الشك عن نفسه لدوره البارز في قمع أطراف المؤامرة، وازاح الأخ غير الشقيق لهنري الرابع ورفيق طفولته جون بوفورت (John Beaufort) الشك عن نفسه، بعد أن صالح الملك هنري الرابع وأصبح مؤيداً له، وتبنى دوراً رئيساً في قمع المتآمرين[4].

---

(1) M. H. Keen, England in the Later Middle Ages, Fellow of Balliol College, Oxford, Second edition, London, 2003, p.241.

(2) Sir Francis Hill, Medieval Lincoln, Harvard University, London, republished 1990, p.258.

(3) P. Crooks, State of the Union: Perspectives on English Imperialism in the Late Middle Ages Past and Present, new york, 2011, p.23 – 42.

(4) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.203.

تزامنت المؤامرة مع تعافي الملك هنري الرابع من تسمم تعرض له في وقت سابق، لذا أمضى عيد الميلاد مع اسرته في وندسور، وخطط للاحتفال بعيد الغطاس الذي يقام في 6 كانون الثاني من كل عام، وتُلبس فيه الأقنعة وتحدث المبارزات، لكن المتآمرين خططوا منذ منتصف كانون الأول 1399 لجعل ذلك الاحتفال منطلقاً لقتل الملك واسرته، متسترين بالأقنعة التي يرتدونها بمناسبة العيد، للتمويه على قاتل الملك، إلا أن إحدى عاهرات لندن سربت أنباء تلك المؤامرة إلى الملك قبل أيام قليلة من تنفيذها، مبينةً له أن اثنين من أطراف المؤامرة احدهم إيرل روتلاند، اطلعاها على المؤامرة، وآليات تنفيذها[1].

وتأكد الملك من روايتها بعد تجمع النبلاء المتآمرين في كينغستون يوم الأحد الموافق 4 كانون الثاني 1400، على مرأى ومسمع منه، فسارع بالعودة إلى لندن لتعبئة قوة عسكرية كفيلة بوأد مؤامرتهم قبل انطلاقها[2]، وبموازاة ذلك حذر عمدة لندن توماس نولز (Thomas Knolles) سكان المدينة من التورط في تلك المؤامرة، تزامناً مع ارسال الملك هنري الرابع خطاباً إلى رئيس الأساقفة توماس أروندل، محذراً إياه من التورط في أي عمل ضده، وإلا كان الإعدام مصيره، ثم اعتزل الملك في قلعة ريغيت (Regit)[3].

أدرك المتآمرون أنهم كُشفوا وحُددت هوياتهم، وليس لديهم قاعدة شعبية مساندة لهم، فهربوا إلى وندسور، وفيها أعلنوا أن ريتشارد الثاني هو ملك إنگلترا الشرعي، ثم غادروها إلى بيركشاير لأنها مقر أسرة الملك المخلوع وزوجته إيزابيلا (Isabella)، واتجهوا منها غربًا نحو شروزبري (Shrewsbury) أو تشيشاير (Chechler) او ربما للفرار إلى خارج إنگلترا، وبحلول مساء 6 كانون الثاني وصلوا إلى سيرينسيستر (Cirencester) [4]، فأعتقلهم أهلها وزجوا بهم في ديرها، واستدعوا اللورد توماس بيركلي(Thomas de Berkeley) ليسوقهم إلى الملك، وبعد يومين من اعتقالهم حاولوا

(1) Bryan Bevan & palgrave Macmillan, Hanry IV, St. Martin's Press, New York, 1994, p.69 .
(2) Ibid, p.70 .
(3) Chronicles Given-Wilson, Chronicles of The Revolution 1397-1400 The Ring of Richard II, Manchester University Press, Manchester and New York, distributed exclusively in the USA and Canada by St. Martin's Press, 2007, p.63.
(4) Stephen Boardman, The Early Stewart Kings, Robert II and Robert III 1371 – 1406, Tuckwell press, East Lothian, Scotland, 1996, p.230.

إشعال نار في سوق المدينة لتغطية هروبهم، لكنهم فشلوا واقتيد ثلاثة منهم إلى السوق وقُطعت رؤوسهم، وهرب المتآمر هانتينغدون إلى إسكس على أمل الابحار إلى فرنسا، لكنه اعتقل في طاحونة بريتلويل (Prittlewell)، فاقتيد إلى قلعة بليشي (Pleshey) وسُلّم إلى كونتيسة هيريفورد جوان (Joan Countess of Hereford)، واختلف المؤرخون حول كيفية قتله، فذكر بعضهم ان جوان سارعت إلى إعدامه، وذهب بعضهم الآخر أنها سلمته إلى الجماهير المحتشدة المطالبة بإعدامه، والثابت في الحالتين أن العامة قطعوا رأسه خارج بوابة القلعة(1)، وحاول إيرل غلوستر توماس ديسبنسر أيضاً الفرار إلى الخارج من قلعته في كارديف، لكن قائد السفينة التي استأجرها خانه، فأخذه إلى بريستول، وقُطع رأسه في سوقها بتاريخ 13 كانون الثاني 1400(2).

واستكمل الملك تصفية المتآمرين حين اتجه بقوة مشتركة من أتباعه وسكان لندن إلى أكسفورد، وبعد وصوله إليها في 11 كانون الثاني وافته الأخبار عن وأد المؤامرة واعتقال عناصرها(3)، وبعد أن مثلوا أمامه في قلعة أكسفورد في اليوم التالي، رأس محاكمات سريعة لهم، انتهت إلى إصدار احكام مختلفة ضد تسعين رجلاً منهم، لكنه في بادرة ملفتة أعدم سبعة وعشرين منهم فقط بتهمة الخيانة، وعفى عن الباقين مبرراً ذلك بالقول: "**إن رؤية هذا العدد الكبير من الناس يُقتلون بهذه الطريقة ستكون مُرعبة جداً، وصورتها مُقززة للغاية، وخشية أن يُنكروا الرب خالقهم أو يغفلوا عن ذكره عند خروج أرواحهم، بسبب الآلام الشديدة التي سيعانونها**"(4).

انتشرت شائعات انتقال المؤامرة إلى شمال إنكلترا، مما أثار اضطرابات في ديربيشاير (Derbyshire) وتشيشاير بين معارضي النظام اللانكستري ومؤيديه، لكن تلك الاضطرابات هدأت بمجرد وصول أخبار وأد المؤامرة في سيرينسيستر وأكسفورد(5)، وبعد أن عاد الملك هنري الرابع إلى لندن في 15 كانون الثاني، قاد رئيس الأساقفة أروندل في اليوم التالي موكبًا عبر المدينة شكرًا للرب على نجاة الملك هنري الرابع من تلك

(1) Sir Francis Hill, Op. Cit., p.258 .
(2) B. Wilkinson, The Later Middle Ages in England 1216 – 1485, Published by Routledge , Ninth impression 2013, London, p.283.
(3) Winchester, W. Bird, The Black Book of Winchester, son limited ; the Wykeham press, London, 1926, p.6 – 7.
(4) Winchester, W. Bird, Op. Cit., 8-37.
(5) P. McNiven, The Cheshire Rising of 1400, publish ester Manchester, Manchester, 1969, p.52 .

المؤامرة الخطيرة[1]، وبعد ثلاثة أسابيع تم اعتقال أثنين من رجال الكنيسة وإعدامهما، هما: ريتشارد مودلين ووليام فيريبي، لكن رجال الكنيسة الأعلى رتبة نجوا بحياتهم وتم العفو عنهم، بضمنهم أسقف كارلايل الذي حُكم عليه بالإعدام في البداية[2].

عفا الملك هنري الرابع عن جون فيرور (John Furor)، لأنه كان ذا فضل سابق عليه، لكنه أمر بإعدام أربعة من قادة التمرد، هم توماس بلونت (Thomas Blount) وبيندكت سيلي (Benedict Seeley)، والحارسان جون والش (John Walsh) ووليام بالدوين (William Baldwin)، وأثناء التحقيق مع المتآمرين ادعى بعضهم أن ريتشارد الثاني وضع خطة المؤامرة حين كان في سجن قلعة كونوي[3]، ومع إمكانية حدوث ذلك لكن الحراسة المشددة تضع علامات استفهام كثيرة أمام ذلك الاتهام، وبغض النظر عن تورطه من عدمه في تلك المؤامرة فإن هنري الرابع أصبح مدركاً أن ريتشارد الثاني سيبقى حافزاً للتآمر عليه طالما ظل حياً[4]، فمهد هنري الرابع لقتله في اجتماع المجلس الكبير الذي عُقد يومي 8 و9 شباط 1400، وانتهى إلى "**إن ريتشارد إن كان حياً يُحفظ في مكان آمن، وإن كان ميتاً فيجب إشهار ذلك للشعب**"، وهي إشارة واضحة لهنري الرابع بضرورة التخلص من غريمه، وهو ما حدث فعلاً في 14 شباط، تلاه احضار جثة ريتشارد الثاني في 17 من الشهر ذاته من بونتفراكت إلى لندن[5].

ويبدو أن طريقة التخلص منه لم تكن عنيفة، فحين فُحصت جثته في القرن التاسع عشر، لم يُعثر على أي جروح، مما يجعلنا نميل لقول المؤرخين أن ريتشارد الثاني يأس بعد فشل المؤامرة وموت أصدقائه لدرجة منعته عن الطعام، أو أن سجانيه جوعوه حتى الموت، وفي الحالتين فإن فرضية الموت جوعاً هي سبب وفاته، وهو أمر تم بإيعاز مباشر من هنري الرابع، وبعد أن قضى ريتشارد نحبه عُرضت جثته علنًا في المدن الرئيسة، وحضر هنري الرابع مراسم جنازته في كنيسة سانت بول (Saint Paul) يومي 6 و7 آذار 1400، قبل نقل جثمانه في جوف الليل إلى هيرتفورد لدفنه[6].

---

(1) James Hamilton Wylie, History of England under Henry the Fourth, Vol 4, Ams Press, New York, 1884, p.107.

(2) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.209.

(3) Ibid, p.209 – 210.

4() سلام سهل شنشول، إنكلترا في عهد هنري الرابع 1399 – 1413 دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية – الجامعة المستنصرية، 2026، ص77.

(5) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.210 – 211.

(6) M. H.Keen, Op. Cit., p.241.

والثابت أن ذلك المشهد الجنائزي لم يئد الشكوك، فاستمرت شائعات بقاء ريتشارد الثاني حياً قرابة عقدين، ورغم تفاوت التصديق الشعبي لها، لكن الضرر السياسي الذي تعرض له الملك هنري الرابع تمثل في وصفه بـ "**قاتل الملك**" بعد أن كان "**مغتصباً للعرش**" فقط، وهي السخرية المرة التي لم يتوانَ أعداؤه عن استثمارها لزعزعة شرعية[1].

ثانياً – مؤامرة الرهبان الرماديون (Grey Friars)[2] **اذار – تموز** 1402 :

تجاهل كثيرون وفاة الملك ريتشارد الثاني في سجن بونتيفراكت، وصدقوا شائعات بقائه على قيد الحياة، وانتشرت تلك الشائعات بين جميع طبقات الإنكليز وفئاتهم، بضمنهم إكليروس إنكلترا ورهبانها، الذين أضاف بعضهم حلقة جديدة إلى تلك الشائعات، حين زعموا أن الملك السابق ريتشارد الثاني لا زال حياً في إسكتلندا بانتظار اللحظة المناسبة لاستعادة عرشه، فتوجس الملك هنري الرابع خيفة من تلك الشائعات لخطورتها، وانتشارها بين أوساط كثيرة من الإنكليز، بعضها رفيعة المستوى زمنياً ودينياً، مع ما في ذلك من خلق رمز خفي مهدد لسلطته، يمكن توظيفه للتآمر عليه، والأخطر من ذلك أن تلك الفكرة اكتسبت أبعاداً سياسية وفكرية ودينية، بما جعل الملك الراحل ريتشارد الثاني انموذجاً للملك المسيحي المقدس الساعي لاستعادة حقه من مغتصبيه، وتكاملت أبعاد تلك الفكرة وتنامت خطورتها بعد أن تلقفها بعض الإكليروس، ثم حولوها إلى حركة معادية لآل لانكستر، والملك هنري الرابع تحديداً[3]، وتدريجياً ظهرت مؤشرات على ذلك الحراك الخفي، بسبب تواصل المؤمنين بالشائعات آنفة الذكر مع الويلزيين

---

(1) M. H.Keen, Op. Cit., p.242.

2() تأسست تلك الطائفة على يد القديس فرانسيس الأسيزي في إيطاليا (حوالي عام 1209). سُمي رهبانها بـ "الرماديين" لأن رداءهم التقليدي كان يُصنع من صوف غير مصبوغ يميل لونه إلى الرمادي، وكانوا يربطون خصورهم بحبل أبيض فيه ثلاث عُقد ترمز إلى نذورهم الثلاثة: (الفقر، العفة، والطاعة)، على عكس الرهبان التقليديين الذين كانوا يعيشون في أديرة معزولة ويمتلكون أراضٍ شاسعة، كان الفرنسيسكان ينتمون إلى ما يُعرف بـ "الطوائف المتسولة"، وصل الرهبان الرماديون إلى إنكلترا لأول مرة عام 1224، وسرعان ما أصبحوا قوة مؤثرة جداً، كان لديهم نفوذ سياسي كبير، وغالباً ما كانوا ينخرطون في قضايا العدالة الاجتماعية أو حتى المعارضة السياسية ضد العرش إذا رأوا فيه ظلماً، وللمزيد انظر: James Hamilton Wylie, Op. Cit., p.266 – 280.

(3) Victoria Flood, Political Joachism and the English Franciscans: The Rumour of Richard II's Return, in Prophecy, Politics and Place in Medieval England, ed. Helen E. Fulton, Cambridge: D.S. Brewer, 2011, p.128 – 130.

والإسكتلنديين والفرنسيين، الذين كانوا بسبب عدائهم لـ إنگلترا، متحمسين لنشر تلك الشائعة التي قضت مضجع العائلة المالكة الجديدة، ومع أن الملك هنري الرابع سعى للتعرف على الخيوط المحركة لتلك الشائعات، لكن جل ما حصل عليه اتهامات ظنية لا اساس لها لبعض الرهبان، وزادت قدسية أولئك الرهبان الأمر تعقيداً، لصعوبة اتهامهم والتحقيق معهم دون قرائن وادلة قاطعة، فتريث هنري الرابع واجتهد للحصول على معلومات عن مروجي تلك الشائعات، وماهية نشاطاتهم المضادة له[1].

وشهد مطلع عام 1402 تحديد بعض خيوط ذلك الحراك السري في مقاطعة هيرتفورد، وتكشفت أبعاد المؤامرة بسرعة، بعد اعتقال كاهن في هيرتفورد مطلع حزيران 1402، واعترافه أثناء التحقيق بالترويج لعودة الملك ريتشارد (المزيف) والتخلص من الملك هنري الرابع في أول فرصة ممكنة، وقبل إعدامه ذكر أسماء شبكة كبيرة من المتعاونين معه داخل المؤسسة الدينية[2]، ففوجئ الملك هنري الرابع، من تورط ذلك العدد الكبير من رهبان الفرنسيسكان (الرهبان الرماديون)، الذين لم يكن من المتوقع منهم حمل السيف والقتال والاشتراك في مؤامرات سياسية، وزادت دهشته حين وردته إفادات بعضهم أثناء التحقيق، واستشف منها كيف استغلوا مكانتهم الروحية والدينية وقدرتهم على التنقل بين القرى بحرية، لتأليب رعاياه ضده[3].

تزامنت تلك الاعتقالات مع انتشار ما عُرف في التاريخ الإنگليزي بـ "**ظاهرة ريتشارد العائد**"، ومفادها انتشار شائعات نجاة الملك المخلوع ريتشارد الثاني داخل إنگلترا وخارجها[4]، وبلغت تلك الظاهرة ذروتها حين انطلت على الملك الفرنسي شارل السادس ذاته، فأرسل في نيسان 1401 جان كريتون إلى إسكتلندا لمعرفة حقيقة الرجل الذي ادعى أنه الملك ريتشارد الثاني[5]، ومع أن كريتون اكتشف بسرعة أن ريتشارد الإسكتلندي كان محتالًا[6]، لكنه أخفى الأمر لإدامة تلك الأراجيف في إنگلترا، مما حدا

(1) Philip Morgan, Henry IV and the shadow of Richard II, Crown, Government and People in the Fifteenth Century, The Fifteenth Century Conference, An annual conference for late medieval studies, London, 1995, p.13.
(2) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.284.
(3) Ibid, p.282.
(4) Bryan Bevan & palgrave Macmillan, Op. Cit., p.68.
(5) Raphaell Holinshed, Chronicles of England, Scotland, Ireland, Vol 3, Ams Press Inc, New York, 1965, p.63.
(6) Gwilym Dodd and Douglas Biggs, The Reign of Henry IV Rebellion and Survival, 1403–1413, York Medieval Press, New York, 2008, p.69.

بالملك هنري الرابع لإصدار أمر في 9 حزيران إلى حكام المقاطعات والمدن باتخاذ إجراءات رادعة ضد المنادين بظاهرة ريتشارد العائد، وزجهم في السجون[1]، وبعد يومين أرسل الملك هنري الرابع خطاباً إلى مقدم دير الرهبان الدومينيكان (Dominican Monastery) في أكسفورد حذره فيه من استمرار رهبانه بنشر شائعة ريتشارد العائد، وأمره بمنعهم، لكن تحذيراته ذهبت ادراج الرياح، وبعد بضعة أيام ثبت تورط مقدم دير لوندي (Lundy Monastery) في ذلك الأمر، فأُعدم بتهمة الخيانة[2]، وفي13 حزيران أصدر الملك هنري الرابع تعليمات صارمة ضد الوعظ التحريضي منع بموجبها الوعاظ من الاجتماع بالناس في الحانات والأماكن العامة[3].

وتكللت التحقيقات الملكية باعتقال مقدم دير الدومينيكان في ونشستر بتاريخ 27 حزيران، ومقدم دير الدومينيكان في كامبريدج مع أحد إخوته، وأحد رهبان دير هورسموندن في كنت، وأحد رهبان آيلزبيري الفرنسيسكان في باكينغهام، وأُودع أولئك الرهبان ومقدميهم وبعض الإكليروس في برج لندن، على ذمة التحقيق[4]، واللافت أن الملك هنري الرابع باشر بنفسه التحقيق مع الراهب الفرنسيسكاني، قائلاً له: "**لقد سمعت أن الملك ريتشارد على قيد الحياة، وأنت سعيد بذلك؟**"، فأجاب الراهب بجرأة "**أنا سعيد كما يفرح الرجل بحياة صديقه، لأنني مدين له، كما هو الحال مع جميع أقاربي، لأنه كان راعينا**"، فاستفسر منه هنري الرابع قائلا: "**لقد قلت صراحة أنه حي ولهذا السبب قمت بإثارة الناس ضدي**"، ثم سأله هنري الرابع قائلاً: "**إذا رأيتني والملك ريتشارد نتقاتل معًا في ساحة المعركة فمن ستقاتل معه؟**"، فقال له الراهب "**معه، لأنني أكثر امتنانًا له**"، وحين سأله هنري "**هل تتمنى أن أموت أنا وجميع أمراء المملكة؟** قال له الراهب: "**كلا**"، وحين سأله هنري: "**ماذا ستفعل لو انتصرت عليّ؟** أجابه الراهب: "**سأجعلك دوق لانكستر**"، فقال له هنري غاضباً: "**إذن أنت لست صديقي**"[5].

أسفرت التحقيقات والمحاكمات عن معرفة أساليب استقطاب معارضي هنري الرابع وتهيئتهم للخروج عليه، بذريعة دعم الملك الزائف ريتشارد الثاني، وفي ذلك الصدد

(1) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.288.
(2) Johannis de Trokelowe et Henrici de Blaneforde, Op. Cit., p.339.
(3) Charles Lethbridge Kingsford, English Historical Literature in The Fifteenth Century, M. A. With An Appendix of Chronicles And Historical Pieces Hitherto For The Most Part Unprinted, Originally Published in Oxford at The Clarendon Press ,1913, p.277.
(4) James Hamilton Wylie, Op. Cit., Vol 2, p.277.
(5) Ibid, Vol 3, p.340.

ذكر شخص يدعى جون برنارد من أوفلي في هيرتفورد أنه كان يحرث بالقرب من منزله حين أخبره شخص من لانكستر يدعى وليام بالشالف أن ريتشارد الثاني على قيد الحياة وبصحة جيدة ويعيش في إسكتلندا، وسيعود إلى إنگلترا لمقابلة أنصاره المخلصين قرب دير ميريفيل في وارويك في 24 حزيران، وشدد برنارد على أن ذلك الخبر استقطب العشرات من محبي الملك الراحل ريتشارد الثاني[1]، ولخطورة تلك الاعترافات أشرف هنري الرابع شخصياً على استجواب المتهمين، فأخبره أحدهم "**أن ريتشارد سيعود ويقاتله**"[2]، في إشارة إلى نبوءة الملوك الستة: "**التي نصّت على أن الملك الخامس ريتشارد الحمل سيخسر مملكته أمام ذئبٍ بشع لكنه سيُقاتل ويُعيد أراضيه**"، فاستخف هنري الرابع بقوله لأنه كان متيقناً من وفاة ريتشارد بما يحول دون تحقق تلك النبوءة، لكن ما أثار الملك، ما ذهبت إِليهِ النبوءة حول تمزق مملكة إنگلترا في عهد الملك السادس إلى ثلاث فصائل مُتحاربة، وهو أمر قد يشجع بعضهم على محاكاة تلك النبوءة والتمرد عليه[3].

انتهى الملك هنري الرابع من تحقيقاته آنفة الذكر إلى سذاجة المتورطين في ظاهرة ريتشارد الثاني، وعدم تشكيلهم خطراً عليه، لبساطة تفكيرهم، وعدم مباشرتهم خطوات عملية للخروج عليه، فعفى عن أغلبهم، وكتب إلى شرفاء مقاطعات إنگلترا بعدم معاقبة من كرروا الشائعات، فيما عدا من أطلقوها، لمعرفة المسؤولين الحقيقيين عنها وتحري أهدافهم منها، وأخبر هنري الرابع مقربيه أن سبب تسامحه آنف الذكر، تعهده في يمين تتويجه أن يحكم رعاياه بالعدل ولا يشتط في التعامل معهم، لذا عفا عن روبرت ويستبروم من بوري سانت إدموندز لنشره شائعات عن نجاة ريتشارد الثاني، بوصفها "**أكاذيب صدقها وكررها ببراءة**" وأيضاً تم العفو عن الراهب أوفلي للسبب ذاته[4].

ويبدو أن سبب ذلك النهج الملكي اطمئنان الملك إلى عدم تورط الرهبان والبسطاء آنفي الذكرة في مؤامرة ضده، لكنه كان حدياً وقاسياً مع الاشخاص الأكثر

---

(1) Paul Strohm, England’s Empty Throne: Usurpation and the Language of Legitimation 1399–1422, Yale University Press, London, 2013, p.107.
(2) J. D. Griffiths Davies, An English Chronicle of the Reigns of Richard II, Henry IV, Henry V and Henry VI, Camden Society, London, 1856, p.24.
(3) Frederick Devon, Issues of the Exchequer, being a collection of payments made out of His Majesty's revenue, from King Henry III to King Henry VI inclusive, Pell records, 3, publisher not identified, England, Great Britain. Exchequer, London. 1837, p.286.
(4) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.288.

خطورة، وفي مقدمتهم السير روجر كلارندون الابن غير الشرعي للأمير الأسود والأخ غير الشقيق لريتشارد الثاني[1]، فتم اعتقاله وكاتبه جون كالف أواخر حزيران 1402، وسُجن في كلارندون ومساعده وخادمه في البرج، ومع أنهم ادّعوا براءتهم من تهمة التآمر على الملك، لكنهم أُدينوا بالخيانة وأُعدموا شنقًا[2].

وطرأ تطور خطير على ظاهرة ريتشارد العائد حين أجرى هنري الرابع في 1 تموز 1402 تحقيقاً[3]، مع راهب فرنسيسكاني من ليستر أسفر عن معلومات مفادها تخطيط الراهب وعشرة من رفاقه بالذهاب إلى أكسفورد عشية عيد القديس يوحنا المعمدان للبحث عن ريتشارد، فتم اعتقال الرهبان المتورطين واستاذ اللاهوت روجر فريسبي (Roger Frisbee)، وحين عُرضوا على الملك هنري الرابع حدق فيهم طويلاً، ثم قال: "**هؤلاء رجال سُذج، دون عقل**". ثم التفت إلى فريسبي وقال: "**أنت رجل حكيم هل تقول إن الملك ريتشارد حي؟**"، أجاب فريسبي بصراحة: "**لا أقول إنه حي، لكني أقول إنه إذا كان حيًا، فهو الملك الحقيقي لإنگلترا**"، وحين قال له هنري "**انه استقال**"، اجاب فرسبي "**استقال رغماً عنه، في السجن، وهو أمرٌ مخالفٌ للقانون**"، فأصرّ هنري على أنه: "**استقال بحسن نية**"، لكن فريسبي قال بثقة "**لم يكن ليستقيل لو كان حرًّا، والاستقالة في السجن ليست حرّة**"، فتراجع هنري قائلاً: "**لقد تم عزله**"، فاستشكل عليه فرسبي، قائلاً: "**أنه حين كان ملكًا، تم أخذه بالقوة ووضعه في السجن، ونهبت مملكته، واغتصبت التاج**"، ومع أن هنري الرابع اندهش من وقاحة فريسبي، لكنه واصل النقاش، قائلاً: "**لم أغتصب التاج، بل تم اختياري بالانتخاب**"، فقال فريسبي: "**لا قيمة للانتخاب إذا كان الملك الحقيقي والشرعي حيًا**". ثم أضاف كلمات اغضبت الملك، جاء فيها: "**وإذا مات، فهو ميتٌ بنظرك، وإذا كان الأمر كذلك، فقد فقدت كل حق ولقب كان من الممكن أن تتمتع بهما في ظل العرش**"، فصُدم هنري، ورد قائلاً: "**برأسي، سأحصل على رأسك! وانت لم تحب الكنيسة أبدًا**"، وحين ربط حراس هنري معاصم فريسبي بالاصفاد زادت لهجته حدة مع هنري الرابع، فقال له: "**كنت دائمًا تشوه سمعة الكنيسة قبل أن تصبح ملكًا والآن تريد تدميرها**"، فقال له هنري "**أنت تكذب**"، بينما سحبه حراسة إلى سجنه[4].

---

(1) Chris Given-Wilson and Alice Curteism, The Royal Bastards of Medieval England, Routledge Kegan Paul plc, London, 2023, p.145.
(2) Johannis de Trokelowe et Henrici de Blaneforde, Op. Cit., p.340.
(3) J. D. Griffiths Davies, Op. Cit., p.24.
(4) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.289 – 290.

وبلغ التوتر أقصى مداه، حين خاطب أحد الرهبان الملك هنري الرابع أثناء اقتياد فريسبي خارج القاعة **"لن نتوقف أبدًا عن اسماعك هذا الصخب الذي تخشاه عن عودة الملك ريتشارد الثاني وإن قتلت جميع الرهبان"**، وحين حضر إليهِ مقدم الفرنسيسكان طالبًا الرحمة لأبناء رهبنته، وأكد له أنه أمرهم بعدم الإساءة إليه، تجاهله الملك هنري وإشار إلى أن الرهبان حوكموا مرارًا وتكرارًا حتى حكمت عليهم هيئة المحلفين، ولم يرتدعوا أو يظهروا ندمهم على ما بدر منهم ازاء العرش، ثم قال لمقدم الفرنسيسكان بكلماتٍ مُرعبة لا تُنسى: **"لن تُعاقبهم أنت، ولذا سأُعاقبهم أنا"**[1]، وقرنَ هنري الرابع القول بالفعل متجاوزاً الأعراف الكنسية التي حظرت المساس برجال الدين، فأمر بإعدام روجر فريسبي ورفاقه الرهبان في 8 تموز 1402، ونُفذت أحكام الإعدام شنقاً بحقهم في منطقة تايبورن (Tyburn) ثم سُحبت جثثهم وتم التمثيل بها[2]، ونصبت رؤوسهم فوق جسر لندن وأبواب المدينة كرسالة ردع دموية لإسكات الصخب الريتشاردي الذي تردد في أروقة الأديرة، ولاشك أن تلك الآلية العنيفة انعكست سلباً على علاقة العرش اللانكستري بالكنيسة الإنكليزية، وجعلت الملك في نظر رعاياه مضطهداً للكنيسة[3].

ثالثاً – مؤامرة قصر إيلثام (Eltham Palace Plot) **كانون الثاني** 1404:

استهدفت النخب الأرستقراطية الساخطة – مدفوعةً بنزعات انتقامية – التخلص من الملك هنري الرابع، وإنهاء حكم آل لانكستر في مهده عبر تصفية الملك هنري الرابع وأبنائه الأربعة جسدياً في قصر إيلثام مطلع عام 1400، واعتمد المتآمرون، وفي مقدمتهم آل ديسبنسر وحلفاؤهم من أقطاب النظام السابق، على توقيت مثالي لمباغتة البلاط الملكي في ذروة انشغاله باحتفالات أعياد الميلاد، مستغلين الثغرات الأمنية المقترنة بالأجواء الاحتفالية لتنفيذ ضربة قاصمة تستأصل الأسرة المالكة الجديدة بضربة واحدة، ولم يكن ذلك المخطط رد فعل عشوائي بل مخططاً مُمنهجاً لإعادة صياغة الخارطة السياسية الإنكليزية بما يخدم مصالح الموالين للملك المخلوع ريتشارد الثاني، مع الأخذ بنظر الاعتبار الدوافع الخاصة بـ آل ديسبنسر للثأر لما حاق بهم من إقصاء سياسي وتنكيل قانوني عقب تمرد عام 1399، محاولين استعادة نفوذهم المفقود عبر تدمير مركز الثقل الملكي، وبذلك وضعت تلك المؤامرة نظام هنري الرابع أمام اختبار

(1) J. D. Griffiths Davies, Op. Cit., p.24 – 25.
(2) Victoria Flood, Op. Cit., 131 – 133.
(3) Ibid, p.133 – 135.

أمني مصيري مبكر كشف عن مدى إصرار بقايا أذرع العهد الريتشاردي على زعزعة استقرار العرش الجديد، وفرض على الملك ضرورة تبني سياسات أكثر راديكالية لتثبيت دعائم حكمه، وحماية ورثته من الأخطار المحدقة التي باتت تهدد شرعيته المكتسبة حديثاً[1].

تباين المؤرخون في تحديد مخططي تلك المؤامرة، فذكر بعضهم أنهم غير معروفين، لكن مؤرخين آخرين أشاروا بأصابع الاتهام إلى عائلة ديسبنسر المقربة من الملك المخلوع ريتشارد الثاني، والأكثر تضرراً بعد أن سلبها الملك هنري الرابع امتيازاتها السابقة، وهو ما بينته أرملة البارون توماس ديسبنسر الليدي كونستانس، حين اعترفت أنها بالاشتراك مع شقيقها دوق يورك، وضعت مخططاً لاغتيال الملك بالتسلل إلى قصر إيلثام وتسلق أسواره، أو نصب كمين محكم للملك أثناء تجواله، ثم انقضاض بعض أنصار ريتشارد الثاني عليه وقتله هو وأبنائه الأربعة، لاجتثاث آل لانكستر نهائياً، وإجبار البرلمان على إعادة تنصيب ريتشارد الثاني ملكاً على إنكلترا[2].

واستندت المؤامرة إلى عنصر المفاجأة أثناء قضاء الملك هنري الرابع وزوجته جوان وأبنائه الأربعة اعياد ميلاد عام 1404 في قصر إيلثام، لكن بعض عيونه أرسلوا إليهِ معلومات بالغة الأهمية حول وجود مؤامرة لاغتياله، فسارع بترك القصر والعودة إلى لندن، ثم باشر حملة اعتقالات للمشتبه بهم[3]، واتخذ قمعه مساراً دموياً اتسم بالسرعة والحسم، فبعد فرار قادة التمرد من وندسور إثر اكتشاف مخططهم، اتجه إيرل كنت توماس هولاند وإيرل سالزبوري جون مونتاغ وبعض اتباعهما غرباً لحشد الأنصار، إلا أن رحلتهم انتهت بعد أن حاصرهم سكان بلدة سيرنسستر (Cirencester) في أحد المنازل، وبعد قتال مرير استسلم المتآمرون، لكن الجموع الغاضبة رفضت انتظار محاكمتهم الرسمية، فانتزعتهم من أيدي الحرس وقطعت رؤوسهم في ميدان البلدة العام، في إشارة مبكرة لرفض الشارع لأي محاولة لزعزعة العرش الجديد، ومع أن توماس ديسبنسر حاول النجاة عبر الإبحار من ميناء بريستول إلى فرنسا، لكن قبطان السفينة أدرك خطورة تورطه في دعمه، فسلمه إلى سلطات المدينة، وهناك تكرر المشهد ذاته، فاقتاده الغوغاء إلى سوق المدينة وقطعوا رأسه وسط أجواء من السخط العام، وفي سياق

(1) James Hamilton Wylie, Op. Cit., Vol 2, 41.
(2) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.340.
(3) Johannis de Trokelowe et Henrici de Blaneforde, Op. Cit., p.399.

متصل كان مصير إيرل هانتينغدون جون هولاند أكثر مأساوية، فأعتُقل في إسكس ثم سيق إلى قلعة بليشي (Pleshey)، وهناك قُطع رأسه بإشراف الأرملة جوان فيتز الآن، التي رأت في إعدامه ثأراً لتضييقه على زوجها في العهد السابق[1].

وامتدت تلك الملاحقات القانونية والإعدامات الميدانية من النبلاء إلى عشرات الفرسان والكهنة، الذين نُفذت فيهم أحكام إعدام تعسفية بتهمة الخيانة العظمى (Slaying and Quartering)، ثم رُفعت رؤوس قادة المؤامرة فوق جسر لندن ليكونوا عبرة لمن تسول له نفسه التشكيك في شرعية النظام اللانكستري، مما عزز سطوة العرش وسلطته، وأنهى آمال المعارضة الريتشاردية في استعادة الحكم عبر التآمر[2].

فشلت المؤامرة في تحقيق أهدافها قبل بدئها، بسبب تسرب أخبارها، وفشل المتآمرين في تهيئة حشدٍ عسكريٍ كافٍ لتنفيذ مخططهم، إلا أنها تركت اثراً كبيراً في نفسية هنري الرابع، فأصبح أكثر حذراً من ذي قبل وأكثر قسوة في التعامل مع خصومه، كما ساهمت المؤامرة في دفع الملك هنري الرابع لكسب ولاء الكنيسة والبرلمان بشكل اقوى من ذي قبل[3].

رابعاً – مؤامرة مارگريت دي فير (Margaret de Vere)[4] **كونتيسة أكسفورد أيار** 1404 :

عانى العرش الإنگليزي من كثرة المؤامرات المضادة له، والتوجهات المنددة بشرعية عاهله هنري الرابع، بوصفه مغتصباً تسنم العرش على إثر تمردٍ ناجح، مفتتحاً

(1) Ian Mortimer, The Fears of Henry IV …, p.163 = 170.
(2) Ibid, p.171 – 175.
(3) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.341.
4() تُعد مارگريت دي فير (Margaret de Vere) (1346/1345 – 1413)، كونتيسة أكسفورد، إحدى الشخصيات النسائية البارزة والمثيرة للجدل في أواخر العصور الوسطى بإنگلترا، ليس فقط لمكانتها الاجتماعية، بل لدورها السياسي الجريء في تحدي شرعية حكم بيت لانكستر، تنتمي إلى عائلة بومونت (Beaumont) المرموقة، ارتبطت مارگريت بوفاء مطلق للملك ريتشارد الثاني، وبعد إطاحة هنري الرابع به عام 1399 ووفاته الغامضة في قلعة بونتيفراكت رفضت مارگريت التصديق بموته أو على الأقل استغلت فكرة بقائه حياً كأداة سياسية، واشتهرت تاريخياً أنها المحرك الرئيس لمؤامرة عام 1404 ضد الملك هنري، للمزيد انظر: G. E. C. Vicary Gibbs, The Complete Peerage of England, Scotland, Ireland, United KinGdom Extinct Or Dormant, Vol 1, St. Catherine's Printing Press, London, 1912, p.107 – 136.

عهد آل لانكستر بالقوة المفرطة، وأخطر ما في تلك المؤامرات تواري أقطابها، وتوظيفهم سلاح الشائعات لاستقطاب النبلاء نفسياً ضد الملك هنري الرابع، وتهيئتهم للانقلاب عليه[1]، مما أدى إلى تورط الكثير من النبلاء، ومنهم الكونتيسة مارگريت دي فير التي تطلعت لاستعادة نفوذ عائلتها، والانتقام لمقتل ابنها روبرت دي فير الذي كان مقرباً من الملك المخلوع ريتشارد الثاني[2]، وكمنت خطوة مؤامرة الكونتيسة مارگريت في انتمائها لأسرة بومونت العريقة وزواجها من كونت أكسفورد أوبري دي فير، سليل أسرة دي فير العريقة في إنگلترا، إلا أنها استمدت ثقلها السياسي من مكانة ابنها دوق أيرلندا روبرت دي فير المقرب من الملك ريتشارد الثاني[3].

كانت مؤامرة مارگريت من أغرب المؤامرات التي حيكت ضد مؤسسة العرش الإنگليزية، وكان هدف مؤامرتها ضرب الشرعية الهشة للملك هنري الرابع بين صفوف الأساقفة والنبلاء، وتشكيل شبكة معقدة منهم، بدعم نبلاء فرنسيين، أبرزهم لويس دوق أورليان وكونت سانت بول، واستغلت الكونتيسة غموض مصير الملك المخلوع ريتشارد الثاني فتبنت ظاهرة الملك العائد، محولةً شخصية الملك السابق إلى رمز للخلاص من ظلم الملك هنري الرابع[4].

واجتهدت الكنيسة لتدويل التوجه المضاد للعرش الإنگليزي، فاتصلت ببعض المناوئين له في إسكتلندا وفرنسا وويلز للحصول على دعمهم لمؤامرة عزل الملك هنري الرابع واعادة الملك المخلوع ريتشارد الثاني للعرش مجدداً أو تنصيب سواه ممن تتوفر فيهم الشرعية، ويقع عليهم الأختيار[5]، ومع أن جهودها آنفة الذكر باءت بالفشل مع النبلاء الأوربيين، لكنها نجحت في كسب الكثير من النبلاء الناقمين على الملك هنري الرابع، والمصدقين بعودة الملك الراحل ريتشارد الثاني، وبلغت سذاجة أولئك النبلاء في اعتقادهم أنهم سيلتقون ملكهم المخلوع والمتمرد الويلزي أوين غلين دور منتصف عام 1404 في نورثهامبتون، لكن هنري الرابع كشف مخططهم في 17 نيسان 1404 من خلال ما تسرب من معلومات إلى مستشاره إلمين ليجيت (Almin Legit) والسير وليام كوجيشال (Sir William Cogshall)، فأرسلهما برفقة قوة إلى إسكس لاعتقال ثلاثة من

(1) J. D. Griffiths Davies, Op. Cit., p.30.
(2) Chris Given Wilson, The Chronicle of Adam …, p.176.
(3) Bryan Bevan & palgrave Macmillan, Op. Cit., p.118.
(4) James Hamilton Wylie, Op. Cit., Vol 1, p.417.
(5) Gwilym Dodd and Douglas Biggs, The Reign of Henry IV …, p.138.

مقربي الكونتيسة، هم: خادمها جون ستونتون وقسيسها جون فاولر وصائغ ذهب يدعى جون، وجمع الملك في الوقت نفسه أسطول احتياطي في ساندويتش تحسباً لمواجهة محتملة مع الأسطول الفرنسي إذا حاول إرسال جيش لدعم مؤامرة الكونتيسة[1].

ويبدو أن ملك فرنسا شارل السادس لم ينوي تحريك الأسطول الفرنسي لغزو إنگلترا وخلع هنري الرابع، بل كان ينتظر تحول المؤامرة إلى حراك عسكري وتمرد معلن ليقوم الأسطول الفرنسي بدعمه حتى قتل هنري الرابع أو خلعه[2]، لكنه أرسل جيشاً فرنسياً صغيراً لتشجيع المتآمرين على بدءِ حراكٍ عسكري نحو دارتموث، في إشارة إلى دراية الفرنسيين المسبقة بالمؤامرة، وحين أحسوا أن الملك كشف المؤامرة وتحرك لوأدها في مهدها حاولوا إنقاذها، لكنهم جوبهوا باستحكامات دفاعية مُحكمة، وتعاون الجيش الملكي مع سكان دارتموث، فتكبد الفرنسيون خسائر فادحة، وقُتل اللورد الفرنسي ويليام دو شاتيل (Guillaume du Chastel)، وأُسر العديد من الفرنسيين والإنگليز المعارضين لهنري الرابع، وفشل هجوم آخر شنّه كونت سانت بول على جزيرة وايت، فانسحب الفرنسيون إلى بلادهم بسرعة[3].

والحقيقة أن هنري الرابع لم يمنح تلك المؤامرة قدراً كافياً من اهتمامه، فقبل وقت طويل من الاعترافات الأولى لبعض المتآمرين أواخر أيار 1404، كان الملك قد غادر شمالاً إلى نوتنغهام، ومن هناك وجه الملك في 25 أيار من العام ذاته خطاباً إلى عمدة دارتموث أمره فيه بإحضار الضالعين في تلك المؤامرة[4]، وأبرم قائد قلعة بيرويك وليام كليفورد صفقة مع الملك هنري الرابع، تمثلت بغض نظره عن تورطه في المؤامرات السابقة، مقابل تسليمه وليام سيرل – احد اتباع إيرل نورثمبريا – الضالعين في تلك المؤامرة، فابتهج الملك لأن وليام سيرل هو من قتل عمه دوق غلوستر توماس أوف وودستوك (Thomas of Woodstock)، فضلاً عن أهمية اعتقاله لتورطه في تآليب نبلاء إنگلترا وأكليروسها ضد الملك هنري الرابع، وبدت خطورة دور سيرل بعد اعترافه بسرقته خاتم الملك ريتشارد الثاني عام 1399، واستخدامه لختم رسائل مزيفة بأسمه، وأقر أن الشخص الذي انتحل صفة ريتشارد الثاني في إسكتلندا هو محتال، وبعد إنهاء اعترافاته

(1) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.328.
(2) Paul Strohm, England's Empty …, p.237 – 239.
(3) M.H.Keen, Op. Cit., p.291.
(4) J. L. Kirby, Henry IV of England, Op. Cit., p.196.

صدر بحقه حكم السحل والشنق والتقطيع، وتربيع جثته إلى أجزاء المملكة الأربعة[1].

أرهبت تلك القسوة أكليروس إنگلترا ونبلائها وعوامها، وأقنعتهم بعبثية التمرد ضد هنري الرابع بإسم ريتشارد الثاني، لاسيما بعد اقتران أرملته الأميرة إيزابيلا من ابن عمها تشارلز نجل دوق أورليان، التي كانت إشارة واضحة إلى حقيقة وفاة ريتشارد الثاني، وهكذا فقد أسمه بريقه، ورغم استمرار بعضهم في تأييد المحتال الإسكتلندي، لكن ذلك ظل نشاطاً فردياً معزولاً، لم يقترن بمؤامرات وتمردات بإسم الملك المقتول[2].

وطالت الملاحقة الملكية كونتيسة أكسفورد مارگريت دي فير بوصفها المحرك الأساس للمؤامرة، وبعد اعتقالها في أسكس واجه الملك هنري الرابع معضلة قانونية وسياسية بالغة التعقيد، فإدانة امرأة بوزنها الاجتماعي بتهمة الخيانة العظمى كانت ستفضي حتماً إلى تعميق الشرخ بين العرش والطبقة الأرستقراطية، وتحويل الكونتيسة إلى شهيدة، لذا أصدر عفواً ملكياً بحقها عام 1405 قبيل خضوعها للمحاكمة، متخذاً من العفو أداة لامتصاص الاحتقان وإعادة دمج العناصر المعارضة ضمن هيكل نظامه الناشئ، مع ضمان تحييد فاعليتها السياسية عبر الرقابة والاحتواء[3].

خامساً – مؤامرة خطف الوريثين الشرعيين لعرش إنگلترا إدموند وروجر مورتيمر شباط 1405:

كانت محاولة تهريب الأخوين مورتمير من قلعة وندسور إحدى أخطر الخطوات السياسية التي هددت الوجود اللانكستري في مهده، لأنها قصدت إعادة مطالب آل كلارنس بالتاج الإنگليزي وتحويل أولئك الصبية من سجناء تحت رقابة ملكية إلى رمز شرعي لتمرد واسع النطاق يمتد من معاقل نبلاء الشمال إلى جبال ويلز[4].

امتلك الأخوان مورتمير أفضلية وراثية للمطالبة بالعرش الإنگليزي فاقت أفضلية هنري الرابع، لأنهما انحدرا من نسل دوق كلارنس ليونيل أوف أنتويرب، وهو الابن الثاني للملك إدوارد الثالث، بينما انتمى هنري الرابع إلى نسل دوق لانكستر جون أوف غونت، وهو الابن الثالث للملك إدوارد الثالث، وهكذا فأنهم الأحق بالعرش وفق مبدأ

(1) F. S. Haydon, Eulogium Historiarum sive Temporis Chronicon ab Orbe Condito usque ad Annum Domini Mccclxvl, Vol 3, publisher Longman Brown Green - Longmans and Roberts, London, 1858, p.402.
(2) J. L. Kirby, Henry IV of England, Op. Cit., p.172.
(3) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.330.
(4) Ibid, p.330.

البكورة (Primogeniture)، مما جعل من وجودهم تهديداً مستمراً لشرعية عرش آل لانكستر، ومحركاً أساسياً للعديد من المؤامرات التي استهدفت إزاحة هنري الرابع بوصفه مغتصباً للعرش من منظور وراثي صرف، لذا وضعهم الملك هنري الربع تحت إقامة جبرية في قلعة وندسور لضمان عدم استخدام المتآمرين لهما كرموز للشرعية[1].

كان أبني مورتيمر تحت رعاية الكونتيسة كونستانس غلوستر ابنة دوق يورك ادموند لانغلي، فرغبت في نقلهما إلى ويلز لضمهما إلى تمرد خالهما السير ادموند مورتمير وصهره اوين غلين ضد هنري الرابع، وتواطؤ معها شقيقها دوق يورك المسؤول عن أمن القلعة، وبمساعدته تم نسخ مفاتيح ابواب القلعة ومفاتيح غرفة الصبيين، وفي منتصف ليل 13 شباط أخذ ريتشارد ميلتون المفاتيح المستنسخة وأخرجهما من غرفتهما، ثم انضمت إليهِ الكونتيسة وابنها ريتشارد ذي الثماني سنوات وفارس يُدعى مورغان، وهربوا جميعاً تحت جنح الظلام إلى أبينجدون ثم جنوب ويلز للاجتماع بقاعدتهم الشعبية هناك[2]، وفي تلك الليلة كان الملك في كينينجتون على بُعد ثلاثة وعشرين ميلاً من وندسور، وحين اكتشف اختفاء أبني مورتيمر صباح يوم 14 شباط، أرسل أخاه غير الشقيق جون بوفورت ومجموعة صغيرة من رجاله لتحري الوضع، فوصلوا وندسور مساء اليوم ذاته، وفي الوقت نفسه أملى الملك هنري الرابع رسالة إلى سكرتيره تضمنت تعليمات مشددة إلى أعضاء المجلس الملكي لإعلان حالة الاستنفار القصوى، وإصدار الأوامر بإغلاق الموانئ وتفتيش الطرق المؤدية إلى ويلز، وبذل الجهود اللازمة لاعتقال الصبيين قبل هربهما من إنكلترا[3]، وفي صبيحة اليوم التالي التقى جون بوفورت ورفاقه أحد أنصار آل مورتيمر، وحين حققوا معه أخبرهم: "**إن الكونتيسة وأبني مورتمير فروا إلى أبينجدون تجنباً للملاحقات الملكية، وإذا أفلتوا من قبضتها فسيسلكون طريق غلامورغان وكارديف، بصحبة شخص يُدعى مورغان ثم سيذهبون جميعاً إلى الفلاندرز وفرنسا لاستقطاب نبلاؤها إلى المؤامرة**"، وتحسباً من تحقق ذلك "**أرسل جون بوفورت خطاباً إلى جميع الموانئ لمنعهم من الحصول على تصريح مغادرة البلاد او ركوب السفن**"[4].

(1) J. L. Kirby, Henry IV of England, Op. Cit., p.190.
(2) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.332.
(3) Anthony Tuck, Op. Cit., p.215 – 218.
(4) J. L. Kirby, Henry IV of England, Op. Cit., p.191.

وفي إجراء استثنائي عكس حالة الطوارئ، بعث الملك خطاباً مماثلاً إلى المسؤول عن أمن قلعة وندسور إيرل وارويك توماس بوشامب، مذيلاً إياه بتوقيعه الشخصي (HR) بدلاً من الختم الملكي الرسمي لأول مرة، في إشارة لمدى خطورة الأمر وسريته، وتضمن خطابه أمراً ملكياً نصُّه: "**تأمرك أن تركز على البحر**"، وهي إشارة عسكرية صريحة بضرورة إغلاق كافة الموانئ والمنافذ البحرية لمنع الفارّين من الوصول إلى فرنسا أو فلاندرز، لخشيته من استقطابهم النبلاء الأوروبيين لدعم مطالب آل مورتمير الوراثية في العرش الإنكليزي(1)، وسرعان ما أثمرت تلك الجهود عن وأد هرب الصبيين، بفضل السرعة الفائقة لجون بوفورت وطليعة فرسانه، التي انتهت إلى اللحاق بالكونتيسة كونستانس والصبيين، فقتلوا أغلب مرافقيهم، وعادوا بالصبيين والكونتيسة مخفورين إلى القلعة، وبعد وصولهم إليها احتجزا الطفلين فيها تحت رقابة مشددة، وأرسلت الكونتيسة كونستانس وشقيقها إدوارد إلى وستمنستر، فحوكما بتهمة الخيانة أمام المجلس الملكي، ثم سجنا في قلعة بيفنسي، وسجن وليام ميدستون في برج لندن، أما صانع المفاتيح فقُطعت يده أولًا، ثم رأسه(2).

(1) Bryan Bevan & palgrave Macmillan, Op. Cit., p.120.

(2) B Y G. E. C. George Edward Cokayne, The Full Peerage Or, a History of the House of Lords and All Its Members from the Earliest Times, Vol. 14, Additions and Corrections, by Sutton Publishing Limited, USK, 1998, p.903.

المبحث الثاني

التمردات المضادة للملك هنري الرابع، وآليات قمعها بين عامي 1415 – 1400

أولاً – تمرد اوين غلين دور (Owen Glendower)[1] عام 1400:

شهدت ويلز خريف 1400 تمرداً خطيراً قاده سليل امراء ويلز أوين غلين، بسبب رغبته في استعادة ممتلكاته اجداده، فضلاً عما تعرض له من مضايقات من السلطات الإنكليزية في ويلز[2]، فاستغل اللورد ريجينالد غراي (Reginald Grey) من روثين (Ruthin) علاقته بالملك هنري الرابع، لاغتصاب بعض أراضي أوين غلين دور، فتعمد عدم إخباره باستدعائه للخدمة في الجبهة الإسكتلندية لإظهاره بمظهر المتمرد على الملك هنري الرابع، وصولاً إلى مصادرة أراضيه، وبعد استشراء الخلاف بين الرجلين، استقطب اوين غلين دور بعض مواطنيه، ونبههم إلى أن الثقل الأكبر من مغامرات الإنكليز العسكرية وقع على ويلز مما أثر بشكل كبير على اقتصادها، وفاقم معاناتها من الحكم الإنكليزي القمعي، الذي دأب على فرض قوانين عقابية على الويلزيين[3]، ووظف غلين نبؤة ويلزية قديمة حول "**ظهور ملك عظيم ينقذ الامة الويلزية من الهيمنة والتسلط الإنكليزي**"، لاستقطاب بني جلدته، فأقنعهم أنه "**ابن النبوءة**" (Mab Darogan)، الذي سيقودهم ضد مضطهديهم الإنكليز، ويحقق استقلالهم ويعيد إحياء ثقافتهم وقوانينهم[4]، واستدل غلين دور على ظلم إنكلترا لمواطنيه بحجب اللورد

---

(1) اسمه الكامل بالإنكليزية اوين اب جروفيد Owen Ab Gruffid وبالويلزية اوين غلين دور Owen Glen Dorr وهو قائد عسكري وإقطاعي ويلزي قاد تمرد من اجل إنهاء الحكم الإنكليزي في ويلز، ونصب نفسه اميرً عليها واسس برلمان ويلزياً في 16 أيلول 1400وحضي بدعم خارجي من فرنسا وداخلي من امراء منشقين من ويلز وإسكتلندا وأيرلندا وإنكليز وحتى من امراء ينتمون إلى العائلة المالكة ، استمر تمرده حوالي 15 عام ، ولد في عام 1354 وتوفي في عام 1415 ، للمزيد انظر: Glanmor Williams, Owain Glyndwr, University of Wales Press Cardiff, 1993, p.6 – 10.

(2) Ibid, p.54.

(3) R. R. Davies, The Revolt of Owain Glyn Dŵr, Oxford University Press, 1995, p.62 – 63.

(4) Alicia Marchant, The Revolt of Owain Glyndŵr in Medieval English Chronicles, York Medieval Press, Centre for Medieval Studies, University of York, 2014, p.43.

غراي امر استدعائه للقتال في إسكتلندا ثم اتهامه بالخيانة بدعمٍ من الملك هنري الرابع شخصياً، وانه لم يعد أمامه سوى استخدام القوة ضد إنگلترا ومؤسسة عرشها تحديداً[1].

ادام غلين دور زخم تحريضه لمواطنيه[2]، مستغلاً الارباك السياسي في إنگلترا بعد إطاحة هنري الرابع بسلفه ريتشارد الثاني[3]، ومستنداً إلى شعور قومي ويلزي مضاد للإنگليز اجتاح تلال ويلز وقلاعها[4]، وفي 16 أيلول 1400 اجتمع بعض أتباع أوين غلين دور وأصدقائه في قصره في غليندیفردوي (Glendyfredwy) قرب لانغولين (Llangollen) شمال شرق ويلز، وأعلنوه أميرًا لويلز[5]، وعلى مدار الأيام التسعة التالية هاجم حوالي 300 من أتباعه روثين وستة بلدات أخرى شرقي ويلز وأحرقوها[6]، لكن ذلك الاندفاع السريع والقوي تعرض لنكسة عسكرية بعد انتصار هيو لورد بورنيل (Hugh, Lord Burnell) في 24 أيلول 1400 على أتباع غلين دور في معركة ويلشبول (Welshpool)، فهرب غلين دور، وعند وصول الملك هنري الرابع إلى شروزبري بعد يومين من المعركة لم يجد له آثراً[7]، لكن ما صب في مصلحة غلين دور حدوث تمرد ويلزي آخر في أنجلسي أربك حسابات العرش بقيادة الأخوين ريس (Rice) وجوليم (Gwilym) إبني تيودور (Tudor)[8].

عقد هنري الرابع برلماناً في وستمنستر بين 20 كانون الثاني و10 اذار 1401، أصدر سلسلة تشريعات قاسية ضد الويلزيين، أهمها: مُنع أي ويلزي مهما كان ولاؤه من تولي مناصب عليا في الإدارة أو القضاء في إنگلترا أو في المدن الويلزية المسورة، ومنع الويلزيين من حمل السلاح وارتداء الدروع وامتلاك الحصون، وسُلبت من الويلزيين القدرة على مقاضاة الإنگليز في المحاكم، ومنح الإنگليزي حق مقاضاة الويلزي وقبول افادته ضد الويلزي في جميع الأحوال، وحظر التجمعات الكبرى والاحتفالات التقليدية، وبعد اطلاع الويلزيين على تلك التشريعات زاد مقتهم للإنگليز، فاستغل الأخوين ريس وجوليم ذلك، وسيطرا على قلعة كونوي في آذار 1401[9]، فاستغل أوين

(1) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.269.
(2) Alicia Marchant, Op. Cit., p.31-37.
(3) Glanmor Williams, Op. Cit., p.162.
(4) R. R. Davies, The Revolt of Owain …, p.54.
(5) Ibid, p.54.
(6) Alicia Marchant, Op. Cit., p.41.
(7) E. J. Priestley, The Battle of Shrewsbury 1403, University of Shrewsbury, 1979, p.8.
(8) R. R. Davies, The Revolt of Owain …, p.56.
(9) Ibid, p.56 – 57.

غلين تلك التطورات، وعبأ اعداد كبيرة من الويلزيين في جيش كبير حقق به نصراً كبيراً على الإنگليز في معركة هيدجن (Hedgen) بتاريخ حزيران 1401، ثم طلب من بعض مُلاك الأراضي الويلزيين الانضمام إلى تمرده[1].

شعر الملك هنري الرابع بالصدمة بعد اطلاعه على تلك التطورات، فغادر قلعة والينغفورد نحو ووستر، وفي طريقه تلقى رسالة من مجلسه ناشده فيها بعدم الذهاب إلى ويلز لخطورتها عليه، وحين وصل إلى ووستر تلقى أنباء عن انتصار إنگليزي حققه اللورد تشارلتون (Lord Tcharlton)، أُسر فيه العديد من الويلزيين، فعاد الملك إلى لندن للتشاور مع مجلسه حول الأساليب الأنجح لؤاد التمرد[2]، وتم التشاور حول آليات القضاء على التمرد، وهيأت المستلزمات اللوجستية لمباشره القتال ثم انطلق هنري الرابع بجيشه على طول الساحل الشمالي لويلز حتى كارنارفون، فأعدم تسعة من زعماء التمرد بخلاف العشرات من أتباعهم، ثم عاد في 15 تشرين الأول 1401 إلى شروزبري، وعزز حاميات كارنارفون، هارليتش، كريسيث (Christh) وبوماريس (Beaumaris)[3].

قرر الملك هنري الرابع كسب الويلزيين، فعرض العفو على أي متمرد يعلن خضوعه له، فوافاه كثير من المتمردين بضمنهم أحد أبناء أوين غلين دور[4]، أما أوين غلين دور فقضى شتاء ذلك العام مختبئاً في منحدرات ويلز وكهوفها مع ما لا يزيد عن سبعة من أتباعه[5]، فندم على تمرده وفكر بالذهاب إلى لندن وإعلان خضوعه للملك هنري، واستدرار عطفه[6]، لكن انعطافاً خطيراً حدث في 18 تشرين الأول 1401 حين عقد هنري الرابع اجتماعاً للبرلمان في ووستر، ناقش أليات تطبيق تشريعات برلمان وستمنستر القمعية لتذويب هوية الويلزيين، مما افقد عفوه السابق أهميته، وأشعر الويلزيين انه مجرد فخ لاستعبادهم قانونياً بوصفهم مواطنين من الدرجة الثانية، لذا بدلاً من خضوع بقية أتباع غلين دور إليه، انضم إِليهِ آلاف الويلزيين من ويلز وخارجها لدعم تمرده[7].

---

(1) B. Wilkinson, The Later Middle Ages …, p.272.
(2) Ibid, p.274.
(3) E. J. Priestley, Op. Cit., p.133.
(4) Sir William Clifford, King, Andy, Rebellion and Reward in Henry IV's affinity. In, The Fifteenth, Boydell & Brewer, Woodbridge, GB, 2010, p.139.
(5) Clarke and Galbraith, Deposition of Richard II, University Press Manchester, England, 1930, p.170-176.
(6) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.272.
(7) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.275.

أشر شهر حزيران 1402 تصعيداً دراماتيكياً في وتيرة الفعاليات القتالية للمتمردين، فنجح أوين غلين دور في اعتقال خصمه اللدود اللورد غراي، تزامناً مع قيادته حراكاً عسكرياً نحو عمق إقطاعيات آل مورتيمر في منطقة مايليينيد (Maelienydd) الوعرة. وشكلت واقعة التلة الخضراء (Bryn Glas)، التي دار رحاها في الثاني والعشرين من الشهر ذاته انعطافاً مفصلياً في تاريخ المواجهات بين المتمردين وجيوش إنگلترا، إِذْ تمكن المتمردون من سحق جيش نظامي ضخم بقيادة السير إدموند مورتيمر، وهو عم إيرل مارش وأحد أبرز القادة العسكريين في الثغور، وانتهى المطاف به أسيراً في يد القوات الويلزية، واستفاضت الروايات التاريخية المعاصرة في نقل تفاصيل مأساوية عكست ذروة الاحتقان القومي الويلزي ضد الإنگليز، منها إقدام بعض النسوة الويلزيات على التمثيل بجثث القتلى الإنگليز عبر بتر أعضائهم التناسلية ووضعها في أفواههم، وقطع أنوفهم ودفعها في أدبارهم، وسواها من ممارسات شنيعة عكست مدى مقتهن الإنگليز، والأنكى في المنظور الكنسي آنذاك أن تلك الجثث تُرِكت في العراء دون مواراة مسيحية تليق بكرامة الموتى[1].

وتفاعلاً مع ذلك الانكسار الميداني اجتمع هنري الرابع في 25 حزيران 1402 مع مجلسه لإطلاعه على نبأ وقوع مورتيمر في الأسر، معلناً عزمه الأكيد على قيادة حملة تأديبية بنفسه، فأصدر أوامر عاجلة بتحشيد القوات في ليشفيلد بحلول 5 تموز 1402، وأشرف شخصياً على تدعيم الاستحكامات الدفاعية في هيريفورد ولودلو وتشيستر، ثم قرر شن غزو شامل على ويلز عبر ثلاثة محاور عسكرية متزامنة، في أضخم تحرك عسكري شهده عهده منذ اعتلائه العرش، وكان مخططاً أن تنطلق الجيوش الثلاثة في 27 آب 1402 وتدمر الجيوب الويلزية المتمردة على مدار أسبوعين[2]، وكان مقرراً أن تذهب إحدى تلك الحملات إلى تشيستر بقيادة ابن الملك الامير هنري أمير ويلز ذي الستة عشر عامًا، والأخرى إلى هيريفورد بقيادة إيرل ستافورد، والثالثة إلى شروزبري بقيادة الملك هنري شخصيًا[3]، وبذل هنري قصارى جهده لضمان أن تُنهي تلك الحملة تمرد غلين دور، فذهب بنفسه إلى ميدلاندز بسرعة مُصدرًا الأوامر ومُحاولًا بنفسه توجيه فعاليات حملته[4]، فعُهد بقيادة الجيش الأول إلى إيرل ستافورد لمهاجمة

(1) Glnmor Williams, Op. Cit., p.43.
(2) Ibid, p.44.
(3) Alicia Marchant, Op. Cit., p.42.
(4) James Hamilton Wylie, Op. Cit., Vol. 4, p.289.

الاجزاء الجنوبية من مدينة ويجمور، والجيش الثاني بقيادة إيرل أروندل لمهاجمة شمال ويجمور، والجيش الثالث بقيادة ابنه وولي عهده الامير هنري، ووضع خططاً لحمايةِ المدن الأكثر عرضة للهجوم الويلزي، مثل ويلشبول ولودلو[1].

وفي خضم تلك التحضيرات المكثفة، تضافرت عوامل كثيرة على إضعاف فاعلية استعدادت التاج، في مقدمتها تناقل الألسن شائعات مفادها امتلاك غلين دور لـ "**حجر سحري**" يمنحه القدرة على التلاشي والاختفاء عن الأنظار[2]، وهو أمر يمكن تفسيره منطقياً في براعة غلين دور ورجاله في استغلال تضاريس ويلز المعقدة، وانسحابهم المنظم قبل وصول قوات الاستطلاع الإنكليزي إليهم، ناهيك عن رفض السكان المحليين العمل كمرشدين للقوات الإنكليزية الغازية[3]، كما أن سوء العوامل الجوية في السابع من أيلول بصورة غير مسبوقة أفشلت خطط التاج في جعل حملته استعراضاً للقوة الملكية، فقد اجتاحت العواصف والأمطار الغزيرة معسكر الجيش الإنكليزي، وكاد الملك هنري الرابع يفقد حياته لولا ارتداؤه لدرعه بعد سقوط خيمته عليه[4]، وأمام قسوة المناخ وضرورة حضور جلسات البرلمان في 30 أيلول 1402 لتأمين الدعم المالي اللازم لفعالياته القتالية المقبلة في ويلز، اضطر الجيش للانسحاب بعد أسبوعين من العناء الميداني، مخلفاً وراءه شعوراً عميقاً بخيبة الأمل، مقترناً بمنظر مخزي للمقاتلين الإنكليز المنسحبين وهم يجففون ملابسهم المبللة، وينظفون أطرافهم من الوحل الذي التصق بها[5]، ويمكن القول أن فشل تلك الحملة في القضاء على تمرد غلين دور من أهم الأسباب التي جعلت مورتيمر الأسير يقتنع بالتحالف لاحقاً مع المتمرد غلين دور، لاعتقاده أن تحالفه مع غلين دور – الذي هزم ثلاثة جيوش ملكية – يمكنه من إخضاع العرش.

واستمر أتباع أوين في استنزاف الحاميات الإنكليزية في أرجاء البلاد على مدار العامين التاليين[6]، مما دفع السلطة للاعتماد بشكل أساسي على آل بيرسي في التنسيق الدفاعي، فتولى هنري بيرسي الملقب هوتسبير مهام الملازم في شمال ويلز وجنوبها[7]،

(1) R. R. Davies, The Revolt of Owain …, p.58.
(2) Alicia Marchant, Op. Cit., p.46.
(3) Glanmor Williams, Owain Glyndwr …, p.66.
(4) Chris Given-Wilson, The Age of Chivalry: Art in Plantagenet England 1200 – 1400, Orion Publishing Co, London, 1987, p.161,
(5) Ibid, p.67.
(6) R. R. Davies, The Revolt of Owain …, p.63.
(7) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.277.

لكن مطلع نيسان 1403 شهد تحولاً دراماتيكياً بانضمام هوتسبير رسمياً إلى تمرد أوين غلين دور بعد اعتقاده بقدرة أوين غلين دور على تحقيق استقلال ويلز، وفي الوقت ذاته تسلم ولي العهد هنري مسؤولياته كملازم ملكي في جميع انحاء ويلز بميزانية مالية ضخمة قدرها ثمانية الاف ومائة باون لتأمين تجهيزات ثلاثة الاف من المقاتلين والرماة ورواتبهم[1]، فشهد شهري نيسان وأيار 1403 تحقيق نجاحات عسكرية إنكليزية أسفرت عن إنقاذ هارليتش وأبيريستويث، وتدمير ممتلكات غلين دور في سيخارث (Sycharth) وغليندیفردوي (Grindiferdoy)، لكن أوين غلين دور استغل عودة الأمير هنري إلى مقره في شروزبري في منتصف أيار 1403، فحشد قوة ضاربة قوامها 8240 رجلاً مطلع تموز 1403، وسار بها عبر وادي تيوي، مما أدى إلى تهاوي الإدارة الإنكليزية، وسقوط درايسلوين، نيوكاسل، إملين وكارمارثين في أيدي أتباع غلين دور، ووقوع دينفور، كيدويلي، لاندوفري وبريكون تحت وطأة حصارهم[2].

ولخص جون سكيدمور (John Skidmore) تلك الكارثة حين كتب في 5 تموز 1403 خطاباً إلى الملك هنري الرابع جاء فيه: "**أقسمت جميع كارمارثينشاير وسيدويلي وكارنويليان وإيسينين أمس قسم الولاء لأوين غلين دور**"، وبعد ثلاثة أيام أرسل ريتشارد كينغستون خطاباً إلى الملك حذره فيه من أنه إذا لم يأتِ إلى ويلز فورًا، فستضيع البلاد بأكملها، مضيفًا بنذير شؤم أن "**الناس يتحدثون بسوء بالغ**"، ونصح الملك هنري الرابع بالسير ليلًا ونهارًا للوصول إلى هناك، "**لأن الحضور العاجل لجلالتكم كفيل باستعادة زمام الأمور**"[3].

اتسم الموقف العسكري قبيل اندلاع المواجهة المباشرة في شروزبري بنوع من الحذر المتبادل، فسعى الملك هنري الرابع لفتح باب المفاوضات مع هوتسبير حقناً لدماء النبلاء وتجنباً لحرب أهلية تُضعف أركان حكمه الناشئ، في حين استهدف المتمردون من تلك المماطلة كسب الوقت بانتظار وصول المدد العسكري المرتقب من حلفائهم الويلزيين، واستمرت تلك السجالات الدبلوماسية بين الجانبين حتى مساء 21 تموز 1403، فحذَّر دنبار الملكَ من أن المتمردين يجيدون فن المراوغة لكسب الوقت، ونصحه بضرورة مباغتتهم قبل اكتمال صفوفهم[4]، وتوصل هنري الرابع إلى النتيجة

(1) Alicia Marchant, Op. Cit., p.51.
(2) R. R. Davies, The Revolt of Owain …, p.112.
(3) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.278.
(4) Glanmor Williams, Owain Glyndwr …, p.73.

ذاتها مع اقتراب وقت الغروب، فأدرك أن غاية هوتسبير وأتباعه تتجاوز مجرد عرض المظالم، إلى السعي لتنصيب المتمرد أوين غلين دور أو ابنه ملكاً على إنگلترا[1]، حينها صاح هنري الرابع على مقاتليه قائلاً: "**ما دمتُ حياً، أقسم أن ذلك لن يحدث أبداً. باسم الرب، ارفعوا الرايات وإلى الأمام**"، فدارت رحى معركة طاحنة بين القوات الملكية والمتمردين بزعامة هوتسبير، خلدها التاريخ باسم معركة شروزبيري[2].

وكانت لـ تلك المعركة نتائج عظيمة بالنسبة للملك ومؤسسة العرش بصورة عامة، لأنها انتهت إلى كارثة لأولئك المتمردين، وقضت على آل بيرسي نهائياً، وأضعفت زخم تمرد أوين غلين دور بشكل كبير، فأدرك غلين دور أن تمرده يحتاج حليف خارجي للصمود أمام الضغط الملكي الإنگليزي، فحاول استمالة إسكتلندا وأيرلندا، وحين يأس من تقديمهما دعماً فعلياً له لظروفهما الخاصة[3]، اختار فرنسا التي كانت منغمسة في صراع مرير ضد إنگلترا[4]، وعدت هنري الرابع مغتصباً لأراضيها، فبعث مطلع أيار 1404 خطاباً إلى شارل السادس طلب فيه إبرام تحالف رسمي بينهما[5].

ويحسب لـ غلين دور أنه كتب رسالته باللغة اللاتينية المقدسة لدى البابوية وفرنسا بوصفها أكبر مملكة مسيحية حامية للكاثوليكية، لكسب الفرنسيين الكاثوليك، وعد استفزازاتهم بتمايزات قومية وطائفية، وقدم غلين دور في مطلع رسالته نفسه بوصفه أمير ويلز، حيث استهلها بقوله: "**أوين، بفضل الرب أمير ويلز، إلى كل من سيطلع على رسائلنا هذه، تحياتنا**"[6]، فجاء الرد الفرنسي سريعاً، حين أوفد الملك شارل السادس بعثة راسها مستشاره القانوني كرافث يونك (Griffith Young)، وقريبه(John Hanmer)، وتم إبرام معاهدة تحالف بين الطرفين في 15 أيار 1404، أبرز بنودها الامتناع عن عقد أي صلح منفرد مع هنري الرابع[7]، وبناءً على ذلك، أمر ملك فرنسا الكونت لا مارش بتجهيز قوة قوامها ألف مقاتل من المسلحين ورماة النشاب لنقلهم إلى بمبروك دعماً للمتمردين، وبحلول منتصف آب حُشِدت ستون سفينة في ميناء بريست، لكن ذلك القائد الفرنسي تأخر في باريس حتى منتصف تشرين الثاني، ولخطورة الابحار في ذلك

(1) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.278.
(2) Ibid, p.278 – 279.
(3) R. R. Davies, The Revolt of Owain …, p.114.
4() سلام سهل شنشول، المصدر السابق، ص81.
(5) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.279.
(6) Chris Given Wilson, The Chronicle of Adam …, p.49 – 53.
(7) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.280.

الفصل إلى إنگلترا توجه نحو فالماوث (Falmouth) في كورنوال[1]، فاستشاط الأمراء الفرنسيون غضباً من سلوكه، واتهموه بتشويه شرف فرنسا[2]، واقترن ذلك بمهاجمة القراصنة الإنگليز سواحل نورماندي وبريتاني وبيكاردي وفلاندرز كأفواج الجراد رداً على التهديد الفرنسي لمملكتهم[3]، وابحر الملاح الإنگليزي هنري باين (Henry Pay) في نهر السين حتى بلغ مشارف باريس، مستولياً على سفن عدة في طريق عودته[4]، فأدى ذلك الفشل اللوجستي الفرنسي في إرسال الحملة الموعودة إلى جعل غلين دور في حالة ترقب، معتمداً على تكتيكات الاستنزاف الميداني للقوات الإنگليزية بانتظار دعم خارجي أكثر تنظيماً وتأثيراً[5].

لم يتأثر أوين غلين دور كثيراً بانهيار حلفائه في وقعة شروزبري، إِذْ مثّل عام 1404 ذروة المد العسكري للثورة الويلزية في الأجزاء الشمالية، لكن الحاميات الساحلية المعزولة صمدت بجهد جهيد في وجه الضغط المتواصل من المتمردين. وتجسدت محنة تلك الحاميات الإنگليزية بوضوح في رسالة قائد قلعة كونواي رينالد بيلدون، التي وجهها إلى رؤسائه في تشيستر في العاشر من كانون الثاني، وجاء فيها: "**أن المتمردين خططوا للعبور إلى أنجلسي لأسر جميع الرجال والماشية هناك ونقلهم إلى سنودونيا، والفرنسيون يحاصرون قلعة كارنارفون مرة أخرى، لأنها الآن أكثر ضعفاً مما كانت عليه حين هاجموها آخر مرة**"، وبموازاة ذلك أُلقي القبض على مسؤول قلعة هارليتش وليام هانفورد، ونُقل أسيراً إلى غلين دور، مما أثار موجة من الشكوك حول حقيقة ولائه للتاج، وكان العديد من جنود تلك الحامية قد قضوا نحبهم جراء القتال أو أصيبوا بوباء الطاعون، بينما حاول آخرون الفرار من جحيم الحصار لكن المتمردين قتلوهم جميعاً[6]، وبعث نائب قائد شرطة كارنارفون بعد بضعة أيام خطاباً بواسطه امرأة إلى الملك هنري الرابع جاء فيها: "**إن غلين دور والفرنسيين أحضروا الآن آلات الحصار وسلالم التسلق إلى القلعة**"[7].

---

(1) Glanmor Williams, Owain Glyndwr …, p.76.
(2) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.332 – 333.
(3) R. R. Davies, The Revolt of Owain …, p.147.
(4) James Hamilton Wylie, Op. Cit., Vol. 4, p.295.
(5) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.283.
(6) Gwilym Dodd and Douglas Biggs, The Reign of Henry IV …, p.52.
(7) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.336.

صمدت قلعة كارنارفون أمام جموع المتمردين، إلا أن الواقع العسكري كان مغايراً لذلك في قلعتي هارليتش وأبيريستويث، اللتان سقطتا في أيدي الويلزيين بحلول نهاية العام، وفي عام 1404 أيضاً خطا أوين خطوة سياسية كبرى بعقد أول برلمان له في منطقة ماشينليث ببوويز، وانضم إلى صفوفه أول أسقف ويلزي، هو أسقف سانت آساف جون تريفور، وتبعه بعد أشهر لويس بايفورد(1)، ويمكن الاستنتاج أن اتخاذ غلين دور لقلعة هارليتش الحصينة مقراً بلاطه وبرلمانه كان بمثابة إعلان رسمي وسيادي عن ولادة دولة ويلز المستقلة، ولم يعد من الممكن تقزيم دور أوين كقائد لمجرد حرب عصابات عابرة، وبدأ يظهر في الأفق كأمير حقيقي وقائد شرعي للشعب الويلزي(2).

وكان عام 1404 عاماً مثقلاً بالخسائر والقتامة على الإدارة الإنكليزية في وسط ويلز وجنوبها، فسقطت منطقة كيدويلي ونُهبت في آب، ورغم تحرير كارديف وكويتي في نهاية المطاف، إلا أن ذلك لم يتحقق إلا بعد حصارات مريرة ومطولة وحملات عسكرية مُكلفة(3)، كما اشتدت ضراوة غارات المتمردين على المقاطعات الحدودية الإنكليزية، ونالت شروبشاير نصيباً وافراً من الدمار(4)، وتجلت ملامح الانهيار الاقتصادي الناجم عن تلك الغارات في حجم الإعفاءات الضريبية التي اضطر التاج لمنحها بين عامي 1404 و1407، والتي تجاوز متوسطها في شروبشاير نسبة 25%، وفي هيريفورد قرابة 10%(5)، وأمام ذلك التردي، سمح الملك هنري الرابع في آب 1404 لسكان شروبشاير بالدخول في هدنة محلية مع المتمردين لمدة ثلاثة أشهر، ورغم ما حمله ذلك الإجراء من ضربة سياسية لمكانة العرش، إلا أنه لم يكن أمام الملك خيارٌ واقعي آخر لمواجهة تداعيات ذلك التدهور الشامل في الأمن والاقتصاد(6).

استشرت في تلك المرحلة التاريخية الدقيقة ظاهرةُ جدب مالي تام مُصيبة خزانة التاج وعائدات لوردات المارشر (Marcher Lords) بمقتل، فغدتْ عائداتُ السيادة الإنكليزية من الأقاليم الويلزية أثراً بعد عين(7)، وهو ما أفصح عنه قائد شرطة برومفيلد وييل (Bromfield and Yale) ومحصلها المالي إلى سيدهما إيرل اروندل ريتشارد

(1) George Holmes, The Later Middle Ages 1272 – 1485, The Norton Library arrangement with Thomas Nelson and Sons Ltd, New york, 1966, p.194.
(2) R. R. Davies, The Revolt of Owain …, p.198.
(3) Alicia Marchant, Op. Cit., p.91.
(4) Ibid, p.92.
(5) Glanmor Williams, Owain Glyndwr …, p.56 – 69.
(6) James Hamilton Wylie, Op. Cit., Vol 4, p.93.
(7) R. R. Davies, The Revolt of Owain …, p.199 – 200.

فيتزالان في رسالة رسمية عن حال لورديته: "**التي أمسى معظمها خالياً من المستأجرين**"، مع الإشارة إلى أن فئاتٍ من أهل تشيشاير أضمروا نيةً آثمة لنهب تخومها، وحمل أولئك المسؤولان في رسالتهما الملك هنري الرابع مسؤولية "**اشاعة الفوضى في جميع أنحاء ويلز**"، بسبب تدابيره المضادة للمتمردين وانعكاساتها السلبية على اقتصاد ويلز وتجارتها(1)، ومع أن تلك الرسالة تضمنت مبالغةً بسبب وطأة الأزمة، لكنها أشر تهاوي الهيمنة الملكية في ويلز، وهو ما بلغ أقصاه مطلع عام 1405، حتى أمست مفاصل السلطة الملكية معلقةً بـ "**خيطٍ واهن هدد بانهيار صرح السيادة الإنگليزية على ويلز**"(2)، وتعزى حالةُ الشلل اللوجستي التي أصابت الحكومة المركزية بين عامي 1403 و1404 إلى فترة الاستشفاء الطويل للأمير هنري، فضلاً عن النضوب المالي الذي كبل مفاصل الحراك العسكري الإنگليزي(3)، فمع أن الملك هنري الرابع تعهد برفد جهود قمع التمرد بأربعة آلاف باون سنوياً، وزوده بها في العام الأول لحراكه العسكري، لكن الدفعات النقدية التي استلمها الأمير في العام التالي تقصلت إلى ألف باون فقط(4).

استعاد الحراك العسكري الإنگليزي قوته بشكلٍ مطرد بعد انقضاء تلك الضائقة الاقتصادية، فمنذ شتاء 1404 – 1405 ارتفع منسوب الدخل السنوي للأمير إلى اِثني عشر ألف باون(5)، وشهد مطلع عام 1405 انعطافاً دراماتيكيا في السياسة اللانكسترية، فبعد ثمانية عشر شهراً من الركون إلى "**منهج الاحتواء للتمرد ومحاولة التفاوض مع رؤوسه**"، مالت كفة القرار نحو شن "**الهجوم المضاد ضد معاقل المتمردين**"، وتزامن ذلك مع تجدد حصول الأمير هنري على صلاحيات سيادية مطلقة في ويلز(6)، ويُستخلص من تضافر تلك القرائن أن تحول الاستراتيجية الإنگليزية من التقوقع السلبي إلى المبادأة الشاملة كان رهيناً بالوفرة النقدية التي أتاحت لمؤسسة العرش تجهيز مستمر للقوات الإنگليزية بما شجعها على الاندفاع في أنحاء ويلز، بعد أن كانت رهينة مناورات دفاعية خجولة جراء الأزمات الاقتصادية الخانقة التي آلمت بإنكلترا وانعكست سلباً على سكانها.

---

(1) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.338.
(2) Ibid, p.338 – 339.
(3) G. L. Harriss, Op. Cit., p.533.
(4) Ibid, p.534.
(5) Bede, A History of the English Church and People, Translated and with an Introduction by Leo Sherlcy-Price Revised by R. E. Latham, Dorset Press, New York, First Edition, 1955, p.62 – 67.
(6) Ibid, p.69 – 72.

أثمرتْ تلك السياسة الهجومية عن ضربة عسكرية مدوية في نيسان 1405، لجيش غلين دور في موقعة غروسمونت (Grosmont)، إذْ بوغتت فرقة ضخمة من أنصار أوين أثناء انشغالهم بتخريب البنية التحتية لتلك البلدة[1]، وعلى الرغم من التفوق العددي للمتمردين، إلا أن الفيالق الإنكليزية بفضل حنكة اللورد تالبوت استثمرت عنصر المباغتة، واحدثت مقتلة مروعة في صفوف جيش غلين دور[2]، بصورة كبحت جماح التمرد وحدت من زخمه، وتلتها بعد شهرين ضربة قاصمةٌ أخرى للمتمردين في موقعة أوسك، التي لقي فيها شقيق أوين غلين دور حتفه، وأُسِر ابنه الأكبر جروفود، وطُرِد جيشه المنكسر بعد تكبده خسائر فادحة[3].

وفعلتْ سياسة الترهيب فعلها في كسر إرادة الولاءات المحلية لـ أوين غلين دور، فجز القادة الإنكليز رؤوس بعض القادة، ونفذوا إعداماً ميدانياً في ثلاثمائة جندي، باستثناء جروفود ابن اوين غلين دور الذي سِيق مغلولاً إلى لندن حيث وافته المنية لاحقاً خلف قضبان برج لندن[4]، وفي حزيران 1405 تلاحقت النكبات بوقوع المبعوث الدبلوماسي الفرنسي جون هانمر في الأسر[5]، حينها ادرك المتمردون أن فرط ثقتهم بسبب نجاحاتهم السابقة هو من دمر قواهم، لأن أسلوب المعارك المباشرة ضد الجيوش الإنكليزية فوق طاقتهم، ولابد لهم من العودة إلى تكتيك المناوشات الجانبية ضد الجيوش الإنكليزية لضمان ديمومة تمردهم[6].

لاحتْ في أفق ويلز السياسي بحلول صيف عام 1405 بوادر تفكك صفوف أتباع أوين غلين دور، وبدا ذلك التصدع حين سعى كبارُ أتباعه والمقربين من دوائر قراره لعقد تفاهمات منفردة مع التاج اللانكستري طلباً للأمان، تزامناً مع انطلاق غارات بحرية إنكليزية من دبلن نحو جزيرة أنجلسي لتضييق الخناق الجيوسياسي على مراكز ثقل التمرد[7]، وأمام ذلك الواقع الميداني المنحسر لم يجد غلين دور بُداً من إعادة النظر

(1) Anthony Goodman, A History of England from Edward II to James I, Published in the United States of America by Longman Inc, New York, 1977, p.207 – 209.
(2) Gwilym Dodd and Douglas Biggs, The Reign of Henry IV …, p.51.
(3) R. R. Davies, The Revolt of Owain …, p.203 – 204.
(4) George Holmes, Op, Cit, p.201 – 206.
(5) Alicia Marchant, Op. Cit., p.97 – 99.
(6) J. L. Kirby, Signet Letters Calendar of Signet Letters of Henry IV and Henry V 1399 – 1422, H. M. Stationery Office, London ,1978, p.206.
(7) David Preest & James G. Clark, The Chronica Maiora of Thomas Walsingham, 1376 – 1422, Published by: Boydell and Brewer, Woodbrige, New york, 2005, p.379.

في خياراته، ففكر بإجراء مفاوضات مع العاهل الإنكليزي لإنقاذ ما تبقى من مشروع الاستقلال المتهاوي تحت وطأة الضغوط العسكرية، وفي تلك المرحلة الدقيقة، وتحديداً في آب 1405 رستْ في مياه ميلفورد هافن قوةٌ عسكرية فرنسية قوامها ألفين وستمائة جندي تحت إمرة المارشال جان الثاني دو ريو (Jean II de Rieux)، والأميرال رينو دو تري (Renaud de Trie)، وبمعيتهم القائد جان دي هانجست سيد هوغوفيل الذي خبر الملك هنري الرابع رباطة جأشه لأخر مرة في تشرين الأول 1400 إبان مفاوضات استعادة الملكة إيزابيلا(1)، ومع كل ما انطوى عليه ذلك التدخل من ثقل رمزي وبُعدٍ دبلوماسي إلا أن المنجزات الميدانية الفعلية لـ تلك القوة المشتركة ظلت محاطةً بسياجٍ من الريبة والشكوك لدى المحللين العسكريين المعاصرين لـ ذلك الحدث(2).

وبدا ضعف تلك القوة في اقتصار انجازاتها على احتلال كارمارثين عبر دهاليز المناورة الدبلوماسية والضغط السياسي بدلاً من الحسم الميداني المباشر(3)، واخترق فيلقٌ من الجيش المشترك العمق الإنكليزي بجرأةٍ لافتة، وحلَّ في أواخر آب في وودبري هيل (Woodbury Hill) مرابطاً على بُعد أميال معدودة من مدينة ووستر حيث كان الملك هنري الرابع يعقد مجلسه الاستشاري الأعلى(4)، بيد أن آمال غلين دور تبخرتْ سريعاً، لفشل حملته في إحداث أثر تكتيكي أو استراتيجي يُذكر في موازين القوى داخل إنكلترا، وغدت حملة عام 1405 بمثابة الشرارة الأخيرة وخط النهاية للتعاون العسكري المباشر بين باريس وويلز(5)، لاسيما بعد عجزها عن ضخ دماء جديدة في قوات غلين دور المتهالكة، واقتصار أثرها على مكاسب هشة(6).

ولم يكد خريف عام 1405 يأفل حتى استبان ضعف الأثر العسكري لتلك القوة، فانكفأتْ بانسحابٍ تكتيكي متسارع نحو بيمبروك تمهيداً للجلاء النهائي عن إنكلترا بعد الضربات القاصمة التي سددها الأدميرال بيركلي والبحار هنري باي للأسطول الفرنسي، ونجاحهما في بتر خطوط الإمداد الحيوية الفرنسي عبر البحر، بالشكل الذي

(1) Chris Given-Wilson, The Royal Household and the King's Affinity: Service, Politics and Finance in England 1360–1413, Yale University Press, London, 1986, p.141.
(2) Ibid, p.141 – 142.
(3) Anthony Tuck, Op. Cit., p.237.
(4) Ibid, p.239.
(5) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.339.
(6) Ibid, p.339 – 340.

أثار مخاوف تلك القوة في الانعزال داخل ويلز[1]، فأيقن غلين دور أن السيادة البحرية المطلقة للتاج الإنكليزي قد وأدت تلك المؤامرة الدولية في مهدها، محولةً الدعم الفرنسي من جيش تحرير مفترض إلى مجرد بعثة استكشافية عابرة أخفقت في تحقيق مآربها، مما دعا غلين دور لإرسال خطاب الى عاهل فرنسا شارل السادس، دعاه فيه الى توطيد تحالفهما، ومساعدته على التصدي للجيش الإنكليزي[2].

أثمرت الخطوات الاستباقية الإنكليزية في الربع الأول من عام 1406 عن سيطرة التاج الإنكليزي على جزيرة أنجلسي التي مثلت تاريخياً مخزن الغلال والعمق اللوجستي لأغلب حركات التمرد الويلزية[3]، وتلاحق سقوط معاقل المتمردين بدءاً بـ سيريديجيون في كانون الثاني 1407، وانتهاءً بـ فلينتشاير في نيسان من العام ذاته، وفي ظل ذلك الانحسار الجغرافي المتسارع تواترتْ طلبات الاستسلام الجماعي من أتباع غلين دور، وتفاقمتْ ظاهرة الانشقاقات الكبرى في صفوف أتباعه، مما أقحم التمرد في مرحلة النزع الأخير قبيل الانهيار الشامل[4].

تَقرر في المجلسِ العظيمِ (Great Council) المنعقدِ في نيسان 1407 تصعيدُ الضغطِ العسكريّ عبرَ إستراتيجيةِ الحصارِ الخانقِ، وفي 12 حزيران أُعيدَ تعيينُ الأميرِ هنري ملازمًا لويلز لمدةِ ستةِ أشهرٍ بقوةٍ ضاربةٍ قوامُها ستمائةِ جنديٍّ مُسلّحٍ وألفٌ وثمانمائة رامي سهام[5]، وكان هدفُ الأميرِ الأولِ استعادةَ قلعتي أبيريستويث وهارليتش، اللتان سيطرَ عليهما رجالُ غلين دور منذُ أواخرِ عام 1404[6]، فشُحنتْ مَدافع تصلُ أوزانها إلى أربعةِ أطنان ونصف، فضلاً عن ألفي رطلٍ وتسعمائةِ كيلوغرام من البارود ونتراتِ البوتاسيوم والكبريتِ[7]، ونُقل العتاد والآلات عبرَ ساحلِ ويلز لتسهيلِ المهمة، ومع أنها لم تكنْ ناجحةً تمامًا بسبب صمود أسوار أبيريستويث أمامَ القصف[8]، لكن

(1) Peter McNiven, Heresy and Politics in the Reign of Henry IV: the burning of John Badby, The Journal of Ecclesiastical History, Volume 40, Issue 3, Cambridge University Press, London, 1989, Published online by Cambridge University Press: 25 March 2011, p.144.

(2) رسالة من غلين دور الى الملك شارل الخامس، في 31 آذار 1406، أنظر مخطوطة رقم (7).

(3) R. R. Davies, The Revolt of Owain …, p.123.

(4) Alicia Marchant, Op. Cit., p.114.

(5) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.346.

(6) Chris Given-Wilson, The Royal Household …, p.146.

(7) Ibid, p.147.

(8) James Hamilton Wylie, Op. Cit., Vol 4, p.111.

استمرار الحصار براً وبحراً اجبر قائد القلعة الويلزي ريس دو الملقب "**ريس الأسود**" بالتعهد في 12 أيلول 1407 أنهُ إذا لم تصله نجدة من غلين دور أو أحد قادته بحلولِ الأولِ من تشرينِ الثاني من ذلك العام فسوفَ يُخلي القلعةَ ويقدمُ الولاءَ للملكِ الإنكليزي[1]، وأقسمَ الأميرُ هنري بعدمِ مهاجمةِ القلعة في تلك الأثناء والسماحِ لـ ريس ورفاقِهِ بالمغادرةِ دونَ أن يصابوا بأذى شريطةَ ألا يدمروا مدفعيةَ القلعة أو تحصيناتها [2]، وحين أُبلغَ أوينُ بذلك الاتفاقِ اتهم ريس ورجالَهُ بالخيانةِ، وبمجردِ انسحابِ الأميرِ هنري إلى غلوستر لحضورِ البرلمانِ زحف بقواته نحو قلعة أبيريستويث مما أدى إلى إبطالِ تلك الاتفاقيةِ[3]، وكان مغزى تلك الحادثةُ أنها كشفت عدم توافق زعماءِ التمردِ الذين رفضوا المساومةَ والتفاوضَ، والقادةِ الميدانيين للتمردِ الذين أدركوا استحالةَ الصمودِ ومواجهةِ الجيشِ الإنكليزي المتطورِ بآلاتِهِ العسكريةِ الحديثة[4].

كان مطلعُ عامِ 1408 هو البدايةَ الفعليةَ لنهايةِ تمردِ غلين دور، ففي غضونِ بضعةِ أشهرٍ عادَ الأميرُ هنري ومدافعهُ إلى أبيريستويث، وفي أيلول 1408 سقطتْ القلعةُ ولم يكن أوينَ غلين دور فيها، ثم غادرَ الأميرُ هنري إلى وستمنستر تاركاً استعادةَ هارليتش لـ جون وجيلبرت تالبوت[5]، وكانت ثقةُ الأميرِ بأولئك القادةِ في محلِها، لأنهم استعادوا هارليتش في ربيعِ 1409، واُعتُقِلت زوجةِ أوين غلين دور وابنِهِ ليونيل واثنتينِ من بناتِهِ وثلاثٍ من حفيداتِهِ وأرسلنَ جميعاً إلى برج لندن، ولقيَ صهرهُ إدموند مورتيمر، حتفهُ أثناء ذلك الحصارِ[6]، وبموتِ إدموند مورتيمر ماتتْ آخرُ التحالفات السياسية لغلين دور[7]، فتضاءل التمرد الويلزي إلى قلبِ الشمالِ الغربيّ الذي انطلقَ منهُ، وعلى الرغمِ من استمرارِ شنّ غارات حرب العصاباتِ من حينٍ لآخر إلا أنهُ بحلولِ عامِ 1409 عادت الحياة إلى طبيعتها في معظمِ أنحاء ويلز، وأُعيدَ فرضُ السيادة الإنكليزية المطلقة[8].

---

(1) Glanmor Williams, Owain Glyndwr …, p.81.
(2) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.347.
(3) R. R. Davies, The Revolt of Owain …, p.195.
(4) Glanmor Williams, Owain Glyndwr …, p.63 – 69.
(5) R. R. Davies, The Revolt of Owain …, p.200.
(6) J. L. Kirby, Henry IV of England, Printed in Great Britain by The Anchor Press Ltd, to publish by Constable, London, 1970, p.229.
(7) Glanmor Williams, Owain Glyndwr …, p.77.
(8) R. R. Davies, The Revolt of Owain …, p.209.

تزامنَ انكسارُ حدة التمرد مع ولوج مرحلةِ القصاص الماليّ الذي تلا خضوع الويلزيين للتاج، فلم يتبنَ العاهل اللانكستري نظام إرهابٍ دمويٍ عدا حالات إعدام متفرقة، وحاز المتمردون الأكثر صلابة، ومنهم هنري دون عفواً ملكياً في نهايةِ المطاف[1]، وكان الثمن الذي دفعهُ الويلزيون مقابل عقدٍ من التحدي استخلاص ما في جيوبهم، لأن العفو سواء كان شخصيًا أو جماعيًا كان يُشترى بمقابلٍ ماديّ، وكان على كلِ مجتمعٍ قروي تقريبًا شراءُ صكِ الغفران الملكي[2]، فدفعتْ مقاطعةُ كارمارثين أربعةَ آلاف باون بين عامي 1407 و1412، وسلمتْ بريكون خمسمائة واثنين وخمسين باون عام 1410 وحدهُ، وكانت أكبر الغرامات الفردية هي تلك التي طُلبتْ من صهرِ أوين جون هانمر الذي أُسرَ عام 1405 وقدرها ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين باون، ثم هنري دون الذي قادَ التمرد في كيدويلي عام 1403 وقدرها مائتين وستة وستين باون[3].

وهنا من المناسب القول أن التمرد وإن كان في طورِ الانحلال بحلولِ عام 1409، لكنهُ استغرقَ وقتًا طويلاً حتى خبا أثرهُ نهائياً، لأنه استحال إلى نوعٍ من حربِ العصابات التي كانت جبالُ ويلز ووديانها مناسبةً لها تمامًا، وانتهجَ المتمردون خلالها حملاتِ كرٍ وفر لتدميرِ الموارد الإقطاعية الإنكليزية، واختطافِ الشخصيات البارزة العاملة لصالح العرش ومساومته بالفدية المادية[4]، وهكذا استمرَّ تعزيز القلاع الإنكليزية على نفقة المجتمعاتِ الويلزية المنوط بها حمايتها، ففي تشرين الثاني 1409 طُلبَ من إيرل أروندل ولوردات المارشر الآخرين التوجه بسرعة إلى لورداتهم ومواصلةِ الهجوم، لأن مسؤوليهم كانوا لا يزالون يعقدون هُدن موضعيةً مع غلين دور[5]، أما بالنسبةِ للويلزيين الذين ظلوا موالين للتاجِ، فقد لاحقهم خطرُ الهجمات الانتقامية، وفي وقتٍ متأخرٍ من عام 1412 اختطفَ المتمردون السابقون السيد ديفيد جام من بريكون وسلموهُ إلى غلين دور، ثم أُطلق سراحه مقابل فدية[6].

كشفتْ مآلاتُ تمرد غلين دور الطويل عن آثارٍ لم تقفْ عند النتائج العسكرية فحسب، بل تركتْ آثاراً اقتصاديةً في المقاطعاتِ الإنكليزية، وأفصحتْ السجلات الملكية

---

(1) Glanmor Williams, Owain Glyndwr …, p.81.
(2) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.347.
(3) Ibid, p.348.
(4) R. R. Davies, The Revolt of Owain …, p.229.
(5) Thoma Rymer, Georgii Holmes, Foedera, Conventions, Literature, and General Knowledge Public, Inter, Reges Angliae, From year 1101, Vols 20, London, 1727, p.611.
(6) R. R. Davies, The Revolt of Owain …, p.225.

المالية لعام 1411 عن تأجيلِ أكثر من عشرة بالمائة من الضرائب على شروبشاير بسببِ الدمارِ الذي لحقَ بها[1]، وطالما ظلَّ غلين دور طليقًا لم ينطفئ الأملُ في قلوبِ أتباعه ولا الخوفُ في صدورِ أعدائه، لكنه قضى سنواتهِ الأخيرة هاربًا، ومُطارداً برفقةِ ابنهِ ماريدود، رافضاً عروض هنري الرابع بالعفو عنه، وحين توفي حوالي عام 1415، دُفنَ سرًا كي لا ينتهكَ أعداءهُ حرمةَ قبرهِ، وختاماً لابد من القول أن تجربة غلين دور كانت استثناءاً في تاريخ ويلز التي حولها من مقاطعة تابعة لإنگلترا إلى كيان مستقل له مجلسه ومؤسساته وجامعاته، ونجح في ادامه تمرده أكثر من عقد، بالشكل الذي جعله أطول التمردات على العرش الإنگليزي وأخطرها، وهي آخر محاولة ويلزية للاستقلال عن إنگلترا قبل ضمها نهائياً[2].

ثانياً – تمرد ال بيرسي (The Percy family) (3) **حزيران** 1403:

لم يدرْ بخلدِ أحدٍ في إنگلترا أن اليد التي توّجت الملك هنري الرابع ستكون هي ذاتها التي ستحاول انتزاع عرش منه، فمع حلول صيف عام 1403 انهار التحالف

(1) Gwilym Dodd and Douglas Biggs, The Reign of Henry IV …, p.66.

(2) R. R. Davies, The Revolt of Owain …, p.9 – 16.

(3) هي احدى أقدم وأقوى العائلات النبيلة في تاريخ إنگلترا، لاسيما في شمال البلاد أدوا دورًا محوريًا في السياسة والعسكرية الإنگليزية قروناً طويلة، ومرتبطون بقلعة النويك الشهيرة في نورثمبرلاند، تعود أصول عائلة بيرسي إلى وليام دي بيرسي، وهو فارس نورماندي جاء إلى إنگلترا مع وليام الفاتح عام 1066، كوفئ على ولائه بمنحه أراضي في يوركشاير ونورثمبرلاند، مما وضع الأساس السلالة بيرسي، أصبح وليام دي بيرسي أول بارون إقطاعي لتوبكليف في يوركشاير، وأصبح أفراد العائلة بشكل منتظم حراسًا للحدود الإنگليزية الشمالية (Warden of the Scottish Marches) ضد الغارات الإسكتلندية، مما منحهم قوة عسكرية ونفوذًا كبيرين في المنطقة، وأثناء تاريخهم الطويل، برز العديد من أفراد عائلة بيرسي الذين تركوا بصمة واضحة في التاريخ الإنگليزي، هنري بيرسي، إيرل نورثمبرلاند الأول ، كان شخصية رئيسية في الإطاحة بالملك ريتشارد الثاني ودعم صعود هنري الرابع إلى العرش في 1399 عام، بعد أن شعر بخيبة الأمل من هنري الرابع وعدم الوفاء بوعوده، قاد هو وابنه هوتسبير التمرد الذي بلغ ذروته في معركة شروزبري عام 1403، و السير هنري هوتسبير بيرسي (Sir Henry Hotspur Percy) ، ابن إيرل نورثمبرلاند الأول، واشتهر بشجاعته واندفاعه في المعارك، مما أكسبه لقب "هوتسبير" (أي "الحار الطبع")، وللمزيد من التفاصيل عن عائلة بيرسي انظر: Michael A. Hicks, Who's Who in Late MedievalEngland (1272 – 1485), Vol 3, Series Editor: Geoffrey Treasure, to ppublis Shepheard-Walwy, London, 1991, p.207 – 209 ; A. W. Boardman, Hotspur Henry Percy: Medieval Rebel, London, 2022, p.10 – 19.

المتين بين أسرتي لانكستر وبيرسي – أقوى عوائل البلاد حينها – وتحول الولاء المطلق إلى عداءٍ دامٍ وتمردٍ علني ضد الملك الذي صنعوه بايديه[1].

قاد ذلك التمرد القائد الشجاع هنري بيرسي (Henry Percy) الملقب بـ هوتسبير (Hotspur) أي المهمز الملتهب، ابن إيرل نورثمبرلاند وابن أخ إيرل ورسستر، ولم يكن خلافه مع الملك في بادئ الامر على السلطة، بل بسبب الديون المتراكمة على الملك لال بيرسي، والخلاف حول فدية الاسرى في معاركهم ضد الإسكتلنديين والويلزيين، فضلاً عن شعور آل بيرسي بتنصل الملك هنري عن العهد الذي قطعه لهم حين ساعدوه في الإطاحة بالملك السابق ريتشارد الثاني[2]، والثابت أن خيانة آل بيرسي صدمت الملك هنري أكثر من مؤامرة الغطاسين وتمرد اوين غلين دور، لأن دعمهم هو من سمح له بحشد ما يكفي من القوات في دونكاستر عام 1399 للاستيلاء على السلطة، وكان إيرل نورثمبرلاند نفسه هو من أسر ريتشارد الثاني، ثم أصبح إيرل نورثمبرلاند الرقم الصعب في مجالس هنري وبرلمانه[3]، كما أن هنري الأب وابنه هوتسبير دافعا عن شمال إنگلترا، ودعما الملك هنري الرابع في الحفاظ على شمال ويلز، وكان هوتسبير الناجي الوحيد من جميع أولئك الشباب والفتيان الذين مُنحوا لقب فارس مع هنري الرابع عام 1377[4]، وانفرد هوتسبير أيضاً بزيارته سانت إنجليفيرت وحضورة بطولات مبارزة الفرسان التيوتونيين، كما أن إيرل ووستر توماس بيرسي عم هوتسبير، كان من مقربي هنري الرابع وممثله الرئيس في المفاوضات مع فرنسا، والعضو البارز في المجلس الملكي مثل أخيه[5]، وهو بحكم قربه كان شاهدًا على زفاف هنري الرابع، والأهم من ذلك كله أن توماس كان الرجل المُكلَّف بحضانة ابن هنري الأكبر قبل بضعة أشهر فقط، واختاره هنري الرابع ليرافق إخوته إلى إنگلترا[6].

وهنا لابد من وضع علامات استفهام عن أسباب تمرد هنري بيرسي – هوتسبير – على عاهله هنري الرابع؟ التي إن بحثنا عن مكامنها لرأينا أنها شابهت إلى حدٍ كبير أسباب تمرد عائلته على الملك ريتشاد الثاني سابقاً، وهي بمجملها مقترنة برغبة آل

(1) M. H. Keen, Op. Cit., p.220.
(2) J. L. Kirby, Henry IV of England …, p.158.
(3) Timothy Venning, A Chronology of Medieval British History 1307 – 1485, publish by Routledge, London and New york, 2020, p.254,
(4) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.334.
(5) Ibid, p.223.
(6) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.335.

بيرسي في تقليص نفوذ العرش الإنكليزي شمال إنكلترا لصالحهم، مما دفعهم لدعم هنري بولنغبروك لتسنم العرش، ومساعدته على النيل من أعدائه، معتقدين أنه سيكافئهم على ذلك بجعل شمال مملكته مجالاً حيوياً لهم[1]، لكن هنري الرابع أثبت أنه ليس بيدقًا بيدهم، فقد أقرّ بمديونيته لهم بمنحٍهم كثير من المناصب بين عامي 1399 و1401، لكنها حملتهم مسؤوليات بقدر ما منحتهم من سلطة[2]، وزاد الوضع سوءاً بسبب معاناة آل بيرسي من تمردات الويلزيين وغزوات الإسكتلنديين وسجالاتهم، التي كانوا بحكم مناصبهم مجبرين على التصدي لها، بما حملهم مسؤوليات غير متناسبة مع امتيازاتهم، فأنفقوا أموالهم دون طائل[3]. وحين سعوا لاسترداد نفقاتهم لم يمنحهم الملك المال بسبب فقر الخزانة، وزاد الوضع سوءاً أن هنري الرابع وعد رعاياه بعدم فرض ضرائب جديدة عليهم بما غل يديه عن تسديد التزاماته ازاء آل بيرسي، واللافت أن آل بيرسي دون سواهم هم من أجبروا هنري الرابع على تقديم تلك الوعود في دونكاستر عام ١٣٩٩ قبيل تسنمه العرش، لجهلهم بالثمن الذي سيدفعونه لاحقاً[4].

وكان الثمن الذي دفعوه باهظاً، فالمناصب التي تسنمها آل بيرسي زجتهم في سيناريو مُرعب، لأنهم كانوا مسؤولين عن حماية مملكة عجز عاهلها عن تغطية نفقاتهم، فألقوا اللوم على هنري لا على أنفسهم، ومن المفارقات الأخرى الكامنة وراء تمرد عام 1403، أن آل بيرسي اعتقدوا أنهم صانعي ملوك، وبإمكانهم خلع الملك هنري الرابع من عرشه كما نصبوه سابقاً، أو على الأقل إخضاع مؤسسة العرش لنفوذهم بالشكل الذي يجعلهم ملوك إنكلترا غير المتوجين، ولاريب أن تلك الأفكار تعارضت تماماً مع مبادئ الولاء لمؤسسة العرش، بوصفها كياناً مقدساً في العصر الوسيط، وخروجاً عن الالتزامات الإقطاعية بنسختها الإنكليزية، التي أفردت للعرش حيزاً سلطوياً مهماً على أفصاله الإقطاعيين، مما أشعر هنري الرابع بخطورة الموقف، ودفعه للتحرك لاجتثاث تلك العائلة من جذورها[5].

(1) Mr. Kimber, The History of England, as well Ecclesiastical as Civil, from the Earliest Period, Together with a History of Scotland, Ireland, and the Neighbouring Kingdoms and States, Vol 4, for the Printed Autrok and at the N. Wosfdit, No date, London, p.154.
(2) David Mitchell, Unruly A History of England's Kings and Queens, penguin Random House, UK, London, 2023, p.231.
(3) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.237.
(4) Mr. Kimber, Op. Cit., Vol. 4, p.155.
(5) F. S. Haydon, Op. Cit., Vol 3, p.369.

وبدت بوادر الانقلاب الملكي على آل بيرسي في إيعاز الملك هنري الرابع لولده هنري بإهمال هوتسبير وعدم التواصل معه، بذريعة مسؤوليته عن سقوط قلعة كونواي في الأول من نيسان عام 1401، وعلى مدار الثمانية عشر شهرًا التالية ساءت علاقة مؤسسة العرش مع هوتسبير خاصة بعد معركة هوميلدون هيل، فوبخ الملك هنري الرابع إيرل نورثمبرلاند لفشل ابنه هوتسبير في جلب إيرل دوغلاس الأسير إلى البرلمان(1)، فأظهر هوتسبير بدوره جرأة لافته على الذات الملكية، حتى أنه وفقًا لرواية "**بروت**"، قابل الملك هنري الرابع للمطالبة بأمول مقابل استمراره في الدفاع عن المارشيين، وحين صده الملك، مبيناً أنه لا يملك شيئًا في خزانته، خرج هوتسبير عن تقاليد البلاط، فأخبر الملك أن عذره غير مقبول، وحدث جدال شديد بين الرجلين انتهى إلى لكم الملك هوتسبير في وجهه(2)، ووفقاً لرواية أخرى سحب هنري الرابع خنجرًا وهدد هوتسبير، فرد عليه الأخير بنبرة تحدي قائلاً: "**ليس هنا ولكن في الميدان**"(3)، وبغض النظر عن مدى دقه تلك الروايات فإن علاقة الطرفين أمست في أسوء حالاتها أواخر عام 1402.

وهنا من المناسب القول، أن عوامل اضافية مهدت لتمرد آل بيرسي، أولها: تنامي الصداقة بين آل بيرسي وغليندور، وقرار صهر هوتسبير السير إدموند مورتيمر الزواج من إحدى بنات غليندور والانحياز إلى المتمردين الويلزيين الذي أُعلن عنه علنًا في كانون الأول 1402، مما جعل الملك في مواجهة علنية مع اصهار آل بيرسي وحلفائهم(4)، وزاد الأمر سوءاً أن آل بيرسي وغلين دور اتفقوا على أن الملك هنري الرابع عدوهم المشترك، وثانيهما: أن ادموند مورتيمر هو عم إيرل مارش ذا الأثني عشر ربيعاً، الذي شكل خطراً على هنري الرابع بوصفه المرشح الشرعي للعرش، وكان بإمكان آل بيرسي استخدامه رمزاً لتمردهم، وتنصيبه ملكاً والاستحواذ على إنگلترا من خلاله في حال نجاحهم، اما السبب الثالث فهو سعي الملك هنري الرابع لإضعاف نفوذ آل بيرسي في شمال إنگلترا من خلال منح بعض ممتلكاتهم إلى مقربيه، وفي مقدمتهم صهره إيرل ويستمورلاند رالف نيفيل، ومنح مقاطعة ويلز المقسمة بين إيرل نورثمبرلاند وهوتسبير

(1) A. W. Boardman, Op. Cit., p.149.
(2) Friedrich W. D. Brie, The Brut: Or, The Chronicles of England, nushr hadha alkitab lijameiat alnusus al'iinjliziat almubakirat biwasitat kighan bul sharikat trinish, trubinar washarikah almahdudati, London, 1906, p.584.
(3) J. D. Griffiths Davies, Op. Cit., p.27.
(4) A. R. Myres, English Historical Documents 1327–1485, Vol. IV, Routledge publisher, Edition 2, New york and London, 1996, p.192.

لإبنه وولي عهده هنري لانكستر في اذار 1403[1]، والأنكى من ذلك أن الملك هنري الرابع لم يعوض هوتسبير عن ممتلكاته، وعوض أبيه إيرل نورثمبرلاند ببعض الممتلكات الفقيرة التي تدعيها إنگلترا في إسكتلندا[2]، وبدا الاستخفاف الملكي بآل بيرسي في إعلان الملك ابنه هنري نائباً له في ويلز، وتشكيله لجنةً للتحقيق مع أسرى هوميلدون هيل، معللاً تشكيل تلك اللجنةَ "**بعدم قدرة إيرل نورثمبرلاند وابنه هوتسبير على التصرف بنزاهةٍ بسبب مصالحهم**"[3].

اعتقد الملك هنري الرابع مخطئاً باستحالة تمرد آل بيرسي رغم الاشكالات السابقة، معولاً على حكمة كبار تلك الأسرة في كباح جماح صديقه السابق هوتسبير، واطمئن أكثر حين أرسل إيرل نورثمبرلاند في أيار 1403 إلى المجلس الملكي خطاباً ذكر فيه أنه وأبنه وهوتسبير سيحضران إلى قلعة أورميستون في إسكتلندا في الأول من أب 1403 لقبول استسلامها، وأنه يرجو الحصول على اقساط مالية لسداد متأخرات الدعم المالي[4]، وبعد اطلاعه على ذلك الخطاب زاد اطمئنان الملك هنري الرابع لأنه تلقى خطابات على غرارها طوال العامين الماضيين، وفي 26 حزيران من العام ذاته ارسل إيرل نورثمبرلاند خطاباً أخر للملك أكد فيه عزمه على استلام قلعة أورمستون، وأنه من أجل القيام بذلك بحاجة إلى المال بسرعة، وادعى الأيرل أن الملك هنري الرابع وعده بمبلغ دون ذكر مقداره وموعد تسليمه، ولإقناع الملك بذلك قال الأيرل: "**أن السمعة الطيبة للفروسية في مملكتك لن تُحفظ في ذلك المكان (أورمستون)، مما يؤدي إلى العار والكوارث لي ولابني، الذي هو من أتباعك المخلصين ...**"[5]، ولإضعاف موقف آل بيرسي بث الملك شائعة مفادها أنه منح إيرل نورثمبرلاند وابنه وهوتسبير ستين ألف باون منذ تسنمه العرش، فأنكر الأيرل ذلك، وشدد على أنه لم يتلقَ شيئاً، وله دين في ذمه الملك مقداره عشرين ألف باون، وقرن الأيرل سداد ذلك الدين بـ "**سلامة المملكة**"، في إشارة ضمنية إلى أن استقرار الجبهات التي يحميها آل بيرسي مرهون بالدعم المالي،

(1) Chris Given Wilson, The Chronicle of Adam …, p.123-124.
(2) Gwilym Dodd and Douglas Biggs, The Reign of Henry IV …, p.116.
(3) David Preest & James G. Clark, Op. Cit., p.389.
(4) Sir Harris Nicolas, Proceedings and Ordinances of the Privy Council of England, Vols 7, Government Documents Department, Printed by Command his Majesty King William IV in Pursuance of an Address of the House of Commons of Great Britain and Under the Direction of the Commissioners on the Public Records of the Kingdom, University State of Iowa, Vol. 7, London, 1834, p.203.
(5) Timothy Venning, Op, Cit., p.263.

والأنكى من ذلك أن الأيرل ذيل رسالته بتوقيع رمزي لافت هو "**تابعك ماثياس**"، وهو توقيع حمل دلالة دينية وتاريخية أشارت إلى إمكانية تبديل الولاء، في تذكير صريح للملك بفضل الإيرل في تثبيت أركان حكمه(1).

كان هنري الرابع في كينينجتون حين تلقى ذلك الخطاب، فقلق من مراميه، لاسيما جملة "**تابعك ماثياس**"، التي كتبها الأيرل بخط يده في إشارة إلى جدية التمرد، فماثياس كان والد يهوذا المكابي، ولقب "**المكابي الثاني**" في إنگلترا يُشير إلى ملك مثالي، وقد أُطلق على إدوارد الثالث، وارتبط بهنري عند عودته إلى إنگلترا عام 1399، وهكذا فإن ادعاء نورثمبرلاند بأنه تابعه ماثياس كان تأكيد على أنه بمثابة أب له، وأنه مدان له بعرشه ونفوذه وماله(2)، فانطلق هنري في الرابع من تموز، وفي 7 من تموز وصل إلى دير نيونهام في بيدفوردشير، وقضى يومين هناك ثم انتقل إلى هايغام فيريرز في نورثهامبتونشير في التاسع منه، وفي صباح اليوم التالي كتب إلى المجلس مُخبرًا إياهم بنجاح الأمير في شمال ويلز، فقد دمّر قصور غليندور في سيخارث وغليندیفردوي منذ أيار، وفكّ حصار قلعة هارليتش مؤخرًا، وطلب من المجلس إرسال ألف باون للأمير فورًا ليتمكن من مواصلة العمل الجيد(3)، وادعى أنه يعتزم التوجه إلى إسكتلندا لتقديم العون والمساعدة لأبناء عمومتنا الأعزاء والمخلصين، إيرل نورثمبرلاند وابنه هوتسبير، في المعركة التي خاضوها بشرف ضد الإسكتلنديين، وعلى ذلك الأساس صرّح المؤرخون عمومًا أن الملك هنري الرابع لم يكن لديه أدنى فكرة عن التمرد الوشيك، لكن ما يثير الريبة أن الملك أكد لمجلسه في ختام خطابه أن لدى حاملها إلمين ليجيت (Almin Legget)، معلومات اضافية سيبلغها شفاها للمجلس، وشدد الملك على ضرورة تفاعلهم مع المعلومات التي سيقولها المين، وهي طريقة شائعة لإرسال معلومات سرية، تجعلنا ندرك المغزى الحقيقي لتوجه الملك نحو آل بيرسي(4).

اتجه الملك هنري الرابع شمالًا قاطعًا اثنين وستين ميلًا إلى نوتنغهام، وتوقف فيها بحلول مساء 12 تموز بعد أن سمع شائعات عن قيام هوتسبير بجمع رجال تشيشاير، فكتب رسالة موجزة إلى مجلسه أمره فيها بإغلاق جميع الموانئ، واتجه إلى

(1) Sir Harris Nicolas, Vol. 7, Op. Cit., p.204.
(2) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.323.
(3) Ian Mortimer, The Fears of Henry IV The Life of England's Self-made King, Published by Vintage, London, 2008, p.298.
(4) Bryan Bevan & palgrave Macmillan, Op. Cit., p.96.

ليتشفيلد في 16 تموز، وحين وصلها أرسل أوامر إلى جميع عمداء مقاطعات ميدلاندز بإرسال رجال على الفور، وفي صباح اليوم التالي كتب رسالة عاجلة إلى المجلس تشبه نبرتها نبرة رجل في حالة اضطراب فقد كان هوتسبير في حالة تمرد مفتوح معلنًا ان "**الملك ريتشارد على قيد الحياة**"، وهي صرخة الحشد لمعارضي آل لانكستر[1]، ورداً على ذلك أمر الملك هنري الرابع أعضاء مجلسه بتقديم المساعدة فوراً، وأمر أمين صندوقه بجمع ما أمكنه من أموال[2].

والثابت أن الملك كان في مرحلة بالغة الدقة، فكان معه ألفي مقاتل وبعض النبلاء كأيرل يورك، لكن قوات آل بيرسي تفوقت على قواته عدداً وعدة، وامتلكت مهارة لا تضاهى[3]، لاسيما أن هوتسبير جمع في تشيستر أفضل رماة إنكلترا، وحشد أبوه إيرل نورثمبرلاند جيشًا آخر في الشمال للزحف جنوبًا والانضمام إلى قوات هوتسبير في ويلز، وحشد غلين دور جيشًا في جنوب ويلز للانضمام إلى آل بيرسي في شروزبري، وتكوين جيش عرمرم لأسر ولي العهد هنري وتدمير قواته، ثم الزحف نحو الملك هنري الرابع[4]، حينها أصدر الملك اوامر مستعجلة إلى إيرل ستافورد بالزحف نحو شروزبري، لدعم قوات أمير ويلز هنري، ومواجهة هوتسبير في معركة قبل وصول جيشي غلين دور ونورثمبرلاند، بالمقابل جمع هوتسبير في 17 تموز قواته في ساندیواي الواقعة على بُعد ثمانية وثلاثين ميلاً من شروزبري، وعبأ الملك هنري الرابع قواته في ليتشفيلد على بُعد تسعة وثلاثين ميلاً من المدينة ذاتها[5].

وصل هوتسبير إلى أبواب شروزبري في 20 تموز، فاستخدم خبرته العسكرية لاقتحامها وافشال تدابير الملك، فتقدمت قواته بسرعة، وأرسل فرقة من الرجال لمحاربة الأمير هنري في المدينة، ورغم نجاح تلك الخطوة الاستباقية[6]، إلا أن الملك كان ذكياً

---

(1) A. R. Myres, Op. Cit., Vol. IV, p.196.
(2) Isaac Kimber, The History of England, as well Metallical as Civil; From the Earliest Period, Together with the History of Scotland, Ireland, and the Neighboring Kingdoms and States, London, 1766, p.159.
(3) James Hamilton Wylie, Op. Cit., Vol 2, p.127.
(4) Ian Mortimer, The Fears of Henry IV …, p.304.
(5) PhilibMorgan, The Battle of Shrewsbury 1403, The History Press Ltd, Library of Congress, New york, 2003, p.98.
(6) John Capgrave, by Rev. Francis Charles Hingston, The Chronicle of England, British writers in the Middle Ages, Records and memorials of Great Britain and Ireland, Cambridge University Press, London, 2013, p.282.

في عدم زج قواته، في مغامرة غير مأمونة العواقب، واكتفى بإرسال قوة دعم صغيرة لإبنه، وابقاء الشطر الأكبر من جيشه لاستخدامه في الوقت المناسب[1]، وأثبت ولي العهد هنري بدوره عبقرية عسكرية حين نجح بالسيطرة على شروزبري، واستخدمها لمنع قوات هوتسبير من لقاء قوات غلين دور، كما أنه منع قواته من العودة، وحين وصل هوتسبير بقواته إلى أسوار المدينة وصلته انباء سيئة عن قرب وصول الجيش الملكي من جهة الشرق، فأصبح في وضع ميداني صعب، عالقًا بين المدينة والنهر والجيش الملكي، ولم يكن أمامه سوى اختيار القتال لإنقاذ نفسه وجيشه[2].

أقامَ الملك هنري في دير هوجموند في ليلة الجمعة 20 تموز، على بعد أربعة أميال شمال شرق شروزبري[3]. وفي ذلك المساء أرسل جواسيس ورجالاً لمعرفة أعداد جيش هوتسبير وموقعه[4]، ومع أن بعض المؤرخين بالغوا في وصف اعداد جيش هوتسبير فأوصلوه إلى ثمانين الف مقاتل أو ستين ألف مقاتل، إلا أن جون كابجريف ذكر أنها لم تعدو أربعة عشر ألف جندي، مقابل عدد مماثل جمعه الملك[5]، بيد أن نقطة قوة جيش هوتسبير تمثلت في احتوائه على خمسة الأف من أفضل رماة الأقواس الطويلة من تشيشاير، الذين كانوا قادرين بسهولة على تدمير جيشٍ يفوقهم بستة أضعاف، وكان لدى الملك رماة أقل منهم عدداً ومهارة[6]، وفي صباح اليوم التالي أفاد جواسيس الملك هنري أن هوتسبير حشد جيشه على تلة منخفضة في حقل بيريك وهي منطقة واسعة مزروعة بالبازلاء يصعب القتال فيها لأنها رطبة ومليئة بسيقان البازلاء مما يعيق تحرك الفرسان والمشاة معاً، لكن إيرل دنبار حثّ الملك هنري على بدء المعركة في أسرع وقت ممكن، فوافق الملك واستمع إلى القداس وشرب رشفة من النبيذ وركب جواده وأصدر الأمر بالتقدم[7].

انقسم رجال الملك إلى قسمين وشكّل رجال ولي العهد هنري قوة ثالثة انطلقت من المدينة جنوبًا، فترأس إيرل ستافورد الطليعة بما فيها الرماة، وتولى الملك هنري الرابع

---

(1) PhilibMorgan, The Battle of Shrewsbury 1403 …, p.102.
(2) Gwilym Dodd and Douglas Biggs, The Reign of Henry IV …, p.134.
(3) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.308.
(4) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.201.
(5) John Capgrave, by Rev. Francis Charles Hingston, The Chronicle of …, p.282.
(6) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.309.
(7) B. Wilkinson, The Later Middle Ages …, p.262.

بنفسه قيادة الجيش الرئيس، ثم ساروا جنوبًا من هوموند على طول طريق شروزبري حتى وصلوا إلى جنوب شرقي جيش هوتسبير، الذي كان متمركزًا على تلة منخفضة[1]، لإجبار جيش الملك على مهاجمته من خلال الصعود على منحدر تدريجي وفي مرمى رماة سهام تشيشاير وهو النظام الدفاعي الكلاسيكي الذي اعتمدته الجيوش الإنكليزية التي هيمن عليها رماة السهام طوال السبعين عامًا الماضية[2]، وكان التقدم ضد قوات هوتسبير أشبه بانتحار بواسطة آلاف السهام القاتلة، لذا قضى الملك هنري الصباح كله محاولًا تجنب خوض معركة، وأرسل رؤساء أديرة شروزبري وهوموند إلى هوتسبير، عارضين عليه المرور الآمن إذا رغب في التفاوض، أو إرسال ممثل إذا رغب في تقديم بيان شكاوى، فرفض هوتسبير الحضور شخصيًا، لكنه أرسل عمه إيرل ووستر، ويبدو أن ووستر حمل بيان آل بيرسي دفاعًا عن تمردهم وحدد البيان أفعال هنري المزعومة بالشهادة الزور، واتهمه علنًا بإصدار أمر بتجويع ريتشارد الثاني حتى الموت[3]، وكرر إيرل ووستر الشكوى القديمة بشأن عجز هنري الرابع عن الايفاء بالتزاماته المالية وسداد ديونه، فأقر هنري الرابع بمشاكله المالية لكنه أشار فيما يتعلق باغتصابه المزعوم للعرش، إلى أنه انتُخب ملكًا، وحث آل بيرسي على الاعتماد على فضله، فأجاب إيرل ووستر بوقاحة "**لا أثق بفضلك**"، ورد عليه الملك "**إذن، تقع عليكم مسؤولية الدماء التي ستُسفك هذا اليوم**"[4].

وذكرت رواية أخرى أن هنري قدّم لأيرل ووستر ضمانات كافية لتجنّب المعركة، لكن الأيرل حين عاد إلى هوتسبير أخبره كذباً أن الملك هنري الرابع رفض التفاوض، وبعد انهيار المحادثات، تأكد هنري بالرابع أنه بذل ما في وسعه، ولم يبقَ سوى خيار الهجوم[5]، فسار بين صفوف مقاتليه وحثّهم على القتال بِجدّ زاعماً أن الرب اختاره ملكاً، وأنهم يرضون الرب إن دافعوا عنه، وأعلن أن النصر سيكون لمصلحة المملكة برمتها، وزاد من أثر خطابه بين مقاتليه أن رايات القديسين إدوارد وجورج رفرفت فوقه، وبجانبه الراية الملكية التي حملها السير والتر بلونت، ثم أمر هنري الرابع إيرل ستافورد بالزحف

(1) John A. F. Thomson, The Transformation of Medieval England 1370 – 1529, Published by Routledge, London, 2014, p.263.
(2) J. L. Kirby, Henry IV of England, Op. Cit., p.161.
(3) F. S. Haydon, Op. Cit., Vol 3, MCCCLXVI, p.397.
(4) Sir Harris Nicolas, Op. Cit., Vols 7, p.209.
(5) A. R. Myres, Op. Cit., Vol. IV, p.201.

نحو جيش هوتسبير[1].

كان ستافورد رجلاً شجاعًا لم يشك في قدرة رماة تشيشاير على إلحاق خسائر فادحة بطليعة قواته، وكان عارفاً بأن الأقواس الطويلة تكون في أوج قوتها عند مواجهة هجوم قادم مما سيكبده خسائر فادحة، فأوعز إلى رجاله بالصعود بأقصى سرعة متفرقين، والاحتماء بمخابئ التل أثناء صعودهم، فسارت الطليعة الملكية إلى الأمام وهي تصرخ وتهتف بالشتائم على بيرسي[2]. ومع نفخ الأبواق والصيحات والأقواس جاهزة قادهم ستافورد إلى المعركة على بعد ألف ياردة من التل فوصلتهم موجة السهام الأولى، وبعد دقيقة أظلمت السماء وحجبت الشمس من وابل السهام، الذي بدا كأنه سحابة فوق رؤوس الجيش المتقدم، واسترسل بريان بوردمان في تصوير ذلك الموقف قائلاً: "**لقد سقط رجال الملك بسرعة مثل سقوط أوراق الشجر في الخريف بعد الصقيع**"[3]. ولا يمكن لأي باحث جالس في مكتبه محاطًا بالسجلات القديمة أن يصف المشاعر التي اجتاحت مقاتلي تلك المعركة، مهما بلغت تحليلاته دقة، لكن تتبع مسار الحقيقة بين الروايات المتضاربة يُظهر خوف المقاتلين الملكيين من تلك السهام، وصراخهم من شدة الألم وصهيل الخيول، أما بالنسبة للرجال في الخطوط الأمامية فلا بد أن الرعب كان يفوق أي شيء شهدوه في حياتهم لكن كان هناك ما يكفي منهم لمواصلة التقدم نحو المتمردين وعلى حد تعبير جان دي وارين "**بعد أن استنفدت السهام وضع الجند أيديهم على السيوف والفؤوس وبدأوا بقتل بعضهم البعض، وقُتل الرجال والخيول بطريقةٍ يُرثى لها، ولم يكن للرحمة مكان، فكلٌّ منهم حاول الفرار، إذْ لم يكن هناك صديق أو قريب، بل كان كلٌّ منهم يُفكّر في نفسه فقط، لكن أغلبهم قاتلوا بشراسةٍ مُتساويةٍ لدرجة أنه لم يكن من المُمكن تخمين من سيبقى له النصر**". ولكن في النهاية وبفضل شجاعة إيرل دوغلاس ورفاقه انتصرت طليعة الملك[4]، مما أشر بداية انهيار جيش هوتسبير، وربما احتوت الكلمات الأولى من ذلك المقطع المؤثر على مفتاح فهم حيثيات المعركة، فمع أن رماة تشيشاير قتلوا عددًا كبيرًا من رجال طليعة قوات الملك، إلا أن سهامهم

(1) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.312.
(2) A. W. Boardman, Op. Cit., p.268.
(3) Bryan Bevan & palgrave Macmillan, Op. Cit., p.98.
(4) John de Waurin, Lord of Forestel, A Collection of the Chronicles and Ancient Histories of Great Britain, Now Called England: From A.D. 1399 to A.D. 1422, Published by Longman and Green and Roberts, University of Oxford, London, 1887, p.61.

بدأت تنفد مما سمح للطليعة الملكية بمهاجمة مواقع جيش المتمردين مباشرةً، وكان بإمكانها تدميرها، لولا تدخل إيرل دوغلاس الذي هزم الطليعة الملكية وأجبرها على التراجع[1].

ويبدو أن طليعة الملك بقيادة ستافورد رغم نجاحها تكبدت خسائر أضعفت اندفاعها، لاسيما بعد مقتل إيرل ستافورد[2]، ففرّت الطليعة مذعورة إلى أسفل التل[3]، وخلفها رماة تشيشاير الذين استخرجوا سهامهم من جثث لبمقاتلين ثم بدأوا إطلاق سهامهم مجددًا على رفاقهم المنسحبين، وحين رأى الملك هنري الرابع إنكسار طليعته أدرك أن عليه قيادة الجيش وإيقاف الهاربين، فطلب من ولي عهده هنري مهاجمة جيش هوتسبير من الجناح لتشتيت انتباه الرماة، وفي الوقت نفسه أمر الملك هنري عازفي البوق بإعطاء الإشارة للجزء الرئيس من الجيش بالهجوم[4].

اشتبك الجيشان عند سفح المنحدر في معركة شديد الضراوة، وصفها مؤلف كتاب "**الوحش**" (The Brut) بـ: "**أعنف وأقسى وأشد معركة شهدتها إنگلترا على الإطلاق، إذْ كان هناك الابن ضد الأب، والأخ ضد أخيه، والأقارب ضد الأقارب**"[5]. ووفقاً لواورين رجحت كفة المتمردين، فاندفعوا إلى ساحة المعركة مع صراخ وضجيج شديدين، زادت من وطأتهما الأبواق، وواصل واورين وصفه للمعركة بأسلوب ايحائي قريب للواقع، "**وكان من المروع سماع أنين الجرحى الذين قضوا نحبهم بشقاء تحت حوافر الخيول، ووقعت مذبحةٌ لرجالٍ رقدت جثثهم بلا روح لدرجة أن مثل هذه المذبحة لم تُشاهد في إنگلترا منذ زمنٍ طويل، ولم تشهد مملكة إنگلترا معركة مروعة كهذه أو دماء مسيحية كثيرة أريقت كما في هذه المعركة**"، وشارك الملك هنري ذاته في القتال، مظهراً ضروباً من الشجاعة، بالغت في وصفها بعض المصادر فذكرت أنه قتل بيده ثلاثين من رجل أعدائه[6]، حينها أصبح هدف كل جيش قتل قائد الجيش المعادي له لحسم المعركة[7]، فصوب رماة تشيشاير الذين ما زالوا يحملون سهامهم نحو الملك إلا أنهم لم يتمكنوا من اصابته، فرموا ابنه هنري بسهمٍ اخترق جمجمته أسفل عينه اليسرى

(1) A. W. Boardman, Op. Cit., p.271.
(2) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.301.
(3) Johannis de Trokelowe et Henrici de Blaneforde, Op. Cit., p.367.
(4)A. W. Boardman, Op. Cit., p.272.
(5) Friedrich W. D. Brie, Op. Cit., p.549.
(6) John de Waurin, Op. Cit., p.62.
(7) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.314.

مباشرة، لكن مع احتدام القتال اليدوي دب الوهن في جيش هوتسبير وانهك رماته وتضعضعت صفوف فرسانه ومشاته[1].

قرر هوتسبير أن يُراهن بكل شيء على هجومٍ واحدٍ عظيمٍ مُباشرٍ نحو الملك، فجمع ثلاثين من أشدّ مُناصريه ثقةً بمن فيهم إيرل دوغلاس وعمه إيرل ووستر وحثّهم جميعًا على رصّ رماحهم استعدادًا[2]. وكان هنري الرابع لا يزال في خضم القتال غافلاً عن نية أولئك الفرسان لكن إيرل دنبار رأى ما يحدث، وأدرك على الفور أن الملك في خطر كبير لاسيما بعد أن استطاعت مجموعة من الفرسان المهاجمين حاملين الرماح أن يشقّوا طريقهم فجأة عبر حشد من المشاة والفرسان نحو الملك، فصرخ إيرل دنبار على الملك هنري حاثّاً إياه على الانسحاب[3]، فتردد الملك هنري الرابع خشية اتهامه بالخوف، وخشية انكسار جيشه، لكنه انسحب جزئياً لامتصاص زخم المهاجمين تزامناً مع اصابة حامل الراية الملكية السير والتر بلونت، في مؤشر على قوة اندفاع العدو[4]، لكن الهجوم فشل بعد تطويق أولئك الفرسان وكسر ارجل خيولهم، وأثناء انشغالهم بالقتال، رأى فرسان العدو[5]، السير والتر بلونت المرتدي درع الملك هنري الرابع مقتولًا فصاحوا "**مات الملك هنري**"، و"**هنري بيرسي الملك**"[6]، فتشجع جيش المتمردين وجدد هجومه، إلا أن هوتسبير وفرسانه الثلاثين لم ينجوا، فرفع الامير هنري قناع هوتسبير وصاح "**مات هنري بيرسي!**". ثم كررها مرة أخرى "**مات هنري بيرسي! انتهى الأمر انتهى التحدي فقد تكلم الرب**"[7]، فحُسمت المعركة بعد مقتل هوتسبير وإيرل ودوغلاس وكبار القادة وأسر إيرل ووستر، فهرب من بقي من المتمردين وسيوف الجيش الملكي في اعقابهم، وهكذا تحولت ساحة المعركة إلى دماء اختلطت بالبازلاء، ولا غرو بعد ذلك كله أن صُنِفت معركة شروزبري ضمن أعنف عشرين معركة في القرن الخامس عشر، كما أنها أنقذت الملك هنري الرابع من خطورة تحول تمرد هوتسبير إلى صراع سلالي شامل، لاسيما أنه امتلك

(1) Bryan Bevan & palgrave Macmillan, Op. Cit., p.101.
(2) F. S. Haydon, Op. Cit., Vol. 3, p.397.
(3) John de Waurin, Op. Cit., p.63,
(4) Chris Given Wilson, The Chronicle of Adam …, p.171.
(5) A. W. Boardman, Op. Cit., p.263.
(6) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.305.
(7) A. W. Boardman, Op. Cit., p.332.

جميع أسباب النجاح، فقد شارك فيه ثلاثة إيرلات أقوياء، ودعمه مرشحً وراثيً للعرش هو إدموند مورتيمر، وكان من الممكن أن يؤدي إلى حرب أهلية أوسع نطاقًا[1].

تأرجح مسار التاريخ الإنكليزي بعد تلك المواجهة، فلم يسبق لملك من سلالة بلانتاجنت أن قاد رجاله إلى النصر في معركة ضارية على أرض إنكليزية، ومع ذلك فقد فعل هنري ذلك مُظهرًا مهارة قتالية من طراز رفيع، واستغل الملك هنري الرابع ذلك النصر فأدعى ان ذلك النصر قصاص الرب لهوتسبير وآل بيرسي في جميع أنحاء المملكة، واستغل تداعياته لتثبيت أركان عرشه، ثم نُقل جثمان هوتسبير أولاً إلى ويتشيرش لدفنه لكن في الليلة ذاتها أمر الملك هنري الرابع بإعادته إلى شروزبري فوُضعت جثته في وضعية الجلوس، وأُسندت إلى فأس مغروس بين حجري رحى كبيرين ليتمكن الجميع من رؤية وفاته، خشية ادعاء البعض عدم وفاته كما جرى مع الملك ريتشارد الثاني[2]. وفي وقت لاحق تم قطع رأسه وعُرض في يورك، واكتسبت ساحة المعركة أيضاً مكانةً رمزية أيضاً، بوصفها ثبتت قوة آل لانكستر وكسرت شوكه منافسيهم[3]. وتم دفن حوالي الف وثمانمائة رجل في مقبرة جماعية في ساحة المعركة[4]، بخلاف من تمزقت اشلائهم من الجيشين بسبب السيوف والسهام وسنابك الخيول، ومما له مغزاه أن الملك أمر ببناء كنيسة في ذلك الموضع ليس احترامًا للموتى فحسب بل كرسالة إلى الأخرين – وفي مقدمتهم متمردي ويلز من اتباع غلين دور – مفادها أنه مؤيد من الرب ومن يحاول التمرد ضده سيواجه المصير نفسه[5]، ومع أن بعض المصادر أدعت أنه بعد عودته إلى وستمنستر أقامَ احتفالات واسعة، لكن الحقيقة التاريخية أنه لم يذهب إلى هناك ولم يظهر علامات ابتهاج، لأن كثيراً ممن قتلوا كانوا من أنصاره ومقربيه بضمنهم هوتسبير ومن ورائه، كما أنه كان قلقاً لأن والد هوتسبير كان لا يزال طليقًا ومعه جيش كبير، وكان غلين دور أيضاً في الميدان، ومن الحماقة أن يعود إلى وستمنستر ويتظاهر بالنصر في ظل تلك التحديات[6].

أرسل هنري الرابع خطاباً إلى إيرل ويستمورلاند في 22 تموز 1403، أمره فيه باعتقال إيرل نورثمبرلاند، وفي 23 تموز أطلع إيرل ويستمورلاند على جثمان هوتسبير

(1) Ian Mortimer, The Fears of Henry IV …, p.309.
(2) Bryan Bevan & palgrave Macmillan, Op. Cit., p.109.
(3) Ian Mortimer, The Fears of Henry IV …, p.310.
(4) James Hamilton Wylie, Op. Cit., Vol 1, p.363.
(5) Chris Given Wilson, The Chronicle of Adam …, p.171.
(6) Ian Mortimer, The Fears of Henry IV …, p.314.

فبكي تأثراً عليه، لكنه اضطر لتنفيذ أمر الملك بقطع رأس عمه إيرل ووستر مع فارسين أخرين، هما: السير ريتشارد فيرنون والسير ريتشارد نيفيل، ثم انطلق شمالًا باحثًا عن إيرل نورثمبرلاند، فوصل إلى نوتنغهام أواخر تموز، وبلغ أسوار قلعة بونتفراكت في 4 اب 1403[1]، ولم يكن هناك شك في تورط إيرل نورثمبرلاند في تمرد ابنه، فقد حمل بيانهم اسمه وكذلك بياني ووستر وهوتسبير، وأكد إيرل نورثمبرلاند ذاته في تادكاستر نيته الزحف ضد الملك، لكنه حين تيقن من انكسار شوكة التمرد في شروزبري ومصرع ابنه هوتسبير انكفأ متراجعاً صوب نيوكاسل أبون تاين، في وقت أطبق فيه ويستمورلاند وروبرت واترتون الحصار عليه لمنع فراره[2]، وتفاقمت محنة الإيرل حين رفض أهالي نيوكاسل الموالون للعرش استقبال جيشه، فاضطر للدخول وحيداً مع شرذمة قليلين من حاشيته، تاركاً خلفه جنداً عصفت بهم مشاعر الغضب جراء ذلك الخذلان، وفي خطوة جردته مما تبقى له من هيبة عسكرية، أقدم الإيرل على تسريح قواته والاعتصام بقلعة واركوورث، ليوافيه هناك وعيد الملك هنري الرابع آمراً إياه بالمثول في يورك صاغراً ومُعلناً استسلامه المطلق[3].

كانت لمدينة يورك عدة بوابات وفوق أحد تلك البوابات وُضع رأس هوتسبير وأُجبر إيرل نورثمبرلاند على دخول المدينة من البوابة التي عُلق فوقها رأس ابنه هوتسبير لاجباره على رؤية وجه ابنه الميت غارقًا في الدماء وعيناه الغائرتان، ومع أن هنري الرابع وعد في رسالته إلى إيرل ويستمورلاند أنه سيُبقي على حياة الإيرل لكن تمرد ابنه اضعفت احتمال الابقاء على حياته[4]، وبعد أن مثل الأيرل أمام هنري الرابع أنكر معرفته بالتمرد، وادعى أن ابنه تصرف دون استشارته، فأخبره هنري الرابع أنه سيُسمح له بمخاطبة البرلمان[5]، ثم أخذه إلى بونتفراكت واجبره على تصديق وثائق تسليم جميع قلاعه وممتلكاته، ثم أرسل الإيرل إلى باجينتون قرب كوفنتري لانتظار البرلمان القادم، حينها فقط شعر هنري الرابع أنه نجح في وأد تمرد آل بيرسي[6].

---

(1) James Hamilton Wylie, Op. Cit., Vol 4, p.366.
(2) Bryan Bevan & palgrave Macmillan, Op. Cit., p.110.
(3) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.321.
(4) Bryan Bevan &palgrave Macmillan, Op. Cit., p.118.
5() سلام سهل شنشول، المصدر السابق، ص19.
(6) F. S. Haydon, Op. Cit., Vol 3, p.397.

المبحث الثالث

تردي علاقة هنري الرابع بإكليروسه وباروناته وأثره في حدوث تمردي الأسقف سكروب وبيرسي الأب 1405 – 1408

أولاً – تمـرد رئـيس الأسـاقفة ريتشـارد سـكرووب (Richard Scrope)[1] عـام 1405:

اتسم تمرد الأسقف سكروب ضد الملك هنري الرابع بخصوصية جعلت منه منطلقاً استثنائياً في تاريخ إنكلترا الوسيط، لا لكونه تمرداً عسكرياً ضد العرش فقط بل لأنه صداماُ نادراً بين السلطتين الزمنية والروحية، فلم يأتي التهديد للعرش الإنكليزي تلك المرة من الطامعين بالسلطة او المال من النبلاء والإقطاعيين بل من اروقة الكاتدرائيات المقدسة[2]، وهنا لابد من لفت الانتباه إلى أن رئيس الأساقفة ريتشارد سكروب كان داعماً لهنري الرابع أثناء تمرده على الملك ريتشارد الثاني، ومن أنصار الملك هنري الرابع ومؤيديه، لكن رئيس الأساقفة سكروب شعر بالندم بسبب طريقة أدارة هنري الرابع لشؤون إنكلترا، فاتهمه بنقض جميع الوعود التي قطعها على نفسه قبل تتويجه، لاسيما تعهده

1() ريتشارد سكروب (1350–1405) وهو شخصية دينية سياسية في إنكلترا اواخر الصور الوسطى وهو رئيس أساقفة يورك، كان شخصية بارزة في عهد الملك هنري الرابع، ولد ريتشارد سكروب لعائلة نبيلة قوية وثرية في يوركشاير شمال إنكلترا. درس الفنون في أكسفورد والقانون في كامبريدج، وأصبح مستشارًا لجامعة كامبريدج في المدة من 1378 إلى 1379 ، عُين أسقفًا لكونتر ويليشفلد عام 1386، ثم أصبح رئيسًا لأساقفة يورك عام 1398، وذلك بتأثير من الملك ريتشارد الثاني ، خدم ريتشارد الثاني كمبعوث إلى إسكتلندا وروما ، انضم إليهِ هنري الرابع على الرغم من ارتباطه الوثيق بريتشارد الثاني، إلا أنه كان من الوفد الذي قبل تنازل ريتشارد الثاني عن العرش، وانضم إلى توماس أروندل، رئيس أساقفة كانتربري، في تنصيب الملك هنري الرابع عام 1399 ، كان ريتشارد سكروب شخصية دينية وسياسية مهمة في إنكلترا في بداية القرن الخامس عشر، وانتهت حياته بإعدامه لدوره في التمرد ضد الملك هنري الرابع ، اعتبر الكثيرون سكروب "شهيدًا" بعد إعدامه وقارنوه بالقديس توماس بيكيت (Thomas Becket) الذي قتل نتيجة صراع مع الملك. أصبح قبره في كاتدرائية يورك مكانًا للحج والتعبد وللمزيد انظر : Leslie Stephen - Sir Sidney Lee, py James Tait, Dictionary of National Biography, Vol 51, Macmillan Publishing House, Press at Oxford University Press, USK, London, 1897, p.144 – 147.

(2) Simon Walker, Edited by Michael J. Braddick, Political culture in later medieval England, Published by Manchester University Press, USK, 2006, p.161.

بعدم اثقال كاهل رعاياه بالضرائب، وزاد مقت رئيس الأساقفة سكروب للملك هنري الرابع بعد قتله الملك المخلوع ريتشارد الثاني بطريقة مأساوية وغير أخلاقية، حينها خلُصَ سكروب إلى أن هنري الرابع ملكاً مستبداً مستخفاً بقوانين المملكة، ولا بد من التصدي له[1].

وتضافرت أسباب أخرى على شعور سكروب بضرورة التحرك ضد الملك، وإعلان العصيان على مؤسسة العرش، ليس أخرها أن سكروب كان مقرباً من عائلة بيرسي الذين تمردوا على الملك هنري الرابع، وانزعج جداً من مقتل هوتسبير ثم التمثيل بجثته في قسوة مفرطة تجاهل فيها الملك خدمات عائلة بيرسي للعرش ودورها المحوري في تسنم هنري الرابع العرش[2]، واعتقد سكروب أيضاً ان الملك هنري الرابع تطاول على استقلال الكنيسة وممتلكاتها، وركز في سياسته على إضعاف دورها، ولابد من تحرك اكليروسها لتصحيح مسار الحكم[3]، وهكذا قرر سكروب قيادة تمرد جديد، مستغلاً انشغال الملك هنري الرابع بالتصدي للمتمردين عليه، وكان الملك هنري الرابع ثد سافر في 23 أيار إلى ووستر لتقويض التحركات الويلزية المضادة له، لكنه غير مساره نحو شمال إنگلترا في 26 أيار 1405 بسبب تسارع وتيرة التمرد هناك، على أمل مباغتة المتمردين عليه قبل تجمع قواتهم، فوصل إلى ديربي في 28 أيار، وأرسل منها خطاباً إلى المجلس الملكي وضح فيه خطورة التحالف الثلاثي بين إيرلي نورثمبرلاند نورفولك واللورد باردولف، ومفصلاً له اعداد الجيش الذي اعدوه لمواجهة العرش الإنگليزي[4].

وحثّ هنري الرابع المجلس الملكي على تعبأة قوة عسكرية في بونتفراكت على وجه السرعة لحماية المملكة من جيش المتمردين، ثم توجه إلى نوتنغهام لجعلها قاعدة عسكرية لقواته، وأثناء وجوده هناك تلقى الملك معلومات عن تطورات الاوضاع في نورثمبرلاند وأن أيرلها امر بتحصين قلاعه تحسباً من أي هجوم ملكي عليها، فقاد إيرل ويستمورلاند وجون لانكستر ابن الملك هنري الرابع تحركاً عسكرياً منسقاً لاحتواء التمرد في توبكليف، وفي ذروة تلك التطورات قاد رئيس أساقفة يورك ريتشارد سكروب حشدًا مسلحًا نحو شيبتون مور، فاتسع نطاق التمرد جغرافياً، وتمدد بنيوياً حين شمل نخباً

(1) F. S. Haydon, Op. Cit., Vol 3, p.407.
(2) Simon Walker, Edited by Michael J. Braddick, Political culture in later …, p.169.
(3) J. L. Kirby, Henry IV of England …, p.199.
(4) Sir Harris Nicolas, Op. Cit., Vol. 7, p.264.

مدنية ودينية في آنٍ واحد[1]، ولم يكن تحالف المتمردين مجرد تحالف لتقاسم السلطة والنفوذ بل إطاراً سياسياً – عسكرياً مشتركاً لتقويض شرعية هنري الرابع واقصائه عن سدة الحكم.

ادرك الملك هنري الرابع أن تطوراً نوعياً طرأ على حركات التمرد المضادة له، بعد خلع رئيس الأساقفة ريتشارد سكروب رداء الكهنوتية وارتدائه الزي العسكري بوصفه احد قادة التمرد، وهو أمر قض مضجع الملك هنري الرابع لأن سكروب لم يكن متمرداً عادياً بل متمرداً اكليروسياً ضد مؤسسة العرش الإنكليزي، بإمكانه استغلال مكانته الدينية الرفيعة لسحب بساط الشرعية من تحت اقدام الملك هنري الرابع[2]، واستشرت مخاوف الأخير لعلمه أن رئيس الأساقفة سكروب لم يكن طامعاً بالسلطة بل محتجاً على ما لحق بإنكلترا من مشاكل اقتصادية وسياسية وأخلاقية، تزامناً مع معاناة إنكلترا بسبب الحملات ضد متمردي ويلز، التي استنزفت موارد إنكلترا المادية والبشرية، وأدت إلى فرض ضرائب غير مسبوقة على الشعب والكنيسة لتمويل حملات قمع التمردات[3]، ولذا أرسل رئيس الأساقفة سكروب خطاباً إلى الملك هنري شدد فيه على أن أموال الضرائب لا تنفق للمصلحة العامة بل لحاشية الملك، وأن هدفه إبعاد مستشاري الملك الفاسدين[4].

أدار رئيس الأساقفة سكروب حراكاً عسكرياً في يورك تزامناً مع استيلاء إيرل نورثمبرلاند على واترتون، مما دل على ترابط اطرافها لاسيما أن كثير من اتباع هوتسبير انضموا إلى تمرد سكروب، كما اجتمع نبلاء شمال إنكلترا في توبكليف وأليرتون وكليفلاند، بقيادة السير جون فوكونبيرغ، والسير رالف هاستينغز، والسير جون فيتز راندولف، والسير جون كولفيل، وبعد ذلك بمدة وجيزة سعى رئيس الأساقفة سكروب، وإيرل نورفولك توماس موبراي، والسير وليام بلامبتون، والسير روبرت لامبلوغ، والسير روبرت بيرساي إلى السيطرة على ضواحي يورك وإنهاء مظاهر السلطة الملكية فيها، وعلقوا بيانًا مضاداً للملك على أبواب كنائس يورك وشوارعها وكاتدرائيتها، وبموازاة ذلك أعلن رئيس الأساقفة سكروب رفضة فرض أية ضرائب على رجال الدين الإنكليز وفقراء

(1) J. L. Kirby, Henry IV of England …, p.201.
(2) Simon Walker, Op. Cit., p.161.
3() سلام سهل شنشول، المصدر السابق، ص81.
(4) Sir Harris Nicolas, Proceedings and Ordinances of the Privy Council of England, Vol 1, publisher G. Eyre and A. Spottiswoode, printing press Harvard University, London, 1838, p . 124.

إنگلترا وبسطائها، مما أكسبه شعبيه لديهم، وانتهى إلى انضمام بعضهم إلى تمرده[1]، لكن ما اضعف وتيرة تلك التمردات اختلاف اهداف قادتها، فقد أكد إيرل نورثمبرلاند أن هدفه المحوري اقصاء الملك هنري الرابع عن عرشه، لكن النبلاء الأخرين خالفوه الرأي، وأرسلوا خطاباً إلى الملك في توبكليف شددوا فيه على ضرورة تصحيح أوجه القصور في مؤسسة العرش وإقالة مستشاريه السيئين، في تطابق لافت مع مطالب رئيس الأساقفة سكروب، التي أكدت على ضرورة إصلاح عام للحكومة، وإلغاء الضرائب المفروضة على رجال الدين، وإعادة تنظيم الإنفاق الحكومي لأغراض مقاومة الأعداء الأجانب وحماية التجارة، مع إمكانية التوافق مع العرش في حال تنفيذ تلك الإصلاحات، والأخطر من ذلك كله أن النبلاء أكدوا للملك أنه في حال نزوله عند طلباتهم فسيُلقي متمردوا ويلز أسلحتهم ويخضعون للحكم الإنگليزي[2]، واستناداً لما سبق، فإن قادة المتمردين لم يكونوا على قلب رجل واحد، مما اضعف زخم تمرداتهم، وشتت ولاءات اتباعهم، وانعكس سلباً على مطالبهم وأهدافهم.

ويوخذ على قادة المتمردين أيضاً، تعويلهم على اعداد اتباعهم فقط في تمردهم على العرش، دون وجود استراتيجية بعيدة المدى او خطة حقيقية لإجبار الملك على الرضوخ لهم، وبدا ضعف المتمردين بعد فشلهم في الاستيلاء على ويستمورلاند، مما منعهم نجحت من التحرك جنوبًا للقاء جيش إيرل نورثمبرلاند ومواطني يورك، كما نجح إيرل ويستمورلاند وجون لانكستر (John of Lancaster, 1st Duke of Bedford) (1389 – 1435)[3]، في دفع قوات إيرل نورثمبرلاند واللورد باردولف شمالًا إلى

(1) Gwilym Dodd and Douglas Biggs, The Reign of Henry IV …, p.163.
(2) Simon Walker, Edited by Michael J. Braddick, Political culture in later …, p.172.
(3) الابن الثالث للملك هنري الرابع وشقيق الملك هنري الخامس. عُين وصياً على عرش فرنسا (Regent of France) بعد وفاة شقيقه عام 1422 لإدارة الممتلكات الإنكليزية خلال طفولة ابن أخيه الملك الرضيع هنري السادس. يُعد من أبرز القادة العسكريين والإداريين في المراحل الأخيرة من حرب المائة عام، حيث قاد القوات الإنجليزية لتحقيق انتصارات كبرى أبرزها في معركة فيرنوي (Verneuil) عام 1424م، وتولى إدارة محاكمة "جان دارك" وإعدامها في روان عام 1431م. توفي في فرنسا دون وريث شرعي، مما شكل ضربة قاصمة للوجود الإنجليزي هناك. للمزيد انظر: Alec R. Myers, Crown, Household and Parliament in Fifteenth Century England, Hambledon Press, London, 1985, p.115 – 120.

بيرويك، فهاجما قواتهم المحتشدة في توبكليف، ودمراها، ثم زحفا نحو يورك لوأد تمرد سكروب، لكنهما استعاضا عن القتال بالمناورة الدبلوماسية، فالتقيا رئيس الأساقفة سكروب وإيرل نورفولك[1]، وتمكنا من خداعهما، حين اقنعاهما بالتفاوض بعيداً عن جيشهما، وفي الاجتماع كان إيرل ويستمورلاند ودودًا للغاية وشرب مع رئيس الأساقفة والكونت وأكد لهما أن ما قاما به هدفه اصلاح المملكة، وأعطاهما ضمانات بطرح شكواهما على الملك لمناقشتها[2]، فبثت تلك الوعود الزائفة الطمأنينة في نفسي سكروب وإيرل نورفولك، فوعدا حشودهما المتمردة بتنفيذ مطالبها، وطلبا منها الانسحاب والعودة إلى منازلها، حينها أُلقي القبض على رئيس الأساقفة سكروب وإيرل نورفولك سراً، ودمرا جميع المدن والبلدات التي تمردت على الملك، وأرسلا تقارير إلى الملك حول ما انجزاه، وتابع الملك أيضاً الحراك العسكري ضد متمردي نوتنغهام[3].

انتقل الملك هنري الرابع شمالًا عبر دونكاستر إلى بونتفراكت، فسلمه إيرل ويستمورلاند المعتقلين: ريتشارد سكروب ودوق نورفولك توماس موبراي والسير وليام بلومتون (Sir William Plumpton)، وفي خطوة ذات دلالات رمزية اقتاد الملك المعتقلين إلى بيشوبثورب حيث قلعة رئيس الأساقفة، وشدد على أنهم خونة تواطؤا ضد العرش، وأن تمردهم أفشل هجوماً ملكياً على متمردي ويلز، وإهدر مبالغ طائلة من المال في تلك العملية، وان رئيس الأساقفة سكروب دأب على تحدي العرش، وحرض السكان على عدم دفع ما بذمتهم من أموال للدفاع عن المملكة، وبسببه لم يدفع أكليروس شمال إنگلترا سوى نصف الضرائب التي دفعها اكليروس الجنوب، وحين طلب رئيس أساقفة يورك مقابلة مع الملك، رُفض طلبه، وأرسل الملك أخاه غير الشقيق توماس بوفورت ليأخذ عصا سكروب في إجراء ذا دلالة رمزية مفادها سحب اختصاصاته الروحية وحصانته الدينية[4].

وحين نمت تلك الأخبار إلى مسامع رئيس أساقفة كانتربري أروندل تخوف من مصير زميله سكروب، فانطلق من لندن للقاء الملك هنري الرابع قبل إصدار حكمه عليه، وفي طريقه علم أن هنري الرابع ينوي أن يُلقن الشماليين درسًا بإعدام رئيس

(1) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.335.
(2) Johannis de Trokelowe et Henrici de Blaneforde, Op. Cit., p.406.
(3) J. D. Griffiths Davies, Op. Cit., p.32.
(4) Gwilym Dodd and Douglas Biggs, The Reign of Henry IV …, p.164.

أساقفتهم المتمرد في قلعته[1]. فواصل رئيس أساقفة كانتربري أروندل مسيرته، وعلم في السادس من أيار أن هنري الرابع وسجناؤه وصلوا إلى بيشوبثورب، فوافاهم أروندل إلى قلعة المدينة في وقت متأخر من الليلة التالية، وطلب مقابلة الملك هنري في غرفته معتقدًا أنه الوحيد القادر على إقناعه بعدم إعدام رئيس أساقفة يورك، وبعد لقائهما توسل اروندل إلى الملك هنري أن يبقي على حياة رئيس الأساقفة سكروب، قائلاً له: "**ماذا سيقول الناس لو قتلت يا مولاي رئيس أساقفتك، انظر ماذا قال الناس عن الملك هنري الثاني حين قتل رئيس أساقفة توماس بيكيت، هل انت مستعدًا حقًا لجلب مثل هذه الكارثة على نفسك؟**"[2]، وحذرهُ من الكارثة السياسية والروحية التي قد تلحق بعرشه ان اقدم على قتل ريتشارد سكروب رئيس أساقفة يورك، وأخبره بوضوح تام أنه بصفته رئيس أساقفة كانتربري والأب الروحي للملك، والرجل الثاني في المملكة بعده من واجبه ارشاد الملك ونصحه بترك أي حكم على رئيس الأساقفة سكروب للكرسي الرسولي في روما ليصدر البابا حكماً نهائياً بحقه أو إحالتها إلى البرلمان لضمان محاكمة علنية تلتزم بالأعراف الدستورية للمملكة، ورغم الصداقة القديمة بين الملك وأروندل إلا أن الملك هنري الرابع رفض مقترحات صديقه رئيس أساقفة كانتربيري أروندل، واستذكر كيف أدت إحالة محاكمة أسقف كارلايل إلى البابا عقب تمرد عيد الغطاس إلى تسويف قضائي طويل انتهى بتبرئة الرجل، كما أن تركه محاكمة إيرل نورثمبرلاند إلى البرلمان في العام السابق، انتهت إلى تبرئة البرلمان للإيرل واحتفاظه بقلاعه، مما شجعه على الخوض قدماً في التمرد على مؤسسة العرش، واستنزاف موارد المملكة، لذا قرر الملك تجاهل توسلات اروندل، والتخلص من سكروب[3].

تظاهر هنري الرابع بالموافقة لتهدئة صديقه، ثم حثّه على النوم بعد رحلته الطويلة، ووعده أنهما في الصباح سيتناولان الفطور معًا ويناقشان الأمر بمزيد من التفصيل[4]، لكن الملك هنري بمجرد مغادرة رئيس الأساقفة استدعى محكمة رأسها القاضي وليام غاسكوين، وحين رفض القاضي إصدار حكم الإعدام على رئيس الأساقفة

(1) Peter McNiven, Heresy and Politics in the Reign of Henry IV: the burning …, p.123.
(2) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.336.
(3) Gwilym Dodd and Douglas Biggs, The Reign of Henry IV …, p.165.
(4) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.338.

سكروب[1]، استبدله الملك بإيرل أروندل (ابن أخ رئيس الأساقفة) وأخيه غير الشقيق توماس بوفورت وعددًا من المحامين، وحاكموا رئيس الأساقفة وإيرل نورفولك والسير وليام بلامبتون في الليلة نفسها وأدانوهم جميعًا بالخيانة، وفي منتصف نهار اليوم التالي اقتيد الثلاثة إلى حقل قريب وقُطعت رؤوسهم[2]، فصدم رئيس أساقفة كانتربري والعالم المسيحي بأسره بسبب اعدام رئيس الأساقفة ريتشارد سكروب، الذي جعل هنري الرابع الملك الإنكليزي الوحيد الذي أذن بقتل رئيس أساقفة في عهده.

لم تقتصر أصداء إعدام رئيس الأساقفة سكروب على الدوائر السياسية الضيقة، بل أحدثت زلزالاً في الوجدان الشعبي الإنكليزي، محدثةً أثراً كبيراً في سمعة الملك هنري الرابع أمام رعاياه، الذين رأوا فيما حدث انتهاكاً صارخاً للمقدس واجتراءً غير مسبوق على الحصانة الإكليروسية مما يتنافى مع القيم المسيحية الراسخة آنذاك، ولم يمضِ وقت طويل حتى زعم بعضهم بحدوث كرامات حول قبر سكروب، مما حوله إلى مزار وبؤرة للمقاومة الروحية ضد العرش[3].

رابعاً – تمرد إيرل نورثمبرلاند (هنري بيرسي الاب)[4] 1408:

لم يكن الإيرل العجوز يحاول القضاء على الملك هنري الرابع حباً في الحكم أو لمصالح إقطاعية، بل للانتقام لابنه هوتسبير، الذي قتل في معركة شيرزبوري عام 1403، ولاحياء امجاد عائلته، التي لم تنحنِ للعرش سابقاً، وساهمت في تنصيب الملك هنري الرابع أثناء تمرده على الملك السابق ريتشارد الثاني، ويعد تمرد إيرل نورثمبرلاند بمثابة المواجهة الأخيرة بين إرادة الملك هنري الرابع الذي سعى لتثبيت حكم اسرة آل

(1) J. D. Griffiths Davies, Op. Cit., p.38.
(2) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.338.
(3) Ibid, p.339.
4() (1341–1408) هنري بيرسي الأب والد هنري بيرسي الملقب بهوتسبير، وهو الرجل الذي لقب بصانع الملوك، كان اقوى رجل في شمال إنكلترا اواخر العصور الوسطى، تقع على عاتقه حماية امقاطعات الشمالية من الهجمات الإسكتلندية، كان صديق هنري الرابع وحليفع، قتل ابنه في تمرد سابق في معركة شروزبري 1403 الامر الذي حول الصداقة والولاء إلى حقد وتحين الفرص للانتقام، للمزيد انظر: James Hamilton Wylie, Op. Cit., Vol 4, p.146 – 153

لانكستر وكبرياء عائلة إقطاعية رأت في الخضوع اهانة ومذلة، وفضلت التمرد والموت وفاءً لأرثها العريق[1].

هرب إيرل نورثمبرلاند واللورد باردولف إلى إسكتلندا ومنها إلى ويلز ثم فرنسا على أمل العثور على نبلاء قاريين بجيش لغزو إنگلترا، وبدأت إرهاصات تمردهما تتبلور بعد اعتقال أحد أتباع باردولف في أيار 1407 في قلعة نوتنغهام، التي كشفت وجود مراسلات ذات طبيعة تحريضية على التمرد، وفي آب العام ذاته وقعت رسالة من إيرل نورثمبرلاند إلى بعض انصاره بيد حاكم قلعة واركوورث، كشفت مساعي الأيرل الحثيثة لإثارة التمرد في أقاليم شمالي إنگلترا[2]، ووفر شتاء عام 1408 فرصة جيدة لبدء التمرد فقد كان بارداً جداً أُطلق عليه في إنگلترا "**شتاء الصقيع والجليد العظيم**"، وفي ظل ذلك البرد القارس اعتقد إيرل نورثمبرلاند واللورد باردولف أن برودة ذلك الشتاء والطرق الموحلة المتجمدة تماماً ستعيق الجيوش الملكية عن مواجهتهما، لذا عبرا في كانون الثاني 1408 قنال المانش نحو إنگلترا، وباشر فور وصولهما حشد أنصارهما بذريعة أن "**الملك ريتشارد حيّ**"[3].

ورغم المؤشرات السابقة التي سبقت تمردهما لكن الملك هنري الرابع فوجئ من جرأتهما في ظل قلة مواردهما وضآلة أعداد اتباعهما، وزاد الأمر سؤءاً أن صحة هنري الرابع كانت بالغة الصعوبة، بما منعه من التدخل شخصياً[4]، وحين نمت إلى مسامعه انباء حراكهما العسكري في شباط 1408 أصدر أوامر بحشد قواته للتوجه نحو معاقل المتمردين في شمالي إنگلترا، واللافت أن التمرد إنتهى من تلقاء نفسه أواخر شباط 1408، قبيل تحرك القوات الملكية نحوه[5]، بسبب سرعة استجابة القائد الملكي السير توماس روكبي، وتوجهه من تلقاء نفسه على رأس قوة صغيرة إلى جسر غريمبالد قرب مدينة نارسبورو لقطع الطريق على المتمردين، مما أجبر إيرل نوثمبرلاند على التراجع بجنده إلى تادكستر، فلاحقه السير توماس روكبي ثم فرض حصار محكم عبر نشر مقاتليه على مسالك المدينة والطرق المؤدية إليها، مما جعل انسحاب إيرل نورثمبرلاند

(1) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.395 – 396.
(2) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.397.
(3) James Hamilton Wylie, Op. Cit., Vol 3, p.164.
(4) Chris Given-Wilson, Henry IV, King of England …, p.397.
(5) James Hamilton Wylie, Op. Cit., Vol 4, p.157.

وجنده منها امراً مستحيلاً، وليقينه بحتمية المواجهة جمع الأيرل جيشه في منطقة برامهام مور في 19 شباط لاستعادة زمام المبادرة، فشن هجوم عنيفاً على القوات الملكية بقيادة توماس روكبي[1]، لكن جيش توماس امتص زخم الهجوم، وشن هجوماً مضاداً هدفه الرئيس قتل إيرل نوثمبرلاند، وهو ما حصل فعلاً، فتشتت جيش المتمردين، ووقع أسقف بانجو ومقدمي دير هيكسهام وهلسوين في أسر القوات الملكية، اما اللورد باردولف فانسحب من المعركة بعد انكسار جيش المتمردين، لكن فرقة عسكرية ملكية لاحقته واضطرته لخوض اشتباك انتهى باصابته بجروح مات على أثرها في اليوم ذاته رغم نجاحه في الهرب[2]، وبوأد ذلك التمرد استقر الأمر لهنري الرابع حتى وفاته، واللافت أن الأخير شارك بعض خبراء المدفعية في تصميم مدفع كبير وزنه حوالي طنين، عبر عنه احد المصادر بـ: "**المدفع الذي اخترعه الملك بنفسه حديثاً**"، للضرب على أيدي المتمردين بقوة لا قبل لهم بها، ورغم المبالغة التي وردت حول اكشاف الملك للمدفع، لكنه وفقاً لمعاصريه، كان يشترك مع خبراؤه في بعض التفاصيل الخاصة بصناعته[3].

(1) A. R. Myres, Op. Cit., Vol. IV, p.201.
(2) Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous …, p.372.
(3) Ibid, p.371.

المبحث الرابع

آليات الردع الملكي ضد تمرد اللولارد ومؤامرة ساوثهامبتون بين عامي 1413 – 1415

بعد اعتلاء الملك هنري الخامس العرش سنة 1413، عمل على ترسيخ وحدة إنگلترا واستعادة استقرارها السياسي بعد مدة طويلة من الاضطرابات الداخلية التي شهدها عهد والده هنري الرابع، وورث هنري الخامس مملكة مثقلة بالانقسامات بين أوساط النبلاء، ولاسيما أولئك الذين بقوا موالين لريتشارد الثاني واعتقدو أنه لا زال حياً في السجون أو الذين اعتقدوا بامتلاكهم حقوقاً مشروعة في العرش[1]، ومع أن عهد هنري الخامس شهد قدراً من الاستقرار الداخلي مقارنة بعهد والده، إلا أنه لم يخلو من تحديات خطيرة تمثلت في بعض التمردات والمؤامرات التي هددت أمن العرش، أبرزها تمرد اللولارديين (Lolardians)، المعروف أيضاً بتمرد والدكاسل (Waldaksal)، فضلًا عن مؤامرة ساوثهامبتون.

1. تمرد اللولارديين وألدكاسل:

مثّل تمرد اللولارديين أول تحدٍ داخلي حقيقي واجهه حكم الملك هنري الخامس، ويمكن اعتباره من أخطر التهديدات التي تعرض لها عرش آل لانكستر في بدايات عهده، لخطورة أفكاره، وخبرة زعيمه جون أولدكاسل[2]، عسكرياً وسياسياً[3]، وعند تتبع

---

(1) Frank Taylor and John S. Roskill, Gesta Henrici Quinti The Works of Henry V, Oxford Medieval Texts, Clarendon Press, London, 1975, p,2.

(2) أشارت إحدى سجلات نسب عائلة أولدكاسل، التي تعود إلى القرن السابع عشر، إلى أن والدته تنتمي إلى أسرة دي جراي من كودنور، ورغم عدم التأكد من دقة الرواية فإنها قد توضح وجود صلة قرابة محتملة مع ريتشارد جراي، الذي يبدو أنه ارتبطت بأولدكاسل علاقة وثيقة، وقد خدم أولدكاسل في حاشية جراي في قلعة روكسبيرج عام 1401، كما ناب عنه حين كُلّف بالدفاع عن مدينة بريكون ومقاطعة هيريفوردشاير في مواجهة التمردات الويلزية عام 1405، وشارك

جذور التمرد نلمس تأثره باللولاردية وهي حركة إصلاح ديني كنسي ارتبطت بأفكار عالم اللاهوت جون ويكليف في جامعة أكسفورد، قبل أن تتحول تدريجيًا إلى تيار ديني ذي طابع معارض اكتسب نفوذاً متزايداً في أوائل القرن الخامس عشر، فمنذ ثمانينيات القرن الرابع عشر، انتشرت أفكار اللولارديين على نطاق كبير بفضل نشاط وعاظ متجولين، تلقى العديد منهم تعليمه في أكسفورد كما حظوا بدعم بعض النبلاء[1]، ابرزهم السير جون أولدكاسل، الذي تأثر بأفكار اللولارديين في مرحلة مبكرة من حياته بسبب احتكاكه بوعاظهم[2]، كما ارتبط بعلاقات مع جماعة عرفت باسم "**فرسان اللولارد**"، وكان له دور في تنفيذ وصية السير لويس كليفورد الذي توفي عام 1404[3]،

وساهمت جهوده في تعزيز مكانته السياسية والعسكرية، إِذْ كوفئ على خدماته بسخاء وازدادت مكانته داخل مجتمعه المحلي بصورة واضحة، وأثر الصعود على مسيرته السياسية، إِذْ شارك في برلمان عام 1404 ممثلًا عن المقاطعة بصفته فارسا، كما عين مفوضا للسلام في الأعوام 1404 و1405 و1406، وتولى منصب عمدة المقاطعة أثناء المدة بين (1406 و1407)[4].

شهدت ثروة السير جون أولدكاسل ومكانته تحولاً واضح إثر زواجه من جوان حفيدة جون لورد كوبهام الثالث، التي كانت أرملة ثلاث مرات والوريثة الوحيدة له بعد

بدور بارز في قمع التمرد الويلزية بقيادة هنري الخامس (حين كان أميرا لويلز)، إِذْ شارك في العمليات العسكرية ليس على المستوى المحلي فحسب، بل أيضاً في مناطق كيدويلي وكارمارثين، وكذلك في حصار أبيريستويث، للمزيد، ينظر: Marcus Cooper, illustrations Henry V: The Struggle for Leadership Strategy, Osprey by Graham Turner, Publishing Midland House, West Way, Botley, Oxford, UK and USA, 2010, p.49 – 52 ; Paulina Kewes, Ian W. Archer and Felicity Heal (eds), The Oxford Handbook of Holinshed's Chronicles, Oxford: Oxford University Press, 2013, p.226.

(3) Peter Earle, The Life and Times of Henry V, George Weidenfeld & Nicolson Ltd. and Book Club Partners, London, 1972, p.98 – 100.

(1) M.H. Kane, England in the Late Middle Ages, Political History, Second edition, published by Routledge, London and New York, 2003, p.90.

(2) Maureen Jurkowski, Who was Walter Prout?, magazine The English Historical Review, Vol. 127, No. 525, Published by: Oxford University Press, London, April 2012, p.285 – 287.

(3) K. B. McFarlane, Lancastrian Kings and Lollard Knights, Oxford, London, 1972, p.139.

(4) Gwilym Dodd, Henry V New Interpretations, York Medieval Press, New York, 2013, p.105

وفاته في العام نفسه، وكان الأمير هنري الخامس قبل اعتلائه العرش وراء ترتيب الزواج كمكافأة على خدمات أولدكاسل، غير أن الأرجح أن إتمامه جاء بتأثير ريتشارد جراي، نظراً لجوار ممتلكاته في كِنت مع مقر أسرة كوبهام في قلعة كولينغ[1]، وبفضل الزواج ارتقى أولدكاسل إلى مصاف النبلاء، وبدأ استدعاؤه إلى مجلس اللوردات بصفته لورد كوبهام منذ تشرين الأول 1409[2]، وفي عام 1410، بدأت بوادر ارتباطه العلني بحركة اللولارديين تظهر بوضوح، ففي نيسان 1410 وبعد حادثة إعدام الخياط جون بادبي حرقاً لرفضه التراجع عن آرائه التي عُدت هرطقية، اتخذ رئيس أساقفة كانتربري توماس أروندل إِجراءات ضد أحد القساوسة المقيمين لدى أولدكاسل، كما أمر بوضع الكنائس المرتبطة بنشاطه الوعظي ومنها كولينغ وكذلك وهالستو تحت الحظر الهرطوقي[3].

وهنا أظهر أولدكاسل ميوله الحقيقية، من خلال تحديه تلك الإِجراءات، وتوفيره الحماية لوعاظ اللولارديين داخل ممتلكاته، بضمنهم الواعظ روبرت تشابيل المعروف بهولبيش[4]، كما اتخذ موقفاً داعماً للحركات الإصلاحية خارج إنكلترا، فكتب في أيلول إلى النبيل البوهيمي ووكسافون والدشتاين مشيدًا بتأييده للمصلحين الهسيين، ثم وجّه في عام 1411 رسالة إلى ملك بوهيميا فلاديسلاس ملك بوهيميا مؤكداً دعمه لتلك التوجهات[5]، لكن تلك المواقف الدينية المثيرة للجدل لم تمنع أولدكاسل من الاستمرار في دعم الأمير هنري الخامس، إِذْ أُوكلت إِليهِ في خريف عام 1411، قيادة الحملة التي أرسلت إلى فرنسا لمساندة البورغنديين في صراعهم ضد الأورليانيين[6]، وبالمقابل كانت حملة رئيس الأساقفة توماس أروندل ضد اللولارديين تتصاعد بصورة سريعة لا سيما في

(1) N. Saul, Death, Art and Memory in Medieval England: The Cobham Family and their Monuments, 1300 – 1500, Oxford University Press, 2001, p.29.
(2) W. T. Waugh, Sir John Oldcastle, English Historical Review Magazine, Vol. 20, No. 79, Published By: Oxford University Press, Jul., 1905, p.438.
(3) Peter McNiven, Heresy and Politics in the Reign of Henry IV: The Burning of John Badby, Boydell Press, Lonon, 1987, p.11.
(4) BL Cotton MS Faustina C. V, Register of Thomas Arundel, Archbishop of Canterbury, Reg. II, Vlo 4, printed in Concilia Magna Brittaniae, London, 1737, p.125-126.
(5) C. Kightly, The Early Lollards: A Survey of Popular Lollard Activity in England, 1382– 1428, unpublished D.Phil. dissertation, University of York, Oxford University, 1975, p.372 – 375.
(6) Peter McNiven, Prince Henry and the English Political Crisis of 1412, Socialist Missions Magazine History, Vol. 65, No. 213, Published by Wiley, London, 1980, p.16.

جامعة أكسفورد، فأصدر عام 1409 دساتير حدت من حرية النقاش اللاهوتي في الجامعات، وشكلت لجنة علمية لحصر ما عد أخطاءً في كتابات جون ويكليف، وفي آذار 1411، قدمت قائمة ضمت (267) مسألة اعتبرت منحرفة، وأُحرقت بعض الكتب علناً في كارفاكس، في إطار الحملة الرامية إلى الحد من انتشار الأفكار الإصلاحية[1]، وفي اليوم الأول من الاجتماع الذي عقد في اذار 1413، استدعي جون لاي من نوتنغهام، وهو قسيس يشتبه في اعتناقه أفكاراً هرطقية، للمثول أمام مسجل رئيس الأساقفة وأثناء جلسة الاستجواب أقر لاي أنه أقامَ القداس في لندن في صباح ذلك اليوم مع جون أولدكاسل، فطالبه المسجل بإبراز شهادة رسامته وترخيصه للوعظ، مع إلزامه بتقديمها في اليوم التالي[2]. ويفهم من الواقعة أن أولدكاسل كان بالفعل موضع مراقبة دقيقة من السلطات الكنسية.

أدت وفاة هنري الرابع في وقت لاحق من الشهر نفسه إلى تعطيل مؤقت لأي إجراءات إضافية ضد أولدكاسل، في ظل انشغال المملكة بترتيبات انتقال السلطة غير أن التوقف لم يدم طويلاً إذْ استؤنفت التحركات ضده في حزيران 1413 أثناء الاجتماع التالي للدعوة الكنسية حين تمكن الأساقفة من جمع أدلة إضافية تدينه[3]، وتعززت الأدلة إثر مداهمة متجر مزخرف في لندن عثر فيه على مخطوطات غير مجلدة تعود إلى أولدكاسل[4]، تضمنت مجموعة من المنشورات القصيرة ذات المضامين الهرطقية[5]، ووفق ذلك حضر هنري الخامس مناظرة دينية في قصره بكينينغتون، وقرأت بحضور أولدكاسل بعض الآراء المتطرفة في تلك المنشورات، ومع ذلك امتنع الملك عن اتخاذ إجراء مباشر ضده بوصفه أحد المقربين منه، وعلى الرغم من إدانته بالإعدام في 25 أيلول 1413، أبدى الملك هنري الخامس قدراً من التريث فمنحه مهلة أربعين يوماً للتراجع عن آرائه، وأُعيد إلى برج لندن، وأشارت بعض الروايات إلى تخفيف قيوده مقابل وعد بالتوبة[6]، إلا أن المهلة لم تثنه عن مواصلة نشاطه، ففي الوقت الذي افترض فيه

(1) Gwilym Dodd, Henry V New Interpretations …, p.108.
(2) I. Forrest, The Detection of Heresy in Late Medieval England, Oxford University, London, 2005, p.60.
(3) W.T. Waugh, Op. Cit., Vol. 20, No. 79, p.338.
(4) Charles Knight, Op. Cit., Vol. 1, p.353.
(5) Ibid, p.353.
(6) Patrick Carl O'Brien, The Struggle for Wealth Between England and Its European Rivals from Henry V to George IV: A Conversation with Michael

أن يعيد النظر في مواقفه، عمل سراً على حشد أنصاره الذين نشروا منشورات في أنحاء المدينة احتجاجًا على ما عدوه إدانة جائرة وتوجت التحركات بهروبه مساء 19 تشرين الأول بمساعدة أتباعه من بينهم وليام فيشر الذي وفر له المأوى في منزله بشارع تيرنميل في كليركنويل خارج أسوار المدينة، وعلى مدار نحو ثلاثة أشهر شرع أولدكاسل في التخطيط لتمرد واسع النطاق ضد الملك وحكومته في تصعيد خطير للصراع بين السلطة الدينية والسياسية من جهة والتيارات الإصلاحية المبكرة من جهة أخرى[1].

ويبدو أن خبر هروب جون أولدكاسل لم يصل فوراً إلى الملك هنري الخامس أو ربما حصل التعتيم عليه في مراحله الأولى، لذا لم يتخذ أي إجراء رسمي حتى 28 تشرين الأول 1413، حين عزل الملك حارس سجن برج لندن روبرت مورلي من منصبه وأصدر أوامر إلى عمد لندن بنشر إعلانات تحظر إيواء الفار أو تقديم أي مساعدة له [2]، وفي الوقت نفسه بادر رئيس أساقفة كانتربري توماس أروندل إلى اتخاذ إجراءات دعائية منظمة لتشويه سمعة أولدكاسل، وعمل على تعميم إدانته بالهرطقة في مختلف أنحاء المملكة، عبر إرسال نسخ من محاضر محاكمته إلى أساقفة المقاطعة الجنوبية، مرفقة بتعليمات واضحة تقضي بقراءة الإدانة الرسمية لآرائه باللغة الإنكليزية داخل الكنائس، في محاولة لإيصال أنباء هرطقته إلى جمهور أوسع وترسيخ الصورة السلبية عنه بين العامة[3]، وتعزز المسار التصعيدي في 10 كانون الأول 1413، حين أُعلن الحرمان الكنسي رسمياً بحق أولدكاسل وأنصاره في صليب القديس بولس[4]، ومع انتشار أخبار الهروب أخذت موجة التعاطف مع أولدكاسل في التوسع لا سيما في البيئات التي كان فيها دعاة اللولارد نشطين، على سبيل المثال في ديربيشاير لم يقتصر الترويج للأفكار اللولاردية على الطبقات الدنيا بل شمل بعض النبلاء المحليين الذين جاهروا

Mann, Journal of Historical Sociology Vol. 19 No. 4, London, 2006, p.347-349.

(1) M. Jurkowski, Lollard Book Producers in London in 1414 : in Text and Controversy from Wyclif to Bale: Essays in Honour of Anne Hudson, ed. H. Barr and A. M. Hutchison, Turnhout University, 2005, London, p.201 – 206.

(2) Charles Knight, Op. Cit., Vol. 1, p.435.

(3) Ian Forrest, Exposing Heresy in Late Medieval England, Clarendon Press, Oxford, New York, 2005, p.448.

(4) Ann Curry, Henry V: From a Playful Prince to a Warrior King, Penguin Monarchs Press, Lonon, 2015, p.36.

بتبني تلك الآراء، وسعى أولدكاسل إلى استثمار الزخم[1]، فأرسل مبعوثين محملين بمنشورات إلى المتعاطفين مع الحركة في مختلف أنحاء البلاد، وممهّداً لحشد دعم أوسع لتمرده[2].

ادرك هنري الخامس ووزراؤه أن تحركات مريبة تحاك في الخفاء، غير أنهم افتقروا إلى معلومات دقيقة حول طبيعة المؤامرة أو مكان وجود جون أولدكاسل، ومع ذلك بدأت ملامح المؤشرات الأولية لحدوث تمرد لولاردي بالظهور تدريجياً[3]، وهو ما أثبتته لاحقاً تحقيقات مع بعض المشتبه بهم[4]، بيد أن الاختراق الأمني الحاسم تحقق في 5 كانون الثاني، حين كشف اثنان من المتآمرين للملك عن خطة جريئة لاختطافه مع إخوته أثناء احتفالات ليلة الثاني عشر في قصر إيلثام[5]،عبر متمردين متنكرين في هيأة ممثلين، فأبلغ الملك هنري الخامس عمدة لندن بالخبر، وأصدر أوامر بتشديد الحراسة على مختلف أحياء المدينة، وفي مساء 6 كانون الثاني 1414 قاد عمدة لندن بنفسه حملة أمنية خارج بيشوبسغيت أسفرت عن اعتقال النجار جون بورغيت وسبعة آخرين من بينهم أحد أتباع أولدكاسل، وبعد تحقيقات سريعة أدلى أولئك المعتقلون باعترافات مفادها وجود خطة لتجمع واسع للمتمردين في حقول سانت جايلز في 10 كانون الثاني 1414، تمهيداً للتحرك ضد الملك[6].

أدرك الملك هنري الخامس وعمدة لندن الموقع التقريبي لاختباء جون أولدكاسل، بعدما تبيّن أنه يقطن في منزل وليام فيشر بمنطقة كليركنويل. وبناءً على ذلك، شُنت حملة خاطفة للقبض عليه بمشاركة روبرت مورلي —حارس البرج السابق— الذي أرسل خادمه جون بارتون برفقة آخرين لمراقبة المنزل، على الرغم من فقدانه منصبه الرسمي [7]، وفتش أحد ضباط سميثفيلد المنزل ليلاً[8]، فعثر على كتب اللولاردية دون العثور

(1) M. Jurkowski, John Fynderne of Findern: An Exchequer Official of the Early Fifteenth Century, His Circle and Lollard Connections, unpublished D.Phil. dissertation, University of Keele, London, 1998, p.301.
(2) David Preest & James G. Clark, Op. Cit., p.393.
(3) Dan Jones, The Amazing Rise of England's Greatest Warrior King, Publishing by Head of Zeus, London, 2024, p.187.
(4) Gwilym Dodd, Henry V New Interpretations …, p.108.
(5) Dan Jones, The Amazing Rise …, p.188.
(6) Charles Knight, Op. Cit., Vol. 1, p.485.
(7) M. H. Keen, Op. Cit., p.277.
(8) Ian Mortimer, Henry V's Year of Glory, Vintage Books Press, London, 2013, p.18.

على أثر لأولدكاسل أو فيشر، لأنهما أخليا الموقع فور علمهما بنبأ اعتقال جون بورغيت، وفي سياق تكثيف الجهود الاستخبارية أرسل الملك جاسوساً يدعى توماس بيرتون لمراقبة منطقة كليركنويل فتنصت وجمع المعلومات عبر التردد على الحانات والنزل مما أتاح للسلطات الحصول على معطيات كبيرة عن تحركات المتآمرين[1].

تزامن ذلك مع تصعيد رسمي واسع ففي 7 كانون الثاني 1414 أصدر الملك هنري الخامس أوامره إلى جميع رؤساء الشرطة في إنكلترا بضرورة منع أي تجمعات غير قانونية واعتقال المخالفين لإحباط أي تحرك تمردي محتمل، وفي 8 كانون الثاني 1414 تحرك الملك بسرية مع عدد من النبلاء من إيلثام مروراً بلندن وصولاً إلى وستمنستر[2]، بالمقابل تسارعت تحركات المتمردين، وبدأت مجموعات منهم تتدفق نحو العاصمة من جهات مختلفة من الشمال والغرب والشرق، وبعد تجمع أولي في وبلدة وير في مقاطعة هيرتفورد، صدرت تعليمات لعناصر قادمة من ديربيشاير بالتوجه إلى أحد المتآمرين في ليسيسترشاير، والالتقاء به في حانة "**راستلرز أون ذا هوب**" في سميثفيلد لتلقي مزيد من التوجيهات[3]،

تمثلت الخطة النهائية للمتآمرين في التجمع في حقول سانت جايلز، الواقعة بين (لندن ووستمنستر)، تمهيداً للزحف نحو البلاط الملكي بيد أن الملك هنري الخامس بعد أن أصبح على دراية بتلك التحركات قرر استباق الأحداث عبر توجيه ضربة مباغتة، ففي مساء 9 كانون الثاني 1414، وحين كان العديد من أنصار جون أولدكاسل في طريقهم إلى نقطة التجمع أقدم الملك على تنفيذ كمين لهم، خلافاً لنصيحة عدد من مستشاريه الذين رأوا في التحرك دون تعزيزات مخاطرة كبيرة، لاسيما في ظل التقديرات التي أشارت إلى احتمال مواجهة قوة لولاردية قد تصل إلى نحو (25) ألف مقاتل[4].

نزل الملك إلى الميدان قرب دير القديس يوحنا في كليركنويل مصحوباً بإخوته وكبار النبلاء من بينهم إيرل وارويك وتوماس أروندل، لاعتراض المتمردين القادمين من الشمال قبل أن يتمكنوا من التمركز ثم اعادة التموضع والهجوم، ولم يقتصر تحرك الملك

(1) John Alban, Christopher Thomas Allmand, Spies and Spying in the Fourteenth Century : in War, Literature, and Politics in the Late Middle Ages, Liverpool University Press, Liverpool, p.94.
(2) Charles Knight, Op. Cit., Vol. 1, p.486.
(3) William John Binks Edward J. Wood, A History of Clare Knowell, printing press University of Iowa, Francis Bootle Press, Liverpool, 1881, p.7 – 8.
(4) David Priest, Op. Cit., p.394.

على المواجهة المباشرة بل رافقته خطوة حاسمة تجسدت في إصدار أوامره بإغلاق أبواب مدينة لندن وتشديد الحراسة عليها، لمنع انضمام أنصار الحركة الولاردية داخل المدينة إلى المتمردين خارجها، مما أضعف اندفاع الزحف الولاردي خارجها[1]، وبالرغم من توقعات المواجهة الكبيرة لكن القتال الفعلي كان قليل جداً فلم تسجل سوى خسائر بشرية ضئيلة في صفوف المتمردين[2]، ومع ذلك القت قوات الملك القبض على أكثر من ثمانين متمرداً[3]، وتمكنت القيادات البارزة من الهرب مثل روبرت هارلي ووليام مورلي إلى جانب جون بورفي إلا أنهم اعتقلوا سريعاً داخل أحد النزل في شارع تورنميل ونقلوا بحلول 12 كانون الثاني 1414 إلى سجن نيوجيت[4].

شكلت تلك الاعتقالات مدخلاً لسلسلة إجراءات قضائية سريعة استهلها الملك بتشكيل لجنة خاصة رأسها أثنين من ثقاة أتباعه هما: وليام لورد روس وهنري سكروب وعضوية قضاة ملكيين وعمدة لندن، للنظر في قضايا المتهمين[5]، فأدانت اللجنة تسعة وستين متمرداً بتهمة الخيانة بمساعدة هيئة محلفين جرى إعدادها مسبقاً، ونفذت أحكام الإعدام بحق عدد كبير منهم في سجن سانت جايلز في غضون أيام قليلة[6]. ومع أن تلك العقوبات استهدفت القيادات الأساسية مثل هارلي وإخوة جيلبرت فإنها طالت أيضاً أفراداً من طبقات أدنى لرغبة السلطة في توجيه رسالة ردع شاملة[7]. وفي الوقت نفسه احتجز قسم من المتهمين البارزين في سجن نيوجيت دون تنفيذ فوري للأحكام على الأرجح من أجل الحصول على معلومات تقود إلى القبض على أولدكاسل[8]، وبموازاة ذلك وسعت السلطات دائرة الاتهام لتشمل متواطئين مفترضين من طبقة النبلاء من بينهم توماس تشاوورث وتوماس بوشامب، إضافة إلى محامين ومسؤولين محليين ثبتت صلاتهم السابقة بدعاة اللولارد[9]، واحتُجزَ بعضهم في برج لندن بأوامر مباشرة من

(1) Charles Knight, Op. Cit., Vol. 1, p.489.
(2) David Priest, Op. Cit., p.395.
(3) Gwilym Dodd, Henry V New Interpretations …, p.111.
(4) Dan Jones, The Amazing Rise …, p.188.
(5) Anonymous, A Chronicle of London from 1089 to 1483, Written in the Fifteenth Century, and for the First Time Printed from MSS. in the British Museum, Published by Good Press, Lonon, 2019, p.124.
(6) Gwilym Dodd, Henry V New Interpretations …, p.111.
(7) Charles Lethbridge Kingsford, Historical literature in the fifteenth century, Master of Arts, Clarendon Press, University Publisher Oxford, London, 1913, p.293.
(8) Charles Knight, Op. Cit., Vol. 1, p.491.
(9) Gwilym Dodd, Henry V New Interpretations …, p.112.

الملك، مع تعليق الإجراءات القضائية بحقهم وحرمانهم فعليًا من المثول أمام القضاء العام، في دلالة على الطابع الاستثنائي لتلك المحاكمات[1]، وفي إطار ملاحقة الهاربين أُطلقت حملة قانونية واسعة شملت مصادرة الممتلكات وإجراء تحقيقات في الأقاليم، كما أصدر الملك إعلانا عامًّا في 11 كانون الثاني تضمن مكافآت سخية لمن يدلي بمعلومات تؤدي إلى القبض على أولدكاسل بلغت ألف مارك ومعاشاً سنوياً وإعفاءات ضريبية دائمة[2]، وجرى التواصل مع حلفائه السابقين، مثل هيو لوتريل، في محاولة لتضييق الخناق عليه[3].

استمر أولدكاسل مختفياً رغم الجهود المكثفة لاعتقاله، ثم اتجه في تشرين الأول 1417 إلى شمال ويلز سعيا للتحالف مع جروفيد أب أوين غلين دور نجل الزعيم الويلزي أوين غليندور[4]، لكنه اعتقل أواخر تشرين الثاني من العام ذاته ومثلَ أمام برلمان وستمنستر ثم أُدين رسميا وأُعدم في 14 كانون الأول 1417، منهياً أبرز فصول التمرد اللولاردي[5].

ويمكن القول ان التمرد شكلً تداخلاً بين البعدين السياسي والديني، إذْ لم يقتصر هدفه على تحدي سلطة الملك بل تغيير البنية الدينية في إنگلترا[6]، مما دفع الملك هنري الخامس إلى تبني سياسات أكثر تشدداً ازاء الهراطقة، تمثلت في سن قوانين صارمة لمعاقبة كل من يشتبه في انتمائه إلى اللولاردية وهي تهمة تحولت إلى أداة سياسية لتصفية الخصوم وجمع الأموال عبر فرض الغرامات مقابل العفو[7]، واللافت أن ذلك التمرد، رغم ضعف إمكاناته مقارنة بحركات أخرى معاصرة مثل تمرد أوين غلين دور المستمر في ويلز حظي باهتمام مفرط من قبل السلطة الملكية[8]، لأسباب ليس أخرها أنه شكّل تهديدًا مزدوجًا مسّ الشرعية السياسية والدينية معا، مما جعله أكثر حساسية في نظر المؤسسة الحاكمة ودفعها إلى التعامل معه بحزم.

2. **مؤامرة ساوثهامبتون** 1415 :

(1) Charles Knight, Op. Cit., Vol. 1, p.490.
(2) John Matusiak, Henry V, published by Routledge, USA, 2013, p.101.
(3) Ian Mortimer, Henry V's Year of Glory …, p.19.
(4) G.L. Harris, Henry V: Exercising Monarchy, Oxford University Press, London And New York, 1985, p.58.
(5) Ian Mortimer, Henry V's Year of Glory …, p.21.
(6) Christopher Allmand, Henry V, published by Methuen, London, 1992, p.92.
(7) Gwilym Dodd, Henry V New Interpretations …, p.115.
(8) Charles Knight, Op. Cit., Vol. 1, p.497.

خطط هنري الخامس لغزو فرنسا لاستعادة الأراضي التي ادعى أنها تابعة للتاج الإنكليزي بموجب معاهدة بريتاني عام 11360، لكنه واجه معارضة من بعض النبلاء الذين رأوا في تلك الحرب مخاطرة كبيرة على مصالحهم السياسية والاقتصادية، لذا قرروا التخلص من الملك هنري الخامس وتنصيب إيرل مارس ادموند مورتمير وعُرفت تلك المؤامرة باسم مؤامرة ساوثهامبتون(1).

والحقيقة أن نية هنري الخامس بغزو فرنسا، وإن لم تعلن رسمياً كانت معروفة لدى جميع الأطراف لاسيما بعد أن دعى هنري الخامس برلمانه للانعقاد، وأعلن مستشاره في افتتاح الربلمان بتاريخ 19 تشرين الثاني أن الملك سيسعى جاهدًا لاستعادة ميراثه وحقوق تاجه خارج المملكة المسلوبة منذ زمن طويل(2)، وبسبب عدم استعداد فرنسا في ذلك الوقت للحرب بسبب انشغالهم بالصراعات الداخلية كانت لديهم حيلة لتجنب الحرب عن طرق اغتيال الملك هنري الخامس بمؤامرة داخلية، ففي 31 تموز عام 1415 وقبيل انطلاق الملك هنري الخامس في حملته العسكرية إلى فرنسا، كُشِفتْ مؤامرة خطيرة في مدينة ساوثهامبتون هدفت إلى اغتياله والإطاحة بحكمه(3)، وكانت تلك المؤامرة، المعروفة باسم مؤامرة ساوثهامبتون من أخطر التهديدات الداخلية التي واجهها الملك هنري الخامس في بداية عهده، وكادت أن تعرقل خططه العسكرية الطموحة، وبعد كشفها اعتقل الملك قائدها إيرل مارس إدموند مورتيمر الوريث الحقيقي لريتشارد الثاني في نظر الكثيرين، وبعد أن مثل الأيرل أمام الملك في قلعة بورشيستر اعتراف بدوره في المؤامرة(4). وأبلغ الملك أن ريتشارد إيرل كامبريدج والسير توماس غراي من هيتون نورثمبرلاند وهنري سكروب اللورد ماشام خططوا معه لاعتقال الملك هنري الخامس، وإقامة أمارة مستقلة في ويلز تحت قيادة ادموند مورتيمر(5)، وأثناء التحقيقات أكد إدموند مورتيمر أن من أسباب تآمره وضعه تحت إقامة جبرية في احد قصور الملك(6)، وفرض

(1) A.J. Pollard, Henry V, The History Press, London, 2014, p.17.
(2) David Priest, Op. Cit., p.389.
(3) Friedrich W. D. Brie, The Brut or The Chronicles of England …, Vols 2, p.594.
(4) Thomas Heast, Thomas of Elmham, The Life and Works of Henry V, King of England (1727), Kessinger Publishing, Kondon, 2009, p.12.
(5) Chris Given Wilson, The Chronicle of Adam …, p.42.
(6) A.J. Pollard, Henry V, Op Cit, 18.

الملك هنري الخامس غرامة باهظة عليه لزواجه دون موافقته[1]، أما كامبريدج الشقيق الأصغر لدوق يورك فأعترف أن سبب تآمره عدم حصوله من الملك هنري الخامس على هبة تليق بمكانته[2]. أما سكروب فهو أكثر المتآمرين الذين أثاروا حيرة الملك، لأنه رفيقه المقرب لسنوات طويلة، وأمينا للخزانة الملكية بين عامي 1409–1410، وذا مكانة مرموقة في البلاط الملكي وعضواً ملكياً شبه دائمي في البعثات الدبلوماسية المرسلة إلى فرنسا في عامي 1414 و1415، وكان ادعاء سكروب أنه تعاون مع المتآمرين نيابة عن الملك لردعهم ولم يكن ينوي خيانة عاهله[3].

أصدر هنري الخامس عفو عن إيرل مارس وخضع الثلاثة الآخرين إلى محاكمة في ساوثهامبتون في 2 أب 1414، لم تراعى فيها الإجراءات القانونية المتبعة، ثم أُعدموا بعد ثلاثة أيام[4]، وأشارت اعترافات كل من مارس وسكروب التي نشرت لاحقا إلى أنها كانت مؤامرة في مراحلها الأولى، وكان المقرر أن تبدأ بعد سفر الملك إلى فرنسا، لكن خطأ قادتها كان في تغيير خطتهم وتعويلهم على قتل الملك قبل تسيير حملته ضد فرنسا، مما أدى إلى كشف مؤامرتهم[5]، وكانت تلك فرصة للملك لإثبات أنه لن يتسامح مع أي معارضة له، وللتأكيد على المصير الذي ينتظر أي شخص مهما بلغ قربه منه، بدلالة اعدامه صديقه المقرب سكروب، وبعد إعدام المتآمرين تم إرسال رأسين اثنين ليتم عرضهما على بوابات المدينة سكروب في يورك وغراي في نيوكاسل أبون تاين، أما إيرل كامبريدج فدفن في ساوثهامبتون دون قطع رأسه[6].

(1) Anonymous, Op. Cit., p.213.
(2) Dan Jones, The Amazing Rise …, p.246.
(3) A.J. Pollard, Henry V, Op. Cit., p.19.
(4) Ian Mortimer, Henry V: The Warrior King in 1415, Copyright by Ian Mortimer, London, 2013, p.55 ; David Priest, Op. Cit.,p.390.
(5) James Hamilton Wylie, Op. Cit., Vol 1, p.244.
(6) Ian Mortimer, 1415 Henry V's Year of Glory …, p.31.

الفصل السادس

العرش الإنكليزي بين أزمة الشرعية وتتابع المؤامرات والتمردات

1485 ـ 1450

المبحث الأول

أوضاع إنكلترا في عهد هنري السادس وأثرها في حدوث تمرد جاك كيد عام 1450

شابت حقبة الملك هنري السادس (Henry VI) (1422 – 1461) إشكالات سياسية كثيرة اقترنت بإخفاقات إدارية وهزائم عسكرية، مما جعل إنكلترا أرضاً خصبة للتمردات، في ظل ملك آل إليه العرش وعمرهُ تسعة أشهر[1]، وفي غضون شهرين من ذلك زادت أهمية الطفل الرضيع، لأنه بعد تتويجه ملكاً على إنكلترا في 1 أيلول 1422، تسنم عرش فرنسا خلفاً لجده شارل السادس في 11 تشرين الثاني من العام ذاته[2]، وهكذا تحقق لهنري السادس حلم أسلافه وهو لما يبلغ عامه الأول[3].

أرادت والدة الملك كاثرين دي فالوا تولي الوصاية عليه، بوصفها قرينة ملك إنكلترا الراحل وابنة عاهل فرنسا الراحل على حدٍ سواء، كما أنها الملكة الأم لعاهل إنكلترا الرضيع، مما يجعل وصايتها عليه في غاية القوة، لكن البرلمان بتأثير أعمام الملك الرضيع استبعدها، وعين مجلس وصاية من 18 شخصًا، أبرزهم عمي الملك دوق بيدفورد جون لانكستر، ودوق غلوستر همفري لانكستر (Humphry, Duke of Gloucester)[4]، ثم أصبح دوق بيدفورد وصياً على مملكة فرنسا، تاركاً أخاه همفري لوردا حامياً لإنكلترا[5].

---

(1) Ralph A. Griffiths, The Reign of King Henry VI The exercise of royal authority 1422 - 1461, University of California Press, Berkeley and Los Angeles, 1981, p.7.

(2) Bertram Wolffe, Henry VI, Yale University Press, New Haven, Louisiana, 2001, p.21.

(3) S.B. Crimes & C.D. Ross & R.A. Griffiths, England in the Fifteenth Century 1399 - 1509 Studies in Politics and Society, Manchester University Press, UK, 1972, p.29 – 30.

(4) (1390 – 1447) لقبه الدوق الطيب، وهو أحد أبرز الشخصيات السياسية في إنكلترا خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر، وهو الشقيق الأصغر للملك هنري الخامس، شغل منصب حامي حمى المملكة (Lord Protector) ووصيًّاً على العرش خلال طفولة ابن أخيه الملك هنري السادس. إلى جانب أدواره السياسية والعسكرية، يُعد همفري رائد النهضة الفكرية في إنكلترا ومن كبار رعاة الأدب والإنسانيات في عصره، للمزيد انظر: K. H. Vickers, Humphrey Duke of Gloucester A Biography, Archibald Constable & Co Ltd, London, 1907, p.21 – 97.

(5) Anthony Tuck, Crown and Nobility 1272 - 1461 Political conflict in late medieval England, published by Fontana Paperbacks, UK, 1985, p.261.

كانت حرب المائة عام مع فرنسا القضية الأكثر إثارة لمتاعب مجلس الوصاية على هنري السادس، فمع أن الأخير كان اسمياً ملكاً لفرنسا لكن الإنكليز فشلوا في حكمها لاحتوائها على قوى كثيرة معادية لحكم آل لانكستر، رأسها شارل فالوا (Charles Valois) (1403 – 1461) الابن المحروم من ميراث والده الراحل شارل السادس، وشن حرباً شعواء على جيوش إنكلترا في بلاده، تزايدت وتيرتها بعد ظهور جان دارك عام 1429[1]، وانتهت إلى تتويج شارل فالوا في ريمس في 17 تموز 1429 بإسم شارل السابع، فانقسمت فرنسا إلى جزأين: شمال نهر اللوار (Loire River) حكمه الإنكليز بإسم هنري السادس، وجنوبه استأثر به الملك شارل السابع، وفي عام 1435 أُعفى مندوب بابوي دوق بورغندي من التزاماته إزاء هنري السادس، ثم اعترف بشارل السابع ملكاً شرعياً لفرنسا[2]، تزامناً مع وفاة الوصي على مملكة فرنسا الإنكليزية جون دوق بيدفورد في قلعة جوييه (Castle of Joyeux) بمدينة روان بتاريخ 14 أيلول[3]، وبذلك انتهى حكم هنري السادس عملياً في فرنسا[4].

بلغ الملك هنري السادس السادسة عشرة من عمره عام 1437، فأصبح مؤهلاً قانونياً لحكم مملكتيه، لكن المصاعب العسكرية والمادية وضعت اعضاء مجلس الوصاية بين خيارين بالغي الصعوبة، أولهما: إبرام السلام والانسحاب من فرنسا مع ما يترتب على ذلك من ضربة مميتة لسمعة العرش، والمؤسسة الاقطاعية الإنكليزية برمتها، وثانيهما: الاستمرار في حملات مُكلفة في ظل صعوبات شديدة عانتها إنكلترا، وكان ابن عم الملك دوق يورك ريتشارد بلانتاجنت (Richard, 3rd Duke of York)[5]، الذي شغل

(1) Ronald H & Fritze and William B & Robison, Historical Dictionary of Late Medieval England, 1272–1485, Greenwood Post Road West and Westport and Connecticut Publishing House, London, 2002, p.46 - 49.
(2) Bertram Wolffe, Op. Cit, p.39.
(3) Alec R. Myers, Op. Cit, p.118 – 120.
(4) Bertram Wolffe, Op. Cit, p.39.
(5) (1411 – 1460) أحد أبرز النبلاء في تاريخ إنكلترا أواخر العصور الوسطى، والمحرك الأساسي الذي أشعل فتيل حرب الوردتين، تكمن أهميته التاريخية الكبرى في أنه يمثل حلقة الوصل الديناميكية بين سلالة بلانتاجينت الحاكمة وبين صعود خط يورك، فهو والد لملكين من ملوك إنكلترا: إدوارد الرابع وريتشارد الثالث، قُتل في معركة بيكفيلد (Battle of Wakefield) في 30 كانون الأول 1460، على يد قوات آل لانكستر، وقُطعت رأسه ووُضع عليها تاج من الورق المقوى استهزاءً بمطامعه الملكية للمزيد انظر: B. A. Johnson, Duke Richard of York 1411 – 1460, Paddles Limited, Guildford and Kings Lane Printing and Publishing & New York, 1991, p.170 – 186.

أحد مناصب الوصاية المرموقة قبل عام واحد فقط من عيد ميلاد الملك مؤيداً لاستمرار الحراك العسكري الإنكليزي في فرنسا[1]، لكن الملك أراد إنهاء حرب المائة عام، والتوصل إلى اتفاق نهائي بين إنكلترا وفرنسا، مهما كانت تداعيات ذلك على ممتلكات إنكلترا في الخارج، وكان الإسراع في ذلك مثالياً برأيه، لتراكم ديون الخزانة الملكية جراء نفقات الحرب، لكن الحرب استمرت لأن الملك لم يكن نداً لمنافسه السياسي ريتشارد دوق يورك الذي تمتع بنفوذ قوي داخل مجلس الوصاية[2].

طلب الملك شارل السابع من هنري السادس التنازل عن ادعاءاته بالعرش الفرنسي مقابل عدة مناطق في جنوب فرنسا، وطالب بعودة مقاطعتي أنجو وماين إلى السيادة الفرنسية، مع إمكانية أن يحكمها الملك هنري السادس بوصفه تابعاً له، مع ما يترتب على ذلك من التزامات إقطاعية، ومع أن المفاوضات بين العاهلين استمرت طويلاً لكنها دارت في حلقة مفرغة[3].

سعى الملك هنري السادس بدوره لإحلال السلام بين المملكتين، وتمكن مستشاره المفضل وليام دي لا بول (William de La Bole)[4]، من إبرام معاهدة تور (Treaty of Tours) عام 1444، التي انهت العمليات العسكرية بموجب هدنة أمدها اِحدى وعشرون شهراً، وتسهيل صفقة زواج هنري السادس من مارگريت

(1) M.H.Keen, England in the Later Middle Ages A political history, published by Routledge, London and New york, 2003, p.320 - 321.
(2) B. Wilkinson, Late Middle Ages in England 1216 – 1485, published by Routledge, London and New york, 2013, p.260 - 261.
(3) George Holmes, The Late Middle Ages 1272 - 1485, Published by Norton Library & Partners, New york, 1966, p.210 - 211.
(4) (1396–1450) دوق سوفولك وحاكم إنكلترا وقائد عسكري بارز، كان الركيزة الاساسية لحزب لانكستر والمستشار المقرب للملك هنري السادس، تولى مهمة التفاوض مع فرنسا في معاهدة تور 1444، كما كان العقل المدبر لزواج الملك هنري السادس من مارگريت أنجو من اجل تهدئة الصراع مع فرنسا، وبعد وفات دوق جولستر عم الملك اصبح وليام الحاكم الفعلي للبلاد، اتهم بستغلال خزينة الدولة لصالح حلفائه بتوزيع التعيينات والأراضي عليهم مما أدى إلى تدهور الاوضاع الاقتصادية، اتهم بالخيانة العظمة في البرلمان عام 1450 كما حمل مسؤولية الهزائم العسكرية في فرنسا وفقدان نورماندي، حاول الملك انقاذه بنفيه لكنه قتل في عرض البحر وهو في طريقه لمنفاه على يد متمردين اعتبروا نفسهم منفذين للعدالة الشعبية، للمزيد انظر: John Sadler, The red and white rose, The Wars of the Roses 1453 – 1487, Published by Routledge, London, 2010, p.22.

أنجو(Marguerite Anjou)[1]، قريبة الملك الفرنسي شارل السابع[2]، لكن لقاءات مبعوثي الملكين اللاحقة تأجلت مراراً، فوجه البرلمان اللائمة إلى دي لا بول لفشله الدبلوماسي الذي رجح كفة فرنسا على إنگلترا، ولم يحدد مصير أنجو وماين وبريتاني[3].

تزوج الملك هنري السادس ذا الثلاثة وعشرين ربيعاً عام 1445 من مارگريت أنجو التي كانت في الخامسة عشر من عمرها، وكانت زيجته حجر الزاوية في خطته لإرساء السلام بين آل فالوا وبلانتاجنت[4]، لكن خطته فشلت بعد أن هدد شارل السابع إنگلترا عام 1448 باستئناف المعارك إذا لم تعِدْ مين وأنجو إلى الفرنسيين، ومع أن هنري السادس أعادها لكن نظيره الفرنسي استأنف القتال عام 1450، وحقق انتصارات ساحقة على الجيوش الإنگليزية انعكست بقوة على السمعة العسكرية لنبلاء إنگلترا امام مواطنيها من عامة الشعب الإنگليزي[5].

انتهت التطورات آنفة الذكر إلى اندلاع تمرد جاك كيد (Jack Cade's Rebellion) عام 1450، الذي كان بالغ الخطورة وواسع النطاق، والثابت أنه لم يكن مجرد انفجار عشوائي للغضب مما حل بإنگلترا من هزائم، بل حركة منظمة إلى حدٍ ما، مدفوعة بمطالب سياسية واجتماعية واضحة، أبرزها الفشل العسكري في حرب المائة عام، وفقدان إنگلترا مقاطعاتها الفرنسية الواحدة تلو الأخرى، مما أشعر العامة بوهن

1() (1396–1450) ملكة إنگلترا وزوجة الملك اللانكستري هنري السادس، ابنة رينيه الأول (دوق أنجو وملك نابولي الاسمي). تزوجت من هنري السادس عام 1445 بموجب معاهدة تور، عُرفت بقوة شخصيتها ودهائها السياسي، وتزَعّمت فصيل آل لانكستر في "حرب الوردتين" للدفاع عن أحقية ابنها الأمير إدوارد بالعرش مستغلة نوبات الجنون التي عانى منها زوجها. قادت الجيوش اللانكسترية في معارك عدة، أبرزها معركة سانت ألبانز الثانية 1461، لكنها هُزمت نهائياً في معركة تيوكسبوري عام 1471، وقُتل ابنها وأُسر زوجها ثم قُتل، وسُجنت هي الأخرى حتى فداها ملك فرنسا لويس الحادي عشر بمبلغ مالي، فأمضت بقية حياتها في فرنسا حتى وفاتها، للمزيد انظر: Diana E. S. Dunn, War and Society in Medieval Cheshire, 1285 – 1403, Chetham Society, 1987, p.44 – 48.

(2) Anthony Goodman, A History of England from Edward II to James I, Published by Longman, London and New York, 1977, p.219 - 225.

(3) John A. F. Thomson, The Transformation of Medieval England 1370 - 1529, Published by Routledge, London and New York, 2014, p.283.

(4) Gerald Harris, Shaping the Nation England 1360 - 1461, Published by Oxford University Press. New York, 2003, p.435.

(5) Ibid, p.437.

حكومتهم، وتطاول الفرنسيين عليها[1]، فضلاً عن استشراء الفساد في أذرع الإدارة الإنكليزية لاسيما في مقاطعة كِنت، ووجود مستشارين ملكيين فاسدين على رأسهم دوق سوفولك وليام دي لابول، سيطروا على الملك الضعيف وسرقوا أموال الخزانة لصالحهم الخاص[2]، كما أنهم بسبب الديون الضخمة على بلادهم بسبب الحروب فرضوا ضرائب باهظة على الفلاحين وصغار الملاك، تزامناً مع انخفاض أسعار الصوف، الذي شكل العمود الفقري للاقتصاد الإنكليزي، مما أدى إلى انتشار الفقر والبطالة[3]، وفي تلك الظروف بالتحديد، ابتز المسؤولون المحليون في مقاطعة كِنت مواطنيها، ولفقوا لبعضهم التهم لهم لمصادرة أراضيهم وممتلكاتهم، وفرضوا عليهم ضرائب غير قانونية، فقدم جاك كيد شكوى قانونية جسدت معاناة مواطنيه مما تعرضوا له من ظلم[4].

وتمثلت الشرارة المباشرة التي أدت لاندلاع التمرد بمقتل دوق سوفولك المستشار المكروه وليام دي لابول مقابل ساحل كنت، وانتشار شائعات برغبة الملك في تدمير مقاطعة كِنت بالكامل عقاباً على مقتله، مما دفع الناس للالتفاف حول جاك كيد كحركة استباقية للدفاع عن أنفسهم[5]، وأثناء نقل جثمان الدوق من دوفر إلى لندن زاد تخوف الناس من الانتقام الملكي، فقرروا أخذ زمام المبادرة، وأثناء احتفالات عيد العنصرة (Whitsunday)[6]، أواخر شهر أيار عاشت مقاطعة كِنت حالة من الفوضى، فحشدت المجتمعات المحلية في منطقة أشْفورد (Ashford) بتاريخ 24 أيار 1450، مستخدمة

(1) John Watts, Henry VI and the Politics of Kingship, Cambridge University Press, London and New York, 1996, p.290.
(2) David Mitchell, Unruly A History of England's Kings and Queens, published by Michael Joseph, UK, 2023, p.246.
(3) David Grummitt, Henry VI, published by Routledge, New York, 2015, p.158.
(4) John Watts, Op. Cit, p.254.
(5) Montgomery Bohna, Armed Force and Civic Legitimacy in Jack Cade's Revolt, 1450, journal article The English Historical Review, Published By: Oxford University Press, London, 2003, p.267.
6() عيد العنصرة أو عيد الخمسين Pentecost يُحتفل به في الأحد السابع بعد عيد الفصح، ويُخلد ذكرى حلول الروح القدس على تلاميذ المسيح، يُعتقد أن الاسم مشتق من "White Sunday" (الأحد الأبيض)، وذلك لأن المعمدين الجدد في الكنيسة الإنكليزية قديماً كانوا يرتدون ملابس بيضاء نقية في هذا اليوم، كان هذا العيد تاريخياً أحد أهم العطلات في التقويم الإنكليزي، للمزيد عن عيد العنصرة، انظر: William Granger Ryan, translation Eamon Duffy, The Golden Legend: Readings on the Saints, Published by: Princeton University Press, London, 2012, p.277 – 287.

مؤسسات التنظيم المجتمعي القائمة مثل لجنة التجنيد لتنظيم الدفاع المحلي ضد أي هجوم ملكي محتمل، ولا يعرف العدد الدقيق لقوات المتمردين، لكن استناداً إلى قرارات العفو الصادرة في أيار 1450، وما ورد في سجلات تاريخية معاصرة فالمرجح أن عددهم تجاوز 10,000 رجل[1].

وصلت أنباء ذلك التمرد إلى الملك في ليستر بحلول 6 حزيران 1450، فكلف دوق باكنغهام ونبلاء أكسفورد وديفون وأروندل بالتوجه نحو كنت، وفي ظل تلك الظروف عسكر المتمردون في 11 حزيران 1450 في بلاكهيث (Blackheath)، وكان معسكرهم محاطاً بسدود وأوتاد محكمة وكأنهم في ساحة حرب، وبحلول يوم السبت الثالث عشر من حزيران كان الملك وأسياده قد استقروا في مستشفى سانت جون كليركنويل (St John Clerkenwell)، وفي يوم الاثنين توجه المنادون الملكيون إلى بلاكهيث لمواجهة المتمردين، فقال لهم رجال كِنت "**إنهم لم يأتوا كمتمردين بل كمطالبين بالعدالة العامة ومتظاهرين بمظالمهم ومظالم المملكة**"[2]، فرفض الملك هنري السادس تنفيذ أياً من مطالب المتمردين، وعند عودتهم أمر جيشه الخاص وهو قوة كبيرة ضمت رجال حاشيته ورجال دوقي إكستر وباكنغهام بالإضافة إلى أحد عشر لورداً آخر على الأقل بالتحرك نحو مواقعهم في بلاكهيث[3].

قاد إيرل نورثمبرلاند قوة راكبة لاستطلاع المعسكر، ثم بلغ الملك أن قوات كيد تفوق القوات الملكية عدداً، وفي الخامس عشر من حزيران توجه وفداً برئاسة رئيس أساقفة كانتربري جون كيمب (John Kemp) (1380 – 1454) ورئيس أساقفة يورك جون ستافورد (John Stafford) (1398 – 1452)، وأسقف ونشستر وليام واينفليت (William Waynflete) (1398 – 1486)، ودوق باكنغهام وقائد شرطة إنكلترا الفيكونت جون بومونت (Viscount John Beaumont) (1409 – 1460) إلى المتمردين وتلقى التماساتهم ووعدهم بالعودة إليهم بردٍ من الملك[4]، لكن الملك هنري السادس بعد لقائه بالوفد رفض الاستجابة لمطالب المتمردين، حينها تراجع كيد من

(1) Alexander L. Kaufman, The Jack Cade Rebellion of 1450, Lexington Books Press, Larham Boulder New York London, 1997, 73.
(2) I.M.W. Harvey, Jack Kid's Rebellion of 1450, Publisher Clarendon Press, Oxford, London and New York, 1991, p.185
(3) Bertram Wolffe, Op. Cit, p.231.
(4) William Gregory, John Lydgate, John Page, The Historical Collections of a Citizen of London in the Fifteenth Century, Printed for the Camden Society By Nicholls & Sons, 1876, p.190.

بلاكهيث خوفاً من نية الملك قيادة جيشه بنفسه، لذا قرر بعض أفراد القوات الملكية ملاحقة كيد ورجاله إلى أن وصلوا إلى كِنت، لكن في ظهيرة يوم 18 حزيران تلقى معسكر الملك نبأ مقتل همفري ستافورد (Humphrey Stafford) (1400 – 1450) من غرافتون ووليام ستافورد (William Stafford) (1420 – 1450)، قريبي دوق باكنغهام في كمين نصبه المتمردون قرب سيفينوكس (Sevenoaks)، فجمع هنري السادس جيشه في بلاكهيث صبيحة اليوم التالي مدعوماً بقوات جديدة من تشيشاير ولانكشاير، لكنه بدلاً من مواجهة المتمردين أظهر تردداً مفاجئاً بعد أن أطلق المتمردون صيحة مدوية في الساحة قائلين: "**سندمر هؤلاء الخونة الذين ينتمون للملك**"[1].

فقدَ الملك هنري السادس شجاعته في تلك اللحظة الحاسمة، وبدلاً من مواجهة المتمردين بنفسه أمر في 25 حزيران باعتقال عدد من خدمه، بمن فيهم كبير حجابه ووزير خزانة إنكلترا اللورد ساي وسيل (Lord Sai Wseel) (1395 – 1450)، ثم قرر اخلاء العاصمة، فتشجع متمردو كيد وعادوا إلى بلاكهيث بعد أربعة أيام، وفي 3 تموز عبروا جسر لندن إلى المدينة، وانتقموا ممن وصفوهم الخونة المحيطين بالملك اللورد ساي ووليام كرومر (William Cromer) (1420 – 1450) صهر شريف كِنت، وبعد محاكمة صورية سريعة أُعدموهما، ثم هاجموا قاعة النقابات في لندن وقتلوا حاشية الملك الذين وقعوا في قبضتهم، وامتدت الاضطرابات إلى ما وراء جنوب شرق لندن، وفي اليوم ذاته قتل حشد غاضب أسقف سالزبوري وليام أيسكوف (William Ayscough) (؟؟ _ 1450) شنقاً أثناء إقامته القداس في ويلتشير، وأدام متمردو كيد عمليات نهب واسعة في وسط لندن[2]، فهرب أغلب سكانها في الخامس والسادس من تموز، واللافت أن الملك هنري السادس عرض في 7 تموز على المتمردين بعد كل ما فعلوه عفوا ملكياً باستثناء زعيمهم، فاستكان المتمردون وتفرقوا سلمياً، وأُلقي القبض على جاك كيد على حدود كِنت/ساسكس في 12 تموز، فتوفي متأثراً بجراحه[3].

والحقيقة أن التعاطي السياسي للملك هنري السادس مع اضطرابات صيف 1450 كان نقطة تحول مفصلية أدت تبعاتها الكارثية إلى تقويض ما تبقى من شرعيته،

(1) Thomas Gascoigne, Passages selected from: Loci e Libro Veritatum Gascoigne's Theological Dictionary Illustrating the Condition of Church and State, 1403 - 1458, Oxford, London, 1881, p.189.
(2) Ralph Flenley, Six Town Chronicles of England, Oxford, New york, 1908, 132.
(3) I. M. W. Harvey, Op. Cit, p.186 – 191.

لاسيما أن المتمردين نجحوا في إضفاء صبغة الشرعية على حركتهم بوصفهم "**العامة الحقيقيين**" الذائدين عن الصالح العام، ووجهوا انتقادات لاذعة للملك لخسارة نورماندي وتدهور الوضع الاقتصادي لمؤسسة العرش والرعية على حد سواء فضلاً عن إقصاء النخب الوطنية من دوائر صنع القرار الملكي[1].

أظهر ذلك التمرد مدى ضعف آل لانكستر، وشجع بعضهم بضمنهم النبلاء على الدعوة لتشكيل مجلس تمثيلي من النبلاء يشرف على أداء مؤسسة العرش الإنگليزي، وتجلى ذلك التأصيل التشريعي في تعاطف بعض اللوردات وحاشية الملك في بلاكهيث مع مطالب المتمردين، فأبدوا تضامنهم مع دعواتهم لإقامة العدل ومحاسبة من وصفوا بالخونة[2]، وكشفت ردود أفعال الملك هنري السادس عن تناقض بنيوي مريع في ممارسته للسلطة، فبتضحيته باللورد ساي أحد أبرز المخلصين لآل لانكستر لثلاثة عقود ضرب عرض الحائط بقيم الولاء والخدمة التي قامت عليها شرعية أسرته، ولم يغفل المعاصرون عن رصد ذلك الإخفاق الشخصي للملك هنري السادس في ذلك الموقف الدقيق، فبدلاً من استعراض الحزم الملكي وفرض الطاعة على غرار ما فعله ريتشارد الثاني أمام وات تايلر عام 1381 فضل الملك هنري السادس الانسحاب من العاصمة نحو معقل دوقية لانكستر في قلعة كينيلوورث (Kenilworth Castle)، ذلك التراجع الذي انتقدته بعض السجلات التاريخية، ومنها ما وثقه أحد مؤرخي تلك الحقبة بمرارة مؤكداً "**أن الملك هجر رعيته ولاذ بالفرار**"، مفضلاً التواري على مواجهة ذلك التحدي الذي عصف بعرشه[3].

وبدا للجميع بعد تلك الأحداث مدى ضعف شخصية الملك هنري السادس، وافتقاره للقدرة على حكم مملكته، كما حكمها أبوه وجده، وزاد الأمر سوءاً بعد حدوث اضطرابات عقلية للملك هنري السادس، في نوبات متفرقة، شابه بها جنون جده لأمه شارل السادس إلى حد التطابق، بالشكل الذي شجع ابن عمه دوق يورك ريتشارد بلانتاجانت على الاستحواذ عليه، فجند قوات كثيرة تحت أمرته تحت ذرائع مختلفة،

---

(1) Ralph Flenley, Op. Cit, p.132.

(2) Norman Davies, Richard Biddle, Colin Richmond, Paston Letters and Papers of the Fifteenth Century, vols2, This study was published for the Early English Textual Society by Oxford University Press, New york, 2005, p.460.

(3) J. L. Harris Rowena E. Arch Simon Walker, Rulers and Ruled in Late Medieval England, Hambledon Press, London, 2008, p.115.

لإبقاء هيمنته على مؤسسة العرش[1]، وتنامت مطامع دوق يورك بعد طرد الإنكليز من فرنسا عدا كاليه عام 1453، وانتهاء حرب المائة العام بضربة عسكرية وسياسية مميتة لمؤسسة العرش الإنكليزي وأفصالها الاقطاعيين، بما انعكس سلباً على مكانة هنري السادس لدى نبلائه ورعاياه على حدٍ سواء[2].

(1) Ralph A. Griffiths, The Reign of King Henry VI The exercise of royal authority 1422 – 1461, University of California Press, Berkeley and Los Angeles, 1981, p.7.
(2) Ibid, p.437.

المبحث الثاني

صراع عائلتي لانكستر ويورك حتى خلع الملك هنري السادس

1461 - 1453

عانت إنكلترا في منتصف القرن الخامس عشر من مرارة هزيمة حرب المائة عام مع فرنسا، وأَنَّتْ تحت وطأة عرش مهتز تسنمه الملك الضعيف والمسالم هنري السادس، الذي لم تتوافق طبيعته الهادئة مع دسائس العرش ومؤامراته، مما أوجد فراغاً سياسياً ملأه الفساد والمحسوبية، وفي خضم تلك الفوضى برز ريتشارد دوق يورك، الذي لم ير في نفسه مجرد تابع للتاج بل وريثه الشرعي الذي سلب حقه، ومُنقذ البلاد من ضرر المستشارين السيئين والبطانة الفاسدة، ولم يكن تمرد إيرل يورك عصياناً عسكرياً عابراً بل صداماً حتمياً بين شرعية الحكم وكفاءة القيادة[1]، لذا بدأت بين "**الوردة الحمراء**" لآل لانكستر و"**الوردة البيضاء**" لآل يورك ملحمة غيرت وجه الملكية الإنكليزية للأبد، فتحولت قاعات القصور إلى ساحات للدسائس، وأصبح الولاء عملة نادرة في زمنٍ قرر فيه السيف من يرتدي التاج[2].

رأى ريتشارد دوق يورك في نفسه المستشار الطبيعي للملك بحكم نسبه وثروته، لكنه وجد نفسه مبعداً ومنفياً (كحاكم لأيرلندا) بينما استأثر دوق سومرست إدموند بوفورت الأول (Edmond Beaufort, Duke of Somerset)[3]، بسلطة مطلقة، وزاد من

---

(1) زهراء جعفر ابراهيم طاهر، التطورات السياسية الداخلية في انكلترا 1422–1471، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، قسم التاريخ، 2025، ص149–151.

(2) Bertram Wolffe, Op. Cit, p.239.

3() (1406 – 1455) أحد أبرز النبلاء والقادة العسكريين الإنكليز خلال حرب المئة عام وحرب الوردتين، وزعيماً بارزاً للفصيل اللانكستري الموالي للملك هنري السادس،شغل منصب الملازم الملكي في فرنسا، إلا أن إدارته العسكرية شهدت تراجع السيطرة الإنكليزية وسقوط نورماندي وكاين في أيدي الفرنسيين بين عامي 1449 و1450. تسببت تلك الإخفاقات، بالإضافة إلى نفوذه الطاغي لدى البلاط والملكة مارگريت أوف أنجو، في عداء مرير ومستمر بينه وبين ريتشارد دوق يورك، هذا الصراع الشخصي والسياسي كان الشرارة الرئيسة التي فجرت حرب الوردتين، وانتهت حياة الدوق إدموند بوفورت مقتولاً في أولى معارك هذا النزاع، وهي معركة سانت ألبانز الأولى عام 1455 للمزيد انظر: P. Sen Director, National Biographical Dictionary, Volume 4 (S-Z), Published by Dr. S. P. Sen Director, Institute of Historical Studies, India, 1885, p.37 – 39.

وطأة ذلك اتهام ريتشارد يورك دوق سومرست بالفشل العسكري الذريع في فرنسا وخسارة أراضي نورماندي، وهي اتهامات مبررة، كما أن دوق يورك لم يحتمل رؤية خصمه اللدود يتحكم في قرارات العرش المالية والعسكرية، لاسيما أن إنگلترا كانت في أسوأ عهودها على شتى الصعد، فالهزيمة في حرب المائة عام لم تكن مجرد ضربة للكرامة، وإخفاق سياسي وعسكري بل كارثة اقتصادية ايضاً، فقد كان العرش غارقاً في الديون، وريتشارد دوق يورك ذاته دائناً للعرش بمبالغ ضخمة لم يستردها بسبب عدم قدرة الملك هنري السادس على سدادها[1]، وكان واضحاً أن الأخير لا يمتلك مقومات إدارة إنگلترا في ذلك الظرف العصيب، لاسيما بعد تزايد اصابته بنوبات الذهان، واضطرار زوجته مارگريت أنجو لتسنم زمام الامور، وكانت مارگريت بدورها ترى في ريتشارد دوق يورك تهديداً لعرش زوجها[2]، لاسيما أنه كان يرى نفسه سليلاً ملكياً ينحدر من سلالة بلانتاجنت، وله أحقية بالعرش أكثر من هنري السادس نفسه، وأعتقد ريتشارد أن آل لانكستر اغتصبوا العرش من عائلته، بعد أن قتلوا ريتشارد الثاني، وحان الوقت لاسترجاع عرش عائلته المفقود[3]، كما أن فشل هنري السادس في التعامل مع تمرد جاك كيد قد أقنع ريتشارد دوق يورك، بضرورة الحلول محله للدفاع عن إرث آل بلانتاجنت ضد تمردات العامة التي أنذرت بزوال المؤسسة الاقطاعية وجميع رموزها، وفي مقدمتهم ريتشارد دوق يورك أعظم نبلاء عصره وصاحب أكبر دخل باروني في منتصف القرن الخامس عشر (حوالي 5000 باون سنوياً)[4].

نشأ التمرد الذي عُرف باسم حرب الأقارب، نتيجةً للتوتر بين آل لانكستر وآل يورك، اللذان شكلا فرعي سلالة بلانتاجنت الملكية، وارتبط آل لانكستر بالوردة الحمراء، بينما ارتبط آل يورك بالوردة البيضاء، لذا سُمي صراعهما بحرب الوردتين[5]، وبدأت المعارك حين تشكل تحالف باروني كبير بقيادة ريتشارد دوق يورك وسط الاضطرابات التي أعقبت حرب المائة عام، وكان مساعده الأهم ابن أخ زوجته إيرل وارويك السادس عشر وإيرل سالزبوري السادس ريتشارد نيفيل (Richard Neville, 6th Earl of

(1) Anthony Tuck, Op. Cit, p.281.
(2) Ralph A. Griffiths, Op. Cit, p.135.
(3) S.B. Crimes & C.D. Ross & R.A. Griffiths, Op. Cit, p.97.
(4) زهراء جعفر ابراهيم طاهر، المصدر السابق، ص155.
(5) Hourly History, Wars of the Roses: A History From Beginning to End, London, 2017, p.9.

(Salisbury, 16 th Earl of Warwick[1]، مؤيداً جعلهُ لورداً حامياً على إنگلترا بعد استشراء حالة هنري السادس العقلية، لكن مارگريت أنجو استغلت هيمنتها على زوجها المجنون لمنع ذلك الإجراء، فزاد مقت دوق يورك لها، لوقوفها في وجهه ولاعتقاده أنها المسؤولة الأبرز عن هزيمة بلاده في فرنسا أثناء حرب المائة عام[2].

ويبدو أن ما حدث زاد مقت آل يورك لآل لانكستر، واعتقدوا أن روابطهم العائلية قد انتهت فعلياً قبل نصف قرن، بسبب خيانة هنري الرابع، وتسنمه عرشاً لا يستحقه، كما أنهم أدركوا أنهم رجالات تلك المرحلة الصعبة من تاريخ إنگلترا، ولابد لهم من اغتنام فرصة جنون الملك هنري السادس، لنقل العرش إلى ريتشارد دوق يورك، وإعادة ترتيب أوضاع المملكة بما يخرجها من مأزقها، ويعيد إلى آل يورك مكانتهم المفقودة[3]، لكن ما حدَ من توجه آل يورك قليلاً أن هنري السادس وزوجته لم يرزقا بأطفال حتى تشرين الثاني 1453، وكان ريتشارد دوق يورك يعتقد أنه سيرث هنري السادس عاجلاً أم أجلاً، إلا أن الدوق كان متوجساً من تنامي حظوة إدموند بوفورت الأول لدى الملك، ومتخوفاً من انقلاب ملكي قد تقوده الملكة مارگريت وآل لانكستر في الخفاء[4].

استشرت حالة هنري السادس بشكل غير مسبوق في صيف عام 1453، فحدث انهيار عصبي شديد له، مقترناً بطفح جلدي، وبعد ذلك بوقت قصير دخل في

---

(1) (1428 – 1471)، كان يلقب بصانع الملوك، أصبح شخصية محورية في تلك الحقبة. وهو الابن الأكبر لسالزبوري وابن أخ زوجة دوق يورك، تزوج ابنة بوشامب وإيرل وارويك. شارك في معركة ألبانز الأولى، ونورثامبتون، وسانت ألبانز الثانية، وتاوتون. ولأنه كان يرى نفسه القوة الخفية وما وراء العرش، ونفوره من إدوارد الرابع بعد زواجه من وودفيل. وأدت مكائده الأخيرة إلى إعادة تنصيب هنري السادس في انقلاب عام 1470. وقُتل هو وشقيقه اللورد مونتاغو في بارنيت في ربيع العام التالي. للمزيد انظر : Charles W. Oman, Warwick, Kingmaker, Macmillan & Co. Publishing, London & New York, 1891, p.1 – 12.

(2) April Madden & Briony Duguid, Historical Wars of the Roses, The Baronial conflict that divided England, Printed by William Gibbons, Planetary Road, Willenhall, West Midlands, Distributed by Marketforce Churchill Place, Canary Wharf, London, 2021, p.31.

(3) Matt Clayton, Captivating History, The Wars of the Roses, A captivating guide to the English civil wars that toppled the Plantagenet dynasty and placed the Tudors on the throne, Published by Manda Scott, London, 2018, p.15.

(4) Con Igolden, Wars of the Roses ise of the Tudors, First published by Michael Joseph, London, 2016, p.117.

حالة عزلة شبه تامة فلم يكن يتكلم أو يتحرك[1]، وكان يجلس مطأطئ الرأس غير مبال بما يدور حوله، وكان لا بد من أن يتولى أطباؤه ومقدمو الرعاية رعايته وإطعامه، فشعر دوق يورك أن نهايته قريبة، لكنه الدوق صُدِمَ حين أنجبت الملكة وريثاً للعرش، وتأكد أن احلامه وطموحات عائلته أصبحت في مهب الريح، إن لم يتحرك بسرعة، أما الملك فلم ينطق بكلمة حين عرض عليه طفل، ثم قال لاحقاً "**إن الروح القدس هي التي أنجبته**"، مما دعا حاشيته لتشبيه سلوكه بسلوك جده لأمه شارل السادس الملقب بـ "**المجنون**"[2].

أدى عجز هنري السادس عن الحكم وكون وريثه رضيعاً إلى تعيين ريتشارد يورك حامياً للمملكة في اذار 1454، فاغتنم ريتشارد يورك الفرصة، واعتقل إدموند بوفورت في برج لندن، وأدى مهامه بنزاهة واتقان، لكن هنري السادس حين استعاد رشده في شباط 1455 عزله، وأعاد هنري إدموند بوفورت ومارگريت إلى السلطة، وباشرت الأخيرة دسائسها ضد الدوق ريتشارد[3]، ورداً على ذلك عبأ الدوق ثلاثة الآف من أتباعه، وقادهم في 22 أيار 1455 ضد قوات هنري السادس في سانت ألبانز[4]، فانتصر اليوركيون في المعركة، التي رغم دمويتها لم تستمر أكثر من ساعة، وفي تلك المعركة قتل إدموند بوفورت، وأُسر هنري السادس، وأُعلن ريتشارد مجدداً حامياً للمملكة، لكنه لم يستطع تسنم العرش لأن هنري السادس كان يحظى بدعم أغلب النبلاء[5]، لكن تلك المعركة كانت الشرارة التي أشعلت فتيل حرباً استمرت لعقود[6].

أعاد ريتشارد يورك هنري السادس إلى لندن في اليوم التالي، وأبقى رهينته الملكية في قلاعٍ عديدة، ويبدو أن هنري السادس لم يبدِ تذمراً من وضعه، وبعد أشهر حين عقد البرلمان اجتماعاً نادراً أبلغه دوق يورك أن هنري السادس لم يعد مؤهلاً للعرش، فأعلن البرلمان ريتشارد يورك رسمياً لورداً حامياً لإنگلترا، وهو أمر لم يستمر كثيراً بعد أن استعاد الملك وعيه في شباط 1456، فانتهت الحماية الثانية لريتشارد[7].

---

(1) Con Igolden, Wars of the Roses pock One: Stormbird, Published in Penguin Books, 2014, p.93.
(2) Hourly History, Op. Cit., p.21.
(3) Michael Hicks, Essential Histories The Wars of the Roses 1455 - 1487, Osprey Publishing Ltd, 2013, p.12.
(4) معركة سانت البانز 22 أيار 1455، مخطط رقم **(1)**.
(5) Hourly History, Op. Cit., p.15.
(6) Con Igolden, Wars of the Roses pock One …, p.97.
(7) Matt Clayton, Op. Cit, p.21.

أراد هنري السادس إقامة علاقات سلمية مع فرعي آل بلانتاجانت، فأكد لريتشارد يورك محبته له، ونظم اجتماعاً بين كبار فرع آل لانكستر وآل يورك وأصهارهم آل نيفيل وبعض ممثلي التاج، لمصالحتهم في يوم لوفيداي "**يوم الحب**"، الذي وافق 24 اذار 1458، وبعد نقاشات شديدة وافق آل لانكستر وآل يورك وحلفائهم[1]، على حفاظ السلام والتسامح بينهم، ومع أن الملك هنري السادس شعر حينها بالسعادة، إلا أن معظم المشاركين، أضمروا عدم الوفاء بعهودهم[2]، وتوجست الملكة مارگريت من جانبها من خطر ريتشارد دوق يورك على زوجها، لضعفه وعجزه عن حماية عرشه ومصالح أسرته، وفي مقدمتهم وليدهما الصغير، ولحسن حظ هنري السادس كانت ملكة إنگلترا امرأة قوية وذكية فتعاملت بحزم مع زوجها لمصلحتهما، وأدركت أنه على الرغم من مظهر الصداقة والتسامح بين فرعي أسرة بلانتاجنت في يوم لوفيداي، إلا أن هناك قوات مسلحة على أهبة الاستعداد من كلا الجانبين، فدعت في الصيف التالي إلى اجتماع للمجلس الكبير لم يدع إِليهِ ريتشارد دوق يورك وحلفاؤه الرئيسون من عائلة نيفيل، فأدرك دوق يورك وأنصاره ما يعنيه ذلك[3]، وقبيل انعقاد المجلس جند ريتشارد أكبر عدد ممكن من المقاتلين لقضيته بمساعدة آل نيفيل، أما في الجانب الملكي من آل لانكستر، فجندت مارگريت أنجو مقاتلين أضافيين لتعزيز صفوف القوات الملكية، فجمعت ضعف عدد جنود المتمردين، وفي 23 أيلول 1459 وقع أول اشتباك بين الجيشين في معركة بلور هيث (Battle of Blur Heath)[4] في ستافورد حين سار جزء من جيش يورك جنوباً للانضمام إلى قوات ريتشارد، لكن الجيش الملكي اعترض طريقهم[5].

ضم جيش لانكستر حوالي 10,000 رجل، بينما لم يضم جيش يورك سوى 5,000 رجل، وكان هناك جدولٌ مائيٌ ذو ضفاف عميقة بين الجيشين جعلت عبوره

---

(1) Con Igolden, Wars of the Roses ise of the Tudors …, p.119.

(2) Bertram Wolfe, Henry VI, Kings of England at Yale University, Printed by Good News Digital Books, Great Britain, 1983, p.685.

(3) حارث عبد الرحمان التكريتي، ليث محمد الجنابي، انكلترا في سنوات حرب الوردتين 1455-1485، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت، كلية التربية، قسم التاريخ، العدد 17، كانون الاول 2013، ص314.

(4) معركة بلور هيث 23 أيلول 1459، مخطط رقم **(2)**.

(5) R. A. Griffith, The reign of King Henry VI 1422 - 1461, Copyright Ralph A. Griffiths, 2004, p.741.

مهمة شاقة، ولتجنب قتال ضاري حاول قائدا الجيشين لورد أودلي جيمس توشيت (James Touchet, 5th Baron Audley) (1398 – 1459) ولورد دادلي جون ساتون (John Sutton, 1st Baron Dudley) (1400 – 1487) عن جيش لانكستر وإيرل سالزبوري ريتشارد نيفيل "الأب" عن جيش يورك إيجاد حل دبلوماسي، لكنهما فشلا في نهاية المطاف وتقدم كلا الجانبين، واشتدت المعركة[1]، ورغم امتلاك الجيش الملكي جميع أسباب التفوق لكنه حوصر وأجبر على التراجع تحت وطأة هجمات ضارية من المتمردين، فقتل اللورد أودلي وألفي جندي من قواته، وانضم مئات الملكيين إلى صفوف المتمردين في منتصف المعركة لإنقاذ أرواحهم من موت محقق، وفر اللورد دادلي (Lord Dudley) بما تبقى من الجيش الملكي تاركاً سالزبوري يواصل تقدمه جنوباً وينضم إلى ريتشارد دوق يورك[2].

وبعد مرور أقل من شهر على مواجهتهم الملكية، وجد ريتشارد دوق يورك وقادة فصيله أنفسهم في موقف عسكري حرج إثر انسحابهم القسري من لندن تحت ضغط القوات الموالية للملك هنري السادس، فاتخذوا من لودلو على الحدود الويلزية معقلاً مؤقتاً لإعادة ترتيب صفوفهم. وكان هدفهم الأساس تجميع جيشهم المشتت بانتظار وصول تعزيزات من إيرل سالزبوري في الشمال، وقوات النخبة القادمة من كاليه بقيادة إيرل وارويك صانع الملوك المستقبلي. وفي ظل تلك الظروف أدرك دوق يورك يقيناً أن ميزان القوى العسكرية لا يمنحه فرصة الزحف نحو العاصمة أو خوض مواجهة حاسمة ضد القوات الملكية، إلا بعد اكتمال وصول تلك التعزيزات وتوحيد جيشه تحت قيادة مركزية قوية وموحدة، تكون قادرة فعلياً على ترجيح كفته في الصراع المحتدم للسيطرة على السلطة، وتأمين موقفهم السياسي والعسكري في وجه التحديات الكبرى التي كانت تواجههم في تلك المرحلة المضطربة من تاريخ الصراع الإنكليزي[3].

وصل ريتشارد الأب وولده إيرل وارويك ريتشارد نيفيل "الابن" مع قواتهما في 12 تشرين الأول 1459 لمواجهة الجيش الملكي الذي تقدمه الملك نفسه مرتدياً درعه

(1) Paul Grosjean S.I., Henry VI of England, The Miracle of Postoma, Published by Brussels Association of Polesistes 24 Boulevard Saint - Michel, London, 1935, p.321.
(2) Lauren Johnson, Shadow King The Life and Death of Henry VI, Pegasus Books Ltd, New York, 2019, p.391.
(3) Bertram Wolfe, Op. Cit, p.687.

الكامل، وحدثت أمور ليست في صالح الدوق، منها أنه أكد لمقاتلي جيش يورك أن معركته ليست ضد الملك بل ضد مستشاريه، مما القى في روعهم أن معركتهم ضد عاهلهم ليست عادلة[1]، وزاد الأمر سوءاً حين عرض الملك عفواً على مقاتلي جيش يورك الراغبين في الانضمام إلى صفوفه، فانضم جميع رجال كاليه البالغ عددهم 600 رجل إلى قوات لانكستر، حينها فر دوق يورك وإيرلي وارويك وسالزبوري إلى لودلو بذريعة الوصول إلى حل أمثل لصراعهم مع الملك، لكنهم في الحقيقة تخلوا عن جنودهم، ولجأوا إلى ويلز تاركين جيشهم يواجه الملك دون قيادة، فلم يكن أمام القوات المتمردة سوى الركوع أمام هنري السادس وطلب رحمته[2]، وعلى الرغم من عدم وقوع أي قتال واسع النطاق عرفت تلك المواجهة باسم معركة جسر لودفورد (Battle of Ludford Bridge)، ورسخت مؤقتاً مكانة الملك هنري السادس على العرش في أذهان المتمردين وأنصار العائلة المالكة على حد سواء، فعاد اللانكستريون إلى ديارهم للاحتفال بنصرهم، وبمجرد أن أصبحوا في مأمن على مسافة آمنة في ويلز، عاد دوق يورك إلى أيرلندا وإيرل وارويك إلى كاليه، حينها ندد البرلمان بدوق يورك ووصفه بالخائن[3].

أبحر إيرل وارويك من كاليه في ربيع عام 1460 للقاء إيرل سالزبوري في أيرلندا ووضعا مخططاً لهجومهما المرتقب، وأيد كلاهما مطالب دوق يورك بالعرش لا سيما أن موقعه في ايرلندا كان في منتهى القوة، حتى أن السلطات الإنكليزية في ايرلندا رفضت حاكمها الجديد، وأظهرت تمسكها بدوق يورك، وكذا الأمر بالنسبة لحامية كاليه التي فضلت حاكمها على مرشح الملك[4]، وفي تلك المرحلة قرر ريتشارد دوق يورك البقاء في أيرلندا كإجراء احترازي لضمان سلامته، تاركاً مهمة قيادة الهجوم ضد قوات الملك هنري السادس لحلفائه من آل نيفيل، وامتثالاً لتوجيهات دوق يورك، حشد إيرلي وارويك وسالزبوري جيوشهما وزحفا نحو لندن مطلع شهر تموز، وسط حالة من الترقب والحيرة سادت العاصمة، وفي نهاية المطاف قررت المدينة التمسك بولائها للملك هنري السادس، فنشرت جنودها على طول جسر لندن لقطع الطريق ومنع القوات اليوركية من

(1) Con Igolden, Wars of the Roses pock One, Op. Cit, p.103.
(2) James Ross, Henry VI A kind, simple, and innocent man, Copyright James Ross, UK, 2016, p.67.
(3) Paul Grosjean S.I., Op. Cit, p.323.
(4) John Watts, Henry VI and the Politics of the Monarchy, Published by the Press niversity of Cambridge, New York, 1996, p.299.

الدخول، وتحصّن اللورد توماس سكيلز وروبرت هانغرفورد داخل برج لندن مجهزين بأسلحتهم الثقيلة استعداداً لمواجهة أي حصار، بينما اكتظ البرج بالعامة الذين دفعهم القلق والعجز عن القتال إلى الاحتماء داخل أسواره[1].

تمكن جيش إيرل سالزبوري من اختراق صفوف اللانكستريين عند جسر لندن لكنه لم يستطع اختراق أسوار البرج، ودارت معركة عبثية بين الجانبين استخدم أثنائها إيرل سالزبوري الأسلحة المتاحة لديه لقصف المدينة، فقتل العديد من اللندنيين، وواصل سالزبوري الضغط على أسوار البرج بينما زحف إيرل وارويك نحو هنري وجيشه في نورثهامبتون في 10 تموز 1460، وفي نورثهامبتون تفوق عدد المتمردين على القوات الملكية على الرغم من امتلاكهم لعدد قليل من المدافع[2]، وأرسل إيرل وارويك مراراً رسلاً طلبوا تحدثه مع الملك، لكن طلبه قوبل بالرفض في كل مرة حتى أُبلغ في النهاية أن أي محاولة للقاء ستنتهي بموته، وجاء في رسالة نيفيل الأخيرة أنه في تمام الساعة الثانية سيقابل الملك هنري السادس أو سيقاتل، وفي تمام الساعة الثانية تقدم جيش يورك[3]، وبدأت وقائع معركة نورثهامبتون (Battle of Northampton)[4].

لم يحالف الحظ قوات لانكستر الملكية، إذْ حرمهم المطر الغزير من ميزة مدافعهم التي غرقت وقتل ثلاثمائة جندي منهم، والأسوأ من خسارة المدفعية أن جناحاً كاملاً من جيشهم تآمر لارتكاب الخيانة لصالح الفصيل المتمرد، فسمح اللورد غراي من روثين قائد الجيش المسؤول لقوات وارويك بالمرور عبر صفوفه إلى المعسكر الملكي فأسروا الملك هنري، وقتلوا أربعة من مستشاريه، وبالمقابل حصل غراي على دعم يورك في نزاع على بعض أراضيه وعين لاحقاً أميناً لخزانة إنكلترا[5].

أعاد إيرل وارويك هنري السادس إلى لندن، وانضم جيشه إلى جيش إيرل سالزبوري للمطالبة بفتح بوابات برج لندن، ومع أن القائدين سكيلز (Scales) وهنغرفورد (Hungerford) المسؤولين عن حماية بوابة لندن قاتلا بشراسة ضد المهاجمين لكنهما أدركا أن عددهم يفوق طاقتهم، فاضطرا إلى السماح بدخول عدد قليل من الرجال للتفاوض معهم على شروط وقف إطلاق النار، ثم استسلم البرج للمتمردين، فهرب

---

(1) Lauren Johnson, Op. Cit, p.409.

(2) حارث عبد الرحمان التكريتي، ليث محمد الجنابي، المصدر السابق، ص317.

(3) Paul Grosjean S.I., Op. Cit, 329.

(4) معركة نورثهامبتون 10 حزيران 1460، مخطط رقم **(3)**.

(5) R. A. Griffith, Op. Cit, p.749.

هنغرفورد من المدينة ووقع سكيلز في قبضة مواطنيه الغاضبين من إطلاقه النار العشوائي، فقتلوه[1]، وبعد معركة نورثهامبتون اعتقد ريتشارد يورك أنه انتصر في الحرب فعاد إلى إنگلترا، وتوجه مباشرة إلى لندن وحين وصلها، أكد له اتباعه أن هنري السادس مسجون في برج لندن، فدخل الدوق العاصمة في أيلول من ذلك العام رافعاً راية تحمل شعار النبالة الملكي لإنگلترا، لكنه حين وصل إلى قصر هنري السادس لم يلق الترحيب أو الاحتفال الذي كان يتوقعه، ولم يهلل له أحد كملك، وبدا واضحاً مدى تردي شعبيته[2].

في ظل بقاء الملك هنري السادس وولي عهده على قيد الحياة، غدت مسألة تفويض دوق يورك السلطة العليا حقاً دستوريّاً مناطاً بالبرلمان، فاجتمع الأخير لتدارس الأزمة، وخلص إلى عدم أهليته السياسية لعزل ملكٍ حي، استناداً إلى المفهوم السائد بأن الملوك يُستخلفون بموجب الحق الإلهي، وبالتالي تقتصر محاكمتهم على السلطة الروحية للكنيسة الكاثوليكية دون الإدارات السياسية[3]، ولذلك رفض البرلمان منح ريتشارد دوق يورك العرش مباشرة، لكن البرلمان كان مدركاً أن عليه وضع حدٍّ للنزاع الداخلي المستعر بين فرعي أسرة بلانتاجنت (لانكستر ويورك)، وارضاء لدوق يورك المتوثب لانتزاع مقاليد السلطة السياسية المطلقة في إنگلترا، فتوصل إلى صيغةٍ تسوية مفادها منح الدوق منصب 'اللورد الحامي لإنگلترا' لإدارة شؤون المملكة تحت سيادةٍ اسمية للملك هنري السادس، وأصدر البرلمان تشريعاً بحق دوق يورك وذريته في خلافة العرش بعد وفاة الملك، مستبعداً بذلك ولي العهد الشرعي إدوارد لانكستر[4].

ولم يُبدِ الملك هنري السادس اعتراضاً علنياً على ذلك الاغتصاب التدريجي لسلطته، مؤكداً استهجانه لإراقة الدماء والحروب التي أذكيت من أجل التاج، وانكفأ في محبسه متأملاً، ورغم ما أضمره من استياء حيال قانون التوافق (Act of Accord) الذي أقصى ابنه من ولاية العرش، فإنه لم يثر أي ضجة[5]، لكن زوجته الملكة مارگريت التي نجت مع ابنها إدوارد من قبضة خصومها تحينت الفرص لإشعال فتيل مواجهة جديدة لاسترداد حق ابنها المسلوب في عرش أسلافه[6].

---

(1) Lauren Johnson, Op. Cit, p.595.
(2) Bertram Wolfe, Op. Cit, p.691.
(3) Abraham Lincoln, And others, Op. Cit, p.33.
(4) Lauren Johnson, Op. Cit, p.413.
(5) James Ross, Op. Cit, p.73.
(6) John Watts, Op. Cit, p.311.

هربت الملكة مارگريت وابنها إلى ويلز لتجنب الوقوع في قبضة قوات ريتشارد، ومع أنها كانت شابة وقليلة الخبرة لكنها أدركت أن الجميع بضمنهم بعض أفراد حاشيتها يودون جعل ابنها تحت وصاية دوق يورك ريتشارد بلانتاجنت، وهو ما استهجنته مارگريت، وبدأت في وضع خطة لاستعادة مكانة عائلتها[1]، وحين شعرت بالأمان سافرت مع ابنها إدوارد إلى إسكتلندا لطلب المساعدة من الملكة ماري من غيلدرز، كانت غيلدرز وصية على عرش إسكتلندا نيابة عن ابنها القاصر الملك جيمس الثالث، ومع أن بلادها شهدت تاريخاً حافلاً بالعنف والنزاعات على الأراضي مع إنگلترا إلا أنها أدركت أهمية مساعدة جارتها الملكة، وكانت الملكة الإسكتلندية تعلم أنه إذا أمكن الإطاحة بالنظام الملكي في إنگلترا على يد أبناء عمومتها فإن الأمر نفسه قد يحدث في إسكتلندا، فاستغلت ماري من غيلدرز الموقف على أكمل وجه ووافقت على تزويد مارگريت بقوات مقابل مدينة بيرويك أبون تويد المتنازع عليها، وبينما كانت ملكة إنگلترا تتفاوض أضافت قوات إسكتلندية وويلزية إلى قواتها، وقام اللوردات الموالون لآل لانكستر في شمال إنگلترا بتشكيل جيوشهم، واستولوا على مدينة يورك المدينة الرئيسة لريتشارد بلانتاجنت[2].

لم يكن أمام دوق يورك خيار سوى التوجه شمالاً لمواجهة المتمردين، فأرسل ابنه إدوارد لقمع أنصار آل لانكستر في ويلز وترك إيرل وارويك مسؤولاً عن القوات في لندن، وفي 21 كانون الأول 1460، وصل جيش يورك إلى قلعته الخاصة في ساندال الواقعة على تخوم يورك، فاحتلها بجيش تراوح عدده بين 5000 و6000 جندي، وفي تلك الأثناء توجه جيش مارگريت جنوباً إلى يورك وأقام معسكرا قرب القلعة طوال أسبوع عيد الميلاد، وكان الرسل يتنقلون بين القلعة ومعسكر آل لانكستر، وتم الاتفاق على ميثاق عدم العنف خلال العطلة[3]، ومع أن مارگريت أنجو كانت تسيطر على القوات المشتركة لجيش لانكستر بعد معركة نورثهامبتون إلا أنها أرسلت أوامرها لقوات لانكستر

---

(1) حارث عبد الرحمان التكريتي، ليث محمد الجنابي، المصدر السابق، ص319.

(2) ربيع حيدر طاهر الموسوي، حروب الوردتين الانكليزية واثرها على المؤسسة الملكية، بحث منشور في مجلة الجامعة الاسلامية، الكلية الاسلامية الجامعة، مجلد 2، عدد 4، العراق، 2008، ص94.

(3) James H. Ramsay, Lancaster and York A Century of English History 1399 - 1485, Vol. 2, The Clarendon Press, Oxford, London, Edinburgh, and New York, 1892, p.236.

من مقرها في اسكتلندا، وتألفت القيادات الميدانية لجيشها من هنري بوفورت (Beafort Henry) وهنري بيرسي (Henry Percy) وهنري هولاند (Henry Holland)، والعديد من رؤساء العائلات المقربة من آل لانكستر، وكان العديد من اولئك الرجال قد فقدوا إخوة وآباءً وأبناءً في المعارك السابقة، وكانت لديهم دوافع شخصية ضد دوق يورك[1]، وخلال عطلة عيد الميلاد واجهت قوات يورك نقصاً في الإمدادات مما اضطرها إلى مغادرة قلعة ساندال أحياناً للبحث عن الطعام والصيد[2].

مكث ريتشارد مع جيشه تسعة أيام في قلعة ساندال قبل الاشتباك مع العدو وأثناء تلك المدة أرسل رسولاً إلى ابنه إدوارد لطلب التعزيزات، لكنها لم تصل في الوقت المناسب[3]. وفي 30 كانون الأول أمرت مارگريت قادتها العسكريين بالتوجه نحو قلعة ساندال والاستعداد للمعركة على بعد ميل واحد من مقر إقامة يورك، وذكرت المصادر أن جيش لانكستر فاقَ عدوه عدداً بنسبة اثنين إلى واحد تقريباً، مما ساعدهم على احاطة القلعة من ثلاثة جهات[4]، وبعد أن تلقى يورك تعزيزات إضافية من القوات التي جمعها اللورد جون نيفيل أصبح مستعداً لمواجهة اللانكاستريين، فاحتفظ دوق يورك بقيادة القوات التي جلبها إلى القلعة، وتولى نيفيل قيادة القوات التي جمعها خارج القلعة، وأقنع نيفيل دوق يورك بالقتال في الميدان، وكانت تلك خطوة سيئة التخطيط وغير منطقية بالنسبة للمقاتلين من كلا الجانبين، فما دام ريتشارد متمسكاً بقلعته كان سيستفيد من تحصينات قلعته وأبوابها وجدرانها السميكة ويضطر أعداءه لإهدار قوتهم في محاولة اختراقها، لكن احساس دوق يورك ريتشارد بالارتياح لوصول كتيبة نيفيل، وندرة الطعام في قلعته دفعاه إلى اتخاذ قرار مواجهة جيش لانكستر شرق ويكفيلد[5].

تابع اليوركيون قائدهم خارج المجمع باتجاه خطوط العدو لكنهم حوصروا من جميع الجهات بالجيش الملكي، وكان القتال شرساً وعنيفاً وكان من الواضح أن جزءاً من

---

(1) Hume Brown, History of Scotland, Vol. 1, The University Press, Cambridge, London, 1899, p.250

(2) Edward Hall, Hall's Chronicle Containing The History of England During The Reign of Henry The Fourth and The Succeeding Monarchs toThe End of The Reign of Henry The Eighth, J. Mawman Co., London, 1909, p.249 – 251.

(3) حيدر ربيع طاهر الموسوي، المصدر السابق، ص95.

(4) Dockray and Knowles, Battle of Wakefield 30th December 1460, West Yorkshire Archaeological Service Press, London, 1996, p.10 – 12.

(5) Matt Clayton, Op. Cit, p.28.

جيش يورك قد اتفق مسبقاً على خيانته، تحت قيادة السير أندرو ترولوب (Sir Andrew Trollope) فبدل مئات الجنود المتحالفين مع ريتشارد بلانتاجنت ولاءهم في منتصف المعركة مما أربك اليوركيين وتسبب في فوضى عبر صفوفهم[1].

كانت معركة ويكفيلد (Battle of Wakefield)[2]، أكبر معارك الحرب الأهلية وأكثرها دموية مع أنها لم تستغرق سوى ساعة تقريباً، وأدت خيانة ترولوب إلى تعقيد الأمور بالنسبة لدوق يورك لكن نقطة التحول الحقيقية في المعركة كانت دخول جون نيفيل إلى ساحة القتال إلى جانب عدوه الظاهر، فاتضح أن نيفيل ابتعد عن قوات يورك ليمنح نفسه فرصة للانقلاب عليهم ومساعدة اللانكاستريين في محاصرته، وسرعان ما قتل دوق يورك ريتشارد بلانتاجنت وانتهت المعركة، وسقط الآلاف قتلى بضمنهم إدموند ابن دوق يورك وجون نيفيل الرجل الذي أحدث فرقاً كبيراً في نتيجة المعركة[3].

وضع اللانكستريون رأس دوق يورك على رمح بجوار رأس ابنه وعرضت الجثتان على بوابة ميكليغيت الرومانية في يورك وكان رأس ريتشارد يرتدي تاجاً ورقياً، ثم دفن جثمانه في بونتيفراكت، وأعيد دفنه لاحقاً في كنيسة فوثرينغهاي (Fotheringhay Church)[4]، وبسبب منح البرلمان الإنكليزي لريتشارد يورك حق الخلافة فإن وفاته نقلت حقه في العرش إلى ابنه البكر إدوارد، فأصبح هو التالي في ترتيب ولاية العرش بعد وفاة الملك هنري السادس، ومن ثم فإن موت ريتشارد يورك لم ينه الحرب الأهلية، فمباشرة بعد هزيمة والده وشقيقه في معركة ويكفيلد رأس إيرل مارس إدوارد بلانتاجنت البالغ من العمر 18 عاماً قوات آل يورك، وتزامناً مع ذلك انضمت عائلة تيودور إلى آل لانكستر مما عقد المشهد السياسي والعسكري وعقد مهمة إدوارد بلانتاجانت إلى أبعد حد[5].

أصبح إدوارد ابن ريتشارد هو المطالب الجديد بالعرش الإنكليزي بعد مقتل والده دوق يورك، وأثناء معركة ويكفيلد كان كل من إدوارد وإيرل وارويك يقودان قوات

---

(1) Dockray and Knowles, Op. Cit, p.12 – 15.

(2) معركة ويكفيلد 30 كانون الأول 1460، مخطط رقم **(4)**.

(3) Joseph Stevenson, Letters and Papers Illustrative of The Wars of The English in France During The Reign of Henry The Sixth king OF England, Vol. 2, Longman, Uoberts, and Green Co., London, 1864, p.779.

(4) Jacob Abbott, History of William The Conqueror, St. Hubert Guild, New York, 1906, Vol.7, p.234.

(5) رشا مجيد منديل الحاجم، حروب الوردتين في انكلترا 1455–1485 دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الانسانية، قسم التاريخ، 2017، ص138.

عسكرية في محاولة للوصول إلى دوق يورك، وكان إدوارد في مقاطعة غلوستر حين وصلته أنباء معركة ويكفيلد ومقتل والده، فانتقل على الفور إلى بلدة شروزبري، وتوافد إليهِ النبلاء وأنصار آل يورك بأعداد كبيرة لتقديم خدماتهم إليه في مواجهة مارگريت وجيش آل لانكستر[1]، وبموازاة ذلك جمع جاسبر (Jasper) الأخ غير الشقيق للملك هنري السادس وأبوه أوين تيودور (Owen Tidor) زوج والدة الملك، قوات موالية لآل لانكستر في موطنهم ويلز قبل الزحف إلى إنگلترا لمواجهة إدوارد إيرل مارس، وفي مطلع شباط عام 1461، اعترض جيش تيودور زحف جيش يورك الذي كان بقيادة الشاب إدوارد، مما شجع الأخير على خوض منازلة جديدة ضد اللانكستريين[2].

قرر إدوارد الالتقاء مع قوات إيرل وارويك، ثم التوجه لقتال آل لانكستر، إلا أنه علمَ عن قيام إيرل بيمبروك جاسبر تيودور وإيرل ويلتشير جيمس بتلر (James Butler, Earl Wiltshire) (1420 – 1461) بحشد قوات ضد آل يورك في ويلز ومعهم عدد من المرتزقة الأيرلنديين وهم في طريقهم للانضمام إلى قوات مارگريت وآل لانكستر في الشمال، فقرر إدوارد مواجهتهم ومنعهم من الانضمام إليها[3]، علماً أن قوات جاسبر تيودور تألفت من أربعة آلاف مقاتل، وهي عبارة عن خليط متنافر من المقاتلين عديمي الخبرة عززهم بالمرتزقة الأيرلنديين، في حين بلغ تعداد قوات إدوارد خمسة آلاف مقاتل توجه بها جنوباً حيث التقت قواته بقوات آل لانكستر في المنطقة المعروفة بـ معبر مورتيمير (Mortimer's Cross) الواقعة على بعد 6 كيلومترات جنوب ويغمور[4]، وفي فجر يوم الثالث من شباط 1461 بدأ القتال بين الطرفين في معركة معبر مورتيمير[5]، التي أخذت اسمها من المنطقة التي في نهاية المطاف هزمت فيها قوات لانكستر على يد قوات يورك ما أجبر الأولى على الفرار جنوباً، وقد وثق مقتل آلاف الجنود، وكان من بين الأسرى أوين تيودور زوج الملكة الأرملة كاثرين دي فالوا حيث أُعدم لاحقاً، ونجا

---

(1) Pastor Gary J. Hall, John Wycliffe A Light Shining in a Dark Place, The Institute of Evangelistic Ministries, London, No.Date, p.253.

(2) رشا مجيد منديل الحاجم، المصدر السابق، ص139.

(3) Henry Smith Williams, The Historians' History of The World, Vol.11, The History Association, London, 1904, p.577.

(4) Geoffrey Hodges, The Campaign and Battle of Mortimer's Cross – St Blaise's Day, Camden Society, 1st series, Vol. 7, 1972, p.7.

(5) معركة معبر مورتيمير 3 شباط 1461، مخطط رقم **(5)**.

ابنه بحياته[1]، وركز الملك إدوارد الرابع بعدها على إرسال خطابات، وتحرير مواثيق لإضفاء الشرعية على حكمه[2].

حققت الملكة مارگريت أنجو نصراً تكتيكياً حاسماً ضد إيرل وارويك، فيما عُرف بمعركة سانت البانز الثانية[3] فقامت قواتها في 17 شباط 1461 بمناورة التفافية ليلية مفاجئة، مكنتها من تجاوز الدفاعات اليوركية الثابتة شمال مدينة لندن، فانهارت صفوف قوات وارويك، مما أدى لانسحابها تاركة الملك هنري السادس طليقاً، ومع أن ذلك الانتصار حرر الملك المخلوع وأعاد له رمزية السلطة، لكنه فشل في تأمين العاصمة. فقد تسبب سوء سمعة القوات اللانكسترية في ذعر سكان لندن، فأغلقوا أبوابهم بوجههم، مما أدى إلى فقدان زخم النصر، فتهيأت الفرصة لإدوارد الرابع القادم من الغرب لدخول لندن[4].

(1) Matt Clayton, Op. Cit, p.31.

(2) رسالة إدوارد الرابع إلى كلية أيتون في 17 شباط 1461، أنظر مخطوطة رقم **(8)**.

(3) معركة سانت البانز الثانية 17 شباط 1461، مخطط رقم **(6)**.

(4) A. J. Pollard, The Wars of the Roses, London: Macmillan, 2013, p.45–48.

المبحث الثالث

تسنم إدوارد الرابع العرش، وصراعاته ضد المتآمرين عليه

1471 - 1461

دخل إدوارد لندن بعد انتصاره في معركة مورتيمر كروس، وأعلن نفسه ملكاً على إنكلترا في 4 اذار 1461 بإسم إدوارد الرابع، تزامناً مع اشتداد مقت سكان لندن لمارگريت أنجو الأجنبية التي لم يتقبلوها قط، لذا لم يعرقل البلاط الملكي مهمة إدوارد في الاستيلاء على العرش الشاغر، لكن الملكة مارگريت لم تكن مستعدة للتخلي عن السلطة بتلك السهولة، فحشدت قواتها وأرسلتها لمطاردة قوات إدوارد حين توجهت لاستعادة يورك في منتصف، واشتبك الجانبان مرات عديدة قبل أن يلتقيا للمرة الأخيرة شمال تاوتون الواقعة في مقاطعة يورك[1].

عسكر الجيشان قرب بلدة تاوتون في 28 اذار، استعداداً لبدء المعركة صبيحة ذلك اليوم، وكان حدوث تلك المعركة في يوم الأحد خروج على تقاليد الكنيسة التي حرمت القتال في العطل الدينية، بدأت المعركة بنشر دوق سومرست وإدوارد يورك قواتهما التي زادت عن 50,000 جندي، ومع اختلاف المصادر المعاصرة حول العدد الدقيق لتلك القوات، لكنها اتفقت أنها كانت أكبر معارك حرب الوردتين[2]، وكانت ساحة معركة تاوتون[3]، صبيحة 29 آذار، التي كانت باردة ومثلجة، وحظي جيش آل لانكستر بدعم القسم الأعظم من النبلاء الإنگليز، واحتوى جيشه على عدد كبير من الفرسان ورماة الرماح والرماة والمبارزين، وقاد جيش لانكستر ايرل نورثمبرلاند الثالث هنري بيرسي، أما الملك فاستقر مع زوجته الملكة مارگريت وابنه الأمير إدوارد بأمان في يورك[4]، وكان لجيش لانكستر أفضلية مبكرة في التمركز، فقد كان محمياً من جانبين بمستنقعات وضفة نهر شديدة الانحدار، ومقاتلوه ينتظرون إعطاء الملك إدوارد إشارة بدء الهجوم، وحين أعطى الملك إشارته أطلق رماة يورك سهامهم نحو جيش لانكستر دون فائدة، ثم هاجمتهم قوة كبيرة من جيش لانكستر المتقدم جنوباً[5].

---

(1) Henry Smith Williams,Op. Cit, p.578.

(2) Philip A. Haigh, The Military Campaigns of the Wars of the Roses, Combined Books Inc., America, 1997, p.25.

(3) معركة تاتون 29 آذار 1461، مخطط رقم **(7)**.

(4) Ibid, p.26.

(5) Geoffrey Hodges, Op. Cit, p.330.

حافظ جيش الملك هنري السادس على تفوقه العام لعدة ساعات، لكن في منتصف المعركة انضمت إلى قوات يورك قوات إضافية بقيادة دوق نورفولك، ثم التفوا على قوات لانكستر، وهاجموهم بموجات بشرية متلاحقة أضعفت قوات لانكستر، وأنهت سيطرتها على المعركة[1]، وبعد عشر ساعات من القتال بدأت فصائل صغيرة من جيش الملك هنري بالفرار، تاركين خوذهم الثقيلة ودروعهم وملابسهم جانباً للنجاة بسرعة أكبر، ولما رأى اليوركيون انتصارهم لم يرحموا جنود لانكستر، فذُبِحَ الفارّون واستُبيحَ النبلاء المستسلمون الذين رأوا أن المعركة خاسرة، فحاولوا إنقاذ أرواحهم، وعبر الآلاف النهر، فتدمرَ الجسر وغرق الكثيرون، وبعد ذلك بوقت قصير وطأوا جثث جنودهم المتراكمة، التي زعمت السجلات انها ناهزت 28 ألف جثة[2]، وبعد هزيمة قواته فر الملك هنري السادس المخلوع والملكة مارگريت من يورك مع ابنهما الأمير إدوارد إلى إسكتلندا طلباً للحماية[3].

واضفى إدوارد الرابع بعداً شرعياً على عرشه حين توج ملكاً لإنگلترا في دير وستمنستر في 28 حزيران 1461، معلناً حكم أول ملوك سلالة يورك في البلاد، وفور دخوله العاصمة دعا الملك إدوارد الرابع البرلمان إلى الانعقاد لإجراء ترتيبات جديدة للبلاط الملكي وأذرعه الاقطاعية، ومنح لقب فارس لـ 32 من أكثر أنصاره ولاءً[4]، وأثناء بقاء هنري السادس ومارگريت في إسكتلندا مع بعض حلفائهم الإنگليز المنفيين جرد الملك جميع نبلاء لانكستر الذين قتلوا من رتبهم وممتلكاتهم بعد وفاتهم، وبذلك سلبهم جميع الامتيازات والممتلكات والدخل من عائلات أعداء آل يورك الذين قتلوا في المعارك السابقة، معلناً أن الفرصة سانحة للعائلات النبيلة المؤيدة لآل لانكستر لتغيير ولائها أو مواجهة المصير نفسه، وبتلك الطريقة أزاح إدوارد الرابع معارضيه المتبقين في البلاط، وأجبر أبناء عمومته على إظهار الاحترام ورفع شأن آل يورك، وسنم مؤيديه من العوائل الأخرى مناصب رفيعة[5].

---

(1) Henry Smith Williams,Op. Cit, p.579.
(2) David Grummitt, Henry VI, by Routledge For publication, New York, 2015, p.201.
(3) Public Record Office, Calendar of The Fine Rolls Preserved in The Public Record Office, Vol.19, Published by His Majesty's Stationery Office, London, 1939, p.295.
(4) Paul Grosjean S.I., Op. Cit, p.367.
(5) John Watts, Op. Cit, p.389.

تبقت بعض الفصائل المتمردة من آل لانكستر في الشمال، لكن ذلك كان متوقعاً وغير ذي خطر بعد أن سيطر الملك الجديد على التمردات، ومع حلول السلام في معظم أنحاء المملكة ركز إدوارد الرابع على توحيد مقاطعات البلاد وانهاء الاضطرابات بين ابنائها، وهكذا تنفس النبلاء والعامة الصعداء بعد انتهاء المرحلة الأكثر دموية من الحرب[1]، وأثناء انشغال إدوارد الرابع وإيرل وارويك ريتشارد نيفيل بتسيير شؤون إنگلترا نسق الملكان المنفيان في إسكتلندا مع حلفائهم الشماليين في إنگلترا وويلز، ولم تهدأ مارگريت لحظة في أثارة سلسلة صدامات في نورثمبريا ويورك استنزفت الكثير من موارد إدوارد الرابع، فناقش الأخير مع إيرل وارويك اقتحام إسكتلندا للتخلص من هنري السادس وأنصاره، فأثنى إيرل وارويك على ذلك القرار، وأرسل خطاباً إلى الملك في تشرين الأول 1463، أعرب فيه عن ارتياحه لقرار الغزو، ووعده ببذل كل ما يلزم للنيل من آل لانكستر[2].

نُقلَ هنري السادس بعد ثلاثة سنوات من اختبائه في إسكتلندا إلى شمال إنگلترا خشية انعكاسات بقائه على مفاوضات إدوارد الرابع مع الإسكتلنديين، وفي عام 1464 أُسر هنري السادس على يد إدوارد الرابع وأعيد إلى لندن، وسجن في البرج مرة أخرى بينما عادت الملكة مارگريت وابنها إلى إسكتلندا، وواصلت جهودها لحشد مجموعات صغيرة من حلفاء آل لانكستر المسلحين في اسكتلندا، والمناطق المحاذية لها، على تخوم الشمال الإنگليزي[3].

عانى هنري السادس في سجنه الفاخر، ومثلما كان عليه الحال في سجنه في عهد ريتشارد يورك بدا ملك إنگلترا الحقيقي راضياً بتنفيذ أوامر إدوارد الرابع بل واعتبره صديقاً مقرباً منه[4]. ولم تفصح المصادر التاريخية هل كان موقفه آنف الذكر ناجم عن جنونه وهذيانه أم أن هنري السادس شعر حقاً بصداقة مع خاطفيه، واللافت أن هنري السادس لم يبذل جهدا يذكر لتحرير نفسه أو التفاوض مع سجانه، وكان طبعه الوديع والمتواضع هو ما كلفه خسارة العديد من أنصاره المخلصين طوال سنوات الحرب، وزاد

(1) Charles Ross, Edwrrd IV, University Of California, Los Angeles, 1974, p.41.

(2) William Drummond, History Of Scotland From The Year 1423 To The Year 1542, R. urie, Mdccxlix, Glasgow, 1749, p.106.

(3) رشا مجيد منديل الحاجم، المصدر السابق، ص156-160.

(4) David Grummitt, Op. Cit, p.207.

وضعه صعوبة عدم وجود الملكة مارگريت التي كانت تشجعه، مما جعله غير قادر على تغيير طباعه، فلقب بـ "**الملك المجنون**" بسبب نوبات الخرف المتكررة التي عانى منها، لكنه كان شديد التدين يكره سفك الدماء والعنف، ولم تكن لديه رغبة في تعذيب الأعداء أو قتلهم، وهو أمر بقي الشعب يتذكره طويلاً[1].

ويحسب للملك إدوارد الرابع أنه كان بإمكانه بسهولة قتل هنري السادس لكنه اكتفى بحبسه، ويبدو أن قراره بإبقاء الملك المخلوع في البرج احتراماً لرأي والده في أنه لم يكن عدواً للملك هنري السادس بل عدواً لحاشيته المفسدين[2]، كما أن الملك ادوارد الرابع كان متأكداً أن قتل الملك هنري السادس سيسيء إلى سمعته بين نبلائه ورعاياه، لاسيما أن إدوارد الرابع لم يرَ في هنري السادس نداً له، أو تهديداً حقيقياً عليه، ففي النهاية كان هنري راضياً بالقراءة والكتابة والانعزال، وبعد هزيمة اللانكستريين في معركة تاوتون عام 1461، اعتمد إدوارد على ريتشارد نيفيل من وارويك لتلطيف العلاقات مع النبلاء الذين كان بعضهم لا يزال متردداً في تقديم دعمه الكامل له، وأثبت إيرل وارويك ريتشارد نيفيل أنه عون كبير للملك ادوارد الرابع، إذْ عمل على استعادة النظام وتحسين الحكم فضلاً عن إعادة الاستقرار المالي للتاج، كما لاحق رينشارد نيفيل بلا هوادة الناجين من اللانكستريين الذين فر معظمهم شمالاً[3].

لقب ريتشارد نيفيل بـ "**صانع الملوك**" بعد سلسلة المعارك التي أوصلت إدوارد الرابع إلى عرش إنگلترا، لكن لسوء الحظ لم تكن علاقة نيفيل بدوق يورك الشاب وثيقة كما كانت علاقته بريتشارد بلانتاجنت، فمع أنهما كانا حليفين قويين في السنوات الأولى من حكم إدوارد إلا أن صداقتهما توترت بعد عام 1464[4]، وبعد أن أصبح هنري لانكستر في مأمن، نظر إدوارد الرابع إلى قضايا أخرى واجهت المملكة، وكان راغباً في استئناف الحرب مع فرنسا لكن إيرل وارويك خالفه الرأي، وفضل عقد هدنة بين إنكلترا وفرنسا، ودعا إلى إبرام زيجات بين العائلتين المالكتين فيهما، وتوطيد العلاقات الودية بينهما، بعكس إدوارد الرابع، الذي أظهر مقتاً شديداً لنظيره الفرنسي، وهو ما بدا واضحاً حين رافق إيرل وارويك سفراء الملك لويس الحادي عشر إلى بلاط إدوارد الرابع، فقد

---

(1) Matt Clayton, Op. Cit, p.35.
(2) John Watts, Op. Cit, p.347.
(3) Charles Ross, Edwrrd IV, University of California, Los Angeles, 1974, p.48.
(4) Charles Oman, A History of England From A.D. 1387 to A.D. 1811., Edward Arnold Co, London, No.Date, p.255.

أبدى الملك الإنكليزي عدم احترام سافر لهم، مما أدى إلى شرخ بين الملك إدوارد الرابع وإيرل وارويك الذي كان أقوى حلفاء والده[1].

كان إيرل وارويك يأمل أن يوافق ملكه على الزواج من نبيلة فرنسية ما لإرساء دعائم السلام بين البلدين، ومع أن إدوارد الرابع لم يبد أي رغبة في ذلك إلا أن زواجه من إليزابيث وودفيل (Elizabeth Woodville)[2]، وهي أرملة من أسرة ارستقراطية إنكليزية كان بمثابة صدمة لإيرل وارويك لاسيما أن إدوارد الرابع تزوجها سراً دون استشارته، وكانت تلك إهانة بالغة أدت إلى قطيعة نهائية بينهما بعد أن حاربا آل لانكستر جنباً إلى جنب مدة طويلة، فأدرك نيفيل حينها أن نفوذه على الملك قد تلاشى، مما دفعه لاتهام الملكة الجديدة بممارسة السحر[3].

لم يجبر إدوارد الرابع إيرل ارويك على مغادرة البلاط، لكن الأخير قضى وقتاً أقل فأقل فيه، وفي عام 1467 غادره تماماً[4]، عائداً إلى أراضيه في شمال البلاد بعد أن خاب أمله بشدة من سير الأمور في عهد الملك ادوارد الرابع، الذي ركز على بناء علاقة قوية مع دوق بورغندي وعائلة زوجته، ولتحقيق تلك الغاية رتب زواجاً بين شقيقته مارگريت ودوق بورغندي الجديد، وخطط لغزو فرنسا مع حلفائه الجدد، وحين دخلت القوات الإنكليزية فرنسا في العام التالي استولت على جزيرة جيرسي، لكن بشكل عام كانت تلك الحملة إهداراً فادحاً للمال[5]، وفي لندن وخارجها بات إيرل وارويك يحظى بشعبية أكبر من الرجل الذي نصبه على العرش، وكان إيرل وارويك يدرك ذلك تماماً، وفي عام 1469 اعتقد إيرل نيفيل أنه قد طفح الكيل، فانقلب رسمياً على الملك إدوارد

---

(1) Charles Oman, A History of England …, p.256.

2() (1437–1492) هي ملكة إنگلترا كزوجة للملك إدوارد الرابع، ولدت لعائلة من أنصار لانكستر وتزوجت أولاً من السير جون غراي الذي قُتل في حرب الوردتين. تميزت بزواجها السري اللاحق من الملك إدوارد الرابع عام 1464 مما أثار فضيحة سياسية وتغييراً في تحالفات البلاط الإنكليزي. عُدّت شخصية محورية في صراعات العرش، وعاشت لترى عزل أبنائها (أمراء البرج) ثم زواج ابنتها إليزابيث من هنري السابع لتوحيد عائلتي يورك ولانكستر، للمزيد انظر: David MacGibbon, Elizabeth Woodville A Life, Amberley Publishing The Hill Stroud, UK, 2014, p.10 – 41.

(3) Ella S. Armitage, The Connection Between England And Scotland, Waterloo Place, London. No.Date, p.118.

(4) Charles Oman, Warwick The Kingmaker, Macmillan, and Co., London, 1891, p.172.

(5) Charles Oman, Wakwick…, p.173.

الرابع، وانضم إلى صفوف العائلة المالكة المخلوعة التي حاربها طوال خمسة عشر عاماً، وبدأ إيرل وارويك يحيك خيوط مؤامرات في شمال إنكلترا معتمداً على بعض مقربيه وبعض أنصار آل لانكستر، للتخلص من الملك إدوارد الرابع، وفي ذلك الصدد كسب إيرل وارويك شقيق الملك الأصغر جورج إلى جانبه، وأقنعه بالزواج من ابنته إيزابيل نيفيل[1].

أدرك إدوارد الرابع أن تمرد الشمال الذي حركه إيرل وارويك بذكاء من وراء ستار بات يهدد استقرار عرشه، فأمر إيرل بيمبروك وليام هربرت بحشد جيش من النخب الويلزية والنبلاء الجنوبيين، وأصدر أوامره لـ إيرل ديفون همفري ستافورد بالانضمام إليه بقوة كبيرة من رماة السهام لسحق المتمردين القادمين من الشمال نحو العاصمة، فتحرك جيش بيمبروك شمالاً لكن خلافاً حاداً نشب بين إيرلي بيمبروك وديفون حول أحقية الإقامة والتمركز في مدينة "بانبوري"، مما دفع إيرل ديفون في لحظة غضب وتهور إلى الانسحاب بجيشه ورُماة سهامه، تاركاً إيرل بيمبروك وقواته في مواجهة مباشرة مع المتمردين في حقول إيدجكوت، فنشبت معركة إيدجكوت (Battle of Edgecote)[2] في 26 تموز 1469، التي انتهت بهزيمة ماحقة للقوات الملكية، وبعد سماع إدوارد الرابع بها فرَ من عاصمته، فانتهز إيرل وارويك الفرصة وعرض على إدوارد اللجوء لديه في إقامة أشبه بالسجن، ثم أُطلق سراح إدوارد الرابع وعاد إلى لندن تحت ضغط أنصار يورك، إلا أن الاقتتال الداخلي لم ينتهِ بعد، فحدثت معركة لوسكوت فيلد (Battle of Loscott Field) في 12 اذار 1470، التي انتهت بهزيمة جيش إيرل وارويك وهروبه مع صهره دوق كلارنس إلى فرنسا[3].

التقى إيرل وارويك بالملك لويس الحادي عشر واتفق على إيرام تحالف رسمي مع مارگريت أنجو، ثم عاد إلى إنكلترا في تشرين الأول 1470، وبعد عودته قاد جيش آل لانكستر بمساعدة جاسبر تيودور حملة عسكرية ناجحة انتهت بفقدان إدوارد الرابع أنصاره وفراره إلى بورغندي، بينما أخرج إيرل وارويك هنري السادس من برج لندن وأعاده

---

(1) Charles Oman,A History…, p.256.

(2) معركة ايدجكوت 26 تموز 1469، مخطط رقم **(8)**.

(3) M. Guizot, A Popular History of England From The Earliest Times to The Reign of Queen Victoria, Vol. 2, John AV. Lovell Company, New York, No.Date, p.87.

إلى العرش، وتوجه مجدداً في وستمنستر، ثم جاب به شوارع لندن في موكب مهيب[1]، كما سعى إيرل ارويك لترسيخ مكانته في العائلة المالكة لذا رتب زواج ابنته آن من إدوارد لانكستر ابن هنري ومارگريت، وفي ذلك الوقت كان وريث الملك هنري يبلغ من العمر ستة عشر عاماً بينما كانت آن في الثالثة عشرة من عمرها[2].

لم تدم استعادة آل لانكستر العرش، ولا نفوذ إيرل واروريك المتقلب طويلاً، فقد دعم دوق بورغندي شارل الجسور حليفه إدوارد الرابع مالياً ولوجستياً وساعده بعض التجار الموالين لآل يورك، فجهز إدوارد الرابع حملة عسكرية عاد بها إلى شمال إنگلترا في آذار 1471، مستغلاً تشتت القوى اللانكسترية لاستعادة عرشه[3]، ولتجنب استثارة المقاومة في الشمال، لجأ إدوارد الرابع إلى المناورة السياسية، فادعى أن هدفه استعادة ألقابه وممتلكاته بصفته دوقاً ليورك، وليس المطالبة بالتاج، وهو تكتيك نجح في تحييد عائلة بيرسي المتنفذة في المنطقة، فالتزم إيرل نورثمبرلاند الحياد الحذر بدلاً عن مواجهة جيش إدوارد، وبمجرد أن أمن إدوارد موقفه العسكري واستجمع قواه اجتمع مع شقيقه دوق كلارنس واقنعه أن إيرل وارويك تلاعب به، ثم انطلق نحو الجنوب لمواجهة إيرل ووريك عسكرياً[4]، وبدوره استدعى وارويك حلفاءه وانطلق في الاتجاه نفسه[5].

انفتحت أبواب العاصمة لملكهم العائد الذي فضله السكان على الملك اللانكستري الضعيف، فأُعيد هنري السادس بعد أن أُخرج مدة وجيزة من سجنه المريح على الفور إلى برج لندن دون أي صراع، وبدا هنري السادس مسروراً برؤية ابن عمه إدوارد الرابع، فأكد له بثقة تامة أنه يثق تماماً في حماية آل يورك له، وبعد أن تأكد من حجز هنري السادس انطلق إدوارد الرابع عائداً لإنهاء أي تمرد آخر من إيرل وارويك[6].

---

(1) Jean. de Troyes, The Memoirs of Philip De Commines Lord of Aegenton: Containing The Histories of Louis XI. and Charles VIII. Kings of france and of Charles The Bold, Duke of Burgundy, Vol. 1, Henry G. Bohn Co, London, 1855, p.189.

(2) John Richard Green, History of the English People, Vol. 3, MacMillan and Co., London, 1896, p.54.

(3) رسالة إدوارد الرابع إلى دوق بريتاني فرنسيس الثاني في 9 كانون الثاني 1471، شكره فيها على دعمه له أثناء هروبه إلى فرنسا، أنظر مخطوطة رقم **(9)**.

(4) Public Records Office, The Annals of England an Epitome of English History From Cotemporary Writers, The Rolls of Parliament, and Other Public Records., Vol.2, John Henry and James Parker Co, Oxford, 1862, p.84 – 87.

(5) Bruce Webster, The Wars of the Roses, UCL Press,London, 1998, p.25.

(6) رشا مجيد منديل الحاجم، المصدر السابق، ص168.

استعد كلا الجانبان لمواجهة حاسمة لكنهما تجنبا الهجوم حتى انضمت إِلَيهِما قواتهما كاملة من جميع أنحاء البلاد، واستغرق الأمر أسابيع عديدة من التجوال في الريف قبل أن يكتمل قوام الجيوش، وفي 14 نيسان 1471 بدأت معركة بارنيت (Battle of Barnet)[1]، على بعد حوالي 12 ميلاً شمال لندن بجيشين قوامهما 20 ألف جندي، وكان اليوركيون الذين ارتدوا الزي الأزرق والأحمر أقل عدداً من قوات إيرل وارويك بنسبة اثنين إلى واحد، بينما ارتدت قوات إيرل وارويك التي ضمت شقيق الملك جورج دوق كلارنس اللون الأحمر[2].

كانت ساحة المعركة مغطاة بضباب كثيف حين أُستفرت الخطوط الأمامية قبل شروق الشمس واستعدت للقتال، ثم انتشرت القوات الملكية والمتمردة عبر حقول متعددة تفصلها سياجات نباتية مما حد من الحركة إلى حدٍ ما، ثم هاجم إدوارد الرابع أولاً مطلقاً آلاف السهام على اللانكستريين رغم الضباب الذي حجب رؤية رماته، وكان الهجوم بالرماة أولاً استراتيجية عسكرية كلاسيكية تهدف إلى القضاء على أكبر عدد ممكن من أفراد الجانب الآخر قبل الاشتباك في قتال مباشر[3].

أربك الضباب صفوف قوات إيرل وارويك، وكان انعدام الرؤية سيئاً بما فيه الكفاية لكن موجة من الشك والريبة انتشرت بين الجنود مما أدى إلى انهيار معنويات جيش إيرل وارويك، فشعر العديد من جنده وقادة كتائبه بالقلق من احتمال انضمام المزيد من الحلفاء إلى صفوفهم، وكانت تلك بداية سيئة لقوات لانكستر التي هاجم بعضها بعضاً عن طريق الخطأ بسبب تشابه الرايات التي سار تحتها كل جيش، وبلغ اللغط حداً أن اللانكستريين اعتقدوا أن إيرل وارويك قد انضم إلى جانب يورك الذي اعتاد القتال معه[4]، وفي خضم تلك الفوضى تراجع جيش لانكستر عن المعركة بحثاً عن رؤية أوضح وفرصة للتواصل مع فصائله، ولما رأى إدوارد الرابع قوات عدوه تتباطأ أرسل جنود الاحتياط لشن موجة هجوم جديدة أدت في النهاية إلى تراجع ساحق لجيش

---

(1) معركة بارنيت 14 نيسان 1471، مخطط رقم **(9)**.

(2) Edward Hall, Hall's Chronicle Containing The History of England During The Reign of Henry The Fourth and The Succeeding Monarchs to The End of The Reign of Henry The Eighth, J. Mawman Co., London, 1809, p.250 – 251.

(3) Daisy Dean Dryden, Margaret of Anjou and Her Relation to The Wars OF The Roses, Master Thesis, University of Illinois, Illinois, 1916, p.32 - 37.

(4) Ibid, p.39.

وارويك، وبعد قتال دام ست ساعات وقع إيرل وارويك ريتشارد نيفيل في قبضة الملك إدوارد الرابع، فقتله فوراً[1]، وبعد وفاة قائدهم انهار جيش آل لانكستر وتراجع بشكل كامل بعد خسارته 1500 رجل، ولكن بعد انتهاء المعركة لم يتخل اللانكستريون عن قضيتهم، لاسيما بعد وصول الملكة مارگريت أنجو وابنها إدوارد وزوجة إدوارد آن نيفيل إلى إنگلترا في اليوم ذاته، فحشد اللانكستريون ما تبقى من قواتهم، وساروا إلى ويلز لتجنيد المزيد من المقاتلين، وحين عادوا إلى إنگلترا استقبلهم الملك إدوارد الرابع وجيشه للمرة الأخيرة في توكسبيري الواقعة في مقاطعة غلوستر[2].

عبأت الملكة مارگريت المقاتلين في جميع أنحاء الجنوب الغربي، وصب في مصلحتها امتلاك جاسبر تيودور جيشاً قوياً من الجنود الويلزيين، ومع أن خسارة ريتشارد نيفيل شكلت ضربة قاصمة لآل لانكستر لكنهم لن يتخلوا عن القتال طالما كان هناك وريث لانكستري متاح للعرش، وبالنسبة لهم كان من المفترض أن يحكم هنري السادس وابنه إدوارد إنگلترا، مهما بلغ عدد المعارك وضحاياها، وزاد تأثير قضية آل لانكستر على أوضاع إنگلترا إلى حدٍ بعيد بعد أن بلغ الأمير إدوارد أبن الملك هنري السادس سن الرشد، لرغبة أنصاره في تسنمه العرش[3].

كان ابن الملكة مارگريت أنجو وهنري السادس البالغ من العمر 17 عاماً آنذاك يكن ضغينة شخصية لآل يورك لعزلهم والده عن العرش الإنگليزي وسلبهم حقه الشرعي والقانوني فيه، وقد قاتل في صفوف قوات آل لانكستر بقيادة دوق سومرست[4]. وكانت الملكة مارگريت تنوي أن يقتحم جيشها مدينة غلوستر قبل مواجهة قوات الملك إدوارد الرابع، لكن الأخير أرسل رسالة إلى حاكم المدينة أمره فيها بإبقاء أبوابها مغلقة، ولما منعت من دخول المدينة أدركت الملكة مارگريت أن القتال سيكون مضيعة للموارد والقوات، فأعادت توجيه قواتها إلى مدينة توكسبيري القريبة، في مسيرة إضافية لعشرة أميال أرهقت قواتها واستنزفت شطراً من طاقاتها، وفي ليلة الثالث من أيار 1471، خيمَ اللانكستريون خارج مدينة توكسبيري بينما خيم اليوركيون على بعد ثلاثة أميال فقط من

(1) Robin Neillands, The Wars of the Roses, The Orion, London, 1992, p.156.
(2) Charles Ross, Op. Cit, p.168.
(3) Edward Hall, Op. Cit, p.297 - 298.
(4) Michael Hicks, Bastard Feudalism, Taylor & Francis Group, New York, 2013, p.43 – 44.

معسكرهم[1]، وكان نهرا أفون وسيفيرن يحيطان بساحة المعركة وخلف جيش لانكستر حصن ترابي قديم يحيط بمعسكر مارگريت، وأمامه مجموعة تحصينات وتضاريس وعرة على العدو عبورها، وقبيل نشوب المعركة صبيحة 4 أيار لجأت الملكة إلى كنيسة بعيدة طلباً للأمان[2].

تقدم إدوارد الرابع أولاً، ونشر رماته في الغابة المجاورة لساحة معركة تويسكبري[3]، ففاجأوا فرقة سومرست أثناء محاولتهم محاصرة الجناح الأيسر لجيش يورك، فخسر اللانكستريون مواقعهم وحاولوا التراجع لكن محاولتهم باءت بالفشل عبر نهر سيفرن، حينها غضب سومرست من زميله وينلوك لتقاعسه عن نجدة قواته فقتله قبل أن يلوذ بالفرار[4]، ومجدداً تراجعت قوات مارگريت بشكل كامل وغرق العديد منهم أثناء محاولتهم الوصول إلى الكنائس القريبة والاختباء[5]، فطارد رجال يورك رجال لانكستر ثم جمعوهم في الكنائس وقتلوهم جميعاً عدا بعض لوردات لانكستر لإعدامهم على رؤوس الاشهاد وتعليق رؤوسهم على الرماح[6].

عثرَ الملك إدوارد الرابع على الأمير إدوارد لانكستر ابن الملك هنري السادس في بستان، فأُعدم رغم توسلاته للإبقاء على حياته، ثم اختبأت والدته عدة أيام قبل أن ترسل رسالة إلى الملك إدوارد الرابع أعربت فيها عن حاجتها إليه، ولم يكن لديها أمل في إعادة زوجها الضعيف واللامبالي هنري السادس إلى عرش إنگلترا كما أنها شعرت أنه بموت ابنها ضاعت قضية آل لانكستر، فأخذ الملك إدوارد الرابع الملكة مارگريت إلى لندن بوصفها غنيمة حرب[7].

حقق إدوارد يورك نصراً هاماً وبدا أنه لم يبق أحد يملك السلطة لتحديه، فهنري السادس والملكة مارگريت رهن حراسته، ومنافسيه أمير ويلز وإيرل وارويك قتلا، إلا أن أنصار آل لانكستر ظلوا في ويلز تحت قيادة جاسبر تيودور، واستمرت بعض تمردات

---

(1) Laurence Stratford, Edward The Fourth, Isaac Pitman & Sons, London, 1910, p.194.
(2) David Santiuste, Edward IV and the Wars of the Roses, Pen & Sword, Britain, 2010, 157.
(3) معركة توكسبيري 4 أيار 1471، مخطط رقم **(10)**.
(4) C. R. B. Barrett, Battles and Battlefields in England, A. D. Innes & Co., London, 1896, p.206.
(5) Philip A. Haigh, Op. Cit, p.128.
(6) Charles Ross, Op. Cit, p.172.
(7) Edward Hall, Op. Cit, p.303.

في الشمال، لكن ذلك كله لم يعنِ شيئاً للملك ادوارد الرابع، بعد أسر الملكة مارگريت ومقتل ابنها الأمير إدوارد، ومع ذلك كان هناك جيش آخر موالٍ لآل لانكستر في كِنت يقوده توماس نيفيل ابن عم إيرل وارويك غير الشرعي[1].

امتلك توماس نيفيل عدة سفن وكان يقوم بدوريات في القناة الإنگليزية خلال الحملة العسكرية لابن عمه، وبعد وفاة إيرل وارويك ريتشارد نيفيل في معركة بارنيت، جمع توماس نيفيل ما تبقى من جنوده من سكان كِنت الساخطين في البحر، وأبحر إلى لندن عبر نهر التايمز مصطحباً معه مدفعية وجيشاً جراراً قوامه 20 ألف جندي، فشن هجومين، الأول على جسر لندن والثاني على كينغستون الواقعة على ضفاف التايمز، وبذل كل ما في وسعه لانتزاع السيطرة عليها من آل يورك، فدارت المعارك بين 12 و15 أيار 1471[2]، لكن جيش الملك إدوارد الرابع في لندن تصدى لقوات توماس نيفيل وردوا بإطلاق النار من مدفعيتهم عبر جسر لندن وتمكنوا في النهاية من الاستيلاء على ثلاثة عشر سفينة من سفنه، ثم أسروا توماس وقُطعوا رأسه في الثاني والعشرين من أيلول[3]، وفي الليلة نفسها التي عاد فيها إدوارد منتصراً إلى عاصمته توفي الملك هنري السادس في برج لندن، كان توماس نيفيل خادم إدوارد الرابع الذي وصف بـ"**اللقيط**" أول من أخبر الملك إدوارد الرابع بموت الملك السابق هنري السادس وزعم أن الملك العجوز في البرج مات من الكآبة[4].

اتفق المؤرخون عموماً على أن الملك إدوارد حكم على الملك المخلوع بالإعدام وكلف أحد أنصاره الموثوق بهم بتنفيذ الحكم سراً، ويعتقد عموماً أن الملك هنري السادس تلقى ضربة قوية على رأسه بينما كان راكعاً يصلي في كنيسته، وقد تم استخراج جثث الملك هنري السادس عام ١٩١٠ وكشفت عن وجود دماء وشعر عالقين بالجمجمة ما يدل على انه ليس كما اعلن الملك إدوارد الرابع أنه مات من "**الكآبة**"[5]، وقد اثيرت تكهنات كثيرة حول سبب إقدام الملك إدوارد على قتل هنري السادس بعد أن أبقى منافسه

(1) Bruce Webster, Op, Cit, p.28.
(2) C. R. B. Barrett, Op, Cit, p.207.
(3) Ibid, p.209.
(4) Dan Jones, The Hollow Crown The Wars of The Roses And The Rise of The Tudors, Faber Ltd, London, 2014, p.256 - 259.
(5) John Bruce, Histrie of The Arrivall of Edward IV. in England and The Finall Recouerye of His Kingdomes From Henry VI, John Bowyer Nichols and Son Co, London, No.Date, p.39 - 41; Henry Smith Williams, p.598 - 599; Bruce Webster, Op. Cit, p.28.

في برج لندن لسنوات طويلة، وربما يكون قد سئم من قمع الثورات التي لا تنتهي واعتقد أنه بقتل آخر من تبقى من آل لانكستر ممن لهم حق في العرش سيحقق حكمه التوازن والسلام، وقد يكون صحيحاً أيضاً أن هنري السادس أبقي على قيد الحياة لمدة طويلة لإضعاف نفوذ ابنه الأقوى الأمير إدوارد، وبمجرد زوال خطر الأمير إدوارد لم يعد هناك سبب لإبقاء والده على قيد الحياة.

المبحث الرابع

تمرد وتآمر جورج دوق كلارنس (George Plantagenet, Duke of Clarence)[1] على أخيه ادوارد الرابع 1471 – 1477

تعد مؤامرات جورج كلارنس وتمرداته على أخيه إحدى الملفات المثيرة للجدل كونه بدأ بتمرد عسكري وانتهى بمؤامرة أُديرت وحيكت بين الإخوة خلف أبواب مغلقة، ولم يكن دوق كلارنس شقيق الملك إدوارد الرابع شخصا عادياً بل مصاباً بهواجس العظمة ألفى نفسه يعيش في ظل شقيقه الملك القوي، فأنزعج بعد أن رأى في وجود أخيه تكبيلاً لطموحه في تسنم العرش الإنكليزي، فحاك إحدى أكثر المؤامرات خطورة على العرش، وكرر تمرداته ضد شقيقه الملك إدوارد الرابع مراراً حتى نفد صبر الملك تماماً في النهاية، ومع أن جورج دوق كلارنس كان الشقيق الأصغر للملك إدوارد الرابع، إلا أنه رأى نفسه أحق بالعرش الإنكليزي من أخيه بسبب اتهامات بعدم شرعية إدوارد الرابع، وشكوك حول عدم وجود تشابه بنيوي بينه وبين والده ريتشارد دوق يورك، وجاء في بعض الشائعات التي تمسك بها دوق كلارنس أن والدته سيسلي نيفيل حملت بادوارد من رجل غير زوجها ريتشارد دوق يورك قبل زواجهما، مما يجعله حسب قانون الوراثة في إنكلترا في تلك المدة لا يمكنه وراثة الألقاب والمناصب[2]، وروج دوق كلارنس لشائعة أخرى مفادها أن سيسلي حملت بإدوارد الرابع من نبال كان يعيش في القصر، واستشهد في تلك الرواية بمواصفات جسمه الوراثية، إذْ كان إدوارد الرابع طويل القامة ونحيفاً شديد البياض، عكس مواصفات والده وأشقائه الذين كانوا قصار القامة وبدينين وبشرتهم بيضاء مائلة للصفار[3].

1() (1449 – 1478)، هو أحد أبرز الشخصيات الدرامية والمثيرة للجدل في التاريخ الإنكليزي خلال "حرب الوردتين". كان الابن الثالث لـ ريتشارد دوق يورك، وشقيقاً لملكين من ملوك إنكلترا: إدوارد الرابع وريتشارد الثالث، شغل منصب دوق كلارنس وكان يُعد الوريث المفترض للعرش في بدايات حكم شقيقه إدوارد الرابع قبل ولادة أبناء الأخير. هذا المركز منحه نفوذاً هائلاً، لكنه أيضاً زرع في نفسه طموحاً لم يستطع السيطرة عليه. للمزيد انظر: Charles Ross, Edward IV, Published by Yale University Press, Great Britain, 1997, p.116 – 125.

(2) Chris Given-Wilson and Alice Curteis, The Royal Bastards of Medieval England, published by Routledge, New York, 2023, p.243.

(3) Geoffrey James, Edward IV, the Glorious Son of York, Amberley Publishing The Hill, Stroud Gloucestershire, GL5 4EP, UK, 2015, p.253.

غذى إيرل وارويك ريتشارد نيفيل النبيل الأقوى في إنكلترا شعور المرارة لدى دوق كلارنس، وأقنعه أن شقيقه الملك همشه تماماً، وأنه سيكون ملكاً أفضل منه في حال تسنمه العرش، وتفاقم استياء جورج دوق كلارنس من شقيقه الملك إدوارد الرابع عقب زواج الأخير من إليزابيث وودفيل، وحصول عائلة الملكة الجديدة (آل وودفيل) على مناصب وألقاب رفيعة، فكان دوق كلارنس يرى في تنامي نفوذهم المفاجئ تهديداً مباشراً لمكانته وحقوقه كأخ للملك[1]، ولذا حدثت أولى تلك التمردات حين تحالف كلارنس مع إيرل وارويك النبيل الأقوى في إنكلترا ضد الملك في 26 تموز 1469، وذهب دوق كلارنس بعد التحالف إلى كالي للزواج سراً من ابنة ريتشارد نيفيل الكبرى إيزابيلا نيفيل، وهو الزواج الذي عارضه الملك إدوارد الرابع، ضارباً بأوامر شقيقه الملك عرض الحائط[2]، وبعد معركة إيدجكوت وانتصار إيرل وارويك التي على إثرها تم إعادة هنري السادس للعرش وهروب إدوارد الرابع، أدرك دوق كلارنس الخطأ الذي وقع به في انضمامه لتحالف إيرل وارويك، فوجد نفسه فجأة في المركز الثاني عكس ما اتفق عليه مع إيرل وارويك في تنصيبه ملكاً، وتم تنصيب هنري السادس مجدداً ملكاً لإنكلترا، فشعر دوق كلارنس بالندم وأدرك أن عودة آل لانكستر للعرش تعني ضياع حقوق ومصالح عائلته بالكامل، لذا قرر التواصل مع والدته من أجل مصالحته مع شقيقه إدوارد الرابع والعفو عنه[3]، وتم الصلح فعلياً قبل معركة بارنيت التي وقعت في 14 نيسان 1471، وقبيل بدء المعركة انسحب كلارنس من معسكر اللانكستريين الذي قاده إيرل وارويك وانضم للمعسكر اليوركي بقيادة شقيقه، مما مكن إدوارد الرابع من الانتصار على اللانكستريين (حيث قتل وارويك في هذه المعركة دون ورثة من الذكور)، وأُعيد تنصيب إدوارد ملكاً، وأنتهى تمرد دوق كلارنس الأول بعودته لشقيقه[4].

والثابت أنه رغم عفو الملك إدوارد الرابع عن شقيقه وإعادة ممتلكاته السابقة، لكنه لم ينس خيانته فلم يسمح له بالابتعاد عن ناظره لا في الحرب ولا في السلم، وتيقن دوق كلارنس بعدم نسيان الملك لما حصل في الماضي في عام 1472، حين أُثير نزاع

(1) Hans Kleinicke, Edward IV, published by Routledge, London And New york, Second edition, 2017, p.207.
(2) John Ashdown-Hill, The private life of Edward IV, Amberley Publishing The Hill, Stroud Gloucestershire, UK, 2016, p.147.
(3) Meredith Whitford, Treason, Published by Endeavour Press Ltd, London,2018, p.155.
(4) Michael Hicks, War of roses, Yale University Press, New Haven and London, 2010, p.277.

حاد بين أشقاء الملك جورج دوق كلارنس وريتشارد دوق غلوستر[1] حول ميراث إيرل وارويك الضخم، إذْ أصبحت أملاكه وثروته من حق ابنتيه إيزابيلا زوجة دوق كلارنس، وآن نيفيل أرملة أمير ويلز السابق الأمير إدوارد (ابن الملك هنري السادس) الذي قتل في معركة توكسبيري[2]، ومن أجل الحصول على حصة من الميراث، أراد ريتشارد دوق غلوستر الزواج من الأرملة آن نيفيل[3]، التي كان دوق كلارنس في ذلك الوقت وصياً عليها ويأمل بالاستحواذ على جميع ممتلكات إيرل وارويك بصفته زوج ابنته الكبرى، فغضب دوق كلارنس لأن ذلك الزواج سيؤدي إلى تقسيم الثروة مع شقيقه الأصغر، لذا أخفى دوق كلارنس شقيقة زوجته آن نيفيل في ملجأ آمن في كنيسة سانت مارتن لو غراند في لندن لمنع الزواج[4]، الأمر الذي كاد يشعل صداماً مسلحاً بين الشقيقين، لاسيما بعد أن زعم دوق كلارنس أن تلك الزيجة غير شرعية لأن آن شقيقة زوجته وذلك مخالف للقانون الكنسي[5]، وحين رأى الملك إدوارد الرابع وصول الخلاف لطريق مسدود، قرر التدخل عبر تسوية عام 1472، التي لم تكن مرضية لطموحات دوق كلارنس غير المشروعة، إذْ أعلن الملك موافقته على زواج ريتشارد غلوستر بآن نيفيل دون موافقة كنسية[6]، وحصل دوق كلارنس بالمقابل على أراضي إيرلات ديفون وسالزبوري وواروايك المصادرة وعيّنه الملك كبير أمناء البلاط، بينما حصل ريتشارد غلوستر على أراضي إيرل أكسفورد المنفي[7]، ومع أن دوق كلارنس حصل على ثلثي التركة، لكنه اعتقد أن الملك إدوارد الرابع انحاز إلى جانب أخيهما ريتشارد غلوستر، فانعدمت الثقة بين الملك ودوق كلارنس.

---

(1) بلغت صعوبة الوضع المالي لدوق غلوستر ريتشارد حداً دفعه لإرسال خطاب إلى أمين الخزانة الملكية جون ساي لإقراضه مائتا وخمس وعشرين باون ، أنظر مخطوطة رقم **(10)**.

(2) Cora L. Schofield, The Life and Reign of Edward The Fourth King of England, France, and Lord of Ireland, Vol 2, Octagon Publishing House, New york, 1967, p.175.

(3) A. J. Pollard, Edward IV The Summer King, published by Penguin Random House, UK, 2019, p.61.

(4) Charles Ross, Op. Cit, p.218.

(5) M.A. Hicks, Clarence the Transient Liar, Clarence the Witness, George, Duke of Clarina 1449 - 1478, Alan Sutton Publishing Limited, Great Britain, 1980, p.113.

(6) تنامى نفوذ دوق غلوستر ريتشارد بعد تلك التسوية فباشر نشاطات كثيرة وثقتها رسالته إلى مجلس إيرل ويستمورلاند، أنظر مخطوطة رقم **(11)**.

(7) Eric N. Simons, The Reign of Edward IV, Published by Frederick Muller Ltd, London, 1966, p.275.

وفي 22 كانون الأول 1476، توفيت زوجة كلارنس الدوقة إيزابيل قبل أن تتعافى من ولادتها، فاتهم دوق كلارنس خادمته السابقة بإعطائها مشروباً من الجعة ممزوجاً بالسم، ودون أي أمر ملكي تم القبض على المرأة وإعادها إلى وارويك وإلقاها في زنزانة، وحاكمتها هيئة من القضاة الذين تم استدعاؤهم على عجل[1]، وبعد عدة أيام توفي ابنه الرضيع المولود حديثاً، فاتهم خادمه ثيربسي بتسميمه، واعتقد أن زوجته وابنه قتلا بتحريض من الملك إدوارد الرابع على الرغم من نفي المتهمين ذلك الأمر، وبموجب القانون كان يجب إحالة المتهمين للمحكمة الملكية، إلا أنه اعتقد أن الملك سيتدخل لتبرئتهم، فنقلهم إلى وارويك وشكل لهم محكمة محلية أشرف عليها بنفسه وأصدرت المحكمة حكماً بإعدامهما، وحين علم الملك إدوارد الرابع بما حصل استشاط غضباً وأمر بإحضار المتهمين إلى لندن وإعادة محاكمتهم لكن الوقت قد فات، فقد تم إعدامهم وسحل جثثهم بالشوارع قبل وصول وفد الملك بثلاثة أيام[2]، ويبدو أن تلك القضية كانت بداية النهاية لدوق كلارنس، فقد عزم الملك على محاسبته في المستقبل أشد الحساب إذا تجاوز على حقوق المواطنين، وكانت تلك الحادثة أيضاً بداية الانشقاق الفعلي والدخول في مؤامرة جديدة ضد شقيقه الملك[3].

وبما أن دوق كلارنس كان يبلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً فقط عام 1477، فقد كان من المنطقي تماماً أن يفكر في الزواج مرة أخرى بعد وفاة زوجته الأولى، وكان هناك شرطان وضعهما لاختيار زوجة ثانية الأول أن تكون في سن الإنجاب، والثاني من مكانة مرموقة تتناسب مع مكانته، وكانت ماري دوقة بورغندي الوريثة الشرعية الوحيدة لدوقية بورغندي لشارل الجريء الذي قتل في معركة نانسي 1477 بحاجة إلى زوج يمكنه تقديم الدعم لها في مواجهة فرنسا ولويس الحادي عشر[4]، فرشحت مارگريت يورك شقيقة دوق كلارنس وأرملة دوق بورغندي الراحل شقيقها جورج كلارنس لابنة زوجها ماري لمواجهة الخطر الفرنسي والمحافظة على المصالح الإنگليزية في بورغندي، فكان عرضاً مغرياً جداً لدوق كلارنس، دفعه

(1) Geoffrey James, Op, Cit, p.255.
(2) Michael A. Hicks, The middle brother: False. fleeting. perjur'd Clarence, Research published in the historical journal, Volume 83, Issue 269, Published by Willie, London, January 1998, p.303.
(3) Hans Kleinicke, A record of the first thirteen years of the reign of King Edward IV, Printed for the Camden Society, London, 1939, p.51.
(4) Charles Ross, Op. Cit, p.361.

للطلب من الملك الموافقة على زواجه من ماري ابنه دوق بورغندي، لكنه صدم برفض الملك معللاً رفضه بارتباط إنگلترا بمعاهدة بيكيني مع فرنسا، وأن ذلك الزواج يجبر إنگلترا على تقديم الدعم العسكري لدوقية بورغندي، وذلك ينافي بنود المعاهدة، ويؤدي إلى تجدد الحرب مع فرنسا[1].

وأمر الملك إدوارد الرابع بانعقاد المجلس الكبير الذي انعقد في الثالث عشر والرابع عشر من شباط 1477 لايجاد حل سلمي لمشكلة دوقية بورغندي، وقال في افتتاحية الجلسة "**أفترض أن السبب الرئيس لهذا الاجتماع هو تحديد أفضل ما يمكن فعله الآن بعد التغيير الكبير الذي أحدثه وفاة دوق بورغندي، وللحفاظ على كاليه والمناطق الحدودية، وللحفاظ على الأسرار التي تم الاستيلاء عليها مؤخراً مع فرنسا، وكذلك الآن مع ذكريات فلاوندريس، حيث لا أشك في أن دوقي كلارنس وغلوستر سيتوجهان على وجه السرعة، لذلك، أرى اليوم احتمالاً كبيراً أن يذهب اللورد هاستنجز على عجل إلى كاليه برفقة حاشية كبيرة**"[2]، وبطبيعة الحال أثار رفض الملك إدوارد ذلك الزواج غضب شقيقه دوق كلارنس، الذي تيقن ان الملك يستهدفه وينوي القضاء عليه، فاتخذ دوق كلارنس قراراً بالقضاء على شقيقه إدوارد الرابع والاستيلاء على العرش، وخلال المدة نفسها عرض جيمس الأول ملك إسكتلندا شقيقته مارگريت للزواج من دوق كلارنس، لتوطيد العلاقة بين إسكتلندا وإنگلترا، ولزيادة وشائج الصلة بين العائلتين المالكتين، بعد خطوبة ابنة الملك إدوارد الرابع سيسيلي لابن ملك إسكتلندا جيمس ابن جيمس الثالث، فكان زواج دوق كلارنس متوافقاً مع السياسة الإنگليزية إزاء اسكتلندا، كما أن الأميرة الاسكتلندية حملت المواصفات المطلوبة للدوق كلارنس فقد كانت مساوية له في النسب وفي سن الإنجاب، وكان الزواج منها سيصاحبه مهر نقدي كبير، فوافق دوق كلارنس على العرض الاسكتلندي، إلا أن شقيقه الملك كان معارضاً للزواج، وبرر رفضه للملك الإسكتلندي بحزن دوق كلارنس على زوجته الأولى، وعدم تفكيره في إمرأة أخرى[3].

قرر كلارنس التخلص من شقيقه الملك إدوارد وابنه أمير ويلز الأمير إدوارد، فجلب اشهر السحرة والمتكهنين الذين عملوا على القضاء على الملك عن طريق السحر والشعوذة، كما عمل على ايجاد اتباع له داخل البلاط الملكي، من اجل تحين الفرصة

(1) M.A. Hicks, Op. Cit, p.117.
(2) Hans Kleinicke, Edward…, Op. Cit, p.211.
(3) John Ashdown-Hill, Op. Cit, p.159.

المناسبة لتسميم الملك مع عائلته، فاتفق في 17 اذار 1477 مع ستايسي (Stacy) الذي كان أشهر مشعوذي إنگلترا في تلك الحقبة، ومرتبطاً بكلية بريتون بجامعة اكسفورد كزميل أول، وتوماس بوردت (Thomas Port) عالم الفلك بجامعة اكسفورد، وأكد الرجلان لدوق كلارنس عن طريق التنجيم أن إدوارد الرابع ابن غير شرعي لريتشارد دوق يورك[1]، وكان السبب في انتقاء دوق كلارنس لتلك الشخصيتين لقتل الملك، أن استعانة النبلاء بالمشعوذين والمنجمين كانت ممارسة شائعة في أوربا، كما أن الملك إدوارد الرابع ذاته كان يتواصل معهما في التنجيم والشعوذة[2]، وبموازاة ذلك اندلع تمرد في كامبردج التي كان من المقرر أن يذهب الملك اليها تلاه تمرد أخر في هانتينغدون قاده رجل انتحل صفة إيرل أكسفورد، فتم اخماد التمردين، واعتقل الملك قائد التمرد الأخير الذي يدعى بليك ويعمل كوكيل مالي لريتشارد فاولر، مستشار دوقية لانكستر، فاعترف الأخير وباقي عناصر التمرد أنهم تلقوا الأوامر بالتمرد من دوق كلارنس، واعترفوا للملك بمؤامرة المشعوذين الذين اتفق معهم كلارنس على تسميم الملك في الوقت المناسب، واعترفوا أن خطتهم تمحورت حول قتل الملك في اكسفورد، وأن دوق كلارنس دفع لهم اموالاً طائلة[3].

كان اكتشاف الخيانة أمراً خطيراً بالنسبة لإدوارد الرابع، فاتخذ تدابير عاجلة لمنع دوق كلارنس من الاستمرار بتآمره عليه، وإدراكاً منه للتداعيات السياسية المحتملة للمحاكمة، كان إدوارد حريصاً على عدم الطعن في الأحكام المتخذة ضد المتمردين، فعين لجنة قوية بشكل خاص لتولي محاكمتهم أثناء اجتماع وسام الرباط [4]، الذي عقد في 12 أيار، وضمت هيئة المحاكمة خمسة إيرلات واثني عشر باروناً وستة قضاة

---

(1) Michael Hicks, Op. Cit, p.279.

(2) C. L. Schofield, The Life and Reign of Edward the Fourth, Vol. 2, Longman Publishing, London, 1923, p.184.

(3) M.A. Hicks, Op. Cit, p.121

4() اجتماع وسام الرباط (Order of the Garter): هو المحفل السنوي لأقدم وأرفع وسام فروسي ملكي في بريطانيا، أسسه الملك إدوارد الثالث عام 1348 لإحياء تقاليد "المائدة المستديرة" للملك آرثر. يُعقد الاجتماع تقليدياً في قلعة وندسور بكنيسة القديس جورج (مار جرجس) خلال شهر حزيران، حيث يجتمع الملك مع 24 فارساً من النبلاء المختارين بملابسهم المخملية الفاخرة وشاراتهم المتميزة لتجديد قيم الولاء والفروسية، للمزيد، انظر: Hugh E. L. Collins, The Order of the Garter 1348 - 1461: Chivalry and Politics in Late Medieval England, Oxford University Press Publisher, Clarendon Publishing House, New York, 2000. p.12 – 14.

لمحاكمة الرجال المشعوذين بتهمة التنبؤ بموت الملك وأمير ويلز واستخدام السحر لتحقيق ذلك والتنبؤ بوفاتهما المبكرة، واتهم شخص يدعى توماس بوردت بتوزيع كتابات تحرض على التمرد، وأصدرت الهيئة حكمها الذي جاء فيه "**سعياً إلى موت الملك والأمير وتدميرهما عن طريق إثارة الحرب والفتنة بين الملك وأتباعه... قاموا... بغدر وخيانة بتفريق ونشر العديد من مشاريع القوانين والأناشيد والقصائد التحريضية والخيانة، التي تحتوي على شكاوى وفتنة وحجج خيانة، بقصد أن يسحب الشعب حبه الصادق من الملك ويتخلى عنه، ويثور ويشن حرباً ضد الملك، حتى التدمير النهائي للملك والأمير**"، فأدانت الهيئة المحلفين المتهمين، وحكمت عليهم بالإعدام في 19 أيار، ونفذ الحكم في تايبورن في اليوم التالي[1].

عاد الملك بعدها من وندسور إلى لندن واستدعى دوق كلارنس إلى القصر في وستمنستر وأمام العمدة ريتشارد غاردنر وهو تاجر أقمشة وأعضاء المجلس البلدي اتهم شقيقه بارتكاب جرائم ضد القوانين الدستورية لإنكلترا، وتم اعتقال الدوق في نهاية المطاف بتهمة الخيانة العظمى أواخر حزيران 1477 وألقي به في برج لندن[2]، ثم افتتح الملك الجلسة بعبارة مقتبسة من الانجيل "**الرب حاكمي، لذلك لن يعوزني شيء**" بعدها اقتبس عبارة للقديس بولس بنبرة تنذر بالسوء "**أنا لا أحمل السيف عبثاً**"، ثم قدم الملك مشروع قانونه الخاص بإدانة أخيه، وذكر البرلمان بسجله الحافل بالعفو عن خصومه السابقين وحتى المحرضين والمثيرين للفتنة ومنفذي الخيانات الشنيعة، لكن تسامحه لم يقابل بالمثل، فهو الآن مهدد بخيانة أعظم وأشد خبثاً وأكثر غرابة وبشاعة من أي خيانة أخرى تم التخطيط لها في أي وقت مضى، وأوضح أن ما زاد تلك الخيانة بشاعة هو أنها نبعت من أخيه الذي يدين له من بين جميع المخلوقات الأرضية بالولاء والمحبة[3]، ومع ذلك خلص الملك إلى أنه كان بإمكانه أن يسامح دوق كلارنس نظراً لقرابة الدم بينهما والمحبة الرقيقة التي يكنها له في شبابه لو لم يستمر الدوق في سلوكه الشرير، فقد أظهر بوضوح أنه غير قابل للإصلاح، وأمن المملكة يقتضي معاقبته، لذلك طلب الملك الحكم عليه بتهمة الخيانة العظمى وتجريده من جميع ألقابه وجميع ممتلكاته

(1) Nicholas Pronay and John, Crowland Chronicle Continuations: 1459–1486, Richard III and Yorkist History Trust, Cadman Association, London, 1986, p.151 - 155.
(2) Michael A. Hicks, Op. Cit, p.307.
(3) M.A. Hicks, Op. Cit, p.129.

وعقاراته التي منحته إياها المملكة[1].

وجهت للدوق كلارنس عدة اتهامات بالاضافة لتهمة الخيانة منها اغتصاب الامتيازات القانونية لملكه والتسبب ظلماً في قتل رعاياه والسحر والتشهير، وقيل أيضاً إنه روج لفكرة أن والدته أنجبت إدوارد بعد علاقة غرامية مع رامي سهام يدعى بلاكبيرن، واتهم الملك إدوارد الرابع باستخدام السحر ضد أعدائه، وتضمنت لائحة اتهام الدوق أيضاً الإعداد لتمرد مسلح، واقناع أنصاره انه الخليفة الشرعي لهنري السادس المتوفى وابنه[2]، فهاجم إدوارد الرابع أخاه في جلسة المحاكمة وانهال عليه بالشتائم، وكان واضحاً من ردة فعل دوق كلارنس أمام أخيه الملك أنه افتقد إلى ضبط النفس، ومع أن حياته كانت على المحك إلا أنه لم يحاول تهدئة أخيه ولم يدافع عن نفسه بمهارة وحكمة، بل فقد أعصابه وأنكر الاتهامات التي اتهم بها وتحدى أخاه الملك في مبارزة لتحديد من منهما قال الحقيقة[3].

تم الحكم على دوق كلارنس بالإعدام، وتولى دوق باكنغهام منصب الوصي مؤقتاً لحين إصدار امر ملكي بتعيين الأمير إدوارد ابن الملك إدوارد الرابع وصياً، وبالرغم من إصدار حكم الاعدام بحق الدوق كلارنس إلا أن الملك إدوارد الرابع كان متردداً في تنفيذه خوفاً من العواقب، وقيل أن تردده كان لأجل والدته وحرصاً على سمعته، على الرغم من أن مجلس العموم الإنگليزي من خلال رئيسه حث الملك إدوارد الرابع على تنفيذ حكم الاعدام بأخيه من أجل أمن المملكة وسلامة الكنيسة والصالح العام، وللحد من المؤامرات التي ألفها الدوق[4]، وفي الثامن عشر من شباط 1478 أُعدم دوق كلارنس سراً في برج لندن لتجنيبه عار الإعدام العلني على مرأى ومسمع نبلاء لندن وسكانها، وللحد من فضيحة كانت ستطال عائلة يورك بأكملها، واعتقد العديد من معاصري الدوق أنه لقي حتفه غرقاً في برميل من نبيذ المالمسي، وهو ما أكدته المصادر التاريخية اللاحقة[5]، وما نميل إليه أيضاً، لرغبة الملك في تجنيب نفسه وأفراد عائلته، اتهامات هو في غنىً عنها.

---

(1) Cora L. Schofield, Op. Cit, p.209.
(2) Meredith Whitford, Op. Cit, p.169.
(3) A. B. Hinds, Calendar of State Papers and Manuscripts Existing in the Archives and Collections of Milan, Vol. 1, 1385–1618, HMSO Publishing, London, 1912, p.355 - 357.
(4) Michael Hicks, Op. Cit, p.289.
(5) Michael A. Hicks, Op. Cit, p.309.

وذكرت بعض المصادر أن إليزابيث زوجة الملك إدوارد الرابع كان لها يد في تشجيع صهرها على التورط في التآمر والتمرد للتخلص منه، لأنه السبب بقتل والدها وشقيقها أثناء تمرده السابق عام 1469، كما مثلَ تهديداً مباشراً لعائلتها، وتحديداً لابنها الأمير إدوارد[1].

المبحث الخامس

(1) M. A. Hicks, Op. Cit, p.153.

وقائع ونتائج تمرد ريتشارد الثالث على ابن أخيه إدوارد الخامس

4 **نيسان** 1483 – 26 **حزيران** 1483

كان صيف عام 1483 محورياً في تاريخ إنگلترا، وفي تاريخ آل يورك تحديداً، لأن ما جرى فيه من أحداث هز حيثيات شرعية حكم آل يورك تحت وطأة طموح ريتشارد دوق غلوستر وأطماعه في العرش، التي دفعته للتمرد على ابن أخيه الملك الصغير إدوارد الخامس، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن تمرده لم يكن عسكرياً بل انقلاباً سياسياً نُسجت خيوط دسائسه في أروقة القصور وبين جدران برج لندن، وتخللت الانقلاب سلسلة إجراءات سياسية انتهت إلى استيلاء كامل على العرش، وكانت وفاة الملك إدوارد الرابع في نيسان 1483 نقطة الشروع في ذلك الانقلاب، وما تمحض عنه من إنهاء استقرار حكم آل يورك القصير، ولم يكن التمرد الذي قاده ريتشارد دوق غلوستر ضد ابن أخيه الملك القاصر إدوارد الخامس مجرد طموح شخصي للعرش فقط بل صراعاً معقداً بين فصائل البلاط، وتحديداً بين النبلاء القدامى وعائلة الملكة الأم من آل وودفيل (The Woodville Rivalry)[1].

كان المحرك الأساسي لتمرد دوق غلوستر عائلة الملكة إليزابيث وودفيل أرملة إدوارد الرابع التي سعت للسيطرة التامة على الملك القاصر إدوارد الخامس لاستمرار نفوذها، إلا أن ريتشارد غلوستر حامي المملكة وعم الملك القاصر رأى في آل وودفيل تهديداً مباشراً لمكانته، فتآمر مع النبلاء الذين توجسوا من الخطر ذاته، لذا تحرك لمنع آل وودفيل من الهيمنة على العرش، وكان ريتشارد دوق غلوستر متيقناً أنه بمجرد وصول الملك الحدث سن البلوغ ستكون الغلبة لأخواله آل وودفيل، الذين سيحرضونه على عمه ريتشارد غلوستر، لذا باشر التمرد ضد الملك القاصر لتأمين نفسه من تصفية الحسابات في المستقبل[2].

اما البارونات الذين دعموا ريتشارد وأيدوه في تمرده فخشوا من وجود ملك طفل، لتجاربهم المريرة سابقاً مع الملوك القاصرين، الذين كانت عهودهم مضطربة ومليئة بالكوارث والحروب الاهلية، وكانت أقرب تجربة هي حقبة حكم الملك هنري السادس،

---

(1) C . Oman, The history of England from the accession of Richard II to the throne to the death of Richard III 1377 – 1485, Longmans, Green, and Company Printing and Publishing, London, New York and Bombay, 1906, p.471 – 472.

(2) F. Sutton & P.W. Hammond, Alan Sutton Publishing Limited, St. Martin's Press, New York, 1983, p.91 – 95.

وكانت إليزابيث وودفيل وأشقائها وأبناؤها إخوة الأمير إدوارد غير الاشقاء الطامعين بالعرش مكروهين للغاية من معظم اللوردات، لذلك تلقى دوق غلوستر ريتشارد دعماً بارونياً لامحدود، لأنه من العائلة المالكة أولاً، ولكونه رجل دولة قوي وقائد عسكري محنك أثبت قدرته على حفظ استقرار المملكة، والتصدي للتهديدات الداخلية والخارجية المحدقة بها[1].

كانت النخب السياسية التي أورثها إدوارد الرابع لابنه إدوارد الخامس منقسمة على أسس فصائلية في مؤسسة ملكية مختلطة تقاسم الملك وكبار مسؤوليه إدارتها، وكان معظمهم يقيمون فعلياً في الأقاليم، فحكمَ الملك إدوارد الرابع مملكته بالمحسوبية لا بالإكراه، وضمنَ مصالح البارونات واتباعهم مقابل ولائهم لعرشه[2]، فتنافس البارونات المنتمين إلى فصائل مختلفة على المناصب والمنح الملكية، مما أدار السياسة الإنكليزية في فلك البلاط، وكان الملك وملكته وحاشيته شركاء في توزيع المناصب على المقربين منهم، بضمنهم إدوارد الرابع الذي اختار مناصب بنفسه، لذا كان الوصول إليه أمراً بالغ الأهمية للطامعين بالمناصب والمغانم، وكان لوزراء الحكومة كالمستشار والملكة والعائلة المالكة وكبار النبلاء الحق في الوصول إليه، أما الآخرون فلم يتمكنوا من الوصول إليه إلا عبر وسطاء، أهمهم كبير أمناء البلاط اللورد وليام هاستنجز (Lord William Hastings)[3]، فقدم أولئك المقربون من الملك إدوارد الرابع التماسات وطلبات إليه، لتحقيق مصالحهم[4].

---

(1) V. B. Lamb, The Betrayal of Ritchard III, Published by Lincoln's N Fields, W.C.2, Mitre Printing House, London, 1972,p.10.

(2) David Hipson, Richard III, Published by the Routledge Taylor & Francis Group, London and New York, 2011, p.91.

3() (1431–1483) هو حاجب البلاط الملكي وأحد أقوى النبلاء في عهد إدوارد الرابع، عُرف بولائه المطلق لبيت يورك، لكنه عارض طموحات ريتشارد دوق غلوستر في انتزاع العرش من أبناء أخيه الصغار، لذا اتهمه ريتشارد بالخيانة العظمى أثناء اجتماع المجلس في برج لندن، وأمر بإعدامه فوراً دون محاكمة في 13 حزيران 1483 ممهداً الطريق لجلوسه على العرش باسم الملك ريتشارد الثالث، للمزيد انظر : د. مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث 476–1500، ج1، ط1، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان الاردن، 2009، ص89.

(4) G . W. O. Woodward, King Richard III, Fodernesdo Library for Printing and Publishing, London, 1889, p.11.

وتمثلت الفصائل الرئيسة في بلاط إدوارد الرابع أثناء سنواته الأخيرة في حاشيته المقربة وحلفائه من آل يورك، وعلى رأسهم اللوردين وليام هاستنجز كبير أمناء البلاط، وتوماس ستانلي (Thomas Stanley)[1]، رئيس الخزانة الملكية ومسؤول غرفة الملك، وكان للملكة إليزابيث بدورها دائرة من المقربين، في مقدمتهم إخوانها وابنها توماس غراي (Thomas Grey)[2] الملقب باللورد ماركيز دورست (Lord Marquess of Dorset) آل وودفيل الأخ غير الشقيق للأمير ادوارد، وسعت جميع تلك الشخصيات إلى تعظيم مكاسبها والاستحواذ على الملك مباشرة أو من خلال زوجته، والواقع أن الملك إدوارد استغل تنافس تلك الشخصيات وأبقى زمام الأمور بيده، وحظيت شخصيات أخرى مثل شقيق الملك ريتشارد دوق غلوستر والكاردينال بورشير (Cardinal Burcher) (1411 – 1486) بحظوة لدى الملك، مع أنهم كرهوا بعضهم بعضاً[3].

أثارت أنباء وفاة الملك إدوارد الرابع حالة من التوجس السياسي والترقب العام في عموم إنكلترا، وخيمَ الغموض على مستقبل البلاد، في ظل أميرين قاصرين تركهما الملك، هما إدوارد أمير ويلز الوريث الشرعي للعرش ذا الأثني عشر ربيعاً، وشقيقه الأصغر ريتشارد الذي يصغره بعام، وبموجب التقاليد الدستورية المتبعة

1() (1435–1504) هو سياسي وعسكري إنكليزي بارز وعضو في مجلس الملك خلال حروب الوردتين، عُرف بقدرته الفائقة على تغيير ولاءاته السياسية لضمان البقاء، حيث خدم ملوك بيت يورك (إدوارد الرابع وريتشارد الثالث). تكمن ذروة أهميته التاريخية في معركة بوسورث (1485م)، حين خان الملك ريتشارد الثالث في اللحظة الحاسمة وانحاز لزوج أمّه "هنري تيودور" (هنري السابع)، وقام ستانلي بنفسه بوضع التاج على رأس الملك الجديد ممهداً لظهور أسرة تيودور، للمزيد انظر: Leslie Stephen, Dictionary of National Biography (DNB), Vol. 54, Elder Smith & Co. Publishing, London, 1898, p.68 – 71.

2() (1455–1501) هو نبيل إنكليزي بارز وابن زوجة الملك إدوارد الرابع (إليزابيث وودفيل) من زواجها الأول. منحه الملك لقب ماركيز دورست عام 1475م لتعزيز نفوذ عائلته، وأصبح خصماً عنيداً لريتشارد دوق غلوستر (ريتشارد الثالث) الذي سعى لتصفية آل وودفيل عام 1483م، نجح دورست في الفرار إلى فرنسا وانضم إلى هنري تيودور، وشارك في التخطيط للإطاحة بريتشارد الثالث ليحافظ بعدها على مكانته في عهد أسرة تيودور حتى وفاته، للمزيد انظر: Leslie Stephen, Op. Cit, Vol . 23, p.201 – 202

(3) Caroline A & Halsted, Richard III Year Duke of Gloucester and King of England, Vol 2, Published by Longman, Brown, Green, and Longmans, Paternoster Row, London, 1980, p.512 – 515.

انتقلت ولاية العرش إلى الأمير إدوارد، ثم شقيقه ثم عمهما ريتشارد دوق غلوستر[1].

أذكت طموحات دوق غلوستر مخاوف النخب الحاكمة، التي لم تكن مجرد هواجس سياسية في ظل تموضع الدوق على رأس قوة ضاربة في شمال إنكلترا، مما جعل فرضية استيلائه على السلطة بالقوة خياراً وارداً بقوة في حسابات تلك النخب[2]، وكانت الملكة الأرملة إليزابيث وودفيل الطرف الأكثر توجساً من الخطر الداهم، في وقت عجز الأميران الصغيران عن إدراك أبعاد التآمر ومراميه، وقد اعتمدت إليزابيث في استراتيجيتها الدفاعية على شقيقها إيرل ريفيرز انتوني وودفيل (Earl Rivers, Anthony Woodville)[3]، الذي رعى الملك الشاب في قلعة لودلو (Castle of Ludlow)، بينما استقرت هي مع ابنها الثاني في لندن[4]، وانعقد المجلس الملكي لترتيب انتقال السلطة، فأعلن رسمياً تنصيب أمير ويلز إدوارد ملكاً على البلاد[5]، مع تحديد الرابع من أيار موعداً لتتويجه، وفي الوقت نفسه وجهت الملكة الأوامر لإيرل ريفرز بمرافقة الملك الشاب إلى العاصمة، ومن جانبها مارست الملكة إليزابيث ضغوطاً داخل المجلس لضمان مرافقة جيش عسكري كبير للملك الشاب[6]. في محاولة استباقية لحمايته من أية ردود أفعال غير محسوبة قد يبديها دوق غلوستر.

---

(1) Sir Clements R. Markham, Richard III: His Life and Personality, Published by Cedric Chivers Ltd Portway Bath, London, 1973, p.89 – 91.

(2) Beverly Margaret, Richard Ill of England unabridged guide, Published by Ian Mckellen, USA, 2009, p.457.

(3) (1440– 1483) هو نبيل ورجل دولة ومثقف إنكليزي بارز، وهو الشقيق الأكبر للملكة إليزابيث وودفيل زوجة الملك إدوارد الرابع. عُين حاكماً ومربياً لابن أخته الأمير الصغير (إدوارد الخامس)، وأصبح من قادة أسرة وودفيل النافذين في البلاط الملكي. عقب الوفاة المفاجئة للملك عام 1483م، بادر ريتشارد دوق غلوستر (ريتشارد الثالث) باعتقاله مع حاشية الملك الصغير للتخلص من نفوذ عائلته، وأُرسل إلى قلعة بونتيفراكت حيث أُعدم بقطع الرأس للمزيد انظر:
Leslie Stephen, Op. Cit, Vol. 62, p.414 – 416.

(4) Michael Hicks, Richard III and his rivals The nobles and their motivations in the Wars of the Roses, Published by Hambledon Press, London and Rio Grande, 1978, p.385.

(5) تظاهر دوق غلوستر ريتشارد حينها بطاعة ابن اخيه إدوارد الخامس، فكتب هو وهاري بكنغهام شعاريهما عليه، وهما " **الولاء يربطني**" لريتشارد غلوستر، و"**تذكرني كثيراً**" لهاري باكنغهام، أنظر مخطوطة رقم **(12)**.

(6) John Ashdown-Hill, Cecily Neville Mother of Richard lll, Yorkshire – Philadelphia Copyright John Ashdown-Hill, London, 2018, p.231.

برزت داخل البلاط الإنكليزي انقسامات حادة بين تيارين متنافسين، فشكلت الملكة إليزابيث بالتنسيق مع أقاربها وحلفائها معسكراً سياسياً متماسكاً إزاء جبهة مضادة تزعمها النبلاء التقليديون[1]، وتحول ذلك الانقسام إلى عداء مزمن، لاسيما أن أغلب النبلاء عارضوا سابقاً مصاهرة الملك السابق عائلة وودفيل، ونظروا بعين الشك إلى النفوذ المتزايد الذي حظيت به عائلة الملكة في مفاصل الدولة[2]، وبعد رحيل الملك تفجر الصراع بشكل أكثر حدة[3].

سيطرت الهواجس والمخاوف مجدداً على البارونات التقليديين إزاء أي تحرك أو مقترح يصدر عن الملكة الأرملة، مدفوعين بالشكوك من محاولتها الرامية إلى السيطرة على السلطة والوصاية لصالح عائلتها، وظهر الصراع بوضوح حين أرادت إليزابيث من المجلس الملكي إصدار أمر إلى شقيقها إيرل ريفرز بتجهيز قوة عسكرية لمرافقة الملك إدوارد الخامس أثناء مجيئه إلى لندن، فقوبل ذلك الاقتراح بمعارضة برلمانية صارمة[4]، وتساءل اللورد هاستنجز عن الجدوى الأمنية لذلك الاجراء، قائلاً: "**ضد مَن ينبغي حماية الملك الشاب ومن هم أعداؤه الفعليون، إن الملك لا يواجه تهديداً حقيقياً، والغاية المضمرة من حشد هذه القوة ليست تأمين سلامته، بل توظيف القوة العسكرية كأداة لترسيخ الهيمنة السياسية لآل وودفيل وتعظيم نفوذهم**"[5]، وهكذا تجلى مدى توجس الملكة إليزابيث وخوفها على ابنها القاصر إدوارد الخامس من عمه ريتشارد دوق غلوستر وأنصاره من البارونات المعادين لآل وودفيل.

واتهم المتحدث الملكة بالسعي لتعزيز نفوذ آل وودفيل تحت غطاء أمني، متهماً إياها بانتهاك الاتفاق الذي عُقدَ أواخر أيام الملك الراحل إدوارد الرابع، وأمام تلك الضغوط والاستشكالات داخل المجلس تم رفض طلب الملكة بالحراسة المسلحة للملك الصغير رسمياً، فرضخت الملكة وتخلت عن فكرة حماية ابنها وسط مشاعر الإحباط

(1) Jacob Abbott, Jacob Abbott Richard III, obooko publishing, London, 2011, p.107 – 109.
(2) Griff Hosker, To Murder a King Struggle for a Crown Series, in the Book 2, Published by Sword Books Ltd, London, 2018. p.391.
(3) Richard Drewett & Mark Redhead, The trial of Richard III, Published by Alan Sutton, London, 1985, p.97.
(4) Robert Farrington, The murder of Richard III, Published by Safir Books Publishing House, London, p.21.
(5) James Gairdner, King Richard III A Life from Beginning to End, Published by Hourly History, London, 2019, p.8 – 9.

والضيق[1]، لكن رضوخها كان مناورة دبلوماسية، لأنها لجأت إلى تفعيل قنوات اتصال سرية مع شقيقها إيرل ريفرز انتوني وودفيل، وبناءً عليه انطلق إيرل ريفرز بصحبة الملك الشاب من قلعة لودلو مع قوة عسكرية غير مصرح بها من المجلس ناهزت ألفي مقاتل[2]، في تحدٍ صريح لقرارات ذلك المجلس.

انتهج ريتشارد دوق غلوستر تكتيكاً سياسياً متماسكاً ومدروساً بعناية، فزاوج بين التمويه الدبلوماسي والتحركات المباغتة، وكان إجرائه الأول استباق الأحداث وإعلان ولائه المطلق لعاهل إنكلترا الجديد إدوارد الخامس، لإرسال إشارات تطمين للملكة إليزابيث، وإقام مراسم تأبينية على روح أخيه في يورك مما ساهم مؤقتاً في تخفيف مخاوف خصومه السياسيين، وأضفى طابع الشرعية على الملك الصغير[3]، أما الإجراء الأخر فكان ميدانياً تمثل بزحف دوق غلوستر في مسار عسكري مدروس نحو الجنوب لاعتراض موكب الملك الصغير قبل وصوله إلى العاصمة، وفي نورثهامبتون استطاع دوق غلوستر استدراج إيرل ريفرز واللورد غراي أبرز مرافقي الملك الصغير خادعاً اياهم بكرم الضيافة كتمويه لفرض إقامة جبرية غير معلنة عليهما ليلاً، ومع تأخر الوقت واستحالة عودة الوفد إلى ستوني ستراتفورد المجاورة لنورثاهمبتون اصر ريتشارد على المبيت في المدينة والذهاب في الصباح، ورغم معرفة النبيلين بالخدعة صباح اليوم التالي لكنهما اضطرا لإخفاء شكوكهما ومسايرته، فانطلق دوق غلوستر معهما نحو ستوني ستراتفورد في خطوة تمكن فيها من أحكام قبضة على الملك[4]، وبمجرد اقتراب دوق غلوستر من المدينة تخلى عن سياسته الدبلوماسية مدعوماً بحليفه دوق باكنغهام هنري ستافورد (Henry Stafford, 2nd Duke of Buckingham)[5]، واتهم إيرل ريفرز

(1) A. Compton Reeves, Iting Richard III at York in lute Summer 1483, Research published in the Richard III Society Journal, Volume 12, No. 156, London, December 2002, p.547.

(2) David Hipson, Op. Cit, p.133.

(3) Thomas More, The History of King Richard III, Published by the Thomas More Center for Studies, London, 2013, p.25.

(4) Jonah Stevens & Summer West, Richard III, Published by Cavendish Square Publishing, New York, 2017, p.59.

(5) (1455 – 1483)، هو أحد أبرز الشخصيات السياسية والعسكرية في تاريخ إنكلترا خلال أواخر العصور الوسطى، أدى دوراً محورياً في أحداث حرب الوردتين، وتحديداً في صعود الملك ريتشارد الثالث، ولد في عائلة نبيلة وثرية جداً ذات نفوذ واسع في ويلز وإنكلترا. ومن جهة والدته انحدر من سلالة الملك إدوارد الثالث، مما منحه حقاً بعيداً لكنه شرعي في المطالبة بالعرش

واللورد غراي بتسميم أفكار الملك الصغير، ثم اعتقلهما وبعض أقطاب عائلة الملكة، لتجريد الملك إدوارد الخامس من حمايتهما[1].

لم يكتف ريتشارد دوق غلوستر بالسيطرة الميدانية على الملك، بل عمد إلى زعزعة شرعيته عبر ادعائه بحمايته من مؤامرات آل وودفيل، فارضاً وصايته بالقوة تحت شعار الحفاظ على سلامة الملك، وانتهت تلك المرحلة بالسيطرة على الملك الصغير والقضاء على حاشيته من آل وودفيل دون مقاومة تذكر، ولضمان استمرار الهدوء أُرسل ريتشارد قادة الحزب المعارض إلى الشمال في انتظار محاكمتهم، بينما تحول الملك القاصر من وريث محاط بالأنصار إلى رهينة سياسية في قبضة عمه[2].

أدت التطورات السريعة التي تعرض لها الملك إدوارد الخامس والأجواء المشحونة إلى فزع وخوف طفولي وبكاء هستيري، فقد وجد الملك نفسه مجرداً من حاشيته ومحاطاً بغرباء، وفي محاولة لتبرير عمله بالسيطرة على الملك الصغير ولشرعنة الانقلاب، عمل دوق غلوستر على صياغة رواية تآمرية اتهم فيها حزب الملكة بالسعي لتقويض السلم الأهلي والقضاء على النبلاء المعارضين لسياستها، واتهم اللورد دورست بتبديد الكنوز الملكية وتهريبها إلى الخارج[3]، ومع أن إدوارد الخامس شكك في مصداقية الاتهامات التي وجهها دوق غلوستر لأقربائه، لكنه بسبب منطق القوة اضطر للسكوت

الإنگليزي. أصبح دوقاً لباكنغهام وهو لا يزال طفلاً في الخامسة من عمره بعد وفاة جده في معركة نورثامبتون عام 1460، ارتبط اسمه بشكل وثيق بريتشارد الثالث (دوق غلوستر آنذاك). بعد وفاة الملك إدوارد الرابع عام 1483، كان باكنغهام الحليف الرئيس والأقوى لريتشارد، فساعده في عزل واحتجاز الملك الصغير إدوارد الخامس وشقيقه في البرج، وروج لعدم شرعية أبناء إدوارد الرابع، مما مهد الطريق لإعلان ريتشارد الثالث ملكاً على إنگلترا، كوفئ باكنغهام بسخاء وأصبح الرجل الثاني في المملكة ومُنح سلطات واسعة في ويلز، إلا أن هذا التحالف لم يدم سوى بضعة أشهر. ولأسباب تاريخية تتراوح بين طموحه الشخصي في العرش، أو خيبة أمله في حجم المكاسب، أو رغبته في التخلص من ريتشارد بعد اختفاء الأمراء في البرج، قاد في تشرين الأول 1483 تمرداً شهيراً عُرف باسم تمرد باكنغهام للإطاحة بريتشارد الثالث والتحالف مع هنري تيودور للمزيد انظر: George Smith's, National Biographical Dictionary From ancient times until 1900, Vol. 1, Oxford University Press, p.1231.

(1) Caroline A & Halsted, Op. Cit, p.541.

(2) Chris Skidmore, Richard III England's most controversial monarch, St. Martin's Press, New York, 2018, p.611.

(3) Michael Hicks, Richard III, The Self-Made King,Yale University Press, New Haven and London, 2019, p.311 – 313.

والقبول بالأمر الواقع، ومع انتقال الصراع إلى العاصمة لندن أدت أنباء احتجاز الملك إدوارد الخامس إلى اضطراب سياسي تحول فيه قصر وستمنستر إلى مكان مليء بالفوضى والذعر، ولم تجد الملكة إليزابيث خياراً سوى الفرار واللجوء إلى دير وستمنستر المحاذي لقصرها مستعينة بـ "**حق اللجوء الديني الكنسي**"، بعد ادراكها أن سقوط حلفائها في الشمال لم يكن سوى بداية لتفكيك نفوذها ونفوذ عائلتها بالكامل، مما دفع البلاط الملكي إلى حالة من التخبط بموازاة تسارع وتيرة نقل النفائس والبحث عن ملاذات آمنة لوريث العرش الثاني دوق يورك ريتشارد الابن الثاني للملك الراحل والشقيق الاصغر لإدوارد الخامس[1]، وكان اللورد هاستنجز شخصية محورية ومتناقضة في ذلك الصراع، فرغم إخلاصه للملك الراحل إدوارد الرابع وعلاقته الجيدة بالملكة، إلا أن موقفه السابق في المجلس الملكي المعارض لتوفير حماية عسكرية مكثفة للملك الصغير كان السبب الاساسي الذي عرض الملك الصغير للاختطاف، وفي ذروة تلك الأحداث المتسارعة حاول اللورد هاستنجز تهدئة الملكة عبر ارسال خطاب تطمين لها بيد رئيس أساقفة كانتربري نيابة عن دوق غلوستر، إلا أن الملكة عدتها محاولة لخداعها، واصفةً إياه بالمسؤول الأول عن الأزمة التي هددت حياة الملك الصغير ثم قالت: "**ويح نفسي إنّه مبعث فجيعتي ومصدر حتفي؛ يسعى لإهلاكي وإراقة دمي**"[2]، في إشارة واضحة على تحميل هاستنجز مسؤولية نجاح تمرد غلوستر ووضع ابنها وعائلتها في خطر داهم.

أراد رئيس أساقفة كانتربري تثبيت شرعية سلالة إدوارد الرابع حين حاول اعطاء الختم الملكي للملكة لمنع أي محاولات اغتصاب محتملة للعرش، ومع ذلك فإن الملكة لم تكن تتوقع أن تصل الجرأة بدوق غلوستر إلى حد حرمان ابنها من العرش، وكانت أقصى توقعاتها أن الدوق سيستغل نفوذه كوصي على العرش وحامي المملكة للقضاء على نفوذ عائلتها آل وودفيل، انتقاماً منها ولاستئصال السلطة التي احتكرتها عائلتها طوال عهد زوجها[3].

ويبدو انها اعتقدت أن الدوق ريتشارد غلوستر أراد من وراء التخلص من آل وودفيل الهيمنة على الملك الصغير، وتهيئة الأمور لإضفاء الشرعية على تسنم دوق غلوستر العرش تدريجياً، لاسيما أن دوق غلوستر عمد منذ وفاة أخيه إدوارد الرابع إلى

(1) John Ashdown-Hill, Op. Cit, p.267.
(2) Georges Minois, Richard III Le roi maudit, Charles Martel Publishing House, Perrine, London, 2020, p.364 – 367.
(3) Jacob Abbott, King Richard III, Kypros Press, London, 2017, p.363 – 365.

تكثيف تحركاته المريبة، وتبني خطاب سياسي مزدوج، فمن جهة أكد ولاءه المطلق للملك إدوارد الخامس عبر مراسلات رسمية إلى لندن، مبرراً إجراءاته كضرورة امنية لحماية الملك الشاب من هيمنة عائلة وودفيل عليه، ومن جهة أخرى باشر بتنفيذ عمليات إقصاء شاملة لخصومه السياسيين، وفي تلك الجزئية بالتحديد اعتقدت الملكة أن اعتقال مرافقي ليس إجراءً أمنياً فقط بل خطوة لتجريد اتباع الملكة إليزابيث من نفوذهم السياسي والعسكري[1]، الأمر الذي عزز الشكوك عند معارضي دوق غلوستر على وجود مخطط سري للانفراد بالسلطة تحت غطاء الوصاية.

وتزامن ذلك التحرك السياسي مع تشديد الحصار الميداني في لندن، بعد إصدار دوق غلوستر أوامر بمراقبة تحركات أفراد عائلة وودفيل واتباعهم في العاصمة، ورصد رئيس أساقفة كانتربري استنفاراً عسكرياً على ضفاف نهر التايمز لمنع فرار عائلة وودفيل من لندن، أما الملكة إليزابيث فاستمرت في ملاذها الآمن خلف أسوار دير وستمنستر ، في حالة شديدة الغرابة تحولت معها من الملكة الوالدة، وأم الملك الجديد، إلى لاجئة سياسية محطمة ويائسة، تعمل على تأمين حماية أبنها وريث العرش الثاني ريتشارد دوق يورك وبقية أبنائها، إزاء وضع سياسي شاذ أطاح بنفوذ عائلتها[2].

اتسم دخول ريتشارد غلوستر إلى لندن في الرابع من أيار بدهاء سياسي، إِذْ تمكن من استبدال موعد التتويج الرسمي من خلال تأخير وصوله إلى لندن ليتزامن مع يوم التتويج المحدد مسبقاً من لدن المجلس الملكي، ونجح دوق غلوستر في تعطيل الانتقال الفعلي للسلطة وتتويج الملك الصغير إدوارد الخامس مع الحفاظ على المظاهر الدستورية، وهو ما اتضح في الموكب الجنائزي المهيب الذي قاده، وحرص خلاله على إبراز الملك الشاب بعباءته الأرجوانية لاستقطاب مواطني لندن الموالين له، وتقمص الدوق دور التابع المخلص عبر إيماءات مدروسة بعناية ونداءات مستمرة ختمها قائلاً: **"ها هو أميركم وعاهلكم"**، وهكذا نجح دوق غلوستر في كسب ثقة مسؤولي البلاط الملكي وحشود المواطنين[3]، لكنه انتقل فور انتهاء ذلك الموكب إلى الاستحواذ على

(1) Clements R. Markham, Richard III: His Life and Personality, Smith Elder & Company Publishing, London, 1906, p.94 – 95.
(2) Richard Drewett & Mark Redhead, Op. Cit, p.119.
(3) Beth Marie Kosir, Richard III: A Study in Historiographical Controversy, Unpublished Master's Thesis, Master of Arts, Cleveland State University, Cleveland, 1978, p.33 – 37.

النفوذ الهيمنة على الأمور الإدارية داخل العاصمة، وفي مؤسسة العرش بالذات، واختار قصر الأسقف في كاتدرائية القديس بولس مقراً مؤقتاً له بدلاً من القصور التقليدية، لتثبيت شرعية مؤقتة له تحت رقابة الكنيسة والنبلاء، تزامناً مع تحويل المؤسسات الرسمية إلى أدوات لتنفيذ أجندته السياسية الطموحة تحت غطاء شرعيته بوصفه وصياً للملك وحامياً المملكة[1].

شكلَ ارسال الملك إدوارد الخامس إلى برج لندن للإقامة فيه تحولاً جوهرياً من الإقامة الملكية إلى نوع من الاعتقال السياسي، فمع أن برج لندن احد القصور الملكية، الا انه كان دائماً ما يستخدم لحجز أو سجن الخصوم السياسيين البارزين فيه، وبعد تأمين موقع برج لندن الذي فرار منه اللورد دورست وانحلال حامية آل وودفيل أحكمت قبضة ريتشارد على الملك الصغير بحجة الاستعداد للتتويج، وبذلك أصبح البرج من مقر للملك إلى أداة للحجز، وتحول الحرس الملكي عملياً إلى سجانين يأتمرون بأمر دوق غلوستر[2].

أما إدارياً فعمل مجلس اللوردات على إعادة هيكلة شاملة لمفاصل مؤسسة العرش وإداراتها بما يخدم تطلعات دوق غلوستر، وذلك بتعيين نخب موالية له، وإقصاء رموز العائلة الملكية السابقة الموالية لال وودفيل، وفي الوقت نفسه قام بتأجيل موعد التتويج إلى الثاني والعشرون من أيار لضمان استقرار التغييرات الجديدة، وقد مُنح دوق غلوستر في تلك المرحلة لقب "**اللورد الحامي**"، بتفويض مطلق منحه السيطرة على جميع صلاحيات الملك القاصر بما فيها القوات المسلحة والقضاء والخزانة، وتلك الإجراءات جعلت ريتشارد الحاكم الفعلي للبلاد بصفة قانونية[3].

أدت التغييرات السياسية في موازين القوى بين التكتلات والاحزاب المتصارعة والمتسارعة إلى حالة من الإرباك السياسي والارتباك العام في جميع الأقاليم الإنكليزية، فقد تبنى معظم النبلاء موقف محايداً تجنباً للاصطفاف إلى الجانب الخاسر إِذْ ساد بينهم ترقب مشوب بالحذر وعجزوا عن التنبؤ بما يؤل إِليهِ الصراع[4]. وفي الوقت نفسه ظلت

(1) M.J. Trow, Richard III in the North, Pen and Sword History Publishing House, London, 2020, p.243 – 245.
(2) A. Compton Reeves, Op. Cit, p.567.
(3) V. B. Lamb, Op. Cit, p.31.
(4) Charles Ginger & Adam Markiewicz, Richard III The Plantagenet family, Fourth Edition, Future Publishing Limited, London, 2022, p.49.

الملكة الأم في ملجئها الكنسي تعيش حالة من الخوف والرعب مما سيفعله دوق غلوستر بأبنها الملك الصغير الذي في قبضته، متمسكة بابنها الثاني ريتشارد دوق يورك الصغير ليس كابن فقط، بل كآخر ورقة شرعية وسياسية امتلكتها لمواجهة طموحات دوق غلوستر المتنامية[1].

أدرك ريتشارد دوق غلوستر أن منصب اللورد الحامي لا يلبي طموحه السياسي بل هو مرحلة مؤقتة محكومة بسقف زمني ينتهي بالتتويج أو بأفضل الأحوال بلوغ الملك الصغير سن الرشد، لذا ركز على تقويض أهلية الوريثين إدوارد الخامس وشقيقه الاصغر ريتشارد دوق يورك عبر مسارين قانونيين مختلفين[2]، أولهما الطعن في شرعية زواج شقيقه الملك الراحل إدوارد الرابع من إليزابيث وودفيل، فقد ادعى وجود ارتباط سري سابق للملك الراحل إدوارد الرابع معها، وانه تزوج سراً من السيدة إليانور تالبوت (Eleanor Talbot)[3]، والتي تعرف أيضاً تاريخياً باسم أرملة اللورد بتلر (Eleanor Butler)[4]. وهي ذريعة قانونياً هدفت إلى اتهام ابناء الملك السابق إدوارد الرابع بعدم الشرعية وبالتالي تجريدهم من حقهم في وراثة العرش، والمسار الثاني استهدف فرع شقيقه الثاني بعد إدوارد الرابع جورج دوق كلارنس، فاستغل دوق غلوستر مرسوم المصادرة الذي صدر بحق أخيه كلارنس سابقاً، ووفقاً للأعراف القانونية في تلك المدة، فإن المرسوم لم ينه حياة كلارنس فقط، بل شمل ذريته ايضاً لأن دوق كلارنس وفقاً للمرسوم أحدث فساداً يمنع انتقال حقوقه الوراثية إلى ذريته، مما فتح الطريق قانونياً أمام ريتشارد دوق غلوستر ليصبح الفرع النقي الوحيد المؤهل للعرش[5]، ولضمان نجاح

---

(1) Chris Skidmore, Op. Cit, p.623.

(2) Peter A. Hancock, Richard III and the Murder in the Tower, The History Press The Mill, Brimscombe Port, London, 2011, p.217.

3() (1436–1468) نبيلة إنگليزية، ابنة جون تالبوت الإيرل الأول لـ شروزبري، عُرفت تاريخياً بعد وفاتها بسبب الجدل حول شرعية عرش إنگلترا، حيث زُعم أنها كانت متزوجة سراً من الملك إدوارد الرابع قبل زواجه المعلن من إليزابيث وودفيل، وهو الادعاء الذي استغله ريتشارد الثالث لإعلان بطلان زواج الملك واعتبار أبنائه (أمراء البرج) غير شرعيين ليتولى العرش بدلاً منهم، للمزيد انظر: John A. Wagner, Bosworth Field to Bloody Mary, Early Tudor Encyclopedia, Greenwood Publishing Group, Westport, Connecticut, London, 2003, p.42 – 43.

(4) Michael Hicks,Op. Cit, p.395.

(5)Nne F. Sutton & Livia Visser – Fuchs, The Hours of Richard III, The History Press, London, 2024, p.191.

تحركاته عمل دوق غلوستر على التقرب من والدته الدوقة سيسيلي نيفيل (Cecilie Neville) في قلعة بايناردلمنع أي معارضة عائلية محتملة ولكسب غطاء أخلاقي لتحركاته، وبالوقت ذاته عمل على استكمل عملية التطهير السياسي لخصومه السياسيين من عائلة وودفيل عبر استمرار احتجاز زعماء العائلة في قلعة بومفريت شمال إنگلترا، والابقاء على الملكة الأم في عزلتها الاختيارية بالملجأ الكنسي، مما حول العاصمة لندن إلى فضاء خالٍ من أي قوى منافسه قادرة على عرقلة مشروعه السلطوي وطموحة في تسنم العرش[1].

شهدت المدة التي سبقت موعد تتويج الملك إدوارد الخامس بهيمنة الدوق ريتشارد غلوستر على جميع مؤسسات الدولة بخطوات مدروسة، عن طريق تغيير أماكن انعقاد المجالس الملكي بين وستمنستر والبرج ومقره الخاص، وكان لها دور في سحب البساط تدريجياً من تحت أقدام الملك الصغير، لاسيما الانتقال المكاني لعقد جلسات مجلس الملك، الذي لم يكن مجرد إجراء تنظيمي، بل لتحويل مقر إقامة دوق غلوستر الشخصي إلى المركز الفعلي للقرار[2]. ويبدو ان تلك الاجراءات كانت لإنهاء النفوذ السياسي الرمزي المتبقي للملك الصغير إدوارد الخامس في البرج ولتحويله من ملك شرعي إلى شخصية مهملة ومعزولة سياسياً ومعنوياً.

وفي مواجهة اللورد هاستنجز الذي قاده التكتل المعارض لسياسات ريتشارد المشبوهة للاستحواذ على العرش، انتهج دوق غلوستر أسلوب المباغتة والصاق التهم به للتخلص من معارضته لسياسته وخططه في الاستحواذ على العرش، ففي الثالث عشر من أيار اقتحم ريتشارد مجلس النبلاء في البرج بصورة مفاجئة وبأسلوب مفرط بالود والمرح غير المعتاد، ونجح في خداع النبلاء الموجودين في المجلس بطلبه الشهير لثمار الفراولة ففي حديثه الجانبي مع أسقف إيلي (Bishop of Eli)[3]، الذي كان ريتشارد

---

(1) Georges Minois, Op. Cit, p.371.

(2) Anne Easter Smith, This Son of York, Bellastoria Press, London, 2019, p.461.

3() (1420– 1491) رجل دين وسياسي إنگليزي، شغل منصب أسقف إيلي ثم مستشاراً للمملكة في عهد إدوارد الرابع، ويُعد الشخصية الأخطر في أزمة العرش عام 1483م، حيث شهد أمام البرلمان بأن الملك إدوارد الرابع كان قد ارتبط بـ "عقد زواج مسبق" وملزم قانوناً مع إليانور تالبوت، مما أدى لإبطال زواج الملك اللاحق وتجريد أبنائه من شرعية إرث العرش لصالح ريتشارد، للمزيد انظر: John A. Wagner, Op. Cit, p.254 – 255

يضمر النية لاعتقاله ايضاً مع اللورد هاستنجز طلب من الأسقف طبقاً من الفراولة من حديقته المشهورة، قائلاً "**يا سيدي الأسقف، بلغني أن لديك فراولة ممتازة في حديقتك بمقر إقامتك بـ 'هولبورن'؛ أتمنى لو سمحت لي بتذوق طبق منها**"[1]. وهو طلب أراد من ورائه خلق حالة من الارتياح الأمني وتبديد أي مخاوف لدى الحاضرين حول نواياه الحقيقية.

انتقل ريتشارد دوق غلوستر في غضون ساعة واحدة في المجلس من الدبلوماسية الهادئة إلى الإرهاب السياسي المخطط له، فبعد ان جهز جميع ممرات البرج بقوات مسلحة، عاد إلى المجلس بتبدل في أسلوبه من الودود جداً إلى الحاد جداً، محولاً أجواء جلسة المجلس الملكي من مناقشة الامور السياسية والادارية إلى محاكمة، وجه خلالها سؤالاً مباشراً إلى اللورد هاستنجز "**ما هو الجزاء العادل لمن يتآمرون لإهلاكي وتدمير حياتي؟**"، فأجاب هاستنجز ببراءة "**الموت هو جزاؤهم**"، حينها وجه ريتشارد اتهامه لهاستنجز في الجمع بين الملكة إليزابيث وعشيقته جين شور وتورطه معهما بالسحر الأسود[2].

فاستعرض دوق غلوستر ذراعه الضامرة وزعم أن سبب "**ذبول جسده**" استخدامهم طقوس سحرية تهدف لإنهاء حياته، فحاول هاستنجز تدارك الموقف قائلاً "**إذا ارتكبوا جريمة كهذه...**"، لكن كلمة "**إذا**" كانت الكلمة التي كان ينتظرها ريتشارد فاعتبرها تشكيكاً في اتهامه ومحاولة للدفاع عن ساحرات تآمرن ضد الدوق[3]. ليحول هاستنجز من حليف سابق إلى خائن، حينها ضرب ريتشارد طاولة المجلس بقوة وصرخ قائلاً: "**أتقول لي 'إذا'؟ أنا أقول لك إنهم فعلوا ذلك، وسأثبت صحة قولي على جسدك أيها الخائن!**"[4]، وهكذا انتهى الحوار وبدأت مرحلة التصفية الجسدية للخصوم السياسيين والمعارضين تحت طائلة اتهامات شتى دون دليل أو محاكمة، وما أن ضرب دوق غلوستر الطاولة حتى انطلق صياحاً بصوت عالي "**الخيانة**" وهي إشارة لجنوده لاقتحام

(1) F. Sutton & P.W. Hammond, Op. Cit, p.133.
(2) Zuzana Cervenková, The Three Lives of Richard III: A Comparison of the Different Literary and Historical Depictions of the Controversial King Richard III, Unpublished Master's Thesis, Palacký University Olomouc, Faculty of Arts, Department of English and American Studies, Czech Republic, 2024, p.16 – 19.
(3) Jacob Abbott, Op. Cit, p.117.
(4) Clements R. Markham, Op. Cit, p.123.

القاعة، التي تحولت إلى سجن محاصر، فأمر ريتشارد غلوستر باعتقال اللورد هاستنجز، الذي لم يستوعب الموقف وشملت حملة اعتقالات الدوق ريتشارد كبار النبلاء الموالين للشرعية الدستورية للملك الصغير إدوارد الخامس، ثم تم عزلهم وتوزيعهم على زنزانات متفرقة داخل البرج[1]، وأصر الدوق ريتشارد على الإعدام الفوري للورد هاستنجز قائلاً له: "**وحق ربي، لن أذوق طعاماً اليوم حتى يرتد إليّ نبأ قطع رأسك**"، ثم اقتيد لببورد هاستنجز إلى الساحة الخضراء المجاورة لكنيسة برج لندن، واستُخدمَ جذع شجرة ملقى في الطريق كمنصة إعدام بديلة، ثم فصل الجلاد رأس الدوق هاستنجز بفأس عريض، منهياً حياة أقوى المدافعين عن حقوق ابناء الملك السابق إدوارد الرابع في العرش[2].

ولم تقتصر تصفية المعارضين له في لندن بل امتدت إلى شمال إنگلترا، فتزامناً مع إعدام هاستنجز أُرسل أمر إلى الشمال بإعدام إيرل ريفرز وأقطاب عائلة وودفيل في قلعة بومفريت، وبتلك الاعدامات نجح دوق غلوستر في قطع خيوط التواصل بين أنصار الملك الصغير إدوارد الخامس في كافة أرجاء المملكة محكماً قبضته على مصير العرش الإنگليزي[3]، وبحلول مساء 13 أيار 1483 كان دوق غلوستر قد حقق أهدافه في عزل الملك الصغير بقطع رؤوس حماته ومستشاريه اللورد هاستنجز وإيرل ريفرز، وشل حركة الملكة إليزابيث التي ظلت لاجئة في دير وستمنستر دون سند عسكري أو سياسي لها، وأرهب الدوق البارونات عبر استخدامه القوة المفرطة والمباغتة في قلب برج لندن[4].

أدرك ريتشارد أنه حتى لو نجح في إزاحة الملك إدوارد الخامس، فإن الأنظار والولاءات ستتجه تلقائياً نحو شقيقه الأصغر ريتشارد دوق يورك بوصفه الوريث الشرعي التالي، لأن دوق يورك يظل العقبة الدستورية الوحيدة التي تمنع ريتشارد من التقدم بصفته الوريث الشرعي، لأنه حتى مع خطته في الطعن بشرعية زواج إدوارد الرابع من إليزابيث وودفيل، فأن حصول ريتشارد دوق غلوستر على الطفل دوق يورك ضرورة وجودية لنظامه السياسي، لأنه يمثل تهديداً وجودياً لاستمرار حكمه، فبقاء ريتشارد

(1) Beth Marie Kosir, Op. Cit, p.41.
(2) Alison Prince, The Lost King Richard III and the Princes in the Tower, Bloomsbury Publishing Plc, London, 2014, p.39.
(3) M.J. Trow, Op. Cit, p.249.
(4) Charles Ginger & Adam Markiewicz, Op. Cit, p.53.

الصغير في عهدة الملكة يعني بقاء الشرعية خارج متناول يده، وفي مشاوراته السرية مع قادته صرح ريتشارد دوق غلوستر عن هذا مخاوفه بوضوح قائلاً "**لابد لي، وبأي ثمن ومهما بلغت المخاطر، من الحصول على ريتشارد الصغير**"[1]، ولتحقيق غايته بالاستحواذ على ابن أخيه إدوارد الرابع الملك السابق وشقيق الملك إدوارد الخامس دعا ريتشارد دوق غلوستر إلى مجلس كبير ضم نبلاء المملكة وكبار مسؤولي الدولة وطرح مسألة نقل دوق يورك ريتشارد الصغير من حضانة والدته إلى حضانة الوصي لكي يكون مع أخيه، فأيد معظم النبلاء طلب دوق غلوستر لكن جميع الأساقفة ورؤساء الأساقفة الذين كانوا بحكم كونهم رجال دين يؤمنون إيماناً راسخاً بقدسية المكان المقدس وحرمته عارضوا خطة نقل الدوق إلا بموافقة والدته[2].

رد النبلاء الموالين لدوق غلوستر على اعتراض الأساقفة بأن الملاذ مكان يلجأ إِليهِ الأفراد هرباً من العقاب في حال ارتكابهم جريمة، وفي حال عدم وقوع جريمة وعدم توجيه أي اتهامات فإن ذلك المبدأ لا ينطبق على دوق يورك، وبعبارة أخرى فإن الملاذ مخصص للرجال والنساء الذين ارتكبوا جرائم أو كان من المفترض أن يكونوا مذنبين بارتكاب انتهاكات للقانون، ولكن بما أن الأطفال لا يمكنهم ارتكاب أي جريمة تستدعي اللجوء فإن امتيازات اللجوء لا تشملهم[3].

ساد ذلك الرأي في الموضوع وتم رفض رأي الأساقفة ورؤساء الأساقفة وصدر أمر من المجلس يسمح للورد الحامي بالاستيلاء على ابن أخيه دوق يورك وإخراجه من ملاذه بالقوة إذا لزم الأمر[4]، وفي محاولة لتفادي المواجهة المباشرة التي قد تثير حفيظة الكنيسة والشعب، برز رئيس أساقفة كانتربري كوسيط فقد سعى رئيس الأساقفة إلى استبدال القوة القسرية بإقناع والدته بتسليمه طواعية، لذا قاد رئيس الأساقفة وفداً رسمياً إلى قاعة القداس في الدير لمواجهة الملكة إليزابيث والضغط عليها، وقد اعتمد خطاب الوفد على تقديم ضمانات شفهية أكد فيها أنه سيكون في أمان تام هناك تحت رعاية عمه اللورد الحامي، مصوراً خروجه كضرورة ليكون بجانب شقيقه الملك إدوارد الخامس، بينما كان الهدف الحقيقي تجريد الملكة من آخر ضمانات حمايتها السياسية عبر تفكيك

---

(1) Peter A. Hancock, Op. Cit, 219.
(2) Desmond Seward, Richard III England's Black Legend, For Reersby and Penelope Sitwell Publishing, New york, 2013, p.166.
(3) Nne F. Sutton & Livia Visser – Fuchs, Op. Cit, p.197.
(4) Anne Easter Smith, Op. Cit, p.467.

وحدتها الأسرية داخل أسوار الدير[1].

أدركت الملكة أنه لا مفر لها من الاستسلام لمصيرها والتخلي عن ابنها، وبتردد أعطت موافقتها في النهاية، أحضر ريتشارد فأخذته والدته بيده وخاطبت رئيس الأساقفة والوفد مرة أخرى، قائلة: "**سيدي وجميع السادة الحاضرين لن أشك مطلقاً في وعودكم التي قطعتموها أمامي، أو أن أعتقد أنكم تتعاملون معي بغير إنصاف وشرف ها هو ذا ابني أسلمه إليكم واجعله في عهدتكم، ولا شك عندي أنه سيكون بأمان هنا تحت رعايتكم**"[2]، ثم قالت للوفد "**أعلم أنكم أمناء وصادقون فيما تنوون ولكم القدرة على حماية الأطفال فإن كنتم ترونني قلقه أكثر من اللازم وخائفه أكثر من اللازم فاحذروا أنتم أيضاً من التهاون في الخوف**"، أصبح كل شيء تحت سيطرة ريتشارد الآن، تم تسليم ريتشارد الصغير دوق يورك إلى عمه ريتشارد دوق غلوستر في السادس عشر من أيار، وكان الموعد المحدد للتتويج الثاني والعشرين من الشهر نفسه أي قبل ستة ايام من موعد التتويج[3].

قبيل الموعد المحدد لتتويج الملك إدوارد الخامس، أطلق ريتشارد دوق غلوستر حملة دعاية استهدفت تشويه سمعة أخيه الراحل إدوارد الرابع، واستندت تلك الدعاية إلأى محورين، الأول التشهير الأخلاقي، إِذْ أن ريتشارد دوق غلوستر وظف حملة دعائية لنشر روايات ضخمت مفاسد الملك الراحل إدوارد الربع وانحلاله الأخلاقي، وفي الوقت ذاته صورت الدعاية دوق غلوستر بالفضيلة ومنقذاً المملكة من التبعات الأخلاقية لعهد أخيه، واتخذ دوق غلوستر من علاقة جين شور عشيقة الملك السابق إدوارد الرابع وسيلة رمزية لتجسيد ذلك التوجه، وتهيئة الرأي العام لتقبل الطعون في شرعية أبناء الملك[4].

أما المحور الثاني فتمثل في الإبطال القانوني لزواج الملك السابق إدوارد الرابع من الملكة إليزابيث وودفيل إِذْ أثار ريتشارد دوق غلوستر قضية ارتباط الملك السابق إدوارد الرابع مسبقاً باللوردة إلينور تالبوت قبل زواجه من إليزابيث وودفيل، وبموجب ذلك

---

(1) Alison Prince, Op. Cit, p.45.

(2) Gordon McKelvie, The Bastardy of Edward V in 1484: New Evidence of its Reception in the Inquisitions Post Mortem of William, Lord Hastings, Research published in Royal Studies, Volume 3, Issue 1, University of Manchester Press, Manchester, 2016, p.74 – 75.

(3) Desmond Seward, Op Cit, p.171.

(4) Annette Carson, Richard III The Maligned King, The History Press, London, 2017, p.87 – 89.

الادعاء وجدت ثغرة قانونية مفادها أن زواج الملك الثاني أوقعته في شرك تعدد الزوجات الذي كان في الكاثوليكية عملاً منافياً للشرع، أي أن زواجه بإليزابيث وودفيل باطل كونه حصل وانه متزوج، مما يترتب عليه تجريد الأبناء تلقائياً من صفة الشرعية ومن حقوق الميراث السياسي ايضاً[1].

اعتمد ريتشارد في توثيق تلك الرواية على شهادة أسقف ادعى إتمام ذلك الزواج السري، وذلك ادعاء تم استغلاله ببراعة لتفسير سجن الأسقف سابقاً كنوع من قمع الحقيقة فبدلاً من كونه إجراءً عقابياً عادياً، وبذلك التلفيق الممنهج نجح ريتشارد دوق غلوستر في تحويل المسألة من صراع على السلطة إلى قضية استحقاق قانوني وأخلاقي، واضعاً الرأي العام أمام رواية تجعل من إزاحة الأبناء ضرورة لتصحيح خطأ قانوني وتطهير البلاط من إرث فاسد، وذلك مهد الطريق نهائياً لإعلان بطلان ولاية الملك إدوارد الخامس[2]، ففي خطوة موازية للتعبئة الجماهيرية عمل دوق غلوستر على تأسيس مجلس تشريعي في وستمنستر، فدعا إلى اجتماع موسع ضم كبار رجال الدولة من لوردات ورجال دين، لعقد اجتماع برلماني دون أن يمتلك الصفة الرسمية لعقده، تفادياً للمعضلة القانونية التي قضت أن "**البرلمان لا ينعقد إلا بوجود ملك شرعي**"، وتولى دوق باكنغهام إدارة الاجتماع لضمان مخرج سياسي لدوق غلوستر، لتمرير قرار خلع الملك وأظهاره كرغبة عامة صادرة عن كبار الدولة وليس انقلاباً فردياً[3].

رأى معظم المؤرخين أن توقيت ظهور قصص فجور إدوارد الرابع قبل أيام فقط من التتويج ابنه إدوارد الخامس يشير بقوة إلى أنها كانت مؤامرة سياسية محكمة، لاسيما أن دوق غلوستر لم يقدم اتهاماته أمام محكمة كنسية للنظر بصحتها، بل نشرها في الشوارع وعبر الخطباء لإثارة الرأي العام.

بناءً على تلك الاجراءات عمل ريتشارد من اجل استكمال أركان التحول السياسي عبر كسب الشرعية الدينية المتمثلة بالموافقة الكنسية مع الشرعية السياسية عبر اجتماع كبار اللوردات في وستمنستر، الأمر الذي مهد الطريق لإعلان بطلان شرعية

(1) G . W. O. Woodward, Op. Cit, p.36.

(2) Ainsl Vale Monde, The Private History of The Court of England, Vol. II., B. Crosby & Co., London, 1808, p.158 - 159.

(3) Michael Hicks, Post-mortem investigation calendar And other Analogous Documents preserved in The National Archives, Vol 53, Edward V to Richard III 1483 – 1485, The Boy dell Press, London, 2021, p.179.

تولي الملك إدوارد الخامس العرش بحجة العيوب القانونية في نسبه، عندها تحول ريتشارد دوق غلوستر من حامي للعرش إلى صاحب الحق بتولي العرش[1].

اكتملت تحركات ريتشارد دوق غلوستر بمباركة جماعية لاختياره في اجتماع وستمنستر الذي غابت عنه المعارضة بفعل التصفية التي قام بها منذ بداية تحركه بعد وفاة شقيقه الملك إدوارد الرابع، وصيغت وثيقة سياسية ذات نبرة وطنية، ذُكِرَتْ فيها جميع المخالفات والحجج القانونية السابقة في خطابٍ ارتكزٍ على إبطالِ أحقية ابناء الملك إدوارد الرابع بوراثة العرش بسبب عدم شرعية زواجه بأمهما إليزابيث، كما استبعدت الوثيقة فرع دوق كلارنس من وراثة العرش بموجب قرار المصادرة الصادر بحقه بتهمة الخيانة العظمى، الذي وفقاً للقانون حرمَ ذريته من المطالبة بحقوق وراثة الألقاب والمناصب، حينها اختير ريتشارد دوق غلوستر بوصفه الوريث الشرعي الوحيد الذي استمد حقه من النسب السلالي غير المشكوك فيه والإرادة الشعبية المتمثلة في معظم النبلاء ورجال الدين[2].

نجح ريتشارد دوق غلوستر في شرعنة استحواذه على العرش، وتحويل صراعه على السلطة إلى قضية شرف وطني وديني، وبعد نجاحه أعلن نفسه ملكاً تحت اسم ريتشارد الثالث استنادً إلى قوانين إنگلترا التي نصت على أنه لا يمكن أن يتسنم عرشها أبناء غير شرعيين أو ملك فاسد، وهو ما نجح ريتشارد الثالث في نشره باتهام شقيقه الملك الراحل بالفساد، ونعت ابنائه بغير الشرعيين[3].

كانت المدة الممتدة بين وفاة الملك الراحل إدوارد الرابع وتنصيب ريتشارد الثالث في 26 حزيران حالة فريدة في التاريخ الإنگليزي، فمن الناحية القانونية صُنف إدوارد الخامس ملكاً طيلة الأشهر الثلاثة التي تلت وفاة والده إدوارد الرابع، إلا أن ذلك الاستحقاق الدستوري اصطدم بكونه قاصراً لم يتمكن من إدارة المملكة، رغم تنصيبه بصورة قانونية[4]، وأخيراً بعد انتهاء المراسم في المدينة عاد الملك ريتشارد الثالث إلى

(1) Gairdner, Op. Cit, p.49 – 51.
(2) John Heneage Jesse, Memoirs of King Richard The Third and Some of His Contemporaries,Vol.1, Francis P.Harper, New York, 1894, p.p.119.
(3) Charles Roes, Richard III, published by Eyre Methuen Ltd, Great Britain, 2011, p.165.
(4) E. Sandham, The History of Elizabeth Woomdville or The Wars of The Houses of York and Lancaster, E. Wallis Co., London, 1822, p.111.

وستمنستر واتخذ من القصر الملكي مقرا لإقامته، وأثناء عودته أرسل المبشرون إلى جميع المراكز الكبرى في لندن وما حولها لإعلانه ملكاً[1].

أعلن ريتشارد ملكاً في السادس والعشرين من حزيران 1483، وكان الملك إدوارد الرابع قد توفي قبل ذلك بثلاثة أشهر تقريباً، وأثناء تلك الأشهر الثلاثة كان إدوارد الخامس نظرياً ملكاً لإنگلترا مع أنه طوال تلك المدة لم يمارس أياً من حقوقه أو امتيازاته الملكية بل كان أسيراً عاجزاً في أيدي أُناسٍ زعموا حمايته بينما كانوا في الحقيقة أعداءه الالداء[2].

بعد تنصيب ريتشارد الثالث ملكا لإنگلترا بأيام[3]، اختفى ابني أخيه الملك إدوارد الخامس وشقيقه دوق يورك ريتشارد، ولم تتم رؤيتهما على قيد الحياة بعد ذلك، ومن الواضح أن الملك ريتشارد الثالث أمر بقتلهما ودفنهما في برج لندن، مما اثار اشمئزاز الشعب من الملك ريتشارد الثالث، فأطلق عليهما تسمية أميري البرج[4].

واعتقد اغلب الباحثين أنهم قتلوا ودفنوا في فناء تحت درج برج لندن، وهو ما تأكد عام 1626 اثناء ترميم برج لندن، فقد وجد هيكلين عظميين لصبيين في فناءٍ تحت الدرج، لذا أعتقد معظم الباحثين أن الهيكلين العظمين يعودان إلى الأميرين المغدورين[5].

المبحث السادس

(1) Alfred O. Legge, The Unpopular King The Life and Times of Richard III, Vol. II, Ward and Downey Co., London, 1885, p.39.

(2) Paul Murray Kendall, Richard III, New York, 1955, p.240–250.

(3) هناك خطاب أرسله الملك ريتشارد الثاالث إلى اللورد المستشار (حارس الختم العظيم) جون راسل في 29 تموز 1483، يعطي فكرة عن الاجراءات المالية والإدارية المتبعة في عهده، أنظر مخطوطة رقم **(13)**.

(4) Freda Warrington, The Court of the Midnight King A Dream of Richard III, Bloodwyn Publishing House, London, 2014, p.319.

(5) Michael Hicks, Post…, p.217.

التمردات والمؤامرات على العرش الإنكليزي في عهد الملك ريتشارد الثالث 1483-1485

أولاً: **تمرد اللورد هنري ستافورد دوق باكنغهام**:

اشتهرت مقولة في العصور الوسطى مفادها أنه: "**في صراع العروش، قد يصبح صانعُ الملوك أولَ ضحاياهم**" وجسدت تلك المقولة واقع الصراع السياسي في تلك المدة، وإنطبقت تماماً على اللورد هنري ستافورد، الذي عمل جاهداً من اجل إيصال الملك ريتشارد الثالث إلى العرش، قبل أن يتحول إلى أولى ضحايا ذلك الصراع.

شهد التاريخ الإنكليزي بعد عدة أشهر من تنصيب الملك ريتشارد الثالث عام 1483، إحدى أخطر حركات التمرد التي هزت العرش الإنكليزي على إثر الصراعات المرتبطة بتتويجه، ولم تكمن خطورة التمرد في عجز مؤسسة العرش عن احتوائه أو إخماده، بقدر ما تمثلت في طابع التمرد المفاجئ، إِذْ جاء أشبه بعاصفة سياسية وعسكرية أربكت أركان الحكم الإنكليزي، وزادت خطورته بسبب هوية قائده، إِذْ كان المتمرد اللورد هنري ستافورد، أحد أقرب مقربي الملك ريتشارد الثالث وداعميه، فقد مارس دوراً محورياً في إيصاله إلى العرش، وبذل جهوداً كبيرة في تثبيت حكمه، حتى لقب بـ "**صانع الملوك**"، مما جعل تمرده مفاجأة سياسية كبرى لم يكن الملك ريتشارد الثالث ولا معاصروه يتوقعونها، فتحول من أبرز مناصري الملك ريتشارد في صعوده إلى أول المتمردين عليه[1].

شكل إعلان هنري ستافورد تمرده[2] على الملك ريتشارد الثالث صدمة سياسية كبيرة هزت البلاط الإنكليزي وأثارت استغراب معاصريه، بمن فيهم أنصار البيت اللانكستري، وعجز الجميع عن تفسير الدافع الحقيقي وراء تحوله المفاجئ من حليف مخلص ومستعد للدفاع عن الملك حتى النهاية، إلى خصمٍ يسعى إلى إسقاطه، ورأى معظم الباحثين أن انقلاب دوق باكنغهام على الملك لم يكن بسبب عامل واحد، بل حصيلة مجموعة أسباب سياسية وشخصية متداخلة، دفعته إلى إعلان التمرد وقيادة تحرك عسكري ضد ريتشارد الثالث، ولعل أبرز تلك الاسباب شعوره بخيبة الأمل من

---

(1) F. Sutton & P.W. Hammond, Op. Cit, p.193.

(2) خطاب أرسله الملك ريتشارد الثالث في 12 تشرين الأول 1483 إلى أحد مستشاريه حول تمرد دوق باكنغهام هنري ستافورد، أنظر مخطوطة رقم **(14)**.

المكاسب التي حصل عليها بعد تتويج الملك، إِذْ توقع الحصول على امتيازات ومنح أوسع وأكثر أهمية مما منح له فعلياً[1].

ورأى بعض الباحثين أن اكتشاف هنري ستافورد مصير الأميرين، ومعرفته بمقتل ابني الملك الراحل إدوارد الرابع، كان من الاسباب التي دفعته إلى الانقلاب على الملك ريتشارد الثالث، إِذْ تولد لديه شعور بالذنب بسبب الدور الذي أداه في حرمان الأميرين من حقهما الشرعي في العرش، عن طريق دعمه ريتشارد الثالث ومساندته في الاستيلاء على الحكم، ومن ذلك المنطلق عُدَ تمرد دوق باكنغهام على الملك محاولة للتكفير السياسي والأخلاقي عن مشاركته السابقة في تمكينه من اعتلاء العرش[2].

وذهب بعض المؤرخين إلى أن السبب الرئيس وراء إعلان هنري ستافورد تمرده على الملك ريتشارد الثالث يعود إلى التأثير الذي مارسه الأسقف جون مورتون (Bishop John Morton) (1420 – 1500)، الذي اعتقل بأمر من الملك ريتشارد الثالث مع اللورد هاستنجز، الذي سبقت الإشارة إليه، وقد أُوكلت مهمة الإشراف على احتجاز مورتون إلى دوق باكنغهام، وان ذلك أتاح للأسقف فرصة التأثير في الدوق وإقناعه بالانقلاب على الملك والانضمام إلى حركة التمرد ضده[3]، والحقيقة أن التفسير الأقرب لفهم تصرفات هنري ستافورد في تشرين الأول 1483 تمثل في طموحه بإعتلاء عرش إنگلترا بنفسه، فمع أن حقه في العرش كان محدوداً، لكونه ينحدر من نسل الابن الأصغر للملك إدوارد الثالث، فإن بعض المعاصرين عدوا مطالبته أقوى نسبياً من مطالبة هنري تيودور، الذي ارتبطت شرعيته بإشكالات نسبية من جهتي الأب والأم، وفي ذلك السياق يبدو أن باكنغهام رأى في نفسه صانع ملوك جيد، وربما سعى إلى توظيف الاضطرابات السياسية لتحقيق طموحه الشخصي في الحكم، وذهب بعض الباحثين إلى احتمال تورطه في مقتل الأميرين المحتجزين في برج لندن، كما اعتقد أنه تعمد توفير الحماية لجون مورتون، الذي اعتقل آنذاك إِذْ نقله سراً إلى أملاكه في بريكون على الحدود الويلزية، وذلك أتاح لمورتون فرصة مواصلة اتصالاته وتحركاته السياسية المناهضة للملك ريتشارد الثالث[4].

---

(1) David Hipson, Op. Cit, p.174.
(2) Sir Clements R. Markham, Op. Cit, p.129.
(3) G . W. O. Woodward, Op. Cit, p.47.
(4) Beverly Margaret, Op. Cit, p.511.

لم يكن هنري ستافورد يقود تمرده ضد الملك ريتشارد الثالث بصورة منفردة أو بمعزل عن القوى السياسية المعارضة الأخرى، بل عمل على تنظيم شبكة من التحالفات السياسية والعسكرية بهدف ضمان تفوقه وتمكينه من تحقيق أهدافه في الإطاحة بالملك، ومن أبرز تلك التحالفات تحالفه مع عائلة وودفيل، أسرة الملكة إليزابيث وودفيل زوجة الملك الراحل إدوارد الرابع، التي حملت عداءً شديداً تجاه ريتشارد الثالث بسبب الإجراءات التي اتخذها بحقها وبحق أبناء إدوارد الرابع، كما تحالف دوق باكنغهام مع اللانكستريين بقيادة هنري تيودور ووالدته مارگريت بوفورت، الذين استمروا في معارضتهم لريتشارد الثالث ضمن سياق الصراع المستمر بين أسرتي لانكستر ويورك في إطار حرب الوردتين، التي كانت لا تزال تلقي بظلالها على الحياة السياسية الإنگليزية في تلك المدة[1].

لم يكن الحظ حليف المتمردين، إذْ حدثت انتفاضة كِنت قبل موعدها المحدد بنحو عشرة أيام، ما أربك خطط التنسيق العسكري والسياسي، وفي ذلك السياق، صادف أن جون هوارد دوق نورفولك (John Howard, Duke of Noverlook)[2]، كان يقوم بجولة في ممتلكاته التي استحوذ عليها حديثاً في مناطق موبراي بسري وساسكس، حين تلقى معلومات تفيد بأن رجال كِنت قد تحركوا وصعدوا نحو منطقة ويلد (Weald) [3].

مكنت المعلومات المبكرة دوق باكنغهام من التحرك بسرعة للسيطرة على معابر نهر التايمز في منطقة غريفزند، بما أتاح له عرقلة أي محاولة لعبور النهر، إلى جانب استدعاء قواته لتعزيز حماية لندن، وإبلاغ حلفائه في لينكولن بتطورات الوضع، وبالمقابل اشارت المصادر إلى أن جهاز الاستخبارات التابع للملك ريتشارد الثالث الذي راقب تحركات هنري ستافورد بصورة مسبقة قد زود البلاط الملكي بمعلومات أولية عن التمرد قبل وصول التحذيرات الرسمية من دوق نورفولك، ومع ذلك فإن نبرة الرسالة التي ارسلها ريتشارد الثالث إلى مستشاره في 12 تشرين الأول دلت على أن خبر انشقاق دوق

---

(1) Griff Hosker, Op. Cit, p.435.

2() (1425 – 1485) نبيل وجندي إنگليزي مخلص لبيت يورك، عُيّن قائداً بحرياً ومستشاراً مقرباً للملك إدوارد الرابع، وأدى دوراً حاسماً عام 1483م في دعم صعود ريتشارد الثالث إلى العرش بعد إعلان عدم شرعية أبناء إدوارد الرابع، فكافأه ريتشارد بمنحه لقب دوق نورفوك، وظل وفياً له حتى قُتل معه وهو يقاتل في معركة بوسورث، للمزيد انظر: John A. Wagner, Op. Cit, p.119 – 120.

(3) Caroline A & Halsted, Op. Cit, p.593.

باكنغهام عنه شكلت صدمة غير متوقعة له على المستويين الشخصي والسياسي، واظهرت الرسالة شعور الملك ريتشارد الثالث بمرارة عميقة وخيبة واضحة، واصفاً دوق باكنغهام بأنه من أكثر النبلاء خيانة، معلناً عن استغرابه من تحول حليف سابق إلى خصم مباشر رغم ما جمعهما من مصالح[1].

أتاح التحرك السريع لدوق نورفولك في محيط لندن للسلطة الملكية فرصة إعادة توجيه قواتها وتركيزها ضد التهديد القادم من هنري ستافورد في ويلز، وفي وقت مبكر من 11 تشرين الأول شرعَ الملك ومستشاروه في إرسال توجيهات عاجلة إلى أنصارهم في مناطق بعيدة مثل يورك ولانكشاير بالتصدي لخطر المتمردين، وحشدَ جورج ستانلي قوة عسكرية وأصدر أوامر إضافية بجمع مزيد من القوات في مدينة ليستر في 21 تشرين الأول لمواجهة التمرد[2].

كان فشل حملة هنري ستافورد في ويلز أشد وقعاً على حركة التمرد، إِذْ ساهم في تسريع انهيارها الميداني وإضعاف قدرتها على الاستمرار، وأشارت بعض المصادر إلى أن أسرة ستافورد كانت موضع سخط محلي واسع بسبب ما نسب إليها من قسوة في الإدارة وممارسات إقطاعية قمعية، وبناءً على ذلك فإن القوات التي تمكن الدوق من حشدها امتازت بعدم التجانس والتردد إِذْ كانت في جزء كبير منها وحدات مجندة على نحوٍ متعجل وتعاني من ضعف الحافز والانضباط، وذلك الأمر جعلها أقل استعداداً للمواجهة وأكثر ميلاً للتفكك عند أول اختبار عسكري جدي[3]، وقد أتاح فشل دوق باكنغهام في ويلز فرصة لعدد من حاشيته الويلزية للتعبير عن عداء صريح تجاهه، وفي ذلك السياق وجه السير توماس فوغان من تريتاور وإخوته ضربة موجعة لهيبة باكنغهام في منطقته عن طريق الاستيلاء على قلعة الدوق في بريكون ونهبها[4].

قام السير همفري ستافورد من غرافتون في ووسترشاير بإغلاق المنافذ المباشرة عبر نهر سيفرن العلوي المؤدية من ويلز، بما في ذلك تعطيل بعض الجسور في محاولة لعرقلة حركة قوات دوق باكنغهام، ومارست الظروف الجوية دوراً حاسماً في مسار الأحداث، إِذْ شهد الخامس عشر من تشرين الأول عاصفة شديدة وغير معتادة ضربت

---

(1) Charles Roes, Op. Cit, p.231.
(2) Thomas More, Op. Cit, p.29.
(3) رشا قنديل الحاجم، المصدر السابق ص195.
(4) M.J. Trow, Op. Cit, p.262.

غرب إنگلترا، وأدت إلى فيضانات واسعة في الأنهار لا سيما نهر سيفرن مما حال دون تمكن دوق باكنغهام ورجاله من العبور واستكمال تحركاتهم الميدانية، وفي ظل ذلك الانهيار العملياتي اضطر الدوق إلى التفرق عن قواته فشق طريقه منفرداً نحو شروبشاير، ولجأ إلى أحد أتباعه في منطقة ويم يدعى رالف بانستر[1]، وسواء كان ذلك بدافع الخوف أو الطمع فسرعان ما تعرض الدوق للخيانة من لدن رالف بانستر الذي سلمه إلى قوات الملك في سالزبوري، وبعد القبض عليه رفض الملك ريتشارد الثالث منحه أي فرصة للمثول بين يديه، واتخذ قراراً بإعدامه في اليوم التالي الذي وافق 2 تشرين الثاني، مُنهياً تمردة بسرعة وكفائة ملحوظتين[2].

أثارت أنباء أعدام دوق باكنغهام والتقدم السريع للملك ريتشارد الثالث على رأس جيشه حالة من الإحباط والانهيار في صفوف بقية المتمردين الذين راقبوا منذ أيام طويلة وصول أخبار تقدم قوات دوق باكنغهام أو تدخل قوات هنري تيودور، ومع تحرك الملك بسرعة نحو الجنوب وصل إلى ساحل دورست في بريدبورت ثم اتجه غرباً نحو إكستر ووصل إليها في الثامن من تشرين الثاني، فتفككت صفوف التمرد بشكل واسع، وهرب معظم القادة في الجنوب الغربي إلى فرنسا، ولم يقع في قبضة الملك سوى السير توماس سانت ليجر، الذي أُعدم في إكستر في 13 تشرين الثاني، وفي السياق نفسه تشتت أسطول هنري تيودور الصغير القادم من بريتاني بفعل رياح الخريف العاتية، ولم يتمكن من الوصول سوى عدد محدود من سفن ذلك الأسطول قبالة الساحل الإنگليزي قرب بليموث، ومع وصول الملك مبكراً إلى المنطقة وتعزيز السيطرة على السواحل أصبح أي إنزال عسكري غير ممكن عملياً، فاضطر هنري تيودور إلى الانسحاب بأسطوله مجدداً إلى فرنسا[3].

لم تشهد المنطقة الجنوبية الشرقية أي مقاومة مسلحة تذكر، ووصمدت قلعة بوديام لمدة وجيزة قبل أن يتمكن توماس هوارد إيرل سري من السيطرة عليها وإنهاء مقاومتها، وفي تلك الأثناء لم يدفع سوى عدد محدود ثمن المشاركة في التمرد بأرواحهم، فأُعدم السير جورج براون ووليام كليفورد وعدد من أنصار الملك في لندن، في حين هرب معظم القادة إلى الخارج أو حصلوا على عفو ملكي، وبحلول 25 تشرين الثاني، كان

(1) Desmond Seward, Op. Cit, p.224.
(2) John Ashdown-Hill, Op. Cit, p.269.
(3) Annette Carson, Op. Cit, p.321.

الملك ريتشارد الثالث قد عاد إلى لندن، بعد أقل من ستة أسابيع من تلقيه أولى أخبار التمرد[1].

ثانياً: تمرد أيرل ريتشموند تمرد هنري تيودور (Henry Tudor Earl of Richmond) (2) 1485:

شهدت إنكلترا أثناء عام 1485 تطورات دراماتيكية معقدة شابتها المؤامرات التي احيكت على العرش قبيل التمرد، فقد حاصر الملك ريتشارد الثالث آخر ملوك بيت يورك الشائعات حول الشرعية والاتهامات الصامتة باختفاء ابني شقيقه الراحل الملك إدوارد الرابع في البرج، مما جعل تاجه يترنح فوق رأسه مثقلاً بالهموم والشك والخوف من الخيانة والغدر[3]، وفي الوقت نفسه ومن وراء البحار في منفاه الفرنسي كان هنري تيودور سليل بيت تيودور الغائب، الذي تحول فجأة من مجرد طريد سياسي إلى الأمل الأخير لجميع الناقمين على حكم الملك ريتشارد الثالث، فلم يكن تيودور يمتلك جيشاً جراراً، لكنه كان يحمل طموحاً يغذيه الدعم الفرنسي، وولاءات متذبذبة لبارونات ونبلاء إنكليز ينتظرون اللحظة المناسبة لتغيير معسكراتهم [4].

تجمعت عوامل عدة سياسية واجتماعية وشخصية جعلت من تمرد هنري تيودور عام 1485 أمراً حتمياً، فلم يكن تمرد هنري تيودور مجرد طموح شخصي بالعرش فقط، بل كان نتيجة لأزمة سياسية عميقة تعيشها إنكلترا، منها اغتصاب ريتشارد الثالث للعرش من الوريث الشرعي إدوارد الخامس ابن شقيقه الملك إدوارد الرابع عام 1483 كان السبب المباشر في إضعاف موقف الملك ريتشارد، حيث عزل ابن شقيقه الصغير إدوارد وأعلن أنه غير شرعي، بعدها اختفاء إدوارد الخامس وشقيقه الأصغر ريتشارد دوق يورك في برج لندن واللذان عرفا بـ "**أميرا البرج**"، فقد انتشرت شائعات قوية

---

(1) Jacob Abbott, Op. Cit, p.143.

(2) (1457–1509) هو ملك إنكلترا من 1485 إلى 1509 ومؤسس أسرة تيودور الحاكمة، تكمن أهميته التاريخية في إنهاء حرب الوردتين الأهلية بعد هزيمته الملك ريتشارد الثالث في معركة بوسورث (1485)، وتوحيد البلاد تحت راية ملكية قوية، تزوج من إليزابيث يورك، ليجمع بين عائلتي لانكستر ويورك المتناحرتين للمزيد انظر: James Gairdner, Henry VII in Dictionary of National Biography, Vol. 26, Smith Elder & his partners, London,1891, p.67 – 77.

(3) J.O. Halliwell, Reign of King Edward the Fourth, Camden Society, London, 1839, 43.

(4) David Rees, The Son of Prophecy Henry Tudor's Road to Bosworth, John Jones Publishing Ltd, Wales, 1997, p.99 – 101.

تتهم الملك ريتشارد الثالث بقتلهما، تلك الشائعات أفقده دعم الكثير من النبلاء، وخاصة الموالين لآل يورك لأنهم وجدوا في تصرفه باغتصاب العرش غدراً لا يمكن التغاضي عنه[1]، والعامل الآخر الذي أدى إلى قيام هنري تيودور بالتمرد هو تمرد دوق باكنغهام أواخر عام 1483 الذي رغم فشله وإعدام باكنغهام، لكنه تحول إلى عامل مهم في تقوية معسكر هنري تيودور، بعد فرار عدد كبير من البارونات والنبلاء من آل لانكستر ويورك وسواهم للانضمام إلى معسكر هنري تيودور خوفاً من التصفية السياسة بتهمة الخيانة التي كانت جاهزة لكل من يعارض الملك ريتشارد، مما سهل الاندماج بين النبلاء الداعمين لبيت يورك والداعمين لبيت لانكاستر، فظهرت جبهة معارضة قوية موحدة لم تكن موجودة من قبل[2].

ونجحت مارگريت بوفورت (Margaret Beaufort)[3] والدة هنري تيودور وإليزابيث وودفيل أرملة الملك إدوارد الرابع في عقد تحالف سري، تم فيه الاتفاق على أن يتزوج هنري تيودور من إليزابيث اليوركية الابنة الكبرى لإدوارد الرابع بعد اعتلائه العرش، مما جذب عدد كبير من أنصار آل يورك الذين وجدوا في الزواج فرصة لإنهاء الصراع الطويل بين العائلتين الملكيتين وتوحيد البلاد[4]، ووجد هنري تيودور بيئة سياسية داعمة لمشروعه في الخارج، فقد كان البلاط الفرنسي والبريتاني ينظران إلى ريتشارد الثالث كملك مغتصب للعرش ومعادي للعرش الفرنسي، فقدم ملك فرنسا لهنري تيودور الدعم المالي والسفن والجند لتجهيز حملته العسكرية المضادة للملك ريتشارد الثالث[5].

وكان الملك ريتشارد الثالث يعتمد بشكل كبير على النبلاء من شمال إنگلترا تحديداً وقربهم إِليهِ ووزع عليهم جميع المناصب والهبات، الأمر الذي أثار استياء وسخط

---

(1) Michael Hicks, Essential…, p.308 – 309.

(2) Annette Carson, Op.Cit, p.375.

3() (1443 – 1509) نبيلة إنگليزية من سلالة لانكستر، تُعد إِحدى أكثر النساء نفوذاً في حروب الوردتين والشخصية المدبرة وراء إنهاء الصراع، حيث كرّست حياتها وذكاءها السياسي لتأمين العرش لابنها الوحيد هنري تيودور عبر نسج تحالفات سرية وتزويجه من إليزابيث ابنة إدوارد الرابع، لتصبح بعد انتصاره الأم الملكية ومؤسسة أسرة تيودور الحاكمة، للمزيد انظر : John A. Wagner, Op. Cit, p.19 – 21.

(4) Matt Clayton, Tudor History A Captivating Guide to the Tudors, the Wars of the Roses, the Six Wives of Henry VIII and the Life of Elizabeth I, Osprey Publishing, London, 2018, p.158.

(5) S. B. Chrimes, The Lancastrians, the Yorkists, and Henry VII, St. Martin's Press, Second edition, New York, 1966, p.177.

وتذمر جميع نبلاء جنوب ووسط إنكلترا، كذلك كانت هناك عائلات اقطاعية قوية تلعب على الحبلين تنتظر الطرف الأقوى الذي ينتصر تقدم له الولاء، أبرزها عائلة ستانلي توماس ستانلي زوج مارگريت بوفورت والدة هنري تيودور، الذين امتلكوا جيوشاً قوية[1].

وركزت آلة الدعاية لهنري تيودور في عملية الاغتيال المعنوي لشخص ريتشارد، والتي تمحورت حول تهمة قتله للأميرين القاصرين في برج لندن إدوارد الخامس وشقيقه ريتشارد دوق يورك، فقد وظف هنري تيودور لغز اختفاء الأميرين ببراعة سياسية فائقة، فبالرغم من الغياب التام للرفات أو الأدلة القاطعة التي تحسم مصيرهما، نجح هذا الخطاب في تحويل فرضية تورط الملك ريتشارد في مقتلهما إلى حقيقة شعبية راسخة[2]، كما وجهت أصابع الاتهام نحو ريتشارد الثالث بالضلوع في القتل الوحشي للملك السابق هنري السادس، ومع أن ريتشارد الثالث نقل جثمان هنري السادس ودفنه بوقار في وندسور، لكنه فشل في احتواء الانتقادات والاتهامات السابقة[3].

وظّف هنري تيودور التحركات الاجتماعية للملك ريتشارد الثالث لتشويه صورته سياسياً، فبعد الوفاة المفاجئة للملكة آن نيفيل عام 1485 — التي جاءت عقب عام واحد من فاجعة وفاة ولي عهده الوحيد الأمير إدوارد — سعى الملك حثيثاً للاقتران بأميرة تضمن له إنجاب وريث شرعي يحمي سلالته، فأشاع هنري تيودور كاذباً أن ريتشارد الثالث يرمي إلى عقد زواج محرم كنسياً من ابنة أخيه إليزابيث يورك، صغرى بنات الملك إدوارد الرابع، ونجحت تلك الشائعة في اقناع الكثيرين بمدى سوء ريتشارد الثالث وفساده، واتهمته الدعاية التيودورية أيضاً بتسميم زوجته الملكة لإفساح الطريق أمام طموحاته اللامشروعة[4]، ومع أن تلك الدعاية لم تساهم بشكل مباشر في تحشد أعداد غفيرة من المقاتلين تحت لواء هنري تيودور، الا انها نجحت في تثبيط همم الرعايا لحمل السلاح دفاعاً عن ريتشارد[5].

---

(1) Georges Minois, Op. Cit, p.571.
(2) Polydore Vergil, King Henry VII A Life from Beginning to End, Copyright by Hourly History, London, 2019, p.11.
(3) Michael Jones, Bosworth 1485 The Battle That Changed the Face of England, Published by W.W. Norton & Co, New York, 2015, 67.
(4) Francis Bacon, The History of the Reign of King Henry the Seventh, Cornell University Press, Haca & London, 2017, p.17.
(5)H. A. L. Fisher, The History of England From the accession of Henry VII to the death of Henry VIII (1485 - 1547), greenwood publishing house, New York, 2017, p.5.

تبنى ريتشارد الثالث سياسة عدوانية إزاء القوى الداعمة لهنري تيودور والتي وفرت له الملاذ الامن كـ بريتاني وفرنسا وإسكتلندا، فمنذ ارتقائه العرش عمد إلى غض الطرف عن القرصنة الإنكليزية، بل ودعمها كأداة ضغط لإكراه تلك القوى على الاعتراف بشرعيته وتسليم هنري تيودور إليه، إلا أن تلك الاستراتيجية منيت بفشل ذريع، فبدلاً من الإذعان لمطالبه اتجهت الدول المجاورة إلى نسج التحالفات المضادة، وعملت بنشاط إلى تقويض استقرار نظام ريتشارد الثالث، بل ووظفت تلك التهديدات كأوراق ضغط لابتزاز وتقديم تنازلات سياسية [1].

مارس ريتشارد في ظل تلك التعقيدات الدبلوماسية ضغوطاً مكثفة على دوق بريتاني، فرانسيس الثاني (Duke British Francis II)، لتسليم هنري تيودور وبقية المنفيين الإنكليز، الأمر الذي اجبر تيودور وبقية المنفيين لمغادرة بريتاني والذهاب إلى فرنسا، وهو ما رحب به البلاط الفرنسي بعد أن وجد في هنري تيودور ةاتباعه فرصة ثمينة لإثارة القلاقل وزعزعة استقرار إنكلترا، فهيأ البلاط الفرنسي الموارد المالية والعسكرية اللازمة لدعم هنري تيودور، وانحازت إسكتلندا في الوقت ذاته إلى جانب هنري تيودور في ضربة سياسية مؤلمة للملك ريتشارد الثالث[2].

قدم التاج الفرنسي دعماً مالياً سخياً لهنري تيودور، الذي وظفت ذلك الدعم بفاعلية لتجهيز أسطول ضم خمس عشرة سفينة فرنسية، وقوة عسكرية قوامها أربعة آلاف مقاتل، منهم خمسمائة إنكليزي من المنفيين، إلى جانب ألف وخمسمائة جندي فرنسي تحت إمرة القائد السافوياردي فيليبير دي شانديه (Philipper de Chande)، وألف مقاتل إسكتلندي بقيادة السير ألكسندر بروس (Sir Alexander Bruce)[3]، واللافت في تجهيز حملة تيودور هو الغياب التام لأي حاضنة أو مشاركة شعبية محلية من الإنكليز ضمن صفوف جيش هنري تيودور فمعظم جيشه من الفرنسيين والإسكتلنديين.

وجد ريتشارد الثالث نفسه – أثناء الأشهر الثمانية عشر التي سبقت غزو تيودور – مضطراً لاستنزاف موارده المالية في صيانة وتعزيز الخطوط الدفاعية الممتدة على طول السواحل الإنكليزية والويلزية، إلا أن هذا الاستنزاف المالي لم يكن قابلاً

(1) Jacob Abbott, Op. Cit, p.178.
(2) Charles Roes, Op. Cit, p.367.
(3) Neville Williams, The life and era of Henry VII, Book Club Associates, London, 1984, p.21 ; Chris Skidmore, The rise of the Tudor family, the family that changed English history, St. Msrńn's Press, Copyright by Chris Skidmore, New York, 2013, p.17.

للاستدامة، فقد عجزت الخزانة الملكية عن تحمل الأعباء المالية الباهظة لإبقاء الأسطول والجيش في حالة استنفار ميداني دائم، مع العلم أن الجزء الأكبر من جيشه كان من المجندين الذين أُقحموا قسراً للخدمة العسكرية تاركين الحقول الزراعية مقيدين بخدمة إلزامية لا تتجاوز ثلاثين يوماً[1].

وأوكل ريتشارد الثالث لقادته الإقليميين مسؤولية الردع الحاسم لأي عمليات إنزال ضمن قواطعهم العسكرية، فكلف دوق نورفولك بتأمين منطقة شرق أنجليا والجنوب الشرقي، وكلف بالفيكونت لوفيل (Balvicount Lovell) حماية الشريط الساحلي الجنوبي، في حين تولى إيرل هنتنغدون (Earl Huntingdon) جبهة ويلز، وتشارك إيرلا لينكولن (Earl Lincoln) ونورثمبرلاند مسؤولية الدفاع عن الجبهة الشمالية، وقد تمت تلك التحصينات والترتيبات في ظل حالة لم يكن الملك ريتشارد الثالث يمتلك أي معلومات دقيقة حول وجهة الإنزال المحتملة، بل ولم يكن متيقناً تماماً من حتمية وقوع الغزو من الأساس[2].

وضع ريتشارد الثالث لمواجهة خطر قوات هنري تيودور استراتيجية دفاعية ذات مسارين، تمحور المسار الأول حول اعتراض القوات الغازية بقيادة تيودور في عرض البحر ودحرها قبل بلوغها اليابسة، ولتحقيق ذلك أبقى ريتشارد على قوة بحرية متواضعة، ومن المنظور التاريخ العسكري لتلك الحقبة، كانت فرص نجاح عمليات الاعتراض البحري شبه معدومة، وهو ما أكدته إخفاقات الحكومات المحلية المتكررة في صد عشرات الحملات طوال حقبة حرب الوردتين، وما ضاعف من استحالة المهمة في عام ١٤٨٥ تمتع أسطول تيودور بحماية مباشرة وفرها أميرال فرنسا، وطول السواحل إنگلترا وقلة سفنها[3]، وتمثل المسار الثاني في تجهيز قوات لإحباط أي محاولة إنزال البحري لتيودور وسحق القوات الغازية في مهدها قبل أن يتسنى لها تنظيم صفوفها وتعبئة الموارد البشرية محلياً، وقد سعى ريتشارد الثالث جاهداً لاغتنام فرصة الاشتباك المباشر مع العدو، معتمداً على حشد قوات كبيرة حال حدوث أي اختراق ساحلي، ومع أن التحضيرات العسكرية المبكرة التي أُجريت خلال شهري آذار ونيسان من عام ١٤٨٤ لم تسفر عن مواجهة فعلية، إلا أن التهديد تجسد واقعاً مع بدء حملة تيودور في آب من

(1) Beth Marie Kosir, Op. Cit, p.41.
(2) M.J. Trow, Op. Cit, p.245.
(3) Sir Clements R. Markham, Op. Cit, p.299 – 301.

عام ١٤٨٥، التي قصدت الشريط الساحلي لويز، مخالفه توقعات الملك ريتشارد الثالث، بأن مقصدها سيكون السواحل الجنوبية لأن معظم المنفيين من سكانها، ولأنها موالية عموماً لآل لانكستر[1]، وفي حال اخفاقه في صد الغزو عند الساحل كان الخيار خوض معركة فاصلة ومباشرة، فقد أدرك الملك ريتشارد الثالث عجزه عن تحمل الاستنزاف المالي والسياسي لحملة طويلة الأمد، متخوفاً من تنامي جيش تيودور بمرور الوقت، لذا اتخذ من نوتنغهام في منطقة إيست ميدلاندز (East Midlands) قاعدة مركزية لعملياته العسكرية، وهو تموضع بالغ الدقة حيث يتيح له مرونة التحرك السريع في شتى الاتجاهات فور اختراق هنري للتحصينات البحرية[2].

نجح ريتشارد الثالث في حشد ترسانة ضخمة من الذخائر والمعدات في تلك النقطة، كما نجح في حشد قوة عسكرية جرارة وصفت بأنها ضمت "**عدداً من المقاتلين لم تشهد إنگلترا له مثيلاً قط تحت راية أي طرف متنازع**"[3]، وفي الوقت نفسه سيطرة على هنري تيودور مخاوف تعاظم قوة ريتشارد الثالث العسكرية بمرور الوقت، مما جعله يتخذ قراره بالتعجيل بالمواجهة المباشرة والزحف نحو الملك، لذا وضع جدول زمني صارم للمسير بقواته من السواحل نحو مقر الملك ريتشارد الثالث، وبفضل التزامه الشديد بالجدول تمكن بعد إنزاله البري في السابع من آب عام ١٤٨٥ الوصول إلى مقر الملك ريتشارد الثالث في الثاني والعشرين من آب من العام ذاته[4].

شق جيش تيودور طريقه من سواحل ميلفورد (Milford) قاصداً بوسوورث (Bosworth)، عبر شروزبري في السابع عشر من آب، لتبلغ قواته مدينة ليتشفيلد (Lichfield) وبحلول العشرين من الشهر ذاته وصلت الحملة إلى تامورث (Tamworth) وتمركزت في الحقول المتاخمة لدير ميريفيل (Deir Mareville) في مقاطعة وارويك[5]، وفي الجبهة المقابلة تلقى الملك ريتشارد الثالث أنباء أولية بشأن الإنزال البحري في وقت

---

(1) Desmond Seward, Op. Cit, p.315.
(2) V. B. Lamb, Op. Cit, p.69.
(3) David Hipson, Op. Cit, p.189.
(4) Steven Gunn, Henry VII's New Men and Tudor England, Oxford University Press, UK, 2016, p.17.
(5) A. F. Pollard, The reign of Henry VII From Contemporary sources, Vol 2, University of London Historical Series, No. 1, Part One - Constitutional Documents, Longmans, Green & Co. Publishing, Paternoster Row, London, New York, Bombay and Calcutta, 1914, p.13.

مبكر من يوم الحادي عشر من آب 1485[1]، ولمواجهة ذلك التهديد شرع على الفور في استنفار قواته وإعادة تموضعها، ومع اتضاح المعالم الهجومية لخطة تيودور ومعرفته نيته التوجه نحو مقر الملك ريتشارد الثالث بدلاً من لندن، قرر الملك البقاء في منطقة إيست ميدلاندز ترقباً لوصول خصمه، إلا أن تسارع الأحداث أجبر الملك على مغادرة نوتنغهام والتوجه نحو ليستر قبل اكتمال حشد الفصائل الموالية له[2].

تمكن الملك ريتشارد الثالث في 21 آب من تحديد موقع تخييم جيش هنري تيودور، في الموقع التي دارت فيها رحى معركة بوسوورث[3]في السهل المنبسط أسفل تلة أمبيون وتحديداً إلى الجنوب من بلدة ماركت بوسوورث الصغيرة التي جاءت تسمية المعركة على اسمها[4].

تشكل جيش الملك ريتشارد الثالث الذي كان معظمه من حاشيته المباشرة والميليشيات المستدعاة من المقاطعات إلى جانب الفصائل التابعة للنبلاء، التي انضوت جميعها تحت إمرة قيادات أرستقراطية، أما السواد الأعظم من المقاتلين الذين مثلوا الثقل العددي، فلم يكونوا متحمسين لحماية الملك ريتشارد الثالث، بل كانوا في واقع الأمر مجندين سيقوا قسراً من مقاطعاتهم، ورغم التكهنات بأنهم كانوا يحظون بدرجة أفضل من التدريب والتجهيز مقارنة بالحملات السابقة، إلا أن استياءهم كان واضحاً بسبب انتزاعهم من أراضيهم في ذروة موسم الحصاد[5].

رغم تفوق جيش الملك ريتشارد الثالث عددياً إلا أن هنري تيودور تمكن من التموضع بشكل جيد أتاح له فرصة لحشد ثقله العسكري مؤلف من النبلاء والمحاربين الأجانب المتمرسين تحت إمرة إيرل أكسفورد، وتوجيهها كقوة ضاربة ضد قلب الجناح الأوسط لجيش ريتشارد، وقد مثلت تلك الوحدات الأجنبية نخبة عسكرية احترافية بل شكلت القوة الأكفأ تدريباً وتسليحاً بين كلا المعسكرين المتحاربين، وبفضل مناورة

---

(1) رسالة الملك ريتشارد الثالث إلى هنري فينون حول وصول هنري تيودور من فرنسا، أنظر مخطوطة رقم **(15)**.

(2) Robert Farrington, Op. Cit, p.215.

(3) معركة بوسورث 22 آب 1485، مخطط رقم **(11)**.

(4) David Field, Tudor Dawn, The Tudor Saga Series Book One, Published by Sapere Books, London, 2019, p.97.

(5) Ann Wroe, Perkin A Story of Deception, Published by Jonathan Cape, London, 2003, p.33.

والانتشار والتمركز الصحيح، تمكنت قوات هنري تيودور من تحييد التفوق العددي لجيش الملك ريتشارد الثالث[1].

تركزت رحى المعركة في القلب وهناك حسمت نتيجتها، لتؤتي مقامرة هنري الجريئة أكلها، وهو نجاح ميداني يعزى في المقام الأول إلى الدهاء التكتيكي والتخطيط المحكم لدوق أكسفورد، إلا أن نقطة التحول المفصلية التي رجحت كفة الصراع، تمثلت في التدخل الحاسم لعائلة ستانلي، وتحديداً توماس لورد ستانلي وشقيقه السير وليام، فذكرت المصادر التاريخية أن الشقيقين جلبا معهما قوة عسكرية ضاربة قدرت بنحو ثلاثة آلاف جندي، ورغم ذلكالثقل العسكري الذي كان بإمكانه تغيير موازين القوى، ظل ولاء اللورد ستانلي خفياً، مع أنه لا يزال يحتفظ بمنصبه كوكيل لأسرة ريتشارد الملكية وقائداً لشرطة إنكلترا[2].

حُشدت قوات ستانلي المستدعية من مقاطعتي تشيشاير ولانكشاير للقتال تحت راية الملك ريتشارد الثالث، في حين جات قوات السير وليام من تخوم شمال ويلز، وتمركزت كتيبتا ستانلي على أطراف ميدان المعركة، متخذة موقفاً مبهماً وغير منحاز لأي من الجانبين في المراحل الأولى للقتال، ولم تكتف بذلك بل ظلت تتجول بحذر في محيط ساحة المعركة مترقبة تطورات المعركة في خطوة براغماتية صرفة استهدف من خلالها الأخوين ستانلي ضمان إعلان انحيازهما للطرف المنتصر في اللحظة الحاسمة[3]، وبدلاً من الاعتماد على استراتيجية التراجع والقصف المدفعي، اندفعت طليعة جيش ريتشارد بضراوة نحو الاشتباك المباشر والالتحام الجسدي في خطوة راهن فيها الملك على حسم المعركة استناداً إلى تفوقه العددي الساحق، وبعد رشق الخصم بوابل من السهام، تمكن قائد الطليعة دوق نورفولك من إجبار قوات هنري تيودور على التراجع إلى ما وراء المستنقع، إلا أن التقدم جعل دوق نورفولك مكشوفاً أمام هجوم جانبي مباغت شنته قوات أكسفورد وفيليبير دي شانديه، فتم قتله[4].

لمح الملك ريتشارد الثالث راية تيودور معزولة في الخطوط الخلفية، فعقد العزم على قتله شخصياً، في محاولة للقضاء على التمرد نهائياً بقتل زعيمه، ومع أنه لم يكن

(1) Charles Roes, Op. Cit, p.377.
(2) Thomas Penn, Winter King The Dawn of Tudor England, Allen Lane an imprint of Penguin Books, New York, 2011, p.11 – 17.
(3) John A. Wagner, Op. Cit, p.507.
(4) Michael Hicks, Richard…, p, 521.

مضطراً لتصدر الهجوم بنفسه، وكان بوسعه إيكال تلك المهمة لأحد قادته، إلا أنه أخذ زمام المبادرة وقاد الملك مجموعة من المقاتلين في هجوم سريع كاد أن يبلغ غايته ويقلب موازين المعركة، غير أن المناورة الجريئة كانت آخر مغامراته العسكرية، فقد جردت الملك ريتشارد من قدرته على التنسيق الشامل للجيش، وأفقدته السيطرة على الأجنحة الأخرى، وحرمته لاحقاً من فرصة الانسحاب وإعادة ترتيب صفوفه[1].

تمكن ريتشارد الثالث خلال الاختراق من إسقاط راية هنري تيودور بعد أن قتل حاملها وليام براندون، إلا أن ذلك الاندفاع سرعان ما اصطدم بتدخل قوات السير وليام ستانلي التي طوقت ريتشارد الثالث وصدت هجومه، وهي اللحظة ذاتها التي انخرط فيها اللورد ستانلي صراحة لدعم آل تيودور[2].

واثناء القتال وقع الملك ريتشارد الثالث في فخ محكم وسقط عن جواده، ورغم تمكنه من امتطاء جواده مجدداً وحصوله على فرصة سانحة للفرار، إلا أنه رفض التراجع مطلقاً مقولته الشهيرة "**حاشا للرب يا سالازار أن أتراجع قيد أنملة. سأموت اليوم إما ملكاً أو منتصراً**"، ثم قاتل بضراوة حتى قتل بضربة رمح سددها جندي ويلزي، وبمقتله حسمت المعركة نهائياً باستسلام من تبقى من جيشه طواعية للمنتصر[3]، وعلى ذلك النحو اختتم الملك ريتشارد الثالث مساره السياسي بكارثة كبرى وهزيمة نكراء، وطويَت صفحة حكمهِ دون أن يخلف وراءه وريثاً شرعياً أو مناصراً لقضيته.

(1) S. B. Chrirwes, Henry VII, published by Eyre Methuen Ltd, Yale University Press, Great Britain, 1999, p.95.
(2) Annette Carson, Op,Cit, p.413.
(3) Charles Roes, Op. Cit, p.395.

الخاتمة

الخـاتمـة

ارتهنت سلامة العرش الإنكليزي في الحقبة الممتدة بين عامي (1267–1485) بمدى فاعلية إحكام قبضته على القوى المجاورة لإنكلترا، لاسيما ويلز واسكتلندا وأيرلندا، التي شكلت بؤر استنزاف دائمة للإنكليز، ومنطلقاً لتمردات مستمرة عليهم، ولم تكن تلك الاضطرابات مجرد تحديات إقليمية عابرة، بل مأزقاً وجودياً وتحدياً راديكالياً لمفهوم فرض السيادة الإنكليزية عليها، التي رام ملوك إنكلترا تكريسها عبر أدوات القهر العسكري والمناورات الدبلوماسية، وقد أفضى الإخفاق في احتواء المسألة الاسكتلندية إلى انبثاق بؤر استنزاف اضافية داخل إنكلترا ذاتها، أوهنت التاج، وأتاحت للنخب البارونية المتآمرة فرص تاريخيةً وذرائع دستورية لمساومة مؤسسة العرش والضغط عليها تزامناً مع تراجعها العسكري، ومع استشراء اوضاع إنكلترا اصبحت المؤامرات والتمردات السمة السياسية والعسكرية السائدة فيها، حتى غدا التآمر في الغرف المغلقة رديفاً وانعكاساً لهزيمة إنكلترا في الميادين المفتوحة، ولارتباط دراستي بفرضية وتساؤلات، فإنها انتهت إلى جملة استنتاجات فيها إجابات عن محاور الفرضية، وتوضيح حيثياتها، وكالآتي:

- تميز تمرد ليولين أب غريفود عام 1274 بنزعة قومية ويلزية استهدفت الخلاص من التبعية الإقطاعية للتاج الإنكليزي، وعكست رفض ليولين أداء قسم الولاء لرغبته في تحقيق استقلال ويلز وتثبيت سيادته عليها، وأثبت تفاعل العرش الإنكليزي مع مجريات ذلك التمرد أن العرش لم ينظر له كخلاف حدودي، بل كتهديد لسيادة العرش على ويلز التي سعى إدوارد الأول لفرضها نهائياً.
- استثمر العرش الإنكليزي معاهدة أبيركونوي كأداة قانونية لتقويض طموحات ليولين، فنجحت المعاهدة في عزل الأمير الويلزي عن حلفائه وجردته من أراضيه في بيرفيدولاد، وشكلت تلك المعاهدة إطاراً للتبعية القسرية التي مهدت لزوال استقلال ويلز، وحولت ليولين من حاكم ذي سيادة إلى تابع محاصر ضمن حدود ضيقة وتحت رقابة إدارية ملكية صارمة.
- تحول التمرد الويلزي بين عامي 1277 و1282 من صراع حدودي تقليدي إلى مواجهة وجودية استهدفت استئصال الهوية السياسية لويلز؛ لأن مؤسسة العرش أدركت أن أنصاف الحلول لن تضمن الاستقرار، فانتهج إدوارد الأول استراتيجية

الحرب الشاملة التي تعدت استهداف الجيوش الى البنية الاجتماعية والاقتصادية للويلزيين، مما جعل تمرد الويلزيين وجودياً على الصعد كافة.

- اتبعت الملكية الإنكليزية آليات الهيمنة القانونية لوأد تمرد دافيد أب غريفود عام 1284، فتبنى إدوارد الأول إجراءات قضائية استثنائية انتهت بإعدامه بتهمة الخيانة العظمى، ومثل ذلط الإعدام سابقةً قانونية، إذ تم لأول مرة معاملة أمير ويلزي كخائن للتاج وليس كعدو حربي، مما شرعن عملية الإلحاق الإداري والسياسي لويلز بإنكلترا.
- وظفت إنكلترا هيمنتهت العمرانية على ويلز عبر بناء سلسلة قلاع الضخمة لردع التمردات الويلزية المتجددة حتى عام 1294. فكانت تلك القلاع (مثل كونوي وكرنارفون) بمثابة ثكنات عسكرية ومراكز إدارية، وجسدت تلك القلاع رمزية السلطة الملكية الدائمة في الأراضي المفتوحة، مما جعل التمرد عملية مستحيلة عسكرياً أمام تلك التحصينات التي خنقت أي حراك محلي.
- فجرت أزمة العرش الاسكتلندي بواكير التمرد ضد التاج الإنكليزي بعد خضوع اسكتلندا الإقطاعي المهين لإدوارد الأول، فتحولت المطالبة بالحقوق الوراثية في العرش إلى قضية كرامة وطنية. وأدى تعامل الملك الإنكليزي مع اسكتلندا كإقطاعية تابعة لإنكلترا بدلاً من مملكة حليفة إلى توليد سخط شعبي واسع، مهد الطريق لظهور قيادات عسكرية شعبية تجاوزت ولاء النبلاء التقليدي.
- أخفق العرش الإنكليزي في استيعاب تمرد وليام والاس رغم التفوق العسكري الكاسح في معركة فالكيرك عام 1298، لأن والاس نجح في تحويل الصراع إلى قضية شعبية، وأثبت أن القوة العسكرية لا تكفي لقمع التمردات ذات الجذور القومية، فظل والاس يمثل الروح المعنوية للمقاومة حتى بعد هزيمة جيشه وتشتت قواته في الميدان.
- أدى إعدام وليام والاس عام 1305 إلى نتائج عكسية تماماً لما خطط له إدوارد الأول، فأججت تفاصيل إعدامه الوحشية الروح القومية الاسكتلندية بدلاً من إخمادها، واستحال والاس من متمرد خارج على القانون إلى شهيد قومي، مما منح المقاومة الاسكتلندية مبرراً أخلاقياً ودينياً للاستمرار، ووحد الصفوف خلف القيادة الجديدة التي مثلتها عائلة بروس.
- استطاع روبرت بروس تحويل تمرده من فعل خروج على القانون إلى تأسيس لشرعية بديلة عبر تتويج نفسه ملكاً على اسكتلندا في تحدٍ صارخ لإدوارد الأول، ونجح في

دمج مطالب النبلاء مع تطلعات العامة، مما حول تمرده من حركة مشتتة إلى مشروع دولة مستقلة امتلكت مقومات الصمود أمام الآلة العسكرية الإنكليزية المتفوقة.

- أدى التمرد الباروني دوراً محورياً في إضعاف قبضة إدوارد الثاني أمام مطرقة التمرد الاسكتلندي بين عامي 1307 و1314، فتشتت جهود الملك بين صراعه مع معارضيه في الداخل ومعاركه في الشمال، وأدى انعدام الثقة بين الملك وباروناته إلى فشله في تعبئة قوات كافية لغزو اسكتلندا، مما منح روبرت بروس فرصة لتوطيد سلطته واستعادة القلاع الحيوية.
- أنهت هزيمة بانوكبيرن عام 1314 هيبة العرش الإنكليزي بشكل غير مسبوق، وفتحت الباب على مصراعيه أمام تمردات إيرل لانكستر الذي استغل ضعف الملك لفرض وصايته على العرش، وبرهنت تلك الهزيمة على أن عجز الملك عسكرياً يؤدي بالضرورة إلى تآكل شرعيته، مما جعل مؤسسة العرش رهناً لإرادة كبار النبلاء.
- استنزف تمرد إدوارد بروس في إيرلندا موارد العرش الإنكليزي عبر فتح جبهة ثانية أرهقت الخزانة الملكية المجهدة أصلاً، وتداخلت مطامع اسكتلندا في ايرلندا مع السخط الإيرلندي على العرش الإنكليزي، مما اضطر الملك إدوارد الثاني إلى تشتيت قواته، وأضعف قدرته على كبح جماح الاسكتلنديين في جبهة الشمال، واستشرى الفشل الإداري والعسكري في عهده المضطرب.
- فشلت مؤسسة العرش في وأد تمرد بارونات ويلز وشمال إنكلترا بين عامي (1320–1323) نتيجة ارتماء الملك في أحضان مفضليه من آل ديسبنسر، مما عزل التاج عن قاعدته الأرستقراطية، وحول المعارضة البارونية من مطالب إصلاحية إلى حراك مسلح لتطهير البلاط، في خطوة عكست عمق الفجوة بين الملك والقوى الفاعلة في مملكته.
- أدار روجر مورتيمر في منفاه بفرنسا مؤامرة ممنهجة اتسمت بدهاء سياسي وتخطيط عسكري دقيق، ونجح في تحويل الملكة إيزابيلا إلى واجهة شرعية لعملية غزو إنكلترا، وشكل تحالفه مع القوى الفرنسية وتأمينه للدعم المالي والعسكري نقطة تحولمكنته من جمع جيش منظم واستغلال التذمر العام للإطاحة بنظام إدوارد الثاني المهترئ.
- استُخدمت في خلع إدوارد الثاني عام 1327 حيثيات قانونية غير مسبوقة لشرعنة التمرد عليه عبر اتهامه بالعجز عن الحكم والانسياق خلف مستشارين سيئين، لتوفير

غطاء قانوني للتمرد، وتم الحصول على موافقة البرلمان (تحت التهديد) لإضفاء صبغة دستورية على خلع الملك، مما مهد الطريق لاغتياله لاحقاً في قلعة بيركلي لضمان عدم عودته.

- عكس إعدام ادموند إيرل كنت عام 1330 ذروة استبداد روجر مورتيمر الذي استغل صغر سن الملك إدوارد الثالث لتصفية خصومه وتثبيت نفوذه عبر المكائد، ولم تكن هذه الواقعة تعبيراً عن إرادة الملك الشاب، مما جعلها احدى الدوافع التي حفزته للقيام بانقلابه الشهير في نوتنغهام لاستعادة سلطته المسلوبة. وبذلك تحول مقتل الإيرل من محاولة لزعزعة العرش إلى شرارة أنهت عصر الوصاية وأعلنت بدء الحكم الفعلي المستقل لإدوارد الثالث.
- استطاع إدوارد الثالث الانقلاب على مؤامرة الوصاية التي فرضها مورتيمر وإيزابيلا عام 1330، عبر عملية عسكرية خاطفة في قلعة نوتنغهام أعادت للعرش استقلاليته. وأثبتت أن إدوارد الثالث امتلك الحزم اللازم لإنهاء عهد التبعية للمتآمرين، فأعدم مورتيمر، في رسالة حازمة للنبلاء مفادها أن عهد ضعف مؤسسة العرش قد ولى.
- حول الدعم الفرنسي للتمرد الاسكتلندي بين عامي (1334–1346م) النزاع المحلي بين إنكلترا وفرنسا إلى حرب أوروبية شاملة عُرفت بحرب المائة عام، فأدرك العرش الإنكليزي أن استقرار جبهته الشمالية لن يتحقق إلا بكسر شوكة فرنسا، مما دفع إدوارد الثالث لنقل المعركة إلى الأراضي الفرنسية لتأمين عرشه من التهديد المزدوج.
- قادت تمرد وات تايلر عام 1381 قوى اجتماعية واقتصادية بسبب الضغوط الاقتصادية التي تعرضت لها بعد الموت الأسود وضرائب الحروب المرهقة، فكان بذلك رد فعل عنيف ضد المنظومة الإدارية للعرش الإنكليزي، وواجه ريتشارد الثاني ذلك التمرد بمزيج من الشجاعة الشخصية في الميدان والغدر السياسي لاحقاً، فاستعاد السيطرة عبر وعود كاذبة مكنته من تشتيت الثوار ثم سحقهم.
- تحولت مقاطعات شرق إنكلترا إلى بؤر للتمرد المسلح نتيجة وعيها القانوني والاجتماعي المتقدم، فقاد القساوسة والفلاحون الأحرار حركة منظمة ضد التاج. واتبعت السلطة الملكية آليات قمع وحشية شملت المحاكمات الميدانية والإعدامات الجماعية، مما عكس رغبة العرش في إعادة فرض نظام القنانة الذي تزعزع بفعل الحراك الشعبي والتمردات المتلاحقة.

- برهنت أحداث الحقبة (1267–1485م) على أن التمرد كان غالباً رد فعل بنيوي على غياب التوازن بين حقوق النبلاء وسلطات التاج المركزية. فكلما حاول الملك تجاوز الأعراف الإقطاعية، ولدت مؤامرة مضادة تهدف لاستعادة التوازن، مما جعل التاريخ السياسي الإنكليزي عبارة عن سلسلة تسويات القسرية شكلت ملامح الدستور غير المكتوب للمملكة.
- شكلت الجغرافيا السياسية لبريطانيا (ويلز، اسكتلندا، إيرلندا) خزاناً للتمرد استغله المتآمرون في الداخل والخارج لاستنزاف قوة العرش الإنكليزي. وأدرك الملوك المتتابعون أن السيطرة على لندن لا تعني استقرار المملكة ما لم يتم تأمين الأطراف التي كانت دوماً بؤرةً لانطلاق الحركات الانقلابية المدعومة من القوى القارية المنافسة.
- تحولت الخيانة في العصور الوسطى المتأخرة من جريمة شخصية ضد الملك إلى جريمة سياسية ضد الدولة، وهو تحول قانوني خطير استُخدم لشرعنة التصفيات. وأدى ذلك التطور إلى نشوء ثقافة قانونية جعلت المتآمرين يسعون دوماً للحصول على غطاء برلماني لأفعالهم، مما ساهم في تقوية المؤسسة التشريعية على حساب السلطة التنفيذية للملك.
- أدت الأزمات المالية دور المحرك الخفي لمعظم التمردات الكبرى؛ فالحروب الطويلة في فرنسا واسكتلندا فرضت أعباءً ضريبية أدت لانفجار السخط الشعبي والباروني، وأثبتت الدراسة أن العرش الذي يفقد القدرة على تمويل إدارته وحماية طرقه التجارية يصبح صيداً سهلاً للمؤامرات التي تجد في الإصلاح المالي شعاراً جذاباً لكسب الأنصار.
- كشفت مؤامرات النساء (مثل الملكة إيزابيلا ومارغريت أنجو) عن دور محوري للمرأة في السياسة العليا، فأدرن تحالفات معقدة وأشرفن على عمليات غزو وتمرد. وتجاوزت تلك الأدوار الجوانب الرمزية لتصل إلى القيادة الفعلية والتخطيط الاستراتيجي، مما أثبت أن العرش لم يكن مهدداً من الرجال فحسب، بل من داخل الدائرة العائلية الضيقة للملك.
- استطاعت الملكية الإنكليزية الحفاظ على بقائها عبر استيعاب النخب المتآمرة في منظومة الحكم بدلاً من تصفيتها الشاملة، وهو ما عُرف بسياسة الولاء المشروط، التي

أدت الاستراتيجية إلى نشوء طبقة وسطاء سياسيين وازنوا بين طموحات النبلاء واستقرار العرش، مما منع انهيار الدولة الإنگليزية رغم تكرار عمليات خلع الملوك واغتيالهم.

- مثلت تمرد عام 1399 قمة النضج السياسي للتمرد، فتم استبدال ملك بملك آخر دون تدمير مؤسسة العرش نفسها، مما حافظ على استمرار مؤسسات المملكة وأذرعها الإدارية، في إشارة الى تفضيل المجتمع الإنگليزي الانقلاب الدستوري على الحرب الأهلية الشاملة، وهو أمر مهد لنشوء مفهوم الملك المقيد بالقانون الذي ميز التاريخ الإنگليزي لاحقاً.
- استُخدمت الدعاية السوداء وتشويه السمعة كأدوات أساسية في المؤامرات السياسية، فتم تصوير الملوك المخلوعين (مثل إدوارد الثاني وريتشارد الثاني) كطغاة أو غير أكفاء. ونجحت تلك الدعاية في عزل الملوك عن الدعم الشعبي قبل التحرك العسكري ضدهم، مما يثبت أن المعركة على الوعي كانت تسبق دوماً المواجهة المسلحة في الميدان.
- أثبتت الحروب الويلزية والاسكتلندية أن القومية كانت القوة الأكثر صموداً أمام أدوات القمع الملكي، فلم تنجح القلاع والإعدامات في صهر الهويات المستقلة، وظل ذلك التمرد العرقي يشكل ضغطاً دائماً على العرش، مما أجبر الملوك على تبني سياسات إدارية مرنة في الأقاليم لضمان الحد الأدنى من الاستقرار والولاء الضريبي.
- أدت الكنيسة دور الموازن بين العرش والمتآمرين عليه، فكان تأييدها يمنح المتمرد شرعيةً دينية، وسخطها يؤذن بسقوط الملك كما حدث أواخر عهد ريتشارد الثاني، وأدت تلك العلاقة الجدلية إلى نشوء صراع على السيادة الروحية، وسعى العرش دوماً للسيطرة على التعيينات الكنسية لضمان عدم تحول المنابر إلى مراكز للدعاية الانقلابية.
- استند تمرد هنري بولينغبروك عام 1399 إلى حيثيات دستورية ركزت على الدفاع عن الحقوق الوراثية المصادرة ومواجهة استبداد ريتشارد الثاني، ونجح بولينغبروك في تصوير تمرده كإنقاذ للمملكة من ضياع القانون، مما أكسبه تأييد الكنيسة والبرلمان، وشرعن حكم آل لانكستر كبديل مؤسسي للملكية الفردية المطلقة التي انتهجها سلفه.

- كشفت مؤامرة عيد الغطاس عام 1399 هشاشة العرش اللانكستري في بداياته، فحاول أنصار الملك المخلوع ريتشارد الثاني اغتيال هنري الرابع وعائلته، في إشارة الى أن الانتقال السلطوي الى هنري الرابع لم يحظَ بإجماع كامل، مما دفع الملك الجديد الى تبني سياسة أمنية مشددة، وملاحقة فلول المعارضة لضمان عدم تحول السخط إلى ثورة شاملة.
- وظف الرهبان الرماديون الدعاية السياسية للتآمر ضد هنري الرابع، عبر نشر إشاعات حول بقاء ريتشارد الثاني على قيد الحياة في اسكتلندا، وشكلت تلك الدعاية تحدياً رمزياً للعرش، من لدن الرهبان الذين استغلوا مكانتهم الدينية لتقويض شرعية الملك المغتصب، مما اضطره لاعتقال وإعدام عدد منهم في سابقة تاريخية لمواجهة التمرد الفكري.
- استهدفت مؤامرتي مارغريت دي فير وقصر إيلثام استعادة عرش ريتشارد الثاني عبر استغلال الولاءات القديمة والتحالفات السرية مع القوى الخارجية، وبينت تلك المحاولات أن العرش اللانكستري ظل محاصراً بشبح الملك المخلوع، مما جعل هنري الرابع يقضي معظم سنوات حكمه في وأد المؤامرات الصغيرة للحيلولة دون تحولها إلى تمردات كبرى.
- تحالف آل بيرسي (صناع الملوك) مع أوين غلين دور الويلزي في تمرد شامل عام 1403، لشعورهم بالتهميش بعد دورهم الحاسم في تتويج هنري الرابع، ومثل ذلك التحالف أخطر تهديد عسكري للعرش، بسبب اجتماع القوة البارونية الشمالية مع النزعة القومية الويلزية، مما وضع الملكية اللانكسترية في مواجهة مصيرية انتهت بمعركة شروزبري الدموية.
- كشفت دراسة تمرد آل بيرسي عن مخاطر الاعتماد المفرط على صناع الملوك، لإمكانية تحول القوى التي نصبت الملك إلى أكبر تهديد له إذا لم تلبَّ مطامعها، فتبنى الملوك اللاحقين سياسة تقليص نفوذ النبلاء الكبار واستبدالهم بطبقة البيروقراطيين الموالين للتاج مباشرة، مما مهد لهيمنة الأذرع الإدارية لمؤسسة العرش على إنگلترا في عهد آل تيودور.
- عكس تمرد رئيس أساقفة يورك ريتشارد سكروب تحول المعارضة السياسية إلى معارضة أخلاقية ودينية ضد سياسات هنري الرابع المالية والعسكرية، وأدى قرار

الملك بإعدامه عام 1405 إلى تصدع علاقة العرش بالإكليروس، بعد استهجان الكنيسة قرارات الإعدام بوصفها اعتداءً على حرمتها، مما حول سكروب إلى قديس غذى السخط الشعبي ضد النظام الحاكم.

- أثبتت واقعة إعدام ريتشارد سكروب أن العدالة الملكية تجاوزت الحصانات الدينية في حالات التهديد الوجودي للعرش، مما مهد لتفوق السيادة الوطنية على نفوذ الكنيسة، ورغم السخط العام الذي أعقب الإعدام، إلا أن هنري الرابع نجح في فرض سلطة الدولة المادية، مما وجه ضربةً قوية لاستقلالية الإكليروس وتدخلهم في الشأن السياسي للعرش الإنگليزي.
- واجه هنري الخامس مؤامرة ساوثهامبتون عام 1415 بحزم وسرعة، وربط بين الخيانة الداخلية والمصالح الفرنسية عشية غزوه فرنسا. وتأكد لديه بعد اكتشاف المؤامرة استمرار وجود جيوب معارضة تؤيد حق آل مورتيمر في العرش، لكنه حول ذلك التمرد الى قضية أمن قومي لتوحيد الجبهة الداخلية عبر تصويره المتآمرين كخونة للوطن ومتآمرين مع الأجانب في وقت خاضت فيه إنگلترا غمار حرب قومية.
- كشف تمرد اللولارد عن ظهور معارضة عقائدية لم تكتفِ بانتقاد الملك، بل انتقدت أسس النظام الاجتماعي المستند إلى الإقطاع والكنيسة ، فاعتبر العرش ذلك التمرد أخطر من مؤامرات النبلاء، لأنه استهدف عقول العامة، مما استوجب رداً قمعياً مشتركاً بين الدولة والكنيسة لضمان عدم تحول الاحتجاج الديني إلى ثورة اجتماعية شاملة.
- دمج العرش في عهد هنري الخامس بين الردع الديني والقمع السياسي لوأد تمرد اللولارد بقيادة جون أولدكاسل، مستخدماً تهمة الهرطقة كغطاء ديني للتخلص من المتمردين عليه، وأثبتت تلك المعالجة قدرة الملكية على توظيف الكنيسة لخدمة أهدافها في سحق الحركة ليس فقط بوصفها تمرداً مسلحاً، بل كتهديد للنظام الاجتماعي والديني القائم في المملكة.
- أدى ضعف شخصية هنري السادس وعجزه الإداري إلى ظهور مؤامرات الحجرات، في ظل فوضى حولت البلاط إلى حلبة لصراع المستشارين، ومهدت تلك المؤامرات لحرب الوردتين، بسبب غياب السلطة المركزية القوية مما أدى إلى تحلل مفهوم هيبة الملك، فأصبح يُنظر للتاج كجائزة لمن يمتلك القوة العسكرية الأكبر في الميدان.

وشكلت تلك الحالة ذروة الفشل المؤسسي، فلم تعد القوانين أو الأعراف قادرة على حماية الملك، مما جعل العنف المسلح الوسيلة الوحيدة والنهائية لحسم النزاع على السلطة.

- اتبعت مؤامرة ريتشارد الثالث القانونية آليات ذكية للوصول إلى العرش، عبر إعلان بطلان زواج أخيه إدوارد الرابع وبالتالي عدم شرعية أبنائه (أمراء البرج). واستخدم ريتشارد البرلمان لإضفاء صفة قانونية على اغتصابه للسلطة، مما عكس نضج المؤامرة الدستورية أواخر العصور الوسطى، وأكدت تحول القانون إلى أداةً لتصفية الخصوم السياسيين وتبرير التمرد على الملوك بذلائع مختلفة.
- انتهت فلسفة التمرد والمؤامرة في العصور الوسطى بسقوط ريتشارد الثالث في معركة بوسورث عام 1485، التي مثلت نهاية الصراع المسلح بين البيوتات الكبرى، وشكل انتصار هنري تيودور مؤشراً للتحول نحو الملكية المركزية الحديثة، لاسيما بعد شروعه في تفكيك جيوش النبلاء الخاصة وتحويل الولاء من النبلاء إلى الملك، مما أنهى حقب الاضطراب الباروني الطويلة.
- أثبت سقوط ريتشارد الثالث أن المؤامرة التي تبنى على غصب الحقوق وقتل الورثة الشرعيين تحمل بذور فنائها في داخلها، ففقد الملك دعم أقرب حلفائه في لحظات الحسم، ومثلت معركة بوسورث انتصاراً لـ الشرعية التوافقية التي مثلها هنري تودور، واهدفت لإنهاء حقبة الدماء وبدء مرحلة جديدة من الاستقرار القائم على المصاهرة السياسية.
- استقرت فلسفة الحكم في ختام تلك الحقبة على مبدأ مفاده ضرورة وجود ملك قوي ومؤسسات مستقرة لمنع تكرار مآسي الحروب الأهلية والتمردات التي استنزفت إنگلترا لقرنين. وشكلت هذه النتيجة حجر الزاوية في بناء الدولة التودورية، التي نجحت في تحويل طاقة النبلاء من التآمر ضد العرش إلى الخدمة في ظله، منهيةً بذلك عهد المؤامرة الكبرى كأداة للتغيير السياسي.

قائمة الملاحق

ملاحق الدراسة

أولاً : مخطوطات المواثيق والأوامر والخطابات الملكية:

مخطوطة رقم (1)

أمر ملكي في 5 تشرين الثاني 1290 يتعلق بترتيبات إدارية ومالية بعد وفاة مارگريت فتاة النرويج، هذا نصه:

"إلى أمين الخزانة وبارونات الخزانة، تحية:

نأمركم بموجب هذه الرسالة، بعد فحص الحسابات والتدقيق في السجلات المودعة لديكم، أن تقوموا بتسوية الحسابات وصرف الأموال وتعليق الدفعات بما يتوافق مع ما أُبرم من اتفاقات، وذلك لضمان عدم إلحاق الضرر بخزانتنا الملكية، وبما يحفظ حقوقنا في الأراضي المذكورة إلى حين صدور أوامر أخرى منا"[1].

(1) Letter from King Edward I to the Treasurer and Barons of the Exchequer, 5 November 1290; The National Archives (TNA), London, C 54/107, m. 1.

مخطوطة رقم (2)

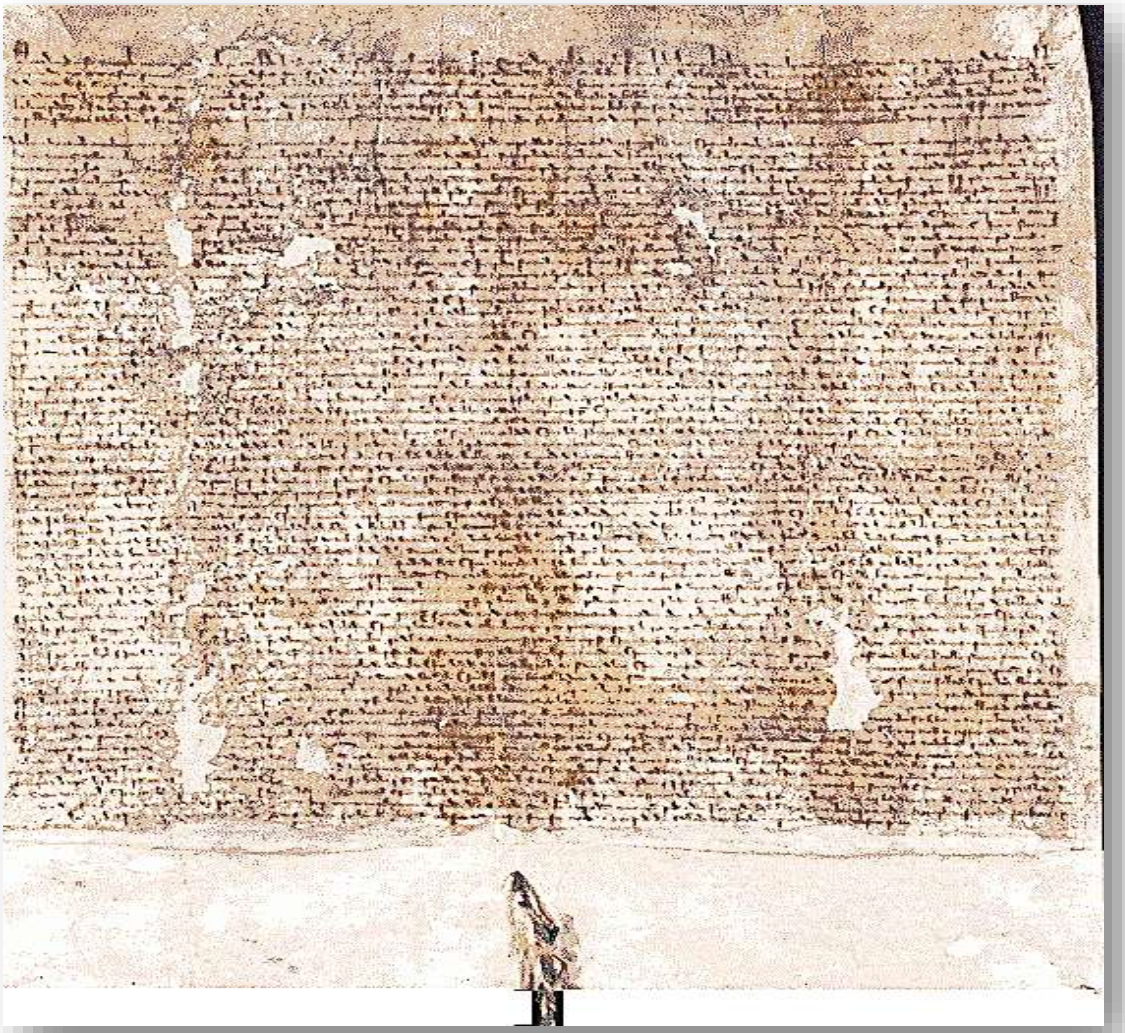

اتفاق تعاقدي في 30 كانون الأول 1292بين الملكين إدوارد الأول وجون باليول حول سجلات محكمة وراثة العرش الاسكتلندي ووثائقها **"يعلن هذا الصك التعاقدي المبرم بين الملك المعظم إدوارد ملك إنجلترا والسيّد الأعلى لمملكة إسكتلندا، وبين السير جون باليول، ملك إسكتلندا؛ أنه بموجب براءة ملكية صادرة عن ديوان المستشارية الإنجليزي في نيوكاسل أبون تاين، قد جرى حصر وتسليم جميع السجلات والمخطوطات والوثائق البابوية والمحلية التي صودرت أو فُحصت خلال جلسات 'القضية الكبرى'، وتقرر بموجب هذا التعهد إعادتها بالكامل إلى عهدة الملك جون باليول وخزانة مملكة إسكتلندا، إبراءً للذمة وحفظاً للحقوق الدستورية بين الطرفين"**[1].

(1) Indenture between King Edward I and John Balliol, King of Scotland, for the return to Scotland of all the documents relating to the Great Cause, Newcastle-upon-Tyne, 30 December 1292. The National Archives (Kew), E 39/9/2.

مخطوطة رقم (3)

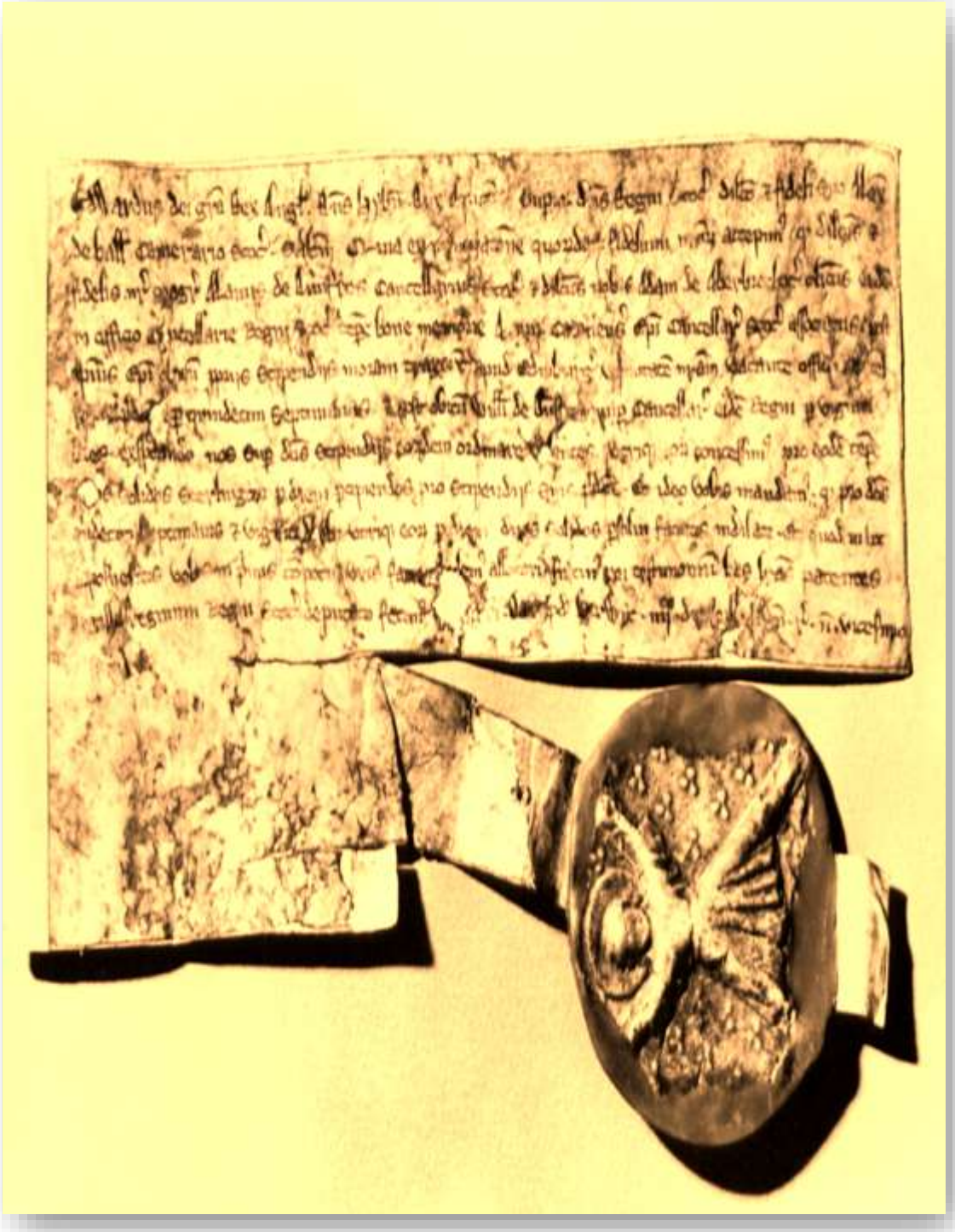

تفويض من ادوارد الاول بوصفه سيد اسكتلندا بعد غزوها عام 1296 بترك استخدام ختم الاوصياء الاسكتلنديين ، واستخدام ختم الإدارة الإنكليزية، بإشراف امين سجلات اسكتلندا، لتغيير مجمل البنية الإدارية والمالية الاسكتلندية[1].

(1) Watson, Fiona, Under the Hammer: Edward I and Scotland, 1286–1306, Tuckwell Press, East Linton, 1998, p.255.

مخطوطة رقم (4)

نص وثيقة تأكيد المواثيق التي أصدرها الملك إدوارد الأول في 5 تشرين الثاني 1297:

"إدوارد، بنعمة الله، ملك إنكلترا، ولورد أيرلندا، ودوق أكيتانيا، إلى كل من يسمع أو يرى هذه الرسائل الحالية، تحية.

اعلموا أننا، إكراماً لله وللكنيسة المقدسة، ومن أجل مصلحة مملكتنا بأكملها، قد منحنا لأنفسنا ولورثتنا ما يلي:

1. أن يُحفظ "الميثاق العظيم للحريات" (الماجنا كارتا) و"ميثاق الغابات"، اللذان أُبرما بالموافقة العامة من جميع أفراد المملكة في عهد والدنا الملك هنري، في جميع أجزائهما دون أي انتقاص. ونأمر بأن تُرسل هذه المواثيق نفسها، تحت ختمنا، إلى قضاتنا، سواء في شؤون الغابات أو غيرها؛ وإلى جميع مأموري المقاطعات (الشيريفات)، وإلى كافة وزرائنا الآخرين؛ وإلى جميع مدننا في أنحاء البلاد، مصحوبة بأوامرنا الملكية، التي تنص على أن ينشروا المواثيق المذكورة علانية، وأن يعلنوا للشعب أننا منحناهم حق التمسك بها في كل تفاصيلها. وعلى قضاتنا، ومأمورينا، وعمدنا، وغيرهم من المسؤولين الملتزمين بقانون هذه البلاد، والذين يتولون رعايتها نيابة عنا، أن يطبقوا هذه المواثيق في كل جزء منها عند نظر القضايا أمامهم وعند إصدار أحكامهم، أي الميثاق العظيم للحريات باعتباره القانون العام، وميثاق الغابات فيما يخص أحكام الغابات فقط ... [1].

(1) Statutes of the Realm, Vol. 1, ed. A. Luders, T. E. Tomlins, J. France, and W. E. Taunton (London: Printed by George Eyre and Andrew Strahan, 1810, p. 123–125.

مخطوطة رقم (5)

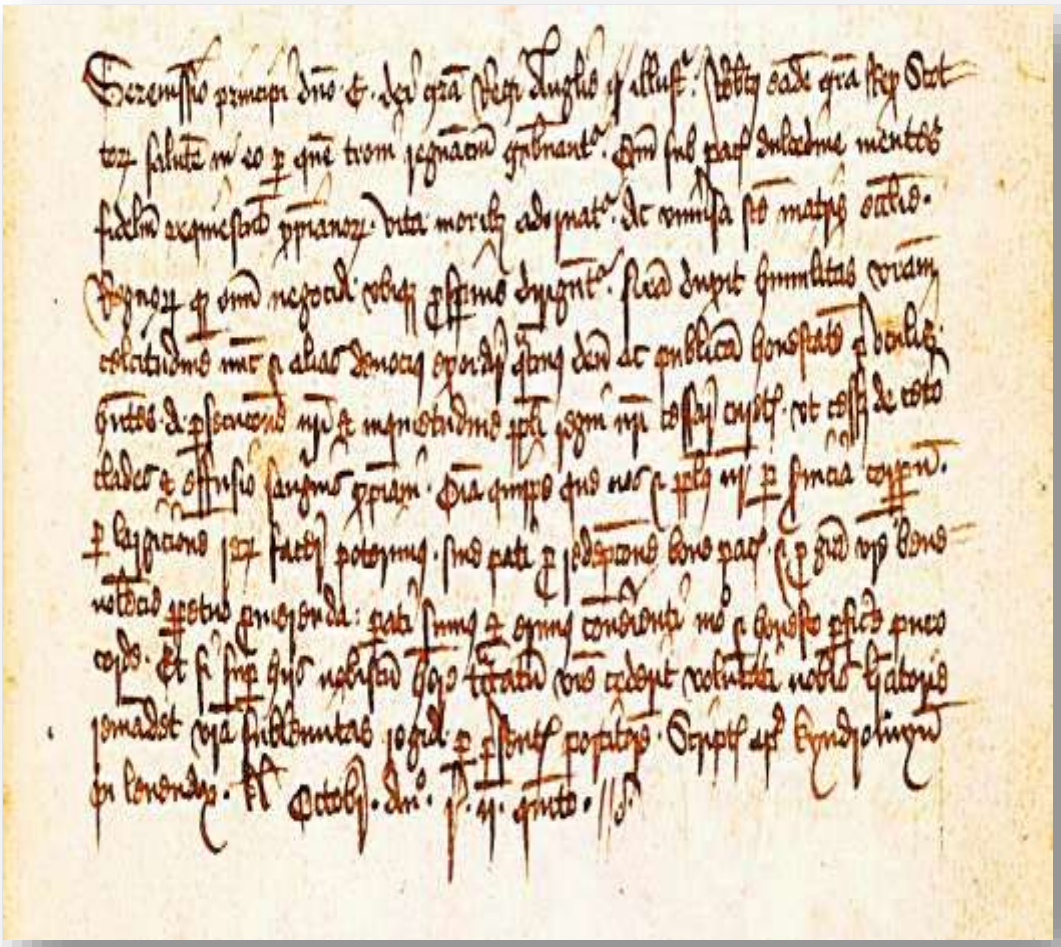

خطاب ملك اسكتلندا روبرت بروس الى ملك إنكلترا إدوارد الثاني في 1 تشرين الأول 1310

"إلى الأمير الأكثر جلالاً، اللورد إدوارد، بنعمة الله ملك إنكلترا الجليل، يرسل روبرت، بذات النعمة ملك الإسكتلنديين، تحياته بالذي بفضله تُحكم عروش الحكام، عندما تسكن عقول المؤمنين المتجاورين تحت عذوبة السلام، فحينئذٍ تُزدان الحياة بالسلوك القويم، وكذلك حال الكنيسة الأم المقدسة برمتها، لأن شؤون الممالك يجري ترتيبها في كل مكان بشكل أكثر ملاءمة من قِبل الجميع، إن تواضعنا قد دفعنا، الآن وفي أوقات أخرى، إلى التماس مقامكم السامي بكل تقوى، لكي تضعوا الله والوقار العام نصب أعينكم، وتتحملوا مشقة الكف عن اضطهادنا وإزعاج شعب مملكتنا، حتى يتوقف الدماروإراقة دماء الجيران من الآن فصاعداً.

وبطبيعة الحال، فإن كل ما سنكون قادرين على فعله نحن وشعبنا افتداءً للسلام الصالح ولنعمة حسن نيتكم المزدهرة دوماً، فإننا مستعدون وسنكون مستعدين لإنجازه بطريقة مناسبة ونزيهة، بقلب نقي، وإذا كان يتماشى مع إرادتكم إجراء نقاش معنا حول هذه المسائل، فلتتفضل رفعتكم الملكية بإرسال رد مكتوب إلينا مع حامل هذه الرسالة.

كُتبت في كيلدروم في لينوكس، في كالندات تشرين الأول في السنة الخامسة من حكمنا"[(1)].

(1) Letter from Robert I [the Bruce], King of Scots, to Edward II, King of England, 1 October 1310. British Library (London), MS Cotton Titus A XIX, f. 87r.

مخطوطة رقم (6)

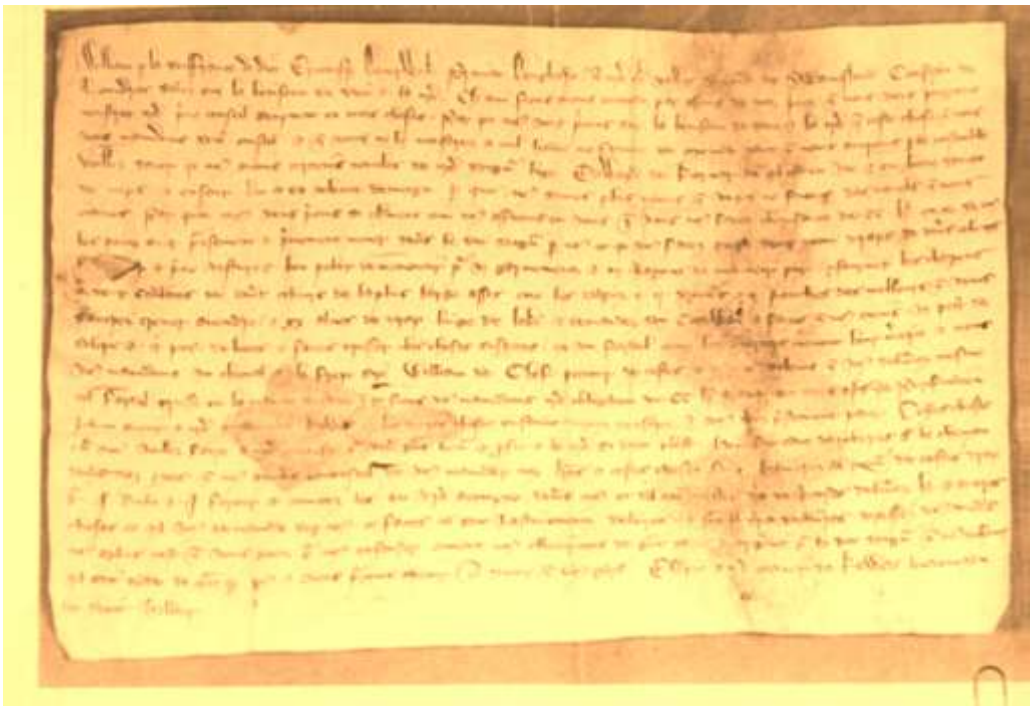

رسالة مانويل دي فايتيل الكاهن في كنيست سانت برناردي في مدينة فريتشيلي الإيطالية إلى الملك إدوارد الثالث في كانون الأول 1329، التي نصت على الآتي:

"إلى صاحب الجلالة الأعظم والمبجل، إدوارد الثالث، ملك إنكلترا، الموقر من مانويل دي فايتيل، خادم جلالتكم في روما، تحية طيبة وبعد.

يا سيدي، يفرض عليَّ ضميري، ولأنني أخشى الرب وأحترم الحقيقة، أن أكشف لجلالتكم سراً كتمته طويلاً، سراً يخص والدكم، الملك إدوارد الثاني، الذي بكت عليه المملكة وودعته في جنازة مهيبة.

أعْلِم جلالتكم، أن والدكم لم يمت في سجن قلعة بيركلي كما اعتقد الجميع. فعندما حان الوقت وضاقت به الأحوال، استطاع بفضل عون بعض المخلصين أن يخرج من سجنه سراً في ليلة شديدة الظلمة. لقد استبدل ملابسه بملابس عادية، وتمكن من الخروج دون أن يلحظه الحراس، تاركاً خلفه خدعة أمنية ليداري أثره، وهو ما جعل القوم يظنون أن جثمانه هو الذي دُفن في الجنازة التي أقمتموها، لقد غادر والدكم سواحل إنكلترا سراً عبر أيرلندا، ومنها انتقل إلى القارة. لقد رأيته بعيني، وتحدثت معه، وسمعت منه اعترافات تملأ القلب حزناً. إنه الآن يعيش حياة زاهدة، متنقلاً بين الأديرة، يرتدي مسحاً خشناً، ويقضي لياليه في الصلاة وتكفير الذنوب عما بدر منه من أخطاء خلال سنوات حكمه. لقد وجد السلام في العزلة والبعد عن الصخب والصولجان الذي لم يعد يعنيه ... لقد تنقل من إيرلندا إلى فرنسا، ومنها إلى برابانت، ثم وصل إلى إيطاليا حيث استقر به المقام في دير منعزل ..."(1).

(1) Warwickshire County Record Office; MS No. CR136/C2017.

مخطوطة رقم (7)

رسالة من أوين غليندور إلى شارل السادس ملك فرنسا، 31 آذار 1406

"إلى صاحب الجلالة الأكثر سمواً، شارل، ملك فرنسا المعظم، يبعث أوين، أمير ويلز، تحياته الحارة ومودته الصادقة. نحن، أوين، أمير ويلز، ومن خلال مجمعنا المنعقد في بينال، نبعث إليكم – يا صاحب الجلالة – بهذه الرسالة لنعبر عن امتناننا العميق لدعمكم المبارك لقضيتنا العادلة في استعادة حريتنا واستقلال أرضنا من نير الحكم الإنجليزي الجائر.

إننا نؤكد لجلالتكم، ومملكتكم العظيمة، عزمنا الراسخ على الانفصال عن طاعة البابا الحالي الذي يزعم أنه خليفة لبطرس في روما (إنوسنت السابع)، والذي يتلقى الدعم من عدونا اللدود هنري الرابع (ملك إنجلترا). وبدلاً من ذلك، فإننا، بصفتنا أميراً لهذه الأرض، نعلن ولاءنا الكامل للبابا بينيديكت الثالث عشر، المقيم في أفينيون، إيماناً منا بشرعيته ومكانته الروحية، وطلباً لنصرته في ترتيب شؤون كنيستنا الويلزية، وعليه، فإننا نطالب بإنشاء هيكل كنسي مستقل لويلز... لنكسر التبعية لكنيسة كانتربري الإنكليزية التي عملت على طمس هويتنا. نحن على أتم الاستعداد للمضي قدماً في هذا التحالف الوثيق، ومستعدون لتقديم كل ما يلزم من أجل إرساء قواعد دولتنا، ونتطلع إلى ردكم الكريم ومساندتكم لنا في هذه الحرب المقدسة ضد من يسعى لاستعبادنا، كُتبت في بينال، في اليوم الحادي والثلاثين من شهر مارس، في السنة الثانية من إعلاننا كأمير لويلز، وبداية عهد نهضتنا"[1].

(1) Warwickshire The Pennal Letter: Letter from Owain Glyndŵr to Charles VI of France, 31 March 1406, Archives Nationales (Paris), J 516, no. 29.

مخطوطة رقم (8)

خطاب حماية دوق يورك إدوارد الى كوادر كلية ايتون في 27 شباط 1461

"إدوارد، دوق يورك، إيرل مارش وألستر، إلى جميع قادة قواتنا، وأعواننا، وجميع رعايا مملكة إنكلترا، تحية طيبة.

نحيطكم علماً بأننا، بدافع من تقديرنا للعلم والتقوى، وبما أن كلية السيدة العذراء في إيتون، التي تأسست برعاية سلفنا الملك هنري السادس، تقع تحت رعايتنا الخاصة، فإننا نأمركم بأن تتخذوا تحت حمايتنا جميع أراضي، وممتلكات، ورجال، ومستأجري الكلية المذكورة، أينما وجدوا داخل أراضينا ومناطق نفوذنا، ونحظر عليكم بموجب سلطتنا، التعرض لأي من هؤلاء الأشخاص أو الاستيلاء على أي من ممتلكاتهم أو مواشيهم أو بضائعهم، أو إلحاق أي ضرر بهم تحت أي ذريعة كانت. وأي شخص يجرؤ على مخالفة هذا الأمر، فإنه سيعرض نفسه لعقابنا الملكي، وسيكون مسؤولاً أمامنا عن ذلك.

نأمر أيضاً بأن يُعاملوا معاملة حسنة وأن يُحفظ لهم أمانهم، لضمان استمرار أعمالهم الأكاديمية والروحية دون عائق، حرر في مقرنا، في اليوم السابع والعشرين من شهر فبراير، في السنة التاسعة والثلاثين من حكم الملك هنري السادس بحكم الأمر الواقع، ولكن بصلاحيات الدوق"[1].

(1) Letter of Protection granted by Edward, Duke of York, to the Provost and Fellows of Eton College, 27 February 1461. Eton College Records (ECR), 39/124.

مخطوطة رقم (9)

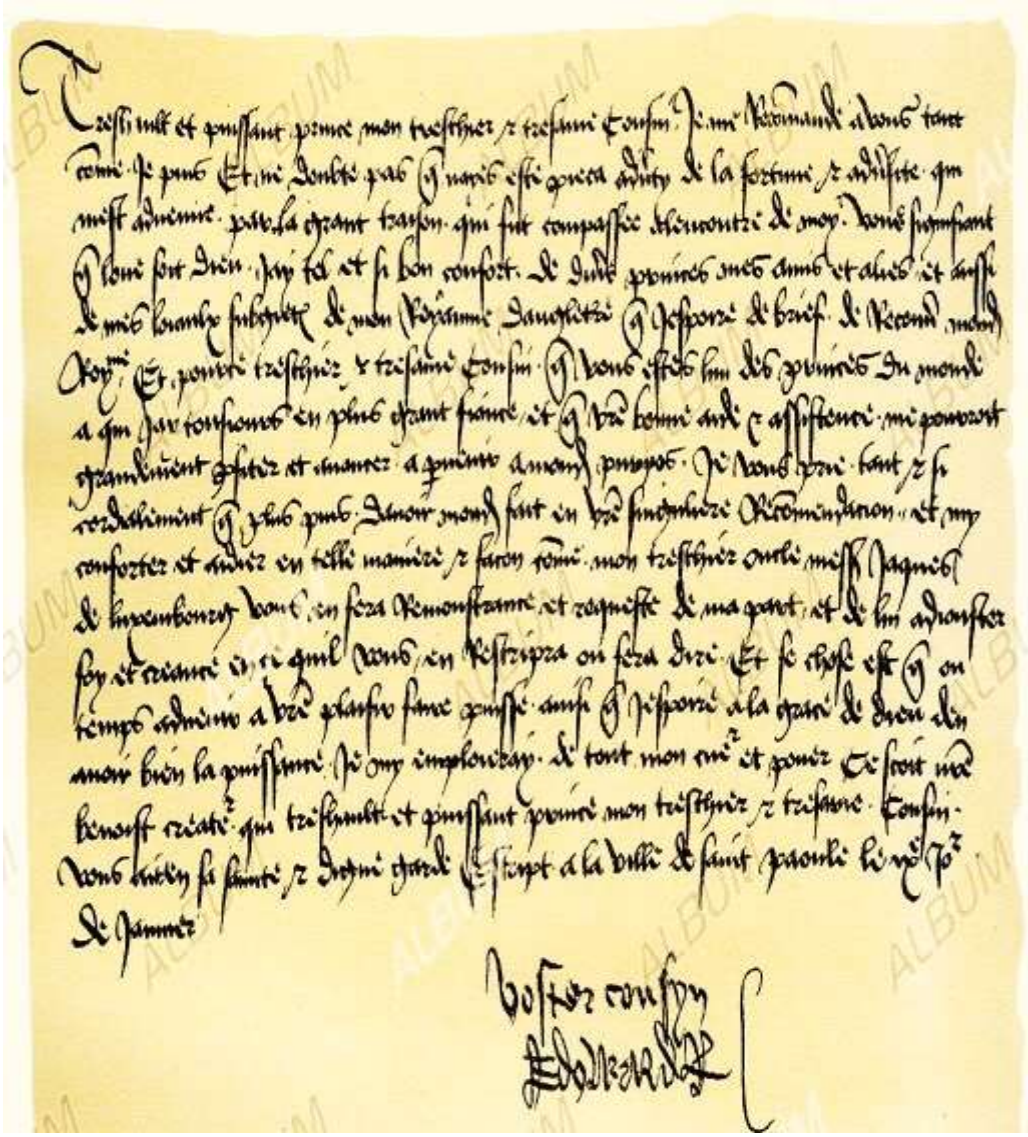

رسالة من الملك إدوارد الرابع إلى دوق بريتاني فرانسيس الثاني في 9 كانون الثاني 1471

"أيها الأمير العالي والقدير، قريبي العزيز والمحبوب، نوصي بأنفسنا إليكم بكل ما في قلوبنا من مودة. ونشكركم بشكل عاطفي وجزيل للغاية على لطفكم العظيم وصداقتكم التي أظهرتموها لنا في وقت حاجتنا الماسة، ولا سيما على الأمان والرعاية (صك المرور الآمن) التي منحتموها لخادمينا ورعايانا في أراضيكم. سائلين إياكم الاستمرار في علاقة القرابة الطيبة والصداقة تجاهنا، كما هو كامل ثقتنا فيكم. أيها الأمير العالي والقدير، قريبي العزيز والمحبوب، لتكن الثالوث المقدس في حرسكم ورعايتكم.

كُتبت تحت ختمنا في مدينتنا لندن، في اليوم التاسع من شهر كانون الثاني 1471 قريبكم المخلص، إدوارد"[1].

(1) Thomas Rymer, Foedera, Conventiones, Literae, et cujuscunque generis Acta Publica, Vol. XI (London, 1710), p. 692. Letter from King Edward IV to Francis II, Duke of Brittany, 9 January 1471.

مخطوطة رقم (10)

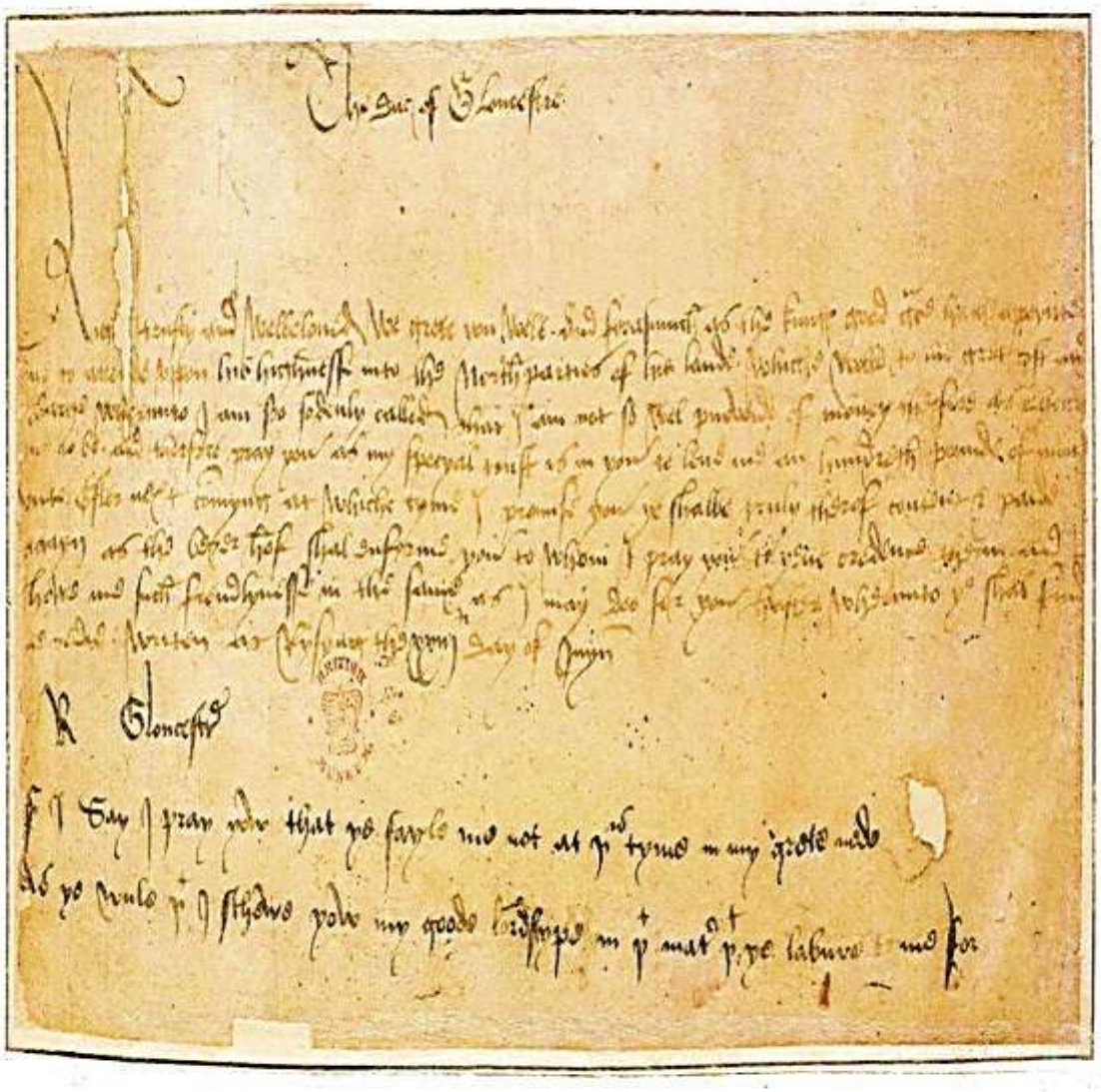

نص الرسالة التي أرسلها دوق غلوستر ريتشارد (الملك ريتشارد الثالث) لاحقاً وهو في السادسة عشرة من عمره إلى السير جون ساي عام 1469:

"إلى مستشاري الأمين والمخلص، السير جون ساي، أمين خزانة الملك.

نحييك يا صاحب السعادة ونخبرك بأننا في حاجة ماسة وملحة إلى مبلغ مائة جنيه إسترليني لمواجهة التزامات طارئة تتطلب سرعة في الأداء، وهو أمر لا يمكننا تأجيله.

نرجو منك، لما نعرفه من إخلاصك للملك ولنا، أن تيسر لنا هذا القرض من خزانة الملك وتضعه في يد حامل هذه الرسالة، وسنضمن لك استرداده في أقرب وقت ممكن بمجرد تحسن أحوالنا المالية.

لا تخذلني في هذا الوقت الذي أحتاج فيه بشدة، فثقتنا في تدبيرك وحسن تقديرك هي التي دفعتنا لمخاطبتك دون غيرك، كُتب بخط يدنا في مدينة لندن، ريتشارد"[1].

(1) Richard, Duke of Gloucester, Letter to Sir John Say, 1469, The National Archives (TNA), Kew, SC 1/51/14.

مخطوطة رقم (11)

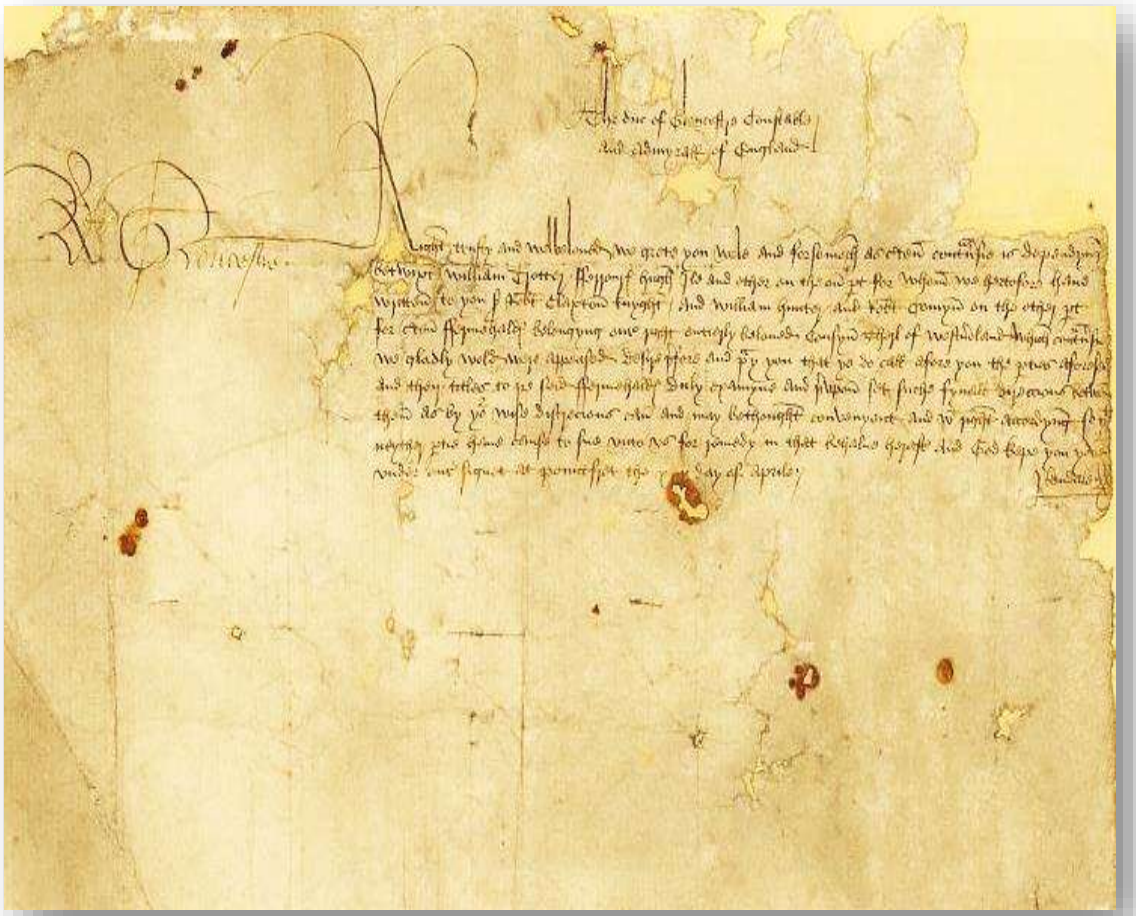

احدى رسائل دوق غلوستر ريتشارد (الملك ريتشارد الثالث لاحقاً) الى مجلس إيرل ويستمورلاند

"من ريتشارد، دوق غلوستر، إلى السير روبرت كلاكستون، ووليليام كلاكستون، وريتشارد بينبريدج، وغيرهم من أعضاء مجلس 'قريبنا المحبوب للغاية، إيرل ويستمورلاند'، بونتفراكت، 22 أبريل 1473.

بشأن النزاع القائم بين وليام تروتر (الحداد)، وهيو إيل وآخرين من جهة، وبين ويليام هنتر وروبرت كومين من جهة أخرى، بخصوص عقود الإيجار التابعة لإيرل ويستمورلاند.

إننا نكتب إليكم الآن، بصفتكم مجموعة من مستشاري إيرل ويستمورلاند، طالبين منكم فحص ادعاءات المتنازعين وتسوية هذا النزاع وفقاً لتقديركم الخاص، بحيث لا يضطر أي من الطرفين إلى اللجوء إلينا لطلب الإنصاف في هذا الشأن لاحقاً"[1].

(1) Richard, Duke of Gloucester, Autograph Letter Signed to the Council of the Earl of Westmorland, Pontefract, 22 April 1473. Provenance: Sotheby's, Manuscripts and Historical Documents Sale, [Date of Auction, e.g., 14 July 1998], lot [Lot Number]. Currently in a private collection.

مخطوطة رقم (12)

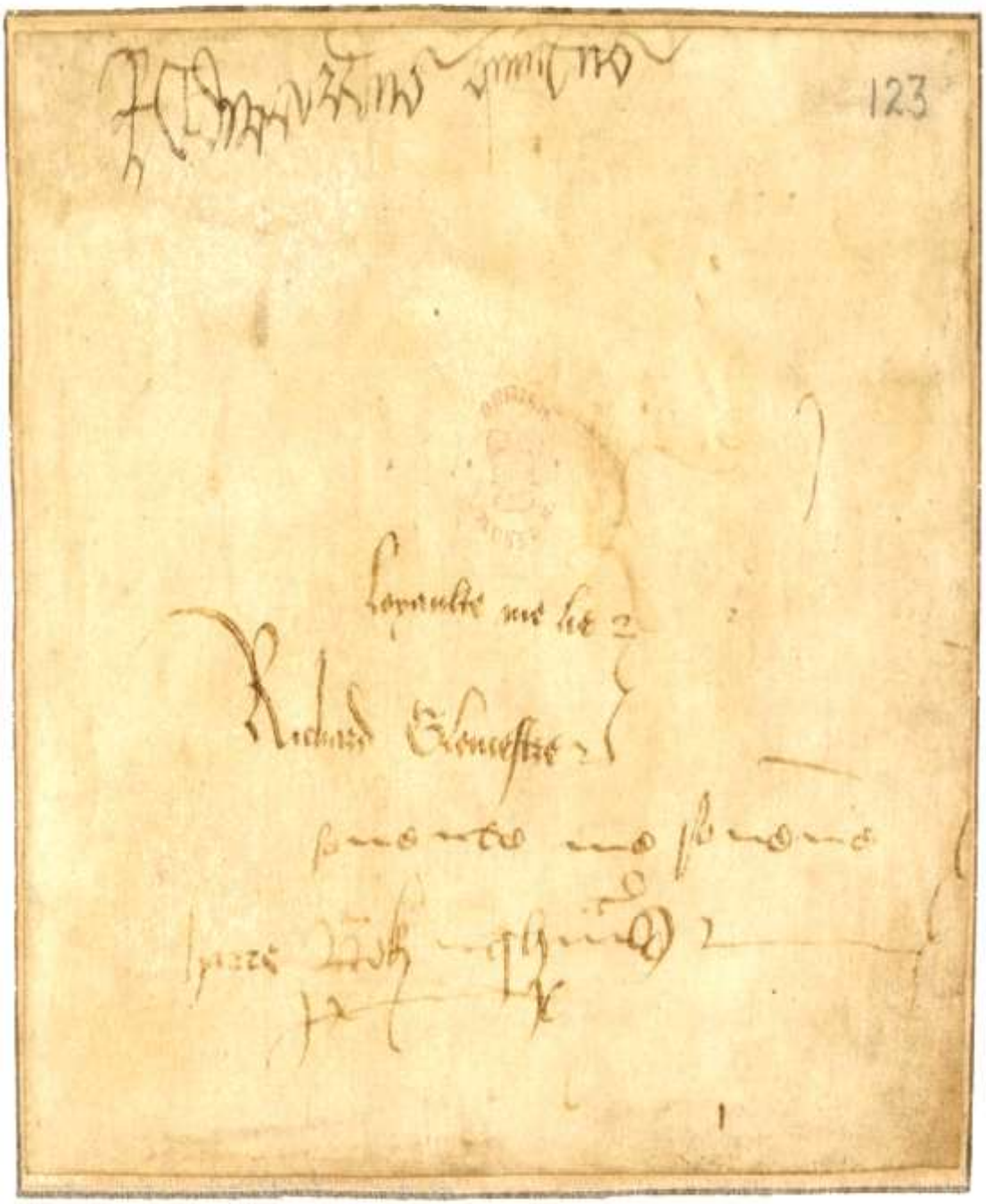

وثيقة ولاء وتأييد: من ريتشارد، دوق غلوستر، وهنري، دوق باكنغهام، إلى الملك إدوارد الخامس في 3 أيار 1483

تضمنت شعار ريتشارد دوق غلوستر المعروف قبل تسنمه العرش (الولاء يربطني)

وشعار هاري بكنغهام (تذكرني كثيراً)، وهي تطمينات زائفة بورئهما للملك الصبي[1].

(1) The National Archives (TNA), Duchy of Lancaster: Records of the Chancery, DL 42/20, f. 11r.

مخطوطة رقم (13)

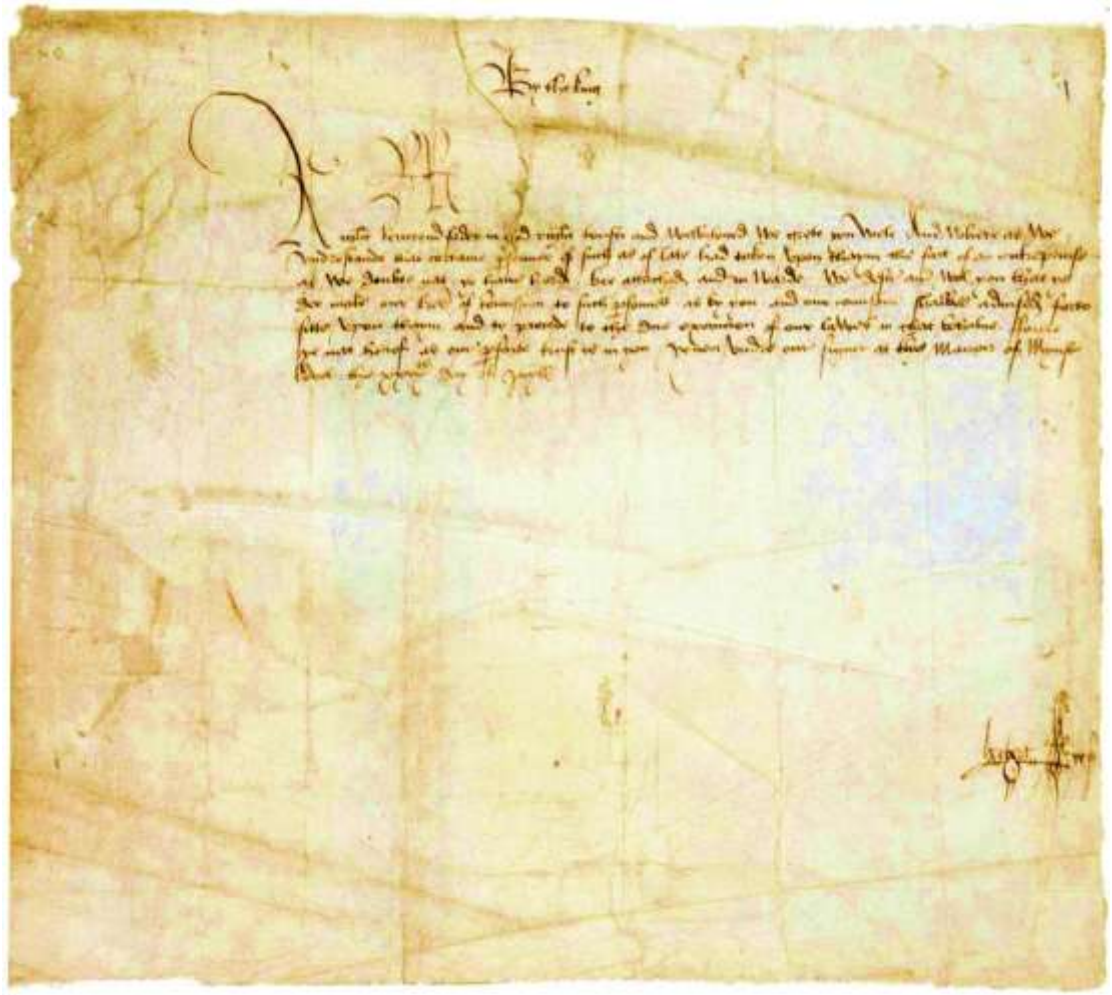

نص الرسالة الموجهة من الملك ريتشارد الثالث إلى اللورد المستشار (حارس الختم العظيم) جون راسل في 29 تموز 1483.

"بواسطة الملك،

إلى مستشارنا الأمين، أسقف لينكولن، حارس الختم العظيم:

نحييكم ونعلمكم أننا تلقينا معلومات موثوقة ومؤكدة عن قيام أطراف معادية لنا بحياكة مؤامرات شريرة ومشاريع دنيئة داخل مدينتنا لندن، تهدف إلى النيل من أمننا، وتتضمن محاولات جريئة ومباشرة للعبث بسلامة البرج وما فيه، وبغية إحداث اضطراب في مملكتنا.

إننا، وإذ نضع نصب أعيننا حماية أمن التاج واستقرار البلاد، نأمركم بموجب هذه الرسالة بأن تتخذوا أقصى درجات الحيطة، وتستخدموا صلاحياتكم في الختم العظيم لتعزيز الإجراءات القانونية والأمنية التي تضمن لنا كشف هؤلاء المتآمرين والقبض عليهم فوراً.

لا تألوا جهداً في حماية حقنا، فإننا عازمون على مواجهة كل من يسعى لتقويض نظامنا بقوة القانون وبكل ما أوتينا من سلطة.

كُتبت تحت توقيعنا في مدينة لندن، التاسع والعشرين من تموز"[1].

(1) The The National Archives (TNA), Kew, C 81/1547/18.

مخطوطة رقم (14)

رسالة الملك ريتشارد الثالث في 12 تشرين الأول 1483 الى احدى مستشاريه حول تمرد دوق باكنغهام هنري ستامفورد

"بواسطة الملك

إلى مستشارنا الأمين، أسقف لينكولن، حارس الختم العظيم:

نحييك يا صاحب السعادة، ونعلمك أننا نرسل إليكم هذا الطلب العاجل لمو افاتنا بالختم العظيم (Great Seal) فوراً إلى مدينة لينكولن، حيث نحتاجه لأمور عاجلة تتعلق بأمن مملكتنا، لقد جاءنا ما يُثبت خيانة دوق باكنغهام، الذي تحول إلى متمرد ضدنا، ويسعى بشتى الطرق للنيل من استقرار عرشنا.

خاتمة بخط يد الملك

"نحن نؤكد لكم، يا صديقنا المخلص، أننا عازمون كل العزم على مواجهة هذا الحقد، وسنقف بكل قوة ضد أكثر المخلوقات زيفاً وغدراً على وجه الأرض. إننا نعتمد على إخلاصكم وحكمتكم في هذا الوقت العصيب، فكونوا معنا، وليكن الله دليلاً لنا في استعادة الحق".

كُتبت تحت توقيعنا في مدينة لينكولن، الثاني عشر من تشرين الأول"[1].

(1) The National Archives (TNA), Kew, C 81/1547/32.

مخطوطة رقم (15)

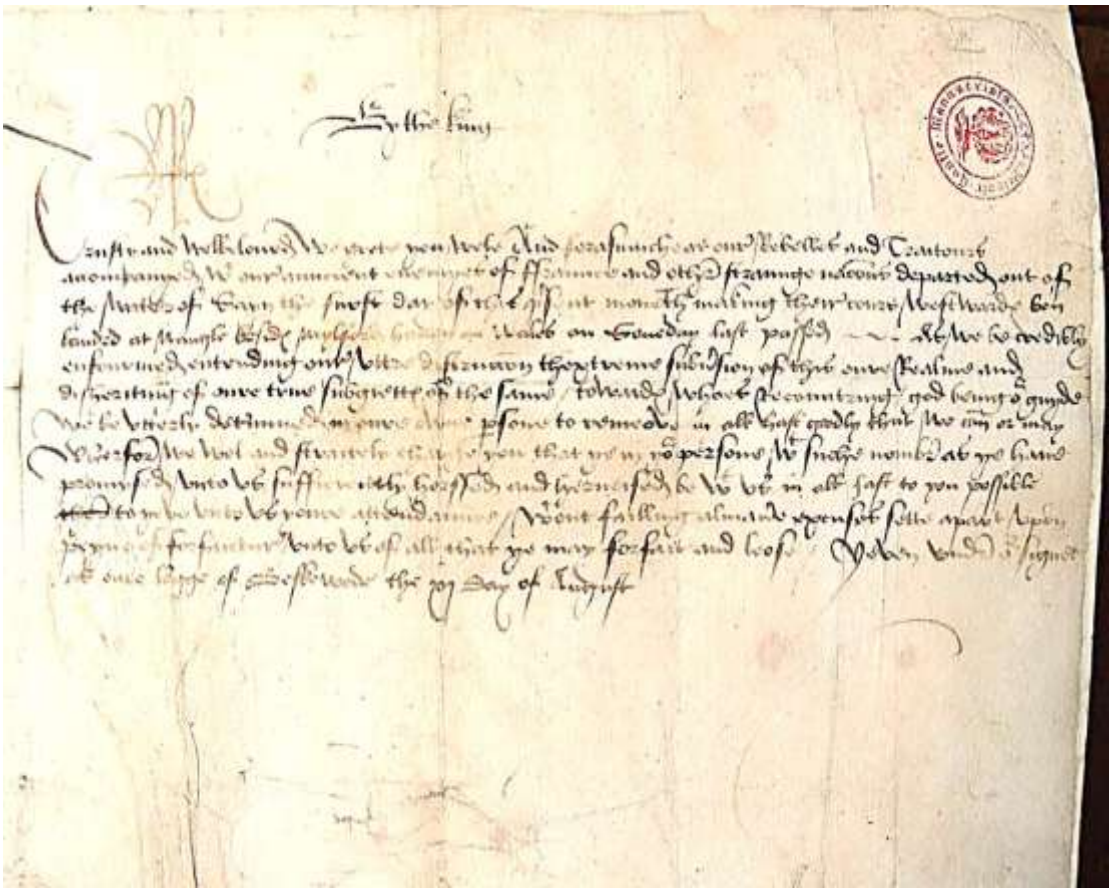

آخر رسالة باقية من ريتشارد، مؤرخة في 11 أغسطس 1485، تُعلم هنري فيرنون بوصول تيودور من فرنسا قبل أربعة أيام، وتطلب منه تهيأة مستلزمات المواجهة

"بواسطة الملك،

إلى خادم الأمين السير هنري فيرنون:

نحييك ونعلمك بأننا تلقينا أخباراً مؤكدة بوصول المتمرد هنري تيودور (Henry Tydder) من أجزاء خارجية إلى أراضي ويلز، وقد حط رحاله هناك منذ أربعة أيام، بنية إلحاق الأذى بنا وبمملكتنا وبكم جميعاً.

ليكن الله دليلنا، فنحن عازمون كل العزم على الرحيل بأسرع ما يمكن لمواجهته، وقد أمرنا جميع أتباعنا وخَدَمنا المخلصين باللحاق بنا فوراً ومر افقتنا، لذا، فإننا نأمركم بموجب هذه الرسالة بأن تجهزوا كل ما بوسعكم من الرجال المخلصين، المجهزين بالخيول واللوازم والأسلحة، والتوجه فوراً لملاقاتنا في أسرع وقت ممكن.

و إننا نحملكم المسؤولية الكاملة عن أي تقصير أو تأخير في ذلك، ولن نتقبل أي عذر، وسنضطر لاتخاذ الإجراءات اللازمة ضد من يتخلف، مما قد يؤدي إلى خسارتكم لامتيازاتكم وممتلكاتكم.

حُررت تحت توقيعنا في مدينة نوتنجهام، الحادي عشر من آب"[1].

(1)The National Archives (TNA), Kew, C 81/1547/35.

ثانياً : مخططات المعارك:

مخطط رقم (1)

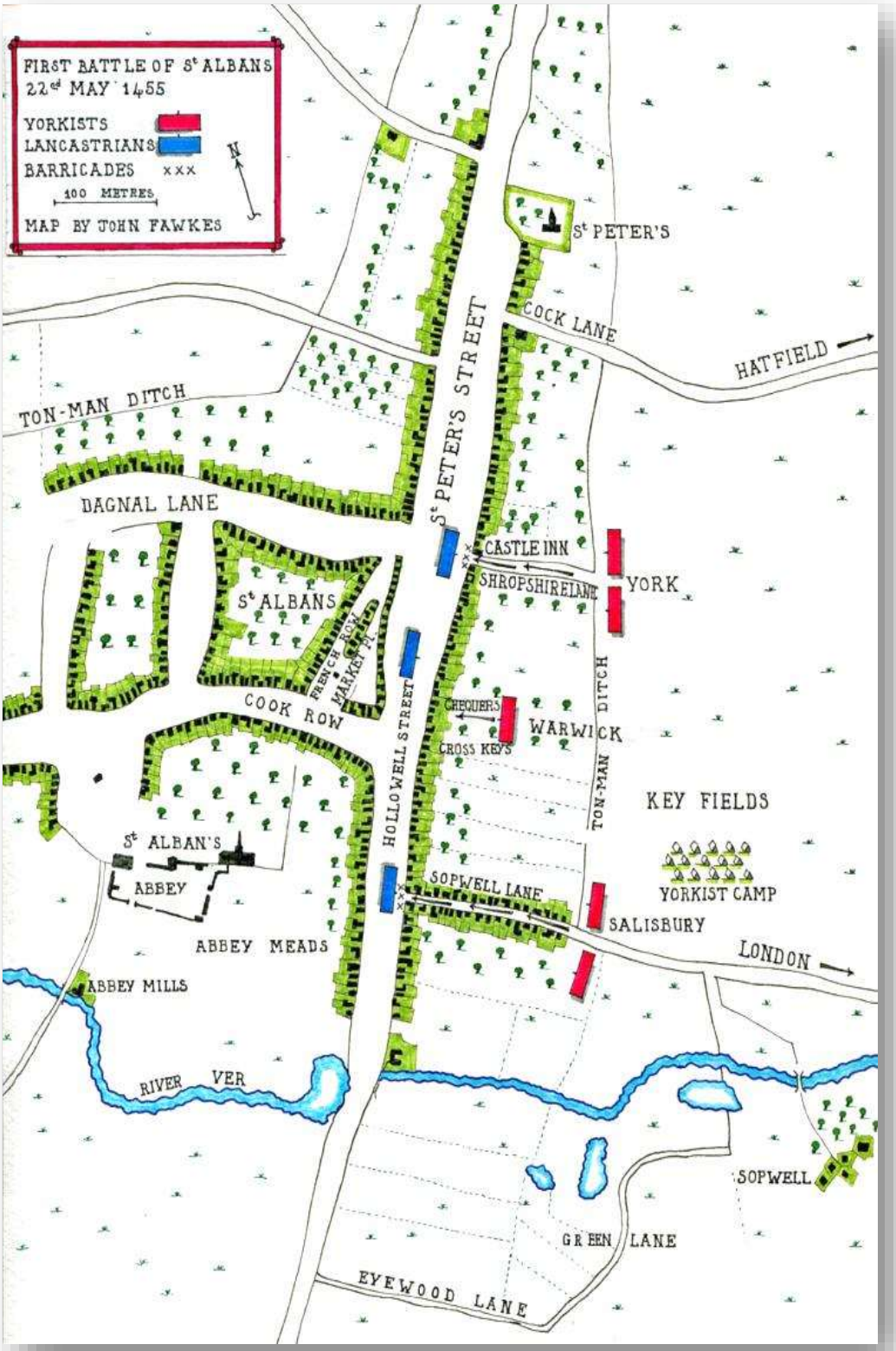

معركة سانت ألبانز الأولى 22 أيار 1455

https://www.britishbattles.com/wars-of-the-roses/first-battle-of-st-albans/

مخطط رقم (2)

معركة بلورهيث 23 أيلول 1459

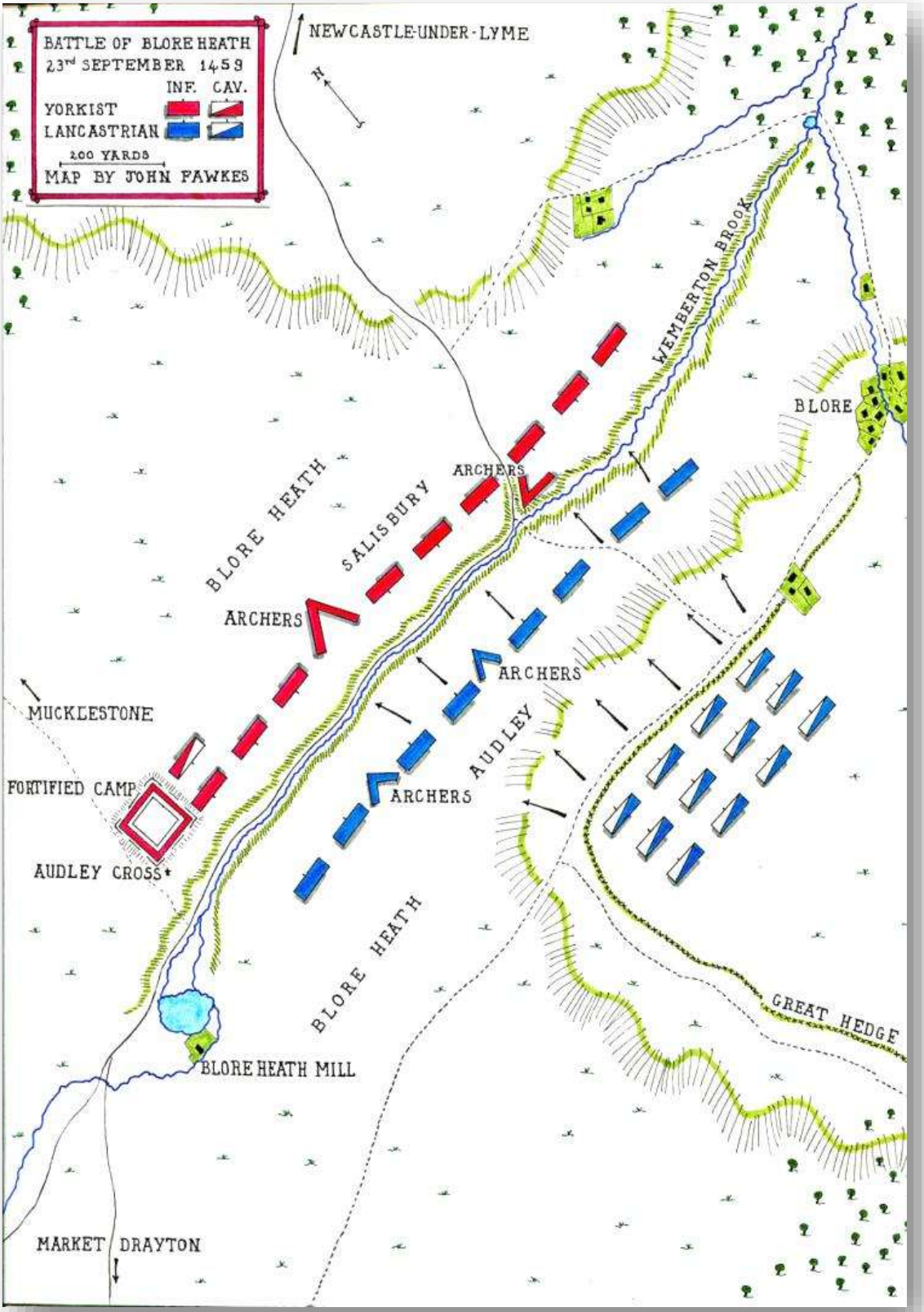

/https://www.britishbattles.com/wars-of-the-roses/battle-of-blore-heath

مخطط رقم (3)

معركة نورثهامبتون 10 تموز 1460

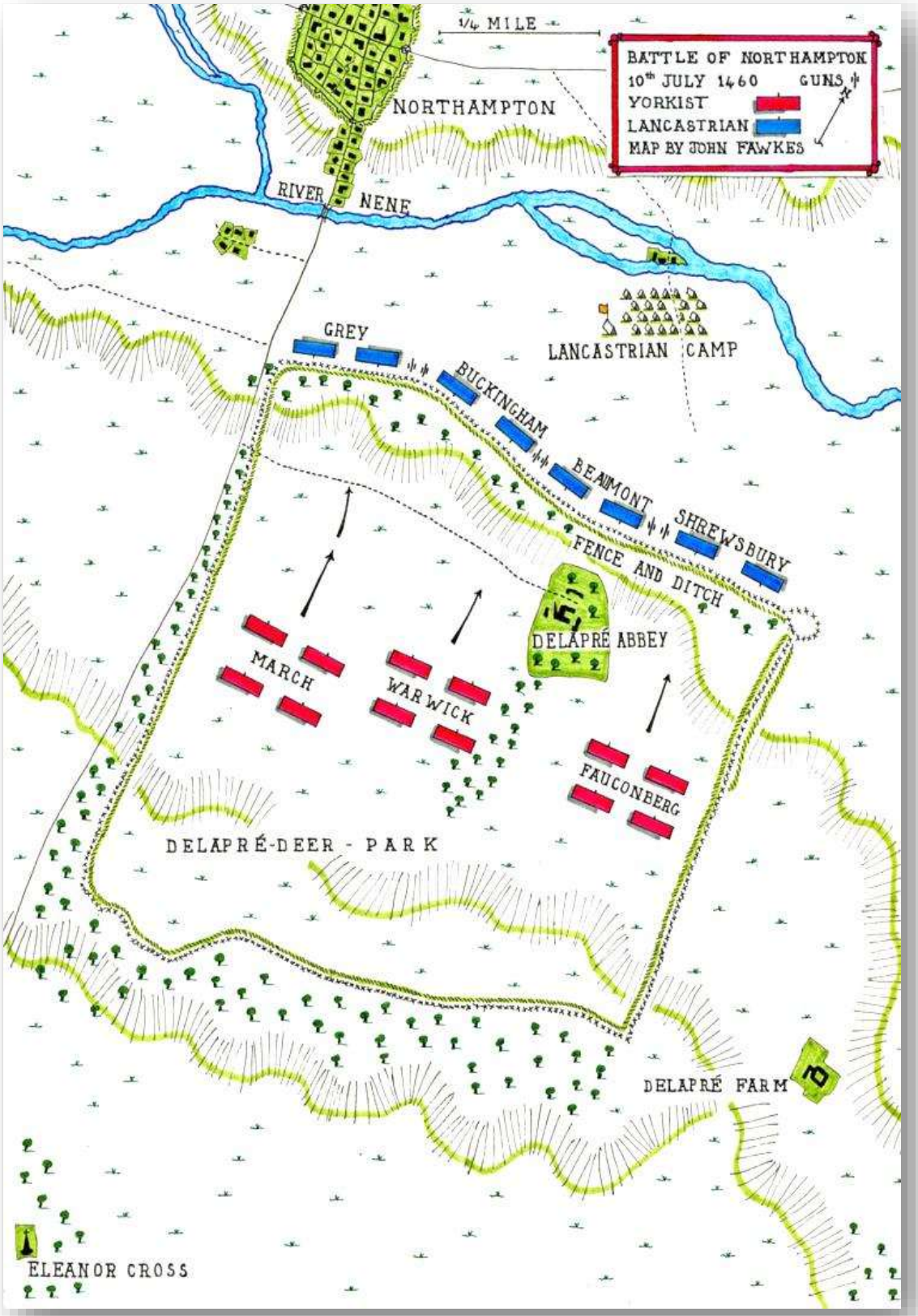

/https://www.britishbattles.com/wars-of-the-roses/battle-of-northampton

مخطط رقم (4)

معركة ويكفيلد 30 كانون الأول 1460

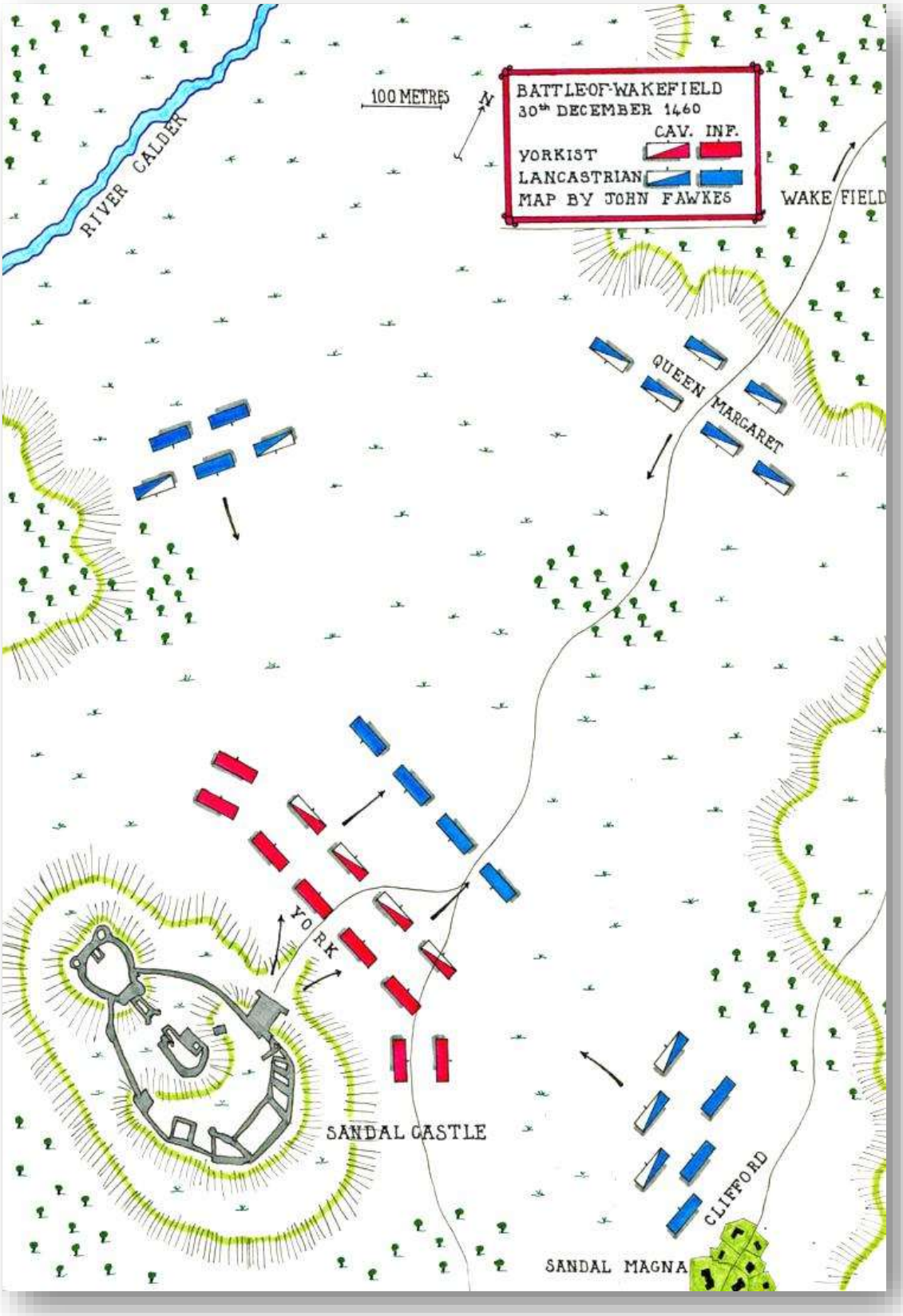

/https://www.britishbattles.com/wars-of-the-roses/battle-of-wakefield-1460

مخطط رقم (5)

معركة مورتيمر كروس 3 شباط 1461

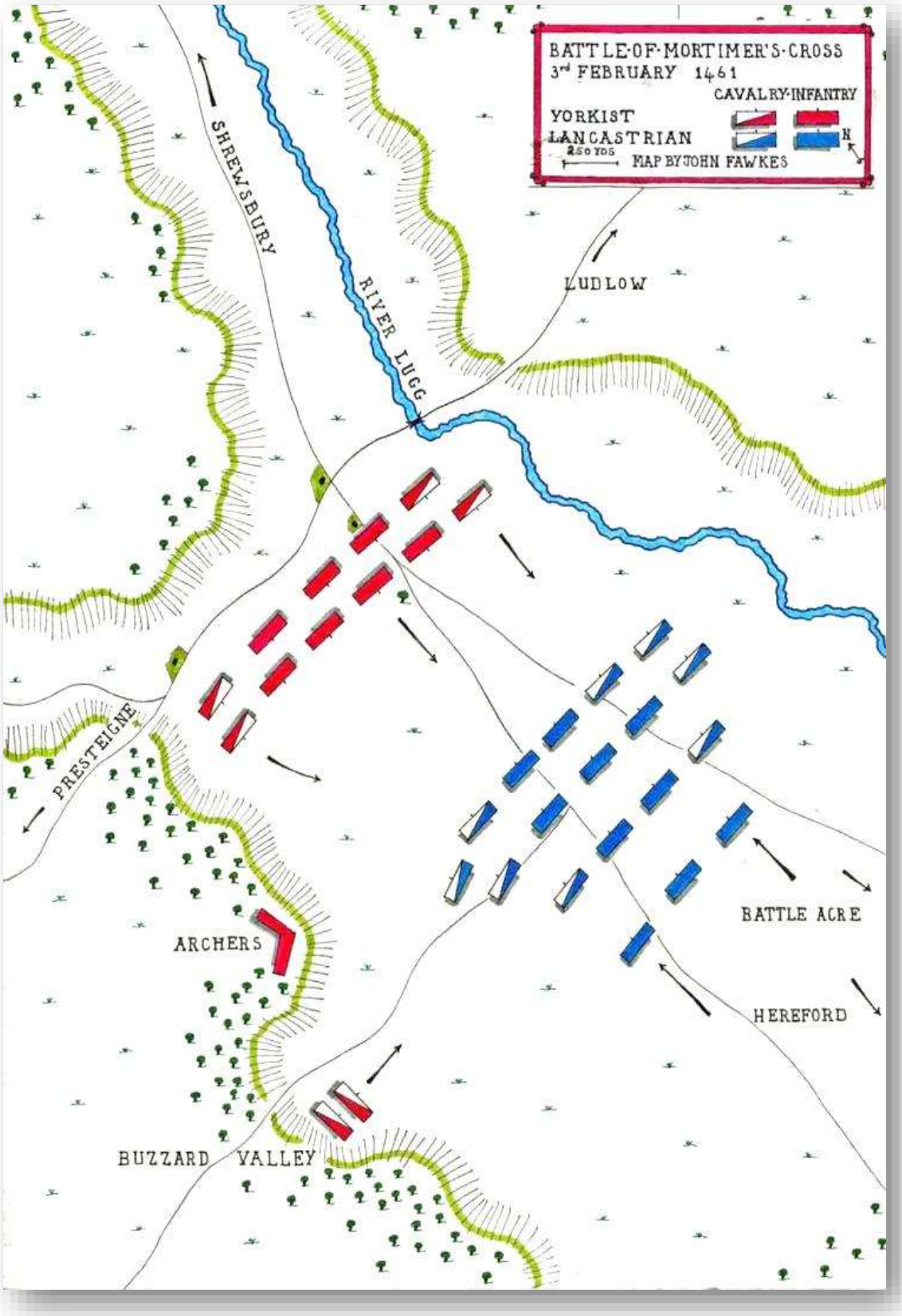

/https://www.britishbattles.com/wars-of-the-roses/battle-of-mortimers-cross

مخطط رقم (6)

معركة سانت ألبانز الثانية 17شباط 1461

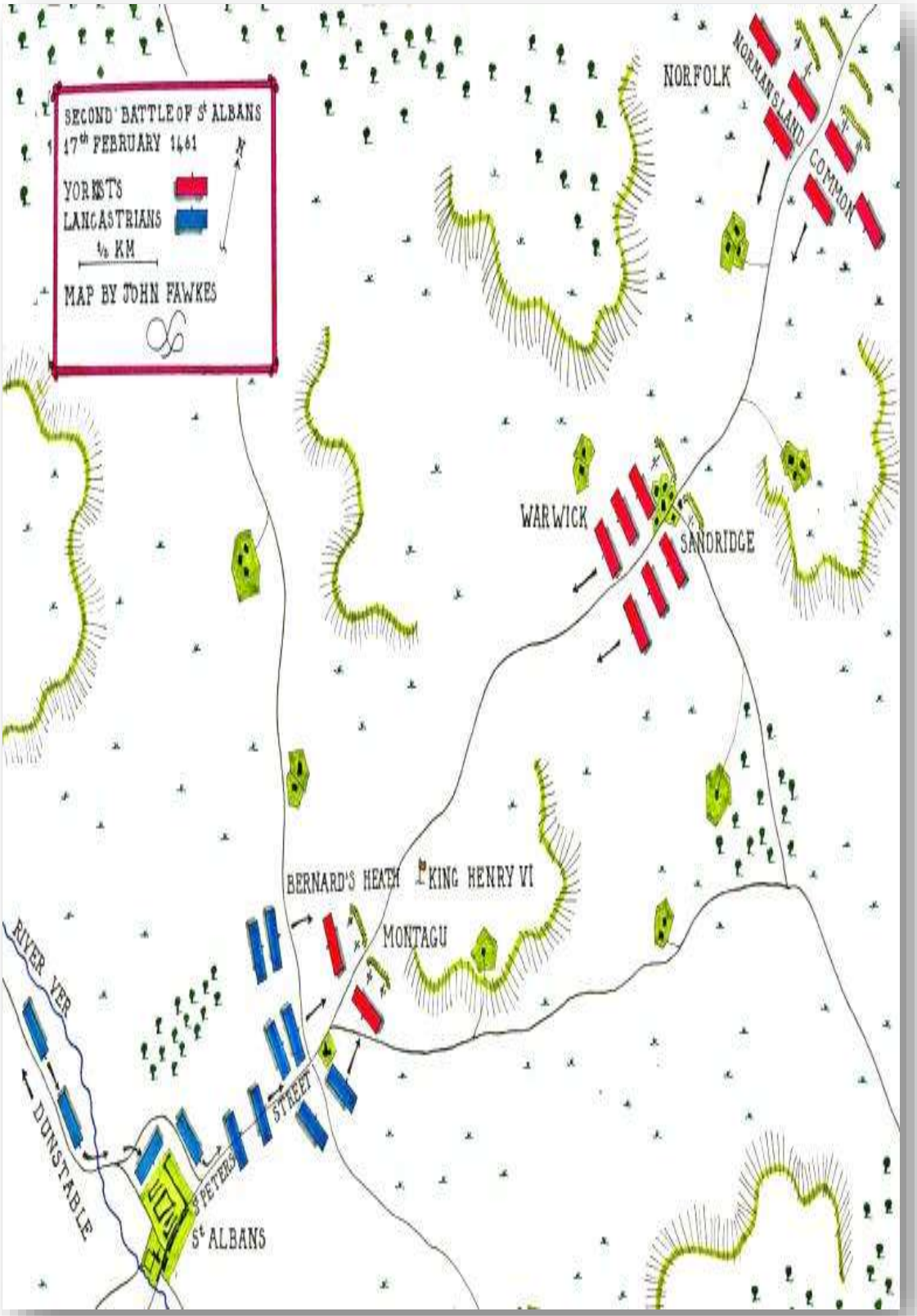

/https://www.britishbattles.com/wars-of-the-roses/second-battle-of-st-albans

مخطط رقم (7)

معركة توتون 29 آذار 1461

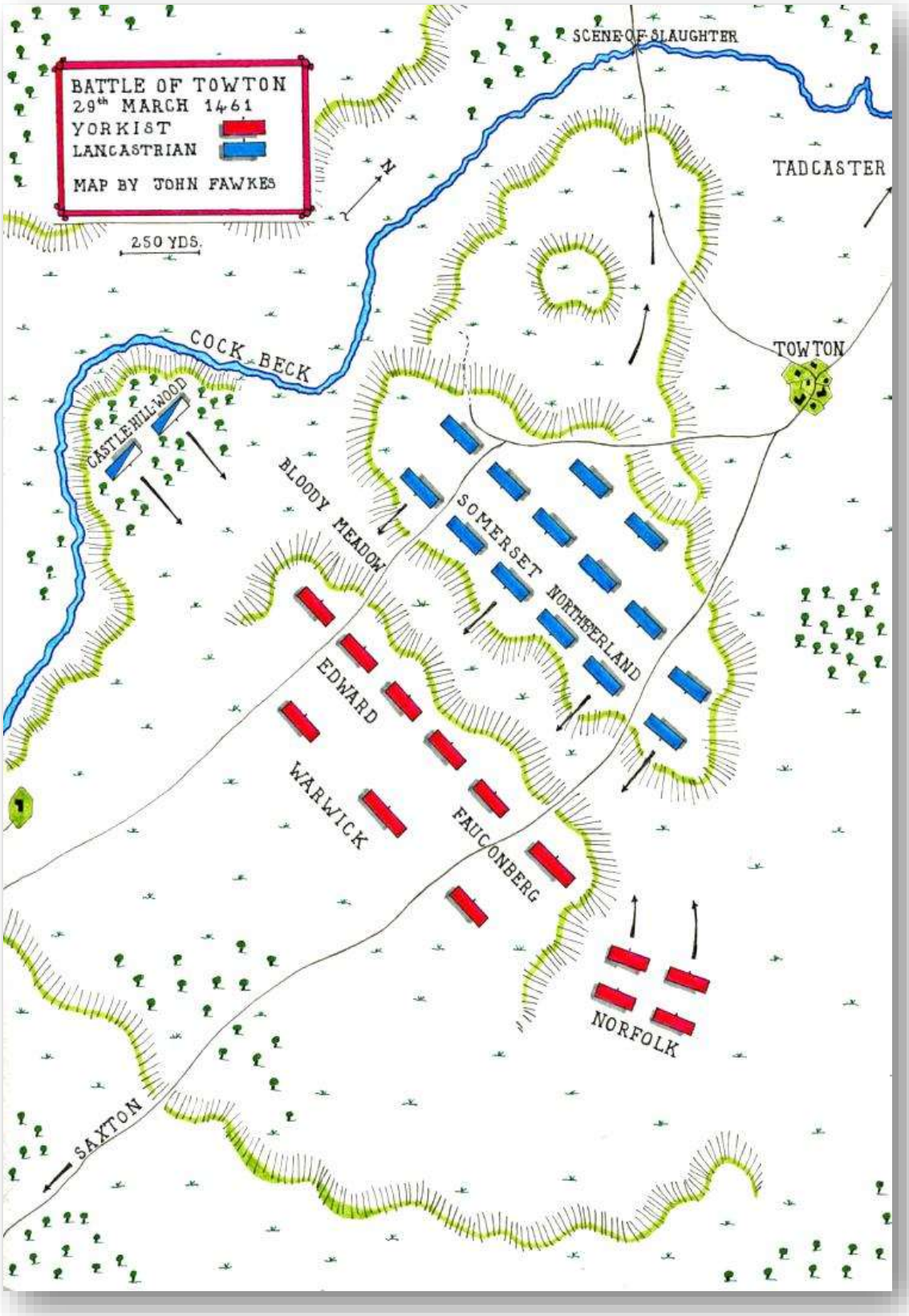

/https://www.britishbattles.com/wars-of-the-roses/battle-of-towton

مخطط رقم (8)

معركة إيدجكوت مور26 تموز 1469

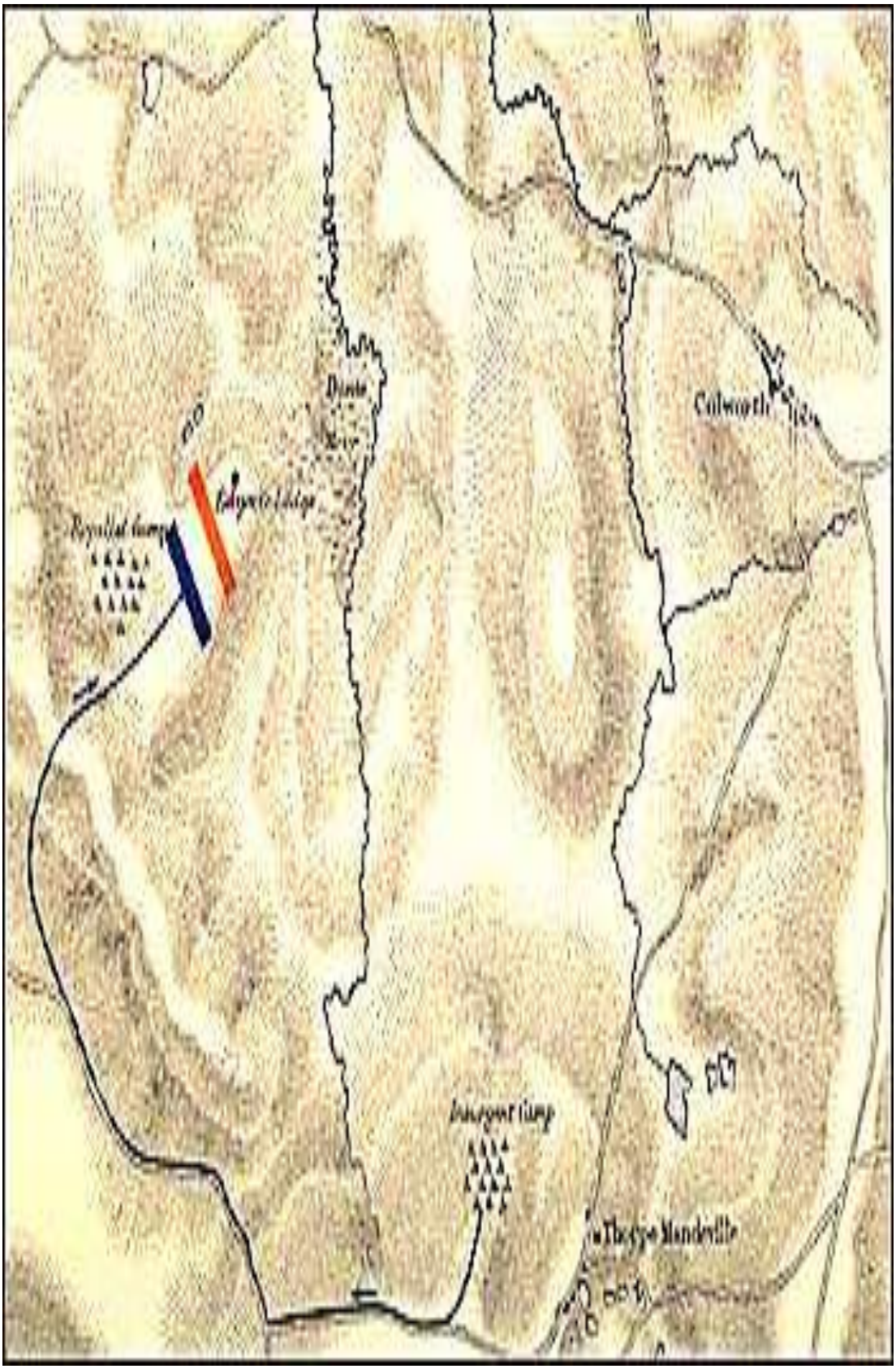

https://www.luminarium.org/encyclopedia/edgecote.htm

مخطط رقم (9)

معركة بارنيت 14 نيسان 1471

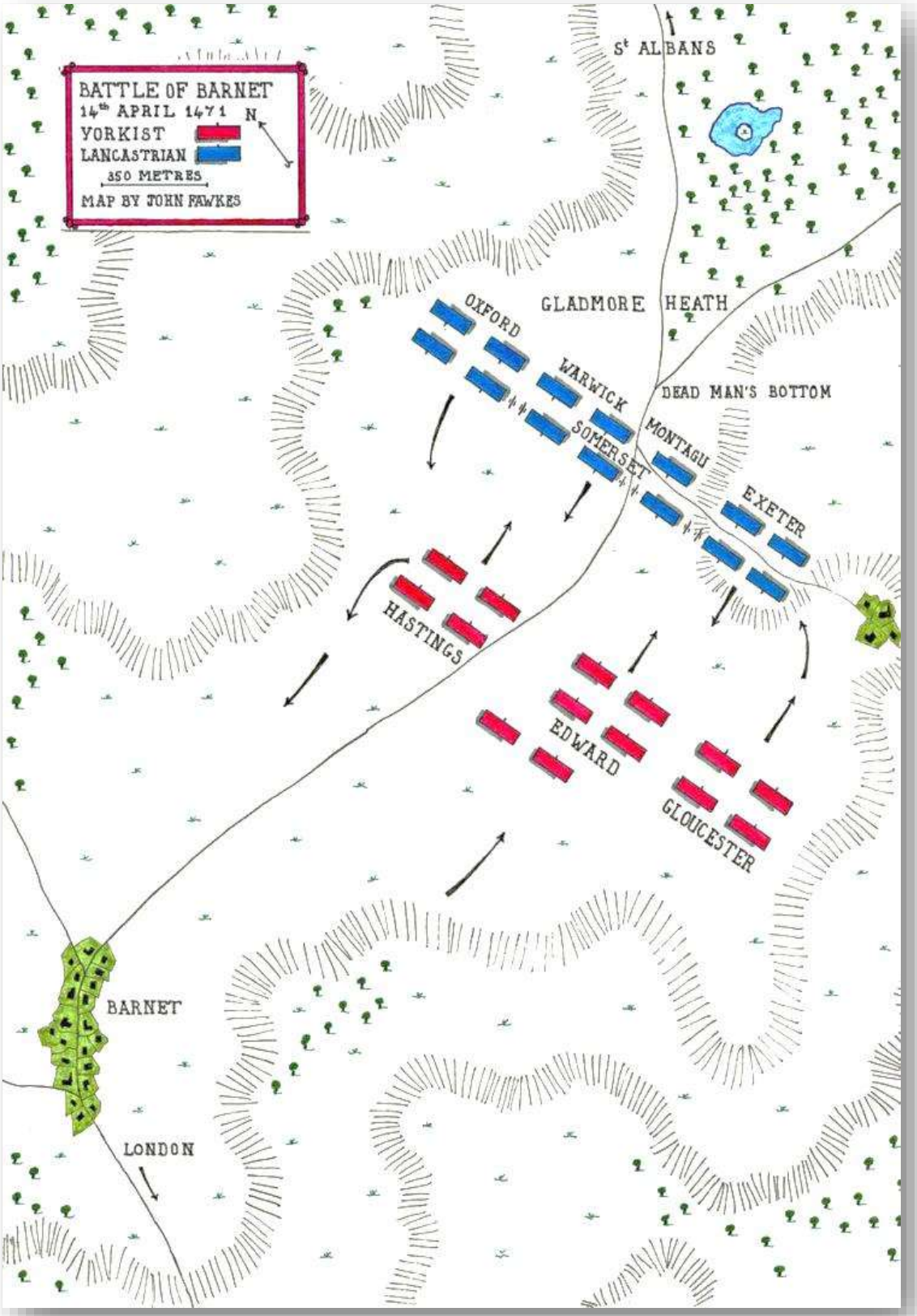

/https://www.britishbattles.com/wars-of-the-roses/battle-of-barnet

مخطط رقم (10)

معركة توكسبيري 4 أيار 1471

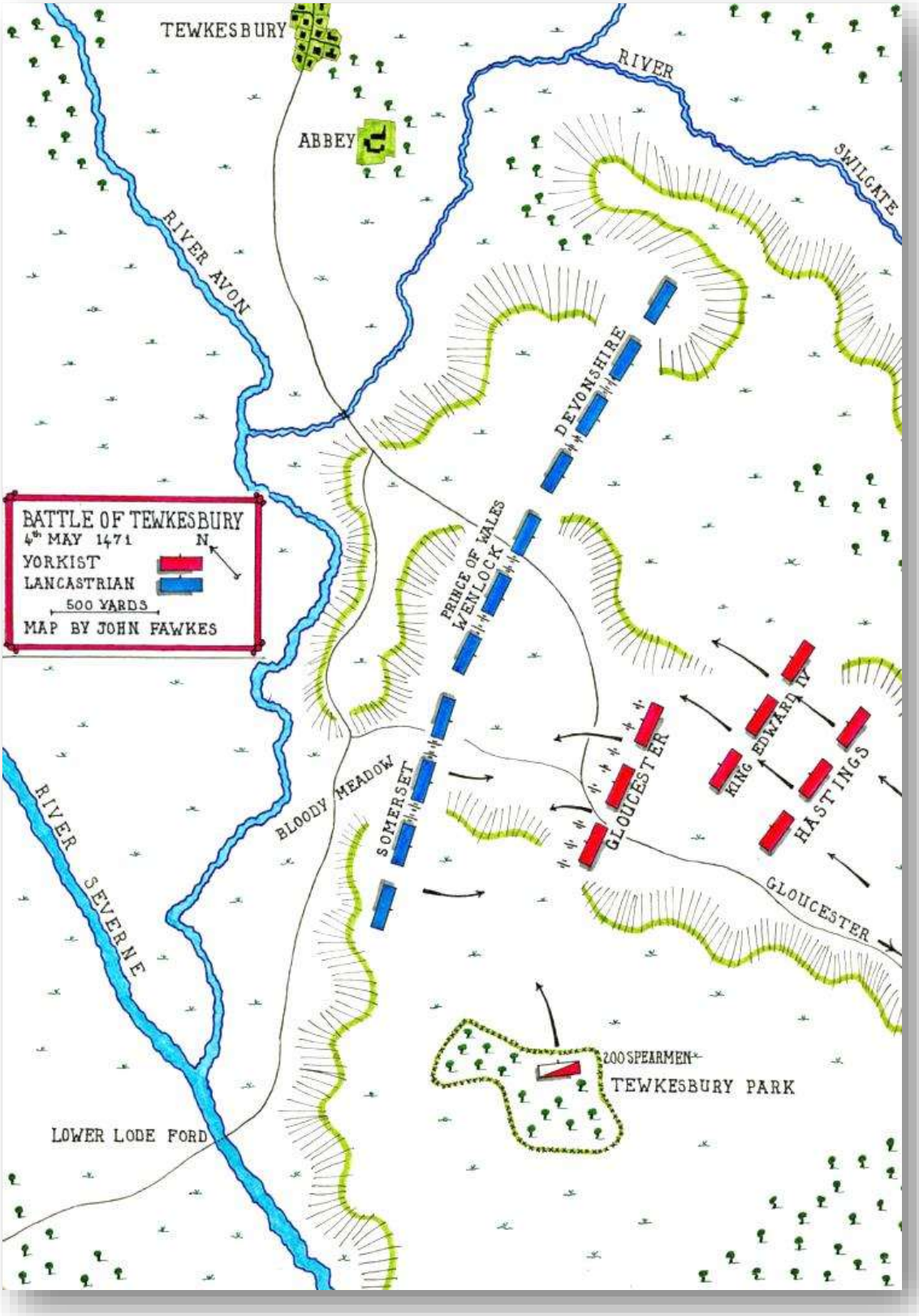

https://www.britishbattles.com/wars-of-the-roses/battle-of-tewkesbury/

مخطط رقم (11)

معركة بوسورث فيلد 22 آب 1485

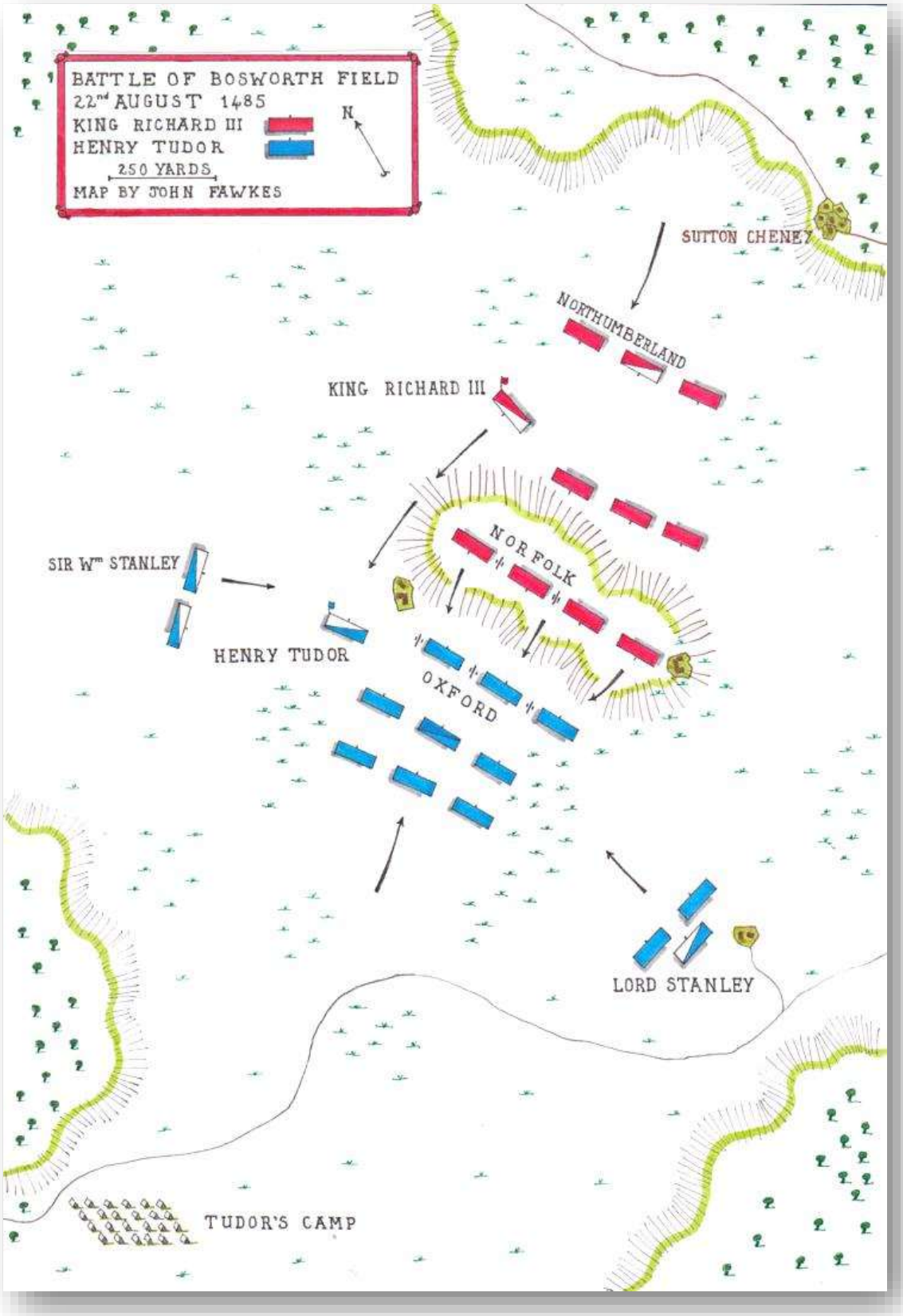

/https://www.britishbattles.com/wars-of-the-roses/battle-of-bosworth-field

قائمة المصادر

قائمة المصادر والمراجع

اولاً – السجلات الوثائقية والحوليات باللغة اللاتينية :

1. Adæ Murimuth Continuatio chronicarum: Historia Anglicana 1272–1381, Vol. I, ed. H. T. Riley, London, 1863.
2. Adæ Murimuth Continuatio chronicarum: Robertus de Avesbury De gestis, ed. Robert Adam Murimuth, London, 1889.
3. Annàla Uladh, The Annals of Ulster; a chronicle of Irish affairs from 431 A.D. to 1540 A.D, ed. B. MacCarthy, Dublin, 1887.
4. Annales Paulini, Chronicles of the Reigns of Edward I and Edward II, London, 1882.
5. Annalium Hiberniae Chronicon ad annum MCCCXLIX, Friar John Clyn, Dublin, 1849.
6. Calendar of Ancient Correspondence Concerning Wales, ed. J. G. Edwards, Cardiff, 1935.
7. Calendar of Entries in the Papal Registers Relating to Great Britain and Ireland, Vol. II, London, 1895.
8. Caradoc of Lhancarvan, The History of Wales, Translated by Dr. Powell, London, 1774.
9. Cartae et Alia Munimenta de Glamorgan 1271 – 1331, Vol. III, ed. G. T. Clark, Cardiff, 1910.
10. Chris Given-Wilson, The Chronicle of Adam Usk 1377 – 1421, Oxford, 1997.
11. Chronica et Annales Johannis de Trokelowe et Henrici de Blaneforde, ed. H. T. Riley, London, 1866.
12. Chronica majora Matthæi Parisiensis, Vol. V, ed. Henry Richard Luard, London, 1872.
13. Chronica Monasterii de Melsa, ed. E. A. Bond, Vol. II, London, 1867.
14. Chronicon Galfridi le Baker de Swynbroke, ed. E. M. Thompson, London, 1889.
15. Chronicon Henrici Knighton, vel Cnitthon, monachi Leycestrensis, Vol. I, London, 1889.

16. Clarke and Galbraith, Deposition of Richard II, University Press Manchester, England, 1930.
17. Concilia Magna Brittaniae (Register of Thomas Arundel), London, 1737.
18. David Preest and James G. Clark, The Chronica Maiora of Thomas Walsingham, New York, 2005.
19. Documents on the Affairs of Ireland before the King's Council, ed. G. O. Sayles, Dublin, 1979.
20. Documents on the Early Stages of the Bruce invasion of Ireland 1315–1316, ed. J. R. S. Phillips, Oxford, 1979.
21. Eulogium Historiarum, Vol. III, ed. F. S. Haydon, London, 1863.
22. Fasti Ecclesiae Anglicanae 1300 – 1541, Institute of Historical Research, Vol. VI, London, 1962.
23. Flores Historiarum, Vol. III, ed. H. R. Luard, London, 1890.
24. Foedera, Conventiones, Literae, et Cujuscunque Generis Acta Publica, Vol. II, ed. Thomas Rymer et al., London, 1739.
25. Gesta Edwardi Tertii Auctore Canonico Bridlingtoniensis, Vol. II, ed. W. Stubbs, London, 1883.
26. Gesta Henrici Quinti (The Deeds of Henry V), ed. Frank Taylor and John S. Roskill, London, 1975.
27. Historia Anglicana 1272–1381, Vol. I, ed. Thomae Walsingham, London, 1863.
28. Historia Roffensis ab anno 1314 ad 1350 Willelmi de Dene, ed. H. Wharton, London, 1691.
29. Historical papers and letters from the Northern Registers, ed. J. Raine, London, 1873.
30. Johannis de Oxenedes, Chronica Johannis de Oxenedes, ed. Sir Henry Ellis, (Chronicles and Memorials of Great Britain and Ireland during the Middle Ages - Rolls Series), London: Longmans, Green, and Co., 1859.
31. Joseph Stevenson, Letters and Papers Illustrative of The Wars of The English in France, Vol. 2, London, 1864.

32. Kilkenniensis, Annales Hiberniae, Jacobi Grace, ed. Richard Butler, Dublin, 1842.
33. Lancashire Lay Subsidies: Lay Subsidy Rolls, ed. John A. C. Vincent, London, 1893.
34. Laud annals in Chartularies of St. Mary's Abbey Dublin, Vol. II, ed. J. T. Gilbert, London, 1884.
35. Literae Cantuarienses, ed. J. B. Shepard, Vol. I, London, 1887.
36. Materials for the History of Thomas Becket, Vol. 7, ed. James C. Robertson, London, 1875–1885.
37. Memorials of St. Edmund's Abbey, Vol. II, ed. T. Arnold, London, 1892.
38. Monasticon Anglicanum, Vol. VI, ed. W. Dugdale and J. Caley, London, 1830.
39. Nicholas Pronay and John Cox, Crowland Chronicle Continuations: 1459–1486, London, 1986.
40. Parliamentary Writs and Writs of Military Summons, Vol. I, IV, ed. F. Palgrave, London, 1827.
41. Placitorum Abbreviatio, ed. William Illingworth, London, 1811.
42. Rotuli Parliamentorum 1272–1326, Vol. I, ed. J. Strachey et al., London, 1767.
43. Survey of the Honour of Denbigh 1334, ed. Paul Vinogradoff and Frank Morgan, London, 1914.
44. The Acts of Welsh Rulers, Huw Pryce, Cardiff, 2005.
45. The Black Book of Winchester, ed. W. Bird Winchester, London, 1926.
46. The Chronicle of Geoffrey Le Baker of Swinbrook, ed. Richard Barber, Woodbridge, 2012.
47. The Chronicle of Lanercost 1272 – 1346, trans. Sir Herbert Maxwell, Glasgow, 1913.
48. The Life of Edward the Second (Vita Edwardi Secundi), ed. Wendy R. Childs, Oxford, 2005.
49. The Metadata of the Pipe Rolls, (Financial Records), London, 1884.

50. The Register of Walter Langton, Bishop of Coventry and Lichfield, 1296–1321, J. B. Hughes, Canterbury, 2007.
51. The Registers of Bishop Henry Burghersh (1320–1342), ed. N. H. Bennett, Lincoln, 1999.
52. The St Albans Chronicle: the Chronica Maiora of Thomas Walsingham, ed. John Taylor et al., Oxford, 2003.
53. Thomas Gascoigne, Loci e Libro Veritatum: Gascoigne's Theologi-cal Dictionary, Oxford, 1881.

ثانياً – السجلات الوثائقية والحوليات باللغة الإنكليزية :

1. A Chronicle of London from 1089 to 1483, Anonymous, London, 2018.
2. A.B. Hinds, Calendar of State Papers and Manuscripts Existing in the Archives and Collections of Milan, Vol. 1, London, 1912.
3. An English Chronicle of the Reigns of Richard II, Henry IV, Henry V and Henry VI, ed. J. D. Griffiths Davies, London, 1856.
4. Book of Fees (Testa de Nevill), H.M. Stationery Office, Part I, London, 1920.
5. Calendar of Ancient Petitions Relating to Wales, London, 1975.
6. Calendar of Chancery Rolls Various, 1277 – 1326, London, 1912.
7. Calendar of Chancery Warrants 1244 – 1326, London, 1927.
8. Calendar of Close Rolls 1272 – 1509, Vol. 47, London, 1896.
9. Calendar of documents relating to Ireland 1302–1307, Vol. V, ed. H. S. Sweetman, London, 1886.
10. Calendar of Documents Relating to Scotland, ed. J. Bain, Vol. IV, London, 1881.
11. Calendar of Fine Rolls 1272 – 1509, Vol. 22, London, 1911.
12. Calendar of Inquisitions Miscellaneous 1219 – 1422, Vol. VII, London, 1916.
13. Calendar of Inquisitions Post Mortem, Henry III – Richard III, Vol. V, London, 1904.

14. Calendar of Letter Books of the City of London l314 – 1337, ed. R. R. Sharpe, London, 1903.

15. Calendar of Patent Rolls, London, Vol. 53, London, 1891.
16. Calendar of Signet Letters of Henry IV and Henry V 1399–1422, ed. J. L. Kirby, London, 1978.
17. Calendar of the Charter Rolls 1272 – 1300, Vol. VI, London, 1903.
18. Calendar of the Justiciary Rolls or Proceedings in the Court of the Justiciar of Ireland, Dublin, 1905.
19. Calendar of the Memoranda Rolls Exchequer 1326 to 1327, ed. R. E. Latham, London, 1968.
20. Calendar of the Plea and Memoranda Rolls of the City of London 1323 – 1364, ed. A. H. Thomas, London, 1926.
21. Chris Given-Wilson, Records of the Revolution 1397 – 1400 Reign of Richard II, London, 1993.
22. Documents illustrative of the history of Scotland, ed. Joseph Stevenson, Edinburgh, 1870.
23. Edward Hall, Hall's Chronicle Containing The History of England, J. Mawman Co., London, 1909.
24. English Historical Documents 1327 – 1485, Vol. IV, ed. A. R. Myres, New York and London, 1996.
25. H. G. Richardson and G. O. Sayles, The Administration of Ireland, 1172 – 1377, Irish Manuscripts Commission, Dublin, 1963.
26. Handbook of British Chronology, E. B. Fryde et al., Cambridge, 1996.
27. Hans Kleinicke, A record of the first thirteen years of the reign of King Edward IV, Camden Society, 1939.
28. Interpretation Plan for the Castles and Town Walls of Edward I, Cadw, 2010.
29. Issues of the Exchequer: Pell records, Frederick Devon, London, 1837.

30. Ivor Bowen, The Statutes of Wales, London, 1908.
31. John Bruce, Historie of The Arrivall of Edward IV in England and The Finall Recouerye of His Kingdomes From Henry VI, London, 1838.
32. Joseph Bain (ed.), Calendar of Documents Relating to Scotland, H.M. General Register House, Vol. II, Edinburgh, 1884.
33. Keith Williams-Jones, The Merioneth Lay Subsidy Roll 1292 – 1293, University of Wales Press, Cardiff, 1976.
34. Michael Hicks, Post-mortem investigation calendar (Edward V to Richard III), The Boydell Press, 2021.
35. Norman Davies et al., Paston Letters and Papers of the Fifteenth Century, Oxford University Press, 2005.
36. Polychronicon Ranulphi Higden, Vol. VIII, ed. J. R. Lumby, London, 1882.
37. Proceedings and Ordinances of the Privy Council of England, Vols. 1 & 7, ed. Sir Harris Nicolas, London, 1834–1838.
38. Public Record Office, The Annals of England: An Epitome of English History From Contemporary Writers, Vol.2, Oxford, 1862.
39. Ralph Flenley, Six Town Chronicles of England, Oxford, 1908.
40. Raphaell Holinshed, Chronicles of England, Scotland, and Ireland, Vol. 3, New York, 1965.
41. Robert Sinclair, The Sinclairs of Scotland, UK, 2013.
42. Rodney Horace Yale, Yale Genealogy and History of Wales, Nebraska, 1908.
43. T. F. Tout, The Welsh Ships: A Study in Constitutional History, Toronto, 1900.
44. The Annals of England: The Plantagenets, London, 1877.
45. The Brut: Or, The Chronicles of England, ed. Friedrich W. D. Brie, London, 1906.
46. The Chronicle of England, by John Capgrave, ed. Francis Charles Hingston, London, 2013.

47. The Oxford Handbook of Holinshed's Chronicles, ed. Paulina Kewes et al., Oxford, 2013.
48. Thomas More, The History of King Richard III, Thomas More Center, London, 2013.
49. W. J. Ashley, English History by Contemporary Writers: Edward III and his Wars 1327-1360, London, 1887.
50. William Drummond, History of Scotland From 1423 To 1542, Glasgow, 1749.
51. William Granger Ryan, The Golden Legend: Readings on the Saints, Princeton University Press, 2012.
52. William Gregory, John Lydgate, John Page, The Historical Collections of a Citizen of London in the Fifteenth Century, 1876.
53. William Stubbs, The Constitutional History of England, Vol. II, Oxford, 1875.

ثالثاً – السجلات الوثائقية والحوليات باللغة الفرنسية :

1. A Collection of the Chronicles and Ancient Histories of Great Britain, ed. John de Waurin, London, 1887.
2. Benjamin Williams, Chronicque de la Traïson et Mort de Richart Deux, Roy de Dengleterre, London, 1846.
3. Chronique de Jean le Bel, ed. J. Viard and E. Deprez, Vol. I, Paris, 1904.
4. Chroniques de Jean Froissart, (Original French Text Series), Paris.
5. Croniques de London depuis l'an 44 Henri III jusqu'a l'an 17 Edward III, ed. G.J. Aungier, London, 1844.
6. E. Cosneau, Les grands traités de la guerre de cent ans, A. Picard, Paris, 1889.
7. Jean de Troyes, The Memoirs of Philip De Commines: Histories of Louis XI and Charles VIII, London, 1855.
8. John Froissart, Chronicles of England, France and the adjoining Countries, Vol. I, Hafod, 1803.

9. Le Livere de Reis de Brittanie, ed. J. Glover, London, 1865.
10. Sir John Froissart, Records of England, France, Spain and neighboring countries, Vol. II, London: William Smith, 1844.
11. The Anonimalle Chronicle 1307 to 1334, ed. W. Childs & J. Taylor, Yorkshire, 1991.
12. The Chronicle of Froissart, Vol. I, ed. Simeon Luce, Paris, 1869.
13. The Chronicles of Enguerrand de Monstrelet, Vol. 2, ed. Thomas Johnes, London, 1853.
14. The Scalacronica of Sir Thomas Gray, ed. H. Maxwell, Glasgow, 1907.
15. Thomas Gray, The Reigns of Edward I, Edward II and Edward III, trans. Herbert Maxwell, Glasgow, 1907.

رابعاً – المصادر الأصلية باللغة الإنكليزية :

1. John Barbour, The Bruce, Edinburgh, 1997.
2. John Barbour, The live and acts of the Most Victorious Conqueror Robert Bruse, Edinburgh, 1759.
3. Thomas Hearne, Thomas of Elmham: The Life and Works of Henry V, London, 2009.

خامساً – الأطاريح والرسائل الأكاديمية الأجنبية :

أ- الأطاريح باللغة الإنكليزية:

1. B. P. Evans, The Family of Mortimer, Ph.D thesis, University of Wales, 1934.
2. C. Kightly, 'The Early Lollards: A Survey of Popular Lollard Activity in England, 1382– 1428, unpublished D.Phil. dissertation, University of York, 1975.
3. Caroline Colvin, The Invasion of Ireland by Edward Bruce, A Thesis Submitted for the Degree of Doctor of Philosophy, University of Pennsylvania, 1901.
4. E. L. G. Stones, Sir Geoffrey le Scrope 1285 – 1340, unpublished Ph. D. Thesis, University of Glasgow, 1950.

5. Fiona Jane Watson, Edward I in Scotland 1296 – 1305, PhD thesis, University of Glasgow, 1991.
6. M. Jurkowski, John Fynderne of Findern: An Exchequer Official of the Early Fifteenth Century, unpublished D.Phil. dissertation, University of Keele, 1998.
7. Martyn John Lawrence, Power Ambition and Political Rehabilitati-on: The Despensers 1281–1400, D.Phil. thesis, University of York, 2005.
8. P. C. Doherty, Isabella Queen of England, D.Phil. thesis, University of Oxford, 1977.
9. Paul Richard Dryburgh, The Career of Roger Mortimer, first earl of March 1287–1330, PhD thesis, University of Bristol, 2002.
10. Ralph Anthony Kaner, The Management of the Mobilization of English Armies Edward I to Edward III, Ph.D. thesis, University of York, 1999.
11. Sharon Irene Walker, Tyranny, Complaint and Redress: The Evidence of the Petitions Presented to the Crown C. 1320, Ph.D. thesis, University of Nottingham, 2013.
12. Thomas John Charles, The Personnel of English and Welsh Castles, 1272–1422, Ph.D. thesis, University of Hull, 1999.
13. W. Burton, Politics, Propaganda and Public Opinion in the Reigns of Henry III and Edward I, Ph.D. thesis, University of Oxford, 1985.

ب- الرسائل باللغة الإنكليزية:

1. Beth Marie Kosir, Richard III: A Study in Historiographical Controversy, Master's Thesis, Cleveland State University, 1978.
2. Claire Hintz, Robert the Bruce Fights for Scottish Independence Once Again, Master Thesis, Hollins University, 2021.
3. Daisy Dean Dryden, Margaret of Anjou and Her Relation to The Wars of The Roses, Master Thesis, University of Illinois, 1916.

4. David Anthony Harding, The regime of Isabella and Mortimer 1326 – 1330, Masters thesis, University of Durham, 1985.
5. Sarah J. Coony, Social Upheaval and Social Change in England 1381-1750, Master's Thesis, Portland State University, 1974.
6. Thomas William Barlow, The Kingship of Edward III of England: 1327-1377, Master's Thesis, Faculty of the Graduate School, 2014.
7. Zuzana Cervenková, The Three Lives of Richard III: A Comparison, Master's Thesis, Palacký University, 2024.

سادساً – الأطاريح والرسائل العربية :

1. حسنين عبد الكاظم عجه، الصراع الإنكليزي – الفرنسي والمواقف الأوربية منه 1337 – 1377، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية – جامعة واسط، 2002.
2. رشا مجيد منديل الحاجم، حروب الوردتين في انكلترا 1455–1485 دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الانسانية، قسم التاريخ، 2017.
3. زهراء رياض ناصر، الصراع الإنكليزي – الاسكتلندي 1272 – 1348، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الإنسانية، 2024.
4. ستار حامد عبد الله، انكلترا في عهد إدوارد الثاني 1307–1327، إطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بابل– كلية التربية للعلوم الانسانية، 2019.
5. سجى جمهوري حميد درويش، انكلترا في عهد ريتشاد الثاني 1377 – 1399، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد – كلية التربية للبنات، 2025.
6. سلام سهل شنشول، إنكلترا في عهد هنري الرابع 1399 – 1413 دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية – كلية التربية، 2026.

7.علي كريم عباس، ايرل مارس روجر مورتيمر ونشاطه السياسي والعسكري 1287 – 1330، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الإنسانية، 2025.
8.محمد عبد الرضا موسى، سياسة انكلترا الخارجية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بابل – كلية التربية للعلوم الإنسانية، 2018.
9.مريم هادي حسن الياسري، الانقسامات الكنسية واثرها على الحروب المذهبية في فرنسا 1309– 1518، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القادسية – كلية التربية، 2019.
10. مواهب عدنان أحمد، التطورات الاقتصادية في إنگلترا 1315 – 1381، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القادسية – كلية التربية للعلوم الإنسانية، 2019.
11. ناطق عزيز شناوة، ادوارد الثالث وسياسته الداخلية في انگلترا 1327 – 1377، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية – كلية التربية، 2021.
12. نعيم عبد جودة، تطور المؤسسة البرلمانية في إنجلترا حتى ثورة عام 1399، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد – كلية التربية ابن رشد، 2008.
13. هناء خضير احمد، انتفاضة الفلاحين في انكلترا عام 1381م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة سامراء – كلية التربية، 2020.

سابعاً – المراجع باللغة الإنكليزية :

1. A. D. Greenwood, History in biography Edward II to Richard III, Vol. II, London, 1912.
2. A. F. Murison, King Robert the Bruce, London, 1899.
3. A. F. Murison, Sir William Wallace, Charles Scribner's and Sons, New York, 1900.
4. A. Grant, Independence and Nationhood: Scotland 1306 – 1469, London, 1984.
5. A. J. Otway Ruthven, A History of Medieval Ireland, London, 1968.
6. A. J. Pollard, Edward IV: The Summer King, Penguin, 2019.
7. A. J. Pollard, Henry V, The History Press, London, 2014.

8. A. J. Pollard, The Wars of the Roses, London: Macmillan, 2013.
9. A. J. Taylor, The Welsh Castles of Edward I, Hambledon Press, London, 1986.
10. A. M. Duncan, Scotland: The Making of the Kingdom, Oliver & Boyd, Edinburgh, 1975.
11. A. M. Duncan, The Scots invasion of Ireland 1315 The British isles, 1100 – 1500, Edinburgh, 1988.
12. A. M. W. Stirling, The Hothams Being the Chronicles of the Hothams, Vol. I, London, 1918.
13. A. Tuck and A. Goodman, War and Border Societies in the Middle Ages, New York, 1992.
14. A. W. Boardman, Hotspur Henry Percy: Medieval Rebel, London, 2022.
15. Aaron Wilkes, Invasion, Plague and Murder Britain 1066-1485, United Kingdom, 2003.
16. Ainsl Vassale Mone, The Private History of The Court of England, 1808.
17. Alan Orr Anderson, Early Sources of Scottish History, A.D. 500 to 1286, London, 1922.
18. Alan Young and Michael J. Stead, In The Footsteps of Robert Bruce, The History Press, London, 1999.
19. Alastair Dunn, The Great Rising of 1381 the Peasants' Revolt and England's Failed Revolution, Stroud, 2000.
20. Alec R. Myers, Crown, Household and Parliament in Fifteenth Century England, Hambledon Press, London, 1985.
21. Alex J. Warden, Angus Or Forfarshire the Land and People, Vol. V, Dundee, 1885.
22. Alexander L. Kaufman, The Jack Cade Rebellion of 1450, 1997.
23. Alexander Leslie Klieforth and Robert John Munro, The Scottish Invention of America, New York, 2004.
24. Alexander Querengässer, Before The Military Revolution, Oxbow Book, U. S. A, 2021.

25. Alfred O. Legge, The Unpopular King: The Life and Times of Richard III, 1885.
26. Alice Beardwood, The trial of Walter Langton, Bishop of Lichfield, 1307 – 1312, Philadelphia, 1964.
27. Alicia Marchant, The Revolt of Owain Glyndŵr in Medieval English Chronicles, York Medieval Press, 2014.
28. Alison Prince, The Lost King: Richard III and the Princes in the Tower, 2014.
29. Alison Weir, Isabella she Wolf of France, Queen of England, London, 2005.
30. Alison Weir, Queen Isabella: Treachery, Adultery, and Murder in Medieval England, New York, 2006.
31. Allen C. Thomas, A history of England, Boston, 1913.
32. Amanda Beam, The Balliol Dynasty, 1210–1364, Edinburgh, 2008.
33. Andre Maurois, A history of England, Translated by Hamish Miles, London, 1917.
34. Andrew Fisher, William Wallace, John Donald Publishers, Edinburgh, 2002.
35. Andrew George Little, Mediæval Wales: Six Popular Lectures, London, 1902.
36. Andrew Prescott, The Hand of God, the Supression of the Peasants' Revolt in 1381, Donington, 2004.
37. Ang Andrew, A History of Scotland from the Roman, 1903.
38. Ann Curry, Henry V: From a Playful Prince to a Warrior King, Lonon, 2015.
39. Ann Darracott, The Genealogy of the Trussell Family from C13th to C15th/16th, London, 2018.
40. Anne Curry and Michael Hughes, Arms, Armies and Fortifications in the Hundred Years War, UK, 1994.
41. Anne Easter Smith, This Son of York, Bellastoria Press, 2019.
42. Anne F. Sutton & Livia Visser-Fuchs, The Hours of Richard III, 2024.

43. Annette Carson, Richard III: The Maligned King, 2017.
44. Anthony Emery, Greater Medieval Houses of England and Wales 1300-1500, London, 2000.
45. Anthony Goodman, A History of England from Edward II to James I, New York, 1977.
46. Anthony Goodman, The Loyal Conspiracy The Lords Appellant under Richard II, London, 1971.
47. Anthony Guggenberger, A General History of the Christian Era, Vol. II, 1901.
48. Anthony Tuck, Crown and Nobility 1272 – 1461 Political Conflict in Late Medieval England. London, 1985.
49. April Madden & Briony Duguid, Historical Wars of the Roses, 2021.
50. Arabella B. Buckley & W. J. Robertson, history of England, Toronto, 1891.
51. Archibald Alexander McBeth Duncan, The Kingship of the Scots, 842-1292, Edinburgh, 2002.
52. Archibald David Constable, History of Great Britain as well as England and Scotland, 1892.
53. Archibald H. Dunbar, Scottish Kings a revised chronology, Edinburgh, 1899.
54. Arthur Cushman McGivert, Church History, London, 2015.
55. Arthur D. Innes, A History England and the British Empire, Vol. I., New York, 1913.
56. Aubrey Gwynn and R. Neville Hadcock, Medieval Religious Houses: Ireland, Longman, London, 1970.
57. B Y G. E. C. George Edward Cokayne, The Full Peerage, Vol 14, USK, 1998.
58. B. Wilkinson, The Later Middle Ages in England 1216–1485, London, 2013.
59. Bede, A History of the English Church and People, Dorset Press, New York, 1955.

60. Bernard Burke, A Genealogical History of the Dormant Peerages, London, 1962.
61. Bertie Wilkinson, Studies in the Constitutional History, Manchester, 1952.
62. Bertram Wolffe, Henry VI, Kings of England at Yale University, 1983.
63. Bertram Wolffe, Henry VI, Yale University Press, 2001.
64. Brian And Moira Gittos, Interpreting Medieval Effigies, Oxbow Books, 2019.
65. Brown Chris, Second Wars of Scottish Independence, 1332 – 1363, Stroud, 2002.
66. Bruce Webster, The Wars of the Roses, UCL Press, 1998.
67. Bryan Bevan, Hanry IV, St. Martin's Press, New York, 1994.
68. C. Brooks, Interest, Patronage and Professionalism: John, 1st Baron Ashburnham, London, 1984.
69. C. H. Lawrence, The English Church and the Papacy in the Middle Ages, Stroud, 1999.
70. C. M. Fraser, A History of Antony Bek, Bishop of Durham, 1283–1311, Oxford, 1957.
71. C. M. L. Bouch, Prelates of the Diocese of Carlisle, Kendal, 1948.
72. C. M. Watson, British weights and measures, London, 1910.
73. C. McNamee, The Wars of the Bruces: Scotland, England and Ireland, 1306 – 1328, East Linton, 1997.
74. C. R. B. Barrett, Battles and Battlefields in England, 1896.
75. C. W. Previte Orton, The Shorter Cambridge Medieval History, Vol. II, Cambridge, 1960.
76. Caroline A. Halsted, Richard III Duke of Gloucester and King of England, 1980.
77. Caroline Bingham, Robert the Bruce, London, 1998.
78. Charles Annandale, A History of the Scottish People from the Earliest Times, Vol. I., London, 1893.

79. Charles Bemont, Simon de Montfort, Earl of Leicester, 1208 – 1265, Santa Barbara, 1974.
80. Charles Dickens, Child's history of England, London, 1851.
81. Charles Ginger & Adam Markiewicz, Richard III: The Plantagenet family, 2022.
82. Charles Gordon Glass, Scotch and English History with the Life of Sir William Wallace, Montreal, 1876.
83. Charles H. Pearson, English History in the Fourteenth Century, London, 1876.
84. Charles H. Pearson, History of England during the early and Middle Ages, Vol. II, London, 1867.
85. Charles Knight, The Popular History of England, Vol. 1, London, 1856.
86. Charles L. Wells and Frank M. Anderson, Outlines and Documents of English Constitutional history, Minneapolis, 1895.
87. Charles Lethbridge Kingsford, English Historical Literature IN The Fifteenth Century, Oxford, 1913.
88. Charles M. Andrews, Hisory of England, Boston, 1903.
89. Charles Oman, A History of England From A.D. 1387 to A.D. 1811.
90. Charles Oman, England in the Later Middle Ages, Vol. III., London, 1913.
91. Charles Oman, The Great Revolt of 1381, Canada, 2001.
92. Charles Oman, The history of England from Richard II to Richard III, 1906.
93. Charles Oman, Warwick The Kingmaker, Macmillan, 1891.
94. Charles Rogers, The Book of Wallace, Vol .II., Edinburgh, 1889.
95. Charles Ross, Edward IV, University of California, Los Angeles, 1974.
96. Charles Ross, Richard III, Eyre Methuen Ltd, 2011.
97. Charles W. Thomson, Scotland's Work and Worth's, Vol. I., Edinburgh, 1909.
98. Chris Brown, Bannockburn 1314, London, 2008.

99. Chris Given Wilson, Chronicles of the Revolution 1397 – 1400 the Reign of Richard II, New York, 1993.
100. Chris Given Wilson, Parliament rolls of Medieval England 1275 – 1504, Vol. VII, 2005.
101. Chris Given-Wilson and Alice Curteism, The Royal Bastards of Medieval England, London, 2023.
102. Chris Given-Wilson, Henry IV, Yale University Press, 2016.
103. Chris Given-Wilson, The Age of Chivalry: Art in Plantagenet England 1200–1400, London, 1987.
104. Chris Given-Wilson, The Royal Household and the King's Affinity, London, 1986.
105. Chris Skidmore, Richard III: England's most controversial monarch, 2018.
106. Christopher Allmand, Henry V, London, 1992.
107. Christopher Brooke And Denis Mack Smith, A History of England the Later Middle Ages, Edinburgh, 1962.
108. Christopher Dyer, Every Life in Medieval England, London and New York, 2000.
109. Christopher Fletcher, Richard II Manhood, Youth, and Politics, New York, 2008.
110. Chronicles Given-Wilson, Chronicles of The Revolution 1397-1400, Manchester, 2007.
111. Clarke, M. V., The Lancastrian Faction and the Wonderful Parliament, Oxford, 1967.
112. Clementine Oliver, Parliament and Political Pamphleteering in Fourteenth Century England, Woodbridge, 2010.
113. Clements R. Markham, Richard III: His Life and Personality, Smith Elder, 1906.
114. Clifford Rogers, The Wars of Edward III: Sources and Interpretations, 1999.
115. Colm Mcnamee, Robert Bruce our Most Valiant Prince, Edinburgh, 2006.

116. Colm Mcnamee, The Wars of the Bruce Scotland, England and Irland 1306 – 1328, Edinburgh, 1997.
117. Con Iggulden, Wars of the Roses: Rise of the Tudors, 2016.
118. Con Iggulden, Wars of the Roses: Stormbird, 2014.
119. Cora L. Schofield, The Life and Reign of Edward The Fourth, 1967.
120. Cornwall Legh and Edith Jackson, Our Empire Past and Present, London, 1901.
121. Cross, A. L., A Shorter History of England and Greater Britain, New York, 1920.
122. Cuthbert Sharp, History of Hartlepool, London, 1851.
123. D. D. R. Owen, William the Lion, 1143 – 1214: Kingship and Culture, East Linton, 1997.
124. D. L. Douie, Archbishop John Pecham, Clarendon Press, Oxford, 1952.
125. Dan Jones, Summer of Blood (The Peasants Revolt of 1381), London, 2009.
126. Dan Jones, The Amazing Rise of England's Greatest Warrior King, London, 2024.
127. Dan Jones, The Hollow Crown: The Wars Of The Roses, 2014.
128. Daniel Webster Hollis, The History of Ireland, London, 2001.
129. Danielle Sabatka, Robin Hood Under the Greenwood Tree Peasants' Revolt and the Making of a Medieval Legend, London, 2008.
130. David A. Carpenter, Henry III: Reform, Rebellion, Civil War, New Haven, 2023.
131. David A. Carpenter, Henry III: The Rise to Power and Personal Rule, New Haven, 2020.
132. David Armitage, The Declaration of Independence, U. S. A., 2008.
133. David Dalrymple, Annals of Scotland, London, 1776.
134. David Grummitt, Henry VI, Routledge, New York, 2015.
135. David Hipshon, Richard III, Routledge, 2011.

136. David Hume, The History of England, Vol. II, London, 1776.
137. David James Smith, Only Smiths Wallace Bruce Freedom, Lulu, 2015.
138. David McRoberts (ed.), Essays on the Scottish Reformation, 1513–1625, John S. Burns & Sons, Glasgow, 1962.
139. David Mitchell, Unruly A History of England's Kings and Queens, London, 2023.
140. David N. Klausner, Wales, Canada, 2005.
141. David Pilling, The Rise & Fall of Dafydd ap Gruffudd, Prince of Wales, York, 2022.
142. David R. Ross, James the Good: The Black Douglas, Glasgow, 2008.
143. David Santiuste, Edward IV and the Wars of the Roses, 2010.
144. David Stephenson, Medieval Powys: Kingdom, Principality and Lordships 1132–1293, Bodell and Brewer, 2016.
145. David Stephenson, The Last Prince of Wales: Llywelyn and King Edward, Buckingham, 1983.
146. David Stewart Bachrach, Military Logistics during the Reign of Edward I, London, 2006.
147. David Walker, Medieval Wales, Cambridge University Press, Cambridge, 1990.
148. David Willis M. Cullough, Wars of the Irish Kings, New York, 2002.
149. Desmond Seward, Richard III: England's Black Legend, 2013.
150. Diana E. S. Dunn, War and Society in Medieval Cheshire, 1285 – 1403, Chetham Society, 1987.
151. Dockray and Knowles, Battle of Wakefield 30th December 1460, 1996.
152. Donald Macmillan, A Short History of the Scottish people, London, 1911.
153. Douglas Richardson, Royal Ancestry, Vol. II, Salt Lake City, 2011.

154. Drummond William, The lives of Roger Mortimer and Robert, Earl of Oxford, Oxford, 1711.
155. E. Alfred Jones, Memorials of Old North Wales, London, 1913.
156. E. J. Priestley, The Battle of Shrewsbury 1403, University of Shrewsbury, 1979.
157. E. L. G. Stones, Anglo – Scottish Relations, 1174 – 1328, Edinburgh, 1964.
158. E. M. Wilmot Buxton, A Catholic history of great Britain, London, 1913.
159. E. Sandham, The History of Elizabeth Woodville, 1822.
160. Eadie D. D, History of Scotland with Illustrative Notes, London, 1850.
161. Edgar Powell, The Rising in East Anglia in 1381, Cambridge University Press, 1896.
162. Edmund Clifford, The Greatest of all the Plantagenets, London, 1860.
163. Edmund Clifford, The Life and Reign of Edward I, London, 1872.
164. Edouard Perroy, The Hundred Years War, Bloomington, 1962.
165. Edumnd Curtis, A History of Ireland, New York, 2012.
166. Edward Arthur Lewis, The Medieval Boroughs of Snowdonia, London, 1912.
167. Edward Foss, The Judges of England: With Sketches of their Lives, Longman, Brown, Green, and Longmans, Vol. III, London, 1851.
168. Edward J. Cowan, For Freedom Alone: The Declaration of Arbroath, London, 2003.
169. Edward P. Cheyney, An Introduction to the Industrial and Social History of England, London, 1916.
170. Edward S. Creasy, History of England, Vol. I, London, 1869.
171. Egbert Herbert Story, The Church of Scotland Past and Present, London, 1993.

172. Ella S. Armitage, The Connection Between England And Scotland.
173. Eric Braum, Norway in Pictures, Norway, 2003.
174. Eric N. Simons, The Reign of Edward IV, London, 1966.
175. Evan M. Barron, Inverness in the Middle Ages, Inverness, 1907.
176. Evan M. Barron, The Scottish War of Independence, London, 1934.
177. Evan Macleod Barron, The Scottish War of Independence: A Critical Study, Robert Carruthers & Sons, Inverness, 1914.
178. F. Elrington Ball, The Judges in Ireland, 1221 – 1921, John Murray, Vol. I, London, 1926.
179. F. G. Brabant, Snowdonia, London, 1920.
180. F. M. Powicke, The Thirteenth Century: 1216 – 1307, Oxford University Press, Oxford, 1962.
181. F. Sutton & P.W. Hammond, Richard III: The Road to Bosworth, 1983.
182. Fionan Watson, Robert the Bruce Pocket Giants, British, 2014.
183. Ford Madox Hueffer, The Cinque Ports A Historical and Descriptive Record, Edinburgh, 1900.
184. Francis Watt, History of Scotland from Robert the Bruce, London, 1885.
185. Franck Bright, A history of England, Mediaeval monarchy from the Departure of the Romans to Richard III. 449 – 1485, London, 1887.
186. Frank Barlow, Thomas Becket, Berkeley, CA, 1986.
187. Frank Mclynn, The Road not Taken, London, 2012.
188. Frank T. Marzials, Passages from Froissart with an introduction, London, 1894.
189. Fred. W. Kittermaster, Rhuddlan Castle and other Poems, London, 1890.
190. Freda Warrington, The Court of the Midnight King: Richard III, 2014.
191. Frederica Rowan, History of England, London, 1851.

192. Frederick George Marcham, A History of England, New York, 1853.
193. Frederick Pollock, Introduction and Notes to Sir Henry Maines Ancient Law, London, 1914.
194. G. J. Hand, English Law in Ireland, 1290–1324, Cambridge, 1967.
195. G. L. Harris, Henry V: Exercising Monarchy, London and New York, 1985.
196. G. L. Harriss, Cardinal Beaufort: A Study of Lancastrian Ascendancy and Decline, Oxford University Press, New York, 1988.
197. G. W. O. Woodward, King Richard III, London, 1889.
198. G. W. S. Barrow & Ann Royan, James Fifth Stewart of Scotland, 1260–1309, Edinburgh, 1985.
199. G. W. S. Barrow, Robert Bruce and the Community of the Realm of Scotland, Edinburgh University Press, Edinburgh, 2005.
200. G. W. S. Barrow, Scotland and its Neighbours in the Middle Ages, London, 1992.
201. G. W. S. Barrow, The Kingdom of the Scots: Government, Church and Society, London, 1973.
202. G. W. S. Barrow, The Mission of John de Hothum to Ireland 1315–1316, London, 1981.
203. G. W. Watson, Geoffrey de Mortemer and his Descendants, London, 1906.
204. Gale Pedrick, Borough Seals of the Gothic Period, London, 1904.
205. Geoffrey Hodges, The Campaign and Battle of Mortimer's Cross, 1972.
206. Geoffrey James, Edward IV, the Glorious Son of York, 2015.
207. George Burton Adams, Constitutional History of England, New York, 1929.
208. George Chalmers, Caledonia: A Historical and Topographical Account of North Britain, Vol. II, London, 1810.

209. George Edward Cokayne, The Complete Peerage of England, Scotland, Ireland, Great Britain and the United Kingdom, The St. Catherine Press, Vol. III, London, 1913.
210. George Eyre Todd, The London and Northwestern Railway, 1911.
211. George Grant, The Life and Adventures of Sir William Wallace, Edinburgh, 1939.
212. George Holmes, The Later Middle Ages 1272-1485, New York, 1966.
213. George L. Haskins, The Doncaster Petition 1321, Oxford, 1938.
214. George T. O. Bridgeman, History of Princes of South Wales, Wigan, 1876.
215. Gerald Harris, Shaping the Nation: England 1360-1461, 2003.
216. Gilbert Stone, Wales: her Origins, Struggles and Later History, New York, 1915.
217. Gilbert T. Sadler, The Relation of Custom to Law, 1919.
218. Glanmor Williams, Owain Glyndwr, Cardiff, 1993.
219. Glanmor Williams, The Welsh Church from Conquest to Reforma-tion, University of Wales Press, Cardiff, 1976.
220. Goddard Henry Orpen, Ireland under the Normans 1216 – 1333, Vol. IV, Oxford, 1920.
221. Grant G. Simpson, The Scottish Soldier Abroad, 1247 – 1967, Edinburgh, 1992.
222. Griff Hosker, To Murder a King, Sword Books Ltd, 2018.
223. Gwilym Dodd and Anthony Musson, The Reign of Edward II: New Perspectives, York, 2006.
224. Gwilym Dodd and Douglas Biggs, The Reign of Henry IV Rebellion and Survival, New York, 2008.
225. Gwilym Dodd, Henry V New Interpretations, New York, 2013.
226. Gwyn A. Williams, Medieval London – From Commune to Capital 1321–1326, London, 1963.
227. H. F. Helmolt, The History of the World: Survey of Man's Record, 1907.

228. H. G. Richardson & G. O. Sayles, The Administration of Medieval Ireland, Dublin, 1963.
229. H. O. Arnold – Forster, A History of England: Julius Caesar to Richard III, Ohio, 2017.
230. H. W. Dulcken, A Popular History of England, New York, 1888.
231. Hall Bert, Technology and Tactics in The Medieval City Under Siege, 1999.
232. Hamilton Hall, The Seize of Berkeley, Transactions of the Bristol and Gloucestershire Archaeological Society, Vol. 28, 1905.
233. Hanawalt Margaret Macarthur, History of Scotland, New York, 1889.
234. Hans Kleinicke, Edward IV, Routledge, New York, 2017.
235. Henri Alexandre Wallon, Richard II épisode de la rivalité de la France et de l'Angleterre, Vol. I, Paris, 1864.
236. Henry Melville Gwatkin, Church and State in England, London, 1917.
237. Henry Newbolt, Froissart in Britain, London, 1900.
238. Henry Owen, A Calendar of The Public Records, Vol. I, London, 1911.
239. Henry Smith Williams, The Historian's History of the World, Vol. XVI, New York, 1905.
240. Henry Taylor, Historic Notices of the Borough and County Town of Flint, London, 1883.
241. Herbert Maxwell, A History of the House of Douglas, Vol. I, London, 1902.
242. Herbert Maxwell, Robert the Bruce and the Struggle For Scottish Independence, London, 1897.
243. Herbert Maxwell, The Making of Scotland, Glasgow, 1911.
244. Herbert Wills, A Synopsis of Scottish History, London, 1885.
245. Hourly History, Wars of The Roses: A History From Beginning to End, 2017.

246. Howell T. Evans, An Analysis of the History of Wales, Cardiff, 1907.
247. Hugo Schwyzer, Northern Bishops and the Anglo-Scottish War, Woodbridge, 1999.
248. Hume and Smollett, The History of England, Vol. I, London, 1800.
249. Hume Brown, History of Scotland, Vol. 1, 1899.
250. Hunningham, A History of the County of Warwick, Vol. 6, London, 1951.
251. I. Forrest, The Detection of Heresy in Late Medieval England, London, 2005.
252. I.M.W. Harvey, Jack Cade's Rebellion of 1450, Clarendon Press, 1991.
253. Ian Mortimer, Henry IV: The Righteous King, London, 2014.
254. Ian Mortimer, Henry V: The Warrior King in 1415, London, 2013.
255. Ian Mortimer, Henry V's Year of Glory, London, 2013.
256. Ian Mortimer, The Fears of Henry IV, London, 2008.
257. Ian Mortimer, The Perfect King: The Life of Edward III, London, 2006.
258. Isaac Kimber, History of England, Vol. I, London, 1766.
259. Isaac Kimber, The History of England, Vol. 4, London, 1744.
260. Ivor John Sanders, English Baronies: A Study of their Origin and Descent 1086 – 1327, Oxford: Clarendon Press, 1960.
261. J. Arthur Price, The Ecclesiastical Constitution of Wales, London, 1916.
262. J. Beverley Smith, Edward II and the allegiance of Wales, London, 1976.
263. J. Beverley Smith, Gruffydd Llwyd and the Celtic Alliance, London, 1976.
264. J. Beverley Smith, Llywelyn ap Gruffudd Prince of Wales, Cardiff, 2014.

265.J. Beverley Smith, Owain ap Dafydd (1275–1325), prince of Gwynedd, Cardiff, 1998.
266.J. Beverley Smith, The Rebellion of Llywelyn Bren, Cardiff, 1971.
267.J. Campbell, England, Scotland and the Hundred Years War, London, 1965.
268.J. Conway Davies, The Despenser War in Glamorgan, London, 1915.
269.J. E. De Hirsch Davies, A Popular History of the Church in Wales, London, 1912.
270.J. E. Lloyd, A History of Wales: From the Earliest Times to the Edwardian Conquest, Longmans, Green, and Co., Vol. II, London, 1912.
271.J. E. Lloyd, Carnarvonshire, Cambridge, 1911.
272.J. E. Morris, The Welsh Wars of Edward I, Clarendon Press, Oxford, 1901.
273.J. F. Lydon, Colony and frontier in medieval Ireland, London, 1995.
274.J. F. Lydon, England and Ireland in the later Middle Ages, Dublin, 1981.
275.J. Goronwy Edwards, The negotiating of the Treaty of Leake, 1318, Oxford, 1927.
276.J. H. Denton, Robert Winchelsey and the Crown 1294 – 1313: A Study in the Defence of Ecclesiastical Liberty, Cambridge University Press, Cambridge, 1980
277.J. L. Harris, Simon Walker, Rulers and Ruled in Late Medieval England, 2008.
278.J. L. Kirby, Henry IV of England, London, 1970.
279.J. M. Edwards, Flintshire, Cambridge, 1914.
280.J. Morrison Davidson, The Annals of Toil, London, 1899.
281.J. P. McCall & G. Rudisill, The Parliament of 1386 and Chaucer's Trojan Parliament, UK, 1959.

282.J. R. Maddicott, Simon de Montfort, Cambridge University Press, Cambridge, 1994.
283.J. R. Maddicott, Thomas of Lancaster 1307–1322, London, 1970.
284.J. R. S. Phillips, Aymer de Valence, Earl of Pembroke 1307–1324, New York, 1972.
285.J. R. S. Phillips, The Anglo-Norman Nobility the English in Medieval Ireland, Dublin, 1984.
286.J. S. Hamilton, Piers Gaveston Earl of Cornwall 1307–1312, London, 1988.
287.J. S. Hamilton, The Plantagenets: History of A Dynasty, London, 2010.
288.J. Vyrnwy Morgan, A Study in Nationality, London, 1911.
289.J. Vyrnwy Morgan, The Philosophy of Welsh History, London, 1914.
290.Jacob Abbott, History of William The Conqueror, 1906.
291.Jacob Abbott, King Richard III, Kypros Press, 2017.
292.Jacob Abbott, Makers of History Richard II, London, 1901.
293.James A. Robinson, Economic Origins of Dictatorship and Democracy, Cambridge, 2006.
294.James Baldwin, Fifty famous people, short stories, New York, 1912.
295.James Bridge Davidson, The Conway in the Stereoscope, London, 1860.
296.James Conway Davies, Felony in Edwardian Wales, London, 1918.
297.James Conway Davies, The Baronial Opposition to Edward II, Cambridge, 1918.
298.James Conway Davies, The Despenser War in Glamorgan, London, 1915.
299.James Gairdner, King Richard III: A Life from Beginning to End, 2019.
300.James H. Ramsay, Genesis of Lancaster: 1307–1399, Vol. 1, London, 1913.

301. James H. Ramsay, Lancaster and York: A Century of English History, 1892.
302. James H. Ramsay, The Dawn of the Constitution: Henry III and Edward I, London, 1908.
303. James Hamilton Wylie, A History of England under Henry the Fourth, Vol. 2 & 4, New York, 1884–1896.
304. James K. McDonell and Robert B. Campbell, Lords of the North, Canada, 1997.
305. James Mackintosh, The History of England, Vol. I, Philadelphia, 1830.
306. James Mitchell, The Scottish Question, Oxford, 2014.
307. James Roderick O'Flanagan, The lives of the lord chancellors of Ireland, Vol. I, London, 1870.
308. James Ross, Henry VI: A kind, simple, and innocent man, 2016.
309. James Rowley, Rise of the People and growth of Parliament 1215–1485, Toronto, 1877.
310. Jeanie Lang, The Story of Robert the Bruce, New York, 2010.
311. Jim Bradbury, The Routledge Companion to Medieval Warfare, New York, 2004.
312. John A. F. Thomson, The Transformation of Medieval England 1370–1529, London, 2014.
313. John Alban & Christopher Allmand, Spies and Spying in the Fourteenth Century, Liverpool, 2002.
314. John Ashdown-Hill, Cecily Neville Mother of Richard III, 2018.
315. John Ashdown-Hill, The private life of Edward IV, Amberley Publishing, 2016.
316. John Brown, The History of Haverford West, 1914.
317. John Carmi Parsons, Eleanor of Castile: Queen and Society in Thirteenth-Century England, St. Martin's Press, New York, 1995.
318. John Connor, John Ball, Primitivist: The Peasants' Revolt, London, 1999.
319. John D. Carrick, Life of Sir William Wallace, Glasgow, 1783.
320. John E. Morris, The Welsh Wars of Edward I, Oxford, 1901.

321. John Edward Lloyd, A History of Wales, Vol. II, London, 1912.
322. John Frederick Smith, John Cassell's Illustrated History of England, Vol. I, London, 1857.
323. John Guy, Thomas Becket: Warrior, Priest, Rebel, Victim, New York, 2012.
324. John Harris, True Stories from the History of Scotland, London, 1829.
325. John Heneage Jesse, Memoirs of King Richard The Third, 1894.
326. John Hill Burton, The History of Scotland, Vol. II, Edinburgh, 1873.
327. John J. Anderson, A Manual of General History, New York, 1870.
328. John J. Manning, The Life and Raigne of King Henrie IIII, London, 2003.
329. John Jones, The History of Wales, London, 1824.
330. John MacIntosh, Historical Review of Galston and Loudoun Parishes, Newmilns, 1890.
331. John Mackintosh, The History of Civilisation in Scotland, Vol. I, Aberdeen, 1877.
332. John Major, Greater Britain, Edinburgh, 1892.
333. John Matusiak, Henry V, USA, 2013.
334. John Pettie, Highroads of History, Vol. IV, London, 1918.
335. John Richard Green, History of the English People, Vol. 1, New York, 1886.
336. John Richard Green, History of the English People, Vol.3, 1896.
337. John Russell, England With separate historical Sketches, Philadelphia, 1839.
338. John Sadler, Bannockburn: Battle For Liberty, Yorkshire, 2008.
339. John Sadler, Border Fury: England and Scotland at War, New York, 2013.
340. John Sadler, The red and white rose, The Wars of the Roses 1453–1487, 2010.

341. John Smyth of Nibley, The Lives of the Berkeleys, Vol. I, Gloucester, 1883.
342. John Watts, Henry VI and the Politics of Kingship, 1996.
343. Jonah Stevens & Summer West, Richard III, 2017.
344. Jonathan Sumption, Divided Houses the Hundred Years War, London, 2009.
345. Joseph Bain, The Edwards in Scotland A.D. 1296–1377, Edinburgh, 1901.
346. Joseph R. Strayer, The Reign of Philip the Fair, Princeton, 1980.
347. Judy Ann Ford, John Mirks' Festial, United Kingdom, 2006.
348. Julia Corner, The History of Scotland and Ireland, London, 1852.
349. Juliet Barker, The People, The King and The Great Revolt of 1381, London, 2014.
350. K. B. McFarlane, Lancastrian Kings and Lollard Knights, Oxford, 1972.
351. K. J. Stringer, Earl David of Huntingdon, 1152 – 1219, Edinburgh, 1985.
352. Kate Norgate, The Minority of Henry the Third, London, 1912.
353. Kathleen Spaltro and Noeline Bridge, Royals of England, New York, 2005.
354. Kathryn Warner, Philippa of Hainault Mother of English, Stroud, 2020.
355. Kathryn Warner, The Rise and Fall of a Medieval Family: The Despensers, Britain, 2020.
356. Kelly Devries, Infantry warfare in the early fourteenth century, New York, 1998.
357. Kenneth H. Vickers, England in the later middle ages, Vol. III, London, 1913.
358. Lauren Johnson, Shadow King: The Life and Death of Henry VI, 2019.
359. Laurence Binyon, Heroes in History, Oxford, 1917.
360. Laurence Stratford, Edward The Fourth, Isaac Pitman & Sons, 1910.

361. Leonhard Schmitz, A history of England for junior classes, London, 1877.
362. Linda E. Mitchell, Portraits of Medieval Women, New York, 2003.
363. Lionel and Patricia Fanthorpe, Mysteries and Secrets of Numerology, Toronto, 2013.
364. Lyman Horace Weeks, Book of Bruce: Ancestors and Descendants, New York, 1907.
365. M. H. Keen, England in the Later Middle Ages: Political History, London, 2003.
366. M. Jurkowski, Lollard Book Producers in London in 1414, London, 2005.
367. M. McKisack, The Fourteenth Century, 1307–1399, Oxford, 1959.
368. M. R. Powicke, Edward II and Military Obligation in Medieval England, London, 1962.
369. M.A. Hicks, Clarence the Transient Liar: George, Duke of Clarence, 1980.
370. M.H. Keen, England in the Later Middle Ages, Routledge, 2003.
371. M.J. Trow, Richard III in the North, 2020.
372. Malcolm Vale, The Origins of the Hundred Years War: The Angevin Legacy 1250 – 1340, Oxford University Press, Oxford, 1996.
373. Mandell Creighton, Epoch Primer of English History, Toronto, 1880.
374. Marc Morris, A Great and Terrible King: Edward I and the Forging of Britain, London, 2008.
375. Marcus Cooper, Henry V: The Struggle for Leadership Strategy, Oxford, 2010.
376. Margaret Macarthur, History of Scotland, New York, 1874.
377. Marilyn Kohinke Washburn, Swords of the Spirit, USA, 2005.

378. Marinell Ash, The Church in the Wars of Independence, In: The Scottish War of Independence, Dynamic Frontiers, Aberdeen University Press, 1980.
379. Marion Campbell, Alexander III, King of Scots, Argyll, 1999.
380. Mark Buck, Politics Finance and the Church in the Reign of Edward II, Cambridge, 1983.
381. Matt Clayton, The Wars of the Roses: A captivating guide, 2018.
382. Matthew Giancarlo, Parliament and Literature in Late Medieval England, New York, 2007.
383. Maurice Ashley, Great Britain to 1688, New York, 1961.
384. May McKisack, The Fourteenth Century: 1307–1399, Oxford, 1959.
385. Meredith Whitford, Treason, Endeavour Press Ltd, 2018.
386. Michael Altschul, A Baronial Family in Medieval England: The Clares, 1217–1314, Baltimore, 1965.
387. Michael Bennett, Richard II and the Revolution of 1399, UK, 1999.
388. Michael Brown, Bannockburn: The Scottish War and the British Isles 1307–1323, Edinburgh, 2008.
389. Michael Brown, Wars of Scotland 1214–1371, Edinburgh, 2004.
390. Michael Hicks, Bastard Feudalism, Taylor & Francis Group, 2013.
391. Michael Hicks, Essential Histories: The Wars of the Roses 1455-1487, 2013.
392. Michael Hicks, Richard III and his rivals, Hambledon Press, 1978.
393. Michael Hicks, Richard III, The Self-Made King, Yale, 2019.
394. Michael Hicks, War of Roses, Yale University Press, 2010.
395. Michael Penman, Robert the Bruce: King of the Scots, New Haven, 2014.
396. Michael Prestwich, Edward I, New Haven, 1988.
397. Michael Prestwich, Plantagenet England, 1225–1360, New York, 2005.

398. Michael Prestwich, The Three Edwards: War and State in England, 1272–1377, London, 2003.
399. Michael Prestwich, War, Politics and Finance under Edward I, Faber and Faber, London, 1972.
400. Michael T. Davis, Crowd Actions in Britain and France, United Kingdom, 2015.
401. Miri Rubin, The Hollow Crown: A History of Britain in the late Middle Ages, London, 2005.
402. N. A. M. Rodger, The Safeguard of the Sea: a naval history of Britain, Vol. I, London, 1998.
403. N. Gemini Sasson, The Honor Due A King: the Bruce Trilogy, 2011.
404. N. Saul, Death, Art and Memory in Medieval England: The Cobham Family, Oxford, 2001.
405. Natalie Fryde, The Tyranny and Fall of Edward II 1321–1326, Cambridge, 1979.
406. Nicola Coldstream, Medieval Architecture, Oxford University Press, Oxford, 2002.
407. Nigel Saul, Richard II New Haven, Yale University, 1997.
408. Nigel Tranter, Robert the Bruce: The Path of the Hero King, 1970.
409. Oliphant, A History of Scotland for the young, New York, 1900.
410. Oscar Browning, The New Illustrated History of England, Vol. I, London, 1888.
411. Osmund Airy, Text-book of English History, London, 1893.
412. Owen Morgan Edwards, History of Wales, London, 1901.
413. Owen Rhoscomyl, Flame Bearers of Welsh History, 1905.
414. P. C. Ganesan, How To Develop Self Confidence For Success, Sterling, 2001.
415. P. Crooks, State of the Union: Perspectives on English Imperialism, New York, 2011.
416. P. Hume Brown, A Short History of Scotland, London, 1908.
417. P. McNiven, The Cheshire Rising of 1400, Manchester, 1969.

418. P. Meadows, A Source Book of London history, London, 1914.
419. Palmer. J. J., The Parliament of 1385 and the Constitutional Crisis of 1386, UK, 1971.
420. Pastor Gary J. Hall, John Wycliffe: A Light Shining in a Dark Place, London.
421. Patrick Fraser Tytler, Lives of Scottish Worthies, London, 1831.
422. Patrick Fraser Tytler, History of Scotland, Edinburgh, 1845.
423. Patrick Fraser Tytler, The History of Scotland from Alexander III to the Union, Vol. I, Edinburgh, 1866.
424. Paul Brand, The Making of the Common Law, Hambledon Press, London, 1992.
425. Paul Doherty, Isabella and the Strange Death of Edward II, New York, 2003.
426. Paul Murray Kendall, Richard III, New York, 1955.
427. Paul Strohm, England's Empty Throne: Usurpation 1399–1422, London, 2013.
428. Paul Strohm, The Poet's Tale Chaucer and the year that made The Canterb-ury Tales, London, 2015.
429. Penny Lawne, Edmund of Woodstock, Earl of Kent 1301–1330, Cambridge, 2023.
430. Peter A. Hancock, Richard III and the Murder in the Tower, 2011.
431. Peter and Fiona Somerset Fry, The History of Scotland, London, 2005.
432. Peter Donaldson, The Life of Sir William Wallace, Hartford, 1833.
433. Peter Earle, The Life and Times of Henry V, London, 1972.
434. Peter Hebblethwaite, John XXIII Pope of the Century, London, 1984.
435. Peter McNiven, Heresy and Politics in the Reign of Henry IV, London, 1987.
436. Peter Purton, History of the Late Medieval Siege, 1200–1500, London, 2010.

437. Philip A. Haigh, The Military Campaigns of the Wars of the Roses, 1997.
438. Philip B. Baldwin, Pope Gregory X and the Crusades, Wood bridge, 2014.
439. Philip J. Potter, Gothic Kings of Britain: 1016–1399, 2009.
440. Philip Morgan, Henry IV and the shadow of Richard II, London, 1995.
441. Philip Morgan, The Battle of Shrewsbury 1403, New York, 2003.
442. Philomena Connolly, Irish Materials in the Class of Ancient petitions, London, 1987.
443. Pierre Aubé, Thomas Becket, Zürich, 1990.
444. Pierre Chaplais, The War of St. Sardos 1323–1325, London, 1954.
445. Pike L. O., Constitutional History of the House of Lords, New York, 1894.
446. R. A. Griffiths, The Revolt of Llywelyn Bren, Stroud, 1994.
447. R. Allen Brown, Castles, History and Development, Boydell Press, Woodbridge, 2004.
448. R. B. Dobson, The Peasants' Revolt of 1381, London, 1986.
449. R. F. Frame, English Lordship in Ireland 1318–1361, Oxford, 1982.
450. R. F. Frame, English Officials and the Irish Chiefs in the Fourteenth Century, London, 1975.
451. R. F. Frame, Ireland and Britain, 1170–1450, London, 1998.
452. R. F. Frame, The Bruces in Ireland, 1315 – 1318, Cambridge, 1974.
453. R. F. Treharne, The Baronial Plan of Reform, 1258 – 1263, Manchester University Press, Manchester, 1971.
454. R. H. Hilton and T. H. Aston, The English Rising of 1381, New York, N.D .
455. R. L. Mackie, A Short Social and Political History of Britain, New York, 1922.

456. R. L. Mackie, Scotland an account of Her Triumphs and Defeats, UK, 2013.
457. R. L. Mackie, The Story of King Robert the Bruce, New York, 1913.
458. R. M. Haines, King Edward II: His Life, His Reign, and Its Aftermath, London, 2003.
459. R. M. Haines, The Church and Politics in Fourteenth Century England 1275–1345, Cambridge, 1978.
460. R. R. Davies, Lordship and Society in the March of Wales, 1282–1400, Oxford, 1978.
461. R. R. Davies, The Age of Conquest: Wales 1063–1415, Oxford University Press, Oxford, 2000.
462. R. R. Davies, The Revolt of Owain Glyn Dŵr, Oxford, 1995.
463. Ralph A. Griffiths, The Principality of Wales in the Later Middle Ages: South Wales 1277 – 1536, University of Wales Press, Cardiff, 1972.
464. Ralph A. Griffiths, The Reign of King Henry VI: The Exercise of Royal Authority, 1981.
465. Ralph A. Griffiths, The Reign of King Henry VI 1422 – 1461, 2004.
466. Ramsay Muir, A Short History of the British Commonwealth, Vol. I, London, 1922.
467. Randall Storey, Technology and Military Policy in Medieval England C. 1250–1350, London, 2003.
468. Rev Thomas Thomson, History of Scotland to the death of Robert Bruce, Vol. 1, London, 1896.
469. Rev. James Mackenzie, The History of Scotland, London, 1902.
470. Rev. Mr. Cooper, History of England From the Earliest period to the present time, London, 1842.
471. Richard Allington-Smith, Henry Despenser (The Fighting Bishop), UK, 2003.
472. Richard Drewett & Mark Redhead, The trial of Richard III, 1985.
473. Richard Llwyd, The History of Wales, Shrewsbury, 1832.

474. Richard Oram, The Canmores: Kings & Queens of the Scots, 1040–1290, Stroud, 2002.
475. Robert Farrington, The murder of Richard III, Safir Books.
476. Robert Kerr, History of Scotland During the Reign of Robert I, Vol. 1, London, 1811.
477. Robert Ross, Manual of English History, London, N.D .
478. Robert Ross, Outlines English History, London, 1860.
479. Robert S. Rait, The Making of the Nations: Scotland, Edinburgh, 1911.
480. Robert S. Rait, The Relations between England and Scotland 500–1707, London, 1901.
481. Robert Simpson, The History of Scotland, Edinburgh, 1848.
482. Robert White, History of the Battle of Bannockburn, Edinburgh, 1871.
483. Robin Eagles, England (Rough Guides), London, 2002.
484. Robin Frame, Ireland and Britain, 1170–1450, London, 1998.
485. Robin Neillands, The Wars of the Roses, The Orion, 1992.
486. Rodney Hilton, Bond Men Made Free Medieval Peasant Movements, London, 2003.
487. Roger Chatterton-Newman, Edward Bruce: A Medieval Tragedy, Cambridge, 1992.
488. Rogers Clifford, War Cruel and Sharp: English Strategy under Edward III, Woodbridge, 2000.
489. Ronald McNair Scott, Robert the Bruce, King of Scots, London, 1982.
490. Ronald Webber, The Peasants' Revolt in 1381, Suffolk, 1980.
491. Rosalind Mitchison, A History of Scotland, 2005.
492. Rosalyn Rossignol, Critical Companion to Chaucer, USA, 2006.
493. Roskell. J. S., The Commons and their Speakers in English Parliaments 1376 – 1528, Manchester, 1965, p.131.
494. Roskell. J. S., The Impeachment of Michael de la Pole Earl of Suffolk in 1386 in the Context of the Reign of Richard II, Manchester, 1984.

495. Roy Martin Haines, King Edward II: Edward of Caernarfon, His Life, His Reign, and Its Aftermath, 1284–1330, McGill-Queen's University Press, Montreal, 2003.
496. S. B. Crimes, C.D. Ross, R. A. Griffiths, England in the Fifteenth Century 1399-1509, 1972.
497. S. H. Rigby, English Society in the Later Middle Ages, London, 1990.
498. Samuel K. Cohn Jr., Popular Protest in Late Medieval English Towns, New York, 2013.
499. Samuel Rawson Gardiner, A Student's History of England, Vol. I, New York, 1916.
500. Sara Cockerill, Eleanor of Castile: The Shadow Queen, Amberley Publishing, Stroud, 2014.
501. Sarah Crome, Scotland's First War of Independence, Edinburgh, 1999.
502. Sarah Woodbury and Dan Haug, This Small Corner of Time: After Cilmeri Series Companion, Oregon, 2018.
503. Sean Duffy, The Bruce Brothers and the Irish Sea World 1306–1329, Cambridge, 1991.
504. Seymour Phillips, Edward II, Yale University Press, New Haven and London, 2010.
505. Sharles Henry Parry, The Parliament and Councils of England Chronol-ogically Arranged From the Reign William I to the revolution in 1688, London, 1839.
506. Sheila Sweetinburgh, Later Medieval Kent 1220 – 1540, USA, 2010.
507. Shepard Ashman Morgan, The History of Parliamentary Taxation in England, 1911.
508. Simon Walker, Political Culture in Later Medieval England, Manchester, 2006.
509. Sir Clements R. Markham, Richard III: His Life and Personality, 1973.
510. Sir Francis Hill, Medieval Lincoln, London, 1990.

511. Sir William Clifford & Andy King, Rebellion and Reward in Henry IV's Affinity, Woodbridge, 2010.
512. Smith Brendan, Colonisation and Conquest in Medieval Ireland, Cambridge, 1990.
513. Sophie Ambler, Robert the Bruce: King of Scots, Vol. I, 2015.
514. Sophie Therese Ambler, The Song of Simon de Montfort: England's First Revolutionary, London, 2019.
515. Stephen Boardman, The Early Stewart Kings: Robert II and Robert III 1371-1406, East Lothian, 1996.
516. Stephen Daniel, The Political and Ecclesiastical Power of the Rulers of Gwynedd, 2016.
517. Stephen Spinks, Robert the Bruce: Champion of a Nation, London, 2019.
518. Steven Justice, Writing and Rebellion: England in 1381, California, 1994.
519. Sumption Jonathan, Trial by Battle: The Hundred Years' War, Vol. I, London, 1990.
520. Susan Higginbotham, Edward II: His Friends, His Enemies, and His Death, USA, 2005.
521. T. F. Tout, Chapters in the Administrative History of Mediaeval England, Manchester University Press, Vol. II, Manchester, 1920.
522. T. F. Tout, Edward the First, New York, 1965.
523. T. F. Tout, Henry Percy 1272 – 1315 in Dictionary of National Biography, edited by Leslie Stephen and Sidney Lee, Vol. 44, London: Smith, Elder & Co., 1895.
524. T. F. Tout, Plucknett, Edward I and Criminal Law, Cambridge University Press, Cambridge, 1960.
525. T. F. Tout, The Place of the Reign of Edward II in English History, Manchester, 1914.
526. T. F. Tout, The Political History of England, Vol. III, London, 1905.

527. Thomas Favent, History or Narration Concerning the Manner and Form of the Miraculous Parliament at Westminster, London, 2002.
528. Thomas Thomson, Earliest Times to the Death of Robert Bruce 1329, Vol. II, London, 1896.
529. Thomas Wright and J. G. Cumming, The History and Topography of the Counties of Cumberland and Westmoreland, London, 2011.
530. Thomas Wyatt, History of the Kings of France, Philadelphia, 1846.
531. Timothy Venning, A Chronology of Medieval British History 1307–1485, London, 2020.
532. V. B. Lamb, The Betrayal of Richard III, Mitre Printing House, 1972.
533. W. C. Oman, England and the hundred year's war 1327 – 1485, London, 1898.
534. W. J. Ashley, An Introduction to English Economic History and Theory, New York, 1894.
535. W. M. Mackenzie, Outline of Scottish History from Roman Times to the Disruption, London, 1907.
536. W. Mark Ormrod, The Reign of Edward III (Yale Medieval Monarchs), New Haven, 1990.
537. W. Warburton, Epochs of Modern History: Edward III, London, 1896.
538. Walter George Bell, The Tower of London, London, N.D .
539. Walter Scott, History of Scotland, New York, 1901.
540. Walter Scott, Tales of a Grandfather, New York, 1898.
541. Walter Scott, The Complete Works of Sir Walter Scott, Vol. VI, New York, 1833.
542. Walter Scott, The Prose Works of Sir Walter Scott, Vol. VIII, Paris, 1834.
543. William Burns, The Scottish War of Independence, Vol. II, Glasgow, 1874.

544. William Ferguson, Scotland's Relations with England: A Survey to 1707, Britain, 1977.
545. William Gurstelle, The Art of the Catapult, USA, 2004.
546. William James Rolfe, Tales from Scottish History in Prose and Verse, New York, 1891.
547. William John Binks & Edward J. Wood, A History of Clare Knowell, Liverpool, 1881.
548. William Longman, The History of the Life and Times of Edward the Third, Vol. I, London, 1869.
549. William Page et al. (eds.), A History of the County of Huntingdon, Vol. III, London: St. Catherine Press, 1936.
550. William Sanderson, The Border Magazine: An Illustrated Monthly, Vol. 10, London, 1905.
551. William Watt, A History of Aberdeen and Banff, Edinburgh, 1900.

ثامناً – المراجع العربية والمعربة :

1. إدوارد تشيني، موجز تاريخ انكلتره حتى 1944، ترجمة: صادق حسن السوداني، بغداد، 2019.
2. جون ج. روبنسون، النشأة الدموية: الاسرار المفقودة للماسونية، ترجمة: محمد الواكد، دمشق، 2012.
3. د. مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث 476–1500، ج1، ط1، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان الاردن، 2009.

تاسعاً – الموسوعات والقواميس والمعاجم :

أ- باللغة الإنكليزية:

1. A. J. Musson, Segrave, John, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.
2. A. M. Duncan, "Isabel, queen of Norway 1272–1358", Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.
3. A. M. Duncan, "Randolph, Thomas, first earl of Moray", Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.

4. A. M. Duncan, Thomas Randolph, first Earl of Moray, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.
5. Aeneas James George Mackay, Bruce, Robert 1253 – 1304, Dictionary of National Biography, Vol. 7, London, 1886.
6. Andrew Fisher, Andrew Murray, (d. 1297), patriot and solider, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.
7. Anne Crawford, Margaret of France c.1277 – 1318, A Historical Dictionary of British Women, Europa Publications, 2003.
8. Barry Jones, Dictionary of World Biography: Fourth edition, A. N. U Press, Australia, 2014.
9. Beverly Margaret, Richard III of England unabridged guide, USA, 2009.
10. Charles Annandale, The Popular Encyclopedia: A General Dictionary of Arts Sciences, Vol. 2, London, 1881.
11. Charles Arnold Baker, The Companion to British History, Routledge, New York, 2002.
12. Charles Erbermann, Alexander Bicknor, Catholic Encyclopedia, New York, 1913.
13. Charles Lethbridge, John Maltravers, ed. Lee Sidney, Dictionary of National Biography, Vol. 36, London, 1893.
14. Clifford J. Rogers, The Oxford Encyclopedia of Medieval Warfare and Military Technology, Vol. I, New York, 2010.
15. David Crouch, "Giffard family (per. c. 1066–1322)", Oxford Dictionary of National Biography, Oxford University Press, 2004.
16. Dictionary of National Biography (Entries: Henry of Montfort), Vol. 38, London, 1894.
17. Dictionary of National Biography (Entries: Roger de Mortimer), London, 1885.
18. Dictionary of National Biography, Chaworth de Payne, d. 1279, London, 1885-1900.
19. Dictionary of National Biography, Smith, Elder, & Co., Vol. XXII, London, 1890.

20. Dictionary of National Biography, Smith, Elder, & Co., Vol. XXXVIII, London, 1894.
21. Dictionary of National Biography, Vol. 51, ed. Leslie Stephen & Sidney Lee, London, 1897.
22. Edward Maunde Thompson, Bigod, Roger 1245 – 1306, Dictionary of National Biography, Vol. V, London, 1886.
23. F. S. Haydon, Eulogium Historiarum sive Temporis Chronicon, Vol 3, London, 1858.
24. Fiona Watson, Alexander Macdougall, lord of Argyll (d. 1310), Oxford Dictionary of National Biography, Oxford University Press, 2004.
25. G. E. C. Vicary Gibbs, The Complete Peerage of England, Scotland, Ireland, Vol. VII, London, 1929.
26. G. L. Harriss, Bohun, Humphrey (VI) de, third earl of Hereford and third earl of Essex (c. 1249–1298), Oxford Dictionary of National Biography (ODNB), Oxford University Press.
27. George E. Cokayne et al., The Complete Peerage, 2nd ed., Vol. IX, London, 1936.
28. George Smith, Dictionary of National Biography, Oxford, 1973.
29. George Smith, The Dictionary of National Biography, London, 1882.
30. Henry Smith Williams, The Historians' History of The World, Vol.11, London, 1904.
31. Hugh Chisholm, Encyclopedia Britannica, Vol. 23, New York, 1911.
32. J. Gordon Melton, The Encyclopedia of Religious Phenomena, USA, 2008.
33. James A. Mackay, William Wallace: Brave Heart, Edinburgh, 1996.
34. James Balfour Paul, The Scots Peerage, Vol. I, Edinburgh, 1904.
35. James Minahan, One Europe, Many Nations: A Historical Dictionary, UK, 2000.

36. John A. Wagner, Encyclopedia of the Hundred Years War, London, 2006.
37. John Edward Lloyd (ed.), Dictionary of Welsh Biography down to 1940, University of Wales Press, Cardiff, 1959.
38. John Francis Waller (ed.), The Imperial Dictionary of Universal Biography, Vol. 1, London: William Mackenzie, 1865.
39. John Lodge, The Peerage of Ireland, Vol. IV, Dublin, 1789.
40. John T. Koch, Celtic Culture: A Historical Encyclopedia, Vol. I, London, 2006.
41. Mark A. Lamport, Encyclopedia of Martin Luther and the Reformation, New York, 2017.
42. Michael A. Hicks, Who's Who in Late Medieval England (1272–1485), Vol. 3, London, 1991.
43. Michael Jones, John of Brittany, Earl of Richmond 1266–1334, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.
44. Michael Lynch, Companion to Scottish History, New York, 2001.
45. Nicholas Vincent, Edmund of Almain, second Earl of Cornwall, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.
46. Oxford Dictionary of National Biography (Entries: Henry de Lacy, Eleanor of England, Sir Otto de Grandson), Oxford, 2004.
47. Oxford Dictionary of National Biography (Entries: Robert de Neville, Robert Clifford, Luke de Tany, Otto de Grandson), Oxford, 2004.
48. Oxford Dictionary of National Biography, Bogo de Knovill, first Baron Knovill, Oxford, 2004.
49. Oxford Dictionary of National Biography, Llywelyn ap Dafydd (c. 1267–1287), Oxford, 2004.
50. Oxford Dictionary of National Biography, Reginald de Grey, 1st Baron Grey de Wilton, Oxford, 2004.
51. Oxford Dictionary of National Biography, Roger Clifford (d. 1282), Oxford, 2004.

52. Oxford Dictionary of National Biography, Sir Robert de Tibetot, Oxford, 2004.
53. Oxford Dictionary of National Biography, William de Valence, earl of Pembroke, Oxford, 2004.
54. Paul Brand, Sir Roger Brabazon 1247–1317, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.
55. Peter Coss, William de Beauchamp, ninth earl of Warwick, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.
56. Philomena Connolly, "Fitzjohn, William (d. 1326)", Oxford Dictionary of National Biography, Oxford University Press, 2004..
57. Richard Gorski, Botetourt, John, first Lord Botetourt, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2009.
58. Robert Thomas Jenkins, Rhys ap Maredudd (d. 1292), Dictionary of Welsh Biography, 1959.
59. Ronald H. Fritze and William B. Robison, Historical Dictionary of Late Medieval England, 1272–1485, 2002.
60. Ronald H. Fritze and William B. Robison, Historical Dictionary of Late Medieval England (1272-1485), London, 2002.
61. Scott L. Waugh, John de Warenne Sixth Earl of Surrey, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford .
62. Scott L. Waugh, Thomas, First Earl of Norfolk (1300–1338), Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.
63. Sean Duffy, Medieval Ireland: An Encyclopedia, New York, 2005.
64. Sidney J. Low and F. S. Pulling, The Dictionary of English History, London, 1910.
65. Simon Lloyd, Edmund, first earl of Lancaster, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.
66. Spencer C. Tucker, Battles that Changed History: An Encyclopedia, London, 2011.
67. T. F. Tout, Llywelyn Bren, Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2000.

68. Thomas Andrew Archer, John Comyn (d. 1306), Dictionary of National Biography, Vol. II, London, 1887.
69. Thomas Frederick Tout, Umfraville, Gilbert de (1244–1307), Dictionary of National Biography, Vol. 58, London, 1899.
70. Thomas Gascoigne, Theological Dictionary Illustrating the Condition of Church and State, 1881.
71. W. D. H. Sellar, MacDougall, John, Lord of Argyll (d. 1316), Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.
72. Webster Bruce, David II (1324–1371), Oxford Dictionary of National Biography, Oxford, 2004.

ب-باللغة الفرنسية:

1. D. Cornet, siège de Montargis par les Anglais 1427, Montargis, 1903.
2. Delaville Le Roulx, La France En Orient Au XIV Siècle, Paris, 1886.
3. E. C. De Gerlache, Histoire De Liége, Depuis César Jusqu'a Maximilien, Bruxelles, 1843.
4. Georges Minois, Richard III Le roi maudit, London, 2020.
5. M. Guizot, A Popular History of England, Vol. 2, New York.
6. Paul Grosjean S.I., Henry VI of England, The Miracle of Postoma, London, 1935.

عاشراً – الأبحاث والدراسات الأكاديمية باللغة الإنكليزية:

1. A. Compton Reeves, "Visiting Richard III at York in late Summer 1483", Richard III Society Journal, 2002.
2. A. D. Carr, "The Last and the First: Madog ap Llywelyn", In: Transactions of the Honourable Society of Cymmrodorion, London, 1995.
3. Alexander Grant, The Death of John Comyn: What Was Going On?, Scottish Historical Review, 2007.
4. Andy King, According to the Customs Used in the French and Scottish Wars, Journal of Medieval History, XXVIII, 2002.

5. B. Wilkinson, The Peasant's Revolt's of 1381, University of Chicago Press on behalf of the Medieval Academy of America, Vol. 15, No. 1, 2018.
6. Beverley Smith, "Sir Gruffydd Llwyd and the Celtic Alliance," In: Welsh History Review, University of Wales Press, Cardiff, Vol. VII, No. 4, 1973.
7. Bruce Webster, Anglo – Scottish Relations, 1296 – 1389, The Scottish Historical Review, Vol.74, No. 197, Part 1 (Apr., 1995), Edinburgh University Press .
8. C. L. Kingsford, 'Sir Otto de Grandison', Transactions of the Royal Historical Society, Vol. III, 1909.
9. Cambrian Archaeological Association, Archaeologia Cambrensis the Journal, Vol. VIII. Fifth Series, Pickering and Chatto, London, 1891.
10. David Cornell, Kingdom Cleared of Castles: the Role of the Castle in the Campaigns of Robert Bruce, The Scottish Historical Review, Vol. 87, No. 224, 2008.
11. David S. Bachrach, The Organisation of Military Religion in the Armies of King Edward I, Journal of Medieval History, Vol. 29, No. 4, 2003.
12. Douglas Biggs, A wrong whom conscience and kindred bid me to right, magazine Albion, Vol 26, no 2, Chicago, 1994.
13. Frank Pegues, "The Clericus in the Legal Administration of Thirteenth-Century England", The English Historical Review, 1956.
14. G. W. S. Barrow, A Kingdom in Crisis: Scotland and the Maid of Norway, The Scottish Historical Review, 1990.
15. Geo Neilson, Robert the Bruce Last Journey, The Scottish Antiquary, Vol. 13, No. 50, 1898.
16. Gordon McKelvie, "The Bastardy of Edward V in 1484: New Evidence", Royal Studies, University of Manchester, 2016.
17. Herbert Eiden, The Peasants Revolt in Essex and Norfolk, Wiley, Vol. 83, No 269, 1998.

18. I. Kershaw, The great famine and agrarian crisis in England, 1315–1322, Past and Present, No. 59, 1973.
19. J. Beverley Smith, The Rebellion of Madog ap Llywelyn, 1294–1295, In: Bulletin of the Board of Celtic Studies, Vol. IV, 1964.
20. J. G. Edwards, Sir Gruffydd Llwyd, The English Historical Review, Vol. XXX, 1915.
21. J. H. Round, The Landing of Queen Isabella in 1326, The English Historical Review, Vol. XIV, 1899.
22. J. L. Grassi, William Airmyn and the Bishopric of Norwich, The English Historical Review, Vol. LXX, 1955.
23. James Sherborne, Perjury and the Lancastrian Revolution of 1399, Welsh History Review, Vol. 14, 1988.
24. Jill Hughes, Walter Langton and his family, Nottingham Medieval Studies, Vol. 35, 1991.
25. John Taylor, The Judgement on Hugh Despenser the Younger, Medievalia et Humanistica, Vol. XII, 1958.
26. K. Edwards, The Political Importance of the English Bishops during the reign of Edward II, The English Historical Review, Vol. LIX, 1944.
27. Keith Stringer, 'The Church and the Welsh March', In: Journal of Medieval History, Vol. XXII, 1996.
28. M. V. Clarke, Committees of Estates and the Deposition of Edward II, Medieval Representation and Consent, New York, 1964.
29. Margaret Schlauch, The Revolt of 1381 in England, Guilford, Vol. 4, 1940.
30. Maureen Jurkowski, Who was Walter Prout?, The English Historical Review, Vol. 127, No. 525, 2012.
31. Michael A. Hicks, "The middle brother: False, fleeting, perjur'd Clarence", Historical Journal, 1998.
32. Michael Bennett, Edward III Entail and the Succession to the Crown, 1376 – 1471, The English Historical Review, No. 113, 1998.

33. Montgomery Bohna, "Armed Force and Civic Legitimacy in Jack Cade's Revolt, 1450", The English Historical Review, 2003.
34. N. Reid, Margaret 'Maid of Norway' and Scottish Queenship, Reading Medieval Studies, VIII, 1982.
35. Nigel Saul, The Despensers and the Downfall of Edward II, The English Historical Review, Vol. XCIX, 1984.
36. Patrick Carl O'Brien, The Struggle for Wealth Between England and Its European Rivals, Journal of Historical Sociology, Vol. 19, No. 4, 2006.
37. Peter McNiven, Heresy and Politics in the Reign of Henry IV: the burning of John Badby, The Journal of Ecclesiastical History, Vol. 40, 1989.
38. Peter McNiven, Prince Henry and the English Political Crisis of 1412, History, Vol. 65, No. 213, 1980.
39. R. Clark, Scotia, The Journal of the St. Andrew Society, Vol. I, Edinburgh, 1907.
40. R. Morgan, The Barony of Powys 1275–1360, Welsh Historical Review, 1980.
41. Ranald Nicholson, A Sequel to Edward Bruce's Invasion of Ireland, Scottish Historical Review, Vol. XLII, 1963.
42. Ranald Nicholson, Siege of Berwick 1333, Scottish Historical Review, 1961.
43. Sean Duffy, The Continuation of Nicholas Trivet a new source for the Bruce invasion, London, 1991.
44. Sidney Dean, Scottish profiles in leadership: William Wallace and Robert the Bruce, Medieval Warfare, Vol. 6, No. 2, 2016.
45. Victoria Flood, Political Joachism and the English Franciscans: The Rumour of Richard II’s Return, in Prophecy, Politics and Place in Medieval England, ed. Helen E. Fulton, Cambridge: D.S. Brewer, 2011.
46. W. T. Waugh, Sir John Oldcastle, English Historical Review, Vol. 20, No. 79, Oxford University Press, 1905.

إحدى عشر – الأبحاث الأكاديمية باللغة العربية:

1. حارث عبد الرحمان التكريتي، ليث محمد الجنابي، انكلترا في سنوات حرب الوردتين 1455–1485، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت، كلية التربية، قسم التاريخ، العدد 17، كانون الاول 2013.
2. ربيع حيدر طاهر الموسوي، حروب الوردتين الانكليزية واثرها على المؤسسة الملكية، بحث منشور في مجلة الجامعة الاسلامية، الكلية الاسلامية الجامعة، مجلد 2، عدد 4، العراق، 2008.

اثنتا عشر – شبكة المعلومات العالمية (النت) :

1. British History Online, "Bishops of Norwich", Online, 2007.
2. https://www.geni.com/people/Sir-Marmaduke-de-Thweng-Lord-of-Kil
3. Charles Cawley, Medieval Lands: A prosopography of medieval European noble and royal families, s.v. "Hainaut: Comtes de Hainaut," [online database].
4. Thomas Jones Pierce, Maredudd ap Rhys Gryg, Dictionary of Welsh Biography (Online), N.D .

Abstract:

Late Medieval England witnessed a period of profound political and military gestation, coupled with structural transformations that reshaped the English balance of power. The institution of the English Crown played the most significant role in defining these shifts. Since the second half of the 13th century, the English elites felt compelled to engage in a struggle for dominance over the Crown, seeking to steer it in alignment with their aspirations by exploiting its preoccupation with intense continental and regional conflicts involving France, Scotland, and Wales. This dynamic evolved into a series of tensions and mobilizations between the elites and their monarchs, manifesting sometimes through clandestine conspiracies and at other times through diverse rebellions between 1267 and 1485.

These conspiracies and rebellions reached their zenith as the Crown transitioned from the centralization of the three Edwards to the dynastic fragmentation that accompanied the rise of the Houses of Lancaster and York. This era saw conspiracies evolve from court intrigues to full-scale military rebellions supported by internal and external factions, exhausting the human and economic resources of both the Crown and its rivals. This turbulent cycle continued until the fall of the House of Lancaster and the ascent of the Tudors, marking the end of Medieval England and the dawn of the Modern Era. Despite existing academic works, there remains a dire need for an in-depth analytical study linking political variables with the conspiratorial practices of the aristocracy—from the rebellions of Llywelyn ap Gruffudd against Edward I to the political earthquake that toppled the last medieval king, Richard III, at the Battle of Bosworth.

Hence, I have chosen these conspiracies and rebellions as the subject of my study, titled: **"Conspiracies and Insurrections Against the Crown of England 1267 – 1485"** This study is driven by a multi-axial hypothesis: "The English Crown, represented by the Plantagenet, Lancaster, and York dynasties, faced extensive conspiratorial movements and complex military maneuvers aimed at achieving sovereign gains. These grew from the ambitions of feudal and nationalist forces seeking either secession or usurpation. This process began with the legal consolidation of elite power via Parliament under Edward I, exploited the internal strife and weak character of Edward II and Richard II, and reached a crisis of legitimacy under Henry IV, before culminating in the military gamble of the Wars of the Roses, which ultimately shifted the initiative to the centralized Tudor monarchy in 1485.

To analyze this hypothesis, the study addresses several critical questions, including:

- What were the political motives behind the rebellion of Llywelyn ap Gruffudd in 1274, and how did the English Crown utilize the Treaty of Aberconwy to undermine his ambitions?
- How did the Welsh rebellion evolve from a border dispute into an existential threat to the English Crown between 1277 and 1282?
- What legal mechanisms of dominance did Edward I employ to suppress the rebellion of Dafydd ap Gruffudd and his subsequent legal execution in 1284?

- How did England utilize "architectural tools" (the Iron Ring of Castles) to deter renewed Welsh rebellions up to 1294?
- How did the Baronial Rebellion weaken Edward II's grip in the face of the Scottish onslaught between 1307 and 1314?
- Why did the Crown fail to suppress the rebellion of the barons in Wales and Northern England between 1320 and 1323?
- What were the features of Roger Mortimer's systematic conspiracy from his exile in France, and how did he manage the invasion of England in 1326?
- What were the driving forces behind the Peasants' Revolt (Wat Tyler) in 1381, and how did Richard II confront the popular conspiracy in London?
- What were the constitutional grounds for Henry Bolingbroke's rebellion in 1399, and how did he succeed in deposing Richard II to establish Lancastrian legitimacy?
- How did the Grey Friars employ political propaganda to conspire against Henry IV between 1402 and 1404?
- What legal conspiratorial mechanisms did Richard III use to ascend the throne by displacing the sons of Edward IV?
- How did the medieval philosophy of rebellion and conspiracy conclude with the fall of Richard III at Bosworth in 1485, and what were the indicators of the transition toward the Tudor Monarchy?

The study is organized into six chapters, as follows:

Chapter One: "Edward I and the Mechanisms of Peripheral Subjugation: A Study of Welsh Rebellions and Royal Deterrence Strategies (1274–1307)", This chapter provides a comprehensive overview of Edward I's early military endeavors and his confrontations with the Welsh princes, most notably Llywelyn ap Gruffudd. It examines the circumstances surrounding the end of Welsh independence, leading up to the Statute of Rhuddlan in 1284. The chapter concludes by analyzing the impact of legal and architectural hegemony (the Castle-Building strategy) in eradicating the seeds of renewed Welsh insurgency.

Chapter Two: "The Scottish Challenge and the English Crown: From William Wallace's Rebellion to Robert the Bruce's Ambition (1286–1307)", This chapter focuses on the origins of the Scottish succession crisis and the methods of English intervention. It traces the trajectory of William Wallace's rebellion and the subsequent military engagements, followed by its evolution into a full-scale sovereign conflict led by Robert the Bruce. It further elucidates how the failure of military diplomacy to assimilate Scottish national sentiment persisted until the end of Edward I's reign.

Chapter Three: "The Erosion of Royal Prestige and Baronial Rebellions during the Reign of Edward II (1307–1327)", Starting with the early life of Edward II, this chapter explores how his personal character fueled opposition. It details his conflicts with the Earl of Lancaster and the baronial class, their political and military maneuvers against the King's favorites, and his faltering military efforts in Scotland. The chapter culminates in an analysis of the "Great Conspiracy" orchestrated by Roger

Mortimer and Queen Isabella, which led to the King's deposition and eventual assassination.

Chapter Four: "Conspiracies and Rebellions against the English Throne during the Late Plantagenet Era (1327–1399)", This chapter highlights Edward III's efforts to reclaim royal initiative from conspirators and his diplomatic and military activities in France and Scotland. It then transitions to a detailed examination of the crises during Richard II's reign, specifically the Peasants' Revolt (1381) and the King's disputes with opposing barons, leading to the successful rebellion of Henry Bolingbroke and the transition of the Crown to the House of Lancaster.

Chapter Five: "The English Throne's Stance on Conspiracies and Rebellions during the Early Lancastrian Reign (1399–1422)", This chapter analyzes the early conspiracies faced by the House of Lancaster, such as the Epiphany Rising and the Grey Friars' Plot. It follows the deteriorating relationship between the King and the Percy family, detailing their armed insurgency. Furthermore, it addresses the rebellion of Archbishop Richard Scrope and its impact on the relationship between the Crown and the Clergy, concluding with an overview of royal deterrence measures against the Lollards and the Southampton Plot.

Chapter Six: "The Wars of the Roses and the Decay of Plantagenet Legitimacy: A Reading of Dynastic Conspiracies until 1485." The final chapter traces the early conflict between the houses of Lancaster and York, the conspiratorial activities of the "Kingmakers," and the measures taken by Richard III to secure the throne. It examines his struggles with rivals until his death at the Battle of Bosworth, marking the end of medieval dynasties and the dawn of the Tudor Era. The study concludes by synthesizing the main themes and presenting the findings derived from the thirty questions posed in the hypothesis.

This study has culminated in a series of conclusions that address the core hypotheses and research questions, as detailed below:

- The rebellion of Llywelyn ap Gruffudd in 1274 was characterized by a distinct Welsh nationalistic trend aimed at ending feudal dependency on the English Crown. His refusal to perform homage reflected a desire for full sovereignty. The English Crown's response proved that it viewed this not as a mere border dispute, but as a direct threat to the sovereign authority that Edward I sought to impose permanently over Wales.
- The Baronial Rebellion (1307–1314) played a pivotal role in weakening Edward II's position against the Scottish tide. The lack of trust between the King and his barons hindered the mobilization of adequate forces, granting Robert the Bruce the opportunity to consolidate his power and reclaim vital strongholds.
- The defeat at Bannockburn (1314) shattered the prestige of the English Crown and emboldened the Earl of Lancaster to impose a regency over the throne. The battle demonstrated that military failure inevitably leads to the erosion of political legitimacy.
- Edward Bruce's rebellion in Ireland drained the English Crown's resources by opening a second front that exhausted the royal treasury

and forced Edward II to disperse his military focus, further weakening his northern frontier.

- The Crown’s failure to suppress the baronial rebellions of 1320–1323 resulted from the King's over-reliance on the Despensers, which isolated the Crown from its aristocratic base and shifted baronial opposition from reformist demands to an armed movement to purge the court.
- French support for the Scottish rebellion (1334–1346) transformed a regional dispute into a pan-European conflict. Edward III realized that northern stability could only be achieved by breaking French power, leading him to move the theater of war to French soil.
- The rebellion of 1399 represented the pinnacle of political maturity, where one king was replaced by another without destroying the institution of the Crown itself, favoring a "Constitutional Coup" over total civil war.
- The administrative incompetence of Henry VI led to the emergence of Chamber Plots and the eventual Wars of the Roses. The collapse of central authority made the Crown a prize for whoever possessed the greatest military force.
- The fall of Richard III at Bosworth marked the end of medieval rebellion philosophy. Henry Tudor’s victory signaled a move toward a centralized modern monarchy, dismantling private noble armies and redirecting noble energy toward service to the Crown.

Wasit University
College of Education for Human Sciences

Department of History

Conspiracies and Insurrections Against the Crown of England 1267 - 1485

A Thesis

Submitted to the Council of the College of Education for the Humanities, University of Wasit, which is part of the requirements for obtaining a doctorate degree in the philosophy of modern history

By

Mohammed Saied ShikherAl-Hashemi

Supervised By

Prof. Dr. Hasanein Abd-alkadem Ajja

H.D.1447 **A.D. 2026**